تفسير الخازن

المسمّى

لباب التأويل في معاني التنزيل

للإمام علاء الدّين علي بن محمّد بن ابراهيم البغدادي
الشهير بالخازن
المتوفّى سنة ٧٢٥ هـ

ومعه

تفسير البغوي

المسمّى

معالم التّنزيل

للإمام أبي محمّد الحسين بن مسعود
الفرّاء البغوي الشافعي
المتوفى سنة ٥١٦ هـ

ضبطه وصححه

عبد السلام محمد علي شاهين

الجزء السّادس

المحتوى

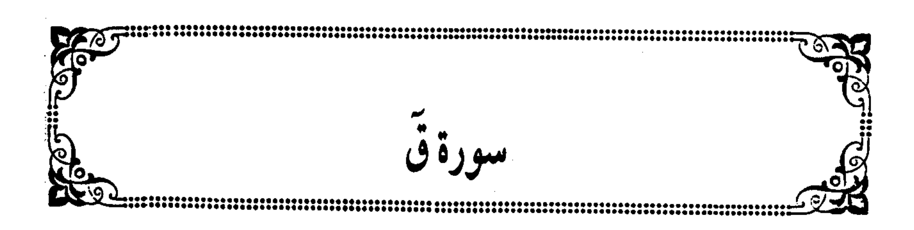
أول سورة قٓ ـ آخر سورة الناس

دار الكتب العلمية
بيروت ـ لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ - تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ - ٨٦٨٠٥١ - ٨١٥٥٧٣
فاكس: ٠٠/٩٦١١/٦٠٢١٣٣ - ٠٠/١٢١٢/٤٧٨١٣٧٣



سورة ق

(مكية وهي خمس وأربعون آية وثلاثمائة وسبع وخمسون كلمة وألف وأربعمائة وأربعة وتسعون حرفاً).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قٓ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾

قوله عز وجل: ﴿ق﴾ قال ابن عباس: هو قسم وقيل: هو اسم للسورة وقيل اسم من أسماء الله وقيل اسم من أسماء القرآن وقيل هو مفتاح اسمه القدير والقادر والقاهر والقريب والقابض والقدوس والقيوم. وقيل: معناه قضى الأمر أو قضى ما هو كائن. وقيل: هو جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء متصلة عروقه بالصخرة التي عليها الأرض والسماء كهيئة القبة وعليه كتفاها وخضرة السماء منه والعالم داخله ولا يعلم ما وراءه إلا الله تعالى ويقال هو من وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة ﴿والقرآن المجيد﴾ أي الشريف الكريم على الله الكثير الخير والبركة واختلفوا في وجواب القسم قيل جوابه محذوف تقديره لتبعثن وقيل جوابه بل عجبوا وقيل ما يلفظ من قول وقيل قد علمنا ومعنى ﴿بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن يخوفهم رجل

سُوْرَة قٓ

مكيّة وهي خمس وأربعون آية.

﴿ ق ﴾ قال ابن عباس: هو قسم، وقيل: هو اسم للسورة، وقيل: هو اسم من أسماء القرآن. وقال القرظي: هو مفتاح اسمه القدير، والقادر والقاهر والقريب والقابض، وقال عكرمة والضحاك: هو جبل محيط بالأرض من زمرّدة خضراء، منه خضرة السماء والسماء مقبيّة وعليه كتفاها، ويقال هو وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة، وقيل: معناه قضي الأمر أو قضي ما هو كائن كما قالوا في حَم [السجدة: ١] ﴿والقرآن المجيد﴾، الشريف الكريم على الله الكثير الخير واختلفوا في جواب هذا القسم، فقال أهل الكوفة جوابه بل عجبوا وقيل جوابه محذوف، مجازه: والقرآن المجيد لتبعثنّ. وقيل: جوابه قوله ما يلفظ من قول. وقيل: قد علمنا، وجوابات القسم سبعة أن الشديدة كقوله: ﴿ والفجر وليالٍ عشر ﴾ [الفجر: ١] ﴿ إنّ ربّك لبالمرصاد ﴾ [الفجر: ١٤] وما النفي كقوله: ﴿ والضحى ما ودّعك ربك ﴾ [الضحى: ١ و٣]، واللام المفتوحة كقوله: ﴿ فوربّك لنسألنّهم أجمعين ﴾ [الحجر: ٩٢] وإن الخفيفة كقوله تعالى: ﴿ إنْ كنّا لفي ضلال مبين ﴾ [الشعراء: ٩٧] ولا كقوله: ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله مَن يموت ﴾ [النحل: ٣٨]، وقد كقوله تعالى: ﴿ والشمس وضحاها قد أفلح مَن زكّاها ﴾ [الشمس: ١ و٩]، وبل كقوله: ﴿ والقرآن المجيد ﴾.

منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وأمانته وصدقه ﴿فقال الكافرون هذا شيء عجيب﴾ أي معجب غريب ﴿أئذا متنا وكنا تراباً﴾ أي حين نموت ونبلى نبعث وترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه ﴿ذلك رجع بعيد﴾ أي يبعد أن نبعث بعد الموت قال الله تعالى: ﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم﴾ أي ما تأكل الأرض من لحومهم ودمائهم وعظامهم لا يعزب عن علمنا شيء ﴿وعندنا﴾ أي مع علمنا بذلك ﴿كتاب حفيظ﴾ بمعنى محفوظ أي من التبديل والتغيير وقيل حفيظ بمعنى حافظ أي حافظ لعددهم وأسمائهم ولما تنقص الأرض منهم وهو اللوح المحفوظ وقد أثبت فيه ما يكون.

بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا
وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ
عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ
نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾

﴿بل كذبوا بالحق﴾ أي بالقرآن ﴿لما جاءهم﴾ قيل: معناه كذبوا به لما جاءهم. وقيل: كذبوا المنذر لما جاءهم ﴿فهم في أمر مريج﴾ أي مختلط ملتبس قيل معنى اختلاط أمرهم قولهم للنبي ﷺ مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم مجنون ويقولون في القرآن مرة سحر ومرة رجز ومرة مفتري فكان أمرهم مختلطاً ملتبساً عليهم وقيل في هذه الآية من ترك الحق مرج عليه أمره والتبس عليه دينه وقيل ما ترك قوم الحق إلا مرج عليهم أمرهم؛ ثم دلهم على عظيم قدرته فقال تعالى: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها﴾ أي: بغير عمد ﴿وزيناها﴾ أي بالكواكب ﴿وما لها من

﴿ بل عجبوا أن جاءهم منذر ﴾، مخوّف، ﴿ منهم ﴾، يعرفون نسبه وصدقه وأمانته، ﴿ فقال الكافرون هذا شيء عجيب ﴾، غريب.

﴿ أئذا متنا وكنّا تراباً ﴾، نبعث ترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه، ﴿ ذلك رجع ﴾، أي ردّ إلى الحياة ﴿ بعيد ﴾، وغير كائن أي يبعد أن نُبعث بعد الموت.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿ قد علمنا ما تنقص الأرض منهم ﴾، أي ما تأكل من لحومهم ودمائهم وعظامهم لا يعزب عن علمه شيء. قال السدي: هو الموت، يقول: قد علمنا مَن يموت منهم ومَن يبقى، ﴿ وعندنا كتاب حفيظ ﴾، محفوظ من الشياطين ومن أن يُدسّ ويتغيّر، وقيل: حفيظ أي حافظ لعدّتهم وأسمائهم.

﴿ بل كذّبوا بالحق ﴾، بالقرآن، ﴿ لمّا جاءهم فهم في أمر مريج ﴾، مختلط، قال سعيد بن جبير ومجاهد: ملتبس. قال قتادة: في هذه الآية مَن ترك الحق مرج عليه أمره والتبس عليه دينه. وقال الحسن: ما ترك قوم الحق إلّا مرج أمرهم. وذكر الزجّاج معنى اختلاط أمرهم، فقال: هو أنهم يقولون للنبي ﷺ، مرة شاعر، ومرة ساحر، ومرة معلّم، ويقولون للقرآن مرة سحر، ومرة رجز، ومرة مُفترى، فكان أمرهم مختلطاً ملتبساً عليهم، ثم دلّهم على قدرته.

فقال: ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها ﴾، بغير عمد، ﴿ وزيّناها ﴾، بالكواكب، ﴿ وما لها من فروج ﴾، شقوق وفتوق وصدوع واحدها فرج.

﴿ والأرضَ مددناها ﴾، بسطناها على وجه الماء، ﴿ وألقينا فيها رواسي ﴾، جبالاً ثوابت، ﴿ وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ﴾، حسن كريم يبهج به، أي يسرّ بنظره.

﴿فروج﴾ أي: شقوق وصدوع ﴿والأرض مددناها﴾ أي بسطناها على وجه الماء ﴿وألقينا فيها رواسي﴾ أي: جبالاً ثوابت ﴿وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج﴾ أي: من كل صنف حسن كريم يبتهج به أي: يسر به ﴿تبصرة﴾ أي جعلنا ذلك تبصرة ﴿وذكرى﴾ أي تذكرة ﴿لكل عبد منيب﴾ أي: راجع إلى الله تعالى والمعنى ليتبصر ويتذكر به من أناب ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركاً﴾ أي كثير الخير والبركة فيه حياة كل شيء وهو المطر ﴿فأنبتنا به﴾ أي: بذلك الماء ﴿جنات﴾ أي بساتين ﴿وحب الحصيد﴾ يعني البر والشعير وسائر الحبوب التي تحصد ﴿والنخل باسقات﴾ أي: طوالاً وقيل مستويات ﴿لها طلع﴾ أي: ثمر يطلع ويظهر ويسمى طلعاً قبل أن يتشقق ﴿نضيد﴾ أي: متراكب بعضه على بعض في أكمامه فإذا تشقق وخرج من أكمامه فليس بنضيد ﴿رزقاً﴾ أي: جعلنا ذلك رزقاً ﴿للعباد وأحيينا به﴾ أي: بالمطر ﴿بلدة ميتاً﴾ فأنبتنا فيها الكلأ والعشب ﴿كذلك الخروج﴾ أي: من القبور أحياء بعد الموت. قوله تعالى:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرأس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة﴾ قيل: كان لوط مرسلاً إلى طائفة من قوم إبراهيم ولذلك قال إخوان لوط ﴿وقوم تبع﴾ هو أبو كرب أسعد تبع الحميري وقد تقدم قصص جمعهم قيل ذم الله عز وجل قوم تبع ولم يذمه وذم فرعون لأنه هو المكذب المستخف لقومه فلهذا خص بالذكر دونهم ﴿كل كذب الرسل فحق وعيد﴾ أي: كل هؤلاء المذكورين كذبوا رسلهم فحق وعيدي أي وجب لهم عذابي

﴿ تبصرة ﴾، أي جعلنا ذلك تبصرة، ﴿ وذكرى ﴾، أي تبصيراً وتذكيراً، ﴿ لكل عبدٍ مُنيب ﴾، أي ليبصروا به ويتذكّر به.

﴿ ونزلنا من السماء ماءً مباركاً ﴾، كثير الخير وفيه حياة كل شيء وهو المطر، ﴿ فأنبتنا به جنّات وحبَّ الحصيد ﴾، يعني البرّ والشعير وسائر الحبوب التي تُحصَد فأضاف الحبَّ إلى الحصيد، وهما واحد لاختلاف اللفظين، كما يقال: مسجد الجامع وربيع الأول. وقيل: حبّ الحصيد أي وحبّ النبت الحصيد.

﴿ والنخل باسقات ﴾، قال مجاهد وعكرمة وقتادة: طوالاً، يقال: بسقت النخلة بُسوقاً إذا طالت. وقال سعيد بن جبير: مستويات. ﴿ لها طلع ﴾ ثمر وحمل، سُمّي بذلك لأنه يطلع، والطلع أول ما يظهر قبل أن ينشقّ، ﴿ نضيد ﴾، متراكب متراكم منضود بعضه على بعض في أكمامه، فإذا خرج من أكمامه فليس بنضيد.

﴿ رزقاً للعباد ﴾، أي جعلناها رزقاً للعباد، ﴿ وأحيينا به ﴾، أي بالمطر، ﴿بلدة ميتاً﴾، أنبتنا فيها الكلأ، ﴿ كذلك الخروج ﴾، من القبور.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ كذّبتْ قبلهم قَومُ نوح وأصحابُ الرّس وثمود * وعادٌ وفرعونُ وإخوانُ لوط * وأصحابُ الأيكة وقومُ تُبّع ﴾، وهو تُبّع الحميري، واسمه أسعد أبو كرب، قال قتادة: ذمّ الله قومه ولم يذمّه، ذكرنا قصته في سورة الدخان. ﴿ كلٌّ كذّب الرسل ﴾، أي كلٌّ من هؤلاء المذكورين كذّب الرّسل، ﴿ فحقّ وعيد ﴾، وجب لهم عذابي ثم أنزل جواباً لقولهم ذلك رجع بعيد.

وقيل فحق وعيدي للرسل بالنصر ﴿أفعيينا بالخلق الأول﴾ هذا جواب لقولهم ذلك رجع بعيد والمعنى أعجزنا حين خلقناهم أولاً فنعيا بالإعادة ثانياً وذلك لأنهم اعترفوا بالخلق الأول وأنكروا البعث ﴿بل هم في لبس﴾ أي شك ﴿من خلق جديد﴾ وهو البعث.

قوله عز وجل: ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ أي ما يحدث به قلبه فلا تخفى علينا سرائره وضمائره ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ بيان لكمال علمه أي نحن أعلم به منه والوليد العرق الذي يجري فيه الدم ويصل إلى كل جزء من أجزاء البدن وهو بين الحلقوم والعلباوين ومعنى الآية أن أجزاء الإنسان وأبعاضه يحجب بعضها بعضاً ولا يحجب عن علم الله شيء. وقيل: يحتمل أن يكون المعنى ونحن أقرب إليه بنفوذ قدرتنا فيه ويجري فيه أمرنا كما يجري الدم في عروقه ﴿إذ يتلقى المتلقيان﴾ أي يتلقن الملكان الموكلان به وبعمله ومنطقه فيكتبانه ويحفظانه عليه ﴿عن اليمين وعن الشمال﴾ يعني أن أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فصاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات ﴿قعيد﴾ أي قاعد وكل واحد منهما قعيد فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر. وقيل: أراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح ﴿ما يلفظ من قول﴾ أي ما يتكلم من كلام يخرج من فيه ﴿إلا لديه رقيب﴾ أي حافظ ﴿عتيد﴾ أي حاضر أينما كان سوى وقت الغائط وعند جماعة فإنهما يتأخران عنه فلا يجوز للإنسان أن يتكلم في هاتين الحالتين حتى لا يؤذي الملائكة بدنوهما منه وهو على تلك الحالة حتى يكتبا ما يتكلم به أنهما يكتبان عليه كل شيء يتكلم به حتى أنينه في مرضه وقيل لا يكتبان إلا ما له أجر وثواب أو عليه وزر وعقاب. وقيل: إن مجلسهما

﴿ أفعيينا بالخلق الأول ﴾، يعني أعجزنا حين خلقناهم أولاً فنعيا بالإعادة وهذا تقرير لهم لأنهم اعترفوا بالخلق الأول وأنكروا البعث، ويقال لكل مَن عجز عن شيء عيي به. ﴿ بل هم في لَبْس ﴾، أي في شكٍّ، ﴿ من خلق جديد ﴾، وهو البعث.

﴿ ولقد خلِقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ﴾، يحدّث به قلبه فلا يخفى علينا سرائره وضمائره، ﴿ ونحن أقرب إليه ﴾، أعلم به، ﴿ من حبل الوريد ﴾، لأن أبعاضه وأجزاءه يحجب بعضها بعضاً، ولا يحجب علم الله شيء وحبل الوريد عرق العنق، وهو عرق بين الحلقوم والعلباوين، يتفرّق في سائر البدن، والحبل هو الوريد، فأضيف إلى نفسه لاختلاف اللفظين.

﴿ إذ يتلقى المتلقيان ﴾، إذ يتلقى ويأخذ الملكان الموكلان بالإنسان عمله ومنطقه يحفظانه ويكتبانه، ﴿ عن اليمين وعن الشمال ﴾، أي أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات. ﴿ قعيد ﴾، أي قاعد، ولم يقل قعيدان لأنه أراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، فاكتفى بأحدهما عن الآخر، هذا قول أهل البصرة، وقال أهل الكوفة: أراد قعوداً كالرسول يجعل للاثنين والجمع، كما قال الله تعالى في الاثنين: ﴿ فقولا إنّا رسول ربِّ العالمين ﴾ [الشعراء: ١٦]، قيل: أراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح، لا القاعد الذي هو ضدّ القائم. قال مجاهد: القعيد الرصيد.

﴿ ما يلفظ من قول ﴾، ما يتكلم من كلام فيلفظه أي يرميه من فِيْه، ﴿ إلّا لديه رقيب ﴾، حافظ، ﴿ عتيد ﴾، حاضر أينما كان. قال الحسن: إن الملائكة يجتنبون الإنسان على حالين عند غائطه وعند جماعه. وقال مجاهد يكتبان عليه حتى أنينه في مرضه. وقال عكرمة: لا يكتبان إلّا ما يؤجر عليه أو يؤزر فيه. وقال الضحاك: مجلسهما تحت الشعر على الحنك، ومثله عن الحسن، وكان الحسن يعجبه أن ينظف عنفقته. أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا الحسين بن محمد بن الحسين الدينوري ثنا إسماعيل بن جعفر بن حمدان ثنا الفضل بن

تحت الشعر على الحنك وكان الحسن البصري يعجبه أن ينظف عنفقته روى البغوي بإسناد الثعلبي. عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ كاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشراً وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر. قوله تعالى:

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾

﴿**وجاءت سكرة الموت**﴾ أي غمرته وشدته التي تغشى الإنسان وتغلب على عقله ﴿**بالحق**﴾ أي بحقيقة الموت وقيل بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الإنسان ويراه بالعيان وقيل بما يؤول إليه أمر الإنسان من السعادة والشقاوة ﴿**ذلك ما كنت منه تحيد**﴾ أي يقال لمن جاءته سكرة الموت: ذلك الذي كنت عنه تميل. وقيل: تهرب وقال ابن عباس: تكره ﴿**ونفخ في الصور**﴾ يعني نفخة البعث ﴿**ذلك يوم الوعيد**﴾ أي ذلك اليوم الذي وعد الله الكفار أن يعذبهم فيه ﴿**وجاءت**﴾ أي في ذلك اليوم ﴿**كل نفس معها سائق**﴾ أي يسوقها إلى المحشر ﴿**وشهيد**﴾ أي يشهد عليها بما

عباس بن مهران ثنا طالوت ثنا حمّاد بن سلمة أنا جعفر بن الزبير عن القاسم بن محمد عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «كاتب الحسنات على يمين الرجل، وكاتب السيئات على يسار الرجل، وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشراً، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعلّه يسبّح أو يستغفر».

﴿ **وجاءت سكرة الموت** ﴾، غمرته وشدّته التي تغشى الإنسان وتغلب على عقله، ﴿ **بالحق** ﴾، أي بحقيقة الموت، وقيل: بالحق من أمر الآخرة حتى يتبيّنه الإنسان ويراه بالعيان. وقيل: بما يؤل إليه أمر الإنسان من السعادة والشقاوة. ويقال: لمَن جاءته سكرة الموت، ﴿ **ذلك ما كنت منه تحيد** ﴾، تميل، قال الحسن: تهرب. قال ابن عباس: تكره، وأصل الحيد الميل، يقال: حدتُ عن الشيء أحيد حيداً ومحيداً إذا ملت عنه.

﴿ **ونفخ في الصور** ﴾، يعني نفخة البعث، ﴿ **ذلك يوم الوعيد** ﴾، أي ذلك اليوم يوم الوعيد الذي وعده الله للكفّار أن يعذّبهم فيه. قال مقاتل: يعني بالوعيد العذاب أي يوم وقوع الوعيد.

﴿ **وجاءت** ﴾، ذلك اليوم، ﴿ **كلّ نفس معها سائق** ﴾، يسوقها إلى المحشر، ﴿ **وشهيد** ﴾، يشهد عليها بما عملت، وهو عمله، قال الضحاك: السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم الأيدِ والأرجل، وهي رواية العوفي عن ابن عباس. وقال الآخرون: هما جميعاً من الملائكة.

فيقول الله لها: ﴿ **لقد كنت في غفلة من هذا** ﴾، اليوم في الدنيا، ﴿ **فكشفنا عنك غطاءك** ﴾، الذي كان في الدنيا على قلبك وسمعك وبصرك، ﴿ **فبصرك اليوم حديد** ﴾، نافذ تبصر ما كنت تنكر في الدنيا. ورُوِيَ عن مجاهد قال: يعني نظرك إلى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك.

﴿ **وقال قرينه** ﴾، الملك الموكل به، ﴿ **هذا ما لديّ عتيد** ﴾، معد محضر، وقيل: ﴿ ما ﴾ بمعنى (من)، وقال مجاهد: يقول هذا الذي وكّلتني به من ابن آدم حاضر عندي قد أحضرته وأحضرت ديوان أعماله.

فيقول الله عزّ وجلّ لقرينه: ﴿ **ألقيا في جهنم** ﴾، هذا خطاب للواحد بلفظ التثنية على عادة العرب، يقولون:

عملت. قال ابن عباس: السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم الأيدي والأرجل فيقول الله تعالى لصاحب تلك النفس ﴿لقد كنت في غفلة من هذا﴾ أي من هذا اليوم في الدنيا ﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾ أي الذي كان على قلبك وسمعك وبصرك في الدنيا ﴿فبصرك اليوم حديد﴾ أي قوي ثابت نافذ تبصر ما كنت تتكلم به في الدنيا. وقيل: ترى ما كان محجوباً عنك وقيل نظرك إلى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك ﴿وقال قرينه﴾ يعني الملك الموكل به ﴿هذا ما لدي﴾ أي عندي ﴿عتيد﴾ أي معد محضر. وقيل: يقول الملك هذا الذي وكلتني به من بني آدم قد أحضرته وأحضرت ديوان عمله ﴿ألقيا في جهنم﴾ أي يقول الله تعالى لقرينه وقيل هذا أمر للسائق والشهيد ﴿كل كفار﴾ أي شديد الكفر ﴿عنيد﴾ أي عاص معرض عن الحق معاند لله فيما أمره به.

مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾

﴿مناع للخير﴾ أي للزكاة المفروضة وكل حق وجب عليه في ماله ﴿معتد﴾ أي ظالم لا يقر بتوحيد الله ﴿مريب﴾ أي: شاكّ في التوحيد ﴿الذي جعل مع الله إلهاً آخر فألقياه في العذاب الشديد﴾ يعني النار ﴿قال قرينه﴾ يعني الشيطان الذي قيض لهذا الكافر ﴿ربنا ما أطغيته﴾ قيل: هذا جواب لكلام مقدر وهو أن الكافر حين يلقى في النار يقول: ربنا أطغاني شيطاني فيقول الشيطان ربنا ما أطغيته أي ما أضللته وما أغويته ﴿ولكن كان في ضلال بعيد﴾ أي عن الحق فيتبرأ منه شيطانه وقال ابن عباس: قرينه يعني الملك يقول الكافر ربِّ إن الملك زاد عليّ في الكتابة فيقول الملك ربنا ما أطغيته أي ما زدت عليه وما كتبت إلا ما قال وعمل ولكن كان في ضلال بعيد أي طويل لا يرجع عنه إلى الحق ﴿قال﴾ الله تعالى: ﴿لا تختصموا لدي﴾ أي لا تعتذروا عندي بغير عذر وقيل هو خصامهم مع قرنائهم ﴿وقد

ويلك ارحلاها وازجراها وخذاها وأطلقاها، للواحد، قال الفرّاء: وأصل ذلك أن أدنى أعوان الرجل في إبله وغنمه وسفره اثنان، فجرى كلام الواحد على صاحبه، ومنه قولهم في الشعر للواحد خليليّ. وقال الزجّاج: هذا أمر للسائق والشهيد، وقيل: للمتلقيين. ﴿ كلّ كفّار عنيد ﴾، عاصٍ مُعرِض عن الحق. قال عكرمة ومجاهد: مُجانب للحق مُعاند لله.

﴿ منّاع للخير ﴾، أي للزكاة المفروضة وكل حق وجب في ماله، ﴿ معتدٍ ﴾، ظالم لا يقرّ بتوحيد الله، ﴿ مريب ﴾، شاكٍّ في التوحيد، ومعناه: داخل في الريب.

﴿ الذي جعل مع الله إلهاً آخر فألقياه في العذاب الشديد ﴾، وهو النار.

﴿ قال قرينه ﴾، يعني الشيطان الذي قيّض لهذا الكافر، ﴿ ربّنا ما أطغيتُه ﴾، ما أضللته وما أغويته، ﴿ ولكن كان في ضلالٍ بعيد ﴾، عن الحق فيتبرأ منه شيطانه، قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل: قال قرينه يعني الملك، قال سعيد بن جبير: يقول الكافر يا ربّ إن الملك زاد عليّ في الكتابة، فيقول الملك: ربّنا ما أطغيتُه، يعني ما زدتُ عليه وما كتبتُ إلاّ ما قال وعمل، ولكن كان في ضلال بعيد، طويل لا يرجع عنه إلى الحق.

﴿ قال ﴾، يعني يقول الله: ﴿ لا تختصموا لديَّ وقدْ قدّمتُ إليكم بالوعيد ﴾، في القرآن وأنذرتكم وحذّرتكم على لسان الرسول، وقضيت عليكم ما أنا قاضٍ.

﴿ ما يُبدّل القول لديّ ﴾، لا تبديل لقولي وهو قوله: ﴿ لأملأنّ جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾

قدمت إليكم بالوعيد﴾ أي بالقرآن وأنذرتكم على ألسن الرسل وحذرتكم عذابي في الآخرة لمن كفر ﴿ما يبدل القول لدي﴾ أي لا تبديل لقولي وهو قوله عز وجل: ﴿لأملأن جهنم﴾ وقضيت عليكم ما أنا قاضٍ فلا يغير قولي ولا يبدل وقيل معناه ولا يكذب عندي ولا يغير القول عن وجهه، لأني علام الغيوب وأعلم كيف ضلوا وهذا القول هو الأولى يدل عليه أنه قال ما يبدل القول لدي ولم يقل ما يبدل قولي ﴿وما أنا بظلام للعبيد﴾ أي: فأعاقبهم بغير جرم. وقيل: معناه فأزيد على إساءة المسيء أو أنقص من إحسان المحسن.

قوله عز وجل: ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت﴾ بيان لما سبق لها من وعد الله تعالى إياها أنه يملؤها من الجنة والناس وهذا السؤال من الله تعالى لتصديق خبره وتحقيق وعده ﴿وتقول﴾ يعني جهنم ﴿هل من مزيد﴾ يعني تقول قد امتلأت ولم يبق في موضع لم يمتلىء فهو استفهام إنكاري. وقيل: هو بمعنى الاستزادة. وهو رواية عن ابن عباس. فعلى هذا يكون السؤال وهو قوله: هل امتلأت؟ قبل دخول جميع أهلها فيها.

وروي عن ابن عباس: «إن الله تعالى سبقت كلمته لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فلما سيق أعداء الله إليها لا يلقى فيها فوج إلا ذهب فيها ولا يملؤها شيء فتقول ألست قد أقسمت لتملأني فيضع قدمه عليها فيقول هل امتلأت؟ فتقول قط قط قد امتلأت وليس في مزيد» (ق) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العرش ـ وفي رواية رب العزة ـ فيها قدمه فيزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط بعزتك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشىء الله لها خلقاً فيسكنهم فضول الجنة. ولأبي هريرة نحوه وزاد «ولا يظلم الله من خلقه أحداً».

(فصل)

هذا الحديث من مشاهير أحاديث الصفات وللعلماء فيه وفي أمثاله مذهبان:

أحدهما: وهو مذهب جمهور السلف وطائفة من المتكلمين أنه لا يتكلم في تأويلها بل نؤمن بأنها حق على ما أراد الله ورسوله ونجريها على ظاهرها ولها معنى يليق بها وظاهرها غير مراد والمذهب الثاني وهو قول جمهور المتكلمين أنها تتأول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا في تأويل هذا الحديث. فقيل: المراد بالقدم المقدم وهو سائغ في اللغة. والمعنى: حتى يضع الله فيها من قدمه لها من أهل العذاب. وقيل: المراد به قدم بعض المخلوقين

[هود: ١١٩، السجدة: ١٣]، وقال قوم: معنى قوله: ﴿ ما يبدل القول لديّ ﴾ أي: لا يكذب القول عندي، ولا يغيّر القول عن وجهه لأني أعلم الغيب. وهذا قول الكلبي، واختيار الفرّاء لأنه قال: ﴿ ما يبدل القول لديّ ﴾ ولم يقل ما يبدل لي. ﴿ وما أنا بظلاّم للعبيد ﴾، فاعقبهم بغير جرم.

﴿ يوم نقول لجهنم ﴾، قرأ نافع وأبو بكر بالياء، أي يقول الله لقوله: ﴿ قال لا تختصمُوا لديّ ﴾، وقرأ الآخرون بالنون، ﴿ هلِ امتلأتِ ﴾، وذلك لِما سبق لها من وعده إيّاها أنه يملؤها من الجنة والناس، وهذا السؤال من الله عزّ وجلّ لتصديق خبره وتحقيق وعده، ﴿ وتقول ﴾، جهنم، ﴿ هل من مزيد ﴾، قيل: معناه قد امتلأت فلم يبق فيّ موضع لم يمتلىء، فهو استفهام إنكار، هذا قول عطاء ومجاهد ومقاتل بن سليمان، وقيل: هذا استفهام بمعنى الاستزادة، وهو قول ابن عباس في رواية أبي صالح، وعلى هذا يكون السؤال بقوله: ﴿ هل امتلأتِ ﴾، قبل دخول جميع أهلها فيها، ورُوِيَ عن ابن عباس: أن الله تعالى سبقت كلمته ﴿ لأملأنّ جهنّم من الجنة والناس أجمعين ﴾ [هود: ١١٩، السجدة: ١٣]، فلما سِيقَ أعداء الله إليها لا يُلقى فيها فوج إلاّ ذهب فيها ولا يملؤها شيء، فتقول: ألستَ قد أقسمتَ لتملأنّي؟ فيضع قدمه عليها، تعالى عمّا يقول الظالمون، ثم يقول: هلِ امتلأتِ؟

فيعود الضمير في قدمه إلى ذلك المخلوق المعلوم. وقيل: إنه يحتمل أن في المخلوقات من تسمى بهذه التسمية وخلقوا لها. قال القاضي عياض: أظهر التأويل أنهم قوم استحقوها وخلقوا لها قال المتكلمون: ولا بد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل القطعي العقلي على استحالة الجارحة على الله تعالى والله أعلم.

قوله: قط قط أي: حسبي حسبي. قد اكتفيت. وفيها ثلاث لغات: إسكان الطاء، وكسرها منونة، وغير منونة. وقوله: ولا يظلم الله من خلقه أحداً، يعني: أنه يستحيل الظلم في حق الله تعالى فمن عذبه بذنب أو بغير ذنب فذلك عدل منه سبحانه وتعالى وقوله تعالى.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وأزلفت الجنة﴾ أي قربت وأدنيت ﴿للمتقين﴾ أي الذين اتقوا الشرك ﴿غير بعيد﴾ يعني أنها جعلت عن يمين العرش بحيث يراها أهل الموقف قبل أن يدخلوها ﴿هذا ما توعدن﴾ أي يقال لهم الذي وعدتم به في الدنيا على ألسنة الأنبياء ﴿لكل أواب﴾ أي رجاع عن المعصية إلى الطاعة. قال سعيد بن المسيب: هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب. وقيل: هو الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها. وقيل: هو التواب، وقال ابن عباس: هو المسبح. وقيل: هو المصلي ﴿حفيظ﴾ قال ابن عباس الحافظ لأمر الله وعنه هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل: حفيظ لما استودعه الله من حقه. وقيل: هو المحافظ على نفسه المتعهد لها المراقب لها. وقيل: هو المحافظ على الطاعات والأوامر ﴿ومن خشي الرحمن بالغيب﴾ أي خاف الرحمن فأطاعه وإن لم يره وقيل: خافه في الخلوة

فتقول: «قطْ قطْ فليس فيّ مزيد». أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ ثنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن أيوب الطوسي أنا أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي ثنا آدم بن أبي إياس العسقلاني ثنا شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال جهنّم تقول هل من مزيد، حتى يضع ربُّ العزّةِ فيها قدمه، فتقول قطْ قطْ وعزّتك، وينزوي بعضُها إلى بعض، ولا يزال في الجنة فضل حتى يُنشىء الله خلقاً فيسكنه فضول الجنة».

﴿ وأُزلفتِ الجنة ﴾، قُرِّبَت وأُدنيت، ﴿ للمتّقين ﴾، الشرك، ﴿ غير بعيد ﴾، ينظرون إليها قبل أن يدخلوها.

﴿ هذا ما توعدون ﴾، قرأ ابن كثير بالياء والآخرون بالتاء، يقال لهم: هذا الذي ترونه ما توعدون على ألسنة الأنبياء عليهم السلام، ﴿ لكل أوّاب ﴾، رجّاع إلى الطاعة عن المعاصي، قال سعيد بن المسيب: هو الذي يُذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب. وقال الشعبي ومجاهد: الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها. وقال الضحاك: هو التوّاب. وقال ابن عباس وعطاء: هو المسبّح، من قوله: ﴿ يا جبال أوّبي معه ﴾ [سبأ: ١٠] وقال قتادة: هو المصلّي. ﴿ حفيظ ﴾، قال ابن عباس: الحافظ لأمر الله، وعنه أيضاً: هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها. قال قتادة: حفيظ لما استودعه الله من حقه. قال الضحاك: المحافظ على نفسه المتعهّد لها. قال الشعبي: المراقب. قال سهل بن عبد الله: هو المحافظ على الطاعات والأوامر.

﴿ مَن خشي الرحمن بالغيب ﴾، محل من جرّ على نعت الأوّاب. وقيل رفعٌ على الاستئناف، ومعنى الآية: مَن خاف الرحمن وأطاعه بالغيب ولم يره. وقال الضحاك والسدي: يعني في الخلوة حيث لا يراه أحد. قال الحسن

بحيث لا يراه أحد إذا ألقى الستر أغلق الباب ﴿وجاء بقلب منيب﴾ أي مخلص مقبل على طاعة الله ﴿ادخلوها﴾ أي يقال لأهل هذه الصفة: ادخلوا الجنة ﴿بسلام﴾ أي بسلامة من العذاب والهموم. وقيل: بسلام من الله وملائكته عليهم وقيل: بسلامة من زوال النعم ﴿ذلك يوم الخلود﴾ أي في الجنة لأنه لا موت فيها.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ۝٣٦ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ۝٣٩﴾

﴿لهم ما يشاؤون فيها﴾ وذلك أنهم يسألون الله حتى تنتهي مسألتهم فيعطون ما سألوا ثم يزيد الله عبيده ما لم يسألوا مما لم يخطر بقلب بشر وهو قوله تعالى: ﴿ولدينا مزيد﴾ وقيل: المزيد، هو النظر إلى وجهه الكريم قيل: يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى في كل جمعة في دار كرامته فلهذا هو المزيد.

قوله تعالى: ﴿وكم أهلكنا قبلهم﴾ أي قبل كفار مكة ﴿من قرن هم أشد منهم بطشاً﴾ يعني سطوة والبطش الأخذ بصولة وعنف ﴿فنقبوا في البلاد﴾ أي ساروا وتقلبوا في البلاد وسلكوا كل طريق ﴿هل من محيص﴾ أي فلم يجدوا لهم محيصاً أي مهرباً من أمر الله وقيل: لا يجدون لهم مفراً من الموت بل يموتون فيصيرون إلى عذاب الله وفيه تخويف لأهل مكة لأنهم على مثل سبيلهم ﴿إن في ذلك لذكرى﴾ أي إن فيما ذكر من إهلاك القرى تذكرة وموعظة ﴿لمن كان له قلب﴾. قال ابن عباس: أي عقل. وقيل: له قلب حاضر مع الله واع عن الله ﴿أو ألقى السمع﴾ أي استمع القرآن واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره ﴿وهو شهيد﴾ أي حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه.

قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ أي إعياء وتعب قال المفسرون نزلت في اليهود حيث قالوا: خلق الله السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فأنزل الله تعالى هذه الآية رداً عليهم

إذا أرخى الستر وأغلق الباب. ﴿ وجاء بقلب منيب ﴾، مخلص مقبل إلى طاعة الله.

﴿ ادخلوها ﴾، أي يُقال لأهل هذه الصفة: ادخلوها، أي ادخلوا الجنة. ﴿ بسلام ﴾، بسلامة من العذاب والهموم. وقيل: بسلام من الله وملائكته عليهم. وقيل: بسلامة من زوال النِّعَم، ﴿ ذلك يوم الخلود ﴾.

﴿ لهم ما يشاؤون فيها ﴾، وذلك أنهم يسألون الله تعالى حتى تنتهي مسألتهم فيعطون ما شاؤوا، ثم يزيدهم الله من عنده ما لم يسألوه، وهو قوله: ﴿ ولدينا مزيد ﴾، يعني الزيادة لهم في النعيم مما لم يخطر ببالهم. وقال جابر وأنس هو النظر إلى وجه الله الكريم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشدّ منهم بطشاً فنقبوا في البلاد ﴾، ضربوا وساروا وتقلبوا وطافوا، وأصله من النقب وهو الطريق كأنهم سلكوا كل طريق، ﴿ هل من محيص ﴾، فلم يجدوا محيصاً من أمر الله. وقيل: هل من محيص مفرّ من الموت؟ فلم يجدوا فيه، إنذاراً لأهل مكة وأنهم على مثل سبيلهم لا يجدون مفرّاً عن الموت يموتون، فيصيرون إلى عذاب الله.

﴿ إنّ في ذلك ﴾، فيما ذكرت من العِبَر والعذاب وإهلاك القرى، ﴿ لذكرى ﴾، تذكرة وعظة، ﴿ لِمَن كان له

وتكذيباً لهم في قولهم استراح يوم السبت بقوله تعالى: ﴿وما مسنا من لغوب﴾.

قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره: والظاهر أن المراد الرد على المشركين والاستدلال بخلق السموات والأرض وما بينهما فقوله ﴿وما مسنا من لغوب﴾ أي ما تعبنا بالخلق الأول حتى لا نقدر على الإعادة ثانياً كما قال الله تعالى: ﴿أفعيينا بالخلق الأول﴾ الآية وأما ما قاله اليهود ونقلوه من التوراة فهو إما تحريف منهم أو لم يعلموا تأويله وذلك أن الأحد والاثنين أزمنة مستمرة بعضها بعد بعض فلو كان خلق السموات والأرض ابتدىء يوم الأحد لكان الزمان قبل الأجساد والزمان لا ينفك عن الأجساد فيكون قبل خلق الأجسام أجسام لأن اليوم عبارة عن زمان سير الشمس من الطلوع إلى الغروب وقبل السموات والأرض لم يكن شمس ولا قمر لكن اليوم قد يطلق ويراد به الوقت والحين وقد يعبر به عن مدة الزمان أي مدة كانت قوله عز وجل: ﴿فاصبر على ما يقولون﴾ الخطاب للنبي ﷺ أي: اصبر يا محمد على ما يقولون أي من كذبهم فإن الله لهم بالمرصاد وهذا قبل الأمر بقتالهم ﴿وسبح بحمد ربك﴾ أي صلِّ حامداً لله ﴿قبل طلوع الشمس﴾ أي صلاة الصبح ﴿وقبل الغروب﴾ يعني صلاة المغرب. قال ابن عباس: صلاة الظهر والعصر.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ۝٤٠ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ۝٤١﴾

﴿ومن الليل فسبحه﴾ يعني صلاة المغرب والعشاء. وقيل: يعني صلاة الليل أي وقت صلى ﴿وأدبار السجود﴾ قال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وغيرهما: أدبار السجود الركعتان بعد المغرب، وأدبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر. وهي رواية عن ابن عباس.

ويروى مرفوعاً عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت «لم يكن النبي ﷺ على شيء من النوافل أشد تعاهداً منه

قلب ﴾، قال ابن عباس: أي عقل. قال الفرّاء: هذا جائز في العربية، تقول: ما لك قلب وما قلبك معك، أي ما عقلك معك. وقيل له: قلب حاضر مع الله. ﴿ أو ألقى السمع ﴾، استمع القرآن، واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره، تقول العرب: ألقِ إليَّ سمعكَ، يعني استمعْ، ﴿ وهو شهيد ﴾، يعني حاضر القلب ليس بغافل ولا ساهٍ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ ولقد خلقنا السمٰواتِ والأرضَ وما بينهما في ستّة أيام وما مسّنا منْ لُغُوبٍ ﴾، إعياء وتعب، نزلت في اليهود حيث قالوا يا محمد: أخبرنا بما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستّة، فقال: «خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، والجبال يوم الثلاثاء، والمدائن والأنهار والأقوات يوم الأربعاء، والسمٰوات والملائكة يوم الخميس إلى ثلاث ساعات من يوم الجمعة، وخلق في أول الثلاث الساعات الآجال، وفي الثانية الآفة، وفي الثالث آدم»، قالوا: صدقتَ إنْ أتممت، قال: وما ذاك؟ قالوا: ثم استراح يوم السبت، واستلقى على العرش، فأنزل الله تعالى هذه الآية ردّاً عليهم.

﴿ فاصبِرْ على ما يقولون ﴾، من كذبهم فإن الله لهم بالمرصاد، وهذا قبل الأمر بقتالهم، ﴿ وسبّحْ بحمد ربك ﴾، أي صلِّ حمداً لله، ﴿ قبل طلوع الشمس ﴾، يعني صلاة الصبح، ﴿ وقبل الغروب ﴾، يعني صلاة العصر. ورُوِيَ عن ابن عباس قال: قبل الغروب الظهر والعصر.

﴿ ومن الليل فسبّحه ﴾، يعني صلاة المغرب والعشاء. وقال مجاهد: ومن الليل أي صلاة الليل أيَّ وقتٍ صلّي. ﴿ وأدبار السجود ﴾ قرأ أهل الحجاز وحمزة: ﴿ وأدبار السجود ﴾ بكسر الهمزة، مصدر أدبر إدباراً، وقرأ الآخرون بفتحها على جمع الدبر. قال عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب والحسن والشعبي والنخعي

على ركعتي الفجر» (م) عنها أن النبي ﷺ قال: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها» يعني بذلك سنة الفجر، عن ابن مسعود، قال: «ما أحصى ما سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل صلاة الفجر يقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب.

وقيل: في قوله وأدبار السجود: التسبيح باللسان في أدبار الصلوات المكتوبات (خ) عن ابن عباس قال: أمر رسول الله ﷺ أن يسبح في أدبار الصلوات كلها يعني قوله وأدبار السجود (م). عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد الله ثلاثاً وثلاثين وكبر الله ثلاثاً وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال: تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر» (خ) عنه «أن فقراء المسلمين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم فقال وما ذاك؟ قالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وأنفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال قال أفلا أخبركم بأمر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به إلا من جاء بمثله تسبحون في دبر كل صلاة عشراً وتحمدون عشراً وتكبرون عشراً».

قوله تعالى: ﴿واستمع يوم يناد المناد﴾ يعني استمع يا محمد حديث يوم ينادي المنادي. وقيل: معناه انتظر

والأوزاعي: أدبار السجود الركعتان بعد صلاة المغرب، وأدبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر. وهي رواية العوفي عن ابن عباس. ورُوِيَ عنه مرفوعاً، هذا قول أكثر المفسّرين، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو أيوب الدمشقي ثنا الوليد بن مسلم ثنا ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان رسول الله ﷺ على شيء من النوافل أشدَّ مُعَاهدةً منه على الركعتين أمام الصبح. أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبّار بن محمد الجراحي ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا صالح بن عبد الله ثنا أبو عوانة عن قتادة عن زرارة بن أبي أوْفَى عن سعيد بن هشام عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها». أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي أنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا محمد بن المثنى ثنا بدل بن المحبر ثنا عبد الملك بن معدان عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود أنه قال: ما أحصي ما سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأ في الركعتين بعد المغرب وفي الركعتين قبل صلاة الفجر: بقلْ يا أيّها الكافرون، وقلْ هو الله أحد. وقال مجاهد: قوله: ﴿ أدبار السجود ﴾ هو التسبيحُ باللسانِ في أدبار الصلوات المكتوبات. أخبرنا أبو الحسين طاهر بن الحسين الدورقي الطوسي بها، أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن أيوب أنا مسدد ثنا خالد هو ابن عبد الله ثنا سهيل عن أبي عبيد عن عطاء بن يزيد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن سبّحَ اللّهَ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين، وكبّر اللّهَ ثلاثاً وثلاثين، وحَمِدَ اللّهَ ثلاثاً وثلاثين، فذلك تسعة وتسعون، ثم قال تمام المائة: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له المُلْك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غُفرت خطاياهُ وإنْ كانتْ مثلَ زبد البحر». أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا إسحاق أنا يزيد أنا ورقاء عن سُميّ عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العُلى والنعيم المقيم، قال: كيف ذاك؟ قال: «صلّوا كما صلّينا وجاهدوا كما جاهدنا، وأنفقوا من فضول أموالهم وليستْ لنا أموال»، قال: «أفلا أُخبركم بأمر تدركون به مَن كان قبلكم وتسبقون مَن جاء بعدكم، ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به إلّا مَن جاء بمثله: تسبّحون في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ عشراً وتحمدون عشراً وتكبّرون عشراً».

صيحة القيامة والنشور. قال المفسرون: المنادي هو إسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي بالحشر فيقول: يا أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء، وهو قوله تعالى: ﴿من مكان قريب﴾ قيل: إن صخرة بيت المقدس أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً وقيل: هي في وسط الأرض.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾

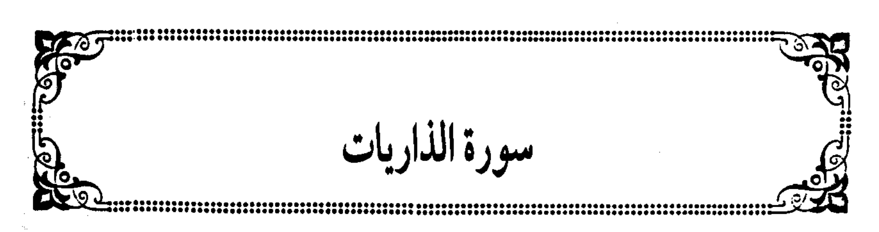
﴿يوم يسمعون الصيحة بالحق﴾ أي الصيحة الأخيرة ﴿ذلك يوم الخروج﴾ أي من القبور ﴿إنا نحن نحيي﴾ أي في الدنيا ﴿ونميت﴾ يعني عند انقضاء الأجل ﴿وإلينا المصير﴾ أي في الآخرة وقيل: تقديره نميت في الدنيا ونحيي للبعث وإلينا المصير بعد البعث ﴿يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً﴾ أي يخرجون سراعاً إلى المحشر وهو قوله تعالى: ﴿ذلك حشر علينا يسير﴾ أي هين ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ يعني كفار مكة في تكذيبك ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ أي بمسلط تجبرهم على الإسلام إنما بعثت مذكراً وذلك قبل أن يؤمر بقتالهم ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ أي ما أوعدت به من عصاني من العذاب قال ابن عباس: «قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت: فذكر بالقرآن من يخاف وعيد» أي عظ بالقرآن من يخاف وعيدي والله أعلم بمراده.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ واستمعْ يوم ينادِ المنادِ من مكانٍ قريب ﴾، أي واستمع يا محمد صيحة القيامة والنشور يوم ينادي المنادي، قال مقاتل: يعني إسرافيل ينادي بالحشر يا أيتها العظام البالية والأوصال المتقطّعة واللحوم المتمزّقة والشعور المتفرّقة، إن الله يأمركنّ أن تجتمعن لفصل القضاء من مكان قريب من صخرة بيت المقدس، وهي وسط الأرض. قال الكلبي: هي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً.

﴿ يوم يسمعون الصيحة بالحق ﴾، وهي الصيحة الأخيرة، ﴿ ذلك يوم الخروج ﴾، من القبور.

﴿ إنّا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير * يوم تشقّق الأرض عنهم سراعاً ﴾، جمع سريع أي يخرجون سراعاً، ﴿ ذلك حشرٌ علينا ﴾، جمع علينا ﴿ يسير ﴾.

﴿ نحنُ أعلم بما يقولون ﴾، يعني كفّار مكة في تكذيبك، ﴿ وما أنتَ عليهم بجبّار ﴾، بمسلّط تجبرهم على الإسلام إنما بُعِثتَ مذكِّراً، ﴿ فذكّر بالقرآن مَن يخاف وعيد ﴾، أي ما أوعدت به مَن عصاني من العذاب. قال ابن عباس: قالوا: يا رسول الله لو خوّفتنا، فنزلت: ﴿ فذكّرْ بالقرآن مَن يخاف وعيد ﴾.



سورة الذاريات

(مكية وهي ستون آية وثلاثمائة وستون كلمة وألف ومائتان وتسعة وثلاثون حرفاً)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾

قوله عز وجل: ﴿والذاريات ذرواً﴾ يعني الرياح التي تذر التراب ﴿فالحاملات وقراً﴾ يعني السحاب يحمل ثقلاً من الماء ﴿فالجاريات يسراً﴾ يعني السفن تجري في الماء جرياً سهلاً ﴿فالمقسمات أمراً﴾ يعني الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به وقيل: هم أربعة: جبريل صاحب الوحي إلى الأنبياء الأمين عليه وصاحب الغلظة، وميكائيل صاحب الرزق والرحمة، وإسرافيل صاحب الصور واللوح، وعزرائيل صاحب قبض الأرواح. وقيل: هذه الأوصاف الأربعة في الرياح لأنها تنشىء السحاب وتسيره ثم تحمله وتقله ثم تجري به جرياً سهلاً ثم تقسم الأمطار بتصريف السحاب أقسم الله تعالى بهذه الأشياء لشرف ذواتها ولما فيها من الدلالة على عجيب صنعته وقدرته. والمعنى: أقسم بالذاريات بهذه الأشياء، وقيل: فيه مضمر تقديره ورب الذاريات ثم ذكر جواب القسم فقال تعالى:

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾

﴿إن ما توعدون﴾ أي من الثواب والعقاب يوم القيامة ﴿لصادق﴾ أي الحق ﴿وإن الدين﴾ أي الحساب والجزاء

سُوْرَة الذّارِيَات

مكيّة وهي ستّون آية.

﴿ والذاريات ذرواً ﴾، يعني الرياح التي تذرّ التراب ذرواً، يقال: ذرت الريح التراب وأذرت.

﴿ فالحاملات وِقْراً ﴾، يعني السحاب التي تحمل ثقلاً من الماء.

﴿ فالجاريات يُسراً ﴾، هي السفن تجري في الماء جرياً سهلاً.

﴿ فالمقسمات أمراً ﴾، هي الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق على ما أُمِروا به، أقسم بهذه الأشياء لما فيها من الدلالة على صنعه وقدرته.

ثم ذكر المقسَم عليه فقال: ﴿ إنّما توعدون ﴾، من الثواب والعقاب، ﴿ لصادق ﴾.

﴿لواقع﴾ أي لكائن ثم ابتدأ قسماً آخر فقال تعالى: ﴿والسماء ذات الحبك﴾ قال ابن عباس: ذات الخلق الحسن المستوي، وقيل: ذات الزينة حبكت بالنجوم وقيل: ذات البنيان المتقن وقيل: ذات الطرائق كحبك الماء إذا ضربته الريح وحبك الرمل ولكنها لا ترى لبعدها من الناس وجواب القسم قوله ﴿إنكم﴾ يعني يا أهل مكة ﴿لفي قول مختلف﴾ يعني في القرآن وفي محمد ﷺ يقولون في القرآن سحر وكهانة وأساطير الأولين وفي محمد ﷺ ساحر وشاعر وكاهن ومجنون وقيل: لفي قول مختلف أي مصدق ومكذب ﴿يؤفك عنه من أفك﴾ أي يصرف عن الإيمان به من صرف حتى يكذبه وهو من حرمه الله الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن وقيل: معناه أنهم كانوا يتلقون الرجل إذا أراد الإيمان بمحمد ﷺ فيقولون إنه ساحر وشاعر وكاهن ومجنون فيصرفونه عن الإيمان به ﴿قتل الخراصون﴾ أي: الكذابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا القول في النبي ﷺ ليصرفوا الناس عن الإسلام. وقيل: هم الكهنة ﴿الذين هم في غمرة﴾ أي في غفلة وعمى وجهالة ﴿ساهون﴾ أي لاهون غافلون عن أمر الآخرة والسهو الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه ﴿يسألون أيان يوم الدين﴾ أي يقولون يا محمد متى يوم الجزاء يعني يوم القيامة تكذيباً واستهزاء قال الله تعالى: ﴿يوم هم﴾ أي يكون هذا الجزاء في يوم هم ﴿على النار يفتنون﴾ أي يدخلون ويعذبون بها وتقول لهم خزنة النار: ﴿ذوقوا فتنتكم﴾ أي عذابكم ﴿هذا الذي كنتم به تستعجلون﴾ أي في الدنيا تكذيباً به.

﴿ وإنّ الدين ﴾، الحساب والجزاء، ﴿ لواقع ﴾، لكائن.

ثم ابتدأ قسماً آخر فقال: ﴿ والسماءِ ذاتِ الحُبك ﴾، قال ابن عباس وقتادة وعكرمة: ذات الخلق الحَسَن المستوي، يقال للنسّاج إذا نسج الثوب فأجاد: ما أحسن حبكته! قال سعيد بن جبير: ذات الزينة. قال الحسن: حبكت بالنجوم. قال مجاهد: هي المتقنة البُنيان. وقال مقاتل والكلبي والضحّاك: ذات الطرائق كحبك الماء إذا ضربته الريح، وحبك الرمل والشعر الجعد، ولكنها لا ترى لبُعدها من الناس، وهي جمع حباك وحبيكة، وجواب القسم وله.

﴿ إنّكم ﴾، يا أهل مكة، ﴿ لفي قول مختلف ﴾، في القرآن وفي محمد ﷺ، تقولون في القرآن سحر وكهانة وأساطير الأوّلين، وفي محمد ﷺ ساحر وشاعر ومجنون. وقيل: لفي قول مختلف أي مُصدّق ومُكذّب.

﴿ يؤفك عنه مَن أفك ﴾، يُصرَف عن الإيمان به مَن صُرِفَ حتى يكذّبه، يعني مَن حرمه الله الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن، وقيل: (عـن) بمعنـى: من أجل، أي يصرف من أجل هذا القول المختلف أو بسببه عن الإيمان مَن يصرف. وذلك أنهم كانوا يتلقّون الرجل إذا أراد الإيمان فيقولون: إنه ساحر وكاهن ومجنون، فيصرفونه عن الإيمان، وهذا معنى قول مجاهد.

﴿ قُتل الخرّاصون ﴾، لُعن الكذّابون، يقال: تحرص على فلان الباطل، وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة، واقتسموا القول في النبي ﷺ ليصرفوا الناس عن دين الإسلام. وقال مجاهد: هم الكهنة.

﴿ الذين هم في غمرة ﴾، غفلة وعمى وجهالة، ﴿ ساهمون ﴾ لاَهُون غافلون عن أمر الآخرة، والسهو: الغفلة عن الشيء، وهو ذهاب القلب عنه.

﴿ يسألون أيّان يَوم الدين ﴾، يقولون: يا محمد متى يوم الجزاء، يعني يوم القيامة تكذيباً واستهزاءً.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿ يوم هم ﴾، أي يكون هذا الجزاء في يوم هم، ﴿ على النار يفتنون ﴾، أي يعذّبون ويحرقون بها كما يفتن الذهب بالنار. وقيل: ﴿ على ﴾ بمعنى الباء أي بالنار، وتقول لهم خَزَنَة النار:

﴿ ذُوقوا فتنتكم ﴾، عذابكم، ﴿ هذا الذي كنتم به تستعجلون ﴾، في الدنيا تكذيباً به.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إن المتقين في جنان وعيون﴾ يعني في خلال الجنات عيون جارية ﴿آخذين ما آتاهم﴾ أي ما أعطاهم ﴿ربهم﴾ أي من الخير والكرامة ﴿إنهم كانوا قبل ذلك محسنين﴾ أي قبل دخولهم الجنة كانوا محسنين في الدنيا ثم وصف إحسانهم فقال تعالى: ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ أي كانوا ينامون قليلاً من الليل ويصلون أكثره. وقال ابن عباس: كانوا قل ليلة تمر بهم إلا صلوا فيها شيئاً إما من أولها أو من أوسطها عن أنس بن مالك في قوله: «كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون» قال: كانوا بين المغرب والعشاء أخرجه أبو داود.

وقيل: كانوا لا ينامون حتى يصلون العتمة وقيل: قل ليلة أتت عليهم هجعوها كلها، ووقف بعضهم على قوله: كانوا قليلاً، أي من الناس ثم ابتدأ من الليل ما يهجعون أي لا ينامون بالليل البتة بل يقومون الليل كله في الصلاة والعبادة ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾ أي ربما مدوا عبادتهم إلى وقت السحر ثم أخذوا في الاستغفار وقيل: معناه يستغفرون من تقصيرهم في العبادة وقيل: يستغفرون من ذلك القدر القليل الذي كانوا ينامونه من الليل وقيل: معناه يصلون بالأسحار لطلب المغفرة (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له» ولمسلم قال: «فيقول أنا الملك أنا الملك» وذكر الحديث وفيه «حتى يضيء الفجر» وزاد في رواية «من يقرض غير عديم ولا ظلوم».

(فصل)

هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان:

أحدهما: وهو مذهب السلف وغيرهم أنه يمر كما جاء من غير تأويل ولا تعطيل ويترك الكلام فيه وفي أمثاله مع الإيمان به وتنزيه الرب تبارك وتعالى عن صفات الأجسام.

﴿ **إنّ المتّقين في جنّات وعيون * آخذين ما آتاهم** ﴾، أعطاهم، ﴿ **ربهم** ﴾، من الخير والكرامة، ﴿ **إنهم كانوا قبل ذلك** ﴾، قبل دخولهم الجنة، ﴿ **محسنين** ﴾، في الدنيا.

﴿ **كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون** ﴾، والهجوع النوم بالليل دون النهار، ﴿ **وما** ﴾ صلة، والمعنى: كانوا يهجعون قليلاً من الليل أي يصلّون أكثر الليل، وقيل: معناه كان الليل الذي ينامون فيه كلّه قليلاً، وهذا معنى قول سعيد بن جبير عن ابن عباس، يعني: كانوا أقلّ ليلة تمرّ بهم إلاّ صلّوا فيها شيئاً إمّا من أولها أو من أوسطها. قال أنس بن مالك: كانوا يصلّون ما بين المغرب والعشاء. وقال محمد بن علي: كانوا لا ينامون حتى يصلّوا العتمة. قال مطرف بن عبد الله بن الشخّير: قلّ ليلة أتتْ عليهم هجعوها كلها. قال مجاهد: كانوا لا ينامون كل الليل. ووقف بعضهم على قوله: ﴿ **قليلاً** ﴾ أي كانوا من الناس قليلاً، ثم ابتدأ: ﴿ **من الليل ما يهجعون** ﴾، وجعله جحداً أي لا ينامون بالليل البتّة، بل يقومون للصلاة والعبادة، وهو قول الضحاك ومقاتل.

﴿ **وبالأسحار هم يستغفرون** ﴾، قال الحسن: لا ينامون من الليل إلاّ أقلّه، وربما نشطوا فمدّوا إلى السحر، ثم أخذوا في الأسحار بالاستغفار. وقال الكلبي ومجاهد ومقاتل: وبالأسحار يصلّون، وذلك أن صلاتهم بالأسحار لطلب المغفرة. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد المخلدي أنا أبو العباس

المذهب الثاني: وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم أن الصعود والنزول من صفات الأجسام والله تعالى يتقدس عن ذلك. فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة والألطاف الإلهية وقربها من عباده والإقبال على الداعين بالإجابة واللطف. وتخصيصه بالثلث الأخير من الليل، لأن ذلك وقت التهجد والدعاء وغفلة أكثر الناس عن التعرض لنفحات رحمة الله تعالى وفي ذلك الوقت تكون النية خالصة والرغبة إلى الله تعالى متوفرة فهو مظنة لقبول الإجابة والله تعالى أعلم (ق).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: اللهم لك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك الحق وقولك الحق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت». زاد في رواية: «وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ولا إله غيرك» زاد النسائي: «ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» (خ) عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي، أو قال دعا أستجيب له فإن توضأ وصلى قبلت صلاته» قوله تعار من الليل يقال: تعارَّ الرجل من نومه إذا انتبه وله صوت وقوله عز وجل:

﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ

محمد بن إسحاق السراج ثنا قتيبة ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل الله إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل فيقول: أنا الملك أنا الملك مَنِ الذي يدعوني فأستجيب له؟ مَنِ الذي يسألني فأُعطيه؟ مَن الذي يستغفرني فأغفر له»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان ثنا سليمان بن أبي مسلم عن طاوس سمع ابن عباس قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد، قال: «اللّهمّ لك الحمد أنتَ قيِّمُ السمٰوات والأرض ومَن فيهنّ، ولك الحمد أنتَ نورُ السمٰوات والأرض ومَن فيهنّ، ولك الحمد أنتَ ملك السمٰواتِ والأرض ومَن فيهنّ، ولك الحمد أنتَ الحقّ ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيّون حق، ومحمد حق، والساعة حق، اللّهمَّ لك أسلمتُ وبك آمنتُ وعليك توكلتُ، وإليك أنبتُ وبك خاصمتُ وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدّمتُ وما أخّرتُ وما أسررتُ وما أعلنت وما أنت أعلم به منّي، أنت المقدّم وأنت المؤخر، لا إلّه إلّا أنت ولا إلّه غيرك». قال سفيان: وزاد عبد الكريم أبو أُمية: ولا حول ولا قوة إلّا بالله».
أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا صدقة أنا الوليد عن الأوزاعي حدّثني عمير بن هانىء حدّثني جنادة بن أبي أُميّة حدّثني عبادة عن النبي ﷺ قال: «مَن تعار من الليل فقال: لا إلّه إلّا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وسبحان الله والحمد لله ولا إلّه إلّا الله والله أكبر ولا حول ولا قوّة إلّا بالله، ثم قال: ربِّ اغفرْ لي، أو قال: دعا استُجيب له، فإن توضأ وصلّى قُبِلَتْ صلاتُه».

رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾

﴿وفي أموالهم حق﴾ أي نصيب قيل إنه ما يصلون به رحماً أو يقرون به ضيفاً أو يحملون به كلاً أو يعينون به محروماً وليس بالزكاة قاله ابن عباس. وقيل: إنه الزكاة المفروضة ﴿للسائل﴾ أي الذي يسأل الناس ويطلب منهم ﴿والمحروم﴾ قيل هو الذي ليس له في الغنائم سهم ولا يجري عليه من الفيء شيء قال ابن عباس رضي الله عنهما: المحروم الذي ليس له في فيء الإسلام سهم. وقيل: معناه الذي حرم الخير والعطاء، وقيل: المحروم، المتعفف الذي لا يسأل. وقيل: هو صاحب الجائحة الذي أصيب زرعه وثمره أو نسل ماشيته وقيل: هو المحارف المحروم في الرزق والتجارة وقيل: هو المملوك وقيل: هو المكاتب، وأظهر الأقوال، أنه المتعفف لأنه قرنه بالسائل والمتعفف لا يسأل ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل إنما يفطن له متيقظ ﴿وفي الأرض آيات﴾ أي عبر من البحار والجبال والأشجار والثمار وأنواع النبات ﴿للموقنين﴾ أي بالله الذي يعرفونه ويستدلون عليه بصنائعه ﴿وفي أنفسكم﴾ أي آيات إذ كنتم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظماً إلى أن تنفخ الروح.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع وقيل: يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقيل: يعني تقويم الأدوات السمع والبصر والنطق والعقل إلى غير ذلك من العجائب المودعة في ابن آدم ﴿أفلا تبصرون﴾ يعني كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث ﴿وفي السماء رزقكم﴾ قال ابن عباس هو المطر وهو سبب الأرزاق ﴿وما توعدون﴾ يعني من الثواب والعقاب. وقيل: من الخير والشر. وقيل: الجنة والنار ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال: ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق﴾ أي ما ذكر من الرزق وغيره ﴿مثل ما أنكم تنطقون﴾ أي بلا إله إلا الله.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وفي أموالهم حقٌّ للسائلِ والمحروم ﴾، السائل الذي يسأل الناس، والمحروم الذي ليس له في الغنيمة سهم، ولا يجري عليه من الفيء شيء، هذا قول ابن عباس وسعيد بن المسيب، قال: المحروم الذي ليس له في الإسلام سهم، ومعناه في اللغة: الذي مُنِع الخير والعطاء. وقال قتادة و الزهري: المحروم المتعفِّف الذي لا يسأل. وقال زيد بن أسلم: هو المصاب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته. وهو قول محمد بن كعب القرظي، قال: المحروم صاحب الحاجة، ثم قرأ: ﴿ إنا لمغرمون بل نحن محرومون ﴾ [الواقعة: ٦٦].

﴿ وفي الأرض آيات ﴾، عِبَر، ﴿ للموقنين ﴾، إذا سَارُوا فيها من الجبال والبحار والأشجار والثمار وأنواع النبات. ﴿ وفي أنفسكم ﴾، آيات إذ كانت نطفةً ثم علقةً ثم مضغةً ثم عظماً إلى أن نفخ فيها الروح. وقال عطاء عن ابن عباس: يريد اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع. وقال ابن الزبير: يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من السبيلين. ﴿ أفلا تبصرون ﴾، قال مقاتل: أفلا تبصرون كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث.

﴿ وفي السماء رزقكم ﴾، قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل: يعني المطر الذي هو سبب الأرزاق، ﴿ وما توعدون ﴾، قال عطاء: من الثواب والعقاب. وقال مجاهد: من الخير والشر. وقال الضحاك: وما توعدون من الجنة والنار، ثم أقسم بنفسه فقال:

﴿ فوربِّ السماء والأرض إنه لحق ﴾، أي ما ذكرت من أمر الرزق لحق، ﴿ مثل ﴾، قرأ حمزة والكسائي

وقيل: شبه تحقيق ما أخبر عنه بتحقيق نطق الآدمي ومعناه إنه لحق كما أنك تتكلم. وقيل: إن معناه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة وقال بعض الحكماء معناه كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له لا يقدر أن يأكل رزق غيره.

قوله تعالى: ﴿**هل أتاك حديث ضيف إبراهيم**﴾ يعني هل أتاك يا محمد حديث الذين جاؤوا إبراهيم بالبشرى فاستمع نقصصه عليك وقد تقدم ذكر عددهم وقصتهم في سورة هود ﴿**المكرمين**﴾ قيل: سماهم مكرمين لأنهم كانوا ملائكة كراماً عند الله. وقيل: لأنهم كانوا ضيف إبراهيم وهو أكرم الخلق على الله يومئذ وضيف الكريم مكرمون.

وقيل: لأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أكرمهم بتعجيل قراهم وخدمته إياهم بنفسه وطلاقة وجهه لهم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: سماهم مكرمين لأنهم كانوا غير مدعوين (ق) عن أبي شريح العدوي قال: قال رسول الله ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه.

إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾

﴿**إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون**﴾ أي غرباء لا نعرفكم.

قال ابن عباس: قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم وقيل: إنما أنكر أمرهم، لأنهم دخلوا بغير استئذان وقيل: أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض ﴿**فراغ**﴾ أي عدل ومال ﴿**إلى أهله فجاء بعجل سمين**﴾ أي جيد وكان

وأبو بكر عن عاصم: ﴿ **مثل** ﴾ برفع اللام بدلاً من الحق، وقرأ الآخرون بالنصب أي كمثل، ﴿ **ما أنكم تنطقون** ﴾، فتقولون: لا إله إلّا الله. وقيل: شبّه تحقيق ما أخبر عنه بتحقيق نطق الآدمي، كما تقول: إنه لحق كما أنت ههنا، وإنه لحق كما أنك تتكلم، والمعنى: إنه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة: وقال بعض الحكماء: يعني كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له. ولا يقدر أن يأكل رزق غيره.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**هل أتاك حديث ضيف إبراهيم**﴾، ذكرنا عددهم في سورة هود[٧٨]، ﴿**المكرمين**﴾، قيل: سمّاهم مكرمين لأنهم كانوا ملائكة كراماً عند الله، وقد قال الله تعالى في وصفهم: ﴿ **بل عبادٌ مكرمون** ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، وقيل: لأنهم كانوا ضيف إبراهيم وكان إبراهيم أكرم الخليقة، وضيف الكرام مكرمون. وقيل: لأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم بتعجيل قراهم، والقيام بنفسه عليهم بطلاقة الوجه. وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: خدمته بنفسه إيّاهم. ورُوِيَ عن ابن عباس: سمّاهم مكرمين لأنهم جاؤوا غير مدعوين. وروينا عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن كان يُؤمنُ بالله واليوم الآخر فليكرمْ ضيفَه».

﴿ **إذْ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال** ﴾، إبراهيم، ﴿ **سلامٌ قومٌ منكرون** ﴾، أي غرباء لا نعرفكم، قال ابن عباس: قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم. وقيل: إنما أنكر أمرهم لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان. وقال أبو العالية: أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض.

مشوياً. قيل: كان عامة مال إبراهيم البقر فجاء بعجل ﴿فقربه إليهم﴾ هذا من آداب المضيف أن يقدم الطعام إلى الضيف ولا يحوجهم السعي إليه فلما لم يأكلوا ﴿قال ألا تأكلون﴾ يعني أنه حثهم على الأكل. وقيل: عرض عليهم الأكل من غير أن يأمرهم ﴿فأوجس﴾ أي فأضمر ﴿منهم خيفة﴾ لأنهم لم يتحرموا بطعامه ﴿قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم﴾ أي يبلغ ويعلم وقيل: عليم أي نبي ﴿فأقبلت امرأته﴾ قيل لم يكن ذلك إقبالاً من مكان إلى مكان بل كانت في البيت فهو كقول القائل أقبل يفعل كذا إذا أخذ فيه ﴿في صرة﴾ أي في صيحة والمعنى أنها أخذت تولول وذلك من عاد النساء إن سمعن شيئاً ﴿فصكت وجهها﴾ قال ابن عباس: لطمت وجهها. وقيل: جمعت أصابعها وضربت جبينها تعجباً وذلك من عادة النساء أيضاً إذا أنكرن شيئاً ﴿وقالت عجوز عقيم﴾ معناه: أتلد عجوز عقيم وذلك لأن سارة لم تلد قبل ذلك ﴿قالوا كذلك قال ربك﴾ أي كما قلنا لك قال ربك إنك ستلدين غلاماً ﴿إنه هو الحكيم العليم﴾ ثم إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما علم حالهم وأنهم من الملائكة قال ﴿فما خطبكم﴾ أي فما شأنكم وما طلبكم ﴿أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ يعني قوم لوط ﴿لنرسل عليهم حجارة من طين﴾ قيل هو الآجر ﴿مسومة﴾ أي معلمة قيل على كل حجر اسم من يهلك به.

وقيل: معلمه بعلامة تدل على أنها ليست من حجارة الدنيا ﴿عند ربك للمسرفين﴾ قال ابن عباس يعني المشركين لأن الشرك أسرف الذنوب وأعظمها.

فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ
ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ
وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ
كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾

﴿فأخرجنا من كان فيها﴾ أي في قرى قوم لوط ﴿من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت﴾ أي أهل بيت ﴿من

﴿ فراغ ﴾، فعدل ومال، ﴿ إلى أهله فجاء بعجل سمين ﴾، مشوي.

﴿ فقرّبه إليهم ﴾، ليأكلوا فلم يأكلوا، ﴿ قال ألا تأكلون * فأوجس منهم خيفةً قالوا لا تخفْ وبشّروه بغلام عليم * فأقبلتِ امرأته في صَرّةٍ ﴾، أي صيحة، قيل: لم يكن ذلك إقبالاً من مكان إلى مكان، وإنما هو كقول القائل: أقبل يشتمني، بمعنى أخذ في شتمي، أي أخذت تُوَلْوِلُ كما قال الله تعالى: ﴿ قالت يا ويلتي ﴾ [هود: ٧٢]، ﴿ فصكّتْ وجهها ﴾، قال ابن عباس: لطمت وجهها. وقال الآخرون: جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجّباً، كعادة النساء إذا أنكرن شيئاً، وأصل الصكّ: ضرب الشيء بالشيء العريض. ﴿ وقالتْ عجوزٌ عقيم ﴾، مجازه: أتلدُ عجوز عقيم، وكانت سارة لم تلد قبل ذلك.

﴿ قالوا كذلك قال ربك ﴾، أي كما قلنا لك قال ربك إنك ستلدين غلاماً، ﴿ إنه هو الحكيم العليم ﴾.

﴿ قال ﴾، إبراهيم، ﴿ فما خطبكم أيّها المرسلون * قالوا إنّا أُرسلنا إلى قوم مجرمين ﴾، يعني قوم لوط.

﴿ لِنُرسلَ عليهم حجارةً من طين * مسومة ﴾، معلّمة، ﴿ عند ربك للمسرفين ﴾، قال ابن عباس: للمشركين، والشرك أشرف الذنوب وأعظمها.

﴿ فأخرجنا مَنْ كان فيها ﴾، أي في قرى قوم لوط، ﴿ من المؤمنين ﴾، وذلك قوله: ﴿ فاسْرِ بأهلك بِقِطَعٍ من الليل ﴾ [هود: ٨١، الحجر: ٦٥].

المسلمين﴾ يعني لوطاً وابنتيه وصفهم الله تعالى بالإيمان والإسلام جميعاً لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم. لأن الإسلام أعم من الإيمان. وإطلاق العام على الخاص لا مانع منه فإذا سمي المؤمن مسلماً، لا يدل على اتحاد مفهوميهما ﴿وتركنا فيها﴾ أي في مدينة قوم لوط ﴿آية﴾ أي عبرة ﴿للذين يخافون العذاب الأليم﴾ والمعنى تركنا فيها علامة للخائفين تدلهم على أن الله مهلكهم فيخافون مثل عذابهم قوله عز وجل: ﴿وفي موسى﴾ أي وتركنا في إرسال موسى آية وعبرة ﴿إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين﴾ أي حجة ظاهرة ﴿فتولى﴾ أي أعرض عن الإيمان ﴿بركنه﴾ أي بجمعه وجنوده الذين كان يتقوى بهم ﴿وقال ساحر أو مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم﴾ أي فأغرقناهم في البحر ﴿وهو مليم﴾ أي آت بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل ﴿وفي عاد﴾ أي وفي إهلاك عاد أيضاً آية وعبرة ﴿إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ يعني التي لا خير فيها ولا بركة فلا تلقح شجراً ولا تحمل مطراً ﴿ما تذر من شيء أتت عليه﴾ أي من أنفسهم وأموالهم وأنعامهم ﴿إلا جعلته كالرميم﴾ أي كالشيء الهالك البالي وهو ما يبس وديس من نبات الأرض كالشجر والتبن ونحوه وأصله من رم العظم إذا بلي ﴿وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين﴾ يعني إلى وقت انقضاء آجالهم وذلك أنهم لما عقروا الناقة قيل لهم: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام.

فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ

﴿ فما وجدنا فيها غير بيت ﴾، أي غير أهل بيت، ﴿ من المسلمين ﴾، يعني لوطاً وابنتيه، وصفهم الله تعالى بالإيمان والإسلام جميعاً لأنه ما من مؤمن إلاّ وهو مسلم.

﴿ وتركنا فيها ﴾، أي في مدينة قوم لوط، ﴿ آية ﴾، عبرة، ﴿ للذين يخافون العذاب الأليم ﴾، أي علامة للخائفين تدلّهم على أن الله تعالى أهلكهم فيخافون مثل عذابهم.

﴿ وفي موسى ﴾، أي وتركنا في إرسال موسى آية وعبرة. وقيل: هو معطوف على قوله: ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين ﴾ [الذاريات: ٢٠]، وفي موسى، ﴿ إذْ أرسلناه إلى فرعونَ بسلطانٍ مبين ﴾، بحجّة ظاهرة.

﴿ فتولى ﴾، أي فأعرض وأدبر عن الإيمان، ﴿ بركنه ﴾، أي بجمعه وجنوده الذين كانوا يتقوّى بهم، كالركن الذي يقوى به البنيان، نظيره قوله: ﴿ أو آوي إلى ركن شديد ﴾ [هود: ٨٠]، ﴿ وقال ساحرٌ أو مجنون ﴾. قال أبو عبيدة: ﴿ أو ﴾ بمعنى الواو.

﴿ فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليمّ ﴾، أغرقناهم فيه، ﴿ وهو مليم ﴾، أي آتٍ بما يُلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل.

﴿ وفي عاد ﴾، أي وفي إهلاك عاد أيضاً آية، ﴿ إذْ أرسلنا عليهم الريح العقيم ﴾، وهي التي لا خير فيها ولا بركة ولا تلقح سجراً ولا تحمل مطراً.

﴿ ما تذر من شيء أتت عليه ﴾، من أنفسهم وأنعامهم ومواشيهم وأموالهم، ﴿ إلاّ جعلته كالرميم ﴾، كالشيء الهالك البالي، وهو نبات الأرض إذا يبسَ ودِيْسَ. قال مجاهد: كالتبن اليابس. قال قتادة: كرميم الشجر. قال أبو العالية: كالتراب المدقوق. وقيل: أصله من العظم البالي.

﴿ وفي ثمود إذْ قيل لهم تمتعوا حتى حين ﴾، يعني وقت فناء آجالهم، وذلك أنهم لمّا عقروا الناقة قيل لهم: تمتعوا ثلاثة أيام.

نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ
الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا
مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾

﴿فعتوا عن أمر ربهم﴾ أي تكبروا عن طاعة ربهم ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ أي بعد مضي ثلاثة أيام من بعد عقر الناقة وهي الموت في قول ابن عباس. وقيل: أخذهم العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك ﴿وهم ينظرون﴾ أي يرون ذلك العذاب عياناً ﴿فما استطاعوا من قيام﴾ أي فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض من تلك الصرعة ﴿وما كانوا منتصرين﴾ أي ممتنعين منا وقيل: ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من أمر الله ﴿وقوم نوح﴾ قرىء بكسر الميم ومعناه وفي يوم نوح وقرىء بنصبها ومعناه: وأغرقنا قوم نوح ﴿من قبل﴾ أي من قبل هؤلاء وهم عاد وثمود وقوم فرعون ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ أي خارجين عن الطاعة.

قوله تعالى: ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ أي بقوة وقدرة ﴿وإنا لموسعون﴾ قيل: هو من السعة: أي أوسعنا السماء بحيث صارت الأرض وما يحيط بها من السماء والفضاء وبالنسبة إلى سعة السماء كالحلقة الملقاة في الفلاة وقال ابن عباس: معناه قادرون على بنائها كذلك وعنه لموسعون أي الرزق على خلقنا وقيل: معناه وإنا ذوو السعة والغنى ﴿والأرض فرشناها﴾ أي بسطناها ومهدناها لكم ﴿فنعم الماهدون﴾ أي نحن ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ أي صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والأرض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والصيف والشتاء والجن والإنس والذكر والأنثى والنور والظلمة والإيمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو

﴿ فعَتَوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة ﴾، يعني بعد مضي الأيام الثلاثة، وهي الموت في قول ابن عباس، قال مقاتل: يعني العذاب، والصاعقة: كل عذاب مهلك، وقرأ الكسائي: (الصعقة)، وهي الصوت الذي يكون من الصاعقة، ﴿ وهم ينظرون ﴾، يرون ذلك عياناً.

﴿ فما استطاعوا من قيام ﴾، فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض. قال قتادة: لم ينهضوا من تلك الصرعة، ﴿ وما كانوا منتصرين ﴾، منتقمين منّا. قال قتادة: ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من الله.

﴿ وقومَ نوح ﴾، قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي: ﴿ وقوم ﴾ بجرّ الميم، أي وفي قوم نوح، وقرأ الآخرون بنصبها بالحمل على المعنى، وهو أن قوله: ﴿ فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليمّ ﴾، معناه: أغرقناهم، كأنه قال: أغرقناهم وأغرقنا قوم نوح. ﴿ من قبل ﴾، أي من قبل هؤلاء، وهم عاد وثمود وقوم فرعون. ﴿ إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴾.

﴿ والسماء بنيناها بأيدٍ ﴾، بقوة وقدرة، ﴿ وإنّا لَمُوسِعُون ﴾، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لقادرون. وعنه أيضاً: لموسعون الرزق على خلقنا. وقيل: ذو سعة. وقال الضحاك: أغنياء، دليله قوله عزّ وجلّ: ﴿ وعلى المُوْسِعِ قَدَرُه ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، قال الحسن: المطيقون.

﴿ والأرض فرشناها ﴾، بسطناها ومهّدناها لكم، ﴿ فنِعمَ الماهدون ﴾، الباسطون نحن: قال ابن عباس: نِعْمَ ما وطّأتُ لعبادي.

﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين ﴾، صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والأرض، والشمس والقمر، والليل

والمر والحامض ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي فتعلمون أن خالق الأزواج فرد لا نظير له ولا شريك معه ﴿ففروا إلى الله﴾ أي: قل يا محمد ففروا إلى الله أي فاهربوا من عذابه إلى ثوابه بالإيمان والطاعة وقال ابن عباس ففروا منه إليه واعملوا بطاعته وقال سهل بن عبد الله ففروا مما سوى الله إلى الله ﴿إني لكم منه نذير﴾ أي مخوف ﴿مبين﴾ أي بين الرسالة بالحجة الظاهرة والمعجزة الباهرة والبرهان القاطع ﴿ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر﴾ أي وحدوه ولا تشركوا به شيئاً ﴿إني لكم منه نذير مبين﴾ قيل: إنما كرر قوله إني لكم منه نذير مبين عند الأمر بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم أن الإيمان لا ينفع إلا مع العمل كما أن العمل لا ينفع إلا مع الإيمان وأنه لا يفوز عند الله إلا الجامع بينهما.

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾

﴿كذلك﴾ أي كما كذبك قومك وقالوا ساحر أو مجنون كذلك ﴿ما أتى الذين من قبلهم﴾ أي من قبل كفار مكة والأمم الخالية ﴿من رسول﴾ يعني يدعوهم إلى الإيمان والطاعة ﴿إلا قالوا ساحر أو مجنون﴾ قال الله تعالى: ﴿أتواصوا به﴾ أي أوصى أولهم آخرهم وبعضهم بعضاً بالتكذيب وتواطؤوا عليه وفيه توبيخ لهم ﴿بل هم قوم طاغون﴾ أي لم يتواصلوا بهذا القول لأنهم لم يتلاقوا على زمان واحد بل جمعتهم على ذلك علة واحدة وهي الطغيان وهو الحامل لهم على ذلك القول ﴿فتولَّ عنهم﴾ أي أعرض عنهم ﴿فما أنت بملوم﴾ أي لا لوم عليك فقد أديت الرسالة وبذلت المجهود وما قصرت فيما أمرت به.

قال المفسرون: لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله ﷺ واشتد على أصحابه وظنوا أن الوحي قد انقطع وأن

والنهار، والبرّ والبحر، والسهل والجبل، والشتاء والصيف، والجنّ والإنس، والذَّكر والأُنثى، والنور والظلمة، والإيمان والكفر، والسعادة والشقاوة، والجنة والنار، والحق والباطل، والحلو والمرّ. ﴿ لعلّكم تذكّرون ﴾، فتعلمون أن خالق الأزواج فرد.

﴿ فَفِرُّو إلى الله ﴾، فاهربوا من عذاب الله إلى ثوابه، بالإيمان والطاعة. قال ابن عباس: فرّوا منه إليه واعملوا بطاعته. وقال سهل بن عبد الله: فرّوا مما سوى الله إلى الله. ﴿ إنّي لكم منه نذير مبين * ولا تجعلوا مع الله إلَهاً آخر إني لكم منه نذير مبين ﴾.

﴿ كذلك ﴾، أي كما كذّبك قومك يا محمد وقالوا ساحر أو مجنون كذلك، ﴿ ما أتى الذين من قبلهم ﴾، من قبل كفّار مكة، ﴿ من رسول إلاّ قالوا ساحرٌ أو مجنون ﴾.

قال الله تعالى: ﴿ أتَواصَوْا بهِ ﴾، أي أوصى أولهمُ آخرَهم وبعضُهم بعضاً بالتكذيب وتواطؤوا عليه؟ والألف فيه للتوبيخ، ﴿ بل هم قوم طاغون ﴾، قال ابن عباس: حملهم الطغيان فيما أعطيتهم ووسّعتُ عليهم على تكذيبك، ﴿ فتولَّ عنهم ﴾، فأعرض عنهم، ﴿ فما أنت بمَلوم ﴾، لا لوم عليك فقد أدّيتَ الرسالة وما قصّرت فيما أُمرت به. قال المفسّرون: لمّا نزلت هذه الآية حزن رسول الله ﷺ واشتدّ ذلك على أصحابه، وظنوا أن الوحي قد انقطع، وأن العذاب قد حضر إذْ أُمر النبي ﷺ أن يتولّى عنهم.

فأنزل الله تعالى: ﴿ وذَكِّرْ فإن الذكرى تنفعُ المؤمنين ﴾، فطابت أنفسهم. قال مقاتل: معناه عِظْ بالقرآن

العذاب قد حضر إذ أمر النبي ﷺ أن يتولى عنهم فأنزل الله عز وجل: ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ فطابت نفوسهم بذلك والمعنى عظ بالقرآن كفار مكة فإن الذكرى تنفع من علم الله أنه يؤمن منهم وقيل: معناه عظ بالقرآن من آمن من قومك فإن الذكرى تنفعهم.

قوله عز وجل: ﴿وما خلقت الجن والإنس﴾ أي من المؤمنين ﴿إلا ليعبدون﴾ قيل هذا خاص بأهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن عباس «وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدون» وقيل: معناه وما خلقت السعداء من الجن والإنس إلا لعبادتي والأشقياء منهم إلا لمعصيتي وهو ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة. وقال علي بن أبي طالب إلا ليعبدون أي إلا لآمرهم أن يعبدوني وأدعوهم إلى عبادتي. وقيل: معناه إلا ليعرفوني وهذا حسن لأنه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده. وقيل: معناه إلا ليخضعوا لي ويتذللوا لأن معنى العبادة في اللغة التذلل والانقياد وكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله متذلل للمشيئة لا يملك أحد لنفسه خروجاً عما خلق له. وقيل: معناه إلا ليوحدوني فأما المؤمن فيوحده اختياراً في الشدة والرخاء وأما الكافر فيوحده اضطراراً في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء ﴿ما أريد منهم من رزق﴾ أي ما أريد أن يرزقوا أحداً من خلقي ولا أن يرزقوا أنفسهم لأني أنا الرزاق المتكفل لعبادي بالرزق القائم لكل نفس بما يقيمها من قوتها ﴿وما أريد أن يطعمون﴾ أي أن يطعموا أحداً من خلقي وإنما أسند الإطعام إلى نفسه لأن الخلق كلهم عيال الله ومن أطعم عيال أحد فقد أطعمه لما صح من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال: يا رب كيف أسقيك وأنت

كفّار مكة، فإن الذكرى تنفع مَن في علم الله أن يؤمن منهم. وقال الكلبي: عِظْ بالقرآن مَن آمن من قومك فإن الذكرى تنفعهم.

﴿ وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون ﴾، قال الكلبي والضحاك وسفيان: هذا خاصّ لأهل طاعته من الفريقين، يدلّ عليه قراءة ابن عباس: ﴿ وما خلقت الجنّ والإنس ﴾ (من المؤمنين) ﴿ إلّا ليعبدون ﴾، ثم قال في آية أخرى: ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجنّ والإنس ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقال بعضهم: وما خلقت السعداء من الجنّ والإنس إلّا لعبادتي والأشقياء منهم إلّا لمعصيتي، وهذا معنى قول زيد بن أسلم، قال: هم على ما جُبِلُوا عليه من الشقاوة والسعادة. وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: إلّا ليعبدون أي إلّا لآمُرُهم أن يعبدوني وأدعوهم إلى عبادتي، يؤيده قوله عزّ وجلّ: ﴿ وما أُمروا إلّا ليعبدوا إلّهاً واحداً ﴾ [التوبة: ٣١]، وقال مجاهد: إلّا ليعرفوني. وهذا أحسن لأنه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده، دليله قوله تعالى: ﴿ ولئن سألتهم مَن خلقهم ليقولنّ الله ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقيل: معناه إلّا ليخضعوا إليّ ويتذلّلوا، ومعنى العبادة في اللغة: التذلّل والانقياد، فكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله، ومتذلّل لمشيئته لا يملك أحد لنفسه خروجاً عمّا خُلق عليه قدر ذرّة من نفع أو ضرر. وقيل: إلّا ليعبدون إلّا ليوحّدون، فأما المؤمن فيجده في الشدّة والرخاء، وأما الكافر فيوحّده في الشدّة والبلاء دون النّعمة والرخاء، بيانه قوله عزّ وجلّ: ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

﴿ ما أُريد منهم من رزق ﴾، أي أن يرزقوا أحداً من خلقي ولا أن يرزقوا أنفسهم، ﴿ وما أُريد أن يطعمون ﴾، أي أن يطعموا أحداً من خلقي، وإنما أسند الإطعام إلى نفسه، لأن الخلق عيال الله ومَن أطعم عيال

رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي» أخرجه مسلم ثم بين أن الرزاق هو لا غيره فقال تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾

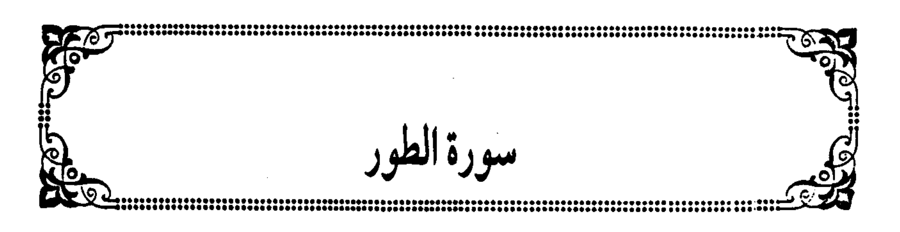
﴿إن الله هو الرزاق﴾ أي لجميع خلقه **﴿ذو القوة المتين﴾** يعني هو القوي الشديد المقتدر البليغ القوة والقدرة الذي لا يلحقه في أفعاله مشقة **﴿فإن للذين ظلموا﴾** أي من أهل مكة **﴿ذنوباً﴾** أي نصيباً من العذاب **﴿مثل ذنوب أصحابهم﴾** أي مثل نصيب أصحابهم الذين هلكوا من قوم نوح وعاد وثمود **﴿فلا يستعجلون﴾** أي بالعذاب لأنهم أخروا إلى يوم القيامة يدل عليه قوله عز وجل **﴿فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون﴾** يعني يوم القيامة وقيل: يوم بدر والله تعالى أعلم بمراده.

أحد فقد أطعمه. كما جاء في الحديث يقول الله: «يا ابن آدم استطعمتُك فلم تُطعمني»، أي فلم تطعم عبدي، ثم بيّن أن الرزّاق هو لا غيره فقال:

﴿ إنّ الله هو الرزّاق ﴾، يعني لجميع خلقه، ﴿ ذو القوة المتين ﴾، وهو القوي المقتدر المبالغ في القوة والقدرة.

﴿ فإنّ للذين ظلموا ﴾، كفروا من أهل مكة، ﴿ ذنوباً ﴾، نصيباً من العذاب، ﴿ مثل ذنوب أصحابهم ﴾، مثل نصيب أصحابهم الذين أُهلكوا من قوم نوح وعاد وثمود، وأصل الذنوب في اللغة: الدلو العظيمة المملوءة ماء، ثم استعمل في الحظ والنصيب، ﴿ فلا يستعجلون ﴾، بالعذاب يعني أنهم أُخّروا إلى يوم القيامة.

يدلّ عليه قوله عزّ وجلّ: ﴿ فويلٌ للذين كفروا من يومهم الذي يُوعدون ﴾، يعني يوم القيامة، وقيل: يوم بدر.



سورة الطور

(مكية وهي تسع وأربعون آية وثلاثمائة واثنتا عشرة كلمة وألف وخمسمائة حرف)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾

قوله عز وجل: ﴿والطور﴾ أراد به الجبل الذي كلم الله موسى عليه الصلاة والسلام بالأرض المقدسة وقيل: بمدين ﴿وكتاب مسطور﴾ أي مكتوب ﴿في رق﴾ يعني الأديم الذي يكتب فيه المصحف ﴿منشور﴾ أي مبسوط.

واختلفوا في الكتاب، فقيل: هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة وموسى يسمع صرير الأقلام. وقيل: هو اللوح المحفوظ. وقيل: هو دواوين الحفظة يخرج إليهم يوم القيامة منشوراً فآخذ بيمينه وآخذ بشماله. وقيل: هو القرآن.

وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾

﴿والبيت المعمور﴾ يعني بكثرة الغاشية والأهل وهو بيت في السماء السابعة قدام العرش بحيال الكعبة يقال له الصراع حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض وصح في حديث المعراج من أفراد مسلم عن أنس أن رسول الله

سُورَة الطّور

مكيّة وهي تسع وأربعون آية.

﴿ والطورِ ﴾، أراد به الجبل الذي كلّم الله تعالى عليه موسى عليه السلام بالأرض المقدسة أقسم الله تعالى به.

﴿ وكتابٍ مسطور ﴾، مكتوب.

﴿ في رَقٍّ مَنْشُور ﴾، الرقّ: ما يُكتَب فيه، وهو أديم المصحف والمنشور المبسوط، واختلفوا في هذا الكتاب، قال الكلبي: هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة وموسى يسمع صرير القلم. وقيل: هو اللوح المحفوظ. وقيل: هو دواوين الحَفَظَة تخرج إليهم يوم القيامة منشورة، فأخذ بيمينه وأخذ بشماله. دليله قوله عزّ وجلّ: ﴿ ونُخرِج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً ﴾ [الإسراء: ١٣].

﴿ والبيت المعمور ﴾، بكثرة الغاشية والأهل، وهو بيت في السماء السابعة حذاء العرش بحيال الكعبة

ﷺ رأى البيت المعمور في السماء السابعة قال: فإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه وفي رواية أخرى قال فانتهيت إلى بناء فقلت للملك ما هذا؟ قال بناء بناه الله للملائكة يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون يسبحون الله ويقدسونه.

وفي أفراد البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أنه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك» ﴿**والسقف المرفوع**﴾ يعني السماء ﴿**والبحر المسجور**﴾ يعني الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس. وذلك ما روي أن الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة ناراً فيزاد بها في نار جهنم وجاء في الحديث عن عبدالله بن عمرو وقال قال رسول الله ﷺ «لا يركبن رجل البحر إلا غازياً أو معتمراً أو حاجاً فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً وقيل: المسجور المملوء وقيل: هو اليابس الذي ذهب ماؤه ونضب. وقيل: هو المختلط العذب بالملح.

وروي عن علي أنه قال البحر المسجور هو بحر تحت العرش غمره كما بين سبع سموات إلى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الأولى منه أربعين صباحاً فينبتون من قبورهم أقسم الله بهذه الأشياء لما فيها من عظيم قدرته وجواب القسم قوله تعالى: ﴿**إن عذاب ربك لواقع**﴾ يعني إنه لحق وكائن ونازل بالمشركين في الآخرة ﴿**ما له من دافع**﴾ أي مانع.

قال جبير بن مطعم: قدمت المدينة لأكلم رسول الله ﷺ في أسارى بدر فدفعت له وهو يصلي بأصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرأ والطور إلى قوله إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع فكأنما صدع قلبي حين

يقال له: الضُّرَاح، حُرمته في السماء كحُرمة الكعبة في الأرض يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يطوفون به ويصلّون فيه ثم لا يعودون إليه أبداً.

﴿ **والسقفِ المرفوع** ﴾، يعني السماء نظيره قوله عزّ وجلّ: ﴿ وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

﴿ **والبحر المسجور** ﴾، قال محمد بن كعب القرظي والضحاك: يعني الموقد المحمّى بمنزلة التنّور المسجور، وهو قول ابن عباس: وذلك ما رُوِيَ أن الله تعالى جعل البحار كلها يوم القيامة ناراً فيزداد بها في نار جهنم، كما قال الله تعالى: ﴿ وإذا البحار سُجّرتْ ﴾ [التكوير: ٦]، وجاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو قال رسول الله ﷺ: «لا يركبنّ رجلٌ بحراً إلّا غازياً ومعتمراً أو حاجّاً، فإنّ تحتَ البحر ناراً وتحت النار بحراً» وقال مجاهد والكلبي: المسجور المملوء، يقال: سجرت الإناء إذا ملأته. وقال الحسن وقتادة وأبو العالية: هو اليابس الذي قد ذهب ماؤه ونضب. وقال الربيع بن أنس: هو المختلط العذب بالملح. وروى الضحّاك عن النزال بن سبرة عن علي أنه قال في البحر المسجور: هو بحر تحت العرش، سعته كما بين سبع سمٰوات إلى سبع أرضين، فيه ماء غليظ يقال له: بحر الحيوان، تمطر العباد بعد النفخة الأولى منه أربعين صباحاً فينبتون في قبورهم. هذا قول مقاتل: أقسم الله بهذه الأشياء.

﴿ **إن عذاب ربك لواقع** ﴾، نازل كائن.

﴿ **ما له من دافع** ﴾، مانع قال جبير بن مطعم: قَدِمت المدينة لأكلّم رسول الله ﷺ في أسارى بدر فدفعت إليه وهو يصلّي بأصحابه المغرب، وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرأ ﴿ **والطور** ﴾ إلى قوله: ﴿ **إن عذاب**

سمعت ولم يكن أسلم يومئذ فأسلمت خوفاً من نزول العذاب وما كنت أظن أني أقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب ثم بين أنه متى يقع فقال تعالى: ﴿يوم تمور السماء موراً﴾ أي تدور كدوران الرحى وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة وقيل: تتحرك وتختلف أجزاؤها بعضها من بعض وتضطرب ﴿وتسير الجبال سيراً﴾ أي تزول عن أماكنها وتصير هباء منثوراً والحكمة في مور السماء وسير الجبال الإنذار والأعلام بأن لا رجوع ولا عود إلى الدنيا وذلك لأن الأرض والسماء وما بينهما من الجبال والبحار وغير ذلك إنما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بني آدم بذلك فلما لم يبق لهم عود إليها أزالها الله تعالى وذلك لخراب الدنيا وعمارة الآخرة.

فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ
ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ
عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ
عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ
عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ
رَهِينٌ ﴿٢١﴾

﴿فويل﴾ أي شدة عذاب ﴿يومئذ للمكذبين﴾ أي يوم القيامة ﴿الذين هم في خوض﴾ أي يخوضون في الباطل ﴿يلعبون﴾ أي غافلون لأهون عما يراد بهم ﴿يوم يدعون﴾ أي يدفعون ﴿إلى نار جهنم دعا﴾ يعني دفعاً بعنف وجفوة، وذلك أن خزنة جهنم يغلّون أيدي الكفار إلى أعناقهم ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم ويدفعون بها دفعاً إلى النار على وجوههم وزجّاً في أقفيتهم حتى يردوا إلى النار، فإذا دنوا منها، قال لهم خزنتها: ﴿هذه النار التي كنتم بها تكذبون﴾ أي في الدنيا ﴿أفسحر هذا﴾ ذلك أنهم كانوا ينسبون محمداً ﷺ إلى السحر وأنه يغطي على الأبصار فوبخوا بذلك وقيل

ربك لواقع * ما له من دافع ﴾، فكأنما صدع قلبي حين سمعته، ولم يكن أسلم يومئذ، قال فأسلمت خوفاً من نزول العذاب وما كنت أظن أني أقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب. ثم بيّن أنه متى يقع فيقال:

﴿ يوم تمور السماء موراً ﴾، أي تدور كدوران الرحى وتتكفأ بأهلها تكفؤَ السفينة. قال قتادة: تتحرك. قال عطاء الخراساني: تختلف أجزاؤها بعضها في بعض. وقيل: تضطرب، والمور يجمع هذه المعاني فهو في اللغة: الذهاب والمجيء والتردّد والدوران والاضطراب.

﴿ وتسيرُ الجبال سيراً ﴾فتزول عن أماكنها وتصير هباءً منثوراً.

﴿ فويلٌ ﴾ فشدّة عذاب، ﴿ يومئذ للمكذّبين * الذين هم في خوض يلعبون ﴾، يخوضون في الباطل يلعبون غافلين لاهين.

﴿ يوم يُدَعُّون ﴾. يدفعون، ﴿ إلى جهنّم دَعّاً ﴾، دفعاً بعنف وجفوة، وذلك أن خَزَنَة جهنم يغلّون أيديهم إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يَدفعونهم إلى النار دفعاً على وجوههم، وزجّاً في أقفيتهم حتى يَرِدُوا النار، فإذا دنوا منها قال لهم خَزَنَتها:

﴿ هذه النار التي كنتم بها تكذبون ﴾، في الدنيا.

لهم: أفسحر هذا ﴿أم أنتم لا تبصرون اصلوها﴾ أي قاسوا شدتها ﴿فاصبروا﴾ أي على العذاب ﴿أو لا تصبروا﴾ أي عليه ﴿سواء عليكم﴾ أي الصبر والجزع ﴿إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾ أي من الكفر والتكذيب في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿إن المتقين في جنات ونعيم فاكهين﴾ أي معجبين بذلك ناعمين ﴿بما آتاهم ربهم﴾ أي من الخير والكرامة ﴿ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا﴾ أي يقال لهم كلوا ﴿واشربوا هنيئاً﴾ أي مأمون العاقبة من التخمة والسقم ﴿بما كنتم تعملون﴾ أي في الدنيا من الإيمان والطاعة ﴿متكئين على سرر مصفوفة﴾ أي موضوعة بعضها إلى بعض ﴿وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان﴾ يعني ألحقنا أولادهم الصغار والكبار بإيمانهم فالكبار بإيمانهم بأنفسهم والصغار بإيمان آبائهم فإن الولد الصغير يحكم بإسلامه تبعاً لأحد أبويه ﴿ألحقنا بهم ذرياتهم﴾ يعني المؤمنين في الجنة بدرجات آبائهم وإن لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم تكرمة لآبائهم لتقر بذلك أعينهم هذه رواية عن ابن عباس. وفي رواية أخرى عنه، أن معنى الآية والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم يعني البالغين بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم الصغار الذين لم يبلغوا الإيمان بإيمان آبائهم أخبر الله تعالى أنه يجمع لعبده المؤمن من ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا أن يجتمعوا إليه فيدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمله من غير أن

﴿أَفسحرٌ هذا﴾، وذلك أنهم كانوا ينسبون محمداً ﷺ إلى السحر، وإلى أنه يغطّي على الأبصار بالسحر، فوُبِّخوا به، وقيل لهم: ﴿ فسحرٌ هذا أم أنتم لا تبصرون ﴾.

﴿ اصلوها ﴾، قاسوا شدّتها، ﴿ فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم ﴾، الصبر والجزع، ﴿ إنّما تُجزَون ما كنتم تعملون ﴾.

﴿ إنّ المتّقين في جنّات ونعيم * فاكهين ﴾، معجبين بذلك ناعمين، ﴿ بما آتاهم ربّهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ﴾، ويقال لهم:

﴿ كُلُوا واشْرَبُوا هنيئاً ﴾، مأمون العاقبة من التخمة والسقم، ﴿ بما كنتم تعملون ﴾.

﴿ متّكئين على سُرر مصفوفة ﴾، موضوعة بعضها إلى جنب بعض، ﴿ وزوّجناهم بحور عين ﴾.

﴿ والذين آمنوا واتّبعتهم ذرّيتهم بإيمان ﴾، قرأ أبو عمرو: (أتبعناهم) بقطع الألف على التعظيم، (ذرّياتهم)، بالألف وكسر التاء فيهما لقوله: ﴿ ألحقنا بهم ﴾ ﴿ وما ألتناهم ﴾، ليكون الكلام على نسق واحد، وقرأ الآخرون ﴿ واتّبعتهم ﴾ بوصل الألف وتشديد التاء بعدها وسكون التاء الأخيرة، ثم اختلفوا في ذرّيتهم، قرأ أهل المدينة الأولى بغير ألف وضمّ التاء، والثانية بالألف وكسر التاء، وقرأ أهل الشام ويعقوب كلاهما بالألف وكسر التاء في الثانية، وقرأ الآخرون بغير ألف فيهما ورفع التاء الأولى ونصبها في الثانية، واختلفوا في معنى الآية، فقال قوم: معناها والذين آمنوا واتّبعتهم ذريّتهم بإيمان يعني أولادهم الصغار والكبار، فالكبار بإيمانهم بأنفسهم، والصغار بإيمان آبائهم، فإن الولد الصغير يحكم بإسلامه تبعاً لأحد الأبوين ﴿ ألحقنا بهم ذريتهم ﴾ المؤمنين في الجنة بدرجاتهم وإن لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم تكرمةً لآبائهم لتقرَّ بذلك أعينهم. وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم. وقال آخرون: معناه والذين آمنوا واتّبعتهم ذريّتهم البالغون بإيمان ألحقنا بهم ذريّتهم الصغار الذين لم يبلغوا الإيمان بإيمان آبائهم. وهو قول الضحّاك، ورواية العوفي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أخبر الله عزّ وجلّ أنه يجمع لعبده المؤمن ذريّته في الجنة كما كان يحبُّ في الدنيا أن يجتمعوا إليه، يُدخلهم الجنة بفضله ويُلحقهم بدرجته بعمل أبيه، من غير أن يُنقص الآباء من أعمالهم شيئاً، فذلك قوله: ﴿ وما ألتناهم ﴾، قرأ ابن كثير بكسر اللام، والباقون بفتحها أي ما نقصانهم يعني الآباء، ﴿ من عملهم من شيء ﴾،

ينقص الآباء من أعمالهم شيئاً وذلك قوله تعالى: ﴿وما ألتناهم من عملهم من شيء﴾ يعني: وما نقصنا الآباء من أعمالهم شيئاً عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم إلى آخر الآية.

عن علي قال: «سألت خديجة النبي ﷺ عن ولدين ماتا لها في الجاهلية فقال رسول الله ﷺ هما في النار فلما رأى الكراهية في وجهها قال: لو رأيت مكانهما لأبغضتهما قالت يا رسول الله ﷺ فولدي منك قال: في الجنة ثم قال رسول الله ﷺ إن المؤمنين وأولادهم في الجنة وإن المشركين وأولادهم في النار ثم قرأ النبي ﷺ والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم» أخرج هذين الحديثين البغوي بإسناد الثعلبي.

﴿كل امرىء﴾ أي كافر ﴿بما كسب﴾ أي عمل من الشرك ﴿رهين﴾ أي مرتهن بعمله في النار والمؤمن لا يكون مرتهناً بعمله لقوله «كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين» ثم ذكر ما وعدهم به من الخير والنعمة فقال تعالى:

وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾

﴿وأمددناهم بفاكهة﴾ يعني زيادة عما كان لهم ﴿ولحم مما يشتهون﴾ أي من أنواع اللحوم ﴿يتنازعون﴾ أي يتعاطون ويتناولون ﴿فيها﴾ أي في الجنة ﴿كأساً لا لغو فيها﴾ أي لا باطل فيها ولا رفث ولا تخاصم ولا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا ﴿ولا تأثيم﴾ أي لا يكون فيها ما يؤثمهم ولا يجري بينهم ما فيه لغو وإثم كما يجري بين شربة الخمر في الدنيا. وقيل: لا يأثمون في شربها.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن عبد الله الحديثي ثنا سعيد بن محمد بن إسحاق الصيرفي ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة جنادة بن المفلس ثنا قيس بن الربيع ثنا عمر بن مرّة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله يرفع ذريّة المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل، لتقرَّ بهم عينه»، ثم قرأ: ﴿ والذين آمنوا واتّبعهم ذرّيّتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريّاتِهم ﴾، إلى آخر الآية. أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا عبد الله بن فنجويه الدينوري ثنا أبو بكر مالك القطيعي ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدّثني عثمان بن أبي شيبة ثنا محمد بن فضل عن محمد بن عثمان عن زاذان عن عليّ رضي الله عنه قال: سألت خديجة رضي الله تعالى عنها عن النبي ﷺ عن ولدين ماتَا لها في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: «هما في النار»، فلما رأى الكراهية في وجهها، قال: «لو رأيتِ مكانَهما لأبغضتِهما»، قالت: يا رسول الله فولديَّ منك؟ قال: «في الجنة» ثم قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإن المشركين وأولادهم في النار»، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ والذين آمنوا واتّبعتهم ذرّيّتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريّاتهم ﴾. ﴿ كلُّ امرىء بما كسب رهين ﴾، قال مقاتل: كل امرىء كافر بما عمل من الشرك مرتهن في النار، والمؤمن لا يكون مرتهناً، لقوله عزّ وجلّ: ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة * إلاّ أصحاب اليمين ﴾ [المدّثر: ٣٨ و٣٩] ثـم ذكر ما يزيدهم من الخير والنعمة.

فقال: ﴿ وأمددناهم بفاكهة ﴾، زيادة على ما كان لهم، ﴿ ولحم مما يشتهون ﴾، من أنواع اللحمان.

﴿ يتنازعون ﴾، يتعاطون ويتناولون، ﴿ فيها كأساً لا لغوٌ فيها ﴾، وهو الباطل، ورُوِيَ ذلك عن قتادة، وقال مقاتل بن حيّان: لا فضول فيها. وقال سعيد بن المسيّب: لا رفث فيها. وقال ابن زيد: لا سُباب ولا تخاصم فيها. وقال القتيبي: لا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا، ﴿ ولا تأثيم ﴾، أي لا يكون منهم ما يؤثمهم. قال الزجّاج: لا يجري بينهم ما يلغي ولا ما فيه إثم كما يجري في الدنيا بشربة الخمر. وقيل: لا يأثمون في شربها.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا
قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ
الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿**ويطوف عليهم**﴾ أي للخدمة ﴿**غلمان لهم كأنهم**﴾ أي في الحسن والبياض والصفاء ﴿**لؤلؤ مكنون**﴾ أي مخزون مصون لم تمسه الأيدي وقال عبد الله بن عمرو ما من أحد من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألف غلام كل واحد منهم على عمل غير عمل صاحبه وعن قتادة قال: «ذكر لنا أن رجلاً قال يا نبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم؟ قال: فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب.

قوله تعالى: ﴿**وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون**﴾ يعني يسأل بعضهم بعضاً في الجنة قال ابن عباس: يتذاكرون ما كانوا فيه من الخوف والتعب في الدنيا ﴿**قالوا إنا كنا قبل في أهلنا**﴾ أي في الدنيا ﴿**مشفقين**﴾ أي خائفين من العذاب ﴿**فمن الله علينا**﴾ أي بالمغفرة ﴿**ووقانا عذاب السموم**﴾ يعني عذاب النار وقيل: هو اسم من أسماء جهنم ﴿**إنا كنا من قبل**﴾ أي في الدنيا ﴿**ندعوه**﴾ أي نخلص الدعاء والعبادة له ﴿**إنه هو البر**﴾ قال ابن عباس: اللطيف وقيل: يعني الصادق فيما وعد. وقيل: البر العطوف على عباده المحسن إليهم الذي عم بره جميع خلقه ﴿**الرحيم**﴾ بعبيده.

قوله عز وجل: ﴿**فذكر**﴾ يعني فعظ يا محمد بالقرآن كفار مكة ﴿**فما أنت بنعمة ربك**﴾ أي برحمته وعصمته

﴿ **ويطوف عليهم** ﴾، بالخدمة، ﴿ **غلمان لهم كأنهم** ﴾، في الحُسْن والبياض والصفاء، ﴿ **لؤلؤ مكنون** ﴾، مخزون مصون لم تمسّه الأيدي. قال سعيد بن جبير: مكنون يعني في الصدف. قال عبد الله بن عمرو: ما من أحد من أهل الجنة إلّا يسعى عليه ألف غلام، وكل غلام على عمل ما عليه صاحبه. ورُوِيَ عن الحسن أنه لمّا تلا هذه الآية قال: قالوا يا رسول الله: الخادم كاللؤلؤ المكنون، فكيف المخدوم؟ وعن قتادة قال: ذكر لنا أن رجلاً قال: يا نبيّ الله هذا الخادم فكيف المخدوم؟ قال: «فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب».

﴿ **وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون** ﴾، يسأل بعضهم بعضاً في الجنة. قال ابن عباس: يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا.

﴿ **قالوا إنّا كنّا قبلُ في أهلنا** ﴾، في الدنيا، ﴿ **مشفقين** ﴾، خائفين من العذاب.

﴿ **فمنّ الله علينا** ﴾، بالمغفرة، ﴿ **ووقانا عذاب السَّموم** ﴾، قال الكلبي: عذاب النار. وقال الحسن: السَّموم اسم من أسماء جهنم.

﴿ **إنّا كنّا من قبلُ** ﴾، في الدنيا، ﴿ **ندعوه** ﴾، نخلص له العبادة، ﴿ **إنّه** ﴾، قرأ أهل المدينة والكسائي ﴿ **إنه** ﴾ بفتح الألف، أي لأنه أو بأنه، وقرأ الآخرون بالكسر على الاستئناف، ﴿ **هو البرّ** ﴾، قال ابن عباس: اللطيف. وقال الضحاك: الصادق فيما وعد ﴿ **الرحيم** ﴾.

﴿ **فذكّر** ﴾، يا محمد بالقرآن أهل مكة، ﴿ **فما أنت بنعمة ربّك** ﴾، برحمته وعصمته، ﴿ **بكاهن** ﴾، تبتدع القرآن وتخبر بما في غد من غير وحي، ﴿ **ولا مجنون** ﴾، نزلت في الذين اقتسموا عقبات مكة يرمون رسول الله ﷺ بالكهانة والسحر والجنون والشعر.

وقيل: بإنعامه عليك بالنبوة ﴿بكاهن ولا مجنون﴾ الكاهن هو الذي يوهم أنه يعلم الغيب ويخبر بما في غد من غير وحي والمعنى أنك لست كما يقول كفار مكة إنه كاهن أو مجنون إنما تنطلق بالوحي نزلت في الذين اقتسموا أعقاب مكة يرمون رسول الله ﷺ بالكهانة والسحر والشعر والجنون ﴿أم يقولون﴾ يعني هؤلاء المقتسمين ﴿شاعر﴾ أي هو شاعر ﴿نتربص به﴾ أي ننتظر به ﴿ريب المنون﴾ يعني حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء أو يتفرق عنه أصحابه وإن أباه مات وهو شاب ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه والمنون اسم للموت وللدهر وأصله القطع سميا بذلك لأنهما يقطعان الأجل.

قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾

﴿قل تربصوا﴾ أي انتظروا بي الموت ﴿فإني معكم من المتربصين﴾ أي من المنتظرين حتى يأتي أمر الله فبكم فعذبوا يوم بدر بالقتل والسبي ﴿أم تأمرهم أحلامهم﴾ أي عقولهم ﴿بهذا﴾ وذلك أن عظماء قريش كانوا يوصفون بالأحلام والعقول فأزرى الله بعقولهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل ﴿أم هم قوم طاغون﴾ أي يتجاوزون الحد في الطغيان والكفر ﴿أم يقولون تقوله﴾ أي اختلق القرآن من تلقاء نفسه والتقول التكلف ولا يستعمل إلا في الكذب والمعنى ليس الأمر كما زعموا ﴿بل لا يؤمنون﴾ أي بالقرآن استكباراً ثم ألزمهم الحجة فقال تعالى: ﴿فليأتوا بحديث مثله﴾ أي مثل القرآن في نظمه وحسنه وبيانه ﴿إن كانوا صادقين﴾ يعني إن محمد تقوله من قبل نفسه ﴿أم خلقوا من غير شيء﴾.

﴿ أم يقولون ﴾، بل يقولون يعني هؤلاء المقتسمين الخرّاصين، ﴿ شاعر ﴾، أي هو شاعر، ﴿ نتربص به ريب المنون ﴾، حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك كما هلك مَن قبله من الشعراء، ويتفرّق أصحابه وأن أباه مات شاباً ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه، والمنون يكون بمعنى الدهر ويكون بمعنى الموت، سُمّيا بذلك لأنهما يقطعان الأجل.

﴿ قلْ تربصوا ﴾، انتظروا بي الموت، ﴿ فإني معكم من المتربصين ﴾، من المنتظرين حتى يأتي أمر الله فيكم فتعذّبوا يوم بدر بالسيف.

﴿ أم تأمرهم أحلامهم ﴾، عقولهم، ﴿ بهذا ﴾، وذلك أن عظماء قريش كانوا يُوصَفُون بالأحلام والعقول، فأزرَى الله بعقولهم حين لم تتم لهم معرفة الحق من الباطل، ﴿ أم هم ﴾، بل هم، ﴿ قومٌ طاغون ﴾.

﴿ أم يقولون تقوّله ﴾، أي تخلق القرآن من تلقاء نفسه، والتقوّل: تكلّف القول، ولا يستعمل ذلك إلاّ في الكذب وليس الأمر كما زعموا، ﴿ بل لا يؤمنون ﴾، بالقرآن استكباراً.

ثم ألزمهم الحجّة فقال: ﴿ فلْيأتوا بحديث مثله ﴾، أي مثل القرآن في نظمه وحُسْن بيانه، ﴿ إنْ كانوا صادقين ﴾، أن محمداً تقوّله من تلقاء نفسه.

﴿ أم خُلِقوا من غير شيء ﴾، قال ابن عباس: من غير ربٍّ، ومعناه: أخُلِقوا من غير شيء خلقهم فوُجِدُوا بلا خالق، وذلك مما لا يجوز أن يكون، لأن تعلّق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم، فلا بدّ له من خالق، فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يُوجَدوا بلا خالق، ﴿ أم هم الخالقون ﴾، لأنفسهم ذلك في البطلان أشدّ، لأن ما لا وجود له

قال ابن عباس: من غير رب خالق. والمعنى: أم خلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز أن يكون لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق ﴿أم هم الخالقون﴾ أي لأنفسهم وذلك في البطلان أشد لأن ما لا وجود له كيف يخلق فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقاً فليؤمنوا به وليوحدوه وليعبدوه وقيل: في معنى الآية: أخلقوا باطلاً فلا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون أم هم الخالقون أي لأنفسهم فلا يجب عليهم لله أمر ﴿أم خلقوا السموات والأرض﴾ يعني ليس الأمر كذلك ﴿بل لا يوقنون﴾ أي بالحق وهو توحيد الله تعالى وقدرته على البعث وأن الله تعالى هو خالقهم وخالق السموات والأرض فليؤمنوا به وليوقنوا أنه ربهم وخالقهم ﴿أم عندهم خزائن ربك﴾ يعني النبوة ومفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤوا وقيل: خزائن المطر والرزق ﴿أم هم المسيطرون﴾ أي المسلطون الجبارون. وقيل: الأرباب القاهرون فلا يكونون تحت أمر ولا نهي ويفعلون ما يشاؤون.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿أم لهم سلم﴾ يعني مرقى ومصعد إلى السماء ﴿يستمعون فيه﴾ أي يستمعون عليه الوحي من السماء فيعلمون أن ما هم عليه حق فهم به مستمسكون ﴿فليأت مستمعهم﴾ أي إن ادعوا ذلك ﴿بسلطان مبين﴾ أي بحجة بينة ﴿أم له البنات ولكم البنون﴾ هذا إنكار عليهم حيث جعلوا لله ما يكرهون لأنفسهم ﴿أم تسألهم أجراً﴾ أي جعلاً على ما جئتهم به من النبوة ودعوتهم إليه من الدين ﴿فهم من مغرم مثقلون﴾ يعني أثقلهم ذلك المغرم الذي سألتهم فمنعهم عن الإسلام ﴿أم عندهم الغيب﴾ أي علم الغيب وهو ما غاب عنهم حتى علموا أن ما يخبرهم به الرسول من أمر القيامة

كيف يخلق، فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقاً فَلْيُؤْمنوا به، ذكر هذا المعنى أبو سليمان الخطابي، قال الزجّاج: معناه أَخُلِقُوا باطلاً لا يحاسبون ولا يُؤمرون؟ وقال ابن كيسان: أَخُلِقُوا عبثاً وتُرِكوا سُدىً لا يُؤمرون ولا يُنهَون، فهو كقول القائل فعلت كذا وكذا من غير شيء، أي لغير شيء، أم هم الخالقون لأنفسهم فلا يجب عليهم لله أمرٌ؟

﴿ أم خَلقوا السمٰواتِ والأرضَ ﴾، فيكونوا هم الخالقين، ليس الأمر كذلك، ﴿ بل لا يوقنون ﴾.

﴿ أم عندهم خزائن ربّك ﴾، قال عكرمة: يعني النبوّة. قال مقاتل: أبأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونها حيث شاؤوا؟ قال الكلبي: خزائن المطر والرزق، ﴿ أم هم المصيطرون ﴾، المسلّطون الجبّارون، قال عطاء: أرباب قاهرون فلا يكونوا تحت أمرٍ ونهيٍ، ويفعلون ما شاؤوا. ويجوز بالسين والصاد جميعاً، قرأ ابن عامر بالسين ههنا وفي قوله: (بمسيطر)، وقرأ حمزة بإشمام الزاي فيهما، وقرأ ابن كثير ههنا بالسين و﴿ بمصيطر ﴾ [الغاشية: ٢٢] بالصاد، وقرأ الآخرون بالصاد فيهما.

﴿ أم لهم سُلّم ﴾، مرقىً ومصعد إلى السماء، ﴿ يستمعون فيه ﴾، أي يستمعون عليه الوحي، كقوله: ﴿ ولأصلبنّكم في جُذوع النخل ﴾ [طه: ٧١] أي عليها، أي ألهم سُلّم يرتقون به إلى السماء، فيستمعون الوحي ويعلمون أن ما هم عليه حق بالوحي، فهم متمسكون به كذلك؟ ﴿ فلْيأتِ مستمعهم ﴾، إن دعوا ذلك، ﴿ بسلطان مبين ﴾، بحجّة بيّنة.

والبعث باطل. وقيل: هو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون، والمعنى: اعلموا أن محمداً يموت قبلهم ﴿فهم يكتبون﴾ أي يحكمون قال ابن عباس: معناه أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به ﴿أم يريدون كيداً﴾ أي مكراً بك ليهلكوك ﴿فالذين كفروا هم المكيدون﴾ أي المجزيون بكيدهم والمعنى أن ضرر كيدهم يعود عليهم ويحيق مكرهم بهم وهو أنهم مكروا به في دار الندوة ليقتلوه فقتلوا ببدر ﴿أم لهم إله غير الله﴾ يعني يرزقهم وينصرهم ﴿سبحان الله عما يشركون﴾ المعنى: أنه نزه نفسه عما يقولون.

قوله تعالى: ﴿وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً﴾ هذا جواب لقولهم فأسقط علينا كسفاً من السماء يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم ﴿يقولوا﴾ لمعاندتهم هذا ﴿سحاب مركوم﴾ أي بعضه على بعض يسقينا ﴿فذرهم حتى يلاقوا﴾ أي يعاينوا ﴿يومهم الذي فيه يصعقون﴾ أي يموتون ويهلكون.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾

﴿يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون﴾ أي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع

﴿ أم له البنات ولكم البنون ﴾، هذا إنكار عليهم حين جعلوا لله ما يكرهون، كقوله: ﴿ فاستفتهم ألِرَبِّك البناتُ ولهم البنون ﴾.

﴿ أم تسألهم أجراً ﴾، جعلاً على ما جئتهم به ودعوتهم إليه من الدين، ﴿ فهم من مغرم مُثقلون ﴾، أثقلهم ذلك الغرم الذي تسألهم، فمنعهم ذلك عن الإسلام.

﴿ أم عندهم الغيب ﴾، أي علم ما غاب عنهم حتى علموا أن ما يخبرهم الرسول من أمر القيامة والبعث باطل. وقال قتادة: هذا جواب لقولهم: ﴿ نتربص به ريب المنون ﴾، يقول: أعندهم علم الغيب حتى علموا أن محمداً ﷺ يموت قبلهم؟ ﴿ فهم يكتبون ﴾، قال القتيبي: فهم يكتبون أي يحكمون، والكتاب الحكم قال النبي ﷺ للرجلين اللذين تخاصما إليه: «أقضي بينكما بكتاب الله»، أي بحكم الله، وقال ابن عباس: معناه أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به؟

﴿ أم يريدون كيداً ﴾، مكراً بك ليهلكوك، ﴿ فالذين كفروا هم المكيدون ﴾، أي هم المجزيّون بكيدهم يريد أن ضرر ذلك يعود عليهم، ويحيق مكرهم بهم، وذلك أنهم مكروا به في دار الندوة فقتلوا ببدر.

﴿ أم لهم إلَهٌ غيرُ الله ﴾، يرزقهم وينصرهم، ﴿ سبحان الله عمّا يشركون ﴾، قال الخليل: ما في هذه السورة من ذكر أم كلمة استفهام وليس بعطف.

﴿ وإنْ يروا كسفاً ﴾، قطعة، ﴿ من السماء ساقطاً ﴾، هذا جواب لقولهم: ﴿ فأسقطْ علينا كِسَفاً من السماء ﴾ [الشعراء: ١٨٧]، يقول: لو عذّبناهم بسقوط بعض من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم، ﴿ يقولوا ﴾، لمعاندتهم هذا، ﴿ سحابٌ مركوم ﴾، بعضه على بعض يسقينا.

﴿ فذرهم حتى يلاقوا ﴾، يُعاينوا، ﴿ يومهم الذي فيه يُصعقون ﴾، يموتون، أي حتى يعاينوا الموت، قرأ ابن عامر وعاصم يصعقون بضمّ الياء أي يهلكون.

﴿ يوم لا يغني عنهم كيدُهم شيئاً ولا هم يُنصرون ﴾، أي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع.

﴿وإن للذين ظلموا﴾ أي كفروا ﴿عذاباً دون ذلك﴾ أي عذاباً في الدنيا قبل عذاب الآخرة قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقيل: هو الجوع والقحط سبع سنين وقيل: هو عذاب القبر ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أي أن العذاب نازل بهم.

قوله عز وجل: ﴿واصبر لحكم ربك﴾ أي إلى أن يقع بهم العذاب الذي حكمنا عليهم به ﴿فإنك بأعيننا﴾ أي بمرأى منا.

قال ابن عباس: نرى ما يعمل بك. وقيل: معناه إنك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون إليك بمكروه ﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾ أي: وقل حين تقوم من مجلسك: سبحانك اللهم وبحمدك فإن كان المجلس خيراً ازددت بذلك إحساناً وإن كان غير ذلك كان كفارة لك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من جلس مجلساً فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا كان كفارة لما بينهما» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

وقال ابن عباس: معناه حين تقوم من منامك. وقيل: هو ذكر الله بالليل من حين تقوم من الفراش إلى أن تدخل في الصلاة وعن عاصم بن حميد قال: «سألت عائشة بأي شيء كان يفتتح رسول الله ﷺ قيام الليل فقالت سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك كان إذا قام كبر عشراً وحمد الله عشراً وسبح عشراً وهلل عشراً واستغفر عشراً وقال اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة» أخرجه أبو داود والنسائي وقيل:

﴿ وإن للذين ظلموا ﴾، كفروا، ﴿ عذاباً دون ذلك ﴾، أي عذاباً في الدنيا قبل عذاب الآخرة. قال ابن عباس: يعني القتل يوم بدر وقال مجاهد: هو الجوع والقحط سبع سنين. وقال البراء بن عازب: هو عذاب القبر. ﴿ ولكنّ أكثرهم لا يعلمون ﴾، أن العذاب نازل بهم.

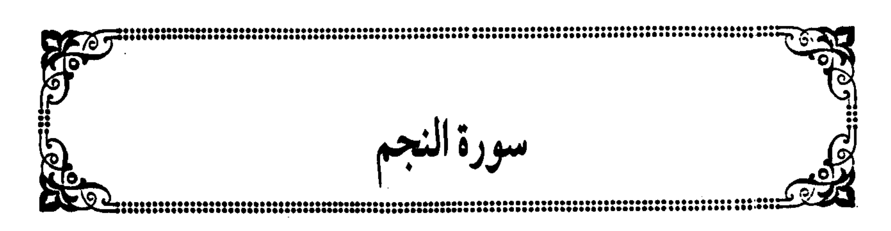
﴿ واصبرْ لحكم ربك ﴾، إلى أن يقع بهم العذاب الذي حكمنا عليهم، ﴿ فإنك بأعيننا ﴾، أي بمرأىً منّا، قال ابن عباس: نرى ما يعمل بك. وقال الزجّاج: معناه أنك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون إلى مكروهك. ﴿ وسبّحْ بحمد ربك حين تقوم ﴾، قال سعيد بن جبير وعطاء: أي قل حين تقوم من مجلسك: سبحانك اللّهمَّ وبحمدك، فإن كان المجلس خيراً ازددتَ إحساناً، وإن كان غير ذلك كان كفّارة له. أخبرنا أبو عبد الله عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد القفال أنا أبو منصور أحمد بن الفضل البروجردي أنا أبو أحمد بكر بن محمد الصيرفي ثنا أحمد بن عبد الله الترسي ثنا حجّاج بن محمد عن ابن جريج عن موسى بن عقبة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن جلس مجلساً فكثر فيه لَغَطُهُ، فقال قبل أن يقوم: سبحانك اللّهمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إلّه إلاّ أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلاّ كان كفّارة لما بينهما». وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: معناه صلِّ لله حين تقوم من مقامك. وقال الضحاك والربيع: إذا قمت إلى الصلاة فقل سبحانك اللّهمَّ وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدّك ولا إلّه غيرك. أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي ثنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا الحسن بن عرفة ويحيـىٰ بن موسى قال ثنا أبو معاوية عن حارثة بن أبي الرجال عن عمرة عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا افتتح الصلاة قال: «سبحانك اللّهمَّ وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جَدُّك ولا إلّه غيرك». وقال الكلبي: هو ذكر الله باللسان حين تقوم من الفراش إلى أن يدخل في صلاته. أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني أنا أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد

إذا قمت إلى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك يدل عليه ما روي عن عائشة قالت «كان النبي ﷺ إذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا إله غيرك» أخرجه الترمذي وأبو داود وقد تكلم في أحد رواته.

وقوله تعالى: ﴿ومن الليل فسبحه﴾ أي فصلِّ له يعني صلاة المغرب والعشاء ﴿وإدبار النجوم﴾ يعني الركعتين قبل صلاة الفجر ذلك حين تدبر النجوم أي تغيب بضوء الصبح هذا قول أكثر المفسرين يدل عليه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال «إدبار النجوم الركعتان قبل الفجر وإدبار السجود الركعتان بعد المغرب» أخرجه الترمذي وقال: حديث غريب. وقيل: إدبار النجوم هي فريضة صلاة الصبح (ق) عن جبير بن مطعم قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور» والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الهاشمي أنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي ثنا أبو داود بن سليمان الأشعث ثنا محمد بن نافع ثنا زيد بن حباب أخبرني معاوية بن صالح أنا أزهر بن سعيد الحرازي عن عاصم بن حميد قال: سألت عائشة رضي الله تعالى عنها بأيِّ شيء كان يفتتح رسول الله ﷺ قيام الليل؟ فقالت: كان إذا قام كبّر اللَّهَ عشراً وحمدَ اللَّهَ عشراً، وسبّح الله عشراً وهلّل عشراً، واستغفر عشراً، وقال: «اللّهمَّ اغفر لي واهدني وارزقني وعافني، ويتعوّذ من ضيق المقام يوم القيامة».

﴿ ومن الليل فسبّحه ﴾، أي صلِّ له، قال مقاتل: يعني صلاة المغرب والعشاء. ﴿ وإدْبار النجوم ﴾، يعني ركعتين قبل صلاة الفجر، وذلك حين تدبر النجوم أي تغيب بضوء الصبح، هذا قول أكثر المفسّرين. وقال الضحاك: هو فريضة صلاة الصبح. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قرأ في المغرب بالطّور.



سورة النجم

(مكية وهي اثنتان وستون آية وثلاثمائة وستون كلمة وألف وأربعمائة وخمسة أحرف)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ② وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④

قوله عز وجل: ﴿والنجم إذا هوى﴾ قال ابن عباس يعني الثريا إذا سقطت وغابت والعرب تسمي الثريا نجماً ومنه قولهم إذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء وجاء في الحديث عن أبي هريرة مرفوعاً: «ما طلع النجم قط وفي الأرض من العاهة شيء إلا رفع» أراد بالنجم الثريا، وقيل: هي نجوم السماء كلها وهويها غروبها فعلى هذا لفظه واحد ومعناه الجمع. وروي عن ابن عباس أنه الرجوم من النجوم وهي ما ترمى به الشياطين عند استراق السمع. وقيل: هي النجوم إذا انتثرت يوم القيامة. وقيل: أراد بالنجم القرآن سمي نجماً لأنه نزل نجوماً متفرقة في عشرين سنة وهو قول ابن عباس أيضاً. وقيل: النجم هو النبت الذي لا ساق له وهويه سقوطه إذا يبس على الأرض. وقيل: النجم هو محمد ﷺ وهويه نزوله ليلة المعراج من السماء وجواب القسم قوله تعالى: ﴿ما ضل صاحبكم﴾ يعني محمداً ﷺ ما ضل عن طريق الهدى ﴿وما غوى﴾ أي ما جهل. وقيل: الفرق بين الضلال والغي أن الضلال هو أن لا يجد السالك إلى مقصده

سُوْرَة النَّجْم

مكيّة وهي اثنتان وستّون آية.

﴿ والنجم إذا هوى ﴾، قال ابن عباس في رواية الوالبي والعوفي: يعني الثريا إذا سقطت وغابت، وهُوِيُّهُ مَغِيبُه، والعرب تسمّي الثريا نجماً، وجاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «ما طلع النجم قطُّ وفي الأرض من العاهة شيء إلاّ رُفع» وأراد بالنجم الثريا. وقال مجاهد: هي نجوم السماء كلها حين تغرب، لفظه واحد ومعناه الجمع، سُمّي الكوكب نجماً لطلوعه، وكل طالع نجم يقال نجم السن، والقرن والنبت إذا طلع. ورُوِيَ عن عكرمة عن ابن عباس: أنه الرجوم من النجوم، يعني ما تُرمى بها الشياطين عند استراقهم السمع. وقال أبو حمزة الثمالي: هي النجوم إذا انتثرت يوم القيامة. وقيل: المراد بالنجم القرآن سُمّي نجماً لأنه نزل نجوماً متفرقة في عشرين سنة، وسُمّي التفريق: تنجيماً، والمفرق: منجماً، هذا قول ابن عباس في رواية عطاء، وقول الكلبي، والهوى: النزول من أعلى إلى أسفل. وقال الأخفش: النجم هو النبت الذي لا ساق له، ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾ [الرحمن: ٦]، وهُوِيُّهُ سُقوطُه على الأرض. وقال جعفر الصادق: يعني محمداً ﷺ إذ نزل من السماء إلى الأرض ليلة المعراج، والهوى: النزول، يقال: هوى يهوي هوياً إذا نزل، مثل مضى يمضي مضياً.

وجواب القسم. قوله: ﴿ ما ضلَّ صاحبكم ﴾، يعني محمداً ﷺ ما ضلَّ عن طريق الهدى، ﴿ وما غوى ﴾

طريقاً أصلاً والغواية أن لا يكون له طريق إلى مقصده مستقيم وقيل: إن الضلال أكثر استعمالاً من الغواية ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ أي بالهوى والمعنى لا يتكلم بالباطل وذلك أنهم قالوا: إن محمداً يقول القرآن من تلقاء نفسه ﴿إن هو﴾ أي ما هو يعني القرآن وقيل: نطقه في الدين ﴿إلا وحي﴾ من الله ﴿يوحى﴾ إليه.

عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾

﴿علمه شديد القوى﴾ يعني جبريل علم محمداً ﷺ ما أوحى الله إليه عز وجل وكونه شديد القوى أنه اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه بالوحي على الأنبياء أسرع من رجعة الطرف ﴿ذو مرة﴾ أي ذو قوة وشدة. وقال ابن عباس: ذو منظر حسن وقيل: ذو خلق طويل حسن.

﴿فاستوى﴾ يعني جبريل عليه الصلاة والسلام ﴿وهو﴾ يعني محمداً ﷺ والمعنى استوى جبريل ومحمد ليلة المعراج ﴿وبالأفق الأعلى﴾ عند مطلع الشمس وقيل: فاستوى يعني جبريل وهو كناية عن جبريل أيضاً أي قام في صورته التي خلقه الله فيها وهو بالأفق الأعلى وذلك أن جبريل عليه الصلاة والسلام كان يأتي رسول الله ﷺ في صورة الآدميين كما كان يأتي الأنبياء قبله فسأله رسول الله ﷺ أن يريه نفسه على صورته التي جبل عليها فأراه نفسه مرتين مرة في الأرض ومرة في السماء فأما التي في الأرض فبالأفق الأعلى والمراد بالأفق الأعلى جانب المشرق وذلك أن رسول الله ﷺ كان بحراء، فطلع له جبريل عليه الصلاة والسلام من ناحية المشرق، فسد الأفق إلى المغرب فخرَّ رسول الله ﷺ مغشياً عليه فنزل جبريل عليه، الصلاة والسلام في صورة الآدميين فضمه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله تعالى: ﴿ثم دنا فتدلى﴾ وأما التي في السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره أحد من الأنبياء على تلك الصورة

وما ينطق عن الهوى ﴾، يعني بالهوى يريد لا يتكلم بالباطل، وذلك أنهم قالوا: إن محمداً ﷺ يقول القرآن من تلقاء نفسه.

﴿ إنْ هو ﴾، ما نطقه في الدين، وقيل: القرآن، **﴿ إلاّ وحيٌ يُوحى ﴾**، يعني وَحيٌ من الله يُوحى إليه.

﴿ علّمه شديد القُوى ﴾، وهو جبريل، والقُوى جمع القوة.

﴿ ذُو مِرّة ﴾، قوة وشدّة في خلقه، يعني جبريل. قال ابن عباس: ذو مرة يعني ذو منظر حسن. وقال قتادة: ذو خلق طويل حسن. **﴿ فاستوى ﴾**، يعني جبريل.

﴿ وهو ﴾، يعني محمداً ﷺ، وأكثر كلام العرب إذا أرادوا العطف في مثل هذا أن يُظهِروا كناية المعطوف عليه، فيقولون: استوى هو وفلان، وقلّما يقولون: استوى وفلان، ونظير هذا قوله: **﴿ أئذَا كنّا تراباً وآباؤنا ﴾** [النمل: ٦٧]، عطف الآباء على المكنّى في كنّا من غير إظهار نحن، ومعنى الآية: استوى جبريل ومحمد عليهما السلام ليلة المعراج، **﴿ بالأفق الأعلى ﴾**، وهو أقصى الدنيا عند مطلع الشمس، وقيل: فاستوى يعني جبريل، وهو كناية عن جبريل أيضاً، أي قام في صورته التي خلقه الله، وهو بالأفق الأعلى، وذلك أن جبريل كان يأتي رسول الله ﷺ في صورة الآدميين كما كان يأتي النبيّين، فسأله رسول الله ﷺ أن يُريه نفسه على صورته التي جُبِلَ عليها فأراه نفسه مرتين في الأرض ومرة في السماء، فأما الأرض ففي الأفق الأعلى، والمراد بالأعلى جانب المشرِق، وذلك أن محمداً ﷺ كان بحرّاء فطلع لـه جبريـل من المشرق فسدّ الأفق إلى المغرب، فخرّ رسول الله ﷺ

التي خلق عليها إلا نبينا محمد ﷺ قوله تعالى: **﴿ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾**.

اختلف العلماء في معنى هذه الآية فروي عن مسروق بن الأجدع قال «قلت لعائشة فأين قوله ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى؟ قالت ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل وإنه أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الأفق» أخرجاه في الصحيحين.

وعن زر بن حبيش في قوله تعالى: **﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾** وفي قوله **﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾** وفي قوله **﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾** قال: فيها كلها أن ابن مسعود قال «رأى جبريل عليه الصلاة والسلام له ستمائة جناح» زاد في رواية أخرى «رأى جبريل في صورته» أخرجه مسلم والبخاري في قوله تعالى: **﴿فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾** فعلى هذا يكون معنى الآية ثم دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض فتدلى إلى محمد ﷺ فكان منه قاب قوسين أو أدنى أي: بل أدنى وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة. وقيل: في الكلام تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى فدنا لأن التدلي سبب الدنو. وقال آخرون: ثم دنا الرب عز وجل من محمد ﷺ فتدلى أي فقرب منه حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى وقد ورد في الصحيحين في حديث المعراج من رواية شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى. وهذه رواية أبي سلمة عن

مغشيّاً عليه، فنزل جبريل في صورة الآدميين وضمّه إلى نفسه، وجعل يمسح الغبار عن وجهه، وهو قوله: **﴿ ثم دنا فتدلى ﴾**، وأما في السماء فعند سدرة المنتهى، ولم يره أحد من الأنبياء على تلك الصورة إلاّ نبيّنا محمد ﷺ.

قوله عزّ وجلّ: **﴿ ثم دنا فتدلّى * فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾**، اختلفوا في معناه أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو أسامة ثنا زكريا بن أبي زائدة عن أبي الأشوع عن الشعبي عن مسروق قال: قلت لعائشة فأين قوله: **﴿ ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾**؟ قالت: ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل وإنه أتاه هذه المرة في صورته التي هي صورته، فسدّ الأفق. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل ثنا طلْق بن غنام ثنا زائدة عن الشيباني قال: سألت زرّاً عن قوله: **﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾**، قال: أخبرنا عبد الله يعني ابن مسعود أن محمداً ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح، فمعنى الآية: ثم دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض، فتدلى فنزل إلى محمد ﷺ، فكان منه قاب قوسين أو أدنى، بل أدنى، وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: ثم تدلّى فدنا، لأنّ التداني سبب الدنو. وقال آخرون: ثم دنا الربُّ عزّ وجلّ من محمد ﷺ فتدلّى، فقرب منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى. وروينا في قصة المعراج عن شريك بن عبد الله عن أنس: ودنا الجبّار ربّ العزّة فتدلّى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى. وهذا رواية أبي سلمة عن ابن سلمة عن ابن عباس، والتدلّي هو النزول إلى الشيء حتى يقرب منه. وقال مجاهد: دنا جبريل من ربّه. وقال الضحاك: دنا محمد ﷺ من ربّه فتدلّى فأهوى للسجود، فكان منه قاب قوسين أو أدنى، ومعنى قوله: **﴿ قاب قوسين ﴾** أي قدر قوسين، والقاب والقيب والقاد والقيد عبارة عن المقدار، والقوس: ما يرمى به في قول مجاهد وعكرمة وعطاء عن ابن عباس، فأخبر أنه كان بين جبريل وبين محمد ﷺ مقدار قوسين، قال مجاهد: معناه حيث الوتر من القوس، وهذا إشارة إلى تأكيد القصد وأصله أن الحلبفين من العرب كانا إذا أرادا عقد الصفا والعهد خرجا بقوسيهما فألصقا بينهما، يريدان بذلك أنهما متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه. وقال عبد الله بن مسعود: قاب قوسين أي قدر ذراعين، وهو قول سعيد بن جبير وشقيق بن سلمة، والقوس: الذراع يُقاس بها كل شيء، أو أدنى بل أقرب.

ابن عباس والتدلي هو النزول إلى النبي ﷺ. قال الحافظ عبدالحق في كتابه. الجمع بين الصحيحين، بعد ذكر حديث أنس من رواية شريك، وقد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بألفاظ غير معروفة.

وقد روى حديث الإسراء جماعة من الحفاظ المتقنين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة يعني عن أنس فلم يأت أحد منهم بما أتى به وفي رواية شريك قدم وآخر وزاد ونقص فيحتمل أن هذا اللفظ من زيادة شريك في الحديث وقال الضحاك دنا محمد ﷺ من ربه عز وجل فتدلى أي فأهوى للسجود فكان منه قاب قوسين أو أدنى والقاب القدر والقوس الذي يرمي به وهو رواية عن ابن عباس. وقيل: معناه حيث الوتر من القوس فأخبر أنه كان بين جبريل ومحمد ﷺ مقدار قوسين وهذا إشارة إلى تأكيد القرب وأصله أن الحليفين من العرب كانا إذا أرادا عقد الصفاء والعهد بينهما خرجا بقوسيهما فألصقا بينهما يريد أن بذلك أنهما متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه. وقال عبد الله بن مسعود: قاب قوسين قدر ذراعين والقوس الذراع التي يقاس بها من قاس يقيس أو أدنى بل أقرب ﴿**فأوحى**﴾ أي فأوحى الله ﴿**إلى عبده**﴾ محمد ﷺ ﴿**ما أوحى**﴾ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال أوحى جبريل إلى رسول الله ﷺ ما أوحى إليه ربه عز وجل وقال سعيد بن جبير: أوحى إليه ﴿**ألم يجدك يتيماً فآوى**﴾ إلى قوله ﴿**ورفعنا لك ذكرك**﴾ وقيل: أوحى إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك قوله عز وجل: ﴿**ما كذب الفؤاد**﴾ قرىء بالتشديد أي ما كذب محمد ﷺ ﴿**ما رأى**﴾ أي بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه وقرىء بالتخفيف أي ما كذب فؤاد محمد الذي رآه بل صدقه والمعنى: ما كذب الفؤاد فيما رأى. واختلفوا في الذي رآه، فقيل: رأى جبريل وهو قول ابن عباس وابن مسعود وعائشة وقيل: هو الله عز وجل ثم اختلفوا في معنى الرؤية فقيل جعل بصره في فؤاده وهو قول ابن عباس (م). عن ابن عباس ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة أخرى قال: رآه بفؤاده مرتين وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه حقيقة وهو قول أنس بن مالك والحسن وعكرمة قالوا: رأى محمد ربه عز

﴿ **فأوحى** ﴾، أي أوحى الله، ﴿ **إلى عبده ما أوحى** ﴾، محمد ﷺ، قال ابن عباس في رواية عطاء والكلبي والحسن والربيع وابن زيد: معناه أوحى جبريل إلى رسول الله ﷺ ما أوحى إليه ربّه عزّ وجلّ. قال سعيد بن جبير: أوحى إليه: ﴿ ألم يجدك يتيماً فآوى ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ [الانشراح: ٤]، وقيل: أوحى إليه أن الجنة محرّمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك.

﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾، قرأ أبو جعفر ما كذب بتشديد الذال أي ما كذّب قلب محمد ﷺ ما رأى بعينه تلك الليلة، بل صدّقه وحقّقه، وقرأ الآخرون بالتخفيف، أي ما كذب فؤاد محمد ﷺ الذي رأى، بل صدقه، يقال: كذبه إذا قال له الكذب، وصدقه إذا قال له الصدق، مجازه: ما كذب الفؤاد فيما رأى، واختلفوا في الذي رآه، فقال قوم: رأى جبريل، وهو قول ابن مسعود وعائشة، أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجّاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا حفص هو أبا غياث عن الشيباني عن زرّ عن عبد الله قال: ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ قال: رأى جبريل وله ستمائة جناح. وقال آخرون: هو الله عزّ وجلّ. ثم اختلفوا في معنى الرؤية، فقال بعضهم: جعل بصره في فؤاده فرأى بفؤاده، وهو قول ابن عباس، أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجّاج ثنا أبو سعيد الأشج ثنا وكيع ثنا الأعمش عن زياد بن الحصين عن أبي العالية عن ابن عباس: ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾. ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ قال: رآه بفؤاده مرتين، وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو قول أنس والحسن وعكرمة، قالوا: رأى محمد ربّه، وروى عكرمة عن ابن عباس قال: إن الله اصطفى إبراهيم بالخلّة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمداً ﷺ بالرؤية. وكانت عائشة رضي الله عنها تقول:

وجل. وروى عكرمة عن ابن عباس، قال: إن الله عز وجل اصطفى إبراهيم بالخلة، واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمداً بالرؤية. وقال كعب: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين أخرجه الترمذي بأطول من هذا. وكانت عائشة تقول: لم ير رسول الله ﷺ ربه. وتحمل الآية على رؤية جبريل.

عن مسروق قال: قلت لعائشة: يا أماه هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب. من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب ثم قرأت: لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، وما كان لبشر أن يكلمه إلا الله وحياً أو من وراء حجاب. ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب. ثم قرأت: وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت ومن حدثك أن محمداً كتم أمراً فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين. أخرجاه في الصحيحين (م) عن أبي ذر قال: «سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: نور أني أراه». قوله عز وجل:

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦﴾

﴿أفتمارونه على ما يرى﴾ يعني أفتجادلونه على ما يرى وذلك أنهم جادلوه حين أسري به وقالوا له صف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن عيرنا في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به. والمعنى: أفتجادلونه جدالاً ترومون به دفعه عما رآه وعلمه **﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾** يعني رأى جبريل في صورته التي خلق عليها نازلاً من السماء نزلة أخرى وذلك أنه رآه في صورته مرتين مرة في الأرض ومرة عند سدرة المنتهى (م) عن أبي هريرة ولقد رآه نزلة أخرى قال: رأى جبريل. وعلى قول ابن عباس: يعني نزلة أخرى هو أنه كانت للنبي ﷺ في تلك الليلة عرجات لمسألة التخفيف من أعداد

لم يَرَ رسول الله ﷺ ربَّه، وتحمل الآية على رؤيته جبريل عليه السلام، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يحيىٰ ثنا وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن عامر عن مسروق قال: قلت لعائشة يا أُمّاه هلْ رأى محمد ﷺ ربَّه؟ فقالت: لقد تكلمتَ بشيء وقف له شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث مَن حدّثكهنّ فقد كذب؟ مَن حدّثك أن محمداً رأى ربّه فقد كذب، ثم قرأت ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدركُ الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿ وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلاّ وحياً أو من وراء حجاب ﴾ [الشورى : ٥١]، ومَن حدّثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت ﴿ وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً ﴾ [لقمان: ٣٤]، ومَن حدّثك أنه كتم شيئاً فقد كذب، ثم قرأت ﴿ يا أيّها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك ﴾ [المائدة: ٦٧] الآية، ولكنه رأى جبريل في صورتين مرتين. أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجّاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا وكيع عن يزيد بن إبراهيم عن قتادة عن عبد الله بن شقيق بن أبي ذرّ قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيتَ ربَّك؟ قال: «نورٌ أنّى أراه».

﴿ أفتُمارُونه على ما يرى ﴾، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب: (أفتمرونه) بفتح التاء بلا ألف، أي أفتجحدونه، تقول العرب: مريتَ الرجلَ حقّه إذا جحدته، وقرأ الآخرون: ﴿ أفتمارونه ﴾ بالألف وضمّ التاء، على معنى أفتجادلونه على ما يرى، وذلك أنهم جادلوه حين أُسرِيَ به، فقالوا: صِفْ لنا بيت المقدس، وأخبرنا عن عِيرنا في الطريق، وغير ذلك مما جادلوه به، والمعنى: أفتجادلونه جدالاً ترومون به دفعه عمّا رآه وعلمه.

الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فرأى ربه عز جل في بعضها.

وروي عن ابن عباس أنه رأى ربه بفؤاده مرتين وعنه أنه رآه بعينه ﴿عند سدرة المنتهى﴾ (م) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة وإليها ينتهي ما يعرج من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها وقال إذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب».

وفي رواية الترمذي إليها ينتهي علم الخلائق لا علم لهم فوق ذلك وفي حديث المعراج المخرج في الصحيحين «ثم صعد بي إلى السماء السابعة ثم قال ثم رفعت إلى سدرة المنتهى» فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها كآذان الفيلة قال: هذه سدرة المنتهى. وفي أفراد مسلم من حديث أنس قال: «ثم عرج بنا إلى السماء السابعة وذكره إلى أن قال فيه ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من نور الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها» وقال هلال بن يساف سأل ابن عباس كعباً عن سدرة المنتهى وأنا حاضر فقال كعب إنها سدرة في أصل العرش على رؤوس حملة العرش وإليها ينتهي علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه إلا الله عز وجل وعن أسماء بنت أبي بكر قالت: «سمعت رسول الله ﷺ ذكر سدرة المنتهى فقال: يسير الراكب

﴿ ولقد رآه نزلة أُخرى ﴾، يعني رأى جبريل في صورته التي خُلِقَ عليها نازلاً من السماء نزلة أُخرى، وذلك أنه رآه في صورته مرتين، مرة في الأرض ومرة في السماء.

﴿ عند سدرة المنتهى ﴾، وعلى قول ابن عباس معنى: ﴿ نزلة أخرى ﴾ هو أنه كانت للنبي ﷺ عرجات في تلك الليلة لمسألته التخفيف من أعداد الصلوات، فيكون لكل عرجة نزلة، فرأى ربَّه في بعضها، وروينا عنه: «أنه رأى ربَّه بفؤاده مرتين». وعنه: «أنه رآه بعينه»، وقوله: ﴿ عند سدرة المنتهى ﴾، روينا عن عبد الله بن مسعود قال: لمّا أُسري برسول الله ﷺ إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السابعة وإليها ينتهي إلى ما يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها، قال: إذْ يغشى السدرة ما يغشى، قال: فراش من ذهب. وروينا في حديث المعراج: «ثم صعد بي إلى السماء السابعة فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام فسلّمتُ عليه، ثم رُفعتُ إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة»، والسدرة شجرة النبق، وقيل لها: سدرة المنتهى لأنه إليها ينتهي علم الخلق. قال هلال بن يسار: سأل ابن عباس كعباً عن سدرة المنتهى وأنا حاضر، فقال كعب: إنها سدرة في أصل العرش على رؤوس حملة العرش وإليها ينتهي علم الخلائق، وما خلفها غيب لا يعلمه إلاّ الله، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن شيبة ثنا المسوحي ثنا عبد الله بن يعيش ثنا يونس بن بكير أنا محمد بن إسحاق عن يحيىٰ بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جدّته أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعتُ النبي ﷺ يذكر سدرة المنتهى، قال: «يسير الراكب في ظل الغصن منها مائة عام يستظلّ في الغصن منها مائة ألف راكب، فيها فراش من ذهب، كأنّ ثمرها القلال»، وقال مقاتل: هي شجرة تحمل الحلي والحُلل والثمار من جميع الألوان، لو أن ورقة منها وضعت في الأرض لأضاءت لأهل الأرض، وهي طوبى التي ذكرها الله تعالى في سورة الرعد.

﴿ عندها جنّة المأوى ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: جنة المأوى جنة يأوي إليها جبريل والملائكة. وقال مقاتل والكلبي: يأوي إليها أرواح الشهداء.

﴿ إذ يغشى السدرة ما يغشى ﴾، قال ابن مسعود: فراش من ذهب. وروينا في حديث المعراج عن أنس عن

في ظل الفنن منها مائة سنة أو قال يستظل بظلها مائة ألف راكب فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال» أخرجه الترمذي. وقال: مقاتل هي شجرة تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الألوان ولو أن ورقة وضعت منها في الأرض لأضاءت لأهل الأرض وهي شجرة طوبى التي ذكرها الله في سورة الرعد ﴿**عندها جنة المأوى**﴾ قال ابن عباس: جنة المأوى يأوي إليها جبريل والملائكة وقيل: يأوي إليها أرواح الشهداء ﴿**إذ يغشى السدرة ما يغشى**﴾ قال ابن مسعود: فراش من ذهب وقيل: يغشاها ملائكة أمثال الغربان. وقيل: أمثال الطيور حتى يقعن عليها. وقيل: غشيها نور الخلاق وغشيتها الملائكة من حب الله تعالى أمثال الغربان حتى يقعن عليها وقيل: هو نور رب العزة ويروى في الحديث قال: رأيت على كل ورقة منها ملكاً قائماً يسبح الله عز وجل:

مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾

﴿**ما زاغ البصر وما طغى**﴾ يعني ما مال بصر النبي ﷺ في ذلك المقام وفي تلك الحضرة المقدسة الشريفة يميناً وشمالاً ولا جاوز ما رأى وقيل: ما أمر به وهذا وصف أدبه ﷺ في ذلك المقام الشريف إذ لم يلتفت إلى شيء سوى ما أمر به.

وفي معنى الآية إن قلنا إن الذي يغشى السدرة فراش من ذهب أي لم يلتفت إليه ولم يشتغل به وفيه بيان أدبه ﷺ إذ لم يقطع بصره عن المقصود وإن قلنا الذي يغشى السدرة هو نور رب العزة ففيه وجهان:

أحدهما: أنه ﷺ لم يلتفت عنه يمنة ولا يسرة ولا يشتغل بغير مطالعة ذلك النور.

الوجه الثاني: ما زاغ البصر بصعقة ولا غشية كما أخبر عن موسى بقوله «وخر موسى صعقاً» وذلك أنه لما تجلى رب العزة وظهر نوره على الجبل قطع نظره وغشي عليه ونبينا ﷺ ثبت في ذلك المقام العظيم الذي تحار فيه العقول وتزل فيه الأقدام وتميل فيه الأبصار فوصف الله عز وجل قوة نبينا ﷺ في ذلك المقام العظيم بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى.

وقوله تعالى: ﴿**لقد رأى من آيات ربه الكبرى**﴾ يعني رأى رسول الله ﷺ الآيات العظام وقيل: أراد ما رأى تلك الليلة في مسيره ورجوعه وقيل: معناه لقد رأى من آيات ربه الآيات الكبرى (م) عن عبد الله بن مسعود قال: لقد رأى من آيات ربه الكبرى. قال: رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح (خ) عنه قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى رفرفاً أخضر سد أفق السماء.

رسول الله ﷺ: «ثم عُرِجَ بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقِلال، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيّرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حُسنها، وأوحى إليّ ما أوحى ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة»، وقال مقاتل: يغشاها الملائكة أمثال الغربان. وقال السدي: من الطيور. ورُوِيَ عن أبي العالية عن أبي هريرة رضي الله عنه أو غيره قال: غشيها نورُ الخلائق وغشيتها الملائكة من حبّ الله أمثال الغربان، حتى يقعنّ على الشجر، قال فكلّمه عند ذلك، فقال له: سَلْ. وعن الحسن قال: غشيها نورُ ربِّ العزّة فاستنارت. ويُروَى في الحديث: «رأيت على كل ورقة منها ملكاً قائماً يسبّح الله تعالى».

﴿ **ما زاغ البصر وما طغى** ﴾، أي ما مال بصر النبي ﷺ يميناً ولا شمالاً وما طغى، أي ما جاوز ما رأى. وقيل: ما جاوز ما أمر به وهذا وصف أدبه في ذلك المقام إذ لم يلتفت جانباً.

﴿ **لقد رأى من آيات ربّه الكبرى** ﴾ يعني الآيات العِظام. وقيل: أراد ما رأى تلك الليلة في مسيره وعوده، دليله قوله: ﴿ لنُريه من آياتنا ﴾ [الإسراء: ١]، وقيل: معناه لقد رأى من آيات ربّه الآية الكبرى، أخبرنا

(فصل من كلام الشيخ محيي الدين النووي في معنى قوله تعالى ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ وهل رأى النبي ﷺ ربه عز وجل ليلة الإسراء)

قال القاضي عياض اختلف السلف والخلف هل رأى نبينا ﷺ ربه ليلة الإسراء فأنكرته عائشة كما وقع في صحيح مسلم. وجاء مثله عن أبي هريرة وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود وإليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين.

وروي عن ابن عباس أنه رآه بعينه ومثله عن أبي ذر وكعب والحسن وكان يحلف على ذلك وحكي مثله عن ابن مسعود وأبي هريرة وأحمد بن حنبل وحكى أصحاب المقالات عن أبي الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه أنه رآه ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال: ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ورؤية الله عز وجل في الدنيا جائزة وسؤال موسى إياها دليل على جوازها إذ لا يجهل نبي ما يجوز أن يمتنع على ربه. واختلفوا في أن نبينا ﷺ هل كلم ربه ليلة الإسراء بغير واسطة أم لا، فحكي عن الأشعري وقوم من المتكلمين أنه كلمه. وعزا بعضهم هذا القول إلى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس وكذلك اختلفوا في قوله: ثم دنا فتدلى فالأكثر على أن هذا الدنو والتدلي منقسم بين جبريل والنبي ﷺ أو مختص بأحدهما من الآخر أو من سدرة المنتهى.

وذكر ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم أنه دنو من النبي ﷺ إلى ربه أو من الله فعلى هذا القول يكون الدنو والتدلي متأولاً ليس على وجهه بل كما قال جعفر بن محمد الدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود فيكون معنى دنو النبي ﷺ وقربه منه ظهور عظيم منزلته لديه وإشراق أنوار معرفته عليه واطلاعه من غيبه وأسرار ملكوته على ما لم يطلع سواه عليه. والدنو من الله تعالى له إظهار ذلك وعظيم بره وفضله العظيم لديه ويكون قوله تعالى: قاب قوسين أو أدنى، هنا عبارة عن لطف المحل وإيضاح المعرفة والإشراف على الحقيقة من نبينا ﷺ ومن الله تعالى إجابة الرغبة وإبانة المنزلة هذا آخر كلام القاضي عياض.

قال الشيخ محيي الدين: وأما صاحب التحرير فإنه اختار إثبات الرؤية. قال: والحجج في المسألة وإن كانت كثيرة ولكن لا تتمسك إلا بالأقوى منها وهو حديث ابن عباس: «أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد ﷺ وعليهم أجمعين» وعن عكرمة قال: سئل ابن عباس هل رأى محمد ﷺ ربه؟ قال: نعم. وقد روي بإسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن أنس قال: رأى محمد ربه عز وجل وكان الحسن يحلف لقد رأى محمد ﷺ ربه عز وجل.

والأصل في المسألة حديث ابن عباس حبر هذه الأمة وعالمها والمرجوع إليه في المعضلات وقد راجعه ابن عمر في هذه المسألة وراسله هل رأى محمد ﷺ ربه عز وجل فأخبره أنه رآه ولا يقدح في هذا حديث عائشة لأن عائشة

إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجّاج ثنا عبد الله بن معاذ العنبري ثنا أبي ثنا شعبة عن سليمان الشيباني سمع زرّ بن حبيش عن عبد الله قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال: رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا حفص بن عمرو ثنا شعبة عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله: لقد رأى من آيات ربّه الكبرى، قال: رأى رفرفاً أخضر سَدَّ أُفُقَ السماء.

قوله: ﴿أفرأيتم اللاّت والعزّى﴾، هذه أسماء أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها، اشتقّوا لها أسماء من أسماء

لم تخبر أنها سمعت النبي ﷺ يقول: لم أر ربي وإنما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول الله تعالى ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً﴾ ولقوله ﴿لا تدركه الأبصار﴾ والصحابي إذا قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة وإذا قد صحت الروايات عن ابن عباس أنه تكلم في هذه المسألة بإثبات الرؤية وجب المصير إلى إثباتها لأنها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وإنما يتلقى بالسمع ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس أنه تكلم في هذه المسألة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس ثم إن ابن عباس أثبت ما نفاه غيره والمثبت مقدم على النفي هذا كلام صاحب التحرير في إثبات الرؤية.

قال الشيخ محيي الدين فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله ﷺ رأى ربه عز وجل بعيني رأسه ليلة الإسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسماع من رسول الله ﷺ هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه ثم إن عائشة لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله ﷺ ولو كان معها حديث لذكرته وإنما اعتمدت على الاستنباط من الآيات وسنوضح الجواب عنها، فنقول: أما احتجاج عائشة رضي الله تعالى عنها بقوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ فجوابه ظاهر، فإن الإدراك هو الإحاطة والله تعالى لا يحاط به وإذا ورد النص بنفي الإحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير إحاطة وهذا الجواب في نهاية الحسن مع اختصاره. وأما احتجاجها بقوله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً﴾ الآية، فالجواب عنه من أوجه: أحدها أنه لا يلزم مع الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام، الوجه الثاني: أنه عام مخصوص بما تقدم من الأدلة.

الوجه الثالث: ما قاله بعض العلماء إن المراد بالوحي الكلام من غير واسطة وهذا القول وإن كان محتملاً لكن الجمهور.

على أن المراد بالوحي هنا إلهام والرؤية في المنام وكلاهما يسمى وحياً وأما قوله تعالى: ﴿أو من وراء حجاب﴾ فقال الواحدي وغيره معناه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه من حديث لا يرونه وليس المراد أن هناك حجاباً يفصل موضعاً عن موضع ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم وقول عائشة في أول الحديث «لقد قف شعري» فمعناه قام شعري من الفزع لكوني سمعت ما لا ينبغي أن يقال تقول العرب عند إنكار الشيء: قف شعري واقشعر جلدي واشمأزت نفسي وقوله ﷺ في حديث أبي ذر «نور أني أراه» فهو بتنوين نور وبفتح الهمزة في أني وتشديد النون المفتوحة ومعناه: حجابه نور فكيف أراه قال الماوردي الضمير في أراه عائد على الله تعالى والمعنى أن النور يمنعني من الرؤية كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار ومنعها من إدراك ما حال بين الرائي وبينه وفي رواية رأيت نوراً معناه: رأيت النور فحسب ولم أر غيره وفي رواية ذاته نور أني أراه ومعناه هو خالق النور المانع من رؤيته فيكون من صفات الأفعال ومن المستحيل أن تكون ذات

الله تعالى فقالوا: من الله اللاّت، ومن العزيز العُزّى. وقيل: العُزّى تأنيث الأعز، **أما اللاّت قال قتادة**: كانت بالطائف، **فقال ابن زيد**: بيت نخلة كانت قريش تعبده، وقرأ ابن عباس ومجاهد وأبو صالح: **اللاّت** بتشديد التاء، وقالوا: كان رجلاً يلتّ السويق للحاجّ، فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه. وقال مجاهد: كان في رأس جبل له غنيمة يسلأ منها السمن ويأخذ منها الأقِطَ، ويجمع رسلها ثمّ يتّخذ منها حيساً فيطعم منه الحاج، وكان ببطن نخلة، فلما مات عبدوه، وهو اللاّت. وقال الكلبي: كان رجلاً من ثقيف يقال له صرمة بن غنم، وكان يسلأ السمن فيضعها على صخرة ثم تأتيه العرب فتلتّ به أسوقتهم، فلما مات الرجل حوّلتها ثقيف إلى منازلها فعبدتها، فعمدت الطائف على موضع اللاّت. وأمّا العزّى قال مجاهد: هي شجرة بغطفان كانوا يعبدونها، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن

الله نوراً إذ النور من جملة الأجسام والله يتعالى عن ذلك هذا مذهب جميع أئمة المسلمين والله أعلم.

قوله عز وجل: ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾ هذه أسماء أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها واشتقوا لها أسماء من أسماء الله عز وجل فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى. وقيل: العزى تأنيث الأعز. والمعنى: أخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله هل لها من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة شيء وكان اللات بالطائف وقيل: بنخلة كانت قريش تعبده وقرىء اللات بالتشديد (خ). عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان اللات رجلاً يلت السويق للحاج. قيل: فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه. وقيل: كان في رأس جبل له غنيمة يسلأ منها السمن ويأخذ منها الأقط ويجمع رسلها ثم يتخذ حيساً فيطعم الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات. وقيل: كان رجلاً من ثقيف يقال له صرمة بن غنم وكان يسلأ السمن فيضعه على صخرة فتأتيه العرب فتلت به أسوقتهم فلما مات الرجل حولها ثقيف إلى منازلها فمرت الطائف على موضع اللات وأما العزى فقيل هي شجرة بغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها فجعل يضربها بالفأس ويقول:

يـــا عـــز كفـــرانـــك لا سبحـــانـــك إنـــي رأيـــت الله قـــد أهـــانـــك

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية بويلها واضعة يدها على رأسها ويقال: إن خالداً رجع إلى النبي ﷺ فقال: قد قطعتها. فقال: ما رأيت؟ فقال ما رأيت شيئاً فقال ما قطعت فعاودها ومعه المعول فقطعها واجتثت أصلها فخرجت منها امرأة عريانة فقتلها ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره بذلك فقال: تلك العزى ولن تعبد أبداً.

وقيل: هي صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن سالم الغطفاني. وقيل: إنه قدم مكة فرأى الصفا والمروة ورأى أهل مكة يطوفون بينهما فرجع إلى بطن نخلة فقال لقومه: إن لأهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم إله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تأمرنا؟ قال: أنا أصنع لكم كذلك فأخذ حجراً من الصفا وحجراً من المروة ونقلهما إلى نخلة فوضع الذي أخذ من الصفا وقال الصفا ثم وضع الذي أخذ من المروة. وقال: هذه المروة ثم أخذ ثلاثة أحجار وأسندها إلى شجرة. وقال: هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة الثلاث حتى افتتح رسول الله ﷺ مكة وأمر برفع الحجارة وأمر خالد بن الوليد بالعزى فقطعها وقيل: هي بيت بالطائف كانت تعبده ثقيف. وقوله تعالى:

الوليد فقطعها فجعل خالد بن الوليد يضربها بالفأس ويقول:

يا عزّ كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية بويلها واضعة يدها على رأسها. ويقال: إن خالداً رجعَ إلى النبي ﷺ فقال: قد قلعتها، فقال: «ما رأيتَ»؟ قال: ما رأيت شيئاً، فقال النبي ﷺ: «ما قلعت»، فعاودوها ومعه المِعوَل فقلعها واجتثّ أصلها فخرجت منها امرأة عريانة، فقتلها ثم رجع إلى النبي ﷺ وأخبره بذلك، فقال: «تلك العزّى ولن تُعبَد أبداً»، وقال الضحاك: هي صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني، وذلك أنه قَدِمَ مكة فرأى الصفا والمروة، ورأى أهل مكة يطوفون بينهما، فعاد إلى بطن نخلة، وقال لقومه: إن لأهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم إله يعبدونه وليس لكم، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: أنا أصنع لكم كذلك، فأخذ حجراً من الصفا وحجراً من المروة ونقلهما إلى نخلة، فوضع الذي أخذ من الصفا، فقال: هذا الصفا، ثم وضع الذي أخذه من المروة، فقال: هذه المروة، ثم أخذ ثلاثة أحجار فأسندها إلى شجرة، فقال: هذا ربّكم، فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة، حتى افتتح رسول الله ﷺ مكة، فأمر برفع الحجارة، وبعث خالد بن الوليد إلى العُزّى فقطعها. وقال ابن زيد: هي بيت بالطائف كانت تعبده ثقيف.

﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ۝٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ۝٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ۝٢٣﴾

﴿**ومناة**﴾ قيل: هي لخزاعة كانت بقديد وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها في الأنصار كانوا يهلون لمناة وكانت حذو قديد وقيل: هي بيت بالمشلل كانت تعبده بنو كعب. وقيل: مناة، صنم لهذيل وخزاعة وكانت تعبدها أهل مكة وقيل: اللات والعزى ومناة أصنام من الحجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها ﴿**الثالثة الأخرى**﴾ الثالثة نعت لمناة إذ هي الثالثة في الذكر وأما الأخرى فإن العرب لا تقول الثالثة الأخرى وإنما الأخرى هنا نعت للثلاثة قال الخليل: قالها لوفاق رؤوس الآي كقوله «مآرب أخرى» ولم يقل أخر.

وقيل: في الآية تقديم وتأخير تقديره أفرأيتم اللات والعزى الأخرى ومناة الثالثة.

وقيل: هي صفة ذم كأنه تعالى قال ومناة الثالثة المتأخرة الذليلة. فعلى هذا فالأصنام ترتب مراتب، وذلك لأن اللات كان صنماً على صورة آدمي والعزّى شجرة فهي نبات ومناة صخرة فهي جماد وهي في أخريات المراتب. ومعنى الآية: هل رأيتم هذه الأصنام حق الرؤية، وإذا رأيتموها علمتم أنها لا تصلح للعبادة لأنها لا تضر ولا تنفع وقيل: أفرأيتم أيها الزاعمون أن اللات والعزى ومناة بنات الله ألكم الذكر وله الأنثى. وقيل: كان المشركون بمكة يقولون: الأصنام والملائكة بنات الله وكان الرجل منهم إذا بشر بالأنثى كره ذلك فقال الله عز وجل منكراً عليهم ﴿**ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى**﴾ قال ابن عباس: أي قسمة جائرة حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لأنفسكم وقيل: قسمة عوجاء غير معتدلة ﴿**إن هي**﴾ أي ما هذه الأصنام ﴿**إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم**﴾ والمعنى: أنكم

﴿ **ومناة** ﴾، قرأ ابن كثير بالمدّ والهمزة، وقرأ العامّة بالقصر غير مهموز، لأن العرب سَمّتْ زيد مناة وعبد مناة، ولم يسمع فيها المدّ. قال قتادة: هي لخزاعة كانت بقديد، قالت عائشة رضي الله عنها: في الأنصار كانوا يهلّون لمناة، وكانت حذو قديد. قال ابن زيد: بيت كان بالمشلل يعبده بنو كعب. قال الضحاك: مناة صنم لهذيل وخزاعة يعبدها أهل مكة، وقال بعضهم: اللاّت والعُزّى ومناة أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها. واختلف القرّاء في الوقف على اللاّت ومناة، فوقف بعضهم عليهما بالهاء وبعضهم بالتاء. وقال بعضهم: ما كُتب في المصحف بالتاء يوقَف عليه بالتاء، وما كُتب بالهاء فيوقف عليه بالهاء. وأما قوله: ﴿ **الثالثة الأخرى** ﴾، فالثالثة نعت لمناة أي الثالثة للصنمين في الذكر، وأما الأخرى فإن العرب لا تقول الثالثة الأخرى، إنما الأخرى ههنا نعت للثالثة. قال الخليل: فالياء لوفاق رؤوس الآي، كقوله: ﴿ مآرب أُخرى ﴾ [طه: ١٨] ولم يقل: أُخَر. وقيل: في الآية تقديم وتأخير، مجازها: أفرأيتم اللاّت والعُزّى الأخرى ومناة الثالثة، ومعنى الآية: أفرأيتم أخبرونا أيها الزاعمون أن اللاّت والعُزّى ومناة بنات الله تعالى عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً. وقال الكلبي: كان المشركون بمكة يقولون الأصنام والملائكة بنات الله، وكان الرجل منهم إذا بُشّر بالأُنثى كره ذلك.

فقال الله تعالى منكراً عليهم: ﴿ **ألكمُ الذَّكَر وله الأُنثى * تلك إذاً قسمةٌ ضيزى** ﴾، قال ابن عباس وقتادة: أي قسمة جائرة حيث جعلتم لربّكم ما تكرهون لأنفسكم. قال مجاهد ومقاتل: قسمة عوجاء، وقال الحسن: غير معتدلة. قرأ ابن كثير: (ضئزى) بالهمز، وقرأ الآخرون بغير همز. قال الكسائي: يقال منه ضاز يضيز ضيزاً، وضاز يضوز ضوزاً وضاز يُضاز ضازاً إذا ظلم ونقص، وتقدير ضيزى من الكلام فُعلى بضم الفاء، لأنها صفة والصفات لا تكون إلاّ على فعلى بضم الفاء، نحو حبلى وأُنثى وبُشرى، أو فَعلى بفتح الفاء، نحو غضبى وسكرى وعطشى،

سميتموها آلهة وليست حقيقة ولا بمعبودة حقيقة وقيل: معناه قلتم لبعضها عزى ولا عزة لها فلا يكون لها مسمى حقيقة.

﴿ما أنزل الله بها من سلطان﴾ أي حجة بما تقولون إنها آلهة ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ أي في قولهن إنها آلهة ﴿وما تهوى الأنفس﴾ يعني هو ما زين لهم الشيطان من عبادة الأصنام وقيل: وضعوا عبادتهم بمقتضى شهواتهم والذي ينبغي أن تكون العبادة بمقتضى الشرع لا بمتابعة هوى النفس ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ أي البيان بالكتاب المنزل والنبي المرسل أن الأصنام ليست بآلهة وأن العبادة لا تصلح إلا لله الواحد القهار. قوله تعالى:

﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾

﴿أم للإنسان ما تمنى﴾ معناه أيظن الكافر أن له ما يتمنى ويشتهي من شفاعة الأصنام أي ليس الأمر كما يظن ويتمنى ﴿فلله الآخرة والأولى﴾ أي لا يملك أحد فيها شيئاً أبداً إلا بإذنه وقيل: معناه أن الإنسان إذا اختار معبوداً على ما تمناه واشتهاه فلله الآخرة والأولى يعاقبه على فعله ذلك إن شاء في الدنيا والآخرة وإن شاء أمهله إلى الآخرة ﴿وكم من ملك في السموات﴾ أي ممن يعبدهم هؤلاء ويرجون شفاعتهم عند الله ﴿لاتغني شفاعتهم شيئاً﴾ يعني أن الملائكة، مع علو منزلتهم، لا تغني شفاعتهم، شيئاً فكيف تشفع الأصنام مع حقارتها ثم أخبر أن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه فقال تعالى: ﴿إلا من بعد أن يأذن الله﴾ أي في الشفاعة ﴿لمن يشاء ويرضى﴾ أي من أهل التوحيد قال ابن عباس

وليس في كلام العرب فِعلى بكسر الفاء في النعوت، إنما يكون في الأسماء مثل ذكرى وشعرى وكسرى، والضاد ههنا لئلا تنقلب الياء واواً وهي من بنات الباءَ كما قالوا في جمع أبيض بيض، والأصل بوض مثل جمر وصفر، فأمّا مَن قال: ضاز يضوز فالاسم منه ضُوزى مثل شُورى.

﴿ إنْ هي ﴾، ما هذه الأصنام، ﴿ إلاّ أسماء سمّيتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطانٍ ﴾، حجّة وبرهان بما تقولون إنها آلهة، ثم رجع إلى الخبر بعد المخاطبة فقال: ﴿ إنْ يتّبعون إلاّ الظن ﴾، في قولهم إنها آلهة، ﴿ وما تهوى الأنفس ﴾، وهو ما زيّن لهم الشيطان، ﴿ ولقد جاءهم من ربّهم الهدى ﴾، البيان بالكتاب والرسول أنها ليست بآلهة، وأن العبادة لا تصلح إلاّ لله الواحد القهّار.

﴿ أمْ للإنسان ما تمنى ﴾، أيظن الكافر أن له ما يتمنى ويشتهي من شفاعة الأصنام.

﴿ فللّهِ الآخرةُ والأولى ﴾، ليس كما ظن الكافر وتمنّى، بل لله الآخرة والأولى لا يملك أحدٌ فيهما شيئاً إلاّ بإذنه.

﴿ وكم من مَلَكٍ في السموات ﴾، ممّن يعبدهم هؤلاء الكفّار ويرجون شفاعتهم عند الله، ﴿ لا تُغني شفاعتهم شيئاً إلاّ من بعد أن يأذن الله ﴾، في الشفاعة، ﴿ لمَن يشاء ويرضى ﴾، أي من أهل التوحيد. قال ابن عباس: يريد لا تشفع الملائكة إلاّ لمَن رضي الله عنه، وجمع الكناية في قوله: شفاعتهم والملك واحد لأن المراد من قوله: ﴿ وكم من ملك ﴾، الكثرة فهو كقوله: ﴿ فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ [الحاقّة: ٤٧].

يريد لا تشفع الملائكة إلا لمن رضي الله عنه وقيل: إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء من الملائكة في الشفاعة لمن شاء الشفاعة له ﴿**إن الذين لا يؤمنون بالآخرة**﴾ يعني الكفار الذين أنكروا البعث ﴿**ليسمون الملائكة تسمية الأنثى**﴾ أي بتسمية الأنثى حيث قالوا إنهم بنات الله. فإن قلت كيف قال تسمية الأنثى ولم يقل تسمية الإناث.

قلت المراد منه بيان الجنس وهذا اللفظ أليق بهذا الموضع لمناسبته رؤوس الآي وقيل: إن كل واحد من الملائكة يسمونه تسمية الأنثى وذلك لأنهم إذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتاً وهي تسمية الأنثى ﴿**وما لهم به من علم**﴾ يعني بالله فيشركون به ويجعلون له ولداً وقيل: ما يستيقنون أن الملائكة أناث ﴿**إن يتبعون إلا الظن**﴾ يعني في تسمية الملائكة بالإناث ﴿**وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً**﴾ يعني لا يقوم الظن مقام العلم الذي هو الحق وقيل معناه إنما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم وقيل: الحق هو الله تعالى والمعنى أن الأوصاف الإلهية لا تستخرج بالظنون ﴿**فأعرض عمن تولى عن ذكرنا**﴾ يعني القرآن.

وقيل: عن الإيمان ﴿**ولم يزد إلا الحياة الدنيا**﴾ يعني أنهم لا يؤمنون بالآخرة حتى يردوها ويعملوا لها وفيه إشارة إلى إنكارهم الحشر ثم صغر رأيهم فقال تعالى: ﴿**ذلك مبلغهم من العلم**﴾ أي ذلك نهاية علمهم وقلة عقولهم أن آثروا الدنيا على الآخرة وقيل: معناه أنهم لم يبلغوا من العلم إلا ظنهم أن الملائكة بنات الله وأنهم يشفعون لهم فاعتمدوا على ذلك وأعرضوا عن القرآن والإيمان ﴿**إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى**﴾ أي هو عالم بالفريقين ويجازيهم بأعمالهم.

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾

﴿**ولله ما في السموات وما في الأرض**﴾ وهذه إشارة إلى كمال قدرته وغناه وهو معترض بين الآية الأولى وبين قوله ﴿**ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا**﴾. والمعنى:

﴿ **إنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمّون الملائكة تسمية الأُنثى** ﴾، أي بتسمية الأُنثى حين قالوا إنهم بنات الله.

﴿ **وما لهم به من علم** ﴾، قال مقاتل: معناه ما يستيقنون أنهم إناث، ﴿ **إنْ يتبعون إلاّ الظنّ وإنّ الظنّ لا يُغني من الحق شيئاً** ﴾، والحق بمعنى العلم أي لا يقوم الظن مقام العلم. وقيل: الحق بمعنى العذاب، أي أظنهم لا ينقذهم من العذاب.

﴿ **فأعرضْ عمّن تولّى عن ذكرنا** ﴾، يعني القرآن. وقيل: الإيمان، ﴿ **ولم يردْ إلاّ الحياة الدنيا** ﴾.

ثم صغّر رأيهم فقال: ﴿ **ذلك مبلغهم من العلم** ﴾، أي ذلك نهاية علمهم وقدر عقولهم أن آثروا الدنيا على الآخرة. وقيل: لم يبلغوا من العلم إلاّ ظنهم أن الملائكة بنات الله، وأنها تشفع لهم فاعتمدوا على ذلك وأعرضوا عن القرآن. ﴿ **إنّ ربّك هو أعلم بمَن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بمَن اهتدى** ﴾، أي هو عالم بالفريقين فيجازيهم.

﴿ **ولله ما في السمٰوات وما في الأرض** ﴾، وهذا معترض بين الآية الأولى وبين قوله: ﴿ **ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا** ﴾، فاللام في قوله: ﴿ **ليجزي** ﴾ متعلّق بمعنى الآية الأولى، لأنه إذا كان أعلم بهم جازى كلاًّ بما

إذا كان أعلم بهم جازى كل أحد بما يستحقه فيجزي الذين أساؤوا أي أشركوا بما عملوا من الشرك ﴿**ويجزي الذين أحسنوا**﴾ أي وحدوا ربهم ﴿**بالحسنى**﴾ يعني الجنة وإنما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء إذا كان كثير الملك كامل القدرة فلذلك قال ولله ما في السموات وما في الأرض ثم وصف المحسنين فقال عز وجل: ﴿**الذين يجتنبون كبائر الإثم**﴾ قيل: الإثم، الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب وقيل: هو اسم للأفعال المبطئة عن الثواب، وقيل: هو فعل ما لا يحل وقيل: الإثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر وجمعه آثام والكبيرة متعارفة في كل ذنب تعظم عقوبته وجمعه كبائر ﴿**والفواحش**﴾ جمع فاحشة، وهي ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال وقيل: هي ما فحش من الكبائر ﴿**إلا اللمم**﴾ أي إلا ما قل وصغر من الذنوب وقيل: هي مقاربة المعصية من قولك ألممت بكذا إذا قاربته من غير مواقعة واختلفوا في معنى الآية فقيل هذا استثناء صحيح واللمم من الكبائر والفواحش ومعنى الآية: إلا إن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب أو يقع الوقعة ثم ينتهي وهو قول أبي هريرة ومجاهد والحسن ورواية عن ابن عباس. وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: اللمم ما دون الشرك. وقال أبو صالح: سئلت عن قول الله عز وجل إلا اللمم فقلت: هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاود فذكرت، ذلك لابن عباس فقال: أعانك عليها ملك كريم. عن ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿**الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم**﴾.

قال: قال رسول الله ﷺ «إن تغفر اللهم تغفر جماً وأي عبد لك لا ألما» أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب وقيل: أصل اللمم والإلمام ما يعمله الإنسان الحين بعد الحين ولا يكون له إعادة ولا إقامة وقيل: هو استثناء منقطع مجازه لكن اللمم ولم يجعل اللمم من الكبائر والفواحش ثم اختلفوا في معناه فقيل هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم به في الإسلام وذلك أن المشركين قالوا للمسلمين: إنهم كانوا بالأمس يعملون معنا فأنزل الله عز وجل هذه الآية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن سلم. وقيل: اللمم هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة ونحو ذلك مما هو دون الزنا وهو قول ابن مسعود وأبي هريرة ومسروق والشعبي والرواية الأخرى عن ابن عباس (ق) عن ابن عباس قال «ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ قال إن الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه».

ولمسلم قال: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه» وقيل: اللمم على وجهين، أحدهما أنه كل ذنب لم يذكر الله تعالى عليه حداً في الدنيا ولا عذاباً في الآخرة فذلك الذي تكفره الصلوات الخمس وصوم رمضان ما لم يبلغ الكبائر والفواحش.

والوجه الثاني: هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه وقيل: هو ما لم على القلب أي خطر وقيل: اللمم النظرة من غير عمد فهو مغفور فإن أعاد النظر فليس بلمم فهو ذنب والله سبحانه وتعالى أعلم.

يستحقّه، **الذين** أساؤوا أي أشركوا بما عملوا من الشرك، ﴿ **ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى** ﴾، وحدّوا ربّهم بالحسنى بالجنّة، وإنما يقدر على مجازاة المُحسن والمُسيء إذا كان كثير الملك، ولذلك قال: ﴿ **ولله ما في السمٰوات وما في الأرض** ﴾.

ثم وصفهم فقال: ﴿ **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلّا اللّمم** ﴾، اختلفوا في معنى الآية، فقال قوم: هذا استثناء صحيح، واللّمم: من الكبائر والفواحش، ومعنى الآية: إلّا أن يلمّ بالفاحشة مرة ثم يتوب، ويقع الوقعة ثم ينتهي وهو قول أبي هريرة ومجاهد والحسن، ورواية عطاء عن ابن عباس، قال عبد الله بن عمرو بن

(فصل: في بيان الكبيرة وحدها وتمييزها عن الصغيرة)

قال العلماء: أكبر الكبائر الشرك بالله وهو ظاهر لا خفاء به لقوله تعالى: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ ويليه القتل بغير حق فأما ما سواهما من الزنا واللواط وشرب الخمر وشهادة الزور وأكل مال اليتيم بغير حق والسحر وقذف المحصنات وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وأكل الربا وغير ذلك من الكبائر التي ورد بها النص فلها تفاصيل وأحكام تعرف بها مراتبها ويختلف أمرها باختلاف الأحوال والمفاسد المرتبة عليها. فعلى هذا يقال في كل واحدة منها: هي من أكبر الكبائر بالنسبة إلى ما دونها.

وقد جاء عن ابن عباس أنه سئل عن الكبائر أسبع هي قال هي إلى السبعين أقرب.

وفي رواية إلى سبعمائة أقرب وقد اختلف العلماء في حد الكبيرة وتمييزها عن الصغيرة فجاء عن ابن عباس: كل شيء نهى الله عنه فهو كبيرة. وبهذا قال الأستاذ أبو إسحاق الأسفراييني وحكاه القاضي عياض عن المحققين واحتج القائلون بهذا بأن كل مخالفة فهي بالنسبة إلى جلال الله كبيرة وذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف إلى انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر وقد تظاهرت على ذلك دلائل الكتاب والسنة واستعمال سلف الأئمة. وإذا ثبت انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر، فقد اختلف في ضبطها، فروي عن ابن عباس أنه قال: الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب وعن الحسن نحو هذا وقيل: هي ما وعد الله عليه بنار في الآخرة وأحد في الدنيا. وقال الغزالي: في البسيط الضابط الشامل في ضبط الكبيرة أن كل معصية يقدم عليها المرء من غير استشعار خوف أو استحداث ندم كالمتهاون في ارتكابها والمستجرىء عليها اعتياداً فما أشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة وما تحمل عليه فلتات النفس وفترة مراقبة التقوى ولا ينفك عن ندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس بكبيرة. وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في كتابه القواعد:

إذا أردت معرفة الفرق بين الكبيرة والصغيرة فأعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها فإن نقصت عن أقل مفاسد الكبائر فهي من الصغائر وإن ساوت أدنى مفاسد الكبائر أو زادت عليه فهي من الكبائر فمن أمسك امرأة محصنة لمن يزني بها أو أمسك مسلماً لمن يقتله فلا شك أن مفسدة ذلك أعظم ممن أكل درهماً من مال اليتيم مع كونه من الكبائر. وكذلك لو دل الكفار على عورة المسلمين مع علمه بأنهم يستأصلونهم بدلالته فإن تسببه إلى هذه المفسدة أعظم من توليه يوم الزحف بغير عذر مع كونه من الكبائر وكذلك لو كذب على إنسان كذباً يعلم أنه يقتل بسببه. ولو كذب على إنسان كذباً يعلم أنه يؤخذ منه ثمرة بسبب كذبه لم يكن ذلك من الكبائر.

وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح في فتاويه الكبيرة: كل ذنب كبر وعظم عظماً بحيث يصح معه أنه يطلق عليه اسم الكبيرة ويوصف بكونه عظيماً على الإطلاق فهذا حد الكبيرة ولها أمارات منها الحد ومنها الإيعاد عليها بالعذاب

العاص: اللّمم ما دون الشرك. وقال السدي وأبو صالح: سُئِلت عن قول الله تعالى: ﴿إلاّ اللّمم﴾، فقلت: هو الرجل يلمّ بالذنب ثم لا يعاوده، فذكرت ذلك لابن عباس فقال: لقد أعانك عليها ملك كريم. وروينا عن عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿إلاّ اللّمم﴾، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنْ تغفر اللّهمَّ تغفرْ جمّاً وأيّ عبد لك إلاّ ألمّا» وأصل اللّمم والإلمام ما يعمله الإنسان الحين بعد الحين، ولا يكون له إعادة، ولا إقامة عليه. وقال آخرون: هذا استثناء منقطع مجازه لكن اللّمم، ولم يجعلوا اللّمم من الكبائر والفواحش، ثم اختلفوا في معناه، فقال بعضهم: هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم الله به، وذلك أن المشركين قالوا للمسلمين: إنهم كانوا بالأمس يعملون معنا؟ فأنزل الله هذه الآية، وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن أسلم، وقال بعضهم: هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة

بالنار ونحوها في الكتاب أو السنة ومنها ما وصف فاعلها بالفسق أو يضاف إليه اللعن كلعن الله من غير منار الأرض ونحو ذلك والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿إن ربك واسع المغفرة﴾ قال ابن عباس: لمن فعل ذلك ثم تاب وأناب.

وروي عن عمر بن الخطاب وابن عباس قالا: لا كبيرة في الإسلام أي لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار معناه أن الكبيرة أيضاً تمحى بالاستغفار والتوبة والصغيرة تصير كبيرة بالإصرار وقيل في حد الإصرار هو أن يتكرر منه الصغيرة تكراراً يشعر بقلة مبالاته بذنبه وتم الكلام على قوله إن ربك واسع المغفرة ثم ابتدأ فقال تعالى: ﴿هو أعلم بكم﴾ أي قبل أن يخلقكم وهو قوله: ﴿إذ أنشأكم من الأرض﴾ يعني خلق أباكم آدم من التراب ﴿وإذ أنتم أجنة﴾ جمع جنين ﴿في بطون أمهاتكم﴾ سمي جنيناً لاستتاره في بطن أمه ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ قال ابن عباس: لا تمدحوها. وقال الحسن: علم الله من كل نفس ما هي صانعة وإلى ما هي صائرة فلا تزكوا أنفسكم فلا تبرئوها من الآثام ولا تمدحوها بحسن الأعمال. وقيل في معنى الآية: هو أعلم بكم أيها المؤمنون علم حالكم من أول خلقكم إلى آخر يومكم فلا تزكوا أنفسكم رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن لم تعرفوا حقيقته أنا خير منك أو أنا أزكى منك أو أتقى منك فإن العلم عند الله وفيه إشارة إلى وجوب خوف العاقبة فإن الله يعلم عاقبة من هو على التقوى وهو قوله تعالى: ﴿هو أعلم بمن اتقى﴾ يعني بمن بر وأطاع وأخلص العمل وقيل في معنى الآية فلا تزكوا أنفسكم يعني لاتنسبوها إلى زكاء العلم وزيادة الخير والطاعات وقيل لا تنسبوها إلى الزكاة والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكي منكم والتقي أولاً وآخراً قبل أن يخرجكم من صلب أبيكم آدم وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم. قيل: نزلت من ناس كانوا يعملون أعمالاً حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فأنزل الله فيهم هذه الآية. قوله عز وجل:

والقُبلة وما كان دون الزنا، وهذا قول ابن مسعود وأبي هريرة ومسروق والشعبي، ورواية طاوس عن ابن عباس، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمود بن عيلان أنا عبد الرزاق أنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال: ما رأيتُ أشبه باللّمم مما قاله أبو هريرة عن النبي ﷺ: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك ويكذبه»، ورواه سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، وزاد: «والعينان زناهما النظر، والأُذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطى». وقال الكلبي: اللّمم على وجهين كل ذنب لم يذكر الله عليه حدّاً في الدنيا ولا عذاباً في الآخرة فذلك الذي تكفّره الصلوات ما لم يبلغ الكبائر والفواحش، والوجه الآخر هو: الذنب العظيم يلمّ به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه. وقال سعيد بن المسيب: هو ما لَمّ على القلب أي خطر. وقال الحسين بن الفضل: اللّمم النظرة من غير تعمّد فهو مغفور، فإن أعاد النظرة فليس بلمم وهو ذنب. ﴿ إن ربَّك واسعُ المغفرة ﴾، قال ابن عباس: لمَن فعل ذلك وتاب، تمّ الكلام ههنا، ثم قال: ﴿ هو أعلم بكم إذْ أنشأكم من الأرض ﴾، أي خلق أباكم آدم من التراب، ﴿ وإذْ أنتم أجنّة ﴾، جمع جنين، سُمّي جنيناً لاجتنانه في البطن، ﴿ في بطون أُمهاتكم فلا تزكّوا أنفسكم ﴾، قال ابن عباس: لا تمدحوها. قال الحسن: علم الله من كل نفس ما هي صانعة وإلى ما هي صائرة، فلا تزكّوا أنفسكم، فلا تبرؤوها عن الآثام ولا تمدحوها بحُسْن أعمالها. قال الكلبي ومقاتل: كان الناس يعملون أعمالاً حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجّنا وجهادنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ هو أعلم بمَن اتّقى ﴾، أي بَرَّ وأطاع وأخلص العمل لله تعالى.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾

﴿أفرأيت الذي تولى﴾ نزلت في الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبي ﷺ على دينه فغيره بعض المشركين وقالوا: أتركت دين الأشياخ وضللت. قال: إني خشيت عذاب الله فضمن له الذي عاتبه إن أعطاه كذا من ماله ورجع إلى الشرك أن يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد إلى الشرك وأعطى للذي عيره بعض الذي ضمن له من المال ومنعه تمامه فأنزل الله أفرأيت الذي تولى يعني أدبر وأعرض عن الإيمان ﴿وأعطى﴾ يعني لصاحبه الذي عيره ﴿قليلاً وأكدى﴾ أي بخل بالباقي. وقيل: أعطى قليلاً يعني من الخير بلسانه وأكدى يعني قطعه وأمسك ولم يعم بالعطية.

وقيل: نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك أنه كان ربما يوافق النبي ﷺ في بعض الأمور.

وقيل: نزلت في أبي جهل وذلك أنه قال والله ما يأمرنا محمد إلا بمكارم الأخلاق فذلك قوله: وأعطى قليلاً وأكدى يعني لم يؤمن به ومعنى الآية أكدى يعني قطع وأصله من الكدية وهي حجر يظهر في البئر يمنع من الحفر ﴿أعنده علم الغيب فهو يرى﴾ أي ما غاب عنه يعني أن صاحبه يتحمل عنه عذابه ﴿أم لم ينبأ﴾ يعني يخبر ﴿بما في صحف موسى﴾ يعني أسفاره التوراة.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾

﴿وإبراهيم﴾ يعني ويخبر بما في صحف إبراهيم ﴿الذي وفى﴾ يعني كمل وتمم مما أمر به وقيل: عمل بما أمر به وبلغ رسالات ربه إلى خلقه وقيل وفى فرض عليه وقيل قام بذبح ولده وقيل استكمل الطاعة. وقيل: وفى بما فرض

قوله عزّ وجلّ: ﴿ أفرأيتَ الذي تولى ﴾، نزلت في الوليد بن المغيرة، كان قد اتّبع النبي ﷺ على دينه فعيّره بعض المشركين، وقال أتركت دين الأشياخ وضللتهم؟ قال: إني خشيت عذاب الله فضمن الذي عاتبه إن هو أعطاه كذا من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمّل عنه عذاب الله، فرجع الوليد إلى الشرك وأعطى الذي عيّره بعض ذلك المال الذي ضمن ومنعه تمامه، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ أفرأيت الذي تولّى ﴾ أدبر عن الإيمان.

﴿ وأعطى ﴾، صاحبه، ﴿ قليلاً وأكدى ﴾، بخل بالباقي، وقال مقاتل: أعطى يعني الوليد قليلاً من الخير بلسانه، وأكدى ثم أكدى، يعني قطعة وأمسك ولم يقم على العطية. وقال السدي: نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك أنه كان ربما يوافق النبي ﷺ في بعض الأمور، وقال محمد بن كعب القرظي: نزلت في أبي جهل وذلك أنه قال: والله ما يأمرنا محمد إلّا بمكارم الأخلاق، فذلك قوله: ﴿ وأعطى قليلاً وأكدى ﴾، لم يؤمن به، ومعنى أكدى: يعني قطع، وأصله من الكدية وهي حجر يظهر في البئر يمنع من الحفر، تقول العرب: أكدى الحافر وأجبل إذا بلغ في الحفر الكدية والجبل.

﴿ أعنده علم الغيب فهو يرى ﴾، ما غاب عنه ويعلم أن صاحبه يتحمّل عنه عذابه.

﴿ أم لم ينبّأ ﴾، لم يخبر، ﴿ بما في صحف موسى ﴾، يعني أسفار التوراة.

﴿ وإبراهيم ﴾، وفي صحف إبراهيم عليه السلام، ﴿ الذي وَفّى ﴾، تمّم وأكمل ما أُمر به. قال الحسن وسعيد بن جبير وقتادة: عمل بما أُمر به وبلّغ رسالات ربّه إلى خلقه. قال مجاهد: وفّى بما فُرض عليه. قال الربيع:

عليه في سهام الإسلام وهو قوله ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن﴾ والتوفية الإتمام. وقيل: وفي شأن المناسك. وروى البغوي بسنده عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال إبراهيم الذي وفى عمله كل يوم بأربع ركعات أول النهار.

عن أبي الدرداء وأبي ذر عن رسول الله ﷺ عن الله تبارك وتعالى أنه قال «ابن آدم اركع لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره» أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن غريب ثم بين ما في صحفهما فقال تعالى: ﴿ألا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس أخرى. والمعنى: لا تؤخذ نفس بإثم غيرها. وفي هذا إبطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة أن يحمل عنه الإثم. وقال ابن عباس: كانوا قبل إبراهيم يأخذون الرجل بذنب غيره كان الرجل يقتل بقتل أبيه وابنه وأخيه وامرأته وعبده حتى كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى: ﴿ألا تزر وازرة وزر أخرى﴾ ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ أي عمل وهذا في صحف إبراهيم وموسى أيضاً قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله تعالى: ﴿ألحقنا بهم ذرياتهم﴾ فأدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء وقيل كان ذلك لقوم إبراهيم وموسى فأما هذه الأمة فلها ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روي عن ابن عباس «أن امرأة رفعت صبياً لها فقالت يا رسول الله ألهذا حج؟ قال نعم ولك أجراً» أخرجه مسلم وعنه «أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ إن أمي توفيت أينفعها إن تصدقت عنها؟ قال نعم».

وفي رواية أن سعد بن عبادة أخا بني سعد وذكر نحوه وأخرجه البخاري وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن رجلاً قال لرسول الله ﷺ إن أمي افتلتت نفسها وأظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال نعم.» أخرجاه في الصحيحين. وفي حديث ابن عباس دليل لمذهب الشافعي ومالك وأحمد وجماهير العلماء أن حج الصبي منعقد صحيح يثاب عليه وإن كان لا يجزيه عن حجة الإسلام بل يقع تطوعاً. وقال أبو حنيفة: لا يصح حجه وإنما

وفّى رؤياه وقام بذبح ابنه. وقال عطاء الخراساني: استكمل الطاعة. وقال أبو العالية: وفّى سهام الإسلام. وهو قوله: ﴿ وإذِ ابتلى إبراهيم ربّه بكلمات فأتمهنّ ﴾ [البقرة: ١٢٤]، والتوفية الإتمام. وقال الضحاك: وفّى ميثاق المناسك. أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الخيري أنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني ثنا إبراهيم بن إسحاق الزهري ثنا إسحاق بن منصور عن إسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «إبراهيم الذي وفّى صلّى أربع ركعات أوّل النهار»، أخبرنا أبو عثمان الضبّي أنا أبو محمد الجراحي ثنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا أبو جعفر الشيباني ثنا أبو مسهر ثنا إسماعيل بن عياش عن يحيىٰ بن سعيد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء وأبي ذرّ عن رسول الله ﷺ عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «ابنَ آدم اركعْ لي أربعَ ركعاتٍ من أول النهار أكفِكَ آخره».

ثمّ بينّ ما في صحفهما فقال: ﴿ ألّا تزرَ وازرةٌ وِزْرَ أُخرى ﴾، أي لا تحمل نفس حاملة حمل أخرى، ومعناه: لا تؤخذ نفس بإثم غيرها، وفي هذا إبطال قول مَن ضمن للوليد بن المغيرة بأنه يحمل عنه الإثم. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: كانوا قبل إبراهيم عليه السلام يأخذون الرجل بذنب غيره، كان الرجل يقتل بذنب أبيه وابنه وأخيه وامرأته وعبده، حتى كان إبراهيم فنهاهم عن ذلك، وبلغهم عن الله ﴿ ألّا تزر وازرة وزر أُخرى ﴾.

﴿ وأنْ ليس للإنسان إلّا ما سعى ﴾، أي عمل كقوله: ﴿ إن سعيكم لشتى ﴾ [الليل: ٤]، وهذا أيضاً في صحف إبراهيم وموسى. قال ابن عباس: هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة، بقوله: ﴿ ألحقنا بهم ذرياتهم ﴾ [الطور: ٢١]، فأدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء. وقال عكرمة: كان ذلك لقوم إبراهيم وموسى، فأما هذه الأمة

يكون ذلك تمريناً للعبادة. وفي الحديثين الآخرين دليل على أن الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها. وهو إجماع العلماء.

وكذلك أجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدين للنصوص الواردة في ذلك ويصح الحج عن الميت حجة الإسلام وكذا لو أوصى بحج تطوع على الأصح عند الشافعي واختلف العلماء في الصوم إذا مات وعليه صوم فالراجح جوازه عنه للأحاديث الصحيحة فيه والمشهور من مذهب الشافعي أن قراءة القرآن لا يصله ثوابها. وقال جماعة من أصحابه: يصله ثوابها. وبه قال أحمد بن حنبل وأما الصلوات وسائر التطوعات فلا يصله عند الشافعي والجمهور. وقال أحمد: يصله ثواب الجميع والله أعلم.

وقيل: أراد بالإنسان الكافر. والمعنى: ليس له من الخير إلا ما عمل هو فيثاب عليه في الدنيا بأن يوسع عليه في رزقه ويعافى في بدنه حتى لا يبقى له في الآخرة خير وروي أن عبد الله بن أبي ابن سلول كان أعطى العباس قميصاً ألبسه إياه فلما مات أرسل رسول الله ﷺ قميصه ليكفن فيه فلم يبق له في الآخرة حسنة يثاب عليها. وقيل: ليس للإنسان إلا ما سعى هو من باب العدل فأما من باب الفضل فجائز أن يزيده الله ما يشاء من فضله وكرمه ﴿**وأن سعيه سوف يرى**﴾ أي يراه في ميزانه يوم القيامة وفيه بشارة للمؤمن وذلك أن الله تعالى يريه أعماله الصالحة ليفرح بها ويحزن الكافر بأعماله الفاسدة فيزداد غماً ﴿**ثم يجزاه**﴾ أي السعي ﴿**الجزاء الأوفى**﴾ أي الأتم والأكمل. والمعنى: أن الإنسان يجزى جزاء سعيه الجزاء الأوفى. قوله عز وجل:

وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾

﴿**وأن إلى ربك المنتهى**﴾ أي إليه منتهى الخلق ومصيرهم إليه في الآخرة وهو مجازيهم بأعمالهم وفي المخاطب بهذا وجهان أحدهما أنه عام تقديره وأن إلى ربك أيها السامع أو العاقل كائناً من كان المنتهى فهو تهديد بليغ للمسيء وحث شديد للمحسن ليقلع المسيء عن إساءته ويزداد المحسن في إحسانه الوجه الثاني أن المخاطب بهذا

فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم، لِمَا رُوِيَ أن امرأة رفعت صبيّاً لها فقالت: يا رسول الله ألهذا حج؟ قال: «نعم ولك أجر»، وقال رجل للنبي ﷺ: إن أُمي افتلتت نفسها، فهل لها أجر إنْ تصدّقتُ عنها؟ قال: «نعم». وقال الربيع بن أنس: ﴿ **وأن ليس للإنسان إلاّ ما سعى** ﴾ يعني الكافر، فأما المؤمن فله ما سعى وما سُعِيَ له. قيل: **ليس** للكافر من الخير إلاّ ما عمل هو، فيُثاب عليه في الدنيا حتى لا يبقى له في الآخرة خير. ويُروى أن عبد الله بن أُبيّ كان أعطى العباس قميصاً ألبسه إيّاه، فلما مات أرسل رسول الله ﷺ قميصه ليكفّنه فيه، فلم يبقَ له حسنة في الآخرة يُثاب عليها.

﴿ **وأن سعيه سوف يُرى** ﴾، في ميزانه يوم القيامة، من أريته الشيء.

﴿ **ثم يُجزاه الجزاءَ الأوْفى** ﴾، الأكمل والأتم أي يُجزى الإنسان بسعيه، يقال: جزيت فلاناً سعيه وبسعيه، قال الشاعر:

إنْ أجزِ علقمة ابن سعد سعيَه ... لم أجزِه ببلاء يوم واحد

فجمع بين اللغتين.

﴿ **وأنّ إلى ربِّك المنتهى** ﴾، أي منتهى الخلق ومصيرهم إليه، وهو مُجازيهم بأعمالهم. وقيل: منه ابتداء

النبي ﷺ فعلى هذا، ففيه تسلية للنبي ﷺ. والمعنى: لا تحزن فإن إلى ربك المنتهى. وقيل. في معنى الآية: منه ابتداء المنة وإليه انتهاء الآمال. وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ في قوله ﴿**وإن إلى ربك المنتهى**﴾ قال لا فكرة في الرب.

وهذا مثل ما روي عن أبي هريرة مرفوعاً: «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنه لا تحيط به الفكرة». ومعناه: لا فكرة في الرب أي انتهى الأمر إليه لأنك إذا نظرت إلى سائر الموجودات الممكنة علمت أن لا بد لها من موجد وإذا علمت أن موجدها هو الله تعالى فقد انتهى الأمر إليه فهو إشارة إلى وجوده ووحدانيته سبحانه وتعالى: ﴿**وأنه هو أضحك وأبكى**﴾ أي هو القادر على إيجاد الضدين في محل واحد الضحك والبكاء ففيه دليل على أن جميع ما يعمله الإنسان فبقضاء الله وقدره وخلقه حتى الضحك والبكاء وقيل أضحك أهل الجنة في الجنة وأبكى أهل النار في النار قيل أضحك الأرض بالنبات وأبكى السماء بالمطر وقيل: أفرح وأحزن، لأن الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء عن جابر بن سمرة قال «جلست مع النبي ﷺ أكثر من مائة مرة وكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم إذا ضحكوا» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

وفي رواية سماك بن حرب: فيضحكون ويتبسم معهم إذا ضحكوا يعني النبي ﷺ. وسئل ابن عمر: هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟ قال: نعم والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبل (ق).

عن أنس قال: «خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط فقال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم خنين» وهو بالخاء المعجمة أي بكاء مع صوت يخرج من الأنف ﴿**وأنه هو أمات وأحيا**﴾ أي أمات في الدنيا وأحيا للبعث. وقيل: أمات الآباء وأحيا الأبناء. وقيل: أمات الكافر بالنكرة وأحيا المؤمن بالمعرفة ﴿**وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى**﴾ أي من كل حيوان وهو أيضاً من جملة

المنّة وإليه انتهاء الآمال. أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسن بن محمد الشيباني أنا محمد بن سليمان بن الفتح الحنبلي ثنا علي بن محمد المصري أنا أبو إسحاق بن منصور الصعدي أنا العباس بن زفر عن أبي جعفر الرازي عن أبيه عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أُبيّ بن كعب عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ **وأنّ إلى ربك المنتهى** ﴾، قال: «لا فِكْرَةَ في الربِّ»، وهذا مثل ما رُوِيَ عن أبي هريرة مرفوعاً: «تفكّروا في الخلق ولا تتفكّروا في الخالق». فإنه لا تحيط به الفكرة.

﴿ **وأنّه هو أضحك وأبكى** ﴾، فهذا يدلّ على أن كل ما يعمله الإنسان فبقضائه وخلقه حتى الضحك والبكاء، قال مجاهد والكلبي: أضحك أهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النار في النار. وقال الضحاك: أضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر. قال عطاء بن أبي مسلم: يعني فرّح وأحزن، لأن الفرح يجلب الضحك، والحزن يجلب البكاء. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد أنا قيس هو ابن الربيع الأسدي ثنا سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنتَ تجالس النبي ﷺ؟ قال: نعم وكان أصحابه يجلسون فيتناشدون الشعر، ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية، فيضحكون ويتبسّم معهم إذا ضحكوا، يعني النبي ﷺ. وقال معمر عن قتادة: سُئِلَ ابن عمر هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟ قال: «نعم والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبل».

﴿ **وأنه هو أمات وأحيا** ﴾، أي أمات في الدنيا وأحيا للبعث. وقيل: أمات الآباء وأحيا الأبناء. وقيل: أمات الكافر بالنكرة وأحيا المؤمن بالمعرفة.

المتضادات التي تتوارد على النطفة فيخلق بعضها ذكراً وبعضها أنثى وهذا شيء لا يصل إليه فهم العقلاء ولا يعلمونه وإنما هو بقدرة الله تعالى وخلقه لا بفعل الطبيعة ﴿من نطفة إذا تمنى﴾ أي تصب في الرحم. وقيل: تقدر. وفي هذا تنبيه على كمال قدرته، لأن النطفة شيء واحد خلق الله منها أعضاء مختلفة وطباعاً متباينة وخلق منها الذكر والأنثى وهذا من عجيب صنعته وكمال قدرته ولهذا لم يؤكده بقوله وأنه هو خلق لأنه لم يدع أحد إيجاد نفسه ولا خلقها ولا خلق غيره كما لم يقدر أحد أن يدعي خلق السموات والأرض ﴿وأن عليه النشأة الأخرى﴾ أي الخلق الثاني بعد الموت للبعث يوم القيامة.

وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾

﴿وأنه هو أغنى وأقنى﴾ أي أغنى الناس بالأموال وأعطى القنية وهي أصول الأموال وما يدخرونه بعد الكفاية. وقيل: أغنى بالذهب والفضة وصنوف الأموال وما يدخرونه بعد الكفاية. وأقنى: بالإبل والبقر والغنم. وقيل: أقنى أي أخدم.

وقال ابن عباس: أغنى وأقنى، أي أعطى فأرضى. وقيل: أغنى يعني رفع حاجته ولم يتركه محتاجاً إلى شيء لأن الغنى ضد الفقر، وأقنى: أي زاد فوق الغنى ﴿وأنه هو رب الشعرى﴾ أي أنه رب معبودهم وكانت خزاعة تعبد الشعرى وأول من سن لهم ذلك الرجل من أشرافهم يقال له أبو كبشة عبدها وقال: لأن النجوم تقطع السماء عرضاً

﴿ وأنه خلق الزوجين الذَّكر والأُنثى ﴾، من كل حيوان.

﴿ من نطفة إذا تمنّى ﴾، أي تصبّ في الرحم، يقال منى الرجل وأمنى. قال الضحاك وعطاء بن أبي رباح وقال آخرون: تقدر، يقال: منّيتُ الشيء إذا قدرته.

﴿ وأنّ عليه النشأة الأخرى ﴾، أي الخلق الثاني للبعث يوم القيامة.

﴿ وأنه هو أغنى وأقنى ﴾، قال أبو صالح: أغنى الناس بالأموال وأقنى أي أعطى القنية وأصول الأموال وما يدّخرونه بعد الكفاية. قال الضحاك: أغنى بالذهب والفضة وصنوف الأموال بالإبل والبقر والغنم. وقال قتادة والحسن: أقنى أخدم. وقال ابن عباس: أغنى وأقنى أعطى فأرضى. قال مجاهد ومقاتل: أقنى أرضى بما أعطى وقنع. وقال ابن زيد: أغنى أكثر وأقنى أقـل، وقرأ: ﴿ يبسط الـرزق لمَن يشاء ويقـدر ﴾ [الرعد: ٢٦، الإسراء: ٣٠، سبأ: ٣٦، الزّمر: ٥٢، الشورى: ١٢]، وقال الأخفش: أقنى أفقر. وقال ابن كيسان: أولد.

﴿ وأنه هو ربُّ الشعرى ﴾، وهو كوكب خلف الجوزاء وهما شعريان، فقال لأحدهما العبور وللأخرى الغميصاء، سُمّيت بذلك لأنها أخفى من الأخرى، والمجرّة بينهما. وأراد ههنا الشعرى العبور وكانت خزاعة تعبدها، وأول مَن سنّ لهم ذلك رجل من أشرافهم يقال له أبو كبشة عبدها، وقال: لأن النجوم تقطع السماء عرضاً، والشعرى طولاً فهي مخالفة لها، فعبدتْها خزاعة، فلما خرج رسول الله ﷺ على خلاف العرب في الدين سمّوه ابن أبي كبشة لخلافه إيّاهم كخلاف أبي كبشة في عبادة الشِّعرى.

﴿ وأنه أهلك عاداً الأولى ﴾، قرأ أهل المدينة والبصرة بلام مشدّدة بعد الدال، ويهمز وَاوَهُ قالون عن نافع، والعرب تفعل ذلك فتقول: قم لآن عنّا، تريد: قم الآن عنّا، ويكون الوقف عندهم عاداً، والابتداء: أولى، بهمزة

والشعرى تقطعها طولاً فهي مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله ﷺ على خلاف العرب في الدين سموه ابن أبي كبشة تشبيهاً له في خلافه إياهم كما خالفهم أبو كبشة وعبد الشعرى وهو كوكب يضيء خلف الجوازء ويسمى كلب الجبار أيضاً وهما اثنتان: يمانية وشامية يقال لإحداهما العبور والأخرى الغميصاء. سميت بذلك لأنها أخفى من العبور والمجرة بينهما. وأراد بالشعرى هنا العبور ﴿**وأنه أهلك عاداً الأولى**﴾ وهم قوم هود أهلكوا بريح صرصر وكان لهم عقب فكانوا عاداً أخرى وقيل: الأخرى إرم. وقيل: الأولى يعني أول الخلق هلاكاً بعد قوم نوح ﴿**وثمود**﴾ وهم قوم صالح أهلكهم الله بالصيحة ﴿**فما أبقى**﴾ يعني منهم أحداً ﴿**وقوم نوح من قبل**﴾ يعني أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود بالغرق ﴿**إنهم كانوا هم أظلم وأطغى**﴾ يعني لطول دعوة نوح إياهم وعتّوهم على الله بالمعصية والتكذيب ﴿**والمؤتفكة**﴾ يعني قرى قوم لوط ﴿**أهوى**﴾ أي أسقط وذلك أن جبريل رفعها إلى السماء ثم أهوى بها ﴿**فغشاها**﴾ أي ألبسها الله ﴿**ما غشي**﴾ يعني الحجارة المنضودة المسومة ﴿**فبأي آلاء ربك تتمارى**﴾ أي تشكُّ أيها الإنسان. وقيل: أراد الوليد بن المغيرة. قال ابن عباس: تتمارى أي تكذب ﴿**هذا نذير**﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿**من النذر الأولى**﴾ أي رسول من الرسل المتقدمة أرسل إليكم كما أرسلت الرسل إلى قومهم وقيل: أنذر محمد كما أنذرت الرسل من قبله.

أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

﴿**أزفت الآزفة**﴾ أي قربت القيامة واقتربت الساعة ﴿**ليس لها من دون الله كاشفة**﴾ أي مظهرة ومبينة متى تقوم. وقيل: معناه ليس لها نفس قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله غير أنه لا يكشفها. وقيل: الكاشفة مصدر بمعنى

واحدة مفتوحة بعدها لام مضمومة، ويجوز الابتداء: لولى، بحذف الهمزة المفتوحة، وقرأ الآخرون: ﴿ **عاداً الأولى** ﴾، وهم قوم هود أهلكوا بريح صرصر فكان لهم عقب فكانوا عاداً الأُخرى.

﴿ **وثمودَا** ﴾، وهم قوم صالح أهلكهم الله بالصيحة، ﴿ **فما أبقى** ﴾، منهم أحداً.

﴿ **وقومَ نوحٍ من قبل** ﴾، أي أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود، ﴿ **إنهم كانوا هم أظلم وأطغى** ﴾، لطول دعوة نوح إيّاهم وعتوّهم على الله بالمعصية والتكذيب.

﴿ **والمؤتفكة** ﴾، يعني قرى قوم لوط، ﴿ **أهوى** ﴾، أسقط أي أهواها جبريل بعدما رفعها إلى السماء.

﴿ **فغشاها** ﴾، ألبسها الله، ﴿ **ما غشى** ﴾، يعني الحجارة المنضودة المسومة.

﴿ **فبأيّ آلاء ربك** ﴾، نعم ربك أيها الإنسان، وقيل: أراد الوليد بن المغيرة، ﴿ **تتمارى** ﴾، تشكّ وتجادل، قال ابن عباس: تكذب.

﴿ **هذا نذير** ﴾، يعني محمداً، ﴿ **من النذر الأولى** ﴾، أي رسول من أرسل إليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم، وقال قتادة يقول أنذر محمدٌ كما أنذر الرسلُ من قبله.

﴿ **أزفت الآزفة** ﴾، دنت القيامة واقتربت الساعة.

﴿ **ليس لها من دون الله كاشفة** ﴾، أي مظهرة مقيمة كقوله تعالى: ﴿ **لا يجليها لوقتها إلاّ هو** ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، والهاء فيه للمبالغة أو على تقدير نفس كاشفة، ويجوز أن تكون الكاشفة مصدراً كالخيالة والعافية، والمعنى: ليس لها من دون الله كاشف، أي لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره. وقيل: معناه ليس لها رادّ يعني إذا غشيت الخلق أهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردّها عنهم أحد، وهذا قول عطاء وقتادة والضحاك.

الكشف كالعافية. والمعنى: لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره. وقيل: معناه ليس لها رد يعني: إذا غشيت الخلق أهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردها عنهم أحد.

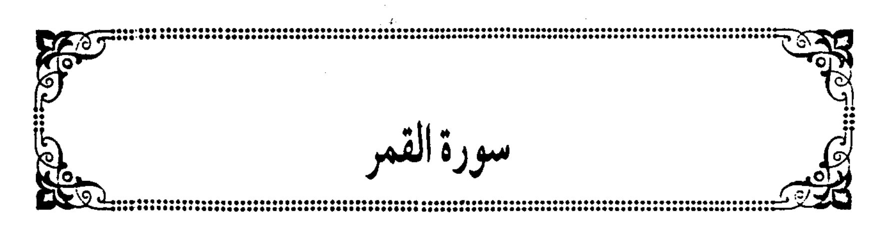
قوله تعالى: ﴿أفمن هذا الحديث﴾ يعني القرآن ﴿تعجبون﴾ تنكرون ﴿وتضحكون﴾ أي استهزاء ﴿ولا تبكون﴾ أي مما فيه من الوعيد ﴿وأنتم سامدون﴾ أي لاهون غافلون قاله ابن عباس. وعنه، أن السمود هو الغناء بلغة أهل اليمن وكانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا. ولعبوا وأصل السمود في اللغة، رفع الرأس، مأخوذ، من سمد البعير إذا رفع رأسه وجد في سيره والسامد اللاهي والمعنى. وقيل: معناه أشرون بطرون. وقال مجاهد: غضاب مبرطمون قيل له: وما البرطمة؟ قال: الإعراض ﴿فاسجدوا لله﴾ يعني أيها المؤمنون شكراً على الهداية. وقيل: هذا محمول على سجود التلاوة. وقيل: على سجود الفرض في الصلاة ﴿واعبدوا﴾ أي اعبدوا الله وإنما قال: واعبدوا، إما لكونه معلوماً، وإما لأن العبادة في الحقيقة لا تكون إلا لله تعالى (ق) عن عبد الله بن مسعود: «أن رسول الله ﷺ قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير أن شيخاً من قريش أخذ كفاً من حصباء أو تراب فرفعه إلى جبهته وقال: يكفيني هذا قال عبد الله فلقد رأيته بعد قتل كافر» زاد البخاري في رواية له قال: «أول سورة نزلت فيها سجدة النجم وذكره» وقال في آخره وهو «أمية بن خلف» (خ).

عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس (ق) عن زيد بن ثابت قال: «قرأت على رسول الله ﷺ النجم فلم يسجد فيها» ففي هذا الحديث دليل على أن سجود التلاوة غير واجب وهو قول الشافعي وأحمد وقال عمر بن الخطاب: إن الله لم يكتبها علينا إلا أن نشاء وذهب قوم إلى وجوبها على القارىء والمستمع وهو قول سفيان وأصحاب الرأي والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ أفمن هذا الحديث ﴾، يعني القرآن، ﴿ تعجبون * وتضحكون ﴾، الاستهزاء، ﴿ ولا تبكون ﴾ لما فيه من الوعد والوعيد.

﴿ وأنتم سامدون ﴾، لاهون غافلون، والسمود الغفلة عن الشيء واللهو، يقال: دعا عنّا سمودك أي لهوك، هذا رواية الوالبي والعوفي عن ابن عباس، وقال عكرمة عنه: هو الغناء بلغة أهل اليمن وكانوا إذا سمعوا القرآن تغنّوا ولعبوا، وقال الضحاك: أشِرون بطرون. وقال مجاهد: غضاك مبروطون. فقيل له: ما البرطمة؟ قال: الإعراض.

﴿ فاسجدُوا لله واعبدوا ﴾، أي واعبدوه، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا مسدد ثنا عبد الوارث ثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ: سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجنّ والإنس. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا محمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل ثنا نصر بن علي أخبرني أبو أحمد ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الأسود بن يزيد عن عبد الله قال: أول سورة أُنزلت فيها سجدة النجم، قال: فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه إلّا رجلاً رأيته أخذ كفّاً من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً وهو أُميّة بن خلف. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا آدم بن أبي إياس أنا ابن ذئب أنا يزيد بن عبد الله بن قسيط عن عطاء بن يسار عن زيد بن ثابت قال: قرأت على النبي ﷺ والنجم فلم يسجد فيها، فقلت: هذا دليل على أن سجود التلاوة غير واجب. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الله لم يكتبها علينا إلّا أن نشاء. وهو قول الشافعي وأحمد. وذهب قوم إلى أن وجوب التلاوة على القارىء والمستمع جميعاً، وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي.



سورة القمر

(مكية وهي خمس وخمسون آية وثلاثمائة واثنتان وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وثلاثون وعشرون حرفاً)

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر ﴿١﴾ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴿٢﴾ وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ﴿٣﴾

قوله عز وجل: ﴿**اقتربت الساعة**﴾ أي دنت القيامة ﴿**وانشق القمر**﴾ قيل: فيه تقديم وتأخير تقديره انشق القمر واقتربت الساعة وانشقاق القمر من آيات رسول الله ﷺ الظاهرة ومعجزاته يدل عليه ما روي عن أنس: «أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين».

أخرجه البخاري ومسلم. وزاد الترمذي فنزلت ﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر**﴾ إلى قوله ﴿**سحر مستمر**﴾ ولهما عن ابن مسعود. قال: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين فقال رسول الله ﷺ اشهدوا» وفي رواية أخرى قال: «بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذ انفلق القمر فلقتين، فلقة فوق الجبل، وفلقة دونه. فقال لنا رسول الله ﷺ: اشهدوا» ولهما عن ابن عباس قال: «إن القمر انشق في زمن رسول الله ﷺ» (م) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فلقتين فستر الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل فقال رسول الله ﷺ: اشهدوا» وعن جبير بن مطعم قال: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين فقالت قريش سحر محمد أعيننا، فقال بعضهم لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم» أخرجه الترمذي وزاد غيره فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم بأنهم قد رأوه فيكذبونهم.

قال مقاتل: انشق القمر ثم التأم بعد ذلك. وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال: انشق القمر على عهد

سُوْرَة القمر

مكيّة وهي خمس وخمسون آية.

﴿ **اقتربتِ الساعةُ** ﴾، دنت القيامة، ﴿ **وانشقّ القمر** ﴾، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبد الله بن عبد الوهاب أنا بشر بن المفضل ثنا سعيد بن أبي عروة عن قتادة عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حرّاء بينهما، وقال شيبان عن قتادة: فأراهم انشقاق القمر مرتين. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا مسدد ثنا يحيىٰ عن شعبة وسفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود قال: انشقّ القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال

رسول الله ﷺ فقالت قريش: سحركم ابن أبي كبشة فسألوا السفارة فقالوا: نعم. قد رأيناه فأنزل الله تعالى: اقتربت الساعة وانشق القمر. فهذه الأحاديث الصحيحة قد وردت بهذه المعجزة العظيمة، مع شهادة القرآن المجيد بذلك فإنه أدل دليل وأقوى مثبت له وإمكانه لا يشك فيه مؤمن وقد أخبر عنه الصادق فيجب الإيمان به واعتقاد وقوعه.

وقال الشيخ محيي الدين النووي في شرح صحيح مسلم، قال الزجاج: وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين المخالفي الملة وذلك لما أعمى الله قلبه ولا إنكار للعقل فيها لأن القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره في آخر أمره. فأما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا النقل متواتراً واشترك أهل الأرض كلهم في رؤيتهم له ومعرفته ولم يختص بها أهل مكة فأجاب العلماء عن هذا بأن هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والأبواب مغلقة وهم مغطون بثيابهم فقل من يتفكر في السماء أو ينظر إليها إلا الشاذ النادر. ومما هو مشاهد معتاد أن كسوف القمر وغيره مما يحدث في السماء في الليل من العجائب والأنوار والطوالع والشهب العظام ونحو ذلك يقع ولا يتحدث به إلا آحاد الناس ولا علم عند غيرهم بذلك لما ذكرناه من غفلة الناس. وكان هذا الانشقاق آية عظيمة حصلت في الليل لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها، فلم يتأهب غيرهم لها. قال العلماء: وقد يكون القمر حينئذ في بعض المجاري والمنازل التي تظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض كما يكون ظاهراً لقوم غائباً عن قوم وكما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد والله أعلم وقيل في معنى الآية ينشق القمر يوم القيامة وهذا قول باطل لا يصح وشاذ لا يثبت لإجماع المفسرين على خلافه ولأن الله ذكره بلفظ الماضي وحمل الماضي على المستقبل بعيد يفتقر إلى قرينة تنقله أو دليل يدل عليه وفي قوله تعالى: ﴿**وإن يروا آية يعرضوا**﴾ دليل على وجود هذه الآية العظيمة وقد كان ذلك في زمن رسول الله ﷺ والمعنى: وإن يروا آية أي تدل على صدق رسول الله ﷺ، والمراد بالآية هنا انشقاق القمر يعرضوا أي عن التصديق بها ﴿**ويقولوا سحر مستمر**﴾ أي دائم مضطرد.

وكل شيء دام حاله قيل فيه: مستمر.

وذلك لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات فقالوا هذا سحر مستمر: وقيل مستمر أي قوي محكم شديد بعلوه يعلو كل سحر.

قيل: مستمر أي ذاهب سوف يبطل ويذهب ولا يبقى وإنما قالوا ذلك تمنية لأنفسهم وتعليلاً ﴿**وكذبوا**﴾ يعني

رسول الله ﷺ: «اشهدوا»، وقال أبو الضحى عن مسروق عبد الله قال: انشقّ القمر بمكة. وقال مقاتل: انشقّ القمر ثم الْتأم بعد ذلك. وروى أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله قال: انشقّ القمر على عهد رسول الله ﷺ، **فقالت قريش**: سحركم ابن أبي كبشة، فاسألوا السُّفّار، فسألوهم، فقالوا: نعم قد رأيناه، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ **اقتربتِ الساعة وانشقّ القمر** ﴾.

﴿ **وإنْ يروا آية يُعرضوا ويقولوا سحر مستمر** ﴾، أي ذاهب وسوف يذهب ويبطل من قولهم مرّ الشيء واستمر إذا ذهب، مثل قولهم: قرّ واستقر، هذا قول مجاهد وقتادة، وقال أبو العالية والضحاك: مستمر، أي قوي شديد يعلو كل سحر من قولهم مرّ الحبل إذا صَلُبَ واشتدّ، وأمررته أنا إذا أحكمت فَتْله واستمر الشيء إذا قوي واستحكم.

﴿ **وكذبوا واتبعوا أهواءهم** ﴾، أي كذبوا النبي ﷺ وما عاينوا من قدرة الله عزّ وجلّ، واتبعوا ما زيّن لهم الشيطان من الباطل، ﴿ **وكل أمر مستقر** ﴾، قال الكلبي: لكل أمر حقيقة ما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة فسيعرف. وقال قتادة: كل أمر مستقر فالخير مستقر بأهل الخير، والشرّ مستقر بأهل الشر. وقيل: كل أمر

النبي ﷺ وما عاينوا من قدرة الله ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ أي ما زين لهم الشيطان من الباطل وقيل: هو قولهم إنه سحر القمر ﴿وكل أمر مستقر﴾ أي لكل أمر حقيقة فما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة فسيعرف. وقيل: كل أمر مستقر. فالخير مستقر بأهله في الجنة، والشر مستقر بأهله في النار، وقيل: يستقر قول المصدقين والمكذبين حين يعرفون حقيقته بالثواب أو العقاب. وقيل: معناه لكل حديث منتهى. وقيل: ما قدر فهو كائن وواقع لا محالة. وقيل: هو جواب قولهم سحر مستمر يعني ليس أمره بذاهب كما زعمتم بل كل أمر من أموره مستقر وإن أمر محمد رسول الله ﷺ سيظهر إلى غاية يتبين فيها أنه حق

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾

﴿ولقد جاءهم﴾ يعني أهل مكة ﴿من الأنباء﴾ أي من أخبار الأمم الماضية المكذبة في القرآن ﴿وما فيه مزدجر﴾ أي منتهى وموعظة ﴿حكمة بالغة﴾ يعني القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية ﴿فما تغني النذر﴾ يعني أي غنى تغني النذر إذا خالفوهم وكذبوهم ﴿فتول عنهم﴾ أي أعرض عنهم نسختها آية القتال ﴿يوم يدع الداع﴾ أي اذكر يا محمد يوم يدع الداعي وهو إسرافيل ينفخ في الصور قائماً على صخرة بيت المقدس ﴿إلى شيء نكر﴾ أي منكر فظيع لم يروا مثله،

من خير أو شر مستقر قراره، فالخير مستقر بأهله في الجنة، والشرّ مستقر بأهله في النار. وقيل: يستقر قول المصدقين والمكذّبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب. وقال مقاتل: لكل حديث منتهى. وقيل: كل ما قدّر كائن واقع لا محالة. وقرأ أبو جعفر ﴿ مستقر ﴾ بجرّ الراء، ولا وجه له.

﴿ ولقد جاءهم ﴾، يعني أهل مكة، ﴿ من الأنباء ﴾، من أخبار الأمم المكذّبة في القرآن، ﴿ ما فيه مزدجر ﴾، لا منتهى مصدر بمعنى الازدجار، أي نهي وعظة، يقال زجرته وازدجرته إذا نهيته عن السوء، وأصله مزتجر، قُلبت التاء دالاً.

﴿ حكمة بالغة ﴾، يعني القرآن حكمة تامّة قد بلغت الغاية في الزجر، ﴿ فما تغني النذر ﴾، يجوز أن تكون (ما) نفياً على معنى فليست تغني النذر، ويجوز أن يكون استفهاماً، والمعنى: فأيّ شيء تغني النذر إذا خالفوهم وكذّبوهم، كقوله: ﴿ وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ [يونس: ١٠١]، والنذر جمع نذير.

﴿ فتولّ عنهم ﴾، أي أعرض عنهم نسختها آية القتال. قيل: ههنا وقف تام. وقيل: فتول عنهم. ﴿ يوم يدعُ الداعِ ﴾، أي إلى يوم الداعي، قال مقاتل: هو إسرافيل ينفخ قائماً على صخرة بيت المقدس، ﴿ إلى شيء نُكر ﴾، منكر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاماً، قرأ ابن كثير: (نكر) بسكون الكاف، والآخرون بضمّها.

﴿ خُشعاً أبصارهم ﴾، قرأ أبو عمرو ويعقوب وحمزة والكسائي: (خاشعاً) على الواحد، وقرأ الآخرون: ﴿ خُشّعاً ﴾ بضم الخاء وتشديد الشين على الجمع، ويجوز في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيد والجمع والتذكير والتأنيث، تقول: مررتُ برجال حسن أوجههم وحسنة أوجههم وحسان أوجههم، قال الشاعر:

ورجال حسن أوجههم ... من إياد بن نزار بن معد

وفي قراءة عبد الله: (خاشعة أبصارهم) أي ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب. ﴿ يخرجون من الأجداث ﴾، من القبور، ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾، منبث حيارى، وذكر المنتشر على لفظ الجراد، نظيرها: ﴿ كالفراش

فينكرونه استعظاماً له ﴿خشعاً﴾ وقرىء خاشعاً ﴿أبصارهم﴾ أي ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب ﴿يخرجون من الأجداث﴾ يعني من القبور ﴿كأنهم جراد منتشر﴾ مثل في كثرتهم وتموج بعضهم في بعض حيارى فزعين.

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾

﴿مهطعين﴾ مسرعين مادي أعناقهم مقبلين ﴿إلى الداع﴾ يعني إلى صوت الداعي وهو إسرافيل وقيل ناظرين إليه لا يقلعون بأبصارهم ﴿يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾ أي صعب شديد وفيه إشارة إلى أن ذلك اليوم يوم شديد على الكافرين لا على المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿كذبت قبلهم﴾ أي قبل أهل مكة ﴿قوم نوح فكذبوا عبدنا﴾ يعني نوحاً ﴿وقالوا مجنون وازدجر﴾ أي زجروه على دعوته ومقالته بالشم والوعيد بقولهم «لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين» ﴿فدعا﴾ يعني نوحاً ﴿ربه﴾ وقال ﴿إني مغلوب﴾ أي مقهور ﴿فانتصر﴾ أي فانتقم لي منهم ﴿ففتحنا أبواب السماء﴾ قيل هو على ظاهره وللسماء أبواب تفتح وتغلق ولا يستبعد ذلك لأنه قد صح في الحديث أن للسماء أبواباً. وقيل: هو على الاستعارة، فإن الظاهر أن يكون المطر من السحاب ﴿بماء منهمر﴾ أي منصب انصباباً شديداً لم ينقطع أربعين يوماً ﴿وفجرنا

المبثوث ﴾ [القارعة: ٤]، وأراد أنهم يخرجون فَزِعين لا جهة لأحد منهم يقصدها كالجراد لا جهة لها تكون مختلطة بعضها في بعض.

﴿ مهطعين ﴾، مسرعين مقبلين، ﴿ إلى الداع ﴾، إلى صوت إسرافيل، ﴿ يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾، صعب شديد.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ كذّبت قبلهم ﴾، أي قبل أهل مكة، ﴿ قوم نوح فكذبوا عبدنا ﴾، نوحاً، ﴿ وقالوا مجنون وازدجر ﴾، أي زجروه عن دعوته ومقالته بالشتم والوعيد، وقالوا: ﴿ لئن لم تنته يا نوح لتكوننّ من المرجومين ﴾ [الشعراء: ١١٦]، وقال مجاهل معنى: ازدجر أي استطير جنوناً.

﴿ فدعا ﴾، نوح، ﴿ ربّه ﴾، وقال، ﴿ أنّي مغلوب ﴾، مقهور، ﴿ فانتصر ﴾، فانتقم لي منهم.

﴿ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ﴾، مُنصبّ انصباباً شديداً لم ينقطع أربعين يوماً، وقال يمان: قد طبق ما بين السماء والأرض.

﴿ وفجّرنا الأرضَ عيوناً فالتقى الماء ﴾، يعني ماء السماء وماء الأرض، وإنما قال: التقى الماء والالتقاء لا يكون من واحد إنما يكون بين اثنين فصاعداً لأن الماء يكون جمعاً وواحداً، وقرأ عاصم الجحدري: فالتقى الماآن. ﴿ على أمر قد قُدِرَ ﴾، أي قضى عليهم في أُم الكتاب. وقال مقاتل: قدرالله أن يكون الماآن سواء فكانا على ما قدر.

﴿ وحملناه ﴾، يعني نوحاً، ﴿ على ذات ألواح وَدُسُرٍ ﴾، أي سفينة ذات ألواح. ذكر النعت وترك الاسم، أراد بالألواح خشب السفينة العريضة، ﴿ ودسر ﴾ أي المسامير التي تُشَدّ بها الألواح، واحدها دسار ودسير، يقال: دسرت السفينة إذا شددتها بالمسامير. وقال الحسن: الدُّسر صدر السفينة سُمّيت بذلك لأنها تدسر الماء بجؤجؤها،

الأرض عيوناً﴾ أي وجعلنا الأرض كلها عيوناً تسيل بالماء **﴿فالتقى الماء﴾** يعني ماء السماء وماء الأرض **﴿على أمر قد قدر﴾** أي قضى عليهم في أم الكتاب.

وقيل قدر الله أن يكون الماءان سواء فكانا على ما قدر **﴿وحملناه﴾** يعني نوحاً **﴿على ذات ألواح﴾** يعني سفينة ذات ألواح. وأراد بالألواح، خشب السفينة العريضة. **﴿ودسر﴾** هي المسامير التي تشد بها الألواح وقيل الدسر صدر السفينة. وقيل: هي عوارض السفينة وأضلاعها.

وقيل: الألواح: جانبا السفينة، والدسر: أصلها وطرفاها. **﴿تجري﴾** يعني السفينة **﴿بأعيننا﴾** يعني بمرأى منا. وقيل: بحفظنا. وقيل: بأمرنا **﴿جزاء لمن كان كفر﴾** يعني فعلنا ذلك به وبهم من إنجاء نوح وإغراق قومه ثواباً لنوح لأنه كان كفر به وجحد أمره. وقيل لمن بمعنى لما أي جزاء لما كان كفر من أيادي الله ونعمه عند الذين أغرقهم. وقيل: جزاء لما صنع بنوح وأصحابه.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝١٦ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝١٨ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝٢٠ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝٢١ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٢٢ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ۝٢٣ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٢٤﴾

﴿ولقد تركناها آية﴾ يعني الفعلة التي فعلنا بهم آية يعتبر بها. وقيل: أراد السفينة. قال قتادة: أبقاها الله تعالى بأرض الجزيرة عبرة حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة **﴿فهل من مدكر﴾** يعني متذكر معتبر متعظ خائف مثل عقوبتهم (ق) عن ابن مسعود قال «قرأت على رسول الله ﷺ مذكر فردها عليّ» وفي رواية أخرى «سمعته يقرؤها فهل من مدكر دالاً» **﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾** يعني إنذاري **﴿ولقد يسرنا القرآن﴾** يعني سهلنا القرآن **﴿للذكر﴾** يعني ليتذكر ويعتبر

أي تدفع. وقال مجاهد: هي عوارض السفينة. وقيل: أضلاعها. وقال الضحاك: الألواح جانباها، والدسر أصلها وطرفاها.

﴿ تجري بأعيننا ﴾، أي بمرأى منّا. وقال مقاتل بن حيّان: بحفظنا، ومنه قولهم للمودع: عين الله عليك. وقال سفيان: بأمرنا. **﴿ جزاءً لمَن كان كفر ﴾**، يعني فعلنا به وبهم من إنجاء نوح وإغراق قومه ثواباً لمَن كان كفر به وجحد أمره، وهو نوح عليه السلام، وقيل: من بمعنى ما أي جزاء لما كان كفر من أيادي الله ونعمه عند الذين أغرقهم، أو جزاء لِمَا صنع بنوح وأصحابه وقرأ مجاهد، جزاء لَمَن كان كفر بفتح الكاف والفاء، يعني كان الغرق جزاء لمَن كان كفر بالله وكذّب رسوله.

﴿ ولقد تركناها ﴾، يعني الفعلة التي فعلنا، **﴿ آية ﴾**، يعتبر بها. وقيل: أراد السفينة. قال قتادة: أبقاها الله بباقر دي من أرض الجزيرة، عبرة وآية حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة، **﴿ فهل من مدّكر ﴾**، أي متذكّر متّعظ معتبر خائف مثل عقوبتهم. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو نعيم ثنا زهير عن أبي إسحاق أنه سمع رجلاً سأل الأسود عن قوله: **﴿ فهل من مُدَّكر ﴾** أو مذكّر؟ قال: سمعت عبد الله يقرأها **﴿ فهل من مُدَّكر ﴾**، وقال سمعت النبي ﷺ يقرؤها: **﴿ فهل من مُدَّكر ﴾** دالاً.

﴿ فكيف كان عذابي ونذر ﴾، أي إنذار، قال الفرّاء: الإنذار والنذر مصدران، تقول العرب: أنذرت إنذاراً

به قال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شيء من كتب الله تعالى يقرأ كله ظاهراً إلا القرآن ﴿**فهل من مدكر**﴾ يعني متعظ بمواعظه وفيه الحث على تعليم القرآن والاشتغال به لأنه قد يسره الله وسهله على من يشاء من عباده بحيث يسهل حفظه للصغير والكبير والعربي والعجمي وغيرهم.

قوله تعالى: ﴿**كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر**﴾ أي إنذاري لهم بالعذاب ﴿**إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصرا**﴾ أي شديدة الهبوب ﴿**في يوم نحس**﴾ أي يوم شؤم ﴿**مستمر**﴾ أي دائم الشؤم استمر على جميعهم بنحو سنة فلم يبق منهم أحد إلا هلك فيه.

وقيل: كان ذلك اليوم يوم الأربعاء في آخر الشهر ﴿**تنزع الناس**﴾ أي الريح تقلعهم ثم ترمي بهم على رؤوسهم فتدق رقابهم. قيل: كانت تنزعهم من حفرهم ﴿**كأنهم أعجاز نخل**﴾ قال ابن عباس: أصول نخل ﴿**منقعر**﴾ أي منقطع من مكانه ساقط على الأرض. قيل: كانت الريح تبين رؤوسهم من أجسامهم فتبقي أجسامهم بلا رؤوس كعجز النخلة الملقاة ﴿**فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر**﴾ أي بالإنذار الذي جاء به صالح ﴿**فقالوا أبشرا منا واحداً**﴾ يعني آدمياً واحداً منا ﴿**نتبعه**﴾ أي ونحن جماعة كثيرون ﴿**إنا إذاً لفي ضلال**﴾ أي خطأ وذهاب عن الصواب ﴿**وسعر**﴾ قال ابن عباس: عذاب. وقيل: شدة عذاب وقيل إنا لفي عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته. وقيل: لفي جنون. وقيل: لفي بعد عن الحق.

أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ

ونذراً، كقولهم أنفقت إنفاقاً ونفقةً، وأيقنت إيقاناً ويقيناً، أُقيم الاسم مقام المصدر.

﴿ **ولقد يسّرنا** ﴾، سهّلنا، ﴿ **القرآن للذكر** ﴾، ليتذكّر ويعتبر به، وقال سعيد بن جبير: **يسّرناه للحفظ** والقراءة، وليس شيء من كتب الله يقرأ كله ظاهراً إلّا القرآن. ﴿ **فهل من مُدَّكر** ﴾، متّعظ بمواعظه.

﴿ **كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر * إنّا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً** ﴾، شديد الهبوب، ﴿ **في يوم نحس مستمر** ﴾، شديد دائم الشؤم، استمر عليهم بنحو سنة فلم يبقَ منهم أحد إلّا أهلكه، قيل: كان ذلك يوم الأربعاء في آخر الشهر.

﴿ **تنزع الناس** ﴾، تقلعهم ثم ترمي بهم على رؤوسهم فتدقّ رِقابهم. ورُوِيَ أنها كانت تنزع الناس من قبورهم، ﴿**كأنهم أعجاز نخل** ﴾، قال ابن عباس: أصولها، وقال الضحاك: أوراك نخل. ﴿ **منقعر** ﴾، منقلع من مكانه ساقط على الأرض وواحد الأعجاز عجز، مثل عضد وأعضاد، وإنما قال: ﴿ **أعجاز نخل** ﴾ وهي أُصولها التي قطعت فروعها لأن الريح كانت تبيّن رؤوسهم من أجسادهم، فتبقى أجسادهم بلا رؤوس.

﴿ **فكيف كان عذابي ونذر * ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مُدَّكر * كذّبت ثمود بالنذر** ﴾، بالإنذار الذي جاءهم به صالح.

﴿ **فقالوا أبشراً** ﴾، آدمياً، ﴿ **منّا واحداً نتبعه** ﴾، ونحن جماعة كثيرة وهو واحد، ﴿ **إنّا إذاً لفي ضلال** ﴾، خطأ وذهاب عن الصواب، ﴿ **وسُعُر** ﴾، قال ابن عباس: عذاب. وقال الحسن: شدّة عذاب. وقال قتادة: عناء، يقولون: إنّا إذاً لفي عناءٍ وعذاب مما يلزمنا من طاعته. قال سفيان بن عيينة: هو جمع سعير. وقال الفرّاء: جنون، يقال ناقة مسعورة إذا كانت خفيفة الرأس هائمة على وجهها. وقال وهب: وسُعُر: أي بُعْد عن الحق.

فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾
فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾

﴿أألقي الذكر عليه﴾ يعني أأنزل الوحي عليه ﴿من بيننا بل هو كذاب أشر﴾ أي بطر متكبر يريد أن يتعظم علينا بادعائه النبوة ﴿سيعلمون غداً﴾ أي حين ينزل بهم العذاب. وقيل: يعني يوم القيامة وإنما ذكر الغد للتقريب ﴿من الكذاب الأشر﴾ أي صالح أم من كذبه ﴿إنا مرسلو الناقة﴾ أي باعثوها ومخرجوها من الهضبة التي سألوا، وذلك أنهم تعنتوا على صالح فسألوه أن يخرج لهم من صخرة حمراء ناقة عشراء فقال الله تعالى إنا مرسلو الناقة ﴿فتنة﴾ أي محنة واختباراً ﴿لهم فارتقبهم﴾ أي فانتظر ما هم صانعون ﴿واصطبر﴾ أي على أذاهم ﴿ونبئهم﴾ أي أخبرهم ﴿أن الماء قسمة بينهم﴾ أي بين الناقة وبينهم لها يوم ولهم يوم وإنما قال تعالى بينهم تغليباً للعقلاء ﴿كل شرب﴾ أي نصيب من الماء ﴿محتضر﴾ أي يحضره من كانت نوبته فإذا كان يوم الناقة حضرت شربها وإذا كان يومهم حضروا شربهم. وقيل: يعني يحضرون الماء إذا غابت الناقة فإذا جاءت حضروا اللبن ﴿فنادوا صاحبهم﴾ يعني قدار بن سالف ﴿فتعاطى﴾ أي فتناول الناقة بسيفه ﴿فعقر﴾ يعني الناقة ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ ثم بين عذابهم فقال تعالى: ﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة﴾ يعني صيحة جبريل ﴿فكانوا كهشيم المحتظر﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الرجل يحظر لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم. وقيل: هو الشجر البالي الذي يهشم حين تذروه الرياح.

﴿ أأُلْقِي الذّكرُ ﴾، أأُنزل الذّكر الوحي، ﴿ عليه من بيننا بل هو كذاب أشِر ﴾، بطر متكبّر يريد أن يتعظّم علينا بادّعائه النبوّة، والأشِر المرح والتجبّر.

﴿ سيعلمون ﴾، قرأ ابن عامر وحمزة: (ستعلمون)، بالتاء على معنى قول صالح لهم، وقرأ الآخرون بالياء، يقول الله تعالى: ﴿ سيعلمون غداً ﴾، حين ينزل بهم العذاب. وقال الكلبي: يعني يوم القيامة وذكر الغد للتقريب على عادة الناس، يقولون: إن مع اليوم غداً، ﴿ مَّنِ الكذّاب الأشِر ﴾.

﴿ إنّا مُرْسِلُوا الناقة ﴾، أي باعثوها ومُخرِجوها من الهضبة التي سألوا أن يخرجها منها، وذلك أنهم تعنّتوا على صالح، فسألوه أن يخرج لهم من صخرة ناقةً حمراء عشراءَ، فقال الله تعالى: ﴿ إنّا مُرْسِلُوا الناقة فتنةً لهم ﴾، محنةً واختباراً لهم، ﴿فارتقبهم﴾، فانتظر ما هم صانعون، ﴿واصطبر﴾، على ارتقابهم، وقيل: على ما يصيبك من الأذى.

﴿ ونبّئهم أن الماء قسمة بينهم ﴾، وبين الناقة، يوم لها ويوم لهم، وإنما قال بينهم لأن العرب إذا أخبرت عن بني آدم وعن البهائم غلبت بني آدم على البهائم، ﴿ كل شرب ﴾، نصيب من الماء، ﴿ محتضر ﴾، يحضره مَن كانت نوبته، فإذا كان يوم الناقة حضرت شربها، وإذا كان يومهم حضروا شربهم، وأحضر وحضر بمعنى واحد، قال مجاهد: يعني يحضرون الماء إذا غابت الناقة، فإذا جاءت الناقة حضروا اللبن .

﴿ فنادوا صاحبهم ﴾، وهو قدار بن سالف، ﴿ فتعاطى ﴾، فتناول الناقة بسيفه ﴿ فعقر ﴾، أي فعقرها.

﴿ فكيف كان عِذابي ونذر ﴾، ثم بيّن عذابهم.

فقال: ﴿ إنّا أرسلنا عليهم صيحةً واحدة ﴾، قال عطاء: يريد صيحة جبريل عليه السلام، ﴿ فكانوا كهشيم

والمعنى: أنهم صاروا كيبيس الشجر إذا بلي وتحطم وقيل كالعظام النخرة المحترقة وقيل هو التراب يتناثر من الحائط.

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ
نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ
رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى
وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ
عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾

﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ .

قوله تعالى: **﴿كذبت قوم لوط بالنذر إنا أرسلنا عليهم حاصباً﴾** يعني الحصباء وهي الحجارة التي دون ملء الكف وقد يكون الحاصب الرامي، فعلى هذا، يكون المعنى إنا أرسلنا عليهم عذاباً يحصبهم أي يرميهم بالحجارة ثم استثنى.

فقال تعالى: **﴿إلا آل لوط﴾** يعني لوطاً وابنتيه **﴿نجيناهم﴾** يعني من العذاب **﴿بسحر نعمة من عندنا﴾** أي جعلناه نعمة منا عليهم حيث نجيناهم **﴿كذلك نجزي﴾** أي كما أنعمنا على آل لوط كذلك نجزي **﴿من شكر﴾** يعني أن من وحد الله لم يعذبه مع المشركين **﴿ولقد أنذرهم﴾** أي لوط **﴿بطشتنا﴾** يعني أخذنا إياهم بالعقوبة **﴿فتماروا بالنذر﴾**

المحتظر ﴾، قال ابن عباس: هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السِّباع، فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم. وقال ابن زيد هو الشجر البالي الذي تهشّم حتى ذرته الريح، والمعنى أنهم صاروا كيبس الشجر إذا تحطم والعرب تسمّي كل شيء كان رطباً فيبس هشيماً. وقال قتادة: كالعظام النخرة المحترقة. وقال سعيد بن جبير: هو التراب الذي يتناثر من الحائط.

﴿ ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مّدّكر * كذّبت قوم لوط بالنذر * إنّا أرسلنا عليهم حاصباً ﴾، ريحاً ترميهم بالحصباء، وهي الحصا، قال الضحاك: يعني صغار الحصى. وقيل: الحصباء هي الحجر الذي دون ملء الكفّ، وقد يكون الحاصب الرامي، فيكون المعنى على هذا: أرسلنا عليهم عذاباً يحصبهم، يعني يرميهم بالحجارة، ثم استثنى فقال: **﴿ إلّا آل لوط ﴾**، يعني لوطاً وابنتيه، **﴿ نجّيناهم ﴾**، من العذاب، **﴿ بسحر ﴾**.

﴿ نعمة من عندنا ﴾، يعني جعلناه نعمة منّا عليهم حيث أنجيناهم، **﴿ كذلك ﴾**، يعني كما أنعمنا على آل لوط، **﴿ نجزي مَن شكر ﴾**، قال مقاتل: مَن وحّد الله لم يعذّبه مع المشركين.

﴿ ولقد أنذرهم ﴾، لوط، **﴿ بطشتنا ﴾**، أخذنا إياهم بالعقوبة، **﴿ فتماروا بالنُّذر ﴾**، شكّوا بالإنذار وكذّبوا ولم يصدّقوا.

﴿ ولقد راودوه عن ضيفه ﴾، طلبوا أن يسلّم إليهم أضيافه **﴿ فطمسنا أعينهم ﴾**، وذلك أنهم لمّا قصدُوا دَارَ لوط وعالجوا الباب ليدخلوا، قالت الرسل للوط: خلِّ بينهم وبين الدخول فإن رسل ربك لن يصلوا إليك، فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه بإذن الله فتركهم عُمْياً يترددون متحيّرين لا يهتدون إلى الباب، فأخرجهم لوط عمياً لا يبصرون. قوله: **﴿ فطمسنا أعينهم ﴾** يعني صيّرناها كسائر الوجه لا يُرى لها شق، هذا قول أكثر المفسّرين. وقال

أي شكوا بالإنذار ولم يصدقوا وكذبوا ﴿ولقد راودوه عن ضيفه﴾ أي طلبوا منه أن يسلم إليهم أضيافه ﴿فطمسنا أعينهم﴾ وذلك أنهم لما قصدوا دار لوط عالجوا الباب ليدخلوا عليهم فقالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فإنا رسل ربك لن يصلوا إليك فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه فتركهم عمياً بإذن الله يترددون متحيرين لا يهتدون إلى الباب وأخرجهم لوط عمياً لا يبصرون.

ومعنى: فطمسنا أعينهم، يعني صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق. وقيل: طمس الله أبصارهم فلم يروا الرسل فقالوا لقد رأيناهم حين دخلوا فأين ذهبوا؟ فلم يروهم ﴿فذوقوا عذابي ونذر﴾ يعني ما أنذركم به لوط من العذاب ﴿ولقد صبحهم بكرة﴾ أي جاءهم وقت الصبح ﴿عذاب مستقر﴾ يعني دائم استقر فيهم حتى أفضى بهم إلى عذاب الآخرة ﴿فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾

قوله عز وجل: ﴿ولقد جاء آل فرعون النذر﴾ يعني موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام. وقيل: النذر، الآيات التي أنذرهم بها موسى ﴿كذبوا بآياتنا كلها﴾ يعني الآيات التسع ﴿فأخذناهم﴾ يعني بالعذاب ﴿أخذ عزيز مقتدر﴾ يعني غالب في انتقامه قادر على إهلاكهم لا يعجزه عما أراد ثم خوف كفار مكة فقال تعالى:

أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾

﴿أكفاركم خير من أولئكم﴾ يعني أقوى وأشد من الذين أحللت بهم نقمتي مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون وهذا استفهام إنكار، أي، ليسوا بأقوى منهم ﴿أم لكم براءة﴾ يعني من العذاب ﴿في الزبر﴾ أي في الكتب أنه لن يصيبكم ما أصاب الأمم الخالية ﴿أم يقولون﴾ يعني كفار مكة ﴿نحن جميع﴾ يعني أمرنا ﴿منتصر﴾ يعني من

الضحاك: طمس الله أبصارهم فلم يروا الرسل، فقالوا: قد رأيناهم حين دخلوا البيت فأين ذهبوا، فلم يروهم فرجعوا. ﴿ فذوقوا عذابي ونُذر ﴾، أي ما أنذركم به لوط من العذاب.

﴿ ولقد صبّحهم بُكْرةً ﴾، جاءهم وقت الصبح، ﴿ عذاب مستقر ﴾، دائم استقرّ فيهم حتى أفضى بهم إلى عذاب الآخرة، وقيل: عذاب حق.

﴿ فذوقوا عذابي ونُذر * ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مُدّكر * ولقد جاء آلَ فرعون النُّذر ﴾، يعني موسى وهارون عليهما السلام، وقيل: هي الآيات التي أنذرهم بها موسى.

﴿ كذّبوا بآياتنا كلها ﴾، وهي الآيات التسع، ﴿ فأخذناهم ﴾، بالعذاب، ﴿ أخذَ عزيزٍ ﴾، غالب في انتقامه، ﴿ مقتدر ﴾، قادر على إهلاكهم لا يعجزه ما أراد بهم، ثم خوّف أهل مكة فقال:

﴿ أكفّارُكم خيرٌ من أولئكم ﴾، أشدّ وأقوى من الذين أحللت بهم نقمتي من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون؟ وهذا استفهام بمعنى الإنكار، أي ليسوا بأقوى منهم، ﴿ أم لكم براءة ﴾، من العذاب، ﴿ في الزبر ﴾، في الكتب أنه لن يصيبكم ما أصاب الأمم الخالية.

﴿ أم يقولون ﴾، يعني كفّار مكة، ﴿ نحن جميع منتصر ﴾، قال الكلبي: نحن جميع أمرنا منتصر من أعدائنا، والمعنى: نحن يَدٌ واحدة على مَن خالفنا، منتصر ممّن عادانا، ولم يقل منتصرون لموافقة رؤوس الآي.

أعدائنا والمعنى: نحن يد واحدة على من خالفنا منصرون ممن عادانا. ولم يقل منصرون لموافقة رؤوس الآي. وقيل: معناه نحن كل واحد منا منتصر كما يقال: كلهم عالم، يعني: كل واحد منهم عالم. قال الله تعالى: **﴿سيهزم الجمع﴾** يعني كفار مكة **﴿ويولون الدبر﴾** يعني الأدبار فوحد لأجل رؤوس الآي. وقيل في الإفراد، إشارة إلى أنهم في التولية والهزيمة كنفس واحدة، فلا يتخلف أحد عن الهزيمة ولا يثبت أحد للزحف فَهُمْ في ذلك كرجل واحد (خ).

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ وهو في قبة يوم بدر «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد هذا اليوم أبداً فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك فخرج وهو في الدرع وهو يقول: سيهزم الجمع ويولون الدبر» **﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾** فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر.

وقال سعيد بن المسيب: سمعت عمر بن الخطاب يقول: لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر: كنت لا أدري أي جمع يهزم، فلما كان يوم بدر، رأيت النبي ﷺ يثب في درعه ويقول: سيهزم الجمع ويولون الدبر فعلمت تأويلها **﴿بل الساعة موعدهم﴾** يعني جميعاً والساعة أدهى وأمر، أي أعظم داهية وأشد مرارة من الأسر والقتل يوم بدر.

قوله عز وجل: **﴿إن المجرمين﴾** يعني المشركين **﴿في ضلال وسعر﴾** قيل في بعد عن الحق وسعر أي نار تسعر عليهم.

وقيل: في ضلال في الدنيا ونار مسعرة في الآخرة. وقيل: في ضلال، أي عن طريق الجنة وسعر أي عذاب الآخرة ثم بين عذابهم فقال تعالى: **﴿يوم يسحبون﴾** أي يجرون **﴿في النار على وجوههم﴾** ويقال لهم **﴿ذوقوا مس سقر﴾** أي ذوقوا أيها المكذبون لمحمد ﷺ مس سقر.

قال الله تعالى: **﴿ سَيُهزَمُ الجمع ﴾**، قرأ يعقوب: (سنهزم) بالنون، **﴿ الجمع ﴾** نصبٌ، وقرأ الآخرون بالياء وضمّها، **﴿ الجمع ﴾** رفعٌ على غير تسمية الفاعل، يعني كفّار مكة، **﴿ ويُوَلُّون الدُّبُرَ ﴾**، يعني الأدبار فوحّد لأجل رؤوس الآي، كما يقال: ضربنا منهم الرؤوس وضربنا منهم الرأس إذا كان الواحد يؤدي معنى الجمع، أخبر الله أنهم يولّون أدبارهم منهزمين فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن المثنى ثنا عبد الوهاب ثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ وهو في قبّته يوم بدر: «اللّهمَّ إني أُنشدك عهدك ووعدك، اللّهمَّ إنْ شئتَ لم تُعبدْ بَعْدُ اليوم»، فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك يا رسول الله، فقد ألححت على ربك، وهو في الدرع، فخرج وهو يقول: **﴿ سيُهزم الجمع ويولّون الدبر ﴾**.

﴿ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرّ ﴾، قال سعيد بن المسيب: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لمّا نزلت: **﴿ سيهزم الجمع ويولّون الدبر ﴾** كنت لا أدري أيّ جمع سيهزم، فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يثب في درعه ويقول: **﴿ سيهزم الجمع ويولّون الدبر * بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرّ ﴾**، أي أعظم داهية وبليّة وأشدّ مرارة من الأسْر والقتل يوم بدر.

﴿ إن المجرمين ﴾، المشركين، **﴿ في ضلال وسُعُر ﴾**، قيل: في ضلال بعد عن الحق. قال الضحاك: وسُعُر أي نار تسعر عليهم: وقيل: في ضلال ذهاب عن طريق الجنّة في الآخرة، وسُعُر: نارٌ مسعّرة، قال الحسين بن فضل: إن المجرمين في ضلال في الدنيا ونار في الآخرة. وقال قتادة: في عناء وعذاب.

ثم بَيَّن عذابهم فقال: **﴿ يوم يُسحبون ﴾**، يُجرّون، **﴿ في النار على وجوههم ﴾**، ويقال لهم: **﴿ ذُوقُوا مسَّ سقر ﴾**.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾﴾

﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ أي مقدور ومكتوب في اللوح المحفوظ. وقيل: معناه قدر الله لكل شيء من خلقه قدره الذي ينبغي له. وقال ابن عباس: كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك.

(فصل في سبب نزول الآية وما ورد في القدر وما قيل فيه)

(م) «عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة» قال وعرشه على الماء (م).

عن أبي هريرة قال: «جاء مشركو قريش إلى النبي ﷺ يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الآية **﴿إن المجرمين في ضلال وسعر﴾** إلى قوله **﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾** (م) عن طاوس قال: أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر الله تعالى قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز».

عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ﷺ بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، وبالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر» أخرجه الترمذي. وله عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه» وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن ميمون وهو منكر الحديث. وفي حديث جبريل المتفق عليه: وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت ففيه ذم القدرية.

عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوه وهم من شيعة الدجال وحق على الله أن يلحقهم بالدجال».

أخرجه أبو داود وله عن أبي هريرة مثله «وزاد فلا تجالسوهم ولا تفاتحوهم في الكلام».

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية» أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن غريب.

وروى ابن الجوزي في تفسيره عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال «إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أمر منادياً فينادي نداء يسمعه الأولون والآخرون أي خصماء الله فتقوم القدرية فيأمر بهم إلى النار يقول الله ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر».

﴿ إِنَّا كلَّ شيء خلقناه بقدر ﴾، أي ما خلقناه فمقدور ومكتوب في اللوح المحفوظ، قال الحسن: قدّر الله لكل شيء من خلقه قدره الذي ينبغي له، أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسين القرشي أنا مسلم غالب بن علي الرازي أنا أبو معشر يعقوب بن عبد الجليل بن يعقوب ثنا أبو يزيد حاتم بن محبوب أنا أحمد بن نصر النيسابوري أنا عبد الله بن الوليد العدني أنا الثّوري عن زياد بن إسماعيل السهمي عن محمد بن عباد المخزومي عن أبي هريرة قال: جاء مشركوا قريش إلى النبي ﷺ يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الآية: **﴿ إن المجرمين في ضلال وسُعُر ﴾** إلى قوله: **﴿ إنّا كل شيء خلقناه بقدر ﴾**، أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن

قال ابن الجوزي: وإنما قيل: خصماء الله، لأنهم يخاصمون في أنه لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها. وروي عن الحسن قال: والله لو أن قدرياً صام حتى يصير كالحبل، وصلّى حتى يصير كالوتر، ثم أخذ ظلماً حتى يذبح بين الركن والمقام لكبه الله على وجهه في صقر ثم قيل له ذق مس صقر إنا كل شيء خلقناه بقدر. قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر ومعناه أن الله تعالى قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسن ما قدرها الله تعالى وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه بها وإنها مستأنفة العلم أي إنما يعلمها سبحانه وتعالى بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى عن أقوالهم الباطلة علواً كبيراً. وسميت هذه الفرقة قدرية، لإنكارهم القدر. قال أصحاب المقالات من المتكلمين: وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه. وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر ولكن تقول الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

وحكى أبو محمد بن قتيبة في كتابه غريب الحديث، وأبو المعالي إمام الحرمين في كتابه الإرشاد في أصول الدين، أن بعض القدرية قالوا: لسنا بقدرية بل أنتم القدرية لاعتقادكم إثبات القدر. قال ابن قتيبة وإمام الحرمين: هذا تمويه من هؤلاء الجهلة ومباهته وتواقح، فإن أهل الحق يفرضون أمورهم إلى الله تعالى. ويضيفون القدر والأفعال إلى الله تعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونه إلى أنفسهم ومدعي الشيء لنفسه ومضيفه إليها أولى بأن ينسب إليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه.

قال إمام الحرمين: وقد قال رسول الله ﷺ «القدرية مجوس هذه الأمة» شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر في حكم الإرادة كما قسمت المجوس فصرفت الخير إلى يزدان والشر إلى أهرمن. ولا خفاء باختصاص هذا الحديث بالقدرية. وحديث: القدرية مجوس هذه الأمة، رواه أبوحازم عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ وأخرجه أبو داود في سننه والحاكم أبو عبد الله في المستدرك على الصحيحين. وقال: صحيح على شرط الشيخين إن صح سماع أبي حازم عن ابن عمر وقال الخطابي: إنما جعلهم ﷺ مجوساً لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس لقولهم بالأصلين: النور

علي بن محمد بن شريك الشافعي الخدشاهي أنا عبد الله بن محمد بن مسلم أبو بكر الجويدري أنا يونس بن عبد الأعلى الصدفي أنا عبد الله بن وهب أخبرني أبو هانىء الخولاني عن أبي عبد الرحمن الجيلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وكان عرشه على الماء». أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاوس اليماني قال: أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: «كل شيء بقدر الله»، قال وسمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس، أو الكيس والعجز»، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني أنا أحمد بن حازم بن أبي عروة أنا يعلى بن عبيد وعبد الله بن موسى وأبو نعيم عن سفيان عن منصور عن ربعي بن حراش عن رجل عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إلٰه إلّا الله وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر زاد عبد الله خيره وشرّه»، ورواه أبو داود عن شعبة عن منصور وقال: عن ربعي عن علي ولم يقل: عن رجل، وهذا أصحّ.

﴿ وما أمرنا إلّا واحدة كلمح بالبصر ﴾، قوله: ﴿ واحدة ﴾، ترجع إلى المعنى دون اللفظ، أي: وما أمرنا

والظلمة يزعمون أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله والشر إلى غيره والله سبحانه وتعالى خالق كل شيء الخير والشر جميعاً لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته فهما مضافان إليه سبحانه وتعالى خلقاً وإيجاداً وإلى الفاعلين لهما من عباده فعلاً واكتساباً. قال الخطابي: وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله تعالى العبد وقهره على ما قدره وقضاه وليس الأمر كما يتوهمونه وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من اكساب العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها. قال: والقدر اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر. ويقال: قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد. والقضاء في هذا معناه الخلق كقوله تعالى: ﴿فقضاهن سبع سموات﴾ أي خلقهن. وقد تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل العقد والحل من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى وقد قرر ذلك أئمة المتكلمين أحسن تقرير بدلائله القطعية السمعية والعقلية والله أعلم.

وأما معاني الأحاديث المتقدمة، فقوله: جاء مشركو قريش إلى قوله إنا كل شيء خلقناه بقدر المراد بالقدر هنا القدر المعروف وهو ما قدره الله وقضاه وسبق به علمه وإرادته فكل ذلك مقدر في الأزل معلوم لله تعالى مراد له، وكذلك قوله: كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء المراد منه تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل القدر فإن ذلك أزلي لا أول له وقوله وعرشه على الماء أي قبل أن يخلق السموات والأرض، وقوله: كل شيء بقدر حتى العجز والكيس. أو قال: الكيس والعجز. العجز: عدم القدرة. وقيل: هو ترك ما يجب فعله بالتسويف به وتأخيره عن وقته. وقيل: يحتمل العجز عن الطاعات ويحتمل العموم في أمور الدنيا والآخرة والكيس ضد العجز وهو النشاط والحذق بالأمور. ومعنى الحديث: أن العاجز قدر عجزه والكيس قدر كيسه.

قوله تعالى: ﴿وما أمرنا إلا واحدة﴾ أي وما أمرنا إلا مرة واحدة وقيل معناه وأما أمرنا للشيء إذا أردنا تكوينه إلا كلمة واحدة ﴿كن فيكون﴾ لا مراجعة فيه فعلى هذا إذا أراد الله سبحانه وتعالى شيئاً قال له كن فيكون فهنا بان فرق بين الإرادة والقول فالإرادة قدر والقول قضاء وقوله واحدة فيه بيان أنه لا حاجة إلى تكرير القول بل هو إشارة إلى نفاذ الأمر ﴿كلمح البصر﴾ قال ابن عباس: يريد أن قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر. وعن ابن عباس أيضاً: معناه وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة إلا كطرف البصر ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ أي أشباهكم ونظراءكم في الكفر من الأمم السالفة ﴿فهل من مدكر﴾ أي متعظ بأن ذلك حق فيخاف ويعتبر.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وكل شيء فعلوه﴾ يعني الأشياع من خير وشر ﴿في الزبر﴾ أي في كتب الحفظة وقيل في اللوح المحفوظ

إلّا مرة واحدة، وقيل: معناه وما أمرنا للشيء إذا أردنا تكوينه إلّا كلمة واحدة: كن فيكون، لا مراجعة فيها كلمح بالبصر. قال عطاء عن ابن عباس: يريد أن قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر. وقال الكلبي عنه: وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة إلّا كطرف البصر.

﴿ ولقد أهلكنا أشياعكم ﴾، أشباهكم ونظراءكم في الكفر من الأمم السالفة، ﴿ فهل من مُّدَّكر ﴾، متّعظ يعلم أن ذلك حق فيخاف ويعتبر.

﴿ وكل شيء فعلوه ﴾، يعني فعله الأشياع من خير وشر، ﴿ في الزّبر ﴾، في كتاب الحَفَظَة، وقيل: في اللوح المحفوظ.

﴿وكل صغير وكبير﴾ أي من الخلق وأعمالهم وآجالهم ﴿مستطر﴾ أي مكتوب.

قوله عز وجل: ﴿إن المتقين في جنات﴾ أي بساتين ﴿ونهر﴾ أي أنهار وإنما وحّده لموافقة رؤوس الآي وأراد أنها الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل.

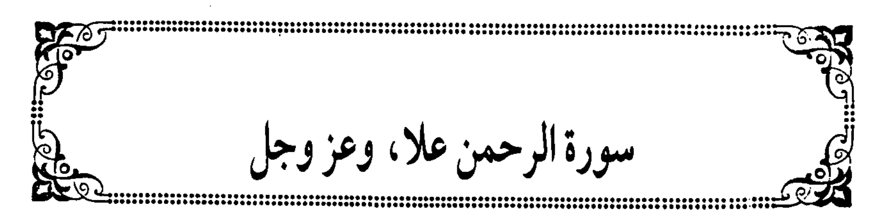
وقيل: معناه في ضياء وسعة ومنه النهار والمعنى لا ليل عندهم ﴿في مقعد صدق﴾ أي في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وقيل في مجلس حسن وقيل في مقعد لا كذب فيه لأن الله صادق فمن وصل إليه امتنع عليه الكذب فهو في مقعد صدق ﴿عند مليك﴾ قيل معناه قرب المنزلة والتشريف لا معنى المكان ﴿مقتدر﴾ أي قادر لا يعجزه شيء وقيل مقربين عند مليك أمره في الملك والاقتدار أعظم شيء، فلا شيء إلا وهو تحت ملكه وقدرته فأي منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها. قال جعفر الصادق: وصف الله تعالى المكان بالصدق، فلا يقعد فيه إلا أهل الصدق، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

﴿ وكل صغير وكبير ﴾، من الخلق وأعمالهم وآجالهم، ﴿ مستطر ﴾، مكتوب، يقال: سطرت واستطرت وكتبت واكتتبت.

﴿ إن المتّقين في جنّات ﴾، بساتين، ﴿ ونَهر ﴾، أي أنهار، ووحّده لأجل رؤوس الآي، وأراد أنهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل. وقال الضحاك: يعني في ضياء وسِعة ومنه النهار. وقرأ الأعرج: ﴿ ونهر ﴾ بضمتين جمع النهار يعني لا ليل لهم.

﴿ في مقعد صدق ﴾، في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم، ﴿ عند مليك مقتدر ﴾، ملك قادر لا يعجزه شيء. قال جعفر الصادق رضي الله عنه: مدح الله المكان بالصدق فلا يقعد فيه إلاّ أهل الصدق.

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾
(قرآن كريم)



سورة الرحمن علا، وعز وجل

(وهي مكية وذكر ابن الجوزي أنها مدنية في قول من قولين عن ابن عباس وهي ست وسبعون آية وثلاثمائة وإحدى وخمسون كلمة وألف وستمائة وستة وثلاثون حرفاً).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾

قوله عز وجل: **﴿الرحمن علم القرآن﴾** قيل لما نزلت اسجدوا للرحمن قال كفار مكة وما الرحمن فأنكروه وقالوا لا نعرف الرحمن فأنزل الله الرحمن يعني الذي أنكرتموه هو الذي علم القرآن، وقيل هذا جواب لأهل مكة حين قالوا إنما يعلمه بشر فقال تعالى الرحمن علم القرآن يعني علَّم محمداً القرآن وقيل علَّم القرآن يسره للذكر ليحفظ ويتلى وذلك أن الله عز وجل عد نعمه على عباده فقدم أعظمها نعمة وأعلاها رتبة وهو القرآن العزيز لأنه أعظم وحي الله إلى أنبيائه وأشرفه منزلة عند أوليائه وأصفيائه وأكثره ذكراً وأحسنه في أبواب الدين أثراً وهو سنام الكتب السماوية المنزلة على أفضل البرية **﴿خلق الإنسان﴾** يعني آدم عليه الصلاة والسلام قاله ابن عباس **﴿علمه البيان﴾** يعني أسماء كل شيء وقيل علَّمه اللغات كلها فكان آدم يتكلم بسبعمائة لغة أفضلها العربية وقيل الإنسان اسم جنس وأراد به جميع الناس، فعلى هذا يكون معنى علمه البيان أي النطق الذي يتميز به عن سائر الحيوانات، وقيل علمه الكتابة والفهم والإفهام حتى عرف ما يقول وما يقال له وقيل علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به وقيل أراد بالإنسان محمداً ﷺ علَّمه البيان يعني بيان ما يكون وما كان لأنه صلى الله عليه وسلم ينبىء عن خبر الأولين والآخرين وعن يوم الدين،

سُورَةِ الرَّحْمٰن

مدنيّة وهي ثمانٍ وسبعون آية.

﴿ **الرحمن** ﴾ نزلت حين قالوا وما الرحمن، وقيل: هو جواب لأهل مكة حين قالوا إنّما يعلمه بشر.

﴿ **علم القرآن** ﴾، قال الكلبي علم القرآن محمداً. وقيل: علم القرآن يسّره للذكر.

﴿ **خلق الإنسان** ﴾، يعني آدم عليه السلام، قاله ابن عباس وقتادة.

﴿ **علمه البيان** ﴾، أسماء كل شيء، وقيل: علّمه اللغات كلها، وكان آدم يتكلم بسبعمائة لغة أفضلها العربية. وقال الآخرون: الإنسان اسم جنس، وأراد به جميع الناس، علّمه البيان النطق والكتابة والفهم والإفهام حتى عرف ما يقول وما يقال له، هذا قول أبي العالية وابن زيد والحسن وقال السدي: علّم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به. وقال ابن كيسان: ﴿ **خلق الإنسان** ﴾، يعني محمداً ﷺ ﴿ **علّمه البيان** ﴾ يعني بيان ما كان وما يكون

وقيل علمه بيان الأحكام من الحلال والحرام والحدود والأحكام.

﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا
تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا
فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝١١﴾

﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ قال ابن عباس يجريان بحساب ومنازل لا يتعديانها وقيل يعني بهما حساب الأوقات والآجال ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر أحد كيف يحسب ما يريد، وقيل الحساب هو الفلك تشبيهاً بحسبان الرحى وهو ما يدور الحجر بدورانه ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾ قيل النجم ما ليس له ساق من النبات كالبقول والشجر ما له ساق يبقى في الشتاء وسجودها سجود ظلها وقيل النجم هو الكوكب، وسجوده طلوعه والقول الأول أظهر لأنه ذكره مع الشجر في مقابلة الشمس والقمر ولأنهما أرضيان في مقابلة سماءين ﴿والسماء رفعها﴾ أي فوق الأرض ﴿ووضع الميزان﴾ قيل أراد بالميزان العدل لأنه آلة العدل والمعنى أنه أمر بالعدل يدل عليه قوله ﴿ألا تطغوا في الميزان﴾ أي لا تجاوزوا العدل وقيل أراد به الآلة التي يوزن بها للتوصل إلى الإنصاف والانتصاف وأصل الوزن التقدير أن لا تطغوا في الميزان أي لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان ﴿وأقيموا الوزن بالقسط﴾ يعني بالعدل وقيل أقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل الإقامة باليد والقسط بالقلب ﴿ولا تخسروا﴾ أي لا تنقصوا ﴿الميزان﴾ أي لا تطففوا في الكيل والوزن أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديداً للتوصية به وتقوية للأمر باستعماله والحث عليه ﴿والأرض وضعها﴾ أي

لأنه كان يبيّن عن الأوّلين والآخرين وعن يوم الدين.

﴿ الشمس والقمر بحسبان ﴾، قال مجاهد: كحسبان الرحى يدوران في مثل قطب الرحا، قال غيره: معناه أي يجريان بحساب ومنازل لا يعدوانها، قاله ابن عباس وقتادة وقال ابن زيد وابن كيسان: يعني بهما تحسب الأوقات والآجال ولولا الليل والنهار والشمس والقمر فم يدرِ أحد كيف يحبّ شيئاً. وقال الضحاك: يجريان بقدر، والحسبان يكون مصدر حسبت حساباً وحسباناً مثل الغفران والكفران والرجحان والنقصان، وقد يكون جمع الحساب كالشبهان والركبان.

﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾، النجم ما ليس له ساق من النبات، والشّجر ما له ساق يبقى في الشتاء، وسجودهما سجود ظلهما كما قال: ﴿ يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجّداً لله ﴾ [النحل: ٤٨] وقال مجاهد: النجم هو الكوكب وسجوده طلوعه.

﴿ والسماء رفعها ﴾، فوق الأرض، ﴿ ووضع الميزان ﴾، قال مجاهد: أراد بالميزان العدل المعنى أنه أمر بالعدل، يدلّ عليه قوله تعالى:

﴿ ألّا تطغوا في الميزان ﴾، أي لا تجاوزوا العدل. وقال الحسن وقتادة والضحاك أراد به الذي يوزن به ليوصل به الإنصاف والانتصاف، وأصل الوزن التقدير ألّا تطغوا يعني لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان.

﴿ وأقيموا الوزن بالقسط ﴾، بالعدل، وقال أبو الدرداء وعطاء: معناه أقيموا لسان الميزان بالعدل. قال ابن عيينة: الإقامة باليد والقسط بالقلب، ﴿ ولا تُخسروا ﴾، ولا تنقصوا ﴿ الميزان ﴾، ولا تطففوا في الكيل والوزن.

خفضها مدحوة على الماء ﴿للأنام﴾ يعني للخلق الذين بثهم فيها وهو كل ما ظهر عليها من دابة وقيل للإنس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها ﴿فيها﴾ يعني في الأرض ﴿فاكهة﴾ يعني من أنواع الفاكهة وقيل ما يتفكهون به من النعم التي لا تحصى ﴿والنخل ذات الأكمام﴾ يعني الأوعية التي يكون فيها الثمر لأن ثمر النخل يكون في غلاف وهو الطلع ما لم ينشق وكل شيء ستر شيئاً فهو كم وقيل أكمامها ليفها واقتصر على ذكر النخل من بين سائر الشجر لأنه أعظمها وأكثرها بركة.

﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾

﴿والحب﴾ يعني جميع الحبوب التي يقتات بها كالحنطة والشعير ونحوهما وإنما أخَّر ذكر الحب على سبيل الارتقاء إلى الأعلى لأن الحب أنفع من النخل وأعم وجوداً في الأماكن ﴿ذو العصف﴾ قال ابن عباس يعني التبن وعنه أنه ورق الزرع الأخضر إذ قطع رؤوسه ويبس وقيل هو ورق كل شيء يخرج منه الحب يبدو صلاحه ولا ورق وهو العصف ثم يكون سوقاً ثم يحدث الله فيه أكماماً ثم يحدث في الأكمام الحب ﴿والريحان﴾ يعني الرزق قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كل ريحان في القرآن فهو رزق وقيل هو الريحان الذي يشم، وقيل: العصف التبن والريحان ثمرته فذكر قوت الناس والأنعام ثم خاطب الجن والإنس فقال تعالى: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ يعني أيها الثقلان يريد هذه الأشياء المذكورة وكرر هذه الآية في هذه الصورة في أحد وثلاثين موضعاً تقريراً للنعمة وتأكيداً في التذكير بها، ثم عدد على الخلق آلاءه وفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها ليفهمهم النعم ويقررهم بها كقول الرجل لمن

﴿ والأرض وضعها للأنام ﴾، للخلق الذين بثّهم فيها.

﴿ فيها فاكهة ﴾، يعني أنواع الفواكه، قال ابن كيسان: ما يتفكهون به من النِّعَم التي لا تُحصى، ﴿ والنخل ذات الأكمام ﴾ الأوعية التي يكون فيها التمر لأن تمر النخل يكون في غلاف ما لم ينشقّ، واحدها كم، وكل ما ستر شيئاً فهو كم، وكمة، ومنه كم القميص، ويقال للقلنسوة كمة، قال الضحاك: ذات الأكمام أي ذات الغلف. وقال الحسن: أكمامها ليفها. وقال ابن زيد: هو الطلع قبل أن ينفتق.

﴿ والحبّ ذو العصف ﴾، أراد بالحبّ جميع الحبوب التي يُقتات بها. قال مجاهد: هو ورق الزرع. قال ابن كيسان: ﴿ العصف ﴾ تحرث في الأرض والعصف ورق كل شيء يخرج منه الحبّ، يبدو أولاً ورقاً وهو العصف ثم يكون سوقاً ثم يُحدِث الله فيه أكماماً ثم يُحدِث من الأكمام الحبّ. وقال ابن عباس في رواية الوالبي: هو التبن. وهو قول الضحاك وقتادة. وقال عطية عنه: هو ورق الزرع الأخضر إذا قطع رؤوسه ويبس، نظيره: ﴿ كعصفٍ مأكول ﴾ [الفيل: ٥]. ﴿ والريحان ﴾، هو الرزق في قول الأكثرين، قال ابن عباس: كل ريحان في القرآن فهو رزق. قال الحسن وابن زيد هو ريحانكم الذي يشمّ، قال الضحاك: العصف هو التين والريحان ثمرته، وقراءة العامّة: ﴿ والحبّ ذو العصف والريحان ﴾، كلها مرفوعات بالردّ على الفاكهة، وقرأ ابن عامر ﴿ والحبَّ ذو العصف والريحان ﴾ بنصب الباء والنون وذو بالألف على معنى: خلق الإنسان وخلق هذه الأشياء، وقرأ حمزة والكسائي ﴿ والريحان ﴾ بالجرّ عطفاً على العصف فذكر قوت الناس والأنعام ثم خاطب الجنّ والإنس.

فقال: ﴿ فبأيّ آلاء ربكما تكذبان ﴾، أيها الثقلان يريد من هذه الأشياء المذكورة وكرّر هذه الآية في هذه السورة تقريراً للنّعمة وتأكيداً في التذكير بها على عادة العرب في الإبلاغ والإشباع، يعدّد على الخلق آلاءه ويفصل

أحسن إليه وتابع إليه بالأيادي وهو ينكرها ويكفرها ألم تكن فقيراً فأغنيتك أفتنكر هذا؟ ألم تكن عرياناً فكسوتك أفتنكر هذا؟ ألم تكن حاملاً فعززتك أفتنكر هذا؟ ومثل هذا الكلام شائع في كلام العرب حسن تقريراً وذلك لأن الله تعالى ذكر في هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الإنسان وتعليمه البيان وخلق الشمس والقمر والسماء والأرض إلى غير ذلك مما أنعم به على خلقه وخاطب الجن والإنس فقال فبأي آلاء ربكما تكذبان من الأشياء المذكورة لأنها كلها منعم بها عليكم. عن جابر رضي الله تعالى عنه قال «خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم كنت كلما أتيت على قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي رواية غيره «كانوا أحسن منكم رداً وفيه ولا بشيء» قوله تعالى: ﴿**خلق الإنسان من صلصال**﴾ يعني من طين يابس له صلصلة وهو الصوت منه إذا نقر ﴿**كالفخار**﴾ يعني الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف.

فإن قلت قد اختلفت العبارات في صفة خلق الإنسان الذي هو آدم فقال تعالى من تراب وقال من حمإٍ مسنون وقال من طين لازب وقال من ماء مهين وقال هنا من صلصال كالفخار قلت ليس في هذه العبارات اختلاف بل المعنى متفق وذلك أن الله تعالى خلقه أولاً من تراب ثم جعله طيناً لازباً لما اختلط بالماء ثم حمأ مسنوناً وهو الطين الأسود المنتن فلما يبس صار صلصالاً كالفخار ﴿**وخلق الجان**﴾ وهو أبو الجن. وقيل هو إبليس ﴿**من مارج من نار**﴾ يعني الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه، وقيل هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت.

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين**﴾ يعني مشرق الصيف وهو غاية ارتفاع الشمس ومشرق الشتاء وهو غاية انحطاط الشمس. ﴿**ورب المغربين**﴾ يعني مغرب الصيف ومغرب الشتاء، وقيل يعني مشرق الشمس ومشرق

بين كل نعمتين بما ينبّههم عليها، كقول الرجل لمَن أحسن إليه وتابع عليه بالأيادي وهو ينكرها ويكفرها: ألم تكن فقيراً فأغنيتك أفتنكر هذا؟ ألم تكن عرياناً فكسوتك أفتنكر هذا؟ ألم تكُ خاملًا فعزّزتك أفتنكر هذا؟ ومثل هذا التكرار سائغ في كلام العرب حسنٌ تقريراً، وقد خاطب بلفظ التثنية على عادة العرب تخاطب الواحد بلفظ التثنية كقوله تعالى: ﴿ ألقيا في جهنم ﴾ [قٓ: ٢٤]، ورُوِيَ عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها، ثم قال: «ما لي أراكم سكوتاً لَلْجِنُّ كانوا أحسن منكم ردّاً ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة فبأيّ آلاء ربكما تكذبان إلّا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد».

﴿ **خلق الإنسان من صلصال كالفخار** ﴾.

﴿ **وخلق الجانّ** ﴾، وهو أبو الجنّ وقال الضحاك: هو إبليس، ﴿ **من مارج من نار** ﴾، وهو الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه. قال مجاهد: وهو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت، من قولهم مرج أمر القوم إذا اختلط.

﴿ **فبأيّ آلاء ربكما تكذبان * ربّ المشرقين** ﴾، مشرق الصيف ومشرق الشتاء، ﴿ **وربّ المغربين** ﴾، مغرب الصيف ومغرب الشتاء.

القمر ومغرب الشمس ومغرب القمر **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين﴾** يعني أرسل البحرين العذب والملح متجاورين متلاقين لا فصل بين الماءين لأن من شأنهما الاختلاط وهو قوله: **﴿يلتقيان﴾** لكن الله تعالى منعهما عما في طبعهما بالبرزخ وهو قوله: **﴿بينهما برزخ﴾** أي حاجز من قدرة الله **﴿لا يبغيان﴾** أي لا يبغي أحدهما على صاحبه وقيل لا يختلطان ولا يتغيران وقيل لا يطغيان على الناس بالغرق وقيل مرج البحرين بحر الروم وبحر الهند وأنتم الحاجز بينهما وقيل بحر فارس والروم بينهما برزخ يعني الجزائر وقيل بحر السماء وبحر الأرض يلتقيان في كل عام **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما﴾** قيل إنما يخرج من البحر الملح دون العذب فهو كقوله **﴿وجعل القمر فيهن نوراً﴾** وقيل أراد يخرج من أحدهما فحذف المضاف وقيل لما التقى البحران فصارا كالشيء الواحد جاز أن يقال يخرج منهما كما يقال يخرج من البحر ولا يخرج من جميع البحر ولكن من بعضه وقيل يخرج من السماء وماء البحر قيل إذا أمطرت السماء تفتح الأصداف أفواهها فحيثما وقعت قطرة صارت لؤلؤة على قدر القطرة، وقوله تعالى: **﴿اللؤلؤ﴾** قيل هو ما عظم من الدر **﴿والمرجان﴾** صغاره وقيل بعكس ذلك وقيل المرجان هو الخرز الأحمر **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار﴾** يعني السفن الكبار **﴿المنشآت﴾** أي المرفوعات التي يرفع خشبها بعضه على بعض وقيل هي ما رفع قلعها من السفن أما ما لم يرفع قلعها فليست من المنشآت وقيل معنى المنشآت المحدثات المخلوقات المسخرات **﴿في البحر كالأعلام﴾** أي كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن في البحر بالجبل في البر **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾** قوله عز وجل:

﴿ فبأيّ آلاء ربكما تكذبان ﴾.

﴿ مرج البحرين ﴾، العذب والمالح أرسلهما وخلاهما **﴿ يلتقيان ﴾**.

﴿ بينهما برزخ ﴾، حاجز من قدرة الله تعالى، **﴿ لا يبغيان ﴾**، لا يختطفان ولا يتغيران ولا يبغي أحدهما على صاحبه. وقال قتادة: لا يطغيان على الناس بالغرق. وقال الحسن مرج البحرين يعني بحر الروم وبحر الهند، وأنتم الحاجز بينهما. وعن قتادة أيضاً: بحر فارس وبحر الروم بينهما برزخ يعني الجزائر. وقال مجاهد والضحّاك: بحر السماء وبحر الأرض يلتقيان كل عام.

﴿ فبأيّ آلاء ربِّكما تكذبان ﴾.

﴿ يخرج منهما ﴾، قرأ أهل المدينة والبصرة **﴿ يخرج ﴾** بضم الياء وفتح الراء، وقرأ الآخرون بفتح الياء وضمّ الراء، **﴿ اللؤلؤ والمرجان ﴾**، وإنما يخرج من المالح دون العذب، وهذا جائز في كلام العرب أن يذكر شيئان ثم يخصّ أحدهما بفعل كما قال عزّ وجلّ: **﴿ يا معشر الجنّ والإنس ألم يأتكم رسل منكم ﴾** [الأنعام: ١٣٠] وكان الرسل من الإنس دون الجنّ وقال بعضهم يخرج من ماء السماء وماء البحر. قال ابن جريج: إذا أمطرت السماء فتحت الأصداف أفواهها فحيثما وقعت قطرة كانت لؤلؤة واللؤلؤة ما عظم من الدرّ، والمرجان صغارها. وقال مقاتل ومجاهد على الضدّ من هذا. وقيل: المرجان الخرز الأحمر. وقال عطاء الخراساني: هو البسد.

﴿ فبأيّ آلاء ربكما تكذبان * وله الجوار ﴾، السفن الكبار، **﴿ المنشئات ﴾**، وقرأ حمزة وأبو بكر المنشئات بكسر الشين أي المنشئات السير يعني اللاتي ابتدأن وأنشأن السير، وقرأ الآخرون بفتح الشين أي المرفوعات وهي التي رفع خشبها بعضها على بعض. وقيل: هي ما رفع قلعه من السفن وأما ما لم يرفع قلعه فليس من المنشئات. وقيل: المخلوقات المسخّرات، **﴿ في البحر كالأعلام ﴾**، كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبّه السفن في البحر وبالجبال في البرّ.

﴿ فبأيّ آلاء ربكما تكذبان ﴾.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾

﴿كل من عليها﴾ أي على الأرض من حيوان وإنما ذكره بلفظة من تغليباً للعقلاء ﴿فان﴾ أي هالك لأن وجود الإنسان في الدنيا عرض فهو غير باق وما ليس بباق فهو فان ففيه الحث على العبادة وصرف الزمن اليسير إلى الطاعة ﴿ويبقى وجه ربك﴾ يعني ذاته والوجه يعبر به عن الجملة.

وفي المخاطب وجهان أحدهما أنه كل واحد والمعنى ويبقى وجه ربك أيها الإنسان السامع.

والوجه الثاني: أنه يحتمل أن الخطاب مع النبي ﷺ ﴿ذو الجلال﴾ أي ذو العظمة والكبرياء ومعناه الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه ﴿والإكرام﴾ أي المكرم لأنبيائه وأوليائه وجميع خلقه بلطفه وإحسانه إليهم مع جلاله وعظمته ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ «ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام» أخرجه الترمذي وقال الحاكم حديث صحيح الإسناد ومعنى ألظوا الزموا هذه الدعوة وأكثروا منها.

قوله تعالى: ﴿يسأله من في السموات والأرض﴾ يعني من ملك وإنس وجن فلا يستغني عن فضله أهل السموات والأرض قال ابن عباس فأهل السموات يسألونه المغفرة وأهل الأرض يسألونه الرزق والمغفرة وقيل كل أحد يسأل الرحمة وما يحتاج إليه في دينه أو دنياه وفيه إشارة إلى كمال قدرة الله تعالى وأن كل مخلوق وإن جل وعظم فهو عاجز عن تحصيل ما يحتاج إليه مفتقر إلى الله تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ قيل نزلت رداً على اليهود حيث قالوا إن الله لا يقضي يوم السبت شيئاً قال المفسرون من شأنه أنه يحيي ويميت ويرزق ويعز قوماً ويذل قوماً ويشفي مريضاً ويمرض صحيحاً ويفك عانياً ويفرج عن مكروب ويجيب داعياً ويعطي سائلاً ويغفر ذنباً إلا ما لا يحصى من أفعاله وإحداثه في خلقه ما يشاء سبحانه وتعالى وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس قال «إن مما خلق الله عز وجل لوحاً من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت

﴿ كلّ مَن عليها ﴾، أي على الأرض من حيوان فإنه، ﴿ فَانٍ ﴾، هالك.

﴿ ويبقى وجه ربِّك ذو الجلال ﴾، ذو العظمة والكبرياء، ﴿ والإكرام ﴾، أي مكرم أنبيائه وأوليائه بلطفه مع جلاله وعظمته.

﴿ فبأيّ آلاء ربّكما تكذبان * يسأله مَن في السمٰوات والأرض ﴾، من ملك وإنس وجنّ. وقال قتادة: معناه لا يستغني عنه أهل السماء والأرض. قال ابن عباس: فأهل السمٰوات يسألونه المغفرة وأهل الأرض يسألونه الرزق والتوبة والمغفرة. وقال مقاتل: يسأله أهل الأرض الرزق والمغفرة، وتسأله الملائكة أيضاً لهم الرزق والمغفرة. ﴿ كلَّ يوم هو في شأن ﴾، قال مقاتل: نزلت في اليهود حين قالوا إن الله لا يقضي يوم السبت شيئاً. قال المفسّرون: من شأنه أن يحيـي ويميت ويرزق ويعزّ قوماً ويذلّ قوماً ويشفي مريضاً ويفكّ عانيـاً ويفرج مكـروباً ويجيب داعياً ويعطي سائلاً ويغفر ذنباً إلى ما لا يحصى من أفعاله وأحداثه في خلقه ما يشاء. أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس المزكّي إملاءً أنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيـىٰ البزاز أنا يحيـىٰ بن الربيع المكّي أنا سفيان بن عيينة أنا أبو حمزة اليماني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: إن ممّا خلق الله عزّ وجلّ لوحاً من درّة بيضاء دفّتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله عزّ وجلّ فيه كل يوم ثلاث مائة وستّين نظرة، يخلق ويرزق ويُحيـي ويُميت ويُعزّ ويُذلّ ويفعل ما يشاء،

ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ قال ابن عيينة الدهر كله عند الله يومان أحدهما مدة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة والشأن الذي هو فيه اليوم الذي هو مدة أيام الدنيا الاختبار بالأمر والنهي والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب، وقال الحسين بن الفضل هو سوق المقادير إلى المواقيت ومعناه إن الله عز وجل كتب ما يكون في كل يوم وقدر ما هو كائن فإذا جاء ذلك الوقت تعلقت إرادته بالفعل فيوجده في ذلك الوقت وقال أبو سليمان الداراني في هذه الآية له في كل يوم إلى العبيد بر جديد وقيل شأنه تعالى أنه يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكراً من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات وعسكراً من الأرحام إلى الدنيا وعسكراً من الدنيا إلى القبور ثم يرتحلون جميعاً إلى الله تعالى: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾ قيل هو وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة وليس هو فراغ عن شغل لأن الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن فهو كقول القائل لمن يريد تهديده لأتفرغن لك وما به شغل وهذا قول ابن عباس وإنما حسن ذكر هذا الفراغ لسبق ذكر الشأن وقيل معناه سنقصدكم بعد الترك والإمهال ونأخذ في أمركم فهو كقول للقائل الذي لا شغل له قد فرغت لك وقيل معناه أن الله وعد أهل التقوى وأوعد أهل الفجور فقال سنفرغ لكم مما وعدناكم وأخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم فننجز لكم ما وعدناكم فنتم ذلك ونفرغ منه فهو على طريق المثل وأراد بالثقلين الإنس والجن سميا ثقلين لأنهما ثقلا على الأرض أحياء وأمواتاً، وقيل كل شيء له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل ومنه قول النبي ﷺ «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» فجعلهما ثقلين إعظاماً لقدرهما وقال جعفر بن محمد الصادق سمي الإنس والجن ثقلين لأنهما مثقلان بالذنوب.

فذلك قوله: ﴿ كلَّ يوم هو في شأن ﴾. قال سفيان بن عيينة: الدهر كله عند الله يومان أحدهما مدة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة، فالشأن الذي هو فيه اليوم الذي هو مدة الدنيا الاختبار بالأمر والنهي والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع، وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب. وقيل: شأنه جلّ ذكره أنه يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر، عسكراً من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات، وعسكراً من الأرحام إلى الدنيا، وعسكراً من الدنيا إلى القبور، ثم يرتحلون جميعاً إلى الله عزّ وجلّ. وقال الحسين بن الفضل: هو سَوْق المقادير إلى المواقيت. وقال أبو سليمان الداراني في هذه الآية: كل يوم له إلى العبيد برّ جديد.

﴿ فبأيّ آلاء ربكما تكذبان * سنفرغ لكم ﴾، قرأ حمزة والكسائي: سيفرغ بالياء لقوله: ﴿ يسأله مَن في السموات والأرض ﴾، ﴿ ويبقى وجه ربك ﴾، ﴿ وله الجوار ﴾، فاتبع الخبر، وقرأ الآخرون بالنون، وليس المراد منه الفراغ عن شغل لأن الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولكنه وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة، كقول القائل لأتفرغنّ لك، وما به شغل، وهذا قول ابن عباس والضحاك، وإنما حسن هذا الفراغ لسبق ذكر الشأن. وقال آخرون: معناه سنقصدكم بعد الترك والإمهال ونأخذ في أمركم، كقول القائل الذي لا شغل له قد تفرغت لك. وقال بعضهم: إن الله وعد أهل التقوى وأوعد أهل الفجور، ثم قال سنفرغ لكم مما وعدناكم، وأخبرناكم فنحاسبكم ونُجازيكم وننجز لكم ما وعدناكم، فنتمّ ذلك ونفرغ منه، وإلى هذا ذهب الحسن ومقاتل. ﴿ أيها الثقلان ﴾، أي الجنّ والإنس سمّيا ثقلين لأنهما ثقلا على الأرض أحياءً وأمواتاً، قال الله تعالى: ﴿ وأخرجتِ الأرضُ أثقالها ﴾ [الزلزلة: ٢]، وقال أهل المعاني: كل شيء له قدر ووزن ينافس فيه ثقل، قال النبي ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» فجعلهما ثقلين إعظاماً لقدرهما، وقال جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: سُمّي الجنّ والإنس ثقلين لأنهما مثقلان بالذنوب.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا﴾ أي تخرجوا **﴿من أقطار السموات والأرض﴾** أي جوانبهما وأطرافهما **﴿فانفذوا﴾** أي فاخرجوا والمعنى إن استطعتم أن تهربوا من الموت بالخروج من أقطار السموات والأرض فاهربوا واخرجوا منها فحيثما كنتم يدرككم الموت وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة والمعنى إن استطعتم أن تخرجوا من أقطار السموات والأرض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فاخرجوا وقيل معناه إن استطعتم أن تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكي ومن سمائي وأرضي فافعلوا وقدم الجن على الإنس في هذه الآية لأنهم أقدر على النفوذ والهرب من الإنس وأقوى على ذلك ثم قال تعالى: **﴿لا تنفذون إلا بسلطان﴾** يعني لا تقدرون على النفوذ إلا بقوة وقهر وغلبة وأني لكم ذلك لأنكم حيثما توجهتم كنتم في ملكي وسلطاني وقال ابن عباس معناه إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموا ولن تعلموه إلا بسلطان أي بينة من الله تعالى: **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾** وفي الخبر **﴿يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادي يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض﴾** الآية فذلك قوله تعالى: **﴿يرسل عليكما شواظ من نار﴾** قال أكثر المفسرين هو اللهب الذي لا دخان فيه وقيل هو اللهب الأخضر المنقطع من النار **﴿ونحاس﴾** وقيل هو الدخان وهو رواية عن ابن

﴿ فبأيِّ آلاء ربكما تكذبان * يا معشر الجنّ والإنس إن استطعتم أن تنفذوا ﴾، أي تجوزوا وتخرجوا، **﴿ من أقطار السمٰواتِ والأرض ﴾**، أي من جوانبهما وأطرافهما، **﴿ فانفذوا ﴾**، معناه إن استطعتم أن تهربوا من الموت بالخروج من أقطار السمٰوات والأرض. فاهربوا واخرجوا منها، والمعنى حيث ما كنتم أدرككم الموت، كما قال جلّ ذكره: **﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ﴾** [النساء: ٧٨]، وقيل: يقال لهم هذا يوم القيامة إن استطعتم أن تجوزوا أطراف السمٰوات والأرض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا، **﴿ لا تنفذون إلّا بسلطان ﴾**، أي: بملك، وقيل: بحجة، والسلطان: القوة التي يتسلّط بها على الأمر، فالملك والقدرة والحجة كلها سلطان، يريد حيثما توجهتم كنتم في ملكي وسلطاني. ورُوِيَ عن ابن عباس قال: معناه إن استطعتم أن تعلموا ما في السمٰوات والأرض فاعلموا ولن تعلموه إلّا بسلطان أي ببيّنة من الله عزّ وجلّ. وقيل قوله: إلّا بسلطان أي إلى سلطان كقوله: **﴿ وقد أحسن بي ﴾** [يوسف: ١٠٠] أي إليّ.

﴿ فبأيِّ آلاء ربكما تكذبان ﴾، وفي الخبر: يُحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادون **﴿ يا معشر الجنّ والإنس إن استطعتم أن تنفذوا ﴾**، الآية.

فذلك قوله عزّ وجلّ: **﴿يُرْسَلُ عليكما شواظٌ من نار﴾**، قرأ ابن كثير بكسر الشين والآخرون بضمها، وهما لغتان مثل صوار من البقر وصوار وهو اللهيب الذي لا دخان فيه هذا قول أكثر المفسّرين. وقال مجاهد: هو اللهب الأخضر المنقطع من النار، **﴿ونحاس﴾**، قرأ ابن كثير وأبو عمر ونحاس بجرّ السين عطفاً على النار، وقرأ الباقون برفعها عطفاً على الشواظ، قال سعيد بن جبير والكلبي: النحاس الدخان، وهو رواية عطاء عن ابن عباس، ومعنى الرفع يرسل عليكما شواظ، ويرسل نحاس هذا مرة وهذا مرة، ويجوز أن يرسلا معاً من غير أن يمتزج أحدهما بالآخر، ومَن جرّ بالعطف على النار يكون ضعيفاً لأنه يكون شواظ من نحاس فيجوز أن يكون تقديره شواظ من نار وشيء من

عباس وقيل هو الصفر المذاب يصب على رؤوسهم وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وقال ابن مسعود النحاس المهل وقيل يرسل عليهما هذا مرة وهذا مرة وقيل يجوز أن يرسلا معاً من غير أن يمتزج أحدهما بالآخر ﴿فلا تنتصران﴾ أي فلا تمتنعان من الله ولا يكون لكم ناصر منه.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٦ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ۝٣٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٨ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ۝٣٩ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٠ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ۝٤١﴾

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان فإذا انشقت السماء﴾ أي انفرجت فصارت أبواباً لنزول الملائكة وقيل المراد منه خراب السماء وذلك لما قال كل من عليها فان إشارة إلى أهل الأرض ذكر في هذه الآية بيان حال سكان السماء وقيل فيه تهويل وتعظيم للأمر لأن فيه إشارة إلى ما هو أعظم من إرسال الشواظ على الإنس والجن وهو تشقق السماء وذوبانها وهو قوله تعالى: ﴿فكانت وردة كالدهان﴾ جمع دهن شبه تلون السماء عند انشقاقها بتلون الفرس الورد وهو الأبيض الذي يضرب إلى الحمرة وقيل إن السماء تتلون يومئذ ألواناً كألوان الفرس الورد يكون في الربيع أصفر وفي أول الشتاء أحمر فإذا اشتد البرد صار أغبر فشبه السماء في تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس في تلونه وقيل كالدهان أي كعصير الزيت لأنه يتلون في الساعة ألواناً وقيل تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصلها حر جهنم وقيل كالدهان أي كالأديم الأحمر ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ قيل لا يسألون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم لأن الله تعالى علمها منهم وكتبتها الحفظة عليهم وهذه رواية عن ابن بعاس وعنه لا تسأل الملائكة المجرمين لأنهم يعرفون بسيماهم دليله ما بعده وعن ابن عباس أيضاً في الجمع بين هذه الآية وبين قوله

نحاس، على أنه حكى أن الشواظ لا يكون من النار والدخان جميعاً، قال مجاهد وقتادة: النحاس هو الصفر المُذاب يُصبّ على رؤوسهم، وهو رواية العوفي عن ابن عباس. وقال عبد الله بن مسعود النحاس هو المهل. ﴿ فلا تنتصران ﴾، أي فلا تمتنعان من عذاب الله ولا يكون لكم ناصر منه.

﴿ فبأيّ آلاء ربكما تكذبان * فإذا انشقّتِ ﴾، انفرجت، ﴿ السماء ﴾، فصارت أبواباً لنزول الملائكة ﴿ فكانت وردة ﴾، أي كلون الفرس الورد، وهو الأبيض الذي يضرب إلى الحمرة والصفرة، قال قتادة: إنها اليوم خضراء ويكون لها يومئذ لون آخر يضرب إلى الحمرة. وقيل: إنها تتلوّن ألواناً يومئذ كلون الفرس الورد يكون في الربيع أصفر وفي أول الشتاء أحمر فإذا اشتدّ الشتاء كان أغبر فشبّه السماء في تلوّنها عند انشقاقها بهذا الفرس في تلوّنه، ﴿ كالدهان ﴾، جمع دهن شبّه تلوّن السماء بتلوّن الورد من الخيل وشبّه الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه، وهو قول الضحاك ومجاهد وقتادة والربيع، وقال عطاء بن أبي رباح: كالدهان كعصير الزيت يتلوّن في الساعة ألواناً. وقال مقاتل: كدهن الورد الصافي. وقال ابن جريج تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصيبها حرّ جهنّم. وقال الكلبي: كالدهان أي كالأديم الأحمر وجمعه أدهنة ودهن.

﴿ فبأيّ آلاء ربكما تكذبان * فيومئذٍ لا يسئل عن ذنبه إنسٌ ولا جان ﴾، قال الحسن وقتادة: لا يسألون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم لأن الله عزّ وجلّ علمها منهم، وكتبت الملائكة عليهم وهي رواية العوفي عن ابن عباس. وعنه أيضاً لا تسأل الملائكة المجرمين لأنهم يعرفونهم بسيماهم دليله ما بعده وهذا قول مجاهد. وعن ابن عباس في الجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿ فوربِّك لنسئلنّهم أجمعين ﴾ [الحجر: ٩٢]، قال: لا يسألهم هل علمتم

تعالى: ﴿**فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون**﴾ قال لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لأنه أعلم بذلك منهم ولكنه يسألهم لم عملتم كذا وكذا وقيل إنها مواطن فيسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها وعن ابن عباس أيضاً قال لا يسألون سؤال شفقة ورحمة إنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ وقيل لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم**﴾، يعني بسواد وجوههم وزرقة عيونهم ﴿**فيؤخذ بالنواصي والأقدام**﴾ قيل تجعل الأقدام مضمومة إلى النواصي من خلف ظهره وقيل تجعل رؤوسهم على ركبهم ونواصيهم في أصابع أرجلهم مربوطة وقيل يسحب بعضهم بالنواصي وبعضهم بالأقدام ثم يلقون في النار.

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم**﴾ أي يقال لهم هذه جهنم ثم يلقون فيها ﴿**التي يكذب بها المجرمون**﴾ يعني المشركين ﴿**يطوفون بينها وبين حميم آن**﴾ يعني قد انتهى حره ى أنهم يسعون بين الحميم وبين الجحيم فإذا استغاثوا من النار جعل عذابهم الحميم الأنى الذي قد صار كالمهل وقال كعب الأحبار آن واد من أودية جهنم يجمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الأغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقاً جديداً فيلقون في النار فذلك قوله تعالى: ﴿**يطوفون بينها وبين حميم آن**﴾ ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ فإن قلت هذه الأمور المذكورة في هذه الآيات من قوله: ﴿**كل من عليها فان**﴾ إلى هنا ليست نعماً فكيف عقبها بقوله ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾.

كذا وكذا لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يسألهم لِمَ عملتم كذا وكذا؟ وعن عكرمة أنه قال: إنها مواطن يسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها. وعن ابن عباس أيضاً لا يسألون سؤال شفقة ورحمة وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ. وقال أبو العالية لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم.

﴿ **فبأيّ آلاء ربكما تكذبان * يُعرَف المجرمون بسيماهم** ﴾، وهو سواد الوجوه وزُرقة العيون، كما قال جلّ ذكره: ﴿ يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، ﴿ **فيؤخذ بالنواصي والأقدام** ﴾.

﴿ **فبأيّ آلاء ربكما تكذبان** ﴾، تجعل الأقدام مضمومة إلى النواصي من خلف ويُلقون في النار.

ثم يقال لهم: ﴿ **هذه جهنم التي يُكذَب بها المجرمون** ﴾، المشركون.

﴿ **يطوفون بينها وبين حميم آن** ﴾، قد انتهى حرّه. قال الزجّاج: أنّى يأنى فهو آن إذا انتهى في النضج، والمعنى: أنهم يسعون بين الجحيم والحميم فإذا استغاثوا من حرّ النار جعل عذابهم الحمهم الآني الذي صار كالمهل، وهو قوله: ﴿ وإن يستغيثوا يُغاثوا بماء كالمهل ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال كعب الأحبار: آن وادٍ من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الأغلال فيغمسون في ذلك الوادي حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله تعالى بهم خلقاً جديداً فيُلقون في النار، وذلك قوله: ﴿ **يطوفون بينها وبين حميم آن** ﴾.

﴿ **فبأيّ آلاء ربكما تكذبان** ﴾، وكلّ ما ذكر الله تعالى من قوله: ﴿ كلّ مَن عليها فانٍ ﴾ [الرحمن: ٢٦] إلى ههنا مواعظ وزواجر وتخويف، وكل ذلك نعمة من الله تعالى لأنها تزجر عن المعاصي، ولذلك ختم كل آية بقوله: ﴿ **فبأيّ آلاء ربكما تكذبان** ﴾، ثم ذكر ما أعدّه لمَن اتّقاه وخافه.

قلت المذكور في هذه الآيات مواعظ وزواجر وتخويف وكل ذلك نعمة من الله تعالى لأنها تزجر العبد عن المعاصي فصارت نعماً فحسن ختم كل آية منها بقوله تعالى: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ ثم ذكر ما أعده لمن اتقاه وخافه من عباده المؤمنين فقال تعالى: ﴿**ولمن خاف مقام ربه**﴾ يعني مقامه بين يدي ربه للحساب فترك الشهوة والمعصية وقيل قيام ربه عليه يعني اطلاعه عليه وهو الذي يهم بالمعصية فيذكر الله واطلاعه عليه فيدعها من مخافة الله وقيل لمن راقب الله في السر والعلانية بعمله فما عرض له من محرم تركه من خشيته وما عمل من خير أخلصه لله ولا يحب أن يطلع عليه أحد قيل إن المؤمنين خافوا ذلك المقام فعملوا لله مع الإخلاص ودأبوا الليل والنهار ﴿**جنتان**﴾ يعني جنة عدن وجنة نعيم وقيل جنة بخوفه ربه وجنة بتركه شهوته.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة» أخرجه الترمذي قوله أدلج الإدلاج محففاً سير أول الليل ومثقلاً سير آخر الليل والمراد من الإدلاج التشمير والجد والاجتهاد في أول الأمر فإن من سار أول الليل كان جديراً ببلوغ المنزل وروى البغوي بسنده عن أبي ذر «أنه سمع النبي ﷺ يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وإن زنى وإن سرق؟ فقال وإن زنى وإن سرق ثم قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال وإن زنى وإن سرق ثم قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثالثة وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر».

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ

فقال: ﴿ **ولمَن خاف مقام ربّه** ﴾، أي مقامه بين يدي ربّه للحساب فترك المعصية والشهوة. وقيل: قيام ربّه عليه بيانه قوله: ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ [الرعد: ٣٣] وقال إبراهيم النخعي ومجاهد: هو الذي يهمّ بالمعصية فيذكر الله فيدعها من مخافة الله. وقوله: ﴿ **جنتان** ﴾ قال مقاتل جنة عدن وجنّة نعيم. قال محمد بن علي الترمذي: جنّة لخوفه ربه وجنّة لتركه شهوته. قال الضحاك هذا لمَن راقب الله في السرّ والعلانية بعلمه ما عرض له من محرم تركه من خشية الله وما عمل من خير أفضى به إلى الله لا يحبّ أن يطّلع عليه أحد. وقال قتادة: إن المؤمنين خافوا ذلك المقام فعملوا لله ودأبوا بالليل والنهار، أخبرنا أبو الحسن علي بن القرشي أنا أبو مسلم غالب بن علي الرازي حدّثنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن يونس أنا أبو جعفر محمد بن موسى بن عيسى الحلواني أنا محمد بن عبيد الهمداني أنا هاشم بن القاسم عن أبي عقيل هو الثقفي عن يزيد بن شيبان سمعت بكير بن فيروز قال سمعت أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن خاف أدلج ومَن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة». أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشمهيني أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر عن محمد بن أبي حرملة مولى حويطب ابن عبد العزيز عن عطاء بن يسار عن أبي الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ يقصّ عل المنبر وهو يقول: ﴿ **ولمَن خاف مقام ربّه جنّتان** ﴾، قلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: ﴿ **ولمَن خاف مقام ربّه جنتان** ﴾، فقلت الثانية: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: ﴿ **ولمَن خاف مقام ربّه جنتان** ﴾، فقلت في الثالثة: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ قال: «وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي الدرداء».

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ ثم وصف الجنتين فقال تعالى: ﴿ذواتا أفنان﴾ أي أغصان واحدها فنن وهو الغصن المستقيم طولاً وقيل ذواتا ظلال وهو ظل الأغصان على الحيطان، وقال ابن عباس ذواتا ألوان يعني ألوان الفواكه وجمع عطاء بين القولين فقال في كل غصن فنون من الفاكهة وقيل ذواتا فضل وسعة على ما سواهما، ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان﴾ قال ابن عباس بالكرامة والزيادة لأهل الجنة وقيل تجريان بالماء الزلال إحداهما التسليم والأخرى السلسبيل وقيل إحداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان﴾ أي صنفان ونوعان وقيل معناه إن فيهما من كل ما يتفكه به ضربين رطباً ويابساً قال ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل إلا أنه حلو ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش﴾ جمع فراش ﴿بطائنها﴾ جمع بطانة والتي تلي الأرض من تحت الظهارة ﴿من استبرق﴾ وهو ما غلظ من الديباج قال ابن مسعود وأبو هريرة هذه البطائن فما ظنكم بالظهائر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظهائر؟ قال هي مما قال الله تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾، وعنه أيضاً قال بطائنها من استبرق وظواهرها من نور جامد وقال ابن عباس وصف البطائن وترك الظواهر لأنه ليس في الأرض أحد يعرف ما الظواهر وقيل ظواهرها من سندس وهو الديباج الرقيق الناعم وهذا يدل على نهاية شرف هذه الفرش لأنه ذكر أن بطائنها من الإستبرق ولا بد أن تكون الظهائر خيراً من البطائن فهو مما لا يعلمه البشر، ﴿وجنى الجنتين دان﴾ يعني أن ثمرهما

﴿ فبأيّ آلاء ربكما تكذبان ﴾ ثم وصف الجنّتين.

فقال: ﴿ ذواتا أفنان ﴾، أغصان واحدها فنن، وهو الغصن المستقيم طولاً. وهذا قول مجاهد وعكرمة والكلبي، وقال عكـرمة ظـل الأغصان على الحيطان. قال الحسن: ذواتا ظلال. قال ابن عباس: ألوان. قال سعيد بن جبير والضحاك: ألوان الفواكه واحدها فنن من قولهم أفنن فلان في حديثه إذا أخذ في فنون منه وضروب. وجمع عطاء بين القولين فقال: في كل غصن فنون من الفاكهة. وقال قتادة: ذواتا فضل وسعة على ما سواهما.

﴿ فبأيّ آلاء ربكما تكذبان * فيهما عينان تجريان ﴾، قال ابن عباس: بالكرامة والزيادة على أهل الجنة. قال الحسن: تجريان بالماء الزلال إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل. وقال عطة إحداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذّة للشاربين.

﴿ فبأيّ آلاء ربكما تكذبان * فيهما من كل فاكهة زوجان ﴾، صنفان ونوعان، قيل: معناه إن فيهما من كل ما يتفكّه به ضربين رطباً وبابساً. قال ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرّة ألا وهي في الجنة حتى الحنظل إلّا أنه حلو.

﴿ فبأيّ آلاء ربكما تكذبان * متّكئين على فرش ﴾، جمع فراش، ﴿ بطائنها ﴾، جمع بطانة وهي التي تحت الظهارة. وقال الزجّاج: وهي مما يلي الأرض. ﴿ من استبرق ﴾، وهو ما غلظ من الديباج. قال ابن مسعود وأبو هريرة: هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر؟ وقيل لسعيد بن جبير: البطائن من إستبرق والظواهر؟ قال: هذا مما قال الله عزّ وجلّ: ﴿ فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قُرّة أعين ﴾ [السجدة: ١٧]، وعنه أيضاً قال: بطائنها من إستبرق فظواهرها من نورٍ جامد. وقال ابن عباس: وصف البطائن وترك الظواهر لأنـه ليس في الأرض أحد يعـرف ما الـظواهر.

قريب يناله القائم والقاعد والنائم وهذا بخلاف ثمر الدنيا فإنها لا تنال إلا بكدٍّ وتعب قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجنيها ولي الله إن شاء قائماً وإن شاء قاعداً وقيل لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٥ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٧ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨﴾

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن﴾ فإن قلت الضمير إلى ماذا يعود؟

قلت إلى الجنتين وإنما جمع بقوله فيهن لاشتمال الجنتين على مساكن وقصور ومجالس ﴿قاصرات الطرف﴾ أي غاضات الأعين قصرن أطرافهن على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم ولا يردن سواهم قيل تقول الزوجة لزوجها وعزة ربي ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجتك ﴿لم يطمثهن﴾ أي لم يجامعهن ولم يفرعهن والمعنى لم يدمهن بالجماع وقيل معناه لم يمسهن ومنه قول الفرزدق:

خرجن إلي لم يطمثن قبل ... وهن أصح من بيض النعام

أي لم يمسسني والمعنى لم يطأهن ولم يغشهن ﴿إنس قبلهم﴾ أي قبل أزواجهن من أهل الجنة، ﴿ولا جان﴾ قيل إنما نفي الجن لأن لهم أزواجاً في الجنة منهم وفي الآية دليل على أن الجني يغشى كما يغشى الإنسي وسئل ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب؟ فقال نعم وقرأ هذه الآية ثم قال الإنسيات للإنس والجنيات للجن وقال مجاهد في هذه الآية إذا جامع ولم يسم انطوى الجني على إحليله فجامع معه واختلف في هؤلاء اللواتي لم يطمثن فقيل هن الحور العين لأنهن خلقن في الجنة فلم يمسهن أحد قبل أزواجهن وقيل إنهن من نساء الدنيا أنشئن خلقاً آخر أبكاراً كما وصفهن.

لم يمسهن منذ أنشئن خلقاً آخر أحد وقيل هن الآدميات اللاتي متن أبكاراً ومعنى الآية المبالغة في نفي الطمث

﴿ وجنى الجنتين دان ﴾، الجنى ما يُجتنى من الثمار، يريد ثمرهما دانٍ قريب يناله القائم والقاعد والنائم. قال ابن عباس: تدنو الشجرة حتى يجتنيها وليّ الله إن شاء قائماً وإن شاء قاعداً. قال قتادة: لا يردّ أيديهم عنها بُعْدٌ ولا شوك.

﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيهنَّ قاصرات الطرف ﴾، غاضّات الأعين، قصرن طرفهنّ على أزواجهنّ لا ينظرن إلى غيرهم ولا يردن غيرهم. قال ابن زيد: تقول لزوجها وعزّة ربّي ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك، فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجتك. ﴿ لم يطمثهنّ ﴾ لم يجامعهنّ ولم يفرعهنّ، وأصله من الدم قيل للحائض طامث، كأنه قال لم يدمهنّ بالجماع، ﴿ إنس قبلهم ولا جان ﴾، قال الزجّاج: فيه دليل على أن الجنّي يغشى كما يغشى الإنسي. قال مجاهد: إذا جامع الرجل ولم يسمِّ انطوى الجان على إحليله فجامع معه. قال مقاتل في قوله: ﴿ لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جان ﴾: لأنهنّ خلقهنّ في الجنة. فعلى قوله هؤلاء من حور الجنّة. وقال الشعبي: هنّ من نساء الدنيا لم يمسسن منذ أُنشئن، وهو قول الكلبي يعني لم يجامعهنّ في هذا الخلق الذي أُنشئن فيه إنس ولا جان. وقرأ طلحة مصرِّف: ﴿ لا يطمثهنّ ﴾ بضم الميم فيهما، وقرأ الكسائي إحداهما بالضم فإن كسر الأولى ضمّ الثانية وإن ضمّ الأولى كسر الثانية، لمّا روى أبو إسحاق السبيعي قال: كنت أُصلّي خلف أصحاب علي رضي الله عنه فأسمعهم يقرؤون لم يطمثهنّ بالرفع، وكنت أُصلّي خلف أصحاب عبد الله بن مسعود فأسمعهم يقرؤون بكسر الميم، وكان الكسائي يضمّ إحداهما ويكسر الأخرى لئلا يخرج عن هذين الأثرين.

عنهن لأن ذلك أقر لأعين أزواجهن إذا لم يغشهن أحد غيرهم ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان﴾ أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان وهو صغار اللؤلؤ وأشده بياضاً وقيل شبه لونهن ببياض اللؤلؤ مع حمرة الياقوت لأن أحسن الألوان البياض المشوب بحمرة والأصح أنه شبههن بالياقوت لصفائه لأنه حجر لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لرأيت السلك من ظاهره لصفائه وقال عمرو بن ميمون إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء الحلل كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء يدل على صحة ذلك ما روي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك لأن الله تعالى يقول كأنهن الياقوت والمرجان فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لرأيته من ورائه أخرجه الترمذي قال وقد روي عن ابن مسعود بمعناه ولم يرفعه وهو أصح (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر زاد في رواية ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبصقون فيها ولا يتمخطون ولا يتغوطون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشياً، وللبخاري قلوبهم على قلب رجل واحد وزاد فيه ولا يسقمون قوله مجامرهم الألوة يعني بخورهم العود.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ أي ما جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يحسن إليه

﴿ فبأيّ آلاء ربكما تكذبان * كأنهنّ الياقوت والمرجان ﴾، قال قتادة: صفاء الياقوت في بياض المرجان. وروينا عن أبي سعيد في صفة أهل الجنة عن رسول الله ﷺ: «لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلّة، يرى مخّ سوقهنّ دون لحمهما ودمائهما وجلدهما». أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب أنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم كأشدّ كوكب دري في السماء إضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرىء منهم زوجتان من الحور العين يرى مخّ سوقهنّ من وراء العظم واللحم من الحُسْن، يسبّحون الله بكرةً وعشيّاً لا يسقمون ولا يبولون ولا يتغوطون، ولا يُتفلون ولا يتمخطون، آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب، ووُقود مجامرهم الألوة ورشحهم المسك على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستّون ذراعاً في السماء». أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين أنا هارون بن محمد بن هارون أنا حازم بن يحيىٰ الحلواني أنا سهيل بن عثمان العسكري أنا عبيدة بن حميد عن عطاء بن المسيب عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «إن المرأة من أهل الجنة ليُرى بياض ساقها من وراء سبعين حلّة من حرير ومخّها إن الله تعالى يقول: ﴿كأنهنّ الياقوت والمرجان﴾، فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لرأيته من ورائه. وقال عمرو بن ميمون: إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلّة فيرى مخّ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء.

﴿ فبأيّ آلاء ربكما تكذبان * هل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان ﴾، أي ما جزاء مَن أحسن في الدنيا إلاّ أن

في الآخرة وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة. روى البغوي بإسناد الثعلبي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قرأ رسول الله ﷺ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ثم قال هل تدرون ما قال ربكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة، وروى الواحدي بغير سند عن ابن عمر وابن عباس أن رسول الله ﷺ قال في هذه الآية يقول الله عز وجل هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي إلا أن أسكنه جنتي وحظيرة قدسي برحمتي، وقيل في معنى الآية هل جزاء من أتى بالفعل الحسن إلا أن يؤتى في مقابلته بفعل حسن وفي الآية إشارة إلى رفع التكليف في الآخرة لأن الله وعد المؤمنين بالإحسان وهو الجنة فلو بقي التكليف في الآخرة وتركه العبد لاستحق العقاب على ترك العمل والعقاب ترك الإحسان إليه فلا تكليف ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان**﴾ أي ومن دون الجنتين الأوليين جنتان أخريان وقال ابن عباس من دونهما في الدرج وقيل في الفضل وقال أبو موسى الأشعري جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للنابعين وقال ابن جريج هن أربع جنان: جنتان للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لأصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة ونخل ورمان، (ق) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وقال الكناني ومن دونهما جنتان يعني أمامهما وقبلهما يدل عليه قول الضحاك الجنتان الأوليان من ذهب وفضة والجنتان الأخريان من ياقوت وزبرجد وهما أفضل من الأوليين ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾ ثم وصف الجنتين فقال تعالى: ﴿**مدهامتان**﴾ أي سوداوان من ريهما وشدة خضرتهما لأن الخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد، ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما**

يُحسَن إليه في الآخرة. وقال ابن عباس: هل جزاء مَن قال: لا إله إلّا الله وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلّا الجنة؟ أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه أنا ابن أبي شيبة أنا ابن إسحاق ابن إبراهيم بن بهرام أنا الحجّاج بن يوسف المكتب أنا بشر بن الحسين عن الزبير عدي عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ **هل جزاء الإحسان إلّا الإحسان** ﴾، ثم قال: هل تدرون ما قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «يقول هل جزاء مَن أنعمت عليه بالتوحيد إلّا الجنّة».

﴿ **فبأيّ آلاء ربكما تكذبان * ومن دونهما جنتان** ﴾، أي من دون الجنتين الأوليين جنتان أُخريان. قال ابن عباس: من دونهما في الدرج. وقال ابن زيد: من دونهما في الفضل. وقال أبو موسى الأشعري: جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين. وقال ابن جريج: هنّ أربع جنتان للمقرّبين السابقين فيها من كل فاكهة زوجان وجنتان لأصحاب اليمين والتابعين ﴿**فيهما فاكهة ونخل ورمّان**﴾. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا علي بن عبد الله أنا عبد العزيز بن عبد الصمد عن أبي عمران عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلّا رداء الكبرياء على وجهه في جنّة عدن». وقال الكسائي: ﴿ **ومن دونهما** ﴾ أي أمامهما وقبلهما، يدلّ عليه قول الضحاك: الجنتان الأوليان من ذهب وفضة والأُخريان من ياقوت.

﴿ **فبأيّ آلاء ربكما تكذبان * مدهامّتان** ﴾، ناعمتان سوداوان من ريّهما وشدّة خضرتهما، لأن الخضرة إذا اشتدّت ضربت إلى السواد، يقال: إدهام الزرع إذا علاه السواد ريّاً ادهيماماً فهو مدهام.

﴿ **فبأيّ آلاء ربكما تكذبان * فيهما عينان نضّاختان** ﴾، فوّارتان بالماء لا تنقطعان والنضخ فوران الماء من

عينان نضاختان﴾ أي فوارتان بالماء لا ينقطعان وقال ابن عباس والضحاك ينضخان بالخير والبركة على أهل الجنة وقال ابن مسعود ينضخان بالمسك والكافور على أولياء الله وقال أنس بن مالك ينضخان بالمسك والعنبر في دور أهل الجنة كطش المطر.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان﴾ يعني فيهما من أنواع الفواكه كلها وإنما عطف النخل والرمان بالواو وإن كانا من جملة الفواكه تنبيهاً على فضلهما وشرفهما على سائر الفواكه وعلى هذا القول عامة المفسرين وأهل اللغة قالوا إنما فضلهما بالذكر للتخصيص والتفضيل فهو كقوله من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال خصهما بالذكر وإن كان من جملة الملائكة لشرفهما وفضلهما وقيل بعضهم ليس النخل والرمان من الفواكه لأن ثمرة النخل فاكهة وطعام وثمرة الرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ولهذا قال أبو حنيفة إذا حلف لا يأكل الفاكهة فأكل رطباً أو رماناً لم يحنث وخالفه صاحباه وهذا القول خلاف قول أهل اللغة ولا حجة له في الآية وروى البغوي بسنده عن ابن عباس موقوفاً قال نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكرمها ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها حللهم وثمرها مثل القلال أو الدلاء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس له عجم وروي أن الرمانة من رمان الجنة مثل البعير المقتب وقيل إن نخل أهل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما نزعت منها واحدة عادت مكانها أخرى العنقود منها اثني عشر ذراعاً، ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن﴾ أي في الجنان الأربع

العين، قال ابن عباس: تنضخان بالخير والبركة على أهل الجنة، وقال ابن مسعود: تنضخان بالمسك والكافور على أولياء الله. وقال أنس بن مالك: تنضخان بالمِسك والعنبر في دور أهل الجنة كطش المطر.

﴿ فبأيّ آلاء ربكما تكذبان * فيهما فاكهة ونخل ورمّان ﴾، قال بعضهم: ليس النخل والرمان من الفاكهة والعامّة على أنها من الفاكهة، وإنما أعاد ذكر النخل والرمّان وهما من جملة الفواكه للتخصيص والتفضيل، كما قال تعالى: ﴿ مَن كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال ﴾ [البقرة: ٩٨]، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن حارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن حمّاد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: نخل الجنة جذوعها زمرّد أخضر وورقها ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال القلال أو الدلاء أشد بيضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس له عجم.

﴿ فبأيّ آلاء ربكما تكذبان * فيهنّ ﴾، يعني في الجنّات الأربع، ﴿ خيرات حسان ﴾، روى الحسن عن أبيه عن أُم سلمة قالت: قلت لرسول الله ﷺ: أخبرني عن قوله: ﴿ خيرات حسان ﴾، قال: «خيرات الأخلاق حسان الوجوه».

﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان * حور مقصورات ﴾، محبوسات مستورات في الحِجال، يقال: امرأة مقصورة وقصيرة إذا كانت مخدّرة مستورة لا تخرج. وقال مجاهد: يعني قصرن طرفهنّ وأنفسهنّ على أزواجهنّ فلا يبغين

﴿خيرات حسان﴾ روي عن أم سلمة قالت قلت لرسول الله ﷺ أخبرني عن قوله خيرات حسان قال خيرات الأخلاق حسان الوجوه، ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات﴾ أي مخدرات مستورات لا يخرجن لكوامتهن وشرفهن روي عن النبي ﷺ أنه قال «لو أن امرأة من نساء أهل الجنة أطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بين السماء والأرض ولملأت ما بينهما ريحاً ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها» وقيل قصرن أطرافهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يبغين بهم بدلاً ﴿في الخيام﴾ قيل هي البيوت. قال ابن الأعرابي الخيمة لا تكون إلا من أربعة أعواد ثم تسقف بالثمام ويقال خيم فلان خيمة إذا بناها من جريد النخل وخيم بها إذا قام بها وتظلل فيها وقيل كل خيامها من در ولؤلؤ وزبرجد مجوف تضاف إلى القصور في الجنة. (ق) عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء وفي رواية عرضها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾ تقدم تفسيره، ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر﴾ قيل الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة ويروى هذا عن ابن عباس وقيل إن الرفرف البسط، وعن ابن عباس الرفرف فضول المجالس والبسط منه وقيل هي مجالس خضر فوق الفرش وقيل هي المرافق وقيل الزرابي وقيل كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف ﴿وعبقري حسان﴾ قيل هي الزرابي والطنافس الثخان وقيل هي الطنافس الرقاق وقيل كل ثوب موشى عند العرب فهو عبقري وقال الخليل كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم فهو عبقري عند العرب ومنه قول النبي ﷺ في عمر «فلم أر عبقرياً يفري فريه» وأصل هذا فيما قيل إنه نسب إلى عبقر وهي أرض يسكنها الجن فصار مثلاً لكل منسوب إلى شيء رفيع عجيب وذلك أن العرب تعتقد في الجن كل صفة عجيبة وأنهم يأتون بكل أمر عجيب ولما كانت عبقر معروفة بسكنى الجن نسبوا إليها كل شيء عجيب بديع.

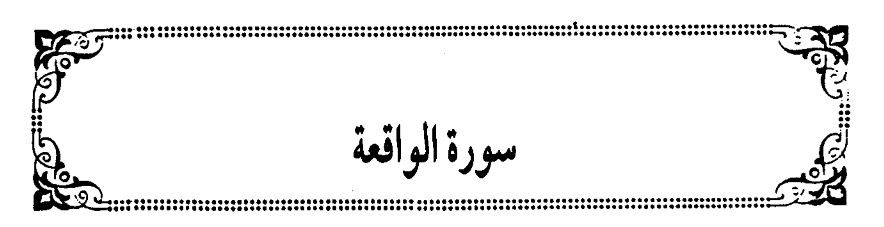
بهم بدلاً، وروينا عن النبي ﷺ قال: «لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطّلعت إلى الأرض لأضاءت ما بين السماء والأرض ولملأت ما بينهما ريحاً ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها». ﴿في الخيام﴾ جمع خيمة، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن المثنى أنا عبد العزيز بن عبد الصمد أنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوّفة عرضها ستّون ميلاً في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن».

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان * لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * متّكئين على رَفرف خُضر﴾، قال سعيد بن جبير: الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة. ويُروَى ذلك عن ابن عباس، واحدتها رفرفة، وقال: الرفارف جمع الجمع، وقيل: الرفرف البسط، وهو قول الحسن ومقاتل والقرظي وروى العوفي عن ابن عباس الرفرف فضول المجالس والبسط. وقال الضحاك وقتادة: هي مجالس خضر فوق الفرش. وقال ابن كيسان: هي المرافق. وقال ابن عيينة الزرابي. وقال غيره: هي ثوب عريض عند العرب فهو رفرف. ﴿وعبقري حسان﴾، هي الزرابي والطنافس الثخان، وهي جمع واحدتها عبقرية، وقال قتادة: العبقري عتاق الزرابي، وقال أبو العالية هي الطنافس المخملة إلى الرقة. وقال القتيبي: كل ثوب موشّى عند العرب عبقري. وقال أبو عبيدة هو منسوب إلى أرض يعمل بها الوشي قال الخليل: كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم عند العرب عبقري، ومنه قول النبي ﷺ في عمر رضي الله عنه: «فلم أرَ عبقرياً يفري فريه».

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾ قيل لما ختم نعم الدنيا بقوله «ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام» وفيه إشارة إلى أن الباقي هو الله تعالى وأن الدنيا فانية ختم نعمة الآخرة بهذه الآية وهو إشارة إلى تمجيده وتحميده (م) عن ثوبان قال «كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام» وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت «كان رسول الله ﷺ إذا سلم من الصلاة لم يقعد إلا مقدار ما يقول: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام» أخرجه أبو داود والنسائي غير قولها لم يقعد إلا مقدار ما يقول والله أعلم بمراده.

﴿ فبأيّ آلاء ربكما تكذبان * تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام ﴾، قرأ أهل الشام (ذو الجلال) بالواو وكذلك هو في مصاحفهم إجراءً على الاسم، أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي أنا عبد الله بن محمد بن مسلم ثنا أبو بكر الجوزي أنا أحمد بن حرب أنا أبو معاوية الضرير عن عاصم الأحول عن عبد الله بن الحارث عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا سلّم من الصلاة لم يقعد إلاّ مقدار ما يقول: «اللّهمَّ أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام».



سورة الواقعة

(مكية وهي سبع وتسعون آية وثلاثمائة وثمان وسبعون كلمة وألف وسبعمائة وثلاثة أحرف)

روى البغوي بسنده عن أبي ظبية عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً.

وكان أبو ظبية لا يدعها أبداً» وأخرجه ابن الأثير في كتابه جامع الأصول لم يعزه والله تعالى أعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ
بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾

قوله عز وجل: ﴿**إذا وقعت الواقعة**﴾ يعني إذا قامت القيامة وقيل إذا نزلت صيحة القيامة وهي النفخة الأخيرة وقيل الواقعة اسم للقيامة كالآزفة، ﴿**ليس لوقعتها**﴾ يعني لمجيئها ﴿**كاذبة**﴾ يعني ليس لها كذب والمعنى أنها تقع حقاً وصدقاً وقيل معناه ليس لوقعتها قصة كاذبة أي كل ما أخبر الله عنها وقص من خبرها قصة صادقة غير كاذبة وقيل معناه ليس لوقعتها نفس كاذبة أي إن كل من يخبر عن وقوعها صادق غير كاذب لم تكذب نفس أخبرت عن وقوعها، ﴿**خافضة رافعة**﴾ أي تخفض أقواماً إلى النار وترفع أقواماً إلى الجنة وقال ابن عباس تخفض أقواماً كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع أقواماً كانوا في الدنيا مستضعفين وقيل تخفض أقواماً بالمعصية وترفع أقواماً بالطاعة، ﴿**إذا رجت الأرض رجاً**﴾ أي إذا حركت وزلزلت زلزالاً وذلك أن الله عز وجل إذا أوحى إليها اضطربت فرقاً وخوفاً قال المفسرون

سُورَة الواقِعَة

مكيّة وهي ست وتسعون آية.

﴿ **إذا وقعت الواقعة** ﴾، إذا قامت القيامة. وقيل: إذا نزلت صيحة القيامة، وهي النفخة الأخيرة.

﴿ **ليس لوقعتها** ﴾، لمجيئها، ﴿ **كاذبة** ﴾، كذب، كقول: ﴿ لا تسمع فيها لاغية ﴾ [الغاشية: ١١]، أي لغو يعني أنها تقع صدقاً وحقاً. والكاذبة اسم كالعافية والنازلة.

﴿ **خافضة رافعة** ﴾، تخفض أقواماً إلى النار وترفع آخرين إلى الجنة. وقال عطاء عن ابن عباس: تخفض أقواماً كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع أقواماً كانوا في الدنيا مستضعفين.

﴿ **إذا رجّتِ الأرض رجّاً** ﴾، حرّكت وزلزلت زلزالاً، قال الكلبي: إن الله إذا أوحى إليها اضطربت فرقاً. قال

ترج كما يرج الصبي في المهد حتى ينهدم كل بناء عليها وينكسر كل ما فيها من جبال وغيرها وهو قوله تعالى: ﴿وبست الجبال بساً﴾ أي فتتت حتى صارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول وقيل صارت كثيباً مهيلاً بعد أن كانت شامخة وقيل معناه قلعت من أصلها وسيرت على وجه الأرض حتى ذهب بها ﴿فكانت هباء منبثاً﴾ أي غباراً متفرقاً كالذي يرى في شعاع الشمس إذا دخل الكوة وهو الهباء، ﴿وكنتم أزواجاً﴾ أي أصنافاً ﴿ثلاثة﴾ ثم فسر الأزواج فقال تعالى: ﴿فأصحاب الميمنة﴾ يعني أصحاب اليمين.

والميمنة ناحية اليمين وهم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة وقال ابن عباس هم الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه وقال الله تعالى: «هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي» وقيل هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم وقيل هم الذين كانوا ميامين أي مباركين على أنفسهم وكانت أعمالهم صالحة في طاعة الله وهم التابعون بإحسان ﴿ما أصحاب الميمنة﴾ تعجيب من حالهم في السعادة. والمعنى أي شيء هم.

وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾

﴿وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة﴾ يعني أصحاب الشمال وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار وقال ابن عباس هم الذين كانوا على شمال آدم عند إخراج الذرية وقال الله تعالى لهم: «هؤلاء إلى النار ولا أبالي»

المفسّرون: ترجّ كما يرجّ الصبي في المهد حتى ينهدم كل بناء عليها وينكسر كل ما عليها من الجبال وغيرها. وأصل الرجّ في اللغة التحريك، يقال: رججته فارتجّ.

﴿ وبُسّتِ الجبال بسّاً ﴾، قال عطاء ومقاتل ومجاهد: فتّتت فتّاً فصارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول. قال سعيد بن المسيب والسدي: كسرت كسراً وقال الكلبي: سيّرت على وجه الأرض تسييراً. قال الحسن: قلعت من أصلها فذهبت، نظيرها: ﴿ فقلْ ينسفها ربي نسفاً ﴾ [طه: ١٠٥] قال ابن كيسان: جعلت كثيباً مهيلاً بعد أن كانت شامخة طويلة.

﴿ فكانت هباءً منبثّاً ﴾، غباراً متفرقاً كالذي يُرى في شعاع الشمس إذا دخل الكوّة وهو الهباء.

﴿ وكنتم أزواجاً ﴾، أصنافاً، ﴿ ثلاثة ﴾.

ثم فسّرها فقال: ﴿ فأصحاب الميمنة ﴾، هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وقال ابن عباس: هم الذين كانوا على يمين آدم حين أُخرجت الذريّة من صلبه، وقال الله لهم هؤلاء في الجنة ولا أُبالي. وقال الضحاك: هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم. وقال الحسن والربيع: هم الذين كانوا ميامين مباركين على أنفسهم، وكانت أعمارهم في طاعة الله وهم التابعون بإحسان، ثم عجب نبيّه ﷺ، فقال: ﴿ ما أصحاب الميمنة ﴾، وهذا كما يقال: زيد ما زيد يُراد زيد شديد.

﴿ وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ﴾، يعني أصحاب الشمال، والعرب تسمّي اليد اليسرى الشؤمى، ومنه يسمى الشام واليمن لأن اليمن عن يمين الكعبة والشأم عن شمالها، وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار. وقال ابن عباس: هم الذين كانوا على شمال آدم عند إخراج الذريّة وقال الله لهم: هؤلاء في النار ولا أُبالي. وقال الضحاك: هم الذين يؤتون كتبهم بشمالهم. وقال الحسن: هم المشائيم على أنفسهم وكانت أعمارهم في المعاصي.

وقيل هم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم وقيل هم المشائيم على أنفسهم وكانت أعمالهم في المعاصي لأن العرب تسمي اليد اليسرى الشؤمى، ﴿والسابقون السابقون﴾ قال ابن عباس هم السابقون إلى الهجرة السابقون في الآخرة إلى الجنة وقيل هم السابقون إلى الإسلام وقيل هم الذين صلوا إلى القبلتين من المهاجرين والأنصار وقيل هم السابقون إلى الصلوات الخمس وقيل إلى الجهاد وقيل هم المسارعون إلى التوبة وإلى ما دعا الله إليه من أعمال البر والخير وقيل هم أهل القرآن المتوجون يوم القيامة.

فإن قلت لمَ أخر ذكر السابقين وكانوا أولى بالتقديم عن أصحاب اليمين.

قلت فيه لطيفة وذلك أن الله تعالى ذكر في أول السورة من الأمور الهائلة عند قيام الساعة تخويفاً لعباده فإما محسن فيزداد رغبة في الثواب وإما مسيء فيرجع عن إساءته خوفاً من العقاب فلذلك قدم أصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا ثم ذكر أصحاب الشمال ليرهبوا ثم ذكر السابقين وهم الذين لا يحزنهم الفزع الأكبر ليجتهد أصحاب اليمين في القرب من جهنم ثم أثنى على السابقين فقال تعالى: ﴿أولئك المقربون﴾ يعني من الله في جواره وفي ظل عرشه ودار كرامته وهو قوله: ﴿في جنات النعيم﴾ قوله تعالى: ﴿ثلة﴾ أي جماعة غير محصورة العدد، ﴿من الأولين﴾ يعني من الأمم الماضية من لدن آدم إلى زمن نبينا ﴿وقليل من الآخرين﴾ يعني من هذه الأمة وذلك لأن الذين عاينوا جميع الأنبياء وصدقوهم من الأمم الماضية أكثر ممن عاين النبي ﷺ وآمن به وقيل إن الأولين هم أصحاب رسول الله ﷺ وقيل من الآخرين أي ممن جاء بعدهم من الصحابة، ﴿على سرور موضونة﴾ أي منسوجة من الذهب والجوهر وقيل موضونة يعني مصفوفة ﴿متكئين عليها﴾ أي على السرر ﴿متقابلين﴾ يعني لا ينظر بعضهم في قفا بعض وصفوا بحسن

﴿ والسابقون السابقون ﴾، قال ابن عباس: السابقون إلى الهجرة هم السابقون في الآخرة. وقال عكرمة: السابقون إلى الإسلام. قال ابن سيرين: هم الذين صلّوا إلى القبلتين، دليله قوله: ﴿ والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار ﴾ [التوبة: ١٠٠]، قال الربيع بن أنس: السابقون إلى إجابة الرسول ﷺ في الدنيا هم السابقون إلى الجنة في العقبى. وقال مقاتل: إلى إجابة الأنبياء صلوات الله عليهم بالإيمان. وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: إلى الصلوات الخمس. وقال الضحاك: إلى الجهاد. وقال سعيد بن جبير: هم المسارعون إلى التوبة وإلى أعمال البرّ. قال الله تعالى: ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم ﴾ [الحديد: ٢١]، ثم أثنى عليهم فقال: ﴿ أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾ [المؤمنون: ٦١]، قال ابن كيسان: والسابقون إلى كل ما دعا الله إليه. ورُوِيَ عن كعب قال: هم أهل القرآن المتوّجون يوم القيامة. وقيل: هم أولهم رواحاً إلى المسجد وأولهم خروجاً في سبيل الله. وقال القرظي: إلى كل خير.

﴿ أولئك المقرّبون ﴾، من الله.

﴿ في جنات النعيم * ثلّة من الأوّلين ﴾، أي من الأمم الماضية من لدن آدم عليه السلام إلى زمان نبيّنا ﷺ، والثلّة: الجماعة غير محصورة العدد.

﴿ وقليل من الآخرين ﴾، يعني من هذه الأمة، قال الزجّاج: الذين عاينوا جميع النبيّين من لدن آدم عليه الصلاة والسلام وصدّقوهم، أكثر ممّن عاين النبي ﷺ.

﴿ على سرر موضونة ﴾، منسوجة كما توضن خلق الدرع فيدخل بعضها في بعض. قال المفسّرون: هي موصولة منسوجة بالذهب والجواهر. وقال الضحاك: موضونة مصفوفة.

العشرة في المجالسة وقيل لأنهم صاروا أرواحاً نورانية صافية ليس لهم أدبار وظهور.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾

﴿**يطوف عليهم**﴾ أي للخدمة ﴿**ولدان**﴾ أي غلمان ﴿**مخلدون**﴾ لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون ولا ينتقلون من حالة إلى حالة وقيل مخلدون مفرطون والخلد القرط وهو الحلقة تعلق في الأذن واختلفوا في هؤلاء الولدان فقيل هم أولاد المؤمنين الذين ماتوا أطفالاً وفيه ضعف لأن الله أخبر أنه يلحقهم بآبائهم ولأن من المؤمنين من لا ولد له فلو خدمه ولد غيره كان منقصة بأبي الخادم وقيل هم صغار الكفار الذين ماتوا قبل التكليف وهذا القول أقرب من الأول لأنه قد اختلف في أولاد المشركين على ثلاثة مذاهب فقال الأكثرون هم في النار تبعاً لآبائهم وتوقف فيهم طائفة والمذهب الثالث وهو الصحيح الذي ذهب إليه المحققون أنهم من أهل الجنة ولكل مذهب دليل ليس هذا موضعه، وقيل هم أطفال ماتوا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها ومن قال بهذه الأقوال يعلل بأن الجنة ليس فيها ولادة والقول الصحيح الذي لا معدل عنه إن شاء الله إنهم ولدان خلقوا في الجنة لخدمة أهل الجنة كالحور وإن لم يولدوا ولم يحصلوا عن ولادة أطلق عليهم اسم الولدان لأن العرب تسمي الغلام وليداً ما لم يحتلم والأمة وليدة وإن أسنت، ﴿**بأكواب**﴾ جمع كوب وهي الأقداح المستديرة الأفواه لا آذان لها ولا عرا ﴿**وأباريق**﴾ جمع إبريق وهي ذوات الخراطيم والعرا سميت أباريق لبريق لونها من الصفاء وقيل لأنها يرى باطنها كما يرى ظاهرها، ﴿**وكأس من معين**﴾ أي من خمرة جارية ﴿**لا يصدعون عنها**﴾ أي لا تصدع رؤوسهم من شربها وعنها كناية عن الكأس وقيل لا يتفرقون عنها ﴿**ولا ينزفون**﴾ أي لا يغلب على عقولهم ولا يسكرون منها وقرىء بكسر الزاي ومعناه لا ينفد شرابهم، ﴿**وفاكهة مما يتخيرون**﴾ أي يأخذون خيارها ﴿**ولحم طير مما يشتهون**﴾ قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيطير ممثلاً بين يديه على ما اشتهى وقيل إنه يقع على صحفة الرجل فيأكل منه ما يشتهي ثم يطير.

﴿ **متّكئين عليها متقابلين** ﴾، لا ينظر بعضهم في قفا بعض.

﴿ **يطوف عليهم** ﴾، للخدمة، ﴿ **ولدان** ﴾، غلمان، ﴿ **مخلدون** ﴾، لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيّرون. وقال الفرّاء: تقول العرب لمَن كبر ولمَن شمط إنه مخلد. قال ابن كيسان: يعني ولداناً لا يحوّلون من حالة إلى حالة. قال سعيد بن جبير: مقرطون يقال خلد جاريته إذا حلّاها بالخلد، وهو القرط. قال الحسن: هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيُثابوا عليها ولا سيئات فيُعاقبوا عليها لأن الجنة لا ولادة فيها فهم خدم أهل الجنة.

﴿ **بأكواب وأباريق** ﴾، فالأكواب جمع كوب وهي الأقداح المستديرة الأفواه لا آذان لها ولا عُرى، والأباريق وهي ذوات الخراطيم سُمّيت أباريق لبريق لونها من الصفاء. ﴿ **وكأس من معين** ﴾، خمر جارية.

﴿ **لا يُصَدَّعُون عنها** ﴾، لا تصدع رؤوسهم من شربها، ﴿ **ولا يُنْزِفُون** ﴾، أي لا يسكرون هذا إذا قرىء بفتح الزاي ومَن كسر فمعناه لا ينفد شرابهم.

﴿ **وفاكهة مما يتخيّرون** ﴾، يختارون ما يشتهون يقال تخيّرت الشيء إذا أخذت خيره.

﴿ **ولحم طير مما يشتهون** ﴾، قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيصير ممثّلاً بين يديه على ما اشتهى، ويقال إنه يقع على صحفة الرجل فيأكل منه ما يشتهي ثم يطير فيذهب.

﴿ **وحور عين** ﴾، قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي بكسر الراء والنون، أي وبحور عين أتبعه قوله: ﴿ **بأكواب**

فإن قلت هل في تخصيص الفاكهة بالتخير واللحم بالاشتهاء بلاغة؟.

قلت نعم وكيف لا وفي كل حرف من حروف القرآن بلاغة وفصاحة والذي يظهر فيه أن اللحم والفاكهة إذا حضرا عند الجائع تميل نفسه إلى اللحم وإذا حضرا عند الشبعان تميل نفسه إلى الفاكهة فالجائع مشته والشبعان غير مشته بل هو مختار وأهل الجنة إنما يأكلون لا من جوع بل للتفكه فميلهم إلى الفاكهة أكثر فيتخيرنها ولهذا ذكرت في مواضع كثيرة من القرآن بخلاف اللحم وإذا اشتهاه حضر بين يديه على ما يشتهيه فتميل نفسه إليه أدنى ميل ولهذا قدم الفاكهة على اللحم والله أعلم، ﴿وحور عين﴾ أي ويطوف عليهم حور عين وقيل لهم حور عين وجاء في تفسير حور أي بيض عين أي ضخام العيون ﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ أي المخزون في الصدف المصون الذي لم تمسه الأيدي ولم تقع عليه الشمس والهواء فيكون في نهاية الصفاء روي «أنه سطع نور في الجنة فقيل ما هذا؟ قيل ضوء ثغر حوراء ضحكت» وروي «أن الحوراء إذا مشت يسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الأسورة من ساعديها وإن عقد الياقوت يضحك من نحرها وفي رجليها نعلان من ذهب شراكها من لؤلؤ يصران بالتسبيح».

جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾

﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ أي فعلنا ذلك بهم جزاء بما كانوا يعملون في الدنيا بطاعتنا ﴿لا يسمعون فيها﴾ أي في الجنة، ﴿لغواً﴾ قيل اللغو ما يرغب عنه من الكلام ويستحق أن يلغى وقيل هو القبيح من القول والمعنى ليس فيها لغو فيسمع ﴿ولا تأثيماً﴾ قيل معناه أن بعضهم لا يقول لبعض أثمت لأنهم لا يتكلمون بما فيه إثم كما يتكلم به أهل الدنيا وقيل معناه لا يأتون تأثيماً أي ما هو سبب التأثيم من قول أو فعل قبيح ﴿إلا قيلاً﴾ معناه لكن يقولون قيلاً أو

وأباريق وفاكهة ولحم طير ﴾ في الإعراب وإن اختلفا في المعنى لأن الحور لا يُطاف بهنّ كقول الشاعر:

إذا ما الغانيات برزن يوماً وزججن الحواجب والعيونا

والعين لا تزجج وإنما تكحل ومثله كثير، وقيل: معناه ويكرمون بفاكهة ولحم طير وحور عين. وقرأ الباقون بالرفع أي ويطوف عليهم حور عين. وقال الأخفش رفع على معنى لهم حور عين وجاء في تفسيره حور عين بيض ضخام العيون.

﴿ **كأمثال اللؤلؤ المكنون** ﴾، المخزون في الصدف لم تمسّه الأيدي. ويُروَى أنه يسطع نور في الجنة قالوا وما هذا قالوا ضوء ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها. ويُروَى أن الحوراء إذا مشيت ليسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الإسورة من ساعديها. وإن عقد الياقوت ليضحك من نحرها، وفي رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ يصرّان بالتسبيح.

﴿ **جزاءً بما كانوا يعملون** ﴾.

﴿ **لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً * إلاّ قيلاً** ﴾، أي قولاً: ﴿ **سلاماً سلاماً** ﴾، نصبهما إتباعاً لقوله قيلاً أي يسمعون قيلاً سلاماً سلاماً. قال عطاء: يحيّي بعضهم بعضاً بالسلام، ثم ذكر أصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال جلّ ذكره:

﴿ **وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين * في سدر مخضود** ﴾، لا شوك فيه كأنه خضد شوكه أي قطع ونزع

يسمعون قيلاً ﴿سلاماً سلاماً﴾ يعني يسلم بعضهم على بعض وقيل تسلم الملائكة عليهم أو يرسل الرب بالسلام إليهم وقيل معناه أن قولهم يسلم في اللغو.

ثم ذكر أصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال تعالى: ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين﴾ لما بين حال السابقين شرع في بيان حال أصحاب اليمين فقال تعالى: ﴿في سدر مخضود﴾ أي لا شوك فيه كأنه خضد شوكه أي قطع ونزع منه وهذا قول ابن عباس وقيل هو الموقر حملاً قيل ثمرها أعظم من القلال وهو النبق قيل لما نظر المسلمون إلى وج وهو واد مخصب بالطائف فأعجبهم سدره فقالوا ليت لنا مثل هذا فأنزل الله هذه الآية ﴿وطلح﴾ قيل هو الموز عند أكثر المفسرين وقيل هو شجر له ظل بارد طيب وقيل هو شجر أم غيلان له شوك ونور طيب الرائحة فخوطبوا ووعدوا بمثل ما يحبون ويعرفون إلا أن فضله على شجر الدنيا كفضل الجنة على الدنيا ﴿منضود﴾ أي متراكم قد نضد بالحمل من أوله إلى آخره ليست له سوق بارزة بل من عروقه إلى أغصانه ثمر وليس شيء من ثمر الجنة في غلاف كثمر الدنيا مثل الباقلاء والجوز ونحوهما بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور إليه، ﴿وظل ممدود﴾ أي دائم لا تنسخه الشمس كظل أهل الدنيا وذلك لأن الجنة ظل كلها لا شمس فيها. (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة واقرؤوا إن شئتم وظل ممدود» وعن ابن عباس في قوله وظل ممدود قال شجرة في الجنة على ساق يخرج إليها أهل الجنة فيتحدثون في أصلها فيشتهي بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عز وجل ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا ﴿وماء مسكوب﴾ أي مصبوب يجري دائماً في غير أخدود ولا ينقطع.

منه، هذا قول ابن عباس وعكرمة. وقال الحسن: لا يعقر الأيدي. قال ابن كيسان: هو الذي لا أذى فيه. قال: وليس شيء من ثمر الجنة في غلف كما يكون في الدنيا من الباقلاء وغيره بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور إليه. قال الضحاك ومجاهد: هو الموقر حملاً. قال سعيد بن جبير: ثمارها أعظم من القلال. قال أبو العالية والضحاك: ونظر المسلمون إلى وج وهو واد مخصب بالطائف فأعجبهم سدرها، وقالوا: يا ليت لنا مثل هذا فأنزل الله هذه الآية.

﴿ وطلح ﴾، أي موز واحدتها طلحة، عن أكثر المفسّرين. وقال الحسن: ليس هو بالموز ولكنه شجر لها ظل بارد طيب. قال الفرّاء وأبو عبيدة: الطلح عند العرب شجر عظام لها شوك. وروى مجاهد عن الحسن بن سعيد قال: قرأ رجل عند علي رضي الله عنه: ﴿ وطلح منضود ﴾، فقال: وما شأن الطلح إنما هو طلع منضود ثم قرأ طلعها هضيم، قلت: يا أمير المؤمنين إنها في المصحف بالحاء أفلا تحولها؟ فقال: إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول، والمنضود المتراكم الذي قد نضد بالحمل من أوله إلى آخره، ليست هو سوق بارزة قال مسروق أشجار الجنة من عروقها إلى أفنانها ثمر كله.

﴿ وظل ممدود ﴾، دائم لا تنسخه الشمس والعرب تقول للشيء الذي لا ينقطع ممدود، أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطّان ثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن همّام بن منبّه قال: ثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها»، وروى عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿ وظل ممدود ﴾ قال: شجرة في الجنة على ساق العرش يخرج إليها أهل الجنة فيتحدثون في أصلها ويشتهي بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عزّ وجلّ عليها ريحاً من الجنة فتحرّك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا.

﴿ وماء مسكوب ﴾، مصبوب يجري دائماً في غير أخدود لا ينقطع.

﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ۝٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ۝٣٣ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ۝٣٤ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ۝٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ۝٣٦﴾

﴿وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾ قال ابن عباس لا تنقطع إذا جنيت ولا تمتنع من أحد إذا أراد أخذها وقيل لا مقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان كما تنقطع ثمار الدنيا في الشتاء ولا يوصل إليها إلا بالثمن وقيل لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وجاء في الحديث «ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة إلا أبدل الله عز وجل مكانها ضعفين» ﴿وفرش مرفوعة﴾ قال علي مرفوعة على الأسرة وقيل بعضها فوق بعض فهي مرفوعة عالية عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ «في قوله: وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال الترمذي قال بعض أهل العلم معنى هذا الحديث ارتفاعها كما بين السماء والأرض يقول ارتفاع الفرش المرفوعة في الدرجات والدرجات ما بين كل درجتين بين السماء والأرض وقيل أراد بالفرش النساء والعرب تسمي المرأة فراشاً ولباساً على الاستعارة فعلى هذا القول يكون معنى مرفوعة أي رفعن بالفضل والجمال على نساء الدنيا ويدل على هذا التأويل قوله في عقبه، ﴿إنا أنشأناهن إنشاء﴾ أي خلقناهن خلقاً جديداً قال ابن عباس يعني الآدميات العجائز الشمط يقول خلقناهن بعد الكبر والهرم خلقاً آخر، ﴿فجعلناهن أبكاراً﴾ يعني عذارى. عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن أنشأناهن إنشاء قال إن من المنشآت اللاتي كن في الدنيا عجائز عمشاً رمصاً» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وضعف بعض رواته وروى البغوي بسنده عن

﴿ وفاكهة كثيرة * لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾، قال ابن عباس: لا تنقطع إذا جنيت ولا تمتنع من أحد أراد أخذها. وقال بعضهم: لا مقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان، كما ينقطع أكثر ثمار الدنيا إذا جاء الشتاء، ولا يتوصل إليها إلاّ بالثمن. وقال القتيبي: يعني لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا. وجاء في الحديث: «ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة إلاّ أبدل الله مكانها ضعفين».

﴿ وفرش مرفوعة ﴾، قال علي رضي الله عنه: ﴿ وفرش مرفوعة ﴾ على الأسرّة. وقال جماعة من المفسّرين: بعضها فوق بعض فهي مرفوعة عالية. أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن حبيش ثنا أبو عبد الرحمن النسائي ثنا أبو تريب ثنا رشد بن سعد عن عمرو بن الحارث عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وفرش مرفوعة ﴾ قال: «إن ارتفاعها لكما بين السماء والأرض، وإن ما بين السماء والأرض لمسيرة خمسمائة عام». وقيل: أراد بالفرش النساء والعرب تسمّي المرأة فراشاً ولباساً على الاستعارة، مرفوعة رفعن بالجمال والفضل على نساء الدنيا دليل هذا التأويل قوله في عقبة:

﴿ إنّا أنشأناهنّ إنشاءً ﴾، خلقناهنّ خلقاً جديداً، قال ابن عباس: يعني الآدميات العُجّز الشُمّط، يقول خلقناهنّ بعد الهرم خلقاً آخر.

﴿ فجعلناهنّ أبكاراً ﴾، عذارى، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي عن الهيثم بن كليب الشاشي أنا أبو عيسى الترمذي أنا عبد بن حميد أنا مصعب بن المقدام أنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال: أتت عجوز النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يُدخلني الجنة، فقال: «يا أُم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز»، قال: «فولّت تبكي»، قال: «أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى يقول: ﴿ إنّا أنشأناهنّ إنشاءً فجعلناهنّ أبكاراً ﴾. أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن الخطيب أنا أبو سعيد عمرو بن محمد بن

الحسن قال «أتت عجوز النبي ﷺ فقالت يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز قال فولت تبكي قال أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى قال ﴿**إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً**﴾ هذا حديث مرسل وروي بإسناد الثعلبي عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ في قوله ﴿**إنا أنشأناهن إنشاء قال عجائزكن في الدنيا عمشاً رمصاً فجعلناهن أبكاراً**﴾ وقال المسيب بن شريك هن عجائز الدنيا أنشأهن الله بقدرته خلقاً جديداً كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً وقيل إنهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا وقيل هن الحور العين أنشأهن الله لم تقع عليهن ولادة فجعلناهن أبكاراً عذارى وليس هناك وجع.

﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿**عرباً**﴾ جمع عروب وهي المتحببة إلى زوجها قاله ابن عباس في رواية عنه وعنه أنها الملقة وقيل الغنجة وعن أسامة بن زيد عن أبيه عرباً قال حسان الكلام ﴿**أتراباً**﴾ يعني أمثالاً في الخلق وقيل مستويات في السن على سن واحد بنات ثلاث وثلاثين، عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال «يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين أبناء ثلاثين أو قال ثلاث وثلاثين سنة» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ﴿**لأصحاب اليمين**﴾ يعني أنشأهن لأصحاب اليمين وقيل هذا الذي ذكرنا لأصحاب اليمين ﴿**ثلة من الأولين**﴾ يعني من المؤمنين الذين هم قبل هذه الأمة ﴿**وثلة من الآخرين**﴾ يعني من مؤمني هذه الأمة يدل عليه ما روى البغوي بإسناد الثعلبي عن عروة بن رويم قال «لما أنزل الله عز وجل على رسول الله ﷺ ثلة من الأولين وقليل من الآخرين بكى عمر فقال يا نبي الله آمنا برسول الله وصدقناه ومن ينجو منا قليل فأنزل الله عز وجل وثلة من الأولين وثلة من الآخرين فدعا رسول الله ﷺ عمر فقال قد أنزل الله تعالى فيما قلت فقال رضينا عن ربنا وتصديق نبينا فقال رسول الله ﷺ من آدم إلينا ثلة ومنا إلى يوم القيامة ثلة ولا يستتمها الأسودان من رعاة الإبل ممن قال لا إله إلا الله»، (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ «عرضت عليّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد إذ رفع إلى سواد عظيم

منصور أنا أبو بكر بن محمد بن سليمان بن الحارث الواسطي ببغداد أنا خلّاد بن يحيىٰ بن صفوان السلمي ثنا سفيان الثّوري عن يزيد بن أبّان عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ **إنّا أنشأناهنّ إنشاءً** ﴾، قال: عجائز كنّا في الدنيا عمشاً رمصاً. ﴿ **فجعلناهنّ أبكاراً** ﴾. وقال المسيب بن شريك: هنّ عجائز الدنيا أنشأهنّ الله تعالى خلقاً جديداً كلما أتاهنّ أزواجهنّ وجدوهنّ أبكاراً. وذكر المسيب عن غيره أنهنّ فضّلنَ على الحور العين بصلاتهنّ في الدنيا. وقال مقاتل وغيره: هنّ الحور العين أنشأهنّ الله لم يقع عليهنّ ولادة فجعلناهنّ أبكاراً عذارى وليس هناك وجع.

﴿ **عرباً** ﴾ قرأ حمزة وإسماعيل عن نافع وأبو بكر: ﴿ **عرباً** ﴾ ساكنة الراء الباقون بضمها وهي جمع عروب أي عواشق محببات إلى أزواجهنّ. قال الحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير. وهي رواية الوالبي عن ابن عباس، وقال عكرمة عنه: ملقة. وقال عكرمة: غنجة. وقال أسامة بن زيد عن أبيه: عرباً حسنات الكلام. ﴿ **أتراباً** ﴾، مستويات في السنّ على سنٍّ واحد، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن شيبة أنا يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنةِ الجنةَ جرداً مرداً بيضاً جعاداً مكحّلين أبناء ثلاث وثلاثين، على خلق آدم طوله ستّون ذراعاً في سبعة أذراع». أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك

فظننت أنهم أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض القوم في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب قال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال ما الذي تخوضون فيه فأخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون، فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال أنت منهم فقام رجل آخر فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة» الرهيط تصغير رهط وهم دون العشرة وقيل إلى الأربعين. (ق) عن عبد الله بن مسعود

عن رشد بن سعد حدّثني عمرو بن الحارث عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة، وتنصب له قبّة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء»، وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: «ينظر إلى وجهه في خدّها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب، وإنه ليكون عليها سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك». وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: «مَن مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يُردّون بني ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها أبداً، وكذلك أهل النار»، وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: «إن عليهم التيجان، إن أدنى لؤلؤة فيها تضيء ما بين المشرق والمغرب»، أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر الحارثي أنا محمد بن يعقوب أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن محمد بن سليمان عن الحجّاج بن عتاب العبدي عن عبد الله بن معبد الرماني عن أبي هريرة قال: أدنى أهل الجنة منزلة وما منهم دنيء لمَن يغدو عليه ويروح عشرة آلاف خادم، مع كل واحد منهم طريفة ليست مع صاحبه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **لأصحاب اليمين** ﴾، يريد أنشأناهنّ لأصحاب اليمين.

﴿ **ثلّة من الأوّلين** ﴾، من المؤمنين الذين كانوا قبل هذه الأمة.

﴿ **وثلّة من الآخِرين** ﴾، من مؤمني هذه الأمة، هذا قول عطاء ومقاتل، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد العدل ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدقاق ثنا محمد بن عبد العزيز ثنا عيسى بن المساور ثنا الوليد بن مسلم ثنا عيسى بن موسى عن عروة بن رويم قال: لمّا أنزل الله على رسوله ﴿ **ثلّة من الأوّلين * وقليل من الآخرين** ﴾ بكى عمر رضي الله عنه، فقال: يا نبيّ الله آمنّا برسول الله ﷺ وصدّقناه ومَن ينجو منّا قليل؟ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ **ثلّة من الأوّلين * وثلّة من الآخِرين** ﴾، فدعا رسول الله ﷺ عمر فقال: «قد أنزل الله عزّ وجلّ فيما قلت». فقال عمر رضي الله عنه: رضينا عن ربّنا وتصديق لنبيّنا، فقال رسول الله ﷺ: «من آدم إلينا ثلّة ومني إلى يوم القيامة ثلّة، ولا يستتمّها إلا سودان من رعاة الإبل ممّن قال لا إله إلاّ الله»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا مسدد ثنا حصين بن نمير عن حصين بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً فقال: «عُرضت عليّ الأمم فجعل يمرّ النبي ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان والنبي معه الرهط والنبي ليس معه أحد، ورأيت سواداً كثيراً سدّ الأفق فرجوت أن يكونوا أُمتي، فقيل: هذا موسى في قومه، ثم قيل لي: انظر فرأيت سواداً كثيراً سدّ الأفق فقيل لي: انظر هكذا وهكذا فرأيت سواداً كثيراً سدّ الأفق، فقيل: هؤلاء أُمتك ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، فتفرّق الناس ولم يبيّن لهم فتذاكر أصحاب النبي ﷺ فقالوا: أما نحن

قال «كنا مع رسول الله ﷺ في قبة نحواً من أربعين فقال أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قلنا نعم قال أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قلنا نعم قال والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مؤمنة مسلمة وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر» وعن بريدة عن النبي ﷺ قال «أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وذهب جماعة إلى أن الثلثين جميعاً من هذه الأمة وهو قول أبي العالية ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحاك قالوا ثلة من الأولين من سابقي هذه الأمة وثلة من الآخرين من هذه الأمة أيضاً في آخر الزمان يدل على ذلك ما روى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس في هذه الآية ثلة من الأولين وثلة من الآخرين قال قال رسول الله ﷺ «هما جميعاً من أمتي» وهذا القول هو اختيار الزجاج قال معناه جماعة ممن تبع النبي ﷺ وآمن به وعاينه وجماعة ممن آمن به وكان بعده ولم يعاينه.

فإن قلت كيف قال في الآية الأولى وقليل من الآخرين وقال في هذه الآية وثلة من الآخرين؟.

قلت: الآية الأولى في السابقين الأولين وقليل ممن يلحق بهم من الآخرين وهذه الآية في أصحاب اليمين وهم كثيرون من الأولين والآخرين وحكي عن بعضهم أن هذه ناسخة للأولى واستدل بحديث عروة بن رويم ونحوه والقول بالنسخ لا يصح لأن الكلام في الآيتين خبر والخبر لا يدخله النسخ. قوله تعالى:

فولدنا في الشرك ولكنّا آمنّا بالله ورسوله ولكن هؤلاء هم أبناؤنا فبلغ النبي ﷺ فقال: «هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقّون ولا يكتوون وعلى ربّهم يتوكلون»، فقام عكاشة بن محصن فقال: أمنهم يا رسول الله؟ فقال: «نعم»، فقام اخر فقال: أمنهم أنا؟ قال عليه السلام: «قد سبقك بها عكاشة». ورواه عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «عرضتْ عليّ الأنبياء الليلة باتّباعها حتى أتى عليّ موسى عليه السلام في كبكبه بني إسرائيل فلما رأيته أعجبوني، فقلت: أي ربّ هؤلاء؟ قيل: هذا أخوك موسى ومن بني إسرائيل، قلت: ربّ فأين أمتي؟ قيل: انظر عن يمينك فإذا ظراب مكة قد سدّت بوجوه الرجال، قيل: هؤلاء أمتك أرضيت؟ قلت: ربّ رضيت ربّ رضيت، قيل: انظر عن يسارك فإذا الأفق قد سُدّ بوجوه الرجال، قيل: هؤلاء أمتك أرضيت؟ قلت: ربّ رضيت، فقيل: إن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة لا حساب لهم، فقال نبي الله ﷺ إن استطعتم أن تكونوا من السبعين فكونوا وإن عجزتم وقصّرتم فكونوا من أهل الظراب وإن عجزتم فكونوا من أهل الأفق فإني قد رأيت ثمَّ أناساً يتهاوشون كثيراً»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن بشّار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في قبّة فقال: «أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة»؟ قلنا: نعم، قال: «أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة»؟ قلنا: نعم، قال: «والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلّا نفس مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلّا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر». وذهب جماعة إلى أن الثلثين جميعاً من هذه الأمة، وهو قول أبي العالية ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحاك، قالوا: ﴿ **ثلّة من الأوّلين** ﴾ من سابقي هذه الأمة ﴿ **وثلّة من الآخرين** ﴾ من هذه الأمة في آخر الزمان، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد الدينوري ثنا أحمد بن إسحاق الضبّي أنا أبي خليفة الفضل بن الحباب ثنا محمد بن كثير أنا سفيان عن أبّان بن أبي عياش، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية: ﴿ **ثلّة من الأوّلين * وثلّة من الآخرين** ﴾ قال رسول الله ﷺ: «هما جميعاً من أمتي».

﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمۡ كَانُواْ
قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا
ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ
ٱلۡهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال﴾ قد تقدم أنه بمعنى التعجب من حالتهم وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ثم بين منقلبهم وما أعد لهم من العذاب فقال تعالى: **﴿في سموم﴾** أي في حر النار وقيل في ريح شديد الحرارة **﴿وحميم﴾** أي ماء حار يغلي، **﴿وظل من يحموم﴾** يعني في ظل من دخان شديد السواد قيل إن النار سواد وأهلها سود وكل شيء فيها أسود وقيل اليحموم اسم من أسماء النار **﴿لا بارد ولا كريم﴾** يعني لا بارد المنزل ولا كريم المنظر وذلك لأن فائدة الظل ترجع إلى أمرين أحدهما دفع الحر والثاني حسن المنظر وكون الإنسان فيه مكرماً وظل أهل النار بخلاف هذا لأنهم في ظل من دخان أسود حار، ثم بين بما استحقوا ذلك فقال تعالى: **﴿إنهم كانوا قبل ذلك﴾** يعني في الدنيا، **﴿مترفين﴾** يعني منعمين **﴿وكانوا يصرون على الحنث العظيم﴾** يعني على الذنب الكبير وهو الشرك وقيل الحنث العظيم اليمين الغموس وذلك أنهم كانوا يحلفون أنهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك يدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى: **﴿وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون﴾** فرد الله تعالى عليهم بقوله **﴿قل إن الأولين والآخرين﴾** يعني الآباء والأبناء، **﴿لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم﴾** يعني أنهم يجمعون ويحشرون ليوم الحساب **﴿ثم إنكم أيها الضالون﴾** يعني عن الهدى **﴿المكذبون﴾** أي بالبعث والخطاب لكفار مكة وقيل إنه عام مع كل ضال مكذب، **﴿لآكلون من شجر من زقوم﴾** تقدم تفسيره **﴿فمالئون منها البطون**

قوله تعالى: **﴿ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال * في سموم ﴾**، ريح حارّة، **﴿ وحميم ﴾**، ماء حارّ.

﴿ وظل من يحموم ﴾، دخان شديد السواد، تقول العرب: أسود يحموم إذا كان شديد السواد، وقال **الضحاك**: النار سوداء وأهلها سود، وكل شيء فيها أسود. وقال ابن كيسان اليحموم اسم من أسماء النار.

﴿ لا بارد ولا كريم ﴾، قال قتادة: لا بارد المنزل ولا كريم المنظر. وقال سعيد بن المسيب: ولا كريم ولا حسن، نظيره ﴿ من كل زوج كريم ﴾ [الشعراء: ٧، لقمان: ١٠]. وقال مقاتل: طيب.

﴿ إنهم كانوا قبل ذلك ﴾، يعني في الدنيا، **﴿ مترفين ﴾** منعمين.

﴿ وكانوا يصرّون ﴾، يقيمون **﴿ على الحنث العظيم ﴾**، على الذنب الكبير وهو الشرك. وقال الشعبي: الذنب العظيم اليمين الغموس. ومعنى هذا: أنهم كانوا يحلفون أنهم لا يُبعثون وكذبوا في ذلك.

﴿ وكانوا يقولون أئذا متنا وكنّا تراباً وعظاماً أئنّا لمبعوثون ﴾، قرأ أبو جعفر ونافع ويعقوب **﴿ أئذا ﴾** مستفهماً، **﴿ إنّا ﴾** بتركه، وقرأ الآخرون بالاستفهام فيهما.

﴿ أوَ آباؤنا الأوّلون * قل إن الأوّلين والآخرين * لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم * ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقّوم * فمالؤون منها البطون * فشاربون عليه من الحميم * فشاربون شرب الهيم ﴾، قرأ أهل المدينة وعاصم وحمزة ﴿ شرب ﴾ بضم الشين، وقرأ الباقون بفتحها وهما لغتان فالفتح على

فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم﴾ يعني الإبل العطاش قيل إن الهيام داء يصيب الإبل فلا تروى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك وقيل الهيم الأرض ذات الرمل التي لا تروى بالماء قيل يلقى على أهل النار العطش فيشربون من الحميم شرب الهيم فلا يروون ﴿هذا نزلهم﴾ يعني ما ذكر من الزقوم والحميم أي رزقهم وغذاؤهم وما أعد لهم ﴿يوم الدين﴾ يعني يوم يجازون بأعمالهم ثم احتج عليهم في البعث بقوله تعالى:

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿نحن خلقناكم﴾ يعني ولم تكونوا شيئاً وأنتم تعلمون ذلك ﴿فلولا﴾ أي فهلا ﴿تصدقون﴾ يعني بالبعث بعد الموت.

قوله عز وجل: ﴿أفرأيتم ما تمنون﴾ يعني ما تصبون في الأرحام من النطف ﴿أأنتم تخلقونه﴾ أي أنتم تخلقون ما تمنون بشراً ﴿أم نحن الخالقون﴾ أي إنه خلق النطفة وصورها وأحياها فلم لا تصدقون بأنه واحد قادر على أن يعيدكم كما أنشأكم احتج عليهم في البعث بالقدرة على ابتداء الخلق، ﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾ يعني الآجال فمنكم من يبلغ الكبر والهرم ومنكم من يموت صبياً وشاباً وغير ذلك من الآجال القريبة والبعيدة وقيل معناه إنه جعل أهل السماء وأهل الأرض فيه سواء شريفهم ووضيعهم فعلى هذا القول يكون معنى قدرنا قضينا، ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ يعني لا يفوتني شيء أريده ولا يمتنع مني أحد وقيل معناه وما نحن بمغلوبين عاجزين عن إهلاككم وإبدالكم بأمثالكم وهو قوله تعالى: ﴿على أن نبدل أمثالكم﴾ أي نأتي بخلق مثلكم بدلاً منكم في أسرع حين ﴿وننشئكم﴾ أي نخلقكم ﴿فيما لا تعلمون﴾ أي من الصور والمعنى نغير حليتكم إلى ما هو أسمح منها من أي خلق

المصدر والضم اسم بمعنى المصدر كالضعف و﴿ الهيم ﴾ الإبل العطاش، قال عكرمة وقتادة: الهيام داء يصيب الإبل لا تُروى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك. يقال: جمل أهيم، وناقة هيماء، والإبل هيم. وقال الضحاك وابن عيينة: الهيم الأرض السهلة ذات الرمل.

﴿ هذا نزلهم ﴾، يعني ما ذكر من الزقوم والحميم، أي رزقهم وغذاؤهم وما أعدلهم، ﴿ يوم الدين ﴾، يوم يجازون بأعمالهم ثم احتجّ عليهم في البعث.

فقال تعالى: ﴿ نحن خلقناكم ﴾، قال مقاتل خلقناكم ولم تكونوا شيئاً وأنتم تعلمون ذلك، ﴿ فلولا ﴾ فهلاّ ﴿ تصدقون ﴾، بالبعث.

﴿ أفرأيتم ما تمنون ﴾، تصبّون في الأرحام من النطف.

﴿ أأنتم تخلقونه ﴾، يعني أأنتم تخلقونه ما تمنون بشراً، ﴿ أم نحن الخالقون * نحن قدّرنا ﴾، قرأ ابن كثير بتخفيف الدال والباقون بتشديدها وهما لغتان، ﴿ بينكم الموت ﴾، قال مقاتل فمنكم مَن يبلغ الهرم ومنكم مَن يموت صبياً وشاباً. وقال الضحاك: تقديره إنه جعل أهل السماء وأهل الأرض فيه سواء فعلى هذا يكون معنى قدّرنا قضينا. ﴿ وما نحن بمسبوقين ﴾، بمغلوبين عاجزين عن إهلاككم وإبدالكم بأمثالكم .

شئنا وقيل نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم أي إن أردنا أن نفعل ذلك بكم ما فاتنا، وقال سعيد بن المسيب فيما لا تعلمون في حواصل طيور سود كأنها الخطاطيف تكون ببرهوت وهو واد باليمن وهذه الأقوال كلها تدل على المسخ وعلى أنه لو شاء أن يبدلهم بأمثالهم من بني آدم قدر ولو شاء أن يمسخهم في غير صورهم قدر، وقال بعض أهل المعاني هذا يدل على النشأة الثانية يكونها الله تعالى في وقت لا يعلمه العباد ولا يعلمون كيفيته كما علموا الإنشاء الأول من جهة التناسل ويكون التقدير على هذا وما نحن بمسبوقين على أن ننشئكم في وقت لا تعلمونه يعني وقت البعث والقيامة، وفيه فائدة وهو التحريض على العمل الصالح لأن التبديل والإنشاء هو الموت والبعث وإذا كان ذلك واقعاً في الأزمان ولا يعلمه أحد فينبغي أن لا يتكل الإنسان على طول المدة ولا يغفل عن إعداد العدة ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى﴾ أي الخلقة الأولى ولم تكونوا شيئاً وفيه تقرير للنشأة الثانية يوم القيامة ﴿فلولا تذكرون﴾ أي بأني قادر على إعادتكم كما قدرت على إبدائكم أول مرة.

قوله تعالى: ﴿أفرأيتم ما تحرثون﴾ لما ذكر الله تعالى ابتداء الخلق وما فيه من دلائل الوحدانية ذكر بعده الرزق لأن به البقاء وذكر أموراً ثلاثة المأكول والمشروب وما به إصلاح المأكول والمشروب ورتبه ترتيباً حسناً فذكر المأكول أولاً لأنه هو الغذاء وأتبعه المشروب لأن به الاستمراء ثم النار التي بها الإصلاح وذكر من أنواع المأكول الحب لأنه هو الأصل ومن المشروب الماء لأنه أيضاً هو الأصل وذكر من المصلحات النار لأن بها إصلاح أكثر الأغذية، فقوله أفرأيتم ما تحرثون أي ما تثيرون من الأرض وتلقون فيه البذر ﴿أأنتم تزرعونه﴾ أي تنبتونه وتنشئونه حتى يشتد ويقوم على سوقه ﴿أم نحن الزارعون﴾ معناه أأنتم فعلتم ذلك أم الله ولا شك في أن إيجاد احب في السنبل ليس بفعل أحد غير الله تعالى وإن كان إلقاء البذر من فعل الناس، ﴿لو نشاء لجعلناه﴾ يعني ما تحرثونه وتلقون فيه من البذر، ﴿حطاماً﴾ أي تبناً لا قمح فيه وقيل هشيماً لا ينتفع به في مطعم ولا غيره وقيل هو جواب لمعاند يقول نحن نحرثه وهو بنفسه يصير زرعاً لا بفعلنا ولا بفعل غيرنا فرد الله عليّ هذا المعاند بقوله لو نشاء لجعلناه حطاماً فهل تقدرون أنتم على حفظه أو هو يدفع عن نفسه بنفسه تلك الآفات التي تصيبه ولا يشك أحد في أن دفع الآفات ليس إلا بإذن الله وحفظه،

فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ على أن نبدل أمثالكم ﴾، يعني نأتي بخلق مثلكم بدلاً منكم، ﴿ وننشئكم ﴾، نخلقكم ﴿ فيما لا تعلمون ﴾، من الصور، قال مجاهد: في أيِّ خلق شئنا. وقال الحسن: أي نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمَن كان قبلكم، يعني إن أردنا أن نفعل ذلك ما فاتنا ذلك. وقال سعيد بن المسيب: فيما لا تعلمون يعني في حواصل طير سود تكون ببرهوت كأنها الخطاطيف وبرهوت وادٍ باليمن.

﴿ ولقد علمتم النشأة الأولى ﴾، الخلقة الأولى ولم تكونوا شيئاً. ﴿ فلولا تذّكّرون ﴾، أني قادر على إعادتكم كما قدرت على أعدائكم.

﴿ أفرأيتم ما تحرثون ﴾، يعني تثيرون من الأرض وتلقون فيها من البذر.

﴿ أأنتم تزرعونه ﴾، تنبتونه، ﴿ أم نحن الزارعون ﴾، المنبتون.

﴿ لو نشاء لجعلناه حطاماً ﴾، قال عطاء تبناً لا قمح فيه، وقيل: هشيماً لا ينتفع به في مطعم وغذاء، ﴿ فظلتم ﴾، وأصله فظللتم، حُذفت إحدى اللامين تخفيفاً، ﴿ تفكهون ﴾، تتعجبون بما نزل بكم في زرعكم، وهو قول عطاء والكلبي ومقاتل. وقيل: تندمون على نفقاتكم، وهو قول يمان، نظيره: ﴿ فأصبح يقلب كفّيه على ما أنفق فيها ﴾ [الكهف: ٤٢]، وقال الحسن: تندمون على ما سلف منكم من المعصية التي أوجبت تلك العقوبة. وقال عكرمة: تتلاومون. وقال ابن كيسان: تحزنون. قال الكسائي: هو تلهّف على ما فات وهو من الأضداد، تقول

﴿فظلتم تفكهون﴾ أي تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم وقيل تندمون على نفقاتكم وقيل تندمون على ما سلف منكم من المعاصي التي أوجبت تلك العقوبة وقيل تتلاومون وقيل تحزنون وقيل هو تلهف على ما فات.

إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾

﴿إنا لمغرمون﴾ أي وتقولون فحذف القول ومعنى الغرم ذهاب المال بغير عوض وقيل معناه لموقع بنا وقال ابن عباس رضي الله عنهما لمعذبون يعني أنهم عذبوا بذهاب أموالهم بغير فائدة والمعنى إنا غرمنا الحب الذي بذرناه فذهب بغير عوض، ﴿بل نحن محرومون﴾ أي ممنوعون والمعنى حرمنا الذي كنا نطلبه من الريع في الزرع، ﴿أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون﴾ ذكرهم الله تعالى نعمه عليهم بإنزال المطر الذي لا يقدر عليه إلا الله عز وجل: ﴿لو نشاء جعلناه أجاجاً﴾ قال ابن عباس شديد الملوحة وقيل مراً لا يمكن شربه ﴿فلولا﴾ أي فلا ﴿تشكرون﴾ يعني نعمة الله عليكم ﴿أفرأيتم النار التي تورون﴾ يعني تقدحون من الزند ﴿أأنتم أنشأتم شجرتها﴾ يعني التي تقدح منها النار وهي المرخ والعفار وهما شجرتان تقدح منهما النار وهما رطبتان وقيل أراد جميع الشجر الذي توقد منه النار ﴿أم نحن المنشئون نحن جعلناها﴾ يعني نار الدنيا ﴿تذكرة﴾ أي للنار الكبرى إذا رأى الرائي هذه النار ذكر بها نار جهنم فيخشى الله ويخاف عقابه وقيل موعظة يتعظ بها المؤمن. (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن

العرب: تفكهت أي تنعمت وتفكهت أي حزنت.

﴿ إنّا لمغرمون ﴾، قرأ أبو بكر عن عاصم (أئنا) بهمزتين وقرأ الآخرون على الخبر، ومجاز الآية فظلتم تفكهون وتقولون إنّا لمغرمون. وقال مجاهد وعكرمة لموقع بنا. وقال ابن عباس وقتادة: معذبون، والغرام العذاب. وقال الضحاك وابن كيسان: غرمنا أموالنا وصار ما أنفقنا غرماً علينا. والمغرم الذي ذهب ماله بغير عوض.

وهو قوله: ﴿ بل نحن محرومون ﴾، محدودون ممنوعون أي حرمنا ما كنّا نطلبه من الريع في الزرع.

﴿ أفرأيتم الماء الذي تشربون * أأنتم أنزلتموه من المزن ﴾، السحاب واحدتها مزنة، ﴿ أم نحن المنزلون * لو نشاء جعلناه أجاجاً ﴾، قال ابن عباس شديد الملوحة، قال الحسن: مرّاً. ﴿ فلولا تشكرون ﴾.

﴿ أفرأيتم النار التي تورون ﴾، تقدحون وتستخرجون من زندكم.

﴿ أأنتم أنشأتم شجرتها ﴾، التي تقدح منها النار وهي المرخ والعفار، ﴿ أم نحن المنشئون * نحن جعلناها ﴾، خلقناها يعني نار الدنيا، ﴿ تذكرة ﴾، للنار الكبرى إذا رآها الرائي ذكر جهنم، قاله عكرمة ومجاهد ومقاتل. وقال عطاء: موعظة يتّعظ بها المؤمن. أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا أبو علي زاهر بن أحمد الفقيه ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»، قالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: «فإنها فضلت عليها بتسعة وستّين جزءاً». ﴿ ومتاعاً ﴾، بلغة ومنفعة، ﴿ للمقوين ﴾، المسافرين والمقوي النازل في الأرض والقى والقواء هــو القفر الخالية البعيدة من العمران يقال قوت الدار إذا خلت من سكانها والمعنى أنه ينتفع بها أهل البوادي والأسفار، فإن منفعتهم بها أكثر من منفعة المقيم وذلك أنهم

رسول الله ﷺ قال «ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم قالوا والله إن كانت لكافية يا رسول الله قال فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها» ﴿ومتاعاً﴾ أي بلغة ومنفعة ﴿للمقوين﴾ يعني للمسافرين والمقوي النازل في الأرض القواء وهي القفر الخالية البعيدة من العمران والمعنى أنه ينتفع بها أهل البوادي والسفار فإن منفعتهم أكثر من المقيم فإنهم يوقدونها بالليل لتهرب الشماع ويهتدي بها الضال إلى غير ذلك من المنافع هذا قول أكثر المفسرين وقيل المقوين الذين يستمتعون بها في الظلمة ويصطلون بها من البرد وينتفعون بها في الطبخ والخبز إلى غير ذلك من المنافع وقيل المقوي من الأضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال ويقال للغني مقو لقوته على ما يريد والمعنى أن فيها متاعاً ومنفعة للفقراء والأغنياء جميعاً لا غنى لأحد عنها.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ لما ذكر الله ما يدل على وحدانيته وقدرته وإنعامه على سائر الخلق خاطب نبيه ﷺ ويجوز أن يكون خطاباً لكل فرد من الناس فقال تعالى فسبح باسم ربك أي برِّىء الله ونزهه عما يقول المشركون في صفته والاسم يكون بمعنى الذات والمعنى فسبح بذات ربك العظيم.

قوله عز وجل: ﴿فلا أقسم﴾ قال أكثر المفسرين معناه فأقسم ولا صلة مؤكدة وقيل لا على أصلها وفي معناها وجهان أحدهما أنها ترجع إلى ما تقدم ومعناها النهي وتقديره فلا تكذبوا ولا تجحدوا ما ذكرته من النعم والحجج.

الوجه الثاني: أن لا رد لما قاله الكفار في القرآن من أنه سحر وشعر وكهانة والمعنى ليس الأمر كما تقولون ثم استأنف القسم فقال أقسم والمعنى لا والله لا صحة لقول الكفار وقيل إن لا هنا معناها النفي فهو كقول القائل لا تسأل عما جرى وهو يريد تعظيم الأمر لا النهي عن السؤال، ﴿بمواقع النجوم﴾ قال ابن عباس أراد نجوم القرآن فإنه كان ينزل على رسول الله ﷺ متفرقاً وقيل أراد مغارب النجوم ومساقطها وقيل أراد منازلها وقيل انكدارها وانتثارها يوم القيامة وقيل مواقعها في اتباع الشياطين عند الرجم ﴿وإنه القسم لو تعلمون عظيم﴾ قيل هذا يدل على أن المراد بمواقع النجوم نزول القرآن والمعنى إن القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لانتفعتم بذلك وقيل معنى لو

يوقدونها ليلاً لتهرب منهم السِّباع ويهتدي بها الضلّال وغير ذلك من المنافع، هذا قول أكثر المفسّرين. وقال مجاهد وعكرمة: للمقوين يعني للمستمتعين بها من الناس أجمعين المسافرين والحاضرين يستضيئون بها في الظلمة ويصطلون من البرد، وينتفعون بها في الطبخ والخبز، قال الحسن: بلغة للمسافرين يتبلغون بها إلى أسفارهم يحملونها في الخرق والجواليق. وقال ابن زيد: للجائعين تقول العرب أقويت منذ كذا وكذا أي ما أكلت شيئاً. قال قطرب: المقوي من الأضداد يقال للفقير مقو لخلوّه من المال، ويقال للغني مقو لقوّته على ما يريد، يقال: أقوى الرجل الرجل إذا قويت دوابه وكثر ماله، وصار إلى حالة القوة، والمعنى أن فيها متاعاً للأغنياء والفقراء جميعاً لا غنى لأحد عنها.

﴿ فسبّح باسم ربّك العظيم ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ فلا أُقسم بمواقع النجوم ﴾، قال أكثر المفسّرين: معناه أُقسم ولا صلة، وكان عيسى بن عمر يقرأ: فلا قسم، على التحقيق. وقيل: قوله: ﴿ لا ﴾ ردّ لما قاله الكفّار في القرآن إنه سحر وشعر وكهانة، معناه ليس الأمر كما يقولون ثم استأنف القسم، فقال: ﴿ أقسم بمواقع النجوم ﴾. قرأ حمزة والكسائي بموقع على

تعلمون أي فاعلموا عظمته وقيل إنه اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى فأقسم بمواقع النجوم، ﴿إنه لقرآن كريم﴾ أي إن الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ لقرآن كريم أي عزيز مكرم لأنه كلام الله تعالى ووحيه إلى نبيه ﷺ وقيل الكريم الذي من شأنه أن يعطي الكثير وسمي القرآن كريماً لأنه يفيد الدلائل التي تؤدي إلى الحق في الدين وقيل الكريم اسم جامع لما يحمد والقرآن الكريم لما يحمد فيه من الهدى والنور والبيان والعلم والحكم فالفقيه يستدل به ويأخذ منه والحكيم يستمد منه ويحتج به والأديب يستفيد منه ويتقوى به فكل عالم يطلب أصل علمه منه وقيل سمي كريماً لأن كل أحد يناله ويحفظه من كبير وصغير وذكي وبليد بخلاف غيره من الكتب، وقيل إن الكلام إذا كرر مراراً يسأمه السامعون ويهون في الأعين وتمله الآذان والقرآن عزيز كريم لا يهون بكثرة التلاوة ولا يخلق بكثرة الترداد ولا يمله السامعون ولا يثقل على الألسنة بل هو غض طري يبقى أبد الدهر كذلك ﴿في كتاب مكنون﴾ أي مصون مستور عند الله تعالى في اللوح المحفوظ من الشياطين من أن يناله بسوء وقيل المراد بالكتاب المصحف ومعنى مكنون مصون محفوظ من التبديل والتحريف والقول الأول أصح، ﴿لا يمسه﴾ أي ذلك الكتاب المكنون ﴿إلا المطهرون﴾ وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة من الشرك والذنوب والأحداث يروى هذا القول عن ابن عباس وأنس وهو قول سعيد بن جبير وأبي العالية وقتادة وابن زيد وقيل هم السفرة الكرام البررة وعلى القول الثاني من أن المراد بالكتاب المصحف فقيل معنى لا يمسه إلا المطهرون أي من الشرك وكان ابن عباس ينهى أن تمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن قال الفراء لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به وقيل معناه لا يقرأه إلا الموحدون وقال قوم معناه لا يمسه إلا المطهرون من الأحداث والجنابات وظاهر الآية نفي ومعناها نهي قالوا لا يجوز للجنب ولا للحائض ولا للمحدث حمل المصحف ولا مسه وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم وأكثر أهل العلم وبه قال مالك والشافعي وأكثر الفقهاء يدل عليه ما روى مالك في الموطأ عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم إن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم «أن لا تمس القرآن إلا طاهراً» أخرجه مالك مرسلاً وقد جاء موصولاً عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل اليمن بهذا والصحيح فيه الإرسال وروى الدارقطني بسنده عن سالم عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ «لا يمس القرآن إلا طاهر» والمراد بالقرآن المصحف سماه قرآناً على قرب الجوار والاتساع، كما روي «أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو» وأراد به المصحف وقال الحكم وحماد وأبو حنيفة يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسه بغلافه.

التوحيد. وقرأ الآخرون بمواقع على الجميع. قال ابن عباس: أراد نجوم القرآن فإنه كان نزل على رسول الله ﷺ متفرّقاً نجوماً. وقال جماعة من المفسّرين: أراد مغارب النجوم ومساقطها. وقال عطاء بن أبي رباح أراد منازلها. وقال الحسن: أراد انكدارها وانتثارها يوم القيامة.

﴿ وإنه لقسم لو تعلمون عظيم * إنه ﴾، يعني هذا الكتاب وهو موضع القسم. ﴿ لقرآن كريم ﴾، عزيز مكرم لأنه كلام الله. قال بعض أهل المعاني: الكريم الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير.

﴿ في كتاب مكنون ﴾، مصون عند الله في اللوح المحفوظ محفوظ من الشياطين.

﴿ لا يمسّه ﴾، أي ذلك الكتاب المكنون، ﴿ إلاّ المطهّرون ﴾، وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة يُروى هذا عن أنس وهو قول سعيد بن جبير وأبي العالية، وقتادة وابن زيد: أنهم الملائكة، وروى حسّان عن الكلبي قال هم السفرة الكِرام البَرَرَة وروى محمد بن الفضل عنه لا يقرؤه إلاّ الموحدون. قال عكرمة: وكان ابن عباس ينهى أن يمكّن اليهود والنصارى من قراءة القرآن. قال الفرّاء: لا يجد طعمه ونفعه إلاّ مَن آمن به. وقال قوم: معناه لا يمسّه إلاّ المطهّرون من الأحداث والجنابات. وظاهر الآية نفي ومعناها نهي، قالوا: لا يجوز للجُنُب ولا للحائض ولا

فإن قلت: إذا كان الأصح أن المراد من الكتاب هو اللوح المحفوظ وأن المراد من «لا يمسه إلا المطهرون» هم الملائكة ولو كان المراد نفي الحدث لقال لا يمسه إلا المتطهرون من التطهر فكيف يصح قول الشافعي لا يصح للمحدث مس المصحف.

قلت من قال إن الشافعي أخذه من صريح الآية حمله على التفسير الثاني وهو القول بأن المراد من الكتاب هو المصحف ومن قال إنه أخذه من طريق الاستنباط قال المس بطهر صفة دالة على التعظيم والمس بغير طهر نوع استهانة وهذا لا يليق بمباشرة المصحف الكريم والصحيح أنه أخذه من السنة ودليله ما تقدم من الأحاديث والله أعلم. قوله تعالى:

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿**تنزيل من رب العالمين**﴾ صفة للقرآن أي القرآن منزل من عند رب العالمين سمي المنزل تنزيلاً على اتساع اللغة يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق وفيه رد على من قال إن القرآن شعر أو سحر أو كهانة فقال الله تعالى بل القرآن تنزيل من رب العالمين.

قوله عز وجل: ﴿**أفبهذا الحديث**﴾ يعني القرآن ﴿**أنتم**﴾ أي يا أهل مكة ﴿**مدهنون**﴾ قال ابن عباس مكذبون وقيل كافرون والمدهن والمداهن الكذاب والمنافق والإدهان الجري في الباطل على خلاف الظاهر هذا أصله ثم قيل للمكذب والكافر مدهن وإن صرح بالتكذيب والكفر، ﴿**وتجعلون رزقكم**﴾ أي حظكم ونصيبكم من القرآن ﴿**أنكم تكذبون**﴾ قال الحسن في هذه الآية خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب وقال جماعة من المفسرين معناه وتجعلون شكركم أنكم تكذبون أي بنعمة الله عليكم وهذا في الاستسقاء بالأنواء وذلك أنهم كانوا إذا مطروا يقولون مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك المطر من فضل الله عليهم فقيل لهم أتجعلون رزقكم أي شكركم بما رزقكم التكذيب فمن نسب الإنزال إلى النجم فقد كذب برزق الله تعالى ونعمه وكذب بما جاء به القرآن والمعنى أتجعلون بدل الشكر التكذيب، (ق) عن يزيد بن خالد الجهني قال «صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادي

المحدث حمل المصحف ولا مسّه، وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم وأكثر أهل العلم، وبه قال مالك والشافعي وقال الحكم وحمّاد وأبو حنيفة: يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسّه بغلاف، والأول قول أكثر الفقهاء، أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حازم أن لا يمسّ القرآن إلّا طاهر والمراد بالقرآن المصحف، سمّاه قرآنا على قرب الجوار والاتّساع. كما رُوِيَ أن رسول الله ﷺ: «نهى أن يُسافَر بالقرآنِ إلى أرضِ العدو»، وأراد به المصحف.

﴿ **تنزيل من ربّ العالمين** ﴾، أي القرآن مُنزَل من عند ربّ العالمين سُمّي المُنزَل تنزيلاً على اتّساع اللغة، كما يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق.

﴿ **أفبهذا الحديث** ﴾، يعني القرآن، ﴿ **أنتم** ﴾، يا أهل مكة، ﴿ **مدهنون** ﴾، قال ابن عباس: مكذبون. وقال مقاتل بن حيّان: كافرون نظيره: ﴿ ودُّوا لو تدهن فيدهنون ﴾ [القلم: ٩]، والمدهن والمداهن الكذاب

مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب» رواه مسلم وفيه عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ بمعناه وزاد فنزلت هذه الآية فلا أقسم بمواقع النجوم إلى قوله وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون، وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله الغيث فيقولون الكوكب كذا وكذا وفي رواية بكوكب كذا وكذا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون قال شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا» وفي رواية بكوكب كذا وكذا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب.

قوله في أثر سماء أي أثر مطر والنوء الكوكب يقال ناء النجم ينوء إذا سقط وغاب وقيل ناء إذا نهض وطلع واختلف العلماء في معنى الحديث وكفر من قال مطرنا بنوء كذا على قولين أحدهما أنه كفر بالله تعالى سالب لأصل الإيمان مخرج عن ملة الإسلام وذلك فيمن قال ذلك معتقداً أن الكوكب فاعل مدبر منشيء للمطر كما كان بعض الجاهلية يزعم فمن اعتقد هذا فلا شك في كفره، وهذا القول هو الذي ذهب إليه جماهير العلماء منهم الشافعي وهو ظاهر الحديث وعلى هذا لو قال مطرنا بنوء كذا وكذا وهو معتقد أن إيجاد المطر من الله ورحمته وأن النوء ميقات له ومراده إنا مطرنا في وقت طلوع نجم كذا ولم يقصد إلى فعل النجم كما جاء عن عمر أنه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس كم بقي من نوء الثريا؟ فقال إن العلماء يزعمون أنها تعترض في الأفق سبعاً بعد وقوعها فوالله ما مضت تلك السبع حتى غيث الناس وإنما أراد عمركم بقي من الوقت الذي جرت العادة أنه إذا تم أتى الله بالمطر فهذا جائز لا كفر فيه واختلفوا في كراهية هذا والأظهر أنها كراهية تنزيه لا إثم فيها ولا تحريم وسبب هذه الكراهة أنها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بقائلها ولأنها من شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم، والقول الثاني في تأويل أصل الحديث أن المراد بالكفر كفر النعمة لله تعالى لاقتصاره على إضافة الغيث إلى الكواكب وهذا جار فيمن لا يعتقد تدبير الكواكب

والمنافق، وهو من الادهان وهو الجري في الباطن على خلاف الظاهر، هذا أصله ثم قيل للمكذِّب مدهن وإن صرَّح بالتكذيب والكفر.

﴿ وتجعلون رزقكم ﴾، حظّكم ونصيبكم من القرآن، ﴿ أنكم تكذبون ﴾، قال الحسن في هذه الآية: خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلّا التكذيب به. وقال جماعة من المفسّرين: معناه وتجعلون شكركم أنكم تكذبون. وقال الهيثم بن عدي: إن من لغة أزد شنوءة ما رزق فلان بمعنى ما شكر وهذا في الاستسقاء بالأنواء وذلك أنهم كانوا يقولون: إذا مطروا مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك من فضل الله تعالى، فقيل لهم: أتجعلون رزقكم أي شكركم بما رزقتم يعني شكر رزقكم التكذيب، فحذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه، أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر ابن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن ملك عن صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زيد بن خالد الجهني قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما مَن قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي، وكافر بالكواكب، وأما مَن قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب». ورواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ وزاد: فنزلت هذه الآية ﴿ فلا أُقسم بمواقع النجوم ﴾ إلى قوله: ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾، أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجّاج حدّثني محمد بن سلمة المرادي ثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث أنا أبو يونس حدّثه عن أبي

ويؤيد هذا التأويل حديث أبي هريرة «ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين» فقوله بها يدل على أنه كفر بالنعمة والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿فلولا﴾ أي فهلا ﴿إذا بلغت الحلقوم﴾ أي النفس أو الروح إلى الحلقوم عند الموت ﴿وأنتم﴾ يعني يا أهل الميت ﴿حينئذ تنظرون﴾ يعني إلى الميت متى تخرج نفسه وقيل تنظرون إلى أمري وسلطاني لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئاً.

وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾

﴿ونحن أقرب إليه منكم﴾ أي بالعلم والقدرة والرؤية وقيل ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب إلى الميت منكم ﴿ولكن لا تبصرون﴾ أي الذين حضروه من الملائكة لقبض روحه وقيل لا تبصرون أي لا تعلمون ذلك ﴿فلولا إن كنتم غير مدينين﴾ أي مملوكين وقيل محاسبين ومجزيين ﴿ترجعونها إن كنتم صادقين﴾ أي تردون نفس هذا الميت إلى جسده بعد ما بلغت الحلقوم فأجاب عن قوله فلولا إذا بلغت الحلقوم وعن قوله فلولا إن كنتم غير مدينين بجواب واحد وهو قوله ترجعونها والمعنى إن كان الأمر كما تقولون إنه لا بعث ولا حساب ولا إله يجازي فهلا تردون نفس من يعز عليكم إذا بلغت الحلقوم وإذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا أن الأمر إلى غيركم وهو الله تعالى فآمنوا به ثم ذكر

هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أنزل الله من السماء من بركة إلّا أصبح فريق من الناس بها كافرين، ينزل الله تعالى الغيث فيقولون: مطرنا بكوكب كذا وكذا».

قوله عزّ وجلّ: ﴿ فلولا ﴾، فهلّا، ﴿ إذا بلغت الحلقوم ﴾، أي بلغت النفس الحلقوم عند الموت.

﴿ وأنتم حينئذ تنظرون ﴾، يريد وأنتم يا أهل الميت تنظرون إليه متى تخرج نفسه. وقيل: معنى قوله تنظرون أي إلى أمري وسلطاني لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئاً.

﴿ ونحن أقرب إليه منكم ﴾، بالعلم والقدرة والرؤية. وقيل: ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم، ﴿ ولكن لا تبصرون ﴾، الذين حضروه.

﴿ فلولا ﴾، فهلّا ﴿ إن كنتم غير مدينين ﴾، مملوكين، وقال أكثرهم: محاسبين ومجزيين.

﴿ ترجعونها إن كنتم صادقين ﴾، أي تردون نفس هذا الميت إلى جسده بعدما بلغت الحلقوم فأجاب عن قوله: ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم ﴾ وعن قوله: ﴿ فلولا إن كنتم غير مدينين ﴾ بجواب واحد، ومثله قوله عزّ وجلّ: ﴿ فإما يأتينّكم منّي هدى فمَن تبع هداي فلا خوف عليهم ﴾ [البقرة: ٣٨] أجيبا بجواب واحد، معناه إن كان الأمر كما تقولون أنه لا بعث ولا حساب ولا إله يجازي فهلّا تردّون نفس مَن يعزّ عليكم إذا بلغت الحلقوم، وإذ لم يمكنكم ذلك فاعلموا أن الأمر إلى غيركم وهو الله عزّ وجلّ فآمنوا به، ثم تذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال:

﴿ فأما إن كان من المقرّبين ﴾، وهم السابقون.

طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال تعالى: ﴿فأما إن كان من المقربين﴾ يعني السابقين. ﴿فروح﴾ أي فله روح وهو الراحة وقيل فله فرح وقيل رحمة ﴿وريحان﴾ أي وله استراحة وقيل رزق وقيل هو الريحان الذي يشم قال أبو العالية لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه فتقبض روحه ﴿وجنة نعيم﴾ أي وله جنة النعيم يفضي إليها في الآخرة قال أبو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان رضوان دار القرار ﴿وأما إن كان﴾ يعني المتوفى ﴿من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين﴾ أي فسلامة لك يا محمد منهم والمعنى فلا تهتم لهم فإنهم سلموا من عذاب الله أو إنك ترى فيهم ما تحب من السلامة وقيل هو أن الله يتجاوز عن سيئاتهم ويقبل حسناتهم وقيل معناه مسلم لك أنهم من أصحاب اليمين أو يقال لصاحب اليمين مسلم لك أنك من أصحاب اليمين وقيل فسلام عليك من أصحاب اليمين، ﴿وأما إن كان من المكذبين﴾ أي بالبعث ﴿الضالين﴾ أي عن الهدى وهم أصحاب الشمال.

﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾

﴿فنزل من حميم﴾ أي الذي يعد لهم حميم جهنم ﴿وتصلية جحيم﴾ أي وإدخال نار عظيمة ﴿إن هذا﴾ يعني ما ذكر من قصة المحتضرين ﴿لهو حق اليقين﴾ أي لا شك فيه وقيل إن هذا الذي قصصناه عليك في هذه السورة من

﴿ فروح ﴾ قرأ يعقوب ﴿ فروح ﴾ بضم الراء والباقون بفتحها فمَن قرأ بالضم، قال الحسن معناه: تخرج روحه في الريحان، وقال قتادة: الروح الرحمة أي له الرحمة، وقيل: معناه فحياة وبقاء لهم، ومَن قرأ بالفتح معناه فله روح وهو الراحة، وهو قول مجاهد. وقال سعيد بن جبير: فرح. وقال الضحاك: مغفرة ورحمة. ﴿ وريحان ﴾، استراحة، وقال مجاهد وسعيد بن جبير: رزق. وقال مقاتل: هو الرزق بلسان حمير، يقال خرجت أطلب ريحان الله أي رزق الله. وقال آخرون: هو الريحان الذي يشمّ قال أبو العالية: لا يفارق أحد من المقرّبين الدنيا حتى يُؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمّه ثم تقبض روحه. ﴿ وجنة نعيم ﴾، قال أبو بكر الورّاق: الروح النجاة من النار والريحان دخول دار القرار.

﴿ وأما إن كان ﴾ المتوفّى، ﴿ من أصحاب اليمين * فسلام لك من أصحاب اليمين ﴾، أي سلامة لك يا محمد منهم فلا تهتم لهم فإنهم سلموا من عذاب الله أو أنك ترى فيهم ما تحبّ من السلامة. قال مقاتل: هو أن الله تعالى يتجاوز عن سيئاتهم ويقبل حسناتهم. وقال الفرّاء وغيره: فسلام لك إنهم من أصحاب اليمين، أو يقال لصاحب اليمين: سلام لك إنك من أصحاب اليمين فألقيت إن كان الرجل يقول إني مسافر عن قليل، فتقول له: أنت مصدق مسافر عن قليل، وقيل: فسلام لك أي عليك من أصحاب اليمين.

﴿ وأما إن كان من المكذبين ﴾، بالبعث، ﴿ الضالّين ﴾، عن الهدى وهم أصحاب المشأمة.

﴿ فنزل من حميم ﴾، فالذي يعدلهم حميم جهنم.

﴿ وتصلية جحيم ﴾، وإدخال نار عظيمة.

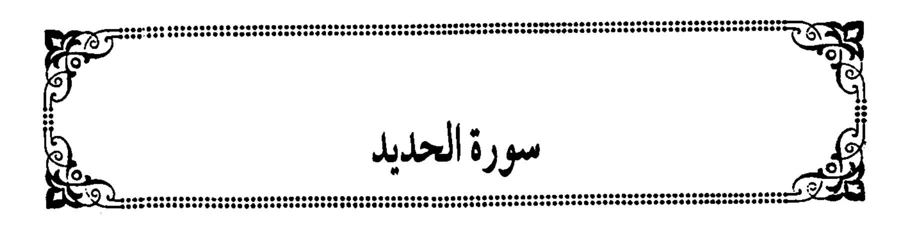
﴿ إن هذا ﴾، يعني ما ذكر من قصة المحتضرين، ﴿ لهو حق اليقين ﴾، أي الحق اليقين أضافه إلى نفسه.

﴿ فسبّح باسم ربّك العظيم ﴾، قيل: فصلِّ بذكر ربك وأمره. وقيل: الباء زائدة أي فسبّح اسم ربّك العظيم. أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أنا ابن فنجويه أنا ابن شيبة ثنا حمزة بن محمد الكاتب ثنا نعيم بن حمّاد ثنا عبد الله بن المبارك عن موسى بن أيوب الغافقي عن عمّه وهو إياس بن

الأقاصيص وما أعد الله لأوليائه من النعم وما أعد لأعدائه من العذاب الأليم وما ذكر مما يدل على وحدانيته يقين لا شك فيه، ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أي فنزه ربك العظيم عن كل سوء وقيل معناه فصل بذكر ربك العظيم وبأمره.

عن عقبة بن عامر الجهني قال «لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله ﷺ اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها في سجودكم» أخرجه أبو داود عن حذيفة أنه صلى مع النبي ﷺ فكان يقول في ركوعه «سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الأعلى وما أتى على آية رحمة إلا وقف وسأل وما أتى على آية عذاب إلا وقف وتعوذ» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عن جابر عن النبي ﷺ قال «من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة». (م) عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ «ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله تعالى قال سبحان الله وبحمده». (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» هذا الحديث آخر حديث في صحيح البخاري والله أعلم.

عامر عن عقبة بن عامر الجهني قال: لمّا نزلت على رسول الله ﷺ ﴿ فسبّح باسم ربك العظيم ﴾، قال: اجعلوها في ركوعكم، ولما نزلت ﴿ سبّح اسم ربك الأعلى ﴾ [الأعلى: ١] قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في سجودكم» أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي ثنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا محمود بن غيلان ثنا أبو داود قال أنا شعبة عن الأعمش قال: سمعت سعيد بن عبيدة يحدّث عن المستورد عن صلة بن زفر عن حذيفة أنه صلّى مع النبي ﷺ فكان يقول في ركوعه: «سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الأعلى، وما أتى على آية رحمة إلّا وقف وسأل، وما أتى على آية عذاب إلّا وقف وتعوّذ» أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا محمد بن فضيل أنا عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»، أخبرنا أبو نصر محمد بن الحسن الجعفري حدّثني أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله الرازي بدمشق ثنا علي بن الحسين البزاز وأحمد بن سليمان بن حكم وابن راشد قالوا أخبرنا بكّار بن قتيبة ثنا روح بن عبادة ثنا حجّاج الصراف عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قال سبحان الله العظيم وبحمده غُرِسَت له نخلة في الجنة»، أخبرنا عبد الواحد المليحي قال أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا يونس بن عبد الأعلى أنا ابن وهب أخبرني السري بن يحيىٰ أن شجاعاً حدّثه عن أبي طيبة عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً»، وكان أبو طيبة لا يدعها أبداً.



مدنية وهي تسع وعشرون آية وخمسمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وأربعمائة وستة وسبعون حرفاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي
سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ
أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾

قوله عز وجل: ﴿سبح لله ما في السموات والأرض﴾ يعني كل ذي روح وغيره يسبح الله تعالى فتسبيح العقلاء تنزيه الله عز وجل عن كل سوء وعما لا يليق بجلاله وتسبيح غير العقلاء من ناطق وجماد اختلفوا فيه فقيل تسبيحه دلالته على صانعه فكأنه ناطق بتسبيحه وقيل تسبيحه بالقول يدل عليه قوله «ولكن لا تفقهون تسبيحهم» أي قولهم والحق أن التسبيح هو القول الذي لا يصدر إلا من العاقل العارف بالله تعالى وما سوى العاقل ففي تسبيحه وجهان أحدهما أنها تدل على تعظيمه وتنزيهه والثاني أن جميع الموجودات بأسرها منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فإن حملنا التسبيح المذكور في الآية على القول كان المراد بقوله ما في السموات والأرض من في السموات وهم الملائكة ومسبحي الأرض وهم المؤمنون العارفون بالله وإن حملنا التسبيح على التسبيح المعنوي فجميع أجزاء السموات وما فيها من شمس وقمر ونجوم وغير ذلك وجميع ذرات الأرضين وما فيها من جبال وبحار وشجر ودواب وغيره ذلك كلها مسبحة خاشعة خاضعة لجلال عظمة الله جل جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء.

فإن قلت قد جاء في بعض فواتح السور سبح بلفظ الماضي وفي بعضها يسبح بلفظ المضارع فما معناه.

قلت فيه إشارة إلى كون جميع الأشياء مسبحاً لله أبداً غير مختص بوقت دون وقت بل هي كانت مسبحة أبداً في الماضي وستكون مسبحة أبداً في المستقبل ﴿وهو العزيز﴾ أي الغالب الكامل القدرة الذي لا ينازعه شيء، ﴿الحكيم﴾ أي الذي جميع أفعاله على وفق الحكمة والصواب ﴿له ملك السموات والأرض﴾ أي أنه الغني عن جميع

سُورَة الحَدِيْد

مدنيّة وهي تسع وعشرون آية.

﴿سبّح لله ما في السمٰوات والأرض وهو العزيز الحكيم * له ملك السمٰوات والأرض يُحيي ويُميت وهو على كل شيء قدير * هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾، يعني هو الأول قبل كل شيء بلا ابتداء بل كان هو ولم يكن

خلقه وكلهم محتاجون إليه، ﴿**يحيي ويميت**﴾ أي يحيي الأموات للبعث ويميت الأحياء في الدنيا ﴿**وهو على كل شيء قدير**﴾ قوله عز وجل: ﴿**هو الأول والآخر والظاهر والباطن**﴾ يعني هو الأول قبل كل شيء بلا ابتداء كان هو ولم يكن شيء موجوداً والآخر بعد فناء كل أحد بلا انتهاء يفني الأشياء ويبقى هو والظاهر الغالب العالي على كل شيء والباطن العالم بكل شيء هذا معنى قول ابن عباس وقيل هو الأول بوجوده ليس قبله شيء والآخر ليس بعده شيء وقيل هو الأول بوجوده في الأزل وقيل الابتداء والآخر بوجوده في الأبد وبعد الانتهاء والظاهر بالدلائل الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب عن العقول أن تكيفه، وقيل هو الأول الذي سبق وجوده كل موجود والآخر الذي يبقى بعد كل مفقود وقال الإمام أبو بكر بن الباقلاني معناه أنه تعالى الباقي بصفاته من العلم والقدرة وغيرهما التي كان عليها في الأزل، ويكون كذلك بعد موت الخلائق وذهاب علومهم وقدرهم وحواسهم وتفرق أجسامهم قال وتعلقت المعتزلة بهذا الاسم فاحتجوا لمذهبهم في فناء الأجسام وذهابها بالكلية قالوا معناه أنه الباقي بعد فناء خلقه ومذهب أهل الحق يعني أهل السنة بخلاف ذلك وأن المراد الآخر بصفاته بعد ذهاب صفاتهم كما يقال آخر من بقي من بني فلان فلان يراد حياته ولا يراد فناء أجسام موتاه وذهابها بالكلية هذا آخر كلام ابن الباقلاني، وقيل هو الأول السابق للأشياء والآخر الباقي بعد فناء الأحياء والظاهر بحججه الباهرة وبراهينه النيرة الزاهرة وشواهده الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب عن أبصار الخلق فلا تستوي عليه الكيفية وقيل هو الأول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم، وقيل هو الأول ببره إذ عرفك توحيده والآخر بجوده إذ عرفك طريق التوبة عما جنيت والظاهر بتوفيقه إذ وفقك للسجود له والباطن بستره إذا عصيت يستر عليك، وقال الجنيد هو الأول بشرح القلوب والآخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب وسأل عمر كعباً عن هذه الآية فقال معناها أن علمه بالأول كعلمه بالآخر وعلمه الظاهر كعلمه بالباطن ﴿**وهو بكل شيء عليم**﴾ (م) عن سهيل بن أبي صالح قال كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول «اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته» وفي رواية «من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر» وكان يروى ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وعن أبي هريرة أيضاً قال «بينما النبي ﷺ جالس وأصحابه إذ أتى عليهم سحاب فقال رسول الله ﷺ أتدرون ما هذا؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال هذه العنان هذه روايا الأرض يسوقها الله تعالى إلى قوم لا يشكرونه ولا

شيء موجوداً والآخر بعد فناء كل شيء بلا انتهاء، تفنى الأشياء ويبقى هو والظاهر الغالب العالي على كل شيء، والباطن العالم بكل شيء، هذا معنى قول ابن عباس. وقال يمان: هو الأول القديم والآخر الرحيم، والظاهر الحليم، والباطن العليم. وقال السدي: هو الأول ببرّه إذ عرفك توحيده والآخر بجوده إذْ عرفك التوبة على ما جنيتَ، والظاهر بتوفيقه إذْ وفّقك للسجود له، والباطن بستره إذْ عصيته فستر عليك. وقال الجنيد: هو الأول بشرح القلوب، والآخر بغفران الذنوب، والظاهر بكشف الكروب، والباطن بعلم الغيوب. وسأل عمر رضي الله تعالى عنه كعباً عن هذه الآية فقال: معناها إن علمه بالأول كعلمه بالآخر، وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن. ﴿ **وهو بكل شيء عليم** ﴾، أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجّاج حدّثني زهير بن حرب ثنا جرير عن سهيل قال كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقّه الأيمن ثم يقول: اللّهمَّ ربَّ السموات وربَّ الأرض وربَّ كل شيء فالق الحبّ والنوى منزِل التوراة والإنجيلِ والقرآن، أعوذ بك من شرّ كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقضِ عنّي

يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوقكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال فإنها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال بينكم وبينها خمسمائة سنة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال سماءان بعد ما بينهما خمسمائة سنة حتى عد سبع سموات ما بين كل سماء كما بين السماء والأرض، ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد ما بين السماءين ثم قال هل تدرون ما الذي تحتكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال فإنها الأرض ثم قال هل تدرون ما الذي تحت ذلك؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن تحتها أرضاً أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السابعة السفلى لهبط على الله ثم قرأ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال الترمذي قال بعض أهل العلم في تفسير هذا الحديث إنما أراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه.

العنان اسم للسحاب ومعنى روايا الأرض الحوامل والرقيع اسم للسماء وقيل هو اسم لسماء الدنيا قوله عز وجل: ﴿**هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها**﴾ تقدم تفسيره ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾ أي بالعلم والقدرة فليس ينفك أحد من تعليق علم الله تعالى وقدرته أينما كان من أرض أو سماء براً وبحراً وقيل هو معكم بالحفظ والحراسة.

وقوله تعالى: ﴿**والله بما تعملون بصير**﴾ يدل على صحة القول الأول، ﴿**له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور**﴾.

يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا
جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ
لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ
ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا
يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ
ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾

﴿**يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور**﴾ تقدم تفسيره.

قوله تعالى: ﴿**آمنوا بالله ورسوله**﴾ لما ذكر أنواعاً من الدلائل الدالة على التوحيد والعلم والقدرة شرع يخاطب

الدَّين واغنني من الفقر. وكان يُروَى ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

﴿ **هو الذي خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم** ﴾، بالعلم، ﴿ **أينما كنتم والله بما تعملون بصير** ﴾.

﴿ **له ملك السمٰوات والأرض وإلى الله ترجع الأمور**.

﴿ **يُولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور * آمنوا بالله ورسوله** ﴾، يخاطب

كفار قريش ويأمرهم بالإيمان بالله ورسوله ويأمرهم بترك الدنيا والإعراض عنها والنفقة في جميع وجوه البر وهو قوله تعالى: **﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾** يعني المال الذي كان بيد غيركم فأهلكهم وأعطاكم إياه فكنتم في ذلك المال خلفاء عمن مضى **﴿فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم﴾** يعني وأي عذر لكم في ترك الإيمان بالله والرسول يدعوكم إليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبرهان والحجج، **﴿وقد أخذ ميثاقكم﴾** أي أخذ الله ميثاقكم حين أخرجكم من ظهر آدم عليه السلام بأن الله ربكم لا إله لكم سواه وقيل أخذ ميثاقكم حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الأدلة والبراهين والحجج التي تدعو إلى متابعة الرسول، **﴿إن كنتم مؤمنين﴾** أي يوماً ما فالآن أحرى الأوقات أن تؤمنوا لقيام الحجج والإعلام ببعثة الرسول ﷺ وهو قوله تعالى: **﴿هو الذي ينزل على عبده﴾** يعني محمداً ﷺ **﴿آيات بينات﴾** يعني القرآن **﴿ليخرجكم﴾** يعني الله بالقرآن وقيل الرسول بالدعوة **﴿من الظلمات إلى النور﴾** أي من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان **﴿وإن الله بكم لرؤوف رحيم﴾** قوله تعالى: **﴿وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض﴾** يقول أي شيء لكم في ترك الإنفاق فيما يقربكم من الله تعالى وأنتم ميتون تاركون أموالكم لغيركم فالأولى أن تنفقوها أنتم فيما يقربكم إلى الله تعالى وتستحقون به الثواب ثم بين فضل من سبق بالإنفاق في سبيل الله وبالجهاد فقال تعالى: **﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل﴾** يعني فتح مكة في قول أكثر المفسرين وقيل هو صلح الحديبية، والمعنى لا يستوي في الفضل من أنفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله ﷺ قبل فتح مكة مع من أنفق ماله وقاتل بعد الفتح **﴿أولئك أعظم درجة من الذين**

كفّار مكة، **﴿ وأنفقوا ممّا جعلكم مستخلفين فيه ﴾**، مملكين فيه يعني المال الذي كان بيد غيرهم فأهلكهم وأعطاه قريشاً فكانوا في ذلك المال خلفاء عمّن مضوا. **﴿ فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجرٌ كبير ﴾**.

﴿ وما لكم لا تؤمنون بالله والرسولُ يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم ﴾، قرأ أبو عمرو **﴿ أخذ ﴾** بضمّ الهمزة وكسر الخاء **﴿ ميثاقكم ﴾** برفع القاف على ما لم يُسَمَّ فاعله، وقرأ الآخرون بفتح الهمزة والخاء ونصب القاف، أي: أخذ الله ميثاقكم حين أخرجكم من ظهر آدم عليه السلام، بأن الله ربّكم لا إلّه لكم سواه، قاله مجاهد. وقيل: أخذ ميثاقكم بإقامة الحجج والدلائل التي تدعو إلى متابعة الرسول ﷺ. **﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾** يوماً، فالآن أحرى الأوقات أن تؤمنوا لقيام الحجج والإعلام ببعثة محمد ﷺ ونزول القرآن.

﴿ هو الذي يُنزِّل على عبده ﴾، محمد ﷺ، **﴿ آياتٍ بيّنات ﴾**، يعني القرآن، **﴿ ليخرجكم ﴾**، الله بالقرآن، **﴿ من الظلمات إلى النور ﴾**، وقيل: ليخرجكم الرسول بالدعوة من الظلمات إلى النور أي من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان، **﴿ وإن الله بكم لرؤوف رحيم ﴾**.

﴿ وما لكم ألّا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السمٰوات والأرض ﴾، يقول: أيّ شيء لكم في ترك الإنفاق فيما يقرب من الله وأنتم ميّتون تاركون أموالكم، ثم بيّن فضل مَن سبق بالإنفاق في سبيل الله وبالجهاد فقال: **﴿ لا يستوي منكم مَن أنفق من قبل الفتح ﴾**، يعني فتح مكة في قول أكثر المفسّرين، وقال الشعبي: هو صلح الحديبية، **﴿ وقاتل ﴾**، يقول لا يستوي في الفضل مَن أنفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله ﷺ قبل فتح مكة مع مَن أنفق وقاتل بعده، **﴿ أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ﴾**، وروى محمد بن فضيل عن الكلبي أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه فإنه أول مَن أسلم وأول مَن أنفق ماله في سبيل الله. وقال عبد الله بن مسعود: أول مَن أظهر إسلامه بسيفه النبي ﷺ وأبو بكر، أخبرنا أحمد بن إبراهيم الثعلبي أنا عبد الله بن حامد بن محمد أنا أحمد بن إسحاق بن أيوب أنا محمد بن يونس ثنا العلاء بن عمرو الشيباني ثنا أبو إسحاق الفزاري ثنا

أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾ قال الكلبي إن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأنه أول من أسلم وأول من أنفق ماله في سبيل الله وذهب عن رسول الله ﷺ وقال عبد الله بن مسعود أول من أظهر إسلامه سبع منهم النبي ﷺ وأبو بكر وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال «كنت عند رسول الله ﷺ وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خلها في صدره بخلال فنزل جبريل فقال ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره بخلال فقال أنفق ماله على قبل الفتح قال فإن الله عز وجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط فقال رسول الله ﷺ يا أبا بكر إن الله يقرئك السلام ويقول لك أراض أنت في فقرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر أأسخط على ربي إني على ربي راض إني على ربي راض» ﴿وكلاً وعد الله الحسنى﴾ يعني الجنة قال عطاء درجات الجنة تتفاضل فالذين أنفقوا قبل الفتح في أفضلها، ﴿والله بما تعملون خبير﴾.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾

﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ أي صادقاً محتسباً بالصدقة طيبة بها نفسه وسمي هذا الإنفاق قرضاً من حيث إنه وعد به الجنة تشبيهاً بالقرض قال بعض العلماء القرض لا يكون حسناً حتى تجمع فيه أوصاف عشرة وهي أن يكون المال من الحلال وأن يكون من أجود المال وأن تتصدق به وأنت محتاج إليه وأن تصرف صدقتك إلى الأحوج إليها وأن تكتم الصدقة ما أمكنك وأن لا تتبعها بالمن والأذى وأن تقصد بها وجه الله ولا ترائي بها الناس وأن تستحقر

سفيانَ بن سعيد عن آدم بن علي عن ابن عمر قال: كنت عند رسول الله ﷺ وعنده أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعليه عباءة قد خلّها في صدره بخلال، فنزل عليه جبريل فقال: ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلّها في صدره بخلال؟ فقال: «أنفق ماله عليّ قبل الفتح»، قال: فإن الله عزّ وجلّ يقول: اقرأ عليه السلام وقلْ له أراضٍ أنت عنّي في فقرك هذا أم ساخط؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر إن الله عزّ وجلّ يقرأ عليك السلام ويقول لك: أراضٍ أنت في فقرك هذا أم ساخط»؟ فقال أبو بكر: أأسخط على ربّي إني عن ربّي راضٍ إني عن ربّي راضٍ. ﴿ وكلاً وعد الله الحسنى ﴾، أي كِلا الفريقين وعدهم الله الجنة. قال عطاء: درجات الجنة تتفاضل، فالذين أنفقوا قبل الفتح في أفضلها. وقرأ ابن عامر وكل بالرفع، ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾.

﴿ مَن ذا الذي يُقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم * يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم ﴾، يعني على الصراط، ﴿ بين أيديهم وبأيمانهم ﴾، يعني عن أيمانهم. قال بعضهم: أراد جميع جوانبهم فعبّر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم إلى الجنة. وقال قتادة: ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ قال: «إن من المؤمنين مَن يضيء نوره، يعني: على الصراط، من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء ودون ذلك، حتى أن من المؤمنين مَن لا يضيء نوره إلّا موضع قدميه». وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم مَن يؤتى نوره كالنخلة، ومنهم مَن يؤتى نوره كالرجل القائم، وأدناهم نوراً من نوره أعلى إبهامه فيطفأ مرة ويَقِدُ مرة. وقال الضحاك ومقاتل: يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم كتبهم يريد أن كتبهم التي أُعطوها بأيمانهم ونورهم بين أيديهم، وتقول لهم الملائكة: ﴿بشراكم اليوم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم﴾.

ما تعطي وتتصدق به وإن كان كثيراً وأن يكون من أحب أموالك إليك وأن لا ترى عز نفسك وذل الفقير فهذه عشرة أوصاف إذا اجتمعت في الصدقة كانت قرضاً حسناً، ﴿فيضاعفه له﴾ يعني يعطيه أجره على إنفاقه مضاعفاً، ﴿وله أجر كريم﴾ يعني وذلك الأجر كريم في نفسه.

قوله عز وجل: ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات﴾ يعني على الصراط ﴿يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم﴾ أي عن أيمانهم وقيل أراد جميع الجوانب فعبر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم إلى الجنة، وقال قتادة ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال «من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء ودون ذلك حتى إن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه» وقال عبد الله بن مسعود يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتي نوره كالنخلة ومنهم من يؤتي نوره كالرجل القائم وأدناهم نوراً من نوره على إبهامه فيطفأ مرة ويوقد مرة وقيل في معنى الآية يسعى نورهم بين أيديهم أي يعطون كتبهم بأيمانهم وتقول لهم الملائكة ﴿بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا﴾ أي انتظرونا ﴿نقتبس من نوركم﴾ أي نستضيء من نوركم قيل تغشى الناس ظلمة شديدة يوم القيامة فيعطي الله المؤمنين نوراً على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط ويعطي المنافقين أيضاً نوراً خديعة لهم فبينما هم يمشون إذ بعث الله ريحاً وظلمة فأطفأت نور المنافقين فذلك قوله تعالى ﴿يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا﴾ مخافة أن يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين وقيل بل يستضيئون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فإذا سبقهم المؤمنون بقوا في الظلمة وقالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم، ﴿قيل ارجعوا وراءكم﴾ قال ابن عباس يقول لهم المؤمنون وقيل يقول لهم الملائكة ارجعوا وراءكم من حيث جئتم وقيل ارجعوا إلى الدنيا فاعملوا فيها أعمالاً يجعلها الله لكم نوراً وقيل معناه لا نور لكم عندنا فارجعوا وراءكم ﴿فالتمسوا﴾ أي اطلبوا لأنفسكم هناك ﴿نوراً﴾ أي لا سبيل لكم إلى الاقتباس من نورنا فيرجعون في طلب النور فلا يجدون شيئاً فينصرفون إليهم ليلقوهم فيميز بينهم وبين المؤمنين فذلك قوله تعالى: ﴿فضرب بينهم﴾ أي المؤمنين والمنافقين ﴿بسور﴾ وهو حائط بين الجنة والنار ﴿له﴾ أي لذلك السور ﴿باب باطنه فيه الرحمة﴾ أي في باطن ذلك السور الرحمة وهي الجنة ﴿وظاهره من قبله العذاب﴾ أي من قبل ذلك الظاهر العذاب وهو النار وروي عن عبد الله بن عمر قال إن السور الذي ذكر في القرآن هو سور بيت المقدس

﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا ﴾، قرأ الأعمش وحمزة: ﴿ انظرونا ﴾ بفتح الهمزة وكسر الظاء يعني أمهلونا. وقيل: انتظرونا. وقرأ الآخرون بحذف الألف في الوصل وضمّها في الابتداء وضمّ الظاء، تقول العرب: انظرني وأنظرني يعني انتظرني. ﴿ نقتبسْ من نوركم ﴾، نستضيء من نوركم، وذلك أن الله تعالى يعطي المؤمنين نوراً على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط، ويعطي المنافقين أيضاً نوراً خديعة لهم، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿ وهو خادعهم ﴾ [النساء: ١٤٢]، فبينا هم يمشون إذ بعث الله عليهم ريحاً وظلمةً فأطفأت نور المنافقين، فذلك قوله: ﴿ يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا ﴾ [التحريم: ٨] مخافة أن يُسلَبوا نورهم كما سُلب نور المنافقين. وقال الكلبي: بل يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فإذا سبقهم المؤمنون وبقوا في الظلمة قالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم، ﴿ قيل ارجعوا وراءكم ﴾، قال ابن عباس: يقول لهم المؤمنون، وقال قتادة: تقول لهم الملائكة ارجعوا وراءكم من حيث جئتم، ﴿ فالْتمِسُوا نوراً ﴾، فاطلبوا هناك لأنفسكم نوراً فإنه لا سبيل لكم إلى الاقتباس من نورنا، فيرجعون في طلب النور فلا يجدون شيئاً فينصرفون إليهم ليلقوهم فيميّز بينهم وبين المؤمنين، وهو قوله: ﴿ فضُرِبَ بينهم بسور ﴾، أي سور، والباء صلة يعني بين المؤمنين والمنافقين، وهو حائط بين الجنة والنار، ﴿ له ﴾ أي لذلك

الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب وادي جهنم وقال ابن شريح كان كعب يقول في الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس إنه الباب الذي قال الله تعالى: ﴿فضرب بينهم بسور له باب﴾ الآية.

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

﴿ينادونهم﴾ يعني ينادي المنافقون المؤمنين من وراء ذلك السور حين حجز بينهم وبقوا في الظلمة ﴿ألم نكن معكم﴾ أي في الدنيا نصلي ونصوم ﴿قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾ أي أهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها في المعاصي والشهوات وكلها فتنة ﴿وتربصتم﴾ أي بالإيمان والتوبة وقيل تربصتم بمحمد ﷺ وقلتم يوشك أن يموت فنستريح منه ﴿وارتبتم﴾ أي شككتم في نبوته وفيما أوعدكم به ﴿وغرتكم الأماني﴾ أي الأباطيل وذلك ما كنتم تتمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين ﴿حتى جاء أمر الله﴾ يعني الموت وقيل هو إلقاؤهم في النار وهو قوله تعالى: ﴿وغركم بالله الغرور﴾ يعني الشيطان قال قتادة ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في النار ﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية﴾ أي عوض وبدل بأن تفدوا أنفسكم من العذاب وقيل معناه لا يقبل منكم إيمان ولا توبة ﴿ولا من الذين كفروا﴾ يعني المشركين وإنما عطف الكفار على المنافقين وإن كان المنافق كافراً في الحقيقة لأن المنافق أبطن الكفر والكافر أظهره فصار غير المنافق فحسن عطفه على المنافق ﴿مأواكم النار﴾ أي مصيركم، ﴿هي مولاكم﴾ أي وليكم وقيل هي أولى بكم لما أسلفتم من الذنوب والمعنى هي التي تلي عليكم لأنها ملكت أمركم وأسلمتم إليها فهي أولى بكم من كل شيء وقيل معنى الآية لا مولى لكم ولا ناصر لأن من كانت النار مولاه فلا مولى له ﴿وبئس المصير﴾.

السور، ﴿ باب باطنه فيه الرحمة﴾، أي في باطن ذلك السور الرحمة وهي الجنة، ﴿ وظاهره ﴾، أي خارج ذلك السور، ﴿ من قبله ﴾، أي من قبل ذلك الظاهر، ﴿ العذاب ﴾، وهو النار.

﴿ ينادونهم ﴾ رُوِيَ عـن عبد الله بن عمر قال: إن السور الذي ذكر الله تعالى في القرآن ﴿ فضُرِبَ بينهم بسور له باب ﴾ هو سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، وادي جهنم. وقال ابن شريح: كان كعب يقول: في الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس إنه الباب الذي قال الله عزّ وجلّ: ﴿ فضُرِبَ بينهم بسور له باب ﴾ الآية، ينادونهم يعني: ينادون المنافقون المؤمنين من وراء السور حين حجب بينهم بالسور وبقوا في الظلمة: ﴿ ألَمْ نكنْ معكم ﴾ في الدنيا نصلّي ونصوم؟ ﴿ قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم ﴾، أهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها في المعاصي والشهوات، وكلها فتنة، ﴿ وتربصتم ﴾، بالإيمان والتوبة. قال مقاتل: وتربصتم بمحمد ﷺ وقلتم يوشك أن يموت فنستريح منه، ﴿ وارْتبتُم ﴾، شككتم في نبوّته وفيما أوعدكم به، ﴿ وغرّتكم الأماني ﴾، الأباطيل وما كنتم تتمنّون من نزول الدوائر بالمؤمنين، ﴿ حتى جاء أمر الله ﴾، يعني الموت، ﴿ وغرّكم بالله الغرور ﴾، يعني الشيطان، قال قتادة: ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في النار.

﴿ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب (تؤخذ) بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء، ﴿ فدية ﴾ بدل وعوض بأن أنقذوا أنفسكم من العذاب، ﴿ ولا من الذين كفروا ﴾، يعني المشركين، ﴿ مأواكم النار هي مولاكم ﴾، صاحبكم وأولى بكم لما أسلفتم من الذنوب، ﴿ وبئس المصير ﴾.

﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿**ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله**﴾ قيل نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك أنهم قالوا لسلمان الفارسي ذات يوم حدثنا عن التوراة فإن فيها العجائب فنزل ﴿**نحن نقص عليك أحسن القصص**﴾ فأخبرهم أن القرآن أحسن من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله ثم عادوا فسألوه مثل ذلك فنزل ﴿**الله نزل أحسن الحديث**﴾ الآية فكفوا عن سؤاله ما شاء الله ثم عادوا فسألوه فنزلت هذه الآية فعلى هذا القول يكون تأويل قوله: ﴿**ألم يأن للذين آمنوا**﴾ يعني في العلانية باللسان ولم يؤمنوا بالقلب، وقيل نزلت في المؤمنين وذلك أنهم لما قدموا المدينة أصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا ونزل في ذلك ألم يأن للذين آمنوا الآية قال ابن مسعود ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين أخرجه مسلم وقال ابن عباس إن الله تعالى استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال ألم يأن يعني أما حان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم أي ترق وتلين وتخضع قلوبهم لذكر الله أي لمواعظ الله ﴿**وما نزل من الحق**﴾ يعني القرآن ﴿**ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل**﴾ يعني اليهود والنصارى، ﴿**فطال عليهم الأمد**﴾ أي الزمان الذي بينهم وبين أنبيائهم ﴿**فقست قلوبهم**﴾ قال ابن عباس مالوا إلى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ القرآن والمعنى أن الله نهى المؤمنين أن يكونوا في صحبة القرآن كاليهود والنصارى الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر روي عن أبي موسى الأشعري أنه بعث إلى قراء البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرؤوا القرآن فقال أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **ألم يَأْنِ للذين آمنوا أنْ تخشع قلوبهم لذكر الله** ﴾، قال الكلبي ومقاتل: نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة، وذلك أنهم سألوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا حدّثنا عن التوراة فإن فيها العجائب، فنزلت: ﴿ نحن نقصّ عليك أحسن القصص ﴾ [يوسف: ٣]، فأخبرهم أن القرآن أحسن قصصاً من غيره فكفّوا عن سؤال سلمان ما شاء الله، ثم عادوا فسألوا سلمان عن مثل ذلك فنزل: ﴿ الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً ﴾ [الزّمر: ٢٣]، فكفّوا عن سؤاله ما شاء الله ثم عادوا فقالوا: حدّثنا عن التوراة فإن فيها العجائب فنزلت هذه الآية. فعلى هذا تأويل قوله: ﴿ **ألم يَأْنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله** ﴾، يعني في العلانية وباللسان. وقال الآخرون: نزلت في المؤمنين. قال عبد الله بن مسعود: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله** ﴾، إلاّ أربع سنين. وقال ابن عباس: إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن، فقال: ﴿ **ألم يَأْنِ** ﴾، ألم يحن للذين آمنوا أن تخشع ترقّ وتلين وتخضع قلوبهم لذكر الله، ﴿ **وما نَزَلَ** ﴾، قرأ نافع وحفص عن عاصم بتخفيف الزاي، وقرأ الآخرون بتشديدها، ﴿ **من الحق** ﴾، وهو القرآن، ﴿ **ولا يكونوا كالذين أُوتوا الكتاب من قبل** ﴾، وهم اليهود والنصارى، ﴿ **فطال عليهم الأمد** ﴾، الزمان بينهم وبين أنبيائهم، ﴿ **فقستْ قلوبُهم** ﴾، قال ابن عباس: مالُوا إلى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ الله، والمعنى أن الله عزّ وجلّ ينهى المؤمنين أن يكونوا في صحة القرآن كاليهود الذين قَسَت قلوبهم لمّا طال عليهم الدهر. رُوِيَ أن أبا موسى الأشعري بعث إلى قرّاء أهل البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرؤوا القرآن فقال لهم: أنتم خيار أهل البصرة وقرّاؤهم فاتلوه ولا يطولنّ عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب مَن كان قبلكم.

فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ يعني الذين تركوا الإيمان بعيسى ومحمد ﷺ قوله عز وجل: ﴿اعلموا أن الله يحيي الأرض﴾ أي بالمطر ﴿بعد موتها﴾ أي يخرج منها النبات بعد يبسها فكذلك يقدر على إحياء الموتى وقال ابن عباس يلين القلوب بعد قسوتها فيجعلها مخبتة منيبة وكذلك يحيي القلوب الميتة بالعلم والحكمة وإلا فقد علم إحياء الأرض بالمطر مشاهدة ﴿قد بينا لكم الآيات﴾ أي الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا ﴿لعلكم تعقلون إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾ أي بالنفقة والصدقة في سبيل الله ﴿يضاعف لهم﴾ أي ذلك القرض ﴿ولهم أجر كريم﴾ أي ثواب حسن وهو الجنة.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًاۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾

﴿والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون﴾ أي الكثير والصدق قال مجاهد كل من آمن بالله ورسوله فهو صديق وتلا هذه الآية فعلى هذا الآية عامة في كل من آمن بالله ورسوله وقيل إن الآية خاصة في ثمانية نفر من هذه الأمة سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام وهم أبو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته، ﴿والشهداء عند ربهم﴾ قيل أراد بالشهداء المؤمنين المخلصين قال مجاهد كل مؤمن صديق شهيد وتلا هذه الآية وقيل هم التسعة الذين تقدم ذكرهم وقيل تم الكلام عند قوله هم الصديقون ثم ابتدأ والشهداء عند ربهم وهم الأنبياء الذين يشهدون على الأمم يروى ذلك عن ابن عباس وقيل هم الذين استشهدوا في سبيل الله، ﴿لهم أجرهم﴾ أي بما عملوا من العمل الصالح ﴿ونورهم﴾ يعني على الصراط ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾ لما ذكر حال المؤمنين أتبعه بحال الكافرين.

﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾، يعني الذين تركوا الإيمان بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بيّنا لكم الآيات لعلّكم تعقلون * إن المصَّدِّقين والمصَّدِّقات ﴾، قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم بتخفيف الصاد فيهما من التصديق أي المؤمنين والمؤمنات، وقرأ الآخرون بتشديدهما أي المتصدقين والمتصدقات أُدغمت التاء في الصاد، ﴿ وأقرضوا الله قرضاً حسناً ﴾، بالصدقة والنفقة في سبيل الله عزّ وجلّ، ﴿ يُضاعَفُ لهم ﴾، ذلك القرض ﴿ ولهم أجرٌ كريم ﴾، ثواب حسن وهو الجنة.

﴿ والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصدّيقون ﴾، والصدّيق الكثير الصدق، قال مجاهد: كلّ مَن آمن بالله ورسله فهو صدّيق وتلا هذه الآية. قال الضحاك: هم ثمانية نفر من هذه الأمة سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام أبو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة، وتاسعهم عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نيّته. ﴿ والشهداء عند ربهم ﴾، اختلفوا في نظم هذه الآية منهم مَن قال: هي متصلة بما قبلها والواو واو النسق، وأراد بالشهداء المؤمنين المخلصين. وقال الضحاك: هم الذين سمّيناهم. وقال مجاهد: كل مؤمن صدّيق شهيد، وتلا هذه الآية. وقال قوم: تمّ الكلام عند قوله: ﴿ هم الصدّيقون ﴾، ثم ابتدأ فقال: والشهداء عند ربهم، والواوُ واوُ الاستئناف، وهو قول ابن عباس ومسروق وجماعة، ثم اختلفوا فيهم فقال قوم هم الأنبياء الذين يشهدون على الأمم يوم القيامة، يُروَى ذلك عن ابن عباس وهو قول

قوله عز وجل: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا﴾ أي مدة الحياة في هذه الدار الدنيا وإنما أراد من صرف حياته في غير طاعة الله فحياته مذمومة ومن صرف حياته في طاعة الله فحياته خير كلها ثم وصفها بقوله ﴿لعب﴾ أي باطل لا حاصل له كلعب الصبيان ﴿ولهو﴾ أي فرح ساعة ثم ينقضي عن قريب ﴿وزينة﴾ أي منظر يتزينون به ﴿وتفاخر بينكم﴾ يعني إنكم تشتغلون في حياتكم بما يفتخر به بعضكم على بعض ﴿وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ أي مباهاة بكثرة الأموال والأولاد وقيل بجمع ما لا يحل له فيتطاول بماله وخدمه وولده على أولياء الله تعالى وأهل طاعته ثم ضرب لهذه الحياة مثلاً فقال تعالى: ﴿كمثل غيث أعجب الكفار﴾ أي الزراع إنما سمي الزراع كفاراً لسترهم الأرض بالبذر ﴿نباته﴾ أي ما نبت بذلك الغيث ﴿ثم يهيج﴾ أي ييبس ﴿فتراه مصفراً﴾ أي بعد خضرته ﴿ثم يكون حطاماً﴾ أي يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى ﴿وفي الآخرة عذاب شديد﴾ أي لمن كانت حياته بهذه الصفة قال أهل المعاني زهد الله بهذه الآية في العمل للدنيا وهذه صفة حياة الكافرين وحياة من يشتغل باللعب واللهو ورغب في العمل للآخرة بقوله: ﴿ومغفرة من الله ورضوان﴾ أي لأوليائه وأهل طاعته وقيل عذاب شديد لأعدائه ومغفرة من الله ورضوان لأوليائه لأن الآخرة إما عذاب وإما جنة ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ أي لمن عمل لها ولم يعمل للآخرة فمن اشتغل في الدنيا بطلب الآخرة فهي له بلاغ إلى ما هو خير منه وقيل متاع الغرور لمن لم يشتغل فيها بطلب الآخرة.

سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾

قوله عز وجل: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم﴾ معناه لتكن مفاخرتكم ومكاثرتكم في غير ما أنتم عليه بل

مقاتل بن حيان. وقال مقاتل بن سليمان: هم الذين استشهدوا في سبيل الله، ﴿ لهم أجرهم ﴾، بما عملوا من العمل الصالح، ﴿ ونورهم ﴾، على الصراط ﴿ والذين كفروا وكذّبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا ﴾، أي أن الحياة الدنيا، و(ما) صلة أي إن الحياة في هذه الدار، ﴿ لعب ﴾، باطل لا حاصل له، ﴿ ولهو ﴾، فرح ثم ينقضي، ﴿ وزينة ﴾، منظر تتزينون به، ﴿ وتفاخر بينكم ﴾، تفخر به بعضكم على بعض، ﴿ وتكاثر في الأموال والأولاد ﴾، أي مباهاة بكثرة الأموال والأولاد، ثم ضرب لها مثلاً فقال: ﴿ كمثل غيث أعجب الكفّار ﴾، أي الزرّاع، ﴿ نباته ﴾، ما نبت من ذلك الغيث، ﴿ ثم يهيج ﴾، ييبس، ﴿ فتراه مصفراً ﴾، بعد خضرته ونضرته، ﴿ ثم يكون حطاماً ﴾، يتحطم ويتكسّر بعد يبسه ويفنى، ﴿ وفي الآخرة عذاب شديد ﴾، قال مقاتل: لأعداء الله، ﴿ ومغفرة من الله ورضوان ﴾ لأوليائه وأهل طاعته، ﴿ وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور ﴾، قال سعيد بن جبير: متاع الغرور لمَن يشتغل فيها بطلب الآخرة ومَن اشتغل بطلبها فله متاع بلاغ إلى ما هو خير منه.

﴿ سابقوا ﴾، سارعوا، ﴿ إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضها كعرض السماء والأرض ﴾، لو وُصل بعضها

احرصوا على أن تكون مسابقتكم في طلب الآخرة والمعنى سارعوا مسارعة المسابقين في المضمار إلى مغفرة أي إلى ما يوجب المغفرة وهي التوبة من الذنوب وقيل سابقوا إلى ما كلفتم به من الأعمال فتدخل فيه التوبة وغيرها، ﴿**وجنة عرضها كعرض السماء والأرض**﴾ قيل إن السموات السبع والأرضين السبع لو جعلت صفائح وألزق بعضها ببعض لكان عرض الجنة في قدرها جميعاً وقال ابن عباس إن لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقيل إن الله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات والأرضين ولا شك أن الطول يكون أزيد من العرض فذكر العرض تنبيهاً على أن طولها أضعاف ذلك وقيل إن هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع في نفوسهم وأفكارهم وأكثر ما يقع في نفوسهم مقدار السموات والأرض فشبه عرض الجنة بعرض السموات والأرض على ما يعرفه الناس، ﴿**أعدت للذين آمنوا بالله ورسله**﴾ فيه أعظم رجاء وأقوى أمل لأنه ذكر أن الجنة أعدت لمن آمن بالله ورسله ولم يذكر مع الإيمان شيئاً آخر يدل عليه قوله في سياق الآية ﴿**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**﴾ فبين أنه لا يدخل أحد الجنة إلا بفضل الله تعالى لا بعمله، ﴿**والله ذو الفضل العظيم**﴾ (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «لن يدخل أحداً منكم الجنة عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل رحمته» وقد تقدم الكلام على معنى هذا الحديث والجمع بينه وبين قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون في تفسير سورة النحل.

قوله تعالى: ﴿**ما أصاب من مصيبة في الأرض**﴾ يعني عدم المطر وقلة النبات ونقص الثمار، ﴿**ولا في أنفسكم**﴾ يعني الأمراض وفقد الأولاد ﴿**إلا في كتاب**﴾ يعني في اللوح المحفوظ ﴿**من قبل أن نبرأها**﴾ أي من قبل أن نخلق الأرض والأنفس وقال ابن عباس من قبل أن نبرأ المصيبة ﴿**إن ذلك على الله يسير**﴾ أي إثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل: ﴿**لكيلا تأسوا**﴾ أي تحزنوا ﴿**على ما فاتكم**﴾ من الدنيا ﴿**ولا تفرحوا**﴾ أي لا تبطروا ﴿**بما آتاكم**﴾ أي أعطاكم قال عكرمة ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبراً قال صاحب الكشاف: إن قلت ما من أحد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها أن لا يحزن ولا يفرح قلت المراد الحزن المخرج إلى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لأمر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغي الملهي عن الشكر فأما الحزن الذي لا يكاد الإنسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا بأس بهما والله أعلم وقال جعفر بن محمد الصادق يا ابن آدم ما لك تأسف على مفقود لا يرده إليك الفوت وما لك تفرح

ببعض، ﴿ **أُعِدّت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾، فبيّن أن أحداً لا يدخل الجنة إلاّ بفضل الله.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **ما أصاب من مصيبة في الأرض** ﴾، يعني قحط المطر وقلّة النبات ونقص الثمار، ﴿ **ولا في أنفسكم** ﴾، يعني الأمراض وفَقْد الأولاد. ﴿ **إلاّ في كتاب** ﴾، يعني اللوح المحفوظ، ﴿ **من قبل أن نبرأها** ﴾، من قبل أن نخلق الأرض والأنفس. قال ابن عباس: من قبل أن نبرأ المصيبة. وقال أبو العالية: يعني النسمة، ﴿ **إنّ ذلك على الله يسير** ﴾، أي إثبات ذلك على كثرته هيّن على الله عزّ وجلّ.

﴿ **لكيلا تأسَوْا** ﴾، تحزنوا، ﴿ **على ما فاتكم** ﴾، من الدنيا، ﴿ **ولا تفرحوا بما آتاكم** ﴾، قرأ أبو عمرو بقصر الألف لقوله: ﴿ **فاتكم** ﴾، فجعل الفعل له، وقرأ الآخرون ﴿ **آتاكم** ﴾ بمدّ الألف، أي: أعطاكم. قال عكرمة: ليس أحد إلاّ وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبراً. ﴿ **والله لا يحبّ كل مختال** ﴾، متكبّر بما أُوتي من الدنيا، ﴿ **فخور** ﴾، يفخر به على الناس. قال جعفر بن محمد الصادق: يا ابن آدم ما لك تأسف على مفقود لا يردّه إليك الفوت، وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يدك الموت.

﴿ **الذين يبخلون** ﴾، قيل: هو في محل الخفض على نعت المختال. وقيل: هو رفع بالابتداء وخبره فيما

بموجود لا يتركه في يديك الموت، ﴿والله لا يحب كل مختال﴾ أي متكبر بما أوتي من الدنيا ﴿فخور﴾ أي بذلك الذي أوتي على الناس ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ قيل هذه الآية متعلقة بما قبلها والمعنى والله لا يحب الذين يبخلون يريد إذا رزقوا مالاً وحظاً من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يبخلون به ولا ينفقونه في سبيل الله ووجوه الخير ولا يكفيهم أنهم بخلوا به حتى يأمروا الناس بالبخل وقيل إن الآية كلام مستأنف لا تعلق له بما قبله وإنها في صفة اليهود الذين كتموا صفة محمد ﷺ وبخلوا ببيان نعته ﴿ومن يتول﴾ قال ابن عباس عن الإيمان ﴿فإن الله هو الغني﴾ أي عن عباده ﴿الحميد﴾ أي إلى أوليائه.

قوله عز وجل: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات﴾ أي بالدلالات والآيات والحجج ﴿وأنزلنا معهم الكتاب﴾ أي المتضمن للأحكام وشرائع الدين ﴿والميزان﴾ يعني العدل أي وأمرنا بالعدل وقيل المراد بالميزان هو الآلة التي يوزن بها وهو يرجع إلى العدل أيضاً وهو قوله ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾ أي ليتعاملوا بينهم بالعدل، ﴿أنزلنا الحديد﴾ قيل إن الله تعالى أنزل مع آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط إلى الأرض السندان والمطرقة والكلبتين وروي عن ابن عمر يرفعه «إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض الحديد والنار والماء والملح» وقيل أنزلنا هنا بمعنى أنشأنا وأحدثنا الحديد وذلك أن الله تعالى أخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه وإلهامه، ﴿فيه بأس شديد﴾ أي قوة شديدة فمنه جنة وهي آلة الدفع ومنه سلاح وهي آلة الضرب ﴿ومنافع للناس﴾ أي ومنه ما ينتفعون به في مصالحهم كالسكين والفأس والإبرة ونحو ذلك، إذ الحديد آلة لكل صنعة فلا غنى لأحد عنه ﴿وليعلم الله﴾ أي وأرسلنا رسلنا وأنزلنا معهم هذه الأشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وليرى الله ﴿من ينصره﴾ أي من ينصر دينه ﴿ورسله بالغيب﴾ أي الذين لم يروا الله ولا الآخرة وإنما يحمد ويثاب من أطاع بالغيب وقال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه ﴿إن الله قوي﴾ في أمره ﴿عزيز﴾ في ملكه.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ

بعده. ﴿ ويأمرون الناس بالبخل ومَن يتولَّ ﴾، أي يُعرِض عن الإيمان ﴿ فإن الله هو الغني الحميد ﴾، قرأ أهل المدينة والشام: ﴿ فإن الله الغني ﴾، بإسقاط هو وكذلك هو في مصاحفهم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات ﴾، بالآيات والحجج، ﴿ وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ﴾، يعني العدل. وقال مقاتل بن سليمان: هو ما يوزن به أي ووضعنا الميزان كما قال: ﴿ والسماء رفعها ﴾ [الرحمن: ٧]، بأن وضع ﴿ الميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾، ليتعاملوا بينهم بالعدل، ﴿ وأنزلنا الحديد ﴾، رُوِيَ عن ابن عمر يرفعه: إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض الحديد والنار والماء والملح، وقال أهل المعاني معنى قوله: ﴿ أنزلنا الحديد ﴾، أنشأنا وأحدثنا، أي أخرج لهم الحديد من المعادن وعلّمهم صنعته بوحيه. وقال قطرب: هذا من النزل كما يقال أنزل الأمير على فلان نزلاً حسناً فمعنى الآية أنه جعل ذلك نزلاً لهم. ومثله قوله: ﴿ وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ﴾ [الزّمر: ٦]. ﴿ فيه بأس شديد ﴾، قوة شديدة يعني السلاح للحرب. قال مجاهد: فيه جنّة وسلاح يعني آلة وآلة الضرب، ﴿ ومنافع للناس ﴾، مما ينتفعون به في مصالحهم كالسكّين والفأس والإبرة ونحوها إذْ هو آلة لكل صنعة، ﴿ وليعلم الله ﴾، أي أرسلنا رسلنا وأنزلنا معهم هذه الأشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وليعلم الله وليرى الله، ﴿ مَنْ ينصره ﴾، أي دينه، ﴿ ورسله بالغيب ﴾، أي قام بنصرة الدين ولم يرَ الله ولا الآخرة وإنما يحمد ويُثاب من أطاع الله بالغيب. ﴿ إن الله قويٌّ عزيز ﴾، قوي في أمره عزيز في مُلكه.

فَسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ
ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ
رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾

﴿**ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب**﴾ معناه أنه تعالى شرف نوحاً وإبراهيم بالرسالة وجعل في ذريتهما النبوة والكتاب فلا يوجد نبي إلا من نسلهما ﴿**فمنهم**﴾ أي من الذرية ﴿**مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا**﴾ أي اتبعنا ﴿**على آثارهم رسلنا**﴾ والمعنى بعثنا رسولاً بعد رسول إلى أن انتهت الرسالة إلى عيسى ابن مريم وهو قوله تعالى: ﴿**وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه**﴾ أي على دينه، ﴿**رأفة ورحمة**﴾ يعني أنهم كانوا متوادين بعضهم لبعض، ﴿**ورهبانية ابتدعوها**﴾ ليس هذا عطفاً على ما قبله والمعنى أنهم جاؤوا بها من قبل أنفسهم وهي ترهبهم في الجبال والكهوف والغيران والديرة فروا من الفتنة وحملوا أنفسهم المشاق في العبادة الزائدة وترك النكاح واستعمال الخشن في المطعم والمشرب والملبس مع التقلل من ذلك ﴿**ما كتبناها عليهم**﴾ أي ما فرضناها نحن عليهم ﴿**إلا ابتغاء رضوان الله**﴾ أي لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ﴿**فما رعوها حق رعايتها**﴾ يعني أنهم يرعوا تلك الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها وضموا إليها التثليث والاتحاد وكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين ملوكهم وأقام أناس منهم على دين عيسى حتى أدركوا محمداً ﷺ فآمنوا به فذلك قوله تعالى: ﴿**فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم**﴾ وهم الذين ثبتوا على الدين الصحيح، ﴿**وكثير منهم فاسقون**﴾ وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى ﷺ وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن مسعود قال دخلت على رسول الله ﷺ فقال يا ابن مسعود «اختلف من كان

﴿ **ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوّة والكتاب فمنهم مُهتدٍ وكثيرٌ منهم فاسقون * ثم قفّينا على آثارهم برسلنا وقفّينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتّبعوه** ﴾، على دينه، ﴿ **رأفة** ﴾، وهي أشدّ الرقّة، ﴿ **ورحمة** ﴾، كانوا متوادّين بعضهم لبعض، كما قال الله تعالى في وصف أصحاب النبي ﷺ: ﴿ رحماء بينهم ﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿ **ورهبانية ابتدعوها** ﴾، من قبل أنفسهم وليس هذا بعطف على ما قبله وانتصابه بفعل مضمر كأنه قال: وابتدعوا رهبانية أي جاؤوا بها من قبل أنفسهم، ﴿ **ما كتبناها** ﴾، أي ما فرضناها، ﴿ **عليهم إلاّ ابتغاء رضوان الله** ﴾، يعني ولكنهم ابتغوا رضوان الله بتلك الرهبانية وتلك الرهبانية ما حمّلوا أنفسهم من المشاق في الامتناع من المطعم والمشرب والملبَس والنكاح والتعبّد في الجبال، ﴿ **فما رعوها حقّ رعايتها** ﴾، أي لم يرعو الرهبانية حقّ رعايتها بل ضيّعوها وكفروا يدين عيسى فتهوّدوا وتنصّروا ودخلوا في دين ملوكهم وتركوا الترهيب، وأقام منهم أُناس على دين عيسى عليه الصلاة والسلام حتى أدركوا محمداً ﷺ فآمنوا به، وذلك قوله تعالى: ﴿ **فآتينا الذين آمنوا منهم أجْرهم** ﴾، وهم الذين ثبتوا عليها وهم أهل الرأفة والرحمة، ﴿ **وكثير منهم فاسقون** ﴾، وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى عليه الصلاة والسلام، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنبأني عبد الله بن حامد أنا أحمد بن عبد الله المزني ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان ثنا شيبان بن فروخ ثنا الصعق بن حرب عن عقيل الجعدي عن أبي إسحاق عن سويد بن غفلة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ فقال: «يا ابن مسعود اختلف مَن كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرهنّ فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى عليه الصلاة والسلام، فأخذوهم وقتلوهم وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بأن يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم إلى دين الله ودين عيسى عليه السلام فساحوا في البلاد وترهّبوا، وهم الذين قال الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿ **ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم** ﴾ فقال

قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرهن: فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى فأخذوهم وقتلوهم، وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا أن يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم إلى دين الله ودين عيسى فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله عز وجل فيهم ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم» قال ﷺ «من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون». وعنه قال كنت رديف رسول الله ﷺ على حمار فقال لي «يا ابن أم عبد هل تدري من أين أخذت بنو إسرائيل الرهبانية؟ قلت الله ورسوله أعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصي فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات فلم يبق منم إلا القليل فقالوا إن ظهرنا لهؤلاء فتنونا ولم يبق أحد يدعو إليه تعالى فتعالوا لنتفرق في الأرض إلى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا عيسى به ـ يعنون محمداً ﷺ ـ فتفرقوا في غيران الجبال وأحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الآية ﴿ورهبانية ابتدعوها﴾ إلى ﴿فآتينا الذين آمنوا منهم﴾ أي من الذين ثبتوا عليها أجرهم ثم قال النبي ﷺ «يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية أمتي؟ قلت الله ورسوله أعلم قال الهجرة والصلاة والجهاد والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع»، وروي عن أنس عن النبي ﷺ قال «إن لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله» وعن ابن عباس قال «كانت ملوك بعد عيسى عليه الصلاة والسلام بدلوا التوراة والإنجيل وكان فيهم جماعة مؤمنون يقرؤون التوراة والإنجيل ويدعونهم إلى دين الله فقيل لملوكهم لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم أو دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون إلى ذلك دعونا نحن نكفيكم أنفسنا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطواناً ثم ارفعونا فيه ثم أعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وطائفة قالت دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا. وقالت طائفة منهم ابنوا لنا دوراً في الفيافي ونحتفر الآبار ونحترث

النبي ﷺ: «مَن آمن بي وصدّقني واتّبعني فقد رعاها حقّ رعايتها، ومَن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون». ورُوِيَ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: «يا ابن أُم عبد هل تدري من أين اتخذت بنو إسرائيل الرهبانية»: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى عليه السلام يعملون بالمعاصي فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات فلم يبقَ منهم إلا القليل، فقالوا: إن ظهرنا لهؤلاء أفنونا ولم يبقَ للدين أحدٌ يدعو إليه، فقالوا: تعالوا نتفرّق في الأرض إلى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى عليه السلام»، يعنون محمداً ﷺ، فتفرقوا في غِيْرَانِ الجبال، وأحدثوا رهبانية فمنهم مَن تمسّك بدينه ومنهم مَن كفر، ثم تلا هذه الآية: ﴿ ورهبانية ابتدعوها ﴾ الآية، ﴿ فآتينا الذين آمنوا منهم ﴾، يعني مَن ثبتوا عليها أجرهم، ثم قال النبي ﷺ: «يا ابن أُم عبد أتدري ما رهبانية أمتي»؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع»، ورُوِيَ عن أنس عن النبي ﷺ قال: «إن لكل أُمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله»، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت ملوك بني إسرائيل بعد عيسى عليه السلام بدّلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤ منون يقرؤون التوراة والإنجيل ويدعونهم إلى دين الله فقيل لملوكهم لو جمعتهم هؤلاء الذين شقّوا عليكم فقتلتموهم أو دخلوا فيما نحن فيه، فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلّا ما بدّلوا منها، فقالوا: نحن نكفيكم أنفسنا فقالت طائفة ابنوا لنا أسطوانة، ثم ارفعونا إليها ثم أعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا، ولا نرد عليكم، وقالت طائفة: دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قدرتم علينا بأرض فاقتلونا، وقالت طائفة: ابنوا لنا دوراً في الفيافي نحتفر الآبار ونحترث البقول فلا نَرِدُ عليكم ولا نمرّ بكم، ففعلوا بهم ذلك فمضى أولئك

البقول ولا نرد عليكم ولا نمر عليكم وليس أحد من القبائل إلا وله حميم فيهم قال ففعلوا ذلك فمضى أولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن غيروا الكتاب فجعل الرجل يقول نكون في مكان فلان نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دوراً كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم فذلك قول الله عز وجل: ﴿ورهبانية ابتدعوها﴾ يعني ابتدعها الصالحون فما رعوها حق رعايتها يعني الآخرين الذين جاؤوا من بعدهم ﴿فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم﴾ يعني الذين ابتدعوها ﴿ابتغاء رضوان الله وكثير منهم فاسقون﴾ وهم الذين جاؤوا من بعدهم فلما بعث النبي ﷺ ولم يبق منهم إلا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب دير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته﴾ أجرين بإيمانهم بعيسى وبالتوراة والإنجيل وبإيمانهم بمحمد ﷺ وتصديقهم له وقال ﴿ويجعل لكم نوراً تمشون به﴾ القرآن واتباعهم النبي ﷺ وقال ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ الذين يتشبهون بكم ﴿ألا يقدرون على شيء من فضل الله﴾ الآية أخرجه النسائي موقوفاً على ابن عباس وقال قوم انقطع الكلام عند قوله ورحمة ثم قال ورهبانية ابتدعوها وذلك أنهم تركوا الحق فأكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة والختان، «فما رعوها» يعني الملة والطاعة حق رعايتها كناية عن غير مذكور ﴿فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم﴾ وهم أهل الرأفة والرحمة ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ وهم الذين غيروا وبدلوا وابتدعوا الرهبانية ويكون معنى قوله: ﴿ابتغاء رضوان الله﴾ على هذا التأويل: ﴿ما كتبناها عليهم﴾ ولكن ابتغاء رضوان الله وابتغاء رضوان الله اتباع ما أمر به دون الترهب لأنه لم يأمر به.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ الخطاب لأهل الكتابين من اليهود والنصارى يعني يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في محمد وآمنوا به وهو قوله تعالى: ﴿وآمنوا برسوله﴾ يعني بمحمد ﷺ ﴿يؤتكم كفلين﴾ أي

على منهاج عيسى عليه الصلاة والسلام، وخلف قوم من بعدهم ممّن قد غيّر الكتاب، فجعل الرجل يقول نكون في مكان فلان فنتعبّد كما تعبّد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دوراً كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ ورهبانية ابتدعوها ﴾ أي ابتدعها هؤلاء الصالحون فما رعوها حقّ رعايتها، يعني الآخرين الذين جاؤوا من بعدهم، فآتينا الذين آمنوا منهم أجْرهم، يعني الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله، وكثير منهم فاسقون الذين جاؤوا من بعدهم، قال: فلما بُعث النبي ﷺ ولم يبق منهم إلاّ قليل انحطّ رجل من صومعته وجاء سيّاح من سياحته وصاحب دير من ديره وآمنوا به.

فقال الله عزّ وجلّ: ﴿ يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله ﴾، الخطاب لأهل الكتابين من اليهود والنصارى، يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في محمد ﷺ ﴿ وآمنوا برسوله ﴾، محمد ﷺ، ﴿ يؤتكم كفلين ﴾، نصيبين، ﴿ من رحمته ﴾، يعني يؤتكم أجرين لإيمانكم بعيسى عليه الصلاة والسلام، والإنجيل وبمحمد ﷺ والقرآن، وقال قوم: انقطع الكلام عند قوله: ﴿ ورحمة ﴾ ثم قال: ورهبانية ابتدعوها وذلك أنهم تركوا الحق فأكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة والختان، فما رعوها يعني الطاعة والملّة حقّ رعايتها كناية عن غير مذكور، فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم، وهم أهل الرأفة والرحمة وكثير منهم فاسقون، وهم الذين ابتدعوا

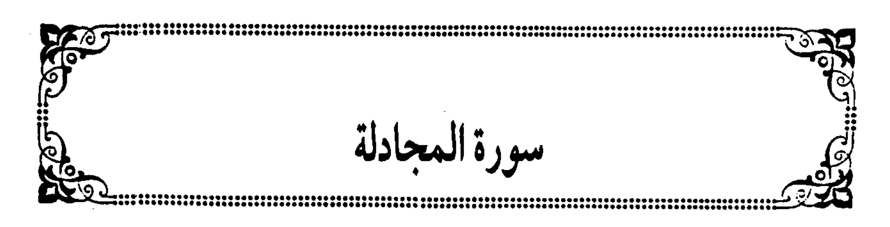
نصيبين ﴿من رحمته﴾ يعني يؤتكم أجرين لإيمانكم بعيسى والإنجيل وبمحمد ﷺ والقرآن (ق) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ والعبد المملوك الذي أدى حق مواليه وحق الله ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران»، ﴿ويجعل لكم نوراً تمشون به﴾ يعني على الصراط وقال ابن عباس: النور هو القرآن وقيل هو الهدى والبيان أي يجعل لكم سبيلاً واضحاً في الدين تهتدون به ﴿ويغفر لكم﴾ أي ما سلف من ذنوبكم قبل الإيمان بمحمد ﷺ، ﴿والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ قيل لما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله: ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين﴾، قالوا للمسلمين أما من آمن منا بكتابكم فله أجره مرتين لإيمانه بكتابكم وكتابنا ومن لم يؤمن فله أجر كأجركم فما فضلكم علينا فنزل ﴿لئلا يعلم﴾ أي ليعلم ولا صلة أهل الكتاب يعني الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وحسدوا المؤمنين ﴿ألا يقدرون﴾ يعني أنهم لا يقدرون ﴿على شيء من فضل الله﴾ والمعنى جعلنا الأجرين لمن آمن بمحمد ﷺ ليعلم الذين لم يؤمنوا به أنهم لا أجر لهم ولا نصيب من فضل الله وقيل لما نزل في مسلمي أهل الكتاب ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين﴾ افتخروا على المسلمين بزيادة الأجر فشق ذلك على المسلمين فنزل لئلا يعلم أهل الكتاب يعني المؤمنين منهم أن لا يقدرون على شيء من فضل الله، ﴿وأن الفضل بيد الله﴾ يعني الذي خصكم به فإنه فضلكم على جميع الخلائق وقيل يحتمل أن يكون الأجر الواحد أكثر من الأجرين وقيل قالت اليهود يوشك أن يخرج منا نبي يقطع الأيدي والأرجل فلما خرج من العرب كفروا به فأنزل هذه الآية فعلى هذا يكون فضل الله النبوة ﴿يؤتيه من يشاء﴾ يعني محمداً ﷺ وهو قوله ﴿وأن الفضل بيد الله﴾ أي في ملكه وتصرفه يؤتيه من يشاء لأنه قادر مختار، ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ (خ) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ وهو قائم على المنبر يقول «إنما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قراطين قيراطين فقال

الرهبانية، وإليه ذهب مجاهد، معنى قوله: ﴿ إلّا ابتغاء رضوان الله ﴾ على هذا التأويل ما أمرناهم وما كتبناها عليهم إلّا ابتغاء رضوان الله، وما أمرنا لهم بالترهّب. قوله عزّ وجلّ: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ أي يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله وآمنوا برسوله محمد ﷺ يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته. وروينا عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاثة يُؤتَون أجرَهم مرتين: رجل كانت له جارية فأدّبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوّجها، ورجل من أهل الكتاب آمن بكتابه وآمن بمحمد ﷺ، وعبد أحسن عبادة الله ونصح سيده» ﴿ ويجعل لكم نوراً تمشون به ﴾، قال ابن عباس ومقاتل: يعني على الصراط، كما قال: ﴿ نورهم يسعى بين أيديهم ﴾ [التحريم: ٨]، ويُروَى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النور هو القرآن. وقال مجاهد: هو الهدى والبيان، أي يجعل لكم سبيلاً واضحاً في الدين تهتدون به، ﴿ ويغفر لكم والله غفور رحيم ﴾، وقيل: لمّا سمع مَن لم يؤمن من أهل الكتاب قوله عزّ وجلّ: ﴿ أولئك يُؤتَون أجرهم مرتين ﴾ [القصص: ٥٤] قالوا للمسلمين: أما مَن آمن منّا بكتابكم فله أجره مرتين لإيمانه بكتابكم وبكتابنا وأمّا مَن لم يؤمن منّا فله أجْر كأجوركم فما فضّلكم علينا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ﴾، فيجعل لهم الأجرين إذا آمنوا برسوله محمد ﷺ وزادهم النور والمغفرة.

ثم قال: ﴿ لئلا يعلم أهل الكتاب ﴾، قال قتادة: حسد الذين لم يؤمنوا من أهل الكتاب المؤمنين منهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ لئلا يعلم أهل الكتاب ﴾ قال مجاهد: قالت اليهود يوشك أن يخرج منّا نبي يقطع الأيدي

أهل الكتابين أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين وأعطيتنا قيراطاً قيراطاً ونحن أكثر عملاً قال الله تعالى هل ظلمتكم من أجركم شيئاً قالوا لا قال فهو فضلي أوتيه من أشاء» وفي رواية «إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً فقال من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قراطين ألا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر إلى غروب الشمس ألا لكم الأجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملاً وأقل عطاء قال الله عز وجل وهل ظلمتكم من حقكم شيئاً قالوا لا قال فإنه فضلي أصيب به من شئت» أي أعطيه من شئت (خ) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوماً يعملون له إلى الليل على أجر معلوم فعملوا إلى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا اعملوا بقية يومكم وخذوا أجركم كاملاً فأبوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقال اعملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الأجر فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا ما عملنا باطل ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه فقال أكملوا بقية عملكم فإن ما بقي من النهار شيء يسير فأبوا فاستأجر قوماً أن يعملوا بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور» والله سبحانه وتعالى أعلم.

والأرجل، فلما خرج من العرب كفروا به، فأنزل الله تعالى: ﴿ **لئلا يعلم أهل الكتاب** ﴾ أي ليعلم و(لا) صلة، ﴿ **ألا يقدرون على شيء من فضل الله** ﴾، أي ليعلم الذين لم يؤمنوا أنهم لا أجر لهم ولا نصيب لهم في فضل الله، ﴿ **وأن الفضل بيد الله يؤتيه مَن يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا الليث عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: «إنما أجلكم في أجل مَن خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمّالاً فقال مَن يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط، فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط، ثم قال مَن يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط، فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط، ثم قال مَن يعمل لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين، ألا فأنتم الذين تعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس ألَا لكم الأجْر مرتين، فغضبت اليهود والنصارى وقالوا: نحن أكثر عملاً وأقلّ عطاءً؟ قال الله تعالى: «**هل ظلمتكم من حقكم شيئاً**»؟ قالوا: لا، قال: «فإنه فضلي أُعطيه مَن شئت». أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل حدّثني محمد بن العلماء ثنا أبو أُسامة عن يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوماً يعملون له عملاً إلى الليل على أجْر معلوم فعملوا إلى نصف النهار، فقالوا لا حاجة لنا إلى أجْرك الذي شرطت لنا وما عملناه باطل، فقال لهم: لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملاً، فأبوا وتركوا واستأجر قوماً آخرين بعدهم، فقال أكملوا بقية يومكم هذا ولكم الذي شرطت لهم من الأجْر فعملوا حتى إذا كان حين الصلاة العصر قالوا ما عملنا باطل ولك الأجْر الذي جعلت لنا فيه، فقال أكملوا بقية عملكم فإنما بقي من النهار شيء يسير، فأبوا فاستأجر قوماً أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس، فاستكملوا أجْر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور».



مدنية وهي اثنان وعشرون آية وأربعمائة وثلاث وسبعون كلمة وألف وسبعمائة واثنان وتسعون حرفاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾

قوله عز وجل: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ «نزلت في خولة بنت ثعلبة وقيل اسمها جميلة وزوجها أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت وكان به لمم وكانت هي حسنة الجسم فأرادها فأبت عليه فقال لها أنت عليّ كظهر أمي ثم ندم على ما قال وكان الظهار والإيلاء من طلاق أهل الجاهلية فقال ما أظنك إلا قد حرمت عليّ فقالت والله ما ذاك طلاق فأتت رسول الله ﷺ وعائشة تغسل شق رأسه فقالت يا رسول الله إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غنية ذات أهل ومال حتى إذا أكل مالي وأفنى شبابي وتفرق أهلي وكبر سني ظاهر مني وقد ندم فهل من شيء يجمعني وإياه وتنعشني به فقال رسول الله ﷺ حرمت عليه فقالت يا رسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق وإنه أبو ولدي وأحب الناس إليّ فقال رسول الله ﷺ حرمت عليه فقالت أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي قد طالت له صحبتي ونثرت له بطني فقال رسول الله ﷺ ما أراك إلا قد حرمت عليه ولم أومر في شأنك بشيء فجعلت

سُوْرَة المُجَادلَة

مدنيّة وهي اثنتان وعشرون آية.

﴿ قدْ سمعَ الله قول التي تجادلك في زوجها ﴾، الآية نزلت في خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس بن الصامت وكانت حسنة الجسم وكان به لمم فأرادها فأبت فقال لها أنت عليّ كظهر أمي، ثم ندم على ما قال وكان الظهار والإيلاء من طلاق أهل الجاهلية، فقال لها: ما أظنك إلّا قد حرمت عليّ فقالت: والله ما ذاك طلاق وأتت رسول الله ﷺ وعائشة رضي الله عنها تغسل شقّ رأسه، فقالت: يا رسول الله إن زوجي أوس بن الصامت تزوّجني وأنا شابّة غنية ذات مال وأهل حتى إذا أكل مالي وأفنى شبابي وتفرّق أهلي وكبر سنّي ظاهر منّي، وقد ندم فهل من شيء يجمعني وإيّاه تنعشني به؟ فقال رسول الله ﷺ: «حُرمتِ عليه»، فقالت: يا رسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقاً وإنه أبو ولديّ وأحبّ الناس إليّ، فقال رسول الله ﷺ: «حُرمتِ عليه»، فقالت أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي قد طالت صحبتي ونفضت له بطني، فقال رسول الله ﷺ: «ما أراك إلّا قد حُرمتِ عليه ولم أؤمر في شأنك بشيء»، فجعلت تراجع رسول الله ﷺ، وإذا قال لها رسول الله ﷺ: «حُرّمتِ عليه» هتفت، وقالت أشكو إلى الله فاقتي وشدّة حالي وإن لي صبيةً صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إليّ جاعوا، وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول: اللّهمّ إني أشكو إليك، اللّهمّ فأنزل على لسان نبيّك فرجي، وكان هذا أول ظهار في الإسلام،

تراجع رسول الله ﷺ وكلما قال لها رسول الله ﷺ حرمت عليه هتفت وقالت أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي وشدة حالي وإن لي صبية صغاراً إن ضممتهم إليّ جاعوا وإن ضممتهم إليه ضاعوا وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول اللهم أشكو إليك اللهم فأنزل على لسان نبيك فرجي وهذا كان أول ظهار في الإسلام، فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت انظر في أمري جعلني الله فداءك يا نبي الله فقالت عائشة أقصري حديثك ومجادلتك أما ترين وجه رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات فلما قضي الوحي قال ادعي لي زوجك فتلا عليه رسول الله ﷺ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الآية (ق) عن عائشة قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة خولة إلى رسول الله ﷺ وكلمته في جانب البيت وما أسمع ما تقول فأنزل الله ﴿**سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله**﴾ الآية وأما تفسير الآية فقوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك أي تحاورك وتخاصمك وتراجعك في زوجها أي في أمر زوجها ﴿**وتشتكي إلى الله**﴾ أي شدة حالها وفاقتها ووحدتها، ﴿**والله يسمع تحاوركما**﴾ أي مراجعتكما الكلام ﴿**إن الله سميع**﴾ أي لمن يناجيه ويتضرع إليه ﴿**بصير**﴾ أي بمن يشكو إليه ثم ذم الظهار فقال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢﴾

﴿**الذين يظاهرون منكم من نسائهم**﴾ يعني يقولون لهن أنتن كظهور أمهاتنا ﴿**ما هن أمهاتهم**﴾ أي ما اللواتي يجعلونهن من زوجاتهن كالأمهات بأمهات والمعنى ليس هن بأمهاتهم ﴿**إن أمهاتهم**﴾ أي ما أمهاتهم ﴿**إلا اللائي ولدنهم وإنهم**﴾ يعني المظاهرين ﴿**ليقولون منكراً من القول**﴾ يعني لا يعرف في الشرع ﴿**وزوراً**﴾ يعني كذباً وقيل إنما وصفه بكونه منكراً من القول وزوراً لأن الأم محرمة تحريماً مؤبداً والزوجة لاتحرم عليه بهذا القول تحريماً مؤبداً فلا جرم صار ذلك منكراً من القول وزوراً ﴿**وإن الله لعفو غفور**﴾ عفا الله عنهم وغفر لهم بإيجاب الكفارة عليهم.

(فصل في أحكام الظهار: وفيه مسائل)

المسألة الأولى: في معناه لغة قيل إن مشتق من الظهر وهو العلو وليس هو من ظهر الإنسان إذ ليس الظهر بأولى من سائر الأعضاء التي هي مواضع التلذذ والمباضعة فثبت بهذا أنه مأخوذ من الظهر الذي هو العلو لأن امرأة الرجل مركب له وظهر يدل عليه قول العرب في الطلاق نزلت عن امرأتي أي طلقتها وفي قولهم أنت علي كظهر أمي حذف

فقامت عائشة تغسل شقّ رأسه الآخر، فقالت: انظر في أمري جعلني الله فداءك يا نبيّ الله، فقالت عائشة: أقصري حديثك ومجادلتك أما ترين وجه رسول الله ﷺ؟ وكان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه أخذه مثل السبات، فلما قضى الوحي قال لها: ادعي زوجك فدعته، فتلا عليه رسول الله ﷺ: ﴿ **قد سمع الله قول التي تجادلك** ﴾، الآيات، قالت عائشة: تبارك الذي وَسِعَ سمعه الأصوات كلها إن المرأة لتحاور رسول الله ﷺ وأنا في ناحية البيت أسمع بعض كلامها ويخفى عليّ بعضه إذْ أنزل الله ﴿ **قد سمع الله** ﴾ الآيات، ومعنى قوله: ﴿ **قول التي تجادلك** ﴾ وتخاصمك وتحاورك وتراجعك في زوجها، ﴿ **وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما** ﴾، مراجعتكما الكلام، ﴿ **إن الله سميع بصير** ﴾، سميع لما تناجيه وتتضرّع إليه بصير بمَن يشكو إليه، ثم ذمّ الظهار.

فقال: ﴿ **الذين يظاهرون منكم من نسائهم** ﴾، قرأ عاصم ﴿ **يظاهرون** ﴾ فيها بضم الياء وتخفيف الظاء وألف بعدها وكسر الهاء، وقرأ ابن عامر وأبو جعفر وحمزة والكسائي بفتح الياء والهاء، وتشديد الظاء وألف بعدها، وقرأ الآخرون بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء من غير ألف. ﴿ **ما هنّ أمّهاتهم** ﴾، أي ما اللواتي يجعلونهنّ من

وإضمار لأن تأويله ظهرك علي أي ملكي إياك وعلوي عليك حرام كعلوي أمي وعلوه عليها حرام.

المسألة الثانية: كان الظهار من أشد طلاق أهل الجاهلية لأنه في التحريم آكد ما يمكن فإن كان ذلك الحكم صار مقرراً بالشرع كانت الآية ناسخة له وإلا لم يعد نسخاً لأن النسخ إنما يدخل في الشرائع لا في أحكام الجاهلية وعادتهم.

المسألة الثالثة: في الألفاظ المستعملة لهذا المعنى في الشريعة وعرف الفقهاء الأصل في هذا قوله أنت عليّ كظهر أمي وأنت مني أو معي أو عندي كظهر أمي وكذا لو قال أنت عليّ كبطن أمي أو كرأس أمي أو كيد أمي أو قال بطنك أو رأسك أو يدك عليّ كظهر أمي أو شبه عضواً منها بعضو من أعضاء أمه يكون ذلك ظهاراً وقال أبو حنيفة إن شبهها ببطن أمه أو بفرجها أو بفخذها يكون ظهاراً وإن بشبهها بعضو غير هذه الأعضاء لا يكون ظهاراً ولو قال أنت عليّ كأمي أو كروح أمي وأراد به الإعزاز والإكرام لا يكون ظهاراً حتى ينويه ويريده ولو شبهها بجدته فقال أنت عليّ كظهر جدتي يكون ظهاراً وكذلك لو شبهها بامرأة محرمة عليه بالقرابة بأن قال أنت علي كظهر أختي أو عمتي أو خالتي أو شبهها بامرأة محرمة عليه بالرضاع يكون ظهاراً على الأصح.

المسألة الرابعة: فيمن يصح ظهاره قال الشافعي الضابط في هذا أن كل من صح طلاقه صح ظهاره فعلى هذا يصح ظهار الذمي وقال أبو حنيفة لا يصح احتج الشافعي بعموم قوله ﴿**والذين يظاهرون من نسائهم**﴾ واحتج أبو حنيفة بأن هذا خطاب للمؤمنين فيدل على أن الظهار مخصوص بالمؤمنين وأجيب عنه بأن هذا خطاب يتناول جميع الحاضرين فلم قلتم إنه مختص بالمؤمنين.

وَالَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾

قوله تعالى: ﴿**والذين يظاهرون من نسائهم**﴾ يعني يمتنعون بهذا اللفظ من جماعهن ﴿**ثم يعودون لما قالوا**﴾ اختلف العلماء في معنى العود في قوله «ثم يعودون لما قالوا» ولا بد أولاً من بيان أقوال أهل العربية ثم بيان أقوال الفقهاء فنقول قال الفراء لا فرق في اللغة بين أن يقال يعودون لما قالوا وفيما قالوا وقال أبو علي الفارسي كلمة إلى

زوجاتهم كالأمهات بأُمهات وخفض التاء في أُمهاتهم على خبر ﴿ ما ﴾ ومحله نصب كقوله: ﴿ ما هذا بشراً ﴾ [يوسف: ٣١] المعنى ليس هنّ بأُمهاتهم، ﴿ **إن أُمهاتهم** ﴾ أي ما أُمهاتهم، ﴿ **إلاّ اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكراً من القول** ﴾، لا يعرف في شرع ﴿ **وزوراً** ﴾، كذباً، ﴿ **وإن الله لعفوٌ غفور** ﴾، عفا عنهم وغفر لهم بإيجاب الكفّارة عليهم، وصورة الظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت عليّ كظهر أُمي، أو أنت منّي أو معي أو عندي كظهر أُمي، وكذلك لو قال: أنت عليّ كبطن أُمي أو كرأس أُمي أو كبد أُمي أو قال بطنك أو رأسك أو يدك عليّ كظهر أُمي أو شبّه عضواً منها بعضو آخر من أعضاء أُمّه فيكون ظهاراً. وعند أبي حنيفة رضي الله عنه إن شبّهها ببطن الأم أو فرجها أو فخذها يكون ظهاراً وإن شبّهها بعضو آخر لا يكون ظهاراً. ولو قال أنت عليّ كأُمي أو كروح أُمي وأراد به الإعزاز والكرامة فلا يكون ظهاراً حتى يريده، ولو شبّهها بجدّته فقال أنت عليّ كظهر جدّتي يكون ظهاراً وكذلك لو شبّهها بامرأة محرّمة عليه بالقرابة بأن قال أنت عليّ كظهر أُختي أو عمّتي أو خالتي أو شبّهها بامرأة محرّمة عليه بالرضاع يكون ظهاراً على الأصح من الأقاويل.

﴿ **والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة** ﴾، ثم حكم الظهار أنه يحرم على الزوج

اللام تتعاقبان كقوله ﴿وأوحى إلى نوح ـ وبأن ربك أوحى لها﴾ وأما لفظة «ما» في قوله لما فهي بمعنى الذي والمعنى يعودون إلى الذي قالوا وفي الذي قالوا. وفيه وجهان:

أحدهما: إنه لفظ الظهار والمعنى أنهم يعودون إلى ذلك اللفظ.

الوجه الثاني: أن المراد لما قالوا أي القول فيه وهو الذي حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلاً للقول منزلة المقول فيه وعلى هذا المعنى قوله ثم يعودون لما قالوا أي يعودون إلى شيء وذلك الشيء هو الذي قالوا فيه ذلك القول ثم إذا فسر هذا اللفظ بالوجه الأول يجوز أن يكون المعنى عاد لما فعل أي فعله مرة أخرى وعلى الوجه الثاني يجوز أن يقال عاد لما فعل أي نقض ما فعل وذلك أن من فعل شيئاً ثم أراد أن يفعله ثانياً فقد عاد إليه وكذا من فعل شيئاً ثم أراد إبطاله فقد عاد إليه بالتصرف فيه فقد ظهر بما تقدم أن قوله ثم يعودون لما قالوا يحتمل أن يكون المراد ثم يعودون إليه بأن يفعلوا مثله مرة أخرى ويحتمل أن يكون المراد ثم يعودون إليه بالنقض والرفع والإزالة وإلى هذا الاحتمال ذهب أكثر المجتهدين ثم اختلفوا فيه على وجوه:

الأول: وهو قول الشافعي إن معنى العود لما قالوا هو السكوت عن الطلاق بعد الظهار زماناً يمكنه أن يطلقها فيه وذلك لأنه لما ظاهر فقد قصد التحريم فإن وصله بالطلاق فقد تمم ما شرع فيه من إيقاع التحريم ولا كفارة عليه فإذا سكت عن الطلاق فذلك يدل على أنه ندم على ما ابتدأ به من التحريم فحينئذ تجب عليه الكفارة وفسر ابن عباس العود بالندم فقال يندمون فيرجعون إلى الألفة.

الوجه الثاني: في تفسير العود وهو قول أبي حنيفة إنه عبارة عن استباحة الوطء والملامسة والنظر إليها بالشهوة وذلك أنه لما شبهها بالأم في حرمة هذه الأشياء ثم قصد استباحة ذلك كان مناقضاً لقوله أنت علي كظهر أمي.

الوجه الثالث: وهو قول مالك إن العود إليها عبارة عن العزم على وطئها وهو قريب من قول أبي حنيفة.

الوجه الرابع: وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهري إن العود إليها عبارة عن جماعها وقالوا لا كفارة عليه

وطؤها بعد الظهار ما لم يكفّر، والكفّارة تجب بالعود بعد الظهار. لقوله تعالى: ﴿ **ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة** ﴾، واختلف أهل العلم في العود فقال أهل الظاهر: هو إعادة لفظ الظهار، وهو قول أبو العالية، وقال: ثم يعودون لما قالوا أي إلى ما قالوا أي إعادة مرة أخرى فإن لم يكرّر اللفظ فلا كفّارة عليه، وذهب قوم إلى أن الكفّارة تجب بنفس الظهار والمراد من العود هو العود إلى ما كانوا عليه في الجاهلية من نفس الظهار، وهو قول مجاهد والثوري. وقال قوم: المراد من العود الوطء، وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهري، وقالوا لا كفّارة عليه ما لم يطأها، وقال قوم هو العزم على الوطء، وهو قول مالك وأصحاب الرأي، وذهب الشافعي إلى أن العود هو أن يمسكها عقيب الظهار زماناً يمكنه أن يفارقها، فلم يفعل فإن طلّقها عقيب الظهار في الحال أو مات أحدهما في الوقت فلا كفّارة عليه لأن العود للقول هو المخالفة، وفسّر ابن عباس العود بالندم، فقال: يندمون فيرجعون إلى الألفة ومعناه هذا، قال الفرّاء: يقال عاد فلان لما قال أي فيما قال وفي نقض ما قال يعني رجع عمّا قال، وهذا يبيّن ما قال الشافعي وذلك أنّ قصده بالظهار التحريم فإذا أمسكها على النكاح فقد خالف قوله ورجع عمّا قاله فتلزمه الكفّارة حتى قال لو ظاهر عن امرأته الرجعية ينعقد ظهاره ولا كفّارة عليه حتى يراجعها فإن راجعها صار عائداً ولزمته الكفّارة قوله: ﴿ **فتحرير رقبة من قبل أن يتماسّا** ﴾ والمراد بالتّماس المجامعة فلا يحلّ للمظاهر وطء امرأته التي ظاهر عنها ما لم يكفر سواء أراد التكفير بالإعتاق أو بالصيام أو بالإطعام، وعند مالك: إن أراد التكفير بالإطعام يجوز له الوطء قبله لأن الله تعالى قيّد العتق والصوم بما قبل المسيس وقال في الإطعام: ﴿ فمَن لم يستطع فإطعام ستّين

ما لم يطأها قال العلماء والعود المذكور هنا هب أنه صالح للجماع أو للعزم عليه أو لاستباحته إلا أن الذي قاله الشافعي هو أقل ما ينطلق عليه الاسم فيجب تعليق الحكم عليه لأنه هو الذي به يتحقق مسمى العود وأما الباقي فزيادة لا دليل عليه وأما الاحتمال الأول في قوله ثم يعودون أي يفعلون مثل ما فعلوه فعلى هذا الاحتمال في الآية وجوه أيضاً الأول قال مجاهد والثوري العود هو الإتيان بالظهار في الإسلام وتجب الكفارة به والمراد من العود هو العود إلى ما كانوا عليه في الجاهلية ذلك أن أهل الجاهلية كانوا يطلقون بالظهار فجعل الله حكم الظهار في الإسلام على خلاف حكمه عندهم فمعنى ثم يعودون لما قالوا أي في الإسلام فيقولون في الإسلام مثل ما كانوا يقولون في الجاهلية فكفارته كذا وكذا على الوجه الثاني قال أبو العالية إذا كرر لفظ الظهار فقد عاد وإلا لم يكن عود وهذا قول أهل الظاهر واحتجوا عليه بأن ظاهر قوله ثم يعودون لما قالوا يدل على إعادة ما فعلوه وهذا لا يكون إلا بالتكرير وإن لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه.

وقوله تعالى: ﴿**فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا**﴾ المراد بالتماس المجامعة فلا يحل للمظاهر وطء امرأته التي ظاهر منها ما لم يكفر، ﴿**ذلكم توعظون به**﴾ يعني أن غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار ولا تعاودوه ﴿**والله بما تعملون**﴾ أي من التكفير وتركه ﴿**خبير**﴾ ثم ذكر حكم العاجز عن الرقبة فقال تعالى:

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾

﴿**فمن لم يجد**﴾ أي الرقبة ﴿**فصيام شهرين**﴾ أي فكفارته وقيل فعليه صيام شهرين ﴿**متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع**﴾ أي الصيام (فـ) كفارته ﴿**إطعام ستين مسكيناً ذلك**﴾ أي الفرض الذي وصفناه، ﴿**لتؤمنوا بالله ورسوله**﴾ أي لتصدقوا الله فيما أمر به وتصدقوا الرسول ﷺ فيما أخبر به عن الله تعالى: ﴿**وتلك حدود الله**﴾ يعني ما وصف من الكفارة في الظهار ﴿**وللكافرين**﴾ أي لمن جحد هذا وكذب به ﴿**عذاب أليم**﴾ أي في نار جهنم يوم القيامة.

مسكيناً ﴾ [المجادلة: ٤] ولم يقل من قبل أن يتماسّا، وعند الآخرين الإطلاق في الطعام محمول على المقيد في العتق والصيام، واختلفوا في تحريم ما سوى الوطء من المباشرات قبل التكفير كالقبلة والتلذّذ فذهب أكثرهم إلى أنه لا يحرم سوء الوطء وهو قول الحسن وسفيان الثّوري وأظهر قول الشافعي، كما أن الحيض يحرم الوطء دون سائر الاستمتاعات وذهب بعضهم إلى أنه يحرم لأن اسم التماس يتناول الكل ولو جامع المظاهر قبل التكفير يعصى الله تعالى، والكفّارة في ذمّته ولا يجوز أن يعود ما لم يكفّر ولا يجب بالجماع كفّارة أخرى، وقال بعض أهل العلم: إذا واقعها قبل التكفير عليه كفّارتان وكفّارة الظهار مرتّبة عليه يجب عليه عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يجد فعليه صيام شهرين متتابعين، فإن أفطر يوماً متعمّداً أو نسي النيّة يجب عليه استئناف الشهرين، فإن عجز عن الصوم يجب عليه أن يطعم ستّين مسكيناً، وقد ذكرنا في سورة المائدة مقدار ما يطعم كل مسكين، ﴿ **ذلكم توعظون به** ﴾، تؤمرون به، ﴿ **والله بما تعملون خبير** ﴾.

﴿ **فَمَن لم يجد** ﴾، يعني الرقبة، ﴿ **فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسّا** ﴾، فإن كانت له رقبة إلاّ أنه محتاج إلى خدمته أو له ثمن رقبة لكنه محتاج إليه لنفقته ونفقة عياله فله أن ينتقل إلى الصوم. وقال مالك والأوزاعي: يلزمه الإعتاق إذا كان واجداً للرقبة أو ثمنها وإن كان محتاجاً إليه. وقال أبو حنيفة: إن كان واجد العين الرقبة يجب عليه إعتاقها، وإن كان محتاجاً إليها فأما إذا كان واجداً لثمن الرقبة وهو محتاج إليه فله أن يصوم فلو شرع المظاهر في صوم شهرين ثم جامع في خلال الشهر بالليل يعصي الله تعالى بتقديم الجماع على الكفّارة، ولكن لا

(فصل: في أحكام الكفارة، وما يتعلق بالظهار)

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: اختلفوا فيما يحرمه الظهار فللشافعي قولان: أحدهما أنه يحرم الجماع فقط. والقول الثاني وهو الأظهر أنه يحرم جميع جهات الاستمتاع وهو قول أبي حنيفة.

المسألة الثانية: اختلفوا فيمن ظاهر مراراً فقال الشافعي وأبو حنيفة لكل ظهار كفارة إلا أن يكون في مجلس واحد وأراد التكرار للتأكيد فإن عليه كفارة واحدة وقال مالك من ظاهر من امرأته في مجالس متفرقة فليس عليه إلا كفارة واحدة.

المسألة الثالثة: الآية تدل على إيجاب الكفارة قبل المماسّة سواء أراد التكفير بالإعتاق أو بالصيام أو بالإطعام وعند مالك إن أراد التكفير بالإطعام يجوز له الوطء قبله لأن الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس ولم يقل في الإطعام «من قبل أن يتماسا» فدل على ذلك. وعند الآخرين الإطلاق في الطعام محمول على المقيد في العتق والصيام فإن جامع قبل أن يكفر لم يجب عليه إلا كفارة واحدة وهو قول أكثر أهل العلم كمالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وسفيان وقال بعضهم وإن واقعها قبل أن يكفر فعليه كفارتان وهو قول عبد الرحمن بن مهدي.

المسألة الرابعة: كفارة الظهار مرتبة فيجب عليه عتق رقبة مؤمنة وقال أبو حنيفة هذه الرقبة تجزي سواء كانت مؤمنة أو كافرة لقوله تعالى: ﴿**فتحرير رقبة**﴾ فهذا اللفظ يفيد العموم في جميع الرقاب.

دليلنا أنا أجمعنا على أن الرقبة في كفارة القتل مقيدة بالايمان فكذا هنا وحمل المطلق على المقيد أولى.

المسألة الخامسة: الصوم فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فإن أفطر يوماً متعمداً أو نسي النية يجب عليه استئناف الشهرين ولو شرع في الصوم ثم جامع في خلال الشهرين بالليل عصى الله تعالى بتقديم الجماع على الكفارة لكن لا يجب عليه استئناف الشهرين وعند أبي حنيفة يجب عليه استئناف الشهرين.

المسألة السادسة: إن عجز عن الصوم لمرض أو كبر أو فرط شهوة بحيث لا يصبر عن الجماع يجب عليه إطعام ستين مسكيناً كل مسكين مد من الطعام الذي يقتات به أهل البلد من حنطة أو شعير أو أرز أو ذرة أو تمر أو نحو ذلك

يجب عليه استئناف الشهرين، وعند أبي حنيفة يجب عليه استئناف الشهرين. قوله عزّ وجلّ: ﴿ **فمَن لم يستطع فإطعام ستّين مسكيناً** ﴾، يعني المظاهر إذا لم يستطع الصوم لمرض أو كبر أو فرط شهوة لا يصبر عن الجماع يجب عليه إطعام ستّين مسكيناً. أخبرنا أبو عبد الله بن محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري ثنا أحمد بن علي الكشمهيني ثنا علي بن حجر ثنا إسماعيل بن جعفر عن محمد بن أبي حرملة عن عطاء بن يسار أن خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس بن الصامت، فظاهر منها وكان به لمم، فجاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن أوساً ظاهر منّي وذكرت أن بـه لمماً فقالت: والذي بعثك بالحق ما جئتك إلّا رحمة له إنّ له فيّ منافع، فأنزل القرآن فيهما فقال رسول الله ﷺ: «مُريه فليعتق رقبة»، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عنده رقبة ولا ثمنها، قال: «مريه فليصم شهرين متتابعين»، فقالت: والذي بعثك بالحق لو كلّفته ثلاثة أيام ما استطاع، قال: «مريه فليطعم ستّين مسكيناً، قالت: والذي بعثك بالحق ما يقدر عليه، قال: «مريه فليـذهب إلى فلان ابن فـلان فقد أخبـرني أن عنده شـطر تمر صـدقة فليـأخذه صـدقة عليـه ثم ليتصـدق بـه على ستّين مسكيناً». وروى سليمان بن يسار عن سلمة بن صخر قال: كنت امرأً أُصيب من النساء ما لم يصب غيري فلما دخل

وقال أبو حنيفة يعطي لكل مسكين نصف صاع من بر أو دقيق أو سويق أو صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير ولو أطعم مسكيناً واحداً ستين جزءاً لا يجزيه عند الشافعي وقال أبو حنيفة يجزيه.

حجة الشافعي ظاهر الآية وهو أن الله تعالى أوجب إطعام ستين مسكيناً فوجب رعاية ظاهر الآية وحجة أبي حنيفة أن المقصود دفع الحاجة وهو حاصل.

وأجيب عنه بأن إدخال السرور على قلب ستين مسكيناً أولى من إدخال السرور على قلب مسكين واحد.

المسألة السابعة: إذا كانت له رقبة إلا أنه محتاج إلى الخدمة أو له ثمن الرقبة لكنه محتاج إليه لنفقته ونفقة عياله فله أن ينتقل إلى الصوم وقال مالك والأوزاعي يلزمه الإعتاق إذا كان واجداً للرقبة أو ثمنها وإن كان محتاجاً إليه وقال أبو حنيفة إن كان واجداً لعين الرقبة يجب عليه إعتاقها وإن كان محتاجاً إليه، وإن كان واجداً لثمن الرقبة لكنه محتاج إليه فله أن يصوم.

المسألة الثامنة: قال أصحاب الشافعي الشبق المفرط والغلمة الهائجة عذر في الانتقال من الصيام إلى الإطعام والدليل عليه ما روي عن سلمة بن صخر البياضي قال «كنت امرأ أصيب من النساء ما لا يصيب غيري فلما دخل شهر رمضان خفت أن أصيب من امرأتي شيئاً تتابع بي حتى أصبحت فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان فبينما هي تخدمني ذات ليلة إذ انكشف لي منها شيء فما لبثت أن نزوت عليها فلما أصبحت خرجت إلى قومي فأخبرتهم الخبر قال فقلت امشوا معي إلى رسول الله ﷺ قالوا لا والله فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال أنت بذاك يا سلمة قلت أنا بذاك يا رسول الله مرتين وأنا صابر لأمر الله فاحكم بما أمرك الله به. قال حرر رقبة قلت والذي بعثك بالحق نبياً ما أملك رقبة غيرها وضربت صفحة رقبتي قال فصم شهرين متتابعين قال وهل أصبت الذي أصبت إلا من الصيام قال فأطعم وسقاً من تمر ستين مسكيناً قلت والذي بعثك بالحق نبياً لقد بتنا وحشين لا نملك لنا طعاماً قال فانطلق إلى صاحب صدقة بني زريق فليدفعها إليك فأطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر وكُل أنت وعيالك بقيتها فرجعت إلى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ووجدت عند النبي ﷺ السعة وحسن الرأي وقد أمر لي بصدقتكم وبنو بياضة بطن من بني زريق» أخرجه أبو داود.

قوله نزوت عليها أي وثبت عليها وأراد به الجماع وقوله تتابع به التتابع الوقوع في الشر واللجاج فيه والوسق ستون صاعاً، وقوله وحشين يقال رجل وحش إذا لم يكن له طعام وأوحش الرجل إذا جاع.

وعن خولة بنت مالك بن ثعلبة قالت «ظاهر مني زوجي أوس بن الصامت فجئت رسول الله ﷺ أشكو إليه ورسول الله ﷺ يجادلني فيه ويقول اتقي الله فإنه ابن عمك فما برحت حتى نزل القرآن قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها إلى الفرض قال يعتق رقبة قلت لا يجد قال فليصم شهرين متتابعين قلت يا رسول الله إنه شيخ كبير ما به من صيام قال فليطعم ستين مسكيناً قلت ما عنده شيء يتصدق به قال فإني سأعينه بعرق من تمر قلت يا رسول الله وأنا أعينه

شهر رمضان خفت أن أُصيب من امرأتي شيئاً فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان فبينما هي تحدّثني ذات ليلة إذ تكشّف لي منها شيء فلم ألبث أن وقعت عليها، فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقالت: أنتَ بذاك، فقلت: أنا بذاك قاله ثلاثاً، قلت أنا بذاك وها أنا ذَا فامضِ في حكم الله فإني صابر لذلك، قال: «فاعتق رقبة» فضربتُ صفحة عنقي بيدي فقلت: لا والذي بعثك بالحق ما أملك غيرها، قال: «فصم شهرين متتابعين»، فقلت: يا رسول الله وهل أصابني ما أصابني إلا من الصيام؟ قال «فأطعم ستّين مسكيناً»، قلت: والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وحشياً ما لنا عشياً، قال: «اذهب إلى صاحب صدقة بني زريق فقل له فليدفعها إليك فأطعم عنك منها وسقاً

بعرق آخر قال قد أحسنت اذهبي فأطعمي بهما عنه ستين مسكيناً ارجعي إلى ابن عمك» أخرجه أبو داود وفي رواية «قلت إن أوساً ظاهر مني وذكرت أن به لمماً وقالت والذي بعثك بالحق ما جئتك إلا رحمة له إن له في منافع وذكرت نحوه» العرق بفتح العين والراء المهملتين زنبيل يسع ثلاثين صاعاً وقيل خمسة عشر صاعاً وقولها إن به لمماً اللمم طرف من الجنون وقال الخطابي لبس المراد من اللمم هنا الجنون والخبل إن لو كان به ذلك ثم ظاهر في تلك الحال لم يلزمه شيء بل معنى اللمم هاهنا الإلمام بالنساء وشدة الحرص والشبق والله أعلم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾

قوله عز وجل: ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله﴾ أي يعادون الله ورسوله ويشاقون ويخالفون أمرهما، ﴿كبتوا﴾ أي ذلوا وأخزوا وأهلكوا ﴿كما كبت الذين من قبلهم﴾ أي كما أخزي من كان قبلهم من أهل الشرك، ﴿وقد أنزلنا آيات بينات﴾ يعني فرائض وأحكاماً. ﴿وللكافرين﴾ أي الذين لم يعملوا بها وجحدوها ﴿عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله﴾ أي حفظ الله أعمالهم ﴿ونسوه﴾ أي نسوا ما كانوا يعملون في الدنيا، ﴿والله على كل شيء شهيد﴾ قوله تعالى: ﴿ألم تر﴾ أي ألم تعلم ﴿أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض﴾ يعني أنه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماوات ثم أكد ذلك بقوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة﴾ أي من أسرار ثلاثة وهي المسارة والمشاورة والمعني ما من شيء يناجي به الرجل صاحبه وقيل ما يكون من متناجين ثلاثة يسارر بعضهم بعضاً ﴿إلا هو رابعهم﴾ أي بالعلم يعني يعلم نجواهم كأنه حاضر معهم

ستّين مسكيناً، ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك»، قال: فرجعت إلى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي، ووجدت عند رسول الله ﷺ السّعة والبركة أمر لي بصدقتكم فدفعوها إليه. ﴿ ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ﴾، لتصدقوا ما أتى به الرسول ﷺ من الله عزّ وجلّ، ﴿ وتلك حدود الله ﴾، يعني ما وصف من الكفّارات في الظهار، ﴿ وللكافرين عذاب أليم ﴾، قال ابن عباس: لمَن جحده وكذب به.

﴿ إن الذين يحادّون الله ورسوله ﴾، اي يعادون الله ورسوله ويشاقّون ويخالفون أمرهما، ﴿ كبِتوا ﴾، أُذلّوا وأُخزوا وأُهلكوا، ﴿ كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا ﴾، إليك، ﴿ آيات بيّنات وللكافرين عذاب مهين ﴾.

﴿ يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ﴾، حفظ الله أعمالهم، ﴿ ونسوه والله على كل شيء شهيد * ألم ترَ أن الله يعلم ما في السمٰوات وما في الأرض ما يكـون ﴾، قرأ أبو جعفر بالتاء لتأنيث النجوى، وقرأ الآخرون بالياء لأجل الحائل، ﴿ من نجوى ثلاثة ﴾، أي من سرار ثلاثة يعني من المسارة، أي: ما من شيء يناجي به الرجل صاحبه، ﴿ إلاّ هو رابعهم ﴾، بالعلم وقيل: معناه ما يكون من متناجين ثلاثة يسار بعضهم بعضاً إلا هو

ومشاهدهم كما تكون نجواهم معلومة عند الرابع الذي يكون معهم ﴿**ولا خمسة إلا هو سادسهم**﴾ فإن قلت لما خص الثلاثة والخمسة.

قلت: أقل ما يكفي في المشاورة ثلاثة حتى يتم الغرض فيكون اثنان كالمتنازعين في النفي والإثبات والثالث كالمتوسط الحاكم بينهما فحينئذ تحمد تلك المشاورة ويتم ذلك الغرض وهكذا كل جمع يجتمع للمشاورة لا بد من واحد يكون حكماً بينهم مقبول القول وقيل إن العدد الفرد أشرف من الزوج فلهذا خص الله تعالى الثلاثة والخمسة ثم قال تعالى: ﴿**ولا أدنى من ذلك ولا أكثر**﴾ يعني ولا أقل من ثلاثة وخمسة ولا أكثر من ذلك العدد ﴿**إلا هو معهم أينما كانوا**﴾ أي بالعلم والقدرة، ﴿**ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم**﴾ قوله عز وجل: ﴿**ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى**﴾ نزلت في اليهود والمنافقين وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم ويوهمون المؤمنين أنهم يتناجون بما يسوءهم فيحزن المؤمنين لذلك ويقولون ما نراهم إلا قد بلغهم عن إخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال على المؤمنين وكثر شكوا إلى رسول الله ﷺ فأمرهم أن لا يتناجوا دون المؤمنين فلم ينتهوا فأنزل الله ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى أي المناجاة فيما بينهم، ﴿**ثم يعودون لما نهوا عنه**﴾ أي يرجعون إلى المناجاة التي نهوا عنها ﴿**ويتناجون بالإثم والعدوان**﴾ يعني ذلك السر الذي كان بينهم لأنه إما مكر وكيد بالمسلمين أي شيء يسوءهم وكلاهما إثم وعدوان، ﴿**ومعصية الرسول**﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه وعادوا إليها وقيل معناه يوصي بعضهم بعضاً بمعصية الرسول ﴿**وإذا جاؤوك**﴾ يعني اليهود ﴿**حيوك بما لم يحيك به الله**﴾ وذلك أن اليهود كانوا يدخلون على النبي ﷺ ويقولون السام عليك والسام الموت وهم يوهمونه بأنهم يسلمون عليه وكان النبي ﷺ يرد فيقول عليكم ﴿**ويقولون في أنفسهم**﴾ يعني إذا خرجوا من عنده قالوا ﴿**لولا يعذبنا الله بما نقول**﴾ يريدون لو كان نبياً لعذبنا الله بما نقول من الاستخفاف به قال الله تعالى: ﴿**حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير**﴾ المعنى أن تقديم العذاب إنما يكون بحسب المشيئة والمصلحة وإذا لم تقتض المشيئة والمصلحة تقديم العذاب فعذاب جهنم يوم القيامة كافيهم (ق) عن

رابعهم بالعلم يعلم نجواهم ﴿ **ولا خمسة إلاّ هو سادسهم** ﴾. ﴿ **ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا** ﴾ قرأ يعقوب أكثر بالرفع على محل الكلام قبل دخول من ﴿ **ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم** ﴾.

﴿ **ألم ترَ إلى الذين نُهوا عن النجوى** ﴾، نزلت في اليهود والمنافقين وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم يوهمون المؤمنين أنهم يتناجون فيما يسوءهم، فيحزنون لذلك ويقولون ما نراهم إلا وقد بلغهم عن إخواننا الذين جرحوا في السرايا قتل أو موت أو هزيمةٍ فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم، فلما طال ذلك عليهم وكثر شكوا إلى رسول الله ﷺ فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم فأنزل الله: ﴿ **ألم ترَ إلى الذين نُهوا عن النجوى** ﴾ أي المناجاة ﴿ **ثم يعودون لما نُهوا عنه** ﴾، أي يرجعون إلى المناجاة التي نهوا عنها ﴿ **ويتناجون** ﴾، قرأ الأعمش وحمزة و(ينتجون) على وزن يفتعلون، وقرأ الآخرون ﴿ **ويتناجون** ﴾ لقوله: ﴿ **إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول** ﴾، وذلك أن النبي ﷺ كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه، ﴿ **وإذا جاؤوك حيّوك بما لم يحيّك به الله** ﴾، وذلك أن اليهود كانوا يدخلونها على النبي ﷺ، ﴿ **ويقولون** ﴾، السام عليك، والسام الموت وهم يوهمونه أنهم يقولون السلام عليك، وكان النبي ﷺ يردّ عليهم فيقول عليكم فإذا خرجوا قالوا: ﴿ **في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول** ﴾، يريدون لو كان نبياً حقاً لعذبنا الله بما نقول، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ **حسبهم جهنّم يصلونها فبئس**

عائشة رضي الله تعالى عنها قالت «دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا السام عليك قالت عائشة ففهمتها فقلت عليكم السام واللعنة قالت فقال رسول الله ﷺ مهلاً يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله فقلت يا رسول الله ألم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ قد قلت عليكم» وللبخاري «إن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا السام عليك فقال وعليكم فقالت عائشة السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم فقال رسول الله ﷺ يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش قالت أولم تسمع ما قالوا؟ قال أولم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في» السام الموت قال الخطابي عامة المحدثين يروون إذا سلم عليكم أهل الكتاب فإنما يقولون السام عليكم فقولوا وعليكم الحديث فيثبتون الواو في وعليكم وكان سفيان بن عيينة يرويه بغير واو قال وهو الصواب لأنه إذا حذف الواو صار قولهم الذي قالوه مردوداً عليهم بعينه وإذا أثبت الواو وقع الاشتراك معهم لأن الواو تجمع بين الشيئين، والعنف ضد الرفق واللين، والفحش الرديء من القول.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَـٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَـٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَـٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَـٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول**﴾ في المخاطبين بهذه الآية قولان أحدهما أنه خطاب للمؤمنين وذلك أنه لما ذم اليهود والمنافقين على التناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول أتبعه بأن نهى المؤمنين أن يسلكوا مثل طريقهم وأن يفعلوا كفعلهم فقال لا تتناجوا بالإثم وهو ما يقبح من القول والعدوان وهو ما يؤدي إلى الظلم ومعصية الرسول وهو ما يكون خلافاً عليه.

والقول الثاني: وهو الأصح أنه خطاب للمنافقين والمعنى. يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم وقيل آمنوا بزعمهم كأنه قال لهم لا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ﴿**وتناجوا بالبر والتقوى**﴾ أي بالطاعة وترك المعصية ﴿**واتقوا الله الذي إليه تحشرون إنما النجوى من الشيطان**﴾ أي من تزيين الشيطان وهو ما يأمرهم به. من الإثم والعدوان ومعصية الرسول ﴿**ليحزن الذين آمنوا**﴾ إنما يزين ذلك ليحزن المؤمنين (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال

المصير ﴾، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا عبد الوهاب ثنا أبو أيوب عن ابن أبي مليكة عن عائشة أن اليهود أتوا النبي ﷺ وقالوا: السام عليك قال وعليكم، فقالت عائشة السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم، فقال رسول الله ﷺ مهلاً يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش، قالت أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: أوَلم تسمعي ما قلتُ ردّدتُ عليهم، فيستجاب لي فيهم ولا يُستجاب لهم في، ثم إن الله نهى المؤمنين أن يتناجوا فيما بينهم كفعل المنافقين واليهود.

فقال: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول** ﴾، أي كفعل المنافقين واليهود وقال مقاتل أراد بقوله: آمنوا المنافقين أي آمنوا بلسانهم قال عطاء: يريد الذين آمنوا بزعمهم قال لهم لا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، ﴿ **وتناجوا بالبرّ والتقوى واتقوا الله الذي إليه تُحشَرون** ﴾.

﴿ **إنّما النجوى من الشيطان** ﴾، أي من تزيين الشيطان، ﴿ **ليحزن الذين آمنوا** ﴾، أي إنما يزيّن لهم ذلك ليحزن المؤمنين، ﴿ **وليس** ﴾، التناجي، ﴿ **بضارّهم شيئاً** ﴾، وقيل: ليس الشيطان بضارّهم شيئاً، ﴿ **إلّا بإذن الله وعلى الله فليتوكّلِ المؤمنون** ﴾، أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أنا جدّي أبو سهل عبد الصمد بن

«إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث» زاد ابن مسعود في رواية «فإن ذلك يحزنه» وهذه الزيادة لأبي داود ﴿وليس بضارهم شيئاً﴾ يعني ذلك التناجي وقيل الشيطان ليس بضارهم شيئاً ﴿إلا بإذن الله﴾ أي إلا ما أراد الله تعالى وقيل إلا بإذن الله في الضر ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ أي فليكل المؤمنون أمرهم إلى الله تعالى ويستعيذوا به من الشيطان فإن من توكل على الله لا يخيب أمله ولا يبطل سعيه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾

قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا﴾ الآية قيل في سبب نزولها «إن النبي ﷺ كان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس منهم يوماً وقد سبقوا إلى المجلس فقاموا حيال النبي ﷺ فسلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم قاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا وشق ذلك على النبي ﷺ فقال لمن حوله قم يا فلان وأنت يا فلان فأقام من المجلس بقدر أولئك النفر الذين كانوا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي ﷺ الكراهية في وجوههم فأنزل الله هذه الآية» وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقد تقدمت القصة في سورة الحجرات، وقيل كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله ﷺ ويحبون القرب منه فكانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلاً تضاموا في مجلسهم فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض وقيل كان ذلك يوم الجمعة في الصفة والمكان ضيق والأقرب أن المراد مجلس رسول الله ﷺ لأنهم كانوا يتضامون فيه تنافساً على القرب من رسول الله ﷺ وحرصاً على استماع كلامه فأمر الله المؤمنين بالتواضع وأن يفسحوا في المجلس لمن أراد الجلوس عند النبي ﷺ ليتساوى الناس في الأخذ بالحظ منه وقرىء في المجالس لأن لكل واحد مجلساً ومعناه ليفسح كل رجل في مجلسه فافسحوا أي فأوسعوا في المجلس أمروا بأن يوسعوا في المجالس لغيرهم، ﴿يفسح الله لكم﴾ أي يوسع الله لكم في الجنة والمجالس فيها (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال

عبد الرحمن البزار أنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري أنا إسحاق بن إبراهيم الدبري ثنا عبد الرزاق أنا مَعْمَر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلّا بإذنه، فإن ذلك يحزنه».

قوله عزّ وجلّ: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسّحوا في المجالس فافسحوا ﴾، الآية، قال مقاتل بن حيّان: كان النبي يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس منهم يوماً وقد سبقوا إلى المجلس فقاموا حيال النبي ﷺ وسلّموا عليه فردّ عليهم ثم سلّموا على القوم فردّوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يُوسع لهم، فلم يفسحوا لهم فشقّ ذلك على النبي ﷺ، فقال لمَن حوله: «قم يا فلان وأنت يا فلان فأقام من المجلس بقدر النفر الذين قاموا بين يديه من أهل بدر»، فشقّ ذلك على مَن أُقيم من مجلسه وعرف النبي ﷺ الكراهية في وجوههم فأنزل الله هذه الآية. وقال الكلبي: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقد ذكرنا في سورة الحجرات قصته. وقال قتادة: كانوا يتنافسون في مجلس النبي ﷺ وكانوا إذا رأوا مَن جاءهم مقبلاً ضنّوا بمجلسهم فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض، وقيل: كان ذلك يوم الجمعة فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا ﴾ أي توسّعوا في المجلس، قرأ الحسن وعاصم في المجالس لأن الكل جالس مجلساً معناه ليتفسّح كل رجل في مجلسه، وقرأ الآخرون (في المجلس) على التوحيد لأن المراد منه مجلس النبي ﷺ، فافسحوا: أوْسِعُوا، يقال فسح يفسح فسحاً إذا وسّع في المجلس، ﴿ يفسحِ الله لكم ﴾، يوسِع الله لكم الجنة، والمجالس فيها. أخبرنا

«لا يقيمن أحدكم رجلاً من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم»، (م) عن جابر بن عبد الله قال «لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ثم يخالف إلى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا» ذكره الحميدي في أفراد مسلم موقوفاً على جابر ورفعه غير الحميدي وقيل في معنى الآية إن هذا في مجالس العرب ومقاعد القتال كان الرجل يأتي القوم وهم في الصف فيقول توسعوا فيأبون عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم في الشهادة فأمروا بأن يوسعوا لإخوانهم لأن الرجل الشديد البأس قد يكون متأخراً عن الصف الأول والحاجة داعية إلى تقدمه فلا بد من التفسح له ثم يقاس على ذلك سائر المجالس كمجالس العلم والقرآن والحديث والذكر ونحو ذلك لأن كل من وسع على عباد الله أنواع الخير والراحة وسع الله عليه خيري الدنيا والآخرة. ﴿وإذا قيل انشزوا فانشزوا﴾ أي إذا قيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لإخوانكم فارتفعوا وقيل كان رجال يتثاقلون عن الصلاة في الجماعة إذا نودي لها فأنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى إذا نودي إلى الصلاة فانهضوا إليها وقيل إذا قيل لكم انهضوا إلى الصلاة وإلى الجهاد وإلى كل خير فانهضوا إليه ولا تقصروا عنه، ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم﴾ أي بطاعتهم لله ولرسوله وامتثال أوامره في قيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لإخوانهم ﴿والذين أوتوا العلم﴾ أي ويرفع الذين أوتوا العلم من المؤمنين بفضل علمهم وسابقتهم ﴿درجات﴾ أي على من سواهم في الجنة قيل يقال للمؤمن الذي ليس بعالم إذا انتهى إلى باب الجنة أدخل ويقال للعالم قف فاشفع في الناس أخبر الله عز وجل أن رسوله ﷺ مصيب فيما أمروا أن أولئك المؤمنين مثابون فيما ائتمروا وأن النفر من أهل بدر مستحقون لما عوملوا به من الإكرام ﴿والله بما تعملون خبير﴾ قال الحسن قرأ ابن مسعود هذه الآية وقال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولنرغبنكم في العلم فإن الله تعالى يقول يرفع المؤمن العالم فوق المؤمن

عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان بن عيينة عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقمن أحدكم الرجل من مجلسه ثم يخلفه فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا». أخبرنا عبد الوهاب بن الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا عبد المجيد عن ابن جريج قال: قال سليمان بن موسى عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «لا يقيمنّ أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل افسحوا»، وقال أبو العالية والقرظي والحسن: هذا في مجالس الحرب ومقاعد القتال، كان الرجل يأتي القوم في الصف فيقول توسعوا فيأبون عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم في الشهادة. ﴿ وإذا قيل انشزوا فانشزوا ﴾، قرأ أهل المدينة والشام وعاصم بضم الشين، وقرأ الآخرون بكسرهما، وهما لغتان أي ارتفعوا، قيل: ارتفعوا عن مواضعكم حتى تُوسِعُوا لإخوانكم. وقال عكرمة والضحاك: كان رجال يتثاقلون عن الصلاة إذا نُودِيَ لها فأنزل الله تعالى هذه الآية، معناه: إذا نُودِيَ للصلاة فانهضوا لها. وقال مجاهد وأكثر المفسّرين: معناه إذا قيل لكم انهضوا إلى الصلاة وإلى الجهاد وإلى مجالس كل خير وحق فقوموا لها ولا تقصروا، ﴿ يرفعِ اللَّهُ الذين آمنوا منكم ﴾، بطاعتهم لرسوله ﷺ وقيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لإخوانهم، ﴿ والذين أوتوا العلم ﴾، من المؤمنين بفضل علمهم ومسابقتهم، ﴿ درجات ﴾، فأخبر الله عزّ وجلّ أن رسوله ﷺ مُصيب فيما أمر وأن أولئك المؤمنين مُثابون فيما ائتمروا، وأن النفر من أهل بدر مستحقّون لِما عُوملوا من الإكرام، ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾، قال الحسن: قرأ ابن مسعود هذه الآية وقال: أيها الناس افهموا هذه الآية ولنرغبنّكم في العلم فإن الله تعالى يقول: ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أُوتوا العلم درجات ﴾ المؤمن العالم فوق الذي لا يعلم درجات. أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي ثنا الإمام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان ثنا أبو علي حامد بن محمد بن عبد الله الهروي أنا محمد بن يونس القرشي أنا عبد الله بن داود ثنا عاصم بن رجاء بن حيوة حدّثني داود بن جميل عن كثير بن قيس قال: كنت جالساً مع أبي

الذي ليس بعالم درجات وقيل إن العالم يحصل له بعلمه من المنزلة والرفعة ما لا يحصل لغيره لأنه يقتدي بالعالم في أقواله وفي أفعاله كلها عن قيس بن كثير قال قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق فقال ما أقدمك يا أخي قال حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ قال أما جئت لحاجة غيره؟ قال لا قال أما قدمت في تجارة؟ قال لا قال ما جئت إلا في طلب هذا الحديث؟ قال نعم قال فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول «من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة تضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما أورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر» أخرجه الترمذي ولأبي داود نحوه، (ق) عن معاوية بن أبي سفيان قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «من يريد الله به خيراً يفقهه في الدين» وعن ابن عباس مثله أخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص «أن رسول الله ﷺ مر بمجلسين في مسجده أحد المجلسين يدعون إلى الله ويرغبون إليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من صاحبه».

أما هؤلاء فيدعون إلى الله ويرغبون إليه وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهؤلاء أفضل وإنما بعثت معلماً ثم جلس فيهم» قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ يعني إذا أردتم مناجاة رسول الله ﷺ فقدموا أمام ذلك صدقة وفائدة ذلك إعظام مناجاة رسول الله ﷺ فإن الإنسان إذا وجد الشيء بمشقة استعظمه وإن وجده بسهولة استحقره ونفع كثير من الفقراء بتلك الصدقة المقدمة قبل المناجاة قال ابن عباس إن الناس سألوا رسول

الدرداء في مسجد دمشق فجاء رجل فقال: يا أبا الدرداء إني جئتك من مدينة الرسول ﷺ لحديث بلغني أنك تحدّثه عن رسول الله ﷺ، قال: ما كانت لك حاجة غيره؟ قال: لا، قال: ولا جئت لتجارة؟ قال: لا، قال: ولا جئت إلا رغبة فيه؟ قال: نعم، قال: فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَن سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإن السمٰوات والأرض والحوت في الماء لتدعوا له، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء وَرَثَة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورّثوا العلم فمَن أخذه فقد أخذ بحظٍّ وافر»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو علي الحسين بن أحمد بن إبراهيم السراج أنا الحسن بن يعقوب العدل ثنا محمد بن عبد الوهاب الفرّاء ثنا جعفر بن عون، أنا عبد الرحمن بن زياد عن عبد الرحمن بن رافع عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ مرّ بمجلسين في مسجده أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلّمونه، قال: «كِلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من صاحبه، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل، فهؤلاء أفضل وإنما بُعِثت معلّماً، ثم جلس فيهم».

قوله عزّ وجلّ: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدي نجواكم ﴾، أمام مناجاتكم، ﴿ صدقةً ﴾، قال ابن عباس: وذلك أن النـاس سألوا رسول الله ﷺ وأكثروا حتى شقّوا عليه، فأراد الله أن يخفّف على نبيّه ويثبطهم ويردعهم عن ذلك فأمرهم أن يقدموا صدقةً على المناجاة مع الرسول ﷺ. وقال مقاتل بن حيان:

الله ﷺ وأكثروا حتى شق عليه فأراد الله تعالى أن يخفف على نبيه ﷺ ويثبطهم عن ذلك فأمرهم أن يقدموا صدقة على مناجاة رسول الله ﷺ وقيل نزلت في الأغنياء وذلك أنهم كانوا يأتون رسول الله ﷺ فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس حتى كره رسول الله ﷺ طول جلوسهم ومناجاتهم فلما أمروا بالصدقة كفوا عن مناجاته فأما الفقراء وأهل العسرة فلم يجدوا شيئاً وأما الأغنياء وأهل الميسرة فضنوا واشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فنزلت الرخصة وقال مجاهد نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجه إلا علي بن أبي طالب تصدق بدينار وناجاه ثم نزلت الرخصة فكان علي يقول آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي وهي آية المناجاة. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة**﴾ قال لي النبي ﷺ ما ترى ديناراً قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال إنك لزهيد قال فنزلت.

ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَاللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾

﴿**أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات**﴾ الآية قال فبي خفف الله عن هذه الأمة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله قلت شعيره أي وزن شعيرة من ذهب وقوله إنك لزهيد يعني قليل المال قدرت على قدر حالك.

فإن قلت في هذه الآية منقبة عظيمة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه إذ لم يعمل بها أحد غيره.

قلت هو كما قلت وليس فيها طعن على غيره من الصحابة ووجه ذلك أن الوقت لم يتسع ليعملوا بهذه الآية ولو اتسع الوقت لم يتخلفوا عن العمل بها وعلى تقدير اتساع الوقت ولم يفعلوا ذلك إنما هو مراعاة لقلوب الفقراء الذين لم يجدوا ما يتصدقون به لو احتاجوا إلى المناجاة فيكون ذلك سبباً لحزن الفقراء إذ لم يجدوا ما يتصدقون به عند

نزلت في الأغنياء وذلك أنهم كانوا يأتون النبي ﷺ فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس، حتى كره النبي ﷺ طول جلوسهم ومناجاتهم، فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئاً وأما أهل الميسرة فضنّوا واشتدّ ذلك على أصحاب النبي ﷺ، فنزلت الرخصة. قال مجاهد: نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجه إلّا عليّ رضي الله عنه تصدّق بدينار وناجاه، ثم نزلت الرخصة فكان عليّ رضي الله عنه يقول: آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي وهي آية المناجاة. ورُوِيَ عن عليّ رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية دعاني رسول الله ﷺ فقال: «أما ترى ديناراً»؟ قلت: لا يطيقونه، قال: «فكم قلت حبّة أو شعير»، قال: إنك لزهيد، فنزلت: ﴿ **أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات** ﴾، قال عليّ رضي الله تعالى عنه فبي قد خفّف الله عن هذه الأمة. ﴿ **ذلك خير لكم** ﴾، يعني تقديم الصدقة على المناجاة، ﴿ **وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم** ﴾، يعني الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدّقون به معفو عنهم.

﴿ **أأشفقتم أن تقدموا** ﴾ قال ابن عباس: أبخلتم؟ والمعنى: أخفتم العيلة والفاقة إن قدمتم، ﴿ **بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا** ﴾، ما أمرتم به، ﴿ **وتاب الله عليكم** ﴾، تجاوز عنكم ولم يعاقبكم بترك الصدقة،

مناجاته ووجه آخر وهو أن هذه المناجاة لم تكن من المفروضات ولا من الواجبات ولا من الطاعات المندوب إليها بلى إنما كلفوا هذه الصدقة ليتركوا هذه المناجـاة ولما كانت هذه المناجاة أولى بأن تترك لم يعملوا بها وليس فيها طعن على أحد منهم، وقوله: **﴿ذلك خير لكم﴾** يعني تقديم الصدقة على المناجاة لما فيه من طاعة الله وطاعة رسوله **﴿وأطهر﴾** أي لذنوبكم **﴿فإن لم تجدوا﴾** يعني الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به **﴿فإن الله غفور رحيم﴾** يعني أنه تعالى رفع عنهم ذلك **﴿أأشفقتم﴾** قال ابن عباس أبخلتم والمعنى أخفتم العيلة والفاقة إن قدمتم وهو قوله **﴿أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذا لم تفعلوا﴾** أي ما أمرتم به، **﴿وتاب الله عليكم﴾** أي تجاوز عنكم ونسخ الصدقة قال مقاتل بن حيان كان ذلك عشر ليال ثم نسخ، وقال الكلبي ما كان إلا ساعة من نهار ثم نسخ **﴿فأقيموا الصلاة﴾** أي المفروضة **﴿وآتوا الزكاة﴾** أي الواجبة **﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾** أي فيما أمر ونهى **﴿والله خبير بما تعملون﴾** أي إنه محيط بأعمالكم ونيتكم.

قوله عز وجل: **﴿ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم﴾** نزلت في المنافقين وذلك أنهم تولوا اليهود ونصحوهم ونقلوا أسرار المؤمنين إليهم فأراد بقوله قوماً غضب الله عليهم اليهود **﴿ما هم﴾** يعني المنافقين **﴿منكم﴾** أي من المؤمنين في الدين والولاء **﴿ولا منهم﴾** يعني ولا من اليهود **﴿ويحلفون على الكذب وهم يعلمون﴾** أي أنهم كذبة «نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق وكان يجـالس رسول الله ﷺ ويرفع حديثه إلى اليهود فبينا رسول الله ﷺ في حجرة من حجره إذ قال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار ينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق العينين فقال له النبي ﷺ علام تشتمني أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فأنزل الله هذه الآية» **﴿أعد الله لهم عذاباً شديداً إنهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا أيمانهم﴾** يعني الكاذبة **﴿جنة﴾** أي يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم **﴿فصدوا عن سبيل الله﴾** يعني أنهم صدوا المؤمنين عن جهادهم بالقتل وأخذ أموالهم بسبب أيمانهم، وقيل معناه صدوا الناس عن دين الله الذي هو الإسلام **﴿فلهم عذاب مهين﴾** يعني في الآخرة.

وقيل: الواو صلة مجازه فإن لم تفعلوا تاب الله عليكم تجاوز عنكم وخفّف عنكم، ونسخ الصدقة. قال مقاتل بن حيان: كان ذلك عشر ليالٍ ثم نسخ. وقال الكلبي: ما كانت إلّا ساعة من نهار. **﴿ فأقيموا الصلاة ﴾**، المفروضة، **﴿ وآتوا الزكاة ﴾**، الواجبة، **﴿ وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون ﴾**.

﴿ ألم ترَ إلى الذين تولّوا قوماً غضب الله عليهم ﴾، نزلت في المنافقين تولّوا اليهود وناصحوهم ونقلوا أسرار المؤمنين إليهم وأراد بقوله: **﴿ غضب الله عليهم ﴾** اليهود، **﴿ ما هم منكم ولا منهم ﴾**، يعني المنافقين ليسوا من المؤمنين في الدين والولاية ولا من اليهود والكافرين، كما قال: **﴿** مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء **﴾** [النساء: ١٤٣]، **﴿ ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ﴾**، قال السدي ومقاتل: نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق كان يجالس رسول الله ﷺ ثم يرفع حديثه إلى اليهود، فبينما رسول الله ﷺ في حجرة من حجراته إذ قال: يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبّار وينظر بعيني شيطان، فدخل عبد اللهبن نبتل وكان أزرق العينين، فقال النبي ﷺ: «علام تشتمني أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبّوه، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآيات، فقال: **﴿ ويحلفون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾** أنهم كذبة.

﴿ أعدّ الله لهم عذاباً شديداً إنهم ساء ما كانوا يعملون * اتخذوا أيمانهم ﴾، الكاذبة، **﴿ جُنّةً ﴾**، يستجنّون بها من القتل ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم، **﴿ فصدّوا عن سبيل الله ﴾**، صدّوا المؤمنين عن جهادهم بالقتل وأخذ أموالهم، **﴿ فلهم عذاب مهين ﴾**.

لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

﴿لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم﴾ يوم القيامة **﴿من الله شيئاً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له﴾** يعني كاذبين أنهم ما كانوا مشركين **﴿كما يحلفون لكم﴾** أي في الدنيا وقيل كان الحلف جنة لهم في الدنيا فظنوا أنه ينفع في الآخرة أيضاً **﴿ويحسبون أنهم على شيء﴾** يعني من أيمانهم الكاذبة **﴿ألا إنهم هم الكاذبون﴾** يعني في أقوالهم وأيمانهم، **﴿استحوذ عليهم الشيطان﴾** أي غلب واستولى عليهم وملكهم **﴿فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين﴾** يعني في جملة من يلحقهم الذل في الدنيا والآخرة لأن ذل أحد الخصمين على حسب عز الخصم الثاني.

ولما كانت عزة الله غير متناهية كانت ذلة من ينازعه غير متناهية **﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾** أي قضى ذلك قضاء ثابتاً قيل غلبة الرسل على نوعين فمنهم من يؤمر بالحرب فهو غالب بالحرب ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة، **﴿إن الله قوي﴾** أي على نصر رسله وأوليائه **﴿عزيز﴾** أي غالب على أعدائه.

قوله تعالى: **﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾** أخبر الله تعالى أن إيمان المؤمنين يفسد بموادة الكافرين وأن من كان مؤمناً لا يوالي من كفر لأن من أحب أحداً امتنع أن يحب عدوه فإن قلت قد أجمعت الأمة على أنه تجوز مخالفتهم ومعاشرتهم فما هذه المودة المحظورة قلت المودة المحظورة هي مناصحتهم وإرادة الخير لهم ديناً ودنيا مع كفرهم، فأما ما سوى ذلك فلا حظر فيه ثم إنه تعالى بالغ في الذكر عن

﴿لن تغني عنهم﴾، يوم القيامة، **﴿أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له﴾**، كاذبين ما كانوا مشركين، **﴿كما يحلفون لكم﴾**، في الدنيا **﴿ويحسبون أنهم على شيء﴾** من أيمانهم الكاذبة، **﴿ألا إنهم هم الكاذبون﴾**.

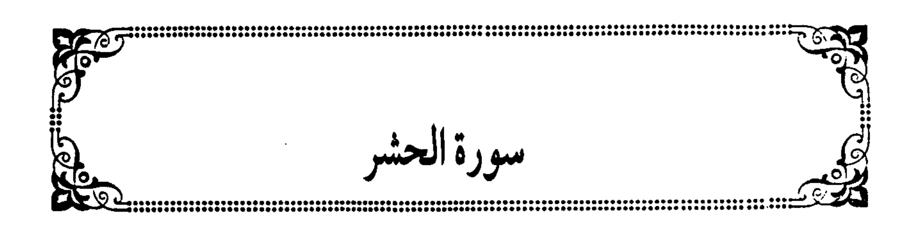
﴿اسْتَحْوَذَ﴾، غلب واستولى، **﴿عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إنّ حزب الشيطان هم الخاسرون * إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين﴾**، الأسفلين أي هم في جملة مَن يلحقهم للذلّ في الدنيا والآخرة.

﴿كتب الله﴾، قضى الله قضاءً ثابتاً، **﴿لأغلبنّ أنا ورسلي إن الله قويٌّ عزيز﴾**، نظيره قوله: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم المنصورون﴾ [الصّافّات: ١٧١ و١٧٢]، قال الزجّاج: غلبة الرسل على نوعين مَن بُعِث منهم بالحرب فهو غالب بالحرب، ومَن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجّة.

مودتهم بقوله ﴿ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ يعني أن الميل إلى هؤلاء من أعظم أنواع الميل ومع هذا فيجب أن يطرح الميل إلى هؤلاء والمودة لهم بسبب مخالفة الدين قيل نزلت هذه الآية في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى أهل مكة وستأتي قصته في سورة الممتحنة وروي عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية قال ولو كانوا آباءهم يعني أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه الجراح يوم أحد أو أبناءهم يعني أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه دعا ابنه يوم بدر إلى البراز وقال يا رسول الله دعني أكن في الرعلة الأولى فقال له رسول الله ﷺ «متعنا بنفسك يا أبا بكر» أو إخوانهم يعني مصعب بن عمير قتل أخاه عبد الله بن عمير أو عشيرتهم يعني عمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلي بن أبي طالب وحمزة وأبا عبيدة قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر، ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان﴾ أي أثبت التصديق في قلوبهم فهي مؤمنة موقنة مخلصة وقيل حكم لهم بالإيمان وإنما ذكر القلوب لأنها موضعه ﴿وأيدهم بروح منه﴾ أي قواهم بنصر منه وإنما سمى نصره إياهم روحاً لأن به حيي أمرهم.

وقيل بالإيمان وقيل بالقرآن وقيل بجبريل وقيل برحمته ﴿ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ إنما ذكر رضوانه عليهم بعد دخلولهم الجنة لأن أعظم النعم وأجل المراتب ثم لما ذكر هذه النعم أتبعه بما يوجب ترك المودة لأعداء الله سبحانه وتعالى فقال ﴿أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ والله أعلم بمراده.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون مَن حادّ اللَّهَ ورسولَهُ ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾، الآية أخبر أن إيمان المؤمنين يفسد بموادّة الكفّار وأن مَن كان مؤمناً لا يوالي مَن كفر، وإن كان من عشيرته. قيل: نزلت في حاصب بن أبي بلتعة حين كتب إلى أهل مكة وسيأتي في سورة الممتحنة، إن شاء الله عزّ وجلّ. وروى مقاتل بن حيان عن مرّة الهمداني عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية قال: ولو كانوا آباءهم يعني أبا عبيدة بن الجرّاح، قتل أباه عبد الله بن الجرّاح يوم أُحُد أو أبناءهم، يعني أبا بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز، وقال: يا رسول الله دعني أكن في الرحلة الأولى، فقال له رسول الله ﷺ: «متّعنا بنفسك يا أبا بكر»، أو إخوانهم يعني مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أُحُد، عشيرتهم يعني عمر قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وعليّاً وحمزة وعبيدة قتلوا يوم بدر عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة. ﴿ أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ﴾، أثبت التصديق في قلوبهم فهي موقنة مخلصة. وقيل: حكم لهم بالإيمان فذكر القلوب لأنها موضعه. ﴿ وأيّدهم بروح منه ﴾، قوّاهم بنصر منه قال الحسن: سمّى نصره إياهم روحاً لأن أمرهم يحيا به. وقال السدي: يعني بالإيمان. وقال الربيع، يعني بالقرآن وحججه، كما قال: ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقيل: برحمة منه. وقيل: أمدّهم بجبريل عليه السلام. ﴿ ويدخلهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إنّ حزب الله هم المفلحون ﴾.



قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر فقال قل سورة النضير وهي مدنية أربع وعشرون آية وأربعمائة وخمس وأربعون كلمة وألف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)

قوله عز وجل: ﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم﴾ قال المفسرون نزلت هذه السورة في بني النضير وهم طائفة من اليهود وذلك «أن النبي ﷺ لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل ذلك رسول الله ﷺ فلما غزا رسول الله ﷺ بدراً وظهر على المشركين قال بنو النضير والله إنه النبي الأمي الذي نجد نعته في التوراة لا ترد له راية فلما غزا أحداً وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله ﷺ وللمؤمنين ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، وركب كعب بن الأشرف في أربعين راكباً من اليهود إلى مكة فأتوا قريشاً فحالفوهم وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد ﷺ ودخل أبو سفيان في أربعين من قريش وكعب بن الأشرف في أربعين من اليهود المسجد الحرام وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين أستار الكعبة ثم رجع كعب وأصحابه إلى المدينة فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبر النبي ﷺ بما تعاقد عليه كعب وأبو سفيان وأمره بقتل كعب بن الأشرف فقتله محمد بن مسلمة غيلة»

سُوْرَةَ الحَشْر

مدنيّة وهي أربع وعشرون آية. قال سعيد بن جبير: قلت لابن عباس: سورة الحشر، قال: قل: سورة النضير.

﴿ سبّح لله ما في السمٰوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم ﴾، قال المفسّرون: نزلت هذه السورة في بني النضير، وذلك أن النبي ﷺ دخل المدينة فصالحته بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه، فقبل ذلك رسول الله ﷺ منهم فلما غزا رسول الله ﷺ بدراً وظهر على المشركين قالت بنو النضير: والله إنه النبي الذي وجدنا نعته في التوراة لا تردّ له راية، فلما غزا أُحُداً وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله ﷺ والمؤمنين، ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، وركب كعب بن الأشرف في أربعين راكباً من اليهود إلى مكة فأتوا قريشاً فحالفوهم وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد ﷺ، ودخل أبو سفيان في أربعين وكعب في أربعين من اليهود المسجد الحرام وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الأستار والكعبة، ثم رجع كعب وأصحابه إلى المدينة ونزل جبريل فأخبر النبي ﷺ بما تعاقد عليه كعب وأبو سفيان، فأمر النبي ﷺ بقتل كعب بن

وقد تقدمت القصة في سورة آل عمران وكان النبي ﷺ قد اطلع منهم على خيانة حين أتاهم يستعينهم في دية الرجلين المسلمين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري في منصرفه من بئر معونة فهموا بطرح حجر على النبي ﷺ من الحصن فعصمه الله منهم وأخبره بذلك وقد تقدمت القصة في سورة المائدة.

فلما قتل كعب بن الأشرف أصبح رسول الله ﷺ وأمر الناس بالمسير إلى بني النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار إليها النبي ﷺ وجدهم ينوحون على كعب بن الأشرف فقالوا يا محمد واعية على أثر واعية وباكية على أثر باكية قال نعم فقالوا ذرنا نبك شجونا ثم ائتمر أمرك فقال النبي ﷺ اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أقرب إلينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب وأذنوا بالقتال ودس المنافقون عبد الله بن أبي وأصحابه إليهم أن لا تخرجوا من الحصين فإن قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الأزقة وحصنوها ثم إنهم أجمعوا على الغدر برسول الله ﷺ فأرسلوا إليه أن اخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعوا منك فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا فخرج النبي ﷺ في ثلاثين من أصحابه وخرج إليه ثلاثون حبراً من اليهود حتى كانوا في براز من الأرض فقال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه كلهم يحب الموت قبله ولكن أرسلوا إليه كيف نفهم ونحن ستون اخرج في ثلاثة من أصحابك ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا فيسمعون منك فإن آمنوا بك آمنا بك وصدقناك، فخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة من أصحابه وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله ﷺ فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير إلى أخيها وهو رجل مسلم من الأنصار فأخبرته بما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله ﷺ فأقبل أخوها سريعاً حتى أدرك النبي ﷺ فساره بخبرهم قبل أن يصل إليهم فرجع النبي ﷺ فلما كان من الغد صبحهم رسول الله ﷺ بالكتائب

الأشرف، فقتله محمد بن مسلمة ذكرناه في سورة آل عمران. وكان النبي ﷺ اطّلع منهم على خيانة حين أتاهم يستعينهم في ديّة المسلمين الذين قتلهما عمرو بن أُمية الضمري في منصرفه من بئر معونة، فهمّوا بطرح حجر عليه من فوق الحصن، فعصمه الله وأخبره بذلك، ذكرناه في سورة المائدة، فلما قتل كعب بن الأشرف أصبح رسول الله ﷺ وأمر الناس بالمسير إلى بني النضير، وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار إليهم النبي ﷺ وجدهم ينوحون على كعب بن الأشرف، فقالوا: يا محمد واعية على أثر واعية وباكية على أثر باكية؟ قال: «نعم»، قالوا: ذرنا نبكي شجوناً ثم أئتمر بأمرك، فقال النبي ﷺ: «أخرجوا من المدينة»، فقالوا: الموت أقرب إلينا من ذلك فتنادوا بالحرب وأذنوا بالقتال، ودسّ المنافقون عبد الله بن أبي سلول وأصحابه إليهم أن لا تخرجوا من الحصن، فإن قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنّكم ولئن أخرجتم لنخرجنّ معكم فدُرّبوا على الأزقّة وحصّنوها، ثم إنهم أجمعوا على الغدر برسول الله ﷺ فأرسلوا إليه أن اخرج في ثلاثين رجلاً من أصحابك وليخرج منّا ثلاثون حتى نلتقي بمكان بيننا وبينك، فيستمعوا منك فإن صدّقوك وآمنوا بك آمنّا كلنا، فخرج النبي ﷺ في ثلاثين من أصحابه وخرج إليه ثلاثون حَبْراً من اليهود حتى إذا كانوا في براز من الأرض قال بعض اليهود لبعض: كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه كلهم يحبّ أن يموت قبله؟ فأرسلوا إليه كيف نفهم ونحن ستّون رجلاً؟ أخرج في ثلاثة من أصحابك ونخرج إليك في ثلاثة من علمائنا فيستمعوا منك، فإن آمنوا بك آمنّا كلّنا بك وصدّقناك، فخرج النبي ﷺ في ثلاثة من أصحابه، وخرج ثلاثة من اليهود، واشتملوا على الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله ﷺ، فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير إلى أخيها وهو رجل مسلم من الأنصار فأخبرته بما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله ﷺ فأقبل أخوها سريعاً حتى أدرك النبي ﷺ، فسارّه بخبرهم قبل أن يصل النبي ﷺ إليهم، فرجع النبي ﷺ، فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة، فقذف الله في قلوبهم الرعب وأيِسوا من نصر

فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة فقذف الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين فسألوا رسول الله ﷺ الصلح فأبى عليهم إلا أن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من أموالهم إلا الحلقة وهي السلاح وعلى أن يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر أموالهم».

وقال ابن عباس «على أن يحمل كل أهل بيت على بعير ما شاؤوا من متاعهم وللنبي ﷺ ما بقي» وقيل أعطى كل ثلاثة نفر بعيراً وسقاء ففعلوا ذلك وخرجوا من ديارهم إلى أذرعات وأريحاء من أرض الشام إلا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة، فذلك قوله عز وجل:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ۝٢﴾

﴿**هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب**﴾ يعني بني النضير ﴿**من ديارهم**﴾ يعني التي كانت بالمدينة.

قال ابن إسحاق كان إجلاء بني النضير مرجع النبي ﷺ من أحد، وفتح قريظة مرجعه من الأحزاب وبينهما سنتان ﴿**لأول الحشر**﴾ قال الزهري كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى وكان الله قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا قال ابن عباس من شك أن المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فكان هذا أول حشر إلى الشام قال النبي ﷺ أخرجوا قالوا إلى أين؟ قال إلى أرض المحشر ثم يحشر الخلق يوم القيامة إلى الشام وقيل إنما قال لأول الحشر لأنهم كانوا أول من أجلي من أهل الكتاب من جزيرة العرب ثم أجلي آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل كان هذا أول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأريحاء من أرض الشام في أيام عمر، وقيل كان هذا أول الحشر والحشر الثاني نار تحشرهم يوم القيامة من المشرق إلى المغرب تبيت معهم حيث

المنافقين، فسألوا رسول الله ﷺ الصلح، فأبى عليهم إلاّ أن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به النبي ﷺ فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلّت الإبل من أموالهم إلاّ الحلقة وهي السلاح، وعلى أن يخلّوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر أموالهم. وقال ابن عباس: على أن يحمل كل أهل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤوا من متاعهم، ولنبي الله ﷺ ما بقي. وقال الضحّاك: أعطي كل ثلاثة نفر بعيراً وسقاه ففعلوا وخرجوا من المدينة إلى الشام إلى أذرعات وأريحاء إلاّ أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر، ولحقت طائفة منهم بالحيرة.

فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ **هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب** ﴾، يعني بني النضير، ﴿ **من ديارهم** ﴾، التي كانت بيثرب، قال ابن إسحاق: كان إجلاء بني النضير بعد مرجع النبي ﷺ من أُحُد وفتح قريظة عند مرجعه من الأحزاب وبينهما سنتان. ﴿ **لأول الحشر** ﴾، قال الزهري: كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى، وكان الله عزّ وجلّ قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك لعذّبهم في الدنيا. قال ابن عباس: مَن شكّ أن المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فكان هذا أول حشر إلى الشام، قال لهم النبي ﷺ: «أخرجوا»، قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى أرض المحشر»، ثم يحشر الخلق يوم القيامة إلى الشام، وقال الكلبي: إنما قال لأول الحشر لأنهم كانوا أول مَن أُجليَ من أهل الكتاب من جزيرة العرب، ثم أجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه. قال مرّة الهمداني: كان أول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأريحاء من الشام

باتوا وتقيل معهم حيث قالوا ﴿ما ظننتم﴾ يعني أيها المؤمنين ﴿أن يخرجوا﴾ أي من المدينة لعزتهم ومنعتهم وذلك أنهم كانوا أهل حصون وعقار ونخل كثير ﴿وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله﴾ أي وظن بنو النضير أن حصونهم تمنعهم من سلطان الله ﴿فأتاهم الله﴾ أي أتاهم أمر الله وعذابه ﴿من حيث لم يحتسبوا﴾ وهو أن الله أمر نبيه ﷺ بقتالهم وإجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك، ﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ أي الخوف الشديد بقتل سيدهم كعب بن الأشرف ﴿يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين﴾ قال الزهري وذلك أن النبي ﷺ لما صالحهم على أن لهم ما أقلت الإبل كانوا ينظرون إلى الخشب في منازلهم فيهدمونها وينزعون ما استحسنوه منها فيحملونه على إبلهم ويخرب المؤمنون باقيها وقيل كانوا يقلعون العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدران لئلا يسكنها المؤمنون حسداً منهم وبغضاً وقيل كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها وقال ابن عباس كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها لتتسع لهم المقاتل وجعل أعداء الله ينقبون دورهم من أدبارها فيخرجون إلى التي بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم ويرمون بالتي خرجوا منها أصحاب رسول الله ﷺ، ﴿فاعتبروا﴾ يعني فاتعظوا وانظروا ما نزل بهم ﴿يا أولي الأبصار﴾ يعني يا ذوي العقول والبصائر.

﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ۝٥﴾

﴿ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء﴾ يعني الخروج من الوطن ﴿لعذبهم في الدنيا﴾ يعني بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ﴿ولهم في الآخرة عذاب النار ذلك﴾ أي الذي لحقهم ونزل بهم ﴿بأنهم شاقوا الله ورسوله﴾ أي خالفوا الله ورسوله ﴿ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب﴾ قوله تعالى: ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن

في أيام عمر، وقال قتادة: كان هذا أول الحشر والحشر الثاني نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا: ﴿ ما ظننتم ﴾، أيها المؤمنون ﴿ أن يخرجوا ﴾، من المدينة لعزّتهم ومنعتهم وذلك أنهم كانوا أهل حصون وعقار ونخيل كثيرة، ﴿ وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ﴾، أي وظن بنو النضير أن حصونهم تمنعهم من سلطان الله، ﴿ فأتاهم الله ﴾، أي أمر الله وعذابه، ﴿ من حيث لم يحتسبوا ﴾، وهو أنه أمر نبيّه ﷺ بقتالهم وإجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك، ﴿ وقذف في قلوبهم الرعب ﴾، بقتل سيدهم كعب بن الأشرف، ﴿ يخربون ﴾، قرأ أبو عمرو بالتشديد والآخرون بالتخفيف ومعناهما واحد، ﴿ بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ﴾، قال الزهري: وذلك أن النبي ﷺ لمّا صالحهم على أن لهم ما أقلّت الإبل كانوا ينظرون إلى الخشب في منازلهم فيهدمونها وينزعون منها ما يستحسنونه فيحملونه على إبلهم، ويخرّب المؤمنون باقيها. قال ابن زيد: كانوا يقلعون العُمُد وينقضون السقوف وينقبون الجدران ويقلعون الخشب حتى الأوتاد يخرّبونها لئلا يسكنها المؤمنون حسداً منهم وبُغضاً. قال قتادة: كان المسلمون يخرّبون ما يليهم من ظاهرها ويخرّبها اليهود من داخلها. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها لتتسع لهم المقاتل، وجعل أعداء الله ينقبون دورهم في أدبارها فيخرجون إلى التي بعدها فيتحصّنون فيها ويكسرون ما يليهم ويرمون بالتي خرجوا منها أصحاب رسول الله ﷺ، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا ﴾، فاتّعظوا وانظروا فيما نزل بهم، ﴿ يا أولي الأبصار ﴾، يا ذوي العقول والبصائر.

﴿ ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء ﴾، الخروج من الوطن، ﴿ لعذّبهم في الدنيا ﴾، بالقتل والسبي كما فعل

الله﴾ الآية وذلك أن النبي ﷺ لما نزل ببني النضير وتحصنوا بحصونهم أمر بقطع نخيلهم وأحرقها فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح أفمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض فوجد المسلمون في أنفسهم من قولهم وخشوا أن يكون ذلك فساداً.

واختلفوا في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فإنه مما أفاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فأنزل الله هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الإثم وأن ذلك كان بإذن الله تعالى (ق) عن ابن عمر قال: حرق رسول الله ﷺ نخل بني النضير وقطع وهي البويرة فنزل ﴿**ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين البويرة**﴾ اسم موضع لبني النضير وفي ذلك يقول حسان بن ثابت:

وهـــان علـــى ســـراة بنـــي لـــؤي حـــريـــق بـــالبـــويـــرة مستطيـــر

قال ابن عباس النخل كلها لينة ما خلا العجوة وكان النبي ﷺ يقطع نخلهم إلا العجوة، وأهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من التمر الألوان وقيل النخل كلها لينة إلا العجوة والبرنية وقيل اللينة النخل كلها من غير استثناف وقال ابن عباس في رواية أخرى عنه هي لون من النخل وقيل كرام النخل وقيل هي ضرب من النخل يقال لتمرها اللون وهو شديد الصفرة ويرى نواه من خارج يغيب فيه الضرس وكان من أجود تمرهم وأعجبه إليهم وكانت النخلة الواحدة ثمنها ثمن وصيف وأحب إليهم من وصيف فلما رأوهم يقطعونها شق عليهم ذلك وقالوا للمؤمنين إنكم تكرهون الفساد وأنتم تفسدون دعوا هذا النخل قائماً هو لمن غلب عليه فأخبر الله أن قطعها كان بإذنه، ﴿**وليخزي الفاسقين**﴾ يعني اليهود والمعنى ولأجل إخزاء اليهود أذن الله في قطعها احتج العلماء بهذه الآية على أن حصون الكفار وديارهم لا بأس

بني قريظة، ﴿ **ولهم في الآخرة عذاب النار * ذلك** ﴾، الذي لحقهم، ﴿ **بأنهم شاقّوا اللّهَ ورسولَه ومَن يشاقِ اللّهَ فإن الله شديد العقاب** ﴾.

﴿ **ما قطعتم من لينة** ﴾، الآية، وذلك أن رسول الله ﷺ لمّا نزل ببني النضير وتحصّنوا بحصونهم أمر بقطع نخيلهم وإحراقها، فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا: يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح أفمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخيل؟ فهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض، فوجد المسلمون في أنفسهم من قولهم وخشوا أن يكون ذلك فساداً، واختلفوا في ذلك فقال بعضهم: لا تقطعوا فإنه مما أفاء الله علينا. وقال بعضهم: بل نغيظهم بقطعها، فأنزل الله هذه الآية بتصديق مَن نهى عن قطعه وتحليل مَن قطعه من الإثم. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا آدم ثنا الليث عن نافع عن ابن عمر قال: حرق رسول الله ﷺ نخل بني النضير وقطع وهي البويرة، فنزلت: ﴿ **ما قطعتم من ليّنة أو تركتموها قائمة على أُصولها فبإذن الله** ﴾، أخبر الله في هذه الآية إن ما قطعتموه وما تركوه فبإذن الله، ﴿ **وليخزي الفاسقين** ﴾، واختلفوا في اللّينة فقال قوم: النخل كلها ليّنة ما خلا العجوة، وهو قول عكرمة وقتادة، ورواه زاذان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يقطع نخلهم إلاّ العجوة وأهل المدينة يسمّون ما خلا العجوة من التمر الألوان واحدها لون ولينة. وقال الزهري: هي ألوان النخل كلها إلاّ العجوة والبرنية. وقال مجاهد وعطية: هي النخل كلها من غير استثناء. وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهم: هي لون من النخل. وقال سفيان: هي كرام النخل. وقال مقاتل: هي ضرب من النخل يقال لثمرها اللون، وهو شديد الصُّفرة يرى نواه من خارج يغيب فيها الضرس، وكان من أجود تمرهم وأعجبها إليهم، وكانت النخلة الواحدة منها ثمنها ثمن وصيف، وأحبّ إليهم من وصيف، فلما رأوهم يقطعونها شقّ ذلك عليهم وقالوا للمؤمنين إنكم تكرهون الفساد في الأرض وأنتم المفسدون دعوا هذا

أن تهدم وتحرق وترمى بالمجانيق وكذلك قطع أشجارهم ونحوها.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وما أفاء الله على رسوله﴾ أي ما رد الله على رسوله ﴿منهم﴾ أي من يهود بني النضير ﴿فما أوجفتم عليه﴾ يعني أوضعتم وهو سرعة السير ﴿من خيل ولا ركاب﴾ يعني الإبل التي تحمل القوم وذلك أن بني النضير لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله ﷺ أن يقسمها بينهم كما فعل بغنائم خيبر فبين الله تعالى في هذه الآية أنها لم يوجف المسلمون عليها خيلاً ولا ركاباً ولم يقطعوا إليها شقة ولا نالوا مشقة وإنما كانوا يعني بني النضير على ميلين من المدينة فمشوا إليها مشياً ولم يركب إلا رسول الله ﷺ كان على جمل، ﴿ولكن الله يسلط رسله على من يشاء﴾ من أعدائه ﴿والله على كل شيء قدير﴾ أي فهي له خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئاً إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم أبو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة (ق) عن مالك بن أوس النضري أن عمر دعاه إذ جاءه حاجبه يرفأ فقال هل لك يا أمير المؤمنين في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد يستأذنون؟ قال نعم فأدخلهم فلبث قليلاً ثم جاء يرفأ فقال هل لك في عباس وعلي يستأذنان؟ قال نعم فأذن لهما فلما دخلا قال العباس يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا فقال القوم أجل يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر قال مالك بن أوس يخيل إليّ أنهم قد كانوا قدموهم لذلك فقال عمر اتئدوا أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال «لا نورث ما تركنا صدقة» يريد بذلك نفسه قالوا نعم ثم أقبل عمر على العباس وعلي وقال أنشدكما بالله الذي بإذنه تقوم

النخل قائماً هو لمَن غلب عليه، فأخبر الله تعالى أن ذلك بإذنه.

﴿ وما أفاء الله على رسوله ﴾، أي ردّه على رسوله، يقال فاء يفيء أي رجع وفاءها الله، ﴿ منهم ﴾ أي من يهود بني النضير، ﴿ فما أوجفتم ﴾، أوضعتم، ﴿ عليه من خيل ولا ركاب ﴾، يقال: وجف الفرس والبعير يجف وجيفاً وهو سرعة السير، وأوجفه صاحبه إذا حمله على السير، وأراد بالركاب الإبل التي تحمل القوم. وذلك أن بني النضير لمّا تركوا رِباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله ﷺ أن يقسمها بينهم، كما فعل بغنائم خيبر، فبيّن الله تعالى في هذه الآية أنه فيء لم يوجف المسلمون عليها خيلاً ولا ركاباً ولم يقطعوا إليها شقّة ولا نالوا مشقّة ولم يلقوا حرباً، ﴿ ولكن الله يسلّط رسله على مَن يشاء والله على كل شيء قدير ﴾، فجعل أموال بني النضير لرسول الله ﷺ خاصّة يضعها حيث يشاء، فقسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين ولم يُعطِ الأنصار منها شيئاً إلّا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم أبو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمّة، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري أخبرني مالك بن أوس بن الحدثان النضري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعاه إذ جاءه حاجبه يرفأ، فقال: هل لك في عثمان وعبد الرحمن والزبير وسعد يستأذنون؟ قال: نعم، فلما دخلا قال ابن عباس: يا أمير المؤمنين اقضِ بيني وبين هذا وهما يختصمان في الذي أفاء الله على رسوله من بني النضير، فقال الرهط: يا أمير المؤمنين اقضِ بينهما وأرحْ أحدهما من الآخر، قال: اتئدوا أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركنا صدقة» يريد رسول الله ﷺ نفسه؟ قالوا: قد قال ذلك، فأقبل عمر على عليّ وعباس، فقال: أنشدكما بالله هل تعلمان أن رسول الله ﷺ قال ذلك؟ قالا: نعم، قال: فإني أُحدّثكم عن هذا الأمر

السماء والأرض أتعلمان أن رسول الله ﷺ قال «لا نورث ما تركنا صدقة» قالا نعم قال عمر إن الله خص رسول الله ﷺ بخاصة لم يخصص بها أحداً غيره فقال «وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب» الآية قال فقسم رسول الله ﷺ بينكم أموال بني النضير فوالله ما استأثرها عليكم ولا أخذها دونكم فقد أعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقي هذا المال وكان رسول الله ﷺ يأخذ منه نفقة سنة ثم ما بقي يجعله مجعل مال الله فعمل بذلك رسول الله ﷺ حياته ثم أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض أتعلمون ذلك؟ قالوا نعم قال ثم نشد عباساً وعلياً بمثل ما نشد القوم أتعلمان ذلك؟ قالا نعم قال فلما توفي رسول الله ﷺ قال أبو بكر أنا ولي رسول الله ﷺ فقبضه أبو بكر فعمل فيه بما عمل رسول الله ﷺ وأنتم حينئذ وأقبل على علي وعباس وقال تذاكران أن أبا بكر عمل فيه كما تقولان والله يعلم إنه لصادق راشد تابع للحق ثم توفى الله أبا بكر فقلت أنا ولي رسول الله ﷺ وأبي بكر فقبضته سنتين من إمارتي أعمل فيهما بما عمل فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر والله يعلم إني فيه لصادق بار راشد تابع للحق ثم جئتماني كلاكما وكلمتكما واحدة وأمركما جميع فقلت لكما إن رسول الله ﷺ قال «لا نورث ما تركنا صدقة» قلتم ادفعها إلينا فلما بدا لي أن أدفعها إليكما قلت إن شئتما دفعته إليكما على أن عليكما عهداً لله وميثاقه لتعملان فيه بما عمل فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر وما عملت فيه منذ وليت وإلا فلا تكلماني فقلتما ادفعه إلينا بذلك فدفعته إليكما أفتلتمسان مني قضاء غير ذلك فوالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض لا أقضي فيه بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فإن عجزتما عنه فادفعاه إليّ فإني أكفيكماه.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾

قوله تعالى: **﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾** يعني من أموال كفار أهل القرى قال ابن عباس هي قريظة

أن الله كان خصّ رسول الله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحداً غيره، فقال: **﴿وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾**، إلى قوله: **﴿قدير﴾**، وكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ ما احتازها دونكم ولا استأثرها عليكم لقد أعطاكموها وبثّها فيكم حتى بقي منها هذا المال، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله، فعمل بذلك رسول الله ﷺ حياته، ثم توفي النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أنا وليّ رسول الله ﷺ فقبضها أبو بكر رضي الله تعالى عنه فعمل بها بما عمل به فيها رسول الله ﷺ، وأنتما حينئذ جميع، وأقبل على عليّ وعباس: تذكران أن أبا بكر فعل فيه كما تقولّان والله يعلم أنه فيها صادق بارّ راشد تابع للحق، ثم توفّى اللّهُ أبا بكر، فقلت: أنا وليّ رسول الله ﷺ وأبي بكر فقبضتها سبتين من إمارتي أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ، وأبو بكر والله يعلم أني فيه صادق بارّ راشد تابع للحق، ثم جئتماني كِلاَكُما وكلمتكما واحدة، وأمركما جميع فقلت لكما: إن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركنا صدقة»، فلما بدا لي أن أدفعه إليكما قلت إن شئتما دفعته إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل به رسول الله ﷺ وأبو بكر، وبما عملت به فيها منذ وليتها، وإلاّ فلا تكلّماني فيها، فقلتما ادفعها إلينا بذلك فدفعتها إليكما أفتلتمسان منّي قضاء غير ذلك، فوالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض لا أقضي فيها قضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة، فإن عجزتما عنها فادفعاها إليّ فإني أكفيكماها.

قوله عزّ وجلّ: **﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾**، يعني من أموال كفّار أهل القرى، قال ابن

والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة ﴿**فلله وللرسول ولذي القربى**﴾ يعني بني هاشم وبني المطلب ﴿**واليتامى والمساكين وابن السبيل**﴾ قد تقدم تفسيره في سورة الأنفال في حكم الغنيمة وقسمتها وأما حكم الفيء فإنه لرسول الله ﷺ مدة حياته يضعه حيث يشاء فكان ينفق على أهله منه نفقة سنتهم ويجعل ما بقي مجعل مال الله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله.

واختلف العلماء في مصرف الفيء بعد رسول الله ﷺ فقال قوم هو للأئمة بعده وللشافعي فيه قولان أحدهما أنه للمقاتلة والثاني هو لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة ثم بالأهم فالأهم من المصالح.

واختلفوا في تخميس مال الفيء فذهب قوم إلى أنه يخمس فخمس لأهل خمس الغنيمة وأربعة للمقاتلة أو للمصالح وذهب الأكثرون إلى أنه لا يخمس بل مصرف جميعه واحد ولجميع المسلمين فيه حق قرأ عمر بن الخطاب «ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى حتى بلغ للفقراء المهاجرين إلى قوله والذين جاؤوا من بعدهم» ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة قال وما على وجه الأرض مسلم إلا وله في هذا الفيء حق إلا ما ملكت أيمانكم ﴿**كيلا يكون**﴾ الفيء ﴿**دولة**﴾ والدولة اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم ﴿**بين الأغنياء منكم**﴾ يعني بين الرؤساء والأقوياء فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصطفي بعده ما شاء فجعله الله لرسول الله ﷺ يقسمه فيما أمره به ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه**﴾ أي من مال الفيء والغنيمة ﴿**وما نهاكم عنه**﴾ أي من الغلول وغيره ﴿**فانتهوا**﴾ وهذا نازل في أموال الفيء وهو عام في كل ما أمر به النبي ﷺ أو نهي عنه من قول أو عمل من واجب أو مندوب أو مستحب أو نهى عن محرم فيدخل فيه الفيء وغيره (ق) عن عبد الله بن مسعود أنه قال «لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب وكانت تقرأ القرآن فأتته فقالت ما حديث بلغني عنك أنك قلت كذا وكذا وذكرته فقال عبد الله وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله تعالى فقالت المرأة لقد قرأت لوحي

عباس: هي قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة، ﴿ **فللّه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل** ﴾، قد ذكرنا في سورة الأنفال حكم الغنيمة وحكم الفيء إن مال الفيء كان لرسول الله ﷺ في حياته يضعه حيث يشاء وكان ينفق منه على أهله نفقة سنتهم ويجعل ما بقي مجعل مال الله. واختلف أهل العلم في مصرف الفيء بعد رسول الله ﷺ، فقال قوم: هـو للأئمة بعده. وللشافعي فيه قولان: أحدهما هو للمقاتلة، والثاني لمصالح المسلمين، ويبدأ بالمقاتلة ثم بالأهم فالأهم من المصالح. واختلفوا في تخميس مال الفيء فذهب بعضهم إلى أنه يخمّس فخمسه لأهل خمس الغنيمة وأربعة أخماسه للمقاتلة وللمصالح، وذهب الأكثرون إلى أنه لا يخمّس بل مصرف جميعه واحد، ولجميع المسلمين فيه حق، قرأ عمر بن الخطاب: ﴿ **ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى** ﴾، حتى بلغ: ﴿ **للفقراء المهاجرين والذين جاؤوا من بعدهم** ﴾، ثم قال: هذه استوعبت المسلمين عامّة، وقال: ما على وجه الأرض مسلم إلّا له في هذا الفيء حق إلّا ما ملكت أيمانكم. ﴿ **كيلا يكون دولة** ﴾، قرأ العامّة بالياء، ﴿ **دولة** ﴾ نصب أي لكيلا يكون الفيء دولة، وقرأ أبو جعفر (تكون) بالتاء ﴿ **دولة** ﴾ بالرفع على اسم كان أي كيلا يكون الأمر إلى دولة، وجعل الكينونة بمعنى الوقوع وحينئذ لا خبر له والدولة اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم، ﴿ **بين الأغنياء منكم** ﴾، يعني بين الرؤساء والأقوياء، معناه كيلا يكون الفيء دولة بين الأغنياء والأقوياء فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا اغتنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه، وهو المِرباع، ثم يصطفي منها بعد المِرباع ما شاء، فجعله الله لرسوله ﷺ يقسمه فيما أمر به، ثم قال: ﴿ **وما آتاكم** ﴾، أعطاكم، ﴿ **الرسول** ﴾، من الفيء والغنيمة، ﴿ **فخذوه وما نهاكم عنه** ﴾، من الغلول وغيره،

المصحف فما وجدته فقال إن كنت قرأته لقد وجدته قال الله عز وجل: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ الوشم هو غرز العضو من الإنسان بالإبرة ثم يحشى بكحل والمستوشمة هي التي تطلب أن يفعل بها ذلك والنامصة هي التي تنتف الشعر من الوجه والمتفلجة هي التي تتكلف تفريج ما بين ثناياها بصناعة وقيل هي التي تتفلج في مشيتها فكل ذلك منهي عنه (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وفي رواية «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» عن أبي رافع أن رسول الله ﷺ قال «لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه أمر مما أمرت به ونهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه» أخرجه أبو داود والترمذي.

وقال هذا حديث حسن الأريكة كل ما اتكىء عليه من سرير أو فراش أو منصة أو نحو ذلك ﴿**واتقوا الله**﴾ أي في أمر الفيء ﴿**إن الله شديد العقاب**﴾ أي على ترك ما أمركم به رسول الله ﷺ أو نهاكم عنه ثم بين من له الحق في الفيء فقال عز وجل:

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾

﴿**للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم**﴾ يعني ألجأهم كفار مكة إلى الخروج ﴿**يبتغون فضلاً من الله**﴾ أي رزقاً وقيل ثواباً من الله ﴿**ورضواناً**﴾ أي أخرجوا من ديارهم طلباً لرضا الله عز وجل: ﴿**وينصرون الله ورسوله**﴾ أي بأنفسهم وأموالهم والمراد بنصر الله نصر دينه وإعلاء كلمته ﴿**أولئك هم الصادقون**﴾ أي في إيمانهم قال قتادة المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال والعشائر وخرجوا حباً لله ولرسوله واختاروا الإسلام على ما كانوا فيه من شدة حتى ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ما له دثار غيرها (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن فقراء

﴿**فانتهوا**﴾، وهذا نازل في أموال الفيء، وهو عامّ في كل ما أمر به النبي ﷺ ونهى عنه، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلّجات للحسن المغيّرات خلق الله، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أُم يعقوب، فجاءت فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال: وما لي لا ألعن مَن لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله تعالى، فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول، قال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه أمَا قرأت: ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾؟ قالت: بلى، قال: فإنه قد نهى عنه. ﴿ **واتقوا الله إن الله شديد العقاب** ﴾، ثم بيّن مَن له الحق في الفيء فقال:

﴿ **للفقراء المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً** ﴾ رزقاً ﴿ **من الله ورضواناً** ﴾، أي أُخرجوا إلى دار الهجرة طلباً لرضا الله عزّ وجلّ، ﴿ **وينصرون اللَّهَ ورسولَهُ أولئك هم الصادقون** ﴾، في إيمانهم. قال قتادة: هؤلاء المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال والعشائر وخرجوا حبّاً لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما كانوا فيه من شدّة، حتى ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتّخذ الحفيرة في الشتاء ما لـه دثـار غيرها، أخبرنا محمد بن الحسن المروزي أنا أبو العباس الطحّان أنا أبو أحمد بن محمد بن قيس بن سليمان أنا علي بن عبـد العزيـز المكّي أنا أبـو عبد القـاسم بن سلام حـدّثني

المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً» وعن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ «أبشروا صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة» أخرجه أبو داود.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾

قوله عز وجل: ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان﴾ يعني الأنصار توطنوا الدار وهي المدينة واتخذوها سكناً ﴿من قبلهم﴾ يعني أنهم أسلموا في ديارهم وآثروا الإيمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي ﷺ بسنتين والمعنى والذين تبوءوا الدار من قبل المهاجرين وقد آمنوا لأن الإيمان ليس بمكان يتبوأ ﴿يحبون من هاجر إليهم﴾ وذلك أنهم أنزلوا المهاجرين في منازلهم وأشركوهم في أموالهم ﴿ولا يجدون في صدورهم حاجة﴾ أي حزازة وغيظاً وحسداً ﴿مما أوتوا﴾ أي أعطي المهاجرين من الفيء دونهم وذلك أن رسول الله ﷺ قسم أموال بني النضير بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئاً إلا ثلاثة فطابت أنفس الأنصار بذلك ﴿ويؤثرون على أنفسهم﴾ أي ويؤثر الأنصار المهاجرين بأموالهم ومنازلهم على أنفسهم ﴿ولو كان بهم خصاصة﴾ أي فاقة وحاجة إلى ما يؤثرون به (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال إني مجهود فأرسل إلى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي إلا الماء ثم أرسل به إلى أخرى فقالت مثل ذلك وقلن كلهن مثل ذلك فقال رسول الله ﷺ من يضيفه يرحمه الله فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة فقال أنا يا رسول الله ﷺ فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته هل عندك شيء؟ قالت لا إلا قوت صبياني قال فعلليهم بشيء ونوميهم فإذا دخل ضيفنا فأريه أنا نأكل فإذا هوى بيده ليأكل فقومي إلى السراج كي تصلحيه فأطفئيه ففعلت فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ فقال رسول

عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن أبي إسحاق عن أُميّة بن خالد بن عبد الله بن أسيد عن النبي ﷺ: أنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين. قال أبو عبيد: هكذا قال عبد الرحمن وهو عندي أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد. وروينا عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة، تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم، وذلك مقدار خمسمائة سنة».

﴿ والذين تبوّؤا الدارَ والإيمان ﴾، وهم الأنصار تبوّؤا الدار توطنوا الدار، أي المدينة اتخذوها دار الهجرة والإيمان، ﴿ من قبلهم ﴾، أي أسلموا في ديارهم وآثروا الإيمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي ﷺ بسنتين. ونظم الآية والذين تبوّؤا الدار من قبلهم أي من قبل قدوم المهاجرين عليهم، وقد آمنوا لأن الإيمان ليس بمكان تبوء، ﴿ يحبّون مَن هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة ﴾، حزازة وغيظاً وحسداً، ﴿ مما أُوتوا ﴾، أي مما أعطى المهاجرين دونهم من الفيء، وذلك أن رسول الله ﷺ قسم أموال بني النضير بين المهاجرين، ولم يعطِ منها الأنصار فطابت أنفس الأنصار بذلك، ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ﴾، أي يؤثرون على إخوانهم من المهاجرين بأموالهم ومنازلهم على أنفسهم، ﴿ ولو كان بهم خصاصة ﴾، فاقة وحاجة إلى ما يؤثرون، وذلك أنهم قاسموهم ديارهم وأموالهم، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا مسدد ثنا عبد الله بن داود عن فضيل بن غزوان عن أبي حازم عن أبي هريرة أن رجلاً أتى النبي ﷺ فاستضافه فبعث إلى نسائه هل عندكنّ من شيء؟ فقلن: ما معناه إلاّ الماء، فقال رسول الله ﷺ: «مَن يضمّ أو بضيف هذا»؟ فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى امرأته فقال أكرمي ضيف رسول الله ﷺ،

الله ﷺ لقد عجب الله أو ضحك الله من فلان وفلانة» زاد في رواية «فأنزل الله ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» (ق) عن أبي هريرة قال «قالت الأنصار للنبي ﷺ أقسم بيننا وبين إخواننا النخيل قال لا فقالوا تكفونا ونشرككم في الثمر قالوا سمعنا وأطعنا» (خ) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال «دعا رسول الله ﷺ الأنصار إلى أن يقطع لهم البحرين فقالوا لا إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها فقال أما لا فاصبروا حتى تلقوني على الحوض فإنه سيصيبكم أثرة بعدي» وفي رواية «ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض» الأثرة بفتح الهمزة والثاء والراء وضبطه بعضهم بضم الهمزة وإسكان الثاء والأول أشهر ومعناه الاستئثار وهو أن يستأثر عليكم بأمور الدنيا ويفضل غيركم عليكم ولا يجعل لكم في الأمر نصيب وقيل هو من آثر إذا أعطى أراد يستأثر عليكم غيركم فيفضل في نصيبه من الفيء والاستئثار الانفراد بالشيء وقيل الأثرة الشدة والأول أظهر وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم النضير للأنصار «إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة وإن شئتم كانت لكم أموالكم ودياركم ولم نقسم لكم شيئاً من الغنيمة فقالت الأنصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فأنزل الله عز وجل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» والشح في كلام العرب البخل مع الحرص وقد فرق بعض العلماء بين البخل والشح فقال البخل نفس المنع والشح هو الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع.

فقالت: ما عندنا إلّا قوت الصبيان، فقال هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونوّمي صبيانك، إذا أرادوا عشاءً، فهيأت طعامها وأصبحت سراجها، ونوّمت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يُريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ، فقال: ضحك الله الليلة أو عجب من فِعالكما، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾. ﴿ **وَمَن يُوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا الحكيم بن نافع أنا شعيب ثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قالت الأنصار: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: لا، فقالوا: تكفونا المؤنة ونشرككم في الثمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبد الله بن محمد ثنا سفيان عن يحيىٰ بن سعيد سمع أنس بن مالك حين خرج معه إلى الوليد قال: دعا النبي ﷺ الأنصار إلى أن يقطع لهم البحرين، فقالوا: لا إلّا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها، قال: «ألا فاصبروا حتى يلقوني على الحوض، فإنه سيصيبكم أَثَرَة بعدي».

ورُوِيَ عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم النضير للأنصار: «إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة»، فقالت الأنصار: بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومَن يُوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾. والشحّ في كلام العرب: البخل ومنع الفضل. وفرّق العلماء بين الشحّ والبخل. رُوِيَ أن رجلاً قال لعبد الله بن مسعود: إني أخاف أن أكون قد هلكت، فقال: وما ذاك؟ قال: أسمع الله يقول: ﴿**ومَن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾، وأنا رجل شحيح، لا يكاد يخرج من يدي شيء، فقال عبد الله: ليس ذاك بالشحّ الذي ذكر الله عزّ وجلّ في القرآن، ولكن الشحّ أن تأكل مال أخيك ظلماً ولكن ذلك البخل وبئس الشيء البخل. وقال ابن عمر: ليس الشحّ أن يمنع الرجل ماله إنما الشحّ أن تطمح عين الرجل إلى ما ليس له. وقال سعيد بن جبير: الشحّ هو أخذ الحرام ومنع الزكاة. وقيل: الشحّ هو الحرص الشديد الذي يحمله على ارتكاب المحارم. قال ابن زيد: مَن لم يأخذ شيئاً نهاه الله عنه،

ولما كان الشح من صفات النفس لا جرم قال الله تعالى: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ أي الفائزون بما أرادوا وروي أن رجلاً قال لابن مسعود إني أخاف أن أكون قد هلكت قال وما ذاك قال إني أسمع الله يقول ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء فقال عبد الله ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القرآن ولكن الشح أن تأكل مال أخيك ظلماً ولكن ذلك البخل وبئس الشيء البخل وقال ابن عمر ليس الشح أن يمنع الرجل ماله إنما الشح أن تطمع عين الرجل فيما ليس له وقيل الشح هو الحرص الشديد الذي يحمل صاحبه على ارتكاب المحارم وقيل من لم يأخذ شيئاً نهاه الله عن أخذه ولم يمنع شيئاً أمره الله بإعطائه فقد وقاه شح نفسه (م) عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلّوا محارمهم» عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع» أخرجه أبو داود الهلع أشد الجزع والمراد منه أن الشحيح يجزع جزعاً شديداً ويحزن على شيء يفوته أو يخرج من يده والخالع الذي خلع فؤاده لشدة خوفه وفزعه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً» أخرجه النسائي.

﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿والذين جاؤوا من بعدهم﴾ يعني من بعد المهاجرين والأنصار وهم التابعون لهم إلى يوم القيامة ﴿يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ أخبر أنهم يدعون لأنفسهم بالمغفرة ولإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان ﴿ولا تجعل في قلوبنا غلاً﴾ أي غشاً وحسداً وبغضاً ﴿للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ فكل من كان في قلبه غل أو بغض لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ ولم يترحم على جميعهم فإنه ليس ممن عناه الله بهذه الآية لأن الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاث منازل المهاجرين ثم من بعدهم التابعون الموصوفون بما ذكر فمن لم يكن من

ولم يدعه الشحّ إلى أن يمنع شيئاً من شيء أمره الله بـه فقد وقـاه شحّ نفسـه. أخبرنـا الإمام محمـد بن أبي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو سعد خلف بن عبد الرحمن بـن محمد بن أبي نزار ثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن حراز القهندري ثنا أبو عبد الله محمد بن إسحاق السعيدي ثنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا القعنبي ثنا داود بن قيس الفرّاء عن عبيد الله بن مقسم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة. واتقوا الشحّ فإن الشحّ أهلك مَن كان قبلكم حملهم على أن استحلّوا دماءهم واستحلّوا محارمهم». أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي ثنا أبو العباس الأصم أنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنا أبي وشعيب قالا: أنا الليث عن يزيد بن الهاد عن سهيل بن أبي صالح عن صفوان بن يزيد عن القعقاع هو ابن اللجلاج عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً، ولا يجتمع الشحّ والإيمان في قلب عبد أبداً».

﴿ والذين جاؤوا من بعدهم ﴾، يعني التابعين وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة، ثم ذكر أنهم يدعون لأنفسهم ولمَن سبقهم بالإيمان والمغفرة، فقال: ﴿ يقولون ربّنا اغفرْ لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعلْ في قلوبنا غلاً ﴾، غشّاً وحسداً وبُغضاً، ﴿ للذين آمنوا ربّنا إنك رؤوف رحيم ﴾، فكل مَن كان في قلبه غِلّ على أحد من الصحابة ولم يترحّم على جميعهم فإنه ليس ممّن عناه الله بهذه الآية، لأن الله تعالى رتّب

التابعين بهذه الصفة كان خارجاً من أقسام المؤمنين وليس له في المسلمين نصيب وقال ابن أبي ليلى الناس على ثلاثة منازل الفقراء المهاجرون والذين تبوءوا الدار والإيمان والذين جاؤوا من بعدهم فاجتهد أن لا تكون خارجاً من هذه الثلاث منازل (ق) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» (م) عن عروة بن الزبير قال قالت عائشة «يا ابن أختي أمروا أن يستغفروا لأصحاب رسول الله ﷺ فسبوهم» عن عبد الله بن مغفل قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فبغضبي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه» أخرجه الترمذي وقال مالك بن أنس: من انتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أو كان في قلبه غل عليهم فليس له حق في فيء المسلمين ثم تلا هذه الآية **﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى إلى والذين جاؤوا من بعدهم ـ إلى ـ رؤوف رحيم﴾** وقال مالك بن مغول قال الشعبي يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير أهل ملتكم؟ قالوا أصحاب موسى وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم؟ قال حواري عيسى وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم؟ فقالوا أصحاب محمد رسول الله ﷺ أمروا أن يستغفروا لهم فسبوهم والسيف مسلول عليهم إلى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا تجمع لهم كلمة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم وإدحاض حجتهم أعاذنا الله وإياكم من الأهواء المضلة.

وروي عن جابر قال قيل لعائشة إن ناساً يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى أبا بكر وعمر فقالت وما تعجبون من هذا انقطع عنهم العمل فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر.

وروي أن ابن عباس سمع رجلاً ينال من أصحاب رسول الله ﷺ فقال له من أمن المهاجرين الأولين أنت؟ قال لا قال أفمن الأنصار أنت؟ قال لا قال فأنا أشهد بأنك لست من التابعين لهم بإحسان قوله عز وجل:

المؤمنين على ثلاثة منازل: المهاجرين والأنصار والتابعين الموصوفين بما ذكر، فمَن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجاً من أقسام المؤمنين. قال ابن أبي ليلى الناس على ثلاثة منازل: المهاجرين، والذين تبوؤا الدار والإيمان، والذين جاؤوا من بعدهم، فاجتهدْ أن لا تكون خارجاً من هذه المنازل. أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا عبد الله بن حامد أنا أحمد بن عبد الله بن سليمان ثنا محمد بن عبد الله ثنا ابن نمير ثنا أبي عن إسماعيل بن إبراهيم عن عبد الملك بن عمير عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: أُمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ، فسببتموهم سمعت نبيّكم ﷺ يقول: «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها»، وقال مالك بن مغول: قال عامر بن شرحبيل الشعبي: يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود مَن خير أهل ملّتكم، فقالت أصحاب موسى عليه السلام، وسئلت النصارى مَن خير أهل ملّتكم، فقالوا حواري عيسى عليه السلام، وسئلت الرافضة مَن شرّ أهل ملّتكم، فقالوا أصحاب محمد ﷺ أُمروا بالاستغفار لهم فسبّوهم، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم وإدحاض حجّتهم، أعاذنا الله وإياكم من الأهواء المُضِلّة. قال مالك بن أنس مَن يبغض أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أو كان في قلبه عليهم غلّ فليس له حق في فيء المسلمين، ثم تلا: ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى ﴾ [الحشر: ٨ و٩]، حتى أتى على هذه الآية: ﴿ للفقراء المهاجرين والذين تبوؤا الدار والإيمان والذين جاؤوا من بعدهم ﴾ [الحشر: ٨ و٩]، إلى قوله: **﴿ رؤوف رحيم ﴾**.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿ألم تر إلى الذين نافقوا﴾ يعني أظهروا خلاف ما أضمروا وهم عبد الله بن أبيّ ابن سلول وأصحابه ﴿يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ يعني اليهود من بني قريظة وبني النضير وإنما جعل المنافقين إخوانهم لأنهم كفار مثلهم ﴿لئن أخرجتم﴾ أي من المدينة ﴿لنخرجن معكم﴾ أي منها ﴿ولا نطيع فيكم أحداً أبداً﴾ يعني إن سألنا أحد خلافكم وخذلانكم فلا نطيعه فيكم ﴿وإن قوتلتم لننصرنكم﴾ أي لنعيننكم ولنقاتلن معكم﴾ ﴿والله يشهد إنهم﴾ يعني المنافقين ﴿لكاذبون﴾ أي فيما قالوا ووعدوا ثم أخبر الله عن حال المنافقين فقال تعالى: ﴿لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم﴾ وكان الأمر كذلك فإنهم أخرجوا ولم يخرج المنافقون معهم وقوتلوا فلم ينصروهم ﴿لئن نصروهم ليولن الأدبار﴾ يعني لو قدروا نصرهم أو لو قصدوا نصر اليهود لولوا الأدبار منهزمين ﴿ثم لا ينصرون﴾ يعني بني النضير لا يصيرون منصورين إذا انهزم ناصروهم.

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾

﴿لأنتم﴾ يعني يا معشر المسلمين ﴿أشد رهبة في صدورهم من الله﴾ أصل الرهبة والرهب الخوف الشديد مع حزن واضطراب والمعنى أنهم يرهبون ويخافون منكم أشد من رهبتهم من الله ﴿ذلك﴾ أي الخوف منكم ﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾ يعني عظمة الله تعالى: ﴿لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة﴾ أي لا يبرزون لقتالكم إنما يقاتلونكم

قوله عزّ وجلّ: ﴿ ألم ترَ إلى الذين نافقوا ﴾، أي أظهروا خلاف ما أضمروا يعني عبد الله بن أُبيّ بن سلول وأصحابه، ﴿ يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهلِ الكتاب ﴾، وهم اليهود من بني قريظة والنضير جعل المنافقين إخوانهم في الدين، لأنهم كفّار مثلهم. ﴿ لئن أُخرجتم ﴾، من المدينة، ﴿ لنخرجنّ معكم ولا نطيع فيكم أحداً ﴾، يسألنا خذلانكم وخلافكم، ﴿ أبداً وإن قوتلتم لننصرنّكم والله يشهد إنهم ﴾، يعني المنافقين ﴿ لكاذبون ﴾.

﴿ لئن أُخرجوا لَا يخرجون معهم ولئن قُوتلوا لا ينصرونهم ﴾، وكان الأمر كذلك، فإنهم أُخرجوا من ديارهم فلم يخرج المنافقون معهم، وقُوتلوا فلم ينصروهم. قوله تعالى: ﴿ ولئن نصروهم ليولنّ الأدبار ﴾، أي لو قدّر وجود نصرهم. قال الزجّاج معناه لو قصدوا نصر اليهود لولّوا الأدبار منهزمين، ﴿ ثم لا ينصرون ﴾، يعني بني النضير لا يصيرون منصورين إذا انهزم ناصرهم.

﴿ لأنتم ﴾، يا معشر المسلمين، ﴿ أشدّ رهبة في صدورهم من الله ﴾، أي يرهبونكم أشدّ من رهبتهم من الله، ﴿ ذلك ﴾، أي ذلك الخوف منكم، ﴿ بأنهم قوم لا يفقهون ﴾، عظمة الله.

متحصنين بالقرى والجدران وهو قوله تعالى: ﴿أو من وراء جدار﴾ وقرىء جدر ﴿بأسهم بينهم شديد﴾ أي بعضهم فظ على بعض أو عداوة بعضهم بعضاً شديدة وقيل بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد فإذا خرجوا إليكم فهم أجبن خلق الله ﴿تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى﴾ أي متفرقة مختلفة قال قتادة أهل الباطل مختلفة أهواؤهم مختلفة أعمالهم مختلفة شهاداتهم وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق وقيل أراد أن دين المنافقين وآراءهم يخالف دين اليهود وآراءهم ﴿ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ ثم ضرب لليهود مثلاً فقال تعالى: ﴿كمثل الذين من قبلهم قريباً﴾ يعني مشركي مكة ﴿ذاقوا وبال أمرهم﴾ يعني القتل ببدر وكان ذلك قبل غزوة بني النضير وقال ابن عباس «كمثل الذين من قبلهم» يعني بني قينقاع وقيل مثل قريظة كمثل بني النضير وكان بينهما سنتان ﴿ولهم عذاب أليم﴾ أي في الآخرة ثم ضرب مثلاً آخر للمنافقين واليهود جميعاً في تخاذلهم وتخلي بعضهم عن بعض فقال تعالى ﴿كمثل الشيطان﴾ أي مثل المنافقين مع بني النضير وخذلانهم إياهم كمثل الشيطان ﴿إذ قال للإنسان اكفر﴾ وذلك ما روي عن عطاء وغيره عن ابن عباس قال كان راهب في الفترة يقال له برصيصا تعبد في صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وأن إبليس أعياه في أمره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين وقال ألا أحد منكم يكفيني أمر برصيصا؟ فقال الأبيض وهو صاحب الأنبياء وهو الذي تصدى للنبي ﷺ وجاء في صورة جبريل ليوسوس إليه على وجه الوحي فلحقه جبريل عليه السلام فدفعه إلى أقصى أرض الهند لإبليس أنا أكفيك أمره فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا يفتل عن صلاته إلا في كل عشرة أيام ولا يفطر إلا في كل عشرة أيام مرة فلما رأى الأبيض أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل الصومعة فلما انفتل برصيصا من صلاته اطلع من صومعته فرأى الأبيض قائماً يصلي في هيئة حسنة على هيئة الرهبان فلما رأى ذلك من حاله ندم في نفسه أي لام نفسه حين لم يجبه فقال له إنك ناديتني وكنت مشتغلاً عنك فما حاجتك قال الأبيض حاجتي أني جئت لأكون معك فأتأدب بأدبك وأقتبس من

﴿ لا يقاتلونكم ﴾، يعني اليهود، ﴿ جميعاً إلاّ في قرى محصنة ﴾، أي لا يبرزون لقتالكم إنما يقاتلونكم متحصّنين بالقرى والجدران، وهو قوله: ﴿ أو من وراء جُدر ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿ جدار ﴾ على الواحد، وقرأ الآخرون (جُدر) بضم الجيم والدال على الجمع. ﴿ بأسهم بينهم شديد ﴾، أي بعضهم فظّ على بعض وعداوة بعضهم بعضاً شديدة. وقيل: بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد، فإذا خرجوا لكم فهم أجبن خلق الله، ﴿ تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتّى ﴾، متفرقة مختلفة، قال قتادة: أهل الباطل مختلفة أهواؤهم مختلفة شهادتهم، مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق. وقال مجاهد: أراد أن دين المنافقين يخالف دين اليهود. ﴿ ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾.

﴿ كمثل الذين من قبلهم ﴾، يعني مثل هؤلاء اليهود كمثل الذين من قبلهم، ﴿ قريباً ﴾، يعني مشركي مكة، ﴿ ذاقوا وبِال أمرهم ﴾، يعني القتل ببدر، وكان ذلك قبل غزوة بني النضير، قاله مجاهد. وقال ابن عباس: كمثل الذين من قبلهم يعني بني قينقاع. وقيل: مثل قريظة كمثل بني النضير وكان بينهما سنتان. ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾، ثم ضرب مثلاً للمنافقين واليهود جميعاً في تخادعهم.

فقال: ﴿ كمثل الشيطان ﴾، أي مثل المنافقين في غرورهم بني النضير وخذلانهم كمثل الشيطان، ﴿ إذْ قال للإنسان اكفرْ فلما كفرَ قال إني بريء منك ﴾، وذلك ما روى عطاء وغيره عن ابن عباس قال: كان راهب في الفترة يقال له برصيصاً تعبّد في صومعة له سبعين سنة لم يعصَ الله فيها طرفة عين، وإن إبليس أعياه في أمره الحيل، فجمع ذات يوم مَرَدَة الشياطين فقال ألا أجد أحداً منكم يكفيني أمر برصيصا؟ فقال الأبيض وهو صاحب الأنبياء وهو الذي تصدّى للنبي ﷺ، وجاءه في صورة جبرائيل ليوسوس إليه على وجه الوحي فدفعه جبرائيل إلى أقصى أرض

عملك ونجتمع على العبادة فتدعو لي وأدعو لك قال برصيصا إني لفي شغل عنك فإن كنت مؤمناً فإن الله سيجعل لك فيما للمؤمنين نصيباً إن استجاب لي ثم أقبل على صلاته وترك الأبيض وأقبل الأبيض يصلي فلم يلتفت إليه برصيصا أربعين يوماً فلما انفتل بعدها رآه قائماً يصلي فلما رأى برصيصا شدة اجتهاد الأبيض قال له ما حاجتك؟ قال حاجتي أن تأذن لي فأرتفع إليك فأذن له فارتفع إليه في صومعته فأقام حولاً يتعبد لا يفطر إلا في كل أربعين يوماً مرة ولا ينفتل عن صلاته إلا كذلك وربما مد إلى الثمانين فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت إليه نفسه وأعجبه شأن الأبيض فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصا إني منطلق فإن لي صاحباً غيرك ظننت أنك أشد اجتهاداً مما رأيت وكان يبلغنا عنك غير الذي رأيت فدخل من ذلك على برصيصا أمر شديد وكره مفارقته لما رأى من كثرة اجتهاد ولما ودعه الأبيض قال له إن عندي دعوات أعلمكها تدعو بهن فهو خير لك مما أنت فيه يشفي الله بها السقم ويعافي بها المبتلى والمجنون قال برصيصا أنا أكره هذه المنزلة لأن لي في نفسي شغلاً وإني أخاف إن علم الناس شغلوني عن العبادة فلم يزل به الأبيض حتى علمه ثم انطلق حتى أتى إبليس فقال قد والله أهلكت الرجل فانطلق الأبيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاء في صورة رجل متطبب فقال لأهله إن بصاحبكم جنوناً أفأعالجه؟ قالوا نعم فعالجه فلم يفد فقال لهم إني لا أقوى على جنته ولكن سأرشدكم إلى من يدعو الله فيعافيه انطلقوا إلى برصيصا فإن عنده الاسم الذي إذا دعا به أجيب قال انطلقوا إليه فسألوه ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان فكان الأبيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم إلى برصيصا فيدعو لهم فيعافون فانطلق الأبيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بني إسرائيل ولها ثلاثة إخوة وكان أبوهم هو الملك فلما مات استخلف أخاه فكان عم تلك الجارية ملك بني إسرائيل فخنقها وعذبها، ثم جاء إليهم كما كان يأتي الناس في صورة متطبب فقال لهم أعالجها؟ قالوا نعم فقال إن الذي عرض لها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم إلى من تثقون به تدعونها عنده فإذا جاء شيطانها دعا لها فإذا علمتم أنها قد عوفيت تردونها صحيحة قالوا ومن هو؟ قال برصيصا قالوا

الهند، فقال الأبيض لإبليس أنا أكفيك أمره، فانطلق فتزيّن بزينة الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه، وكان لا ينفتل عن صلاته إلّا في كل عشرة أيام ولا يفطر إلّا في عشرة أيام مرة، فلما رأى الأبيض أنه لا يُجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته، فلما انفتل برصيصاً اطّلع من صومعته فرأى الأبيض قائماً يصلّي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان، فلما رأى ذلك من حاله ندم في نفسه حين لم يجبه، فقال له: إنك ناديتني وكنت مشتغلاً عنك، فما حاجتك؟ قال: حاجتي أني أحببت أن أكون معك، فأتأدب بك وأقتبس من عملك وعلمك، ونجتمع على العبادة فتدعو لي وأدعو لك، فقال برصيصاً: إني لفي شغل عنك فإن كنت مؤمناً فإن الله سيجعل لك فيما أدعو للمؤمنين نصيباً إن استجاب لي، ثم أقبل على صلاته وترك الأبيض، وأقبل الأبيض يصلّي فلم يلتفت إليه برصيصاً أربعين يوماً بعدها، فلما انفتل رآه قائماً يصلّي فلما رأى برصيصاً شدّة اجتهاده قال له: ما حاجتك؟ قال: حاجتي أن تأذن لي فأرتفع إليك فأذِنَ له فارتفع إليه في صومعته، فأقام معه حولاً يتعبّد لا يفطر إلّا في كل أربعين يوماً ولا ينفتل عن صلاته إلّا في كل أربعين يوماً مرة، وربما مدّ إلى الثمانين، فلما رأى برصيصاً اجتهاده تقاصرت إليه نفسه وأعجبه شأن الأبيض، فلما حال الحَوْل قال الأبيض لبرصيصاً: إني منطلق فإن لي صاحباً غيرك ظننت أنك أشدّ اجتهاداً مما أرى، وكان يبلغنا عنك غير الذي رأيت، فدخل من ذلك على برصيصاً أمر شديد وكره مفارقته للذي رأى من شدّة اجتهاده، فلما ودّعه قال له الأبيض: إن عندي دعوات أُعلِّمكها تدعونهنّ فهنّ خير مما أنت فيه يشفي الله بها السقيم ويعافي بها المبتلي والمجنون، قال برصيصاً: إني أكره هذه المنزلة لأن لي في نفسي شغلاً وإني أخاف إن علم به الناس شغلوني عن العبادة، فلم يـزل به الأبيض حتى علمه، ثم انطلق حتى أتى إبليس فقال قد والله أهلكت الرجل، قال: فانطلق الأبيض فتعرّض لرجل فخنقه ثم جاء في صورة رجل متطبّب فقال

وكيف لنا أن يجيبنا إلى هذا وهو أعظم شأناً من ذلك قال فانطلقوا فابنوا صومعة إلى جنب صومعته حتى تشرف عليه فإن قبلها وإلا فضعوها في صومعتها وقولوا له هذه أمانة عندك فاحتسب أمانتك قال فانطلقوا فسألوه ذلك فأبى عليهم فبنوا صومعة على ما أمرهم الأبيض ثم انطلقوا فوضعوا الجارية في صومعتها وقالوا يا برصيصا هذه أختنا أمانة عندك فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا عن صلاته حتى عاين الجارية وما هي عليه من الجمال فوقعت في قلبه ودخل عليه أمر عظيم فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب الشيطان عنها ثم أقبل برصيصا على صلاته فجاءها الشيطان فخنقها فكانت تكشف عن نفسها وتتعرض لبرصيصا فجاءه الشيطان وقال له ويحك واقعها فلم تجد مثلها وستتوب بعد ذلك فتدرك ما تريد من الأمر فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل كذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل لك أن تقتلها وتتوب؟ فإن سألوك فقل ذهب بها شيطانها فلم أقف عليه فقتلها ثم انطلق بها فدفنها إلى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها بالليل فأخذ بطرف إزارها فبقي خارجاً من التراب ثم رجع برصيصا إلى صومعته وأقبل على صلاته إذ جاء إخوتها يتعاهدون أختهم وكانوا يجيئون في بعض الأيام يسألون عنها ويوصونه بها فقالوا يا برصيصا ما فعلت أختنا قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه فصدقوه وانصرفوا فلما أمسوا وهم مكروبون جاء الشيطان إلى أكبرهم في منامه فقال ويحك إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا وإنه دفنها في موضع كذا وكذا فقال هذا حلم وهو من الشيطان إن برصيصا خير من ذلك فتتابع

لأهله إن بصاحبكم جنوناً أفأُعالجه؟ قالوا: نعم، فقال لهم: إني لا أقوى على جِنّته ولكن سأُرشدكم إلى مَن يدعو الله فيعافيه، انطلقوا إلى برصيصاً فإن عنده الاسم الأعظم الذي إذا دعا به أُجيب، فانطلقوا إليه فسألوه ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان، فكان الأبيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم إلى برصيصاً، فيدعو فيُعافَون، فانطلق الأبيض فتعرّض لجارية من بنات ملوك بني إسرائيل بين ثلاثة إخوة وكان أبوهم ملكهم، فمات واستخلف أخاه فكان عمّها ملك بني إسرائيل، فعذّبها وخنقها ثم جاء إليهم في صورة متطبّب فقال لهم: أتريدون أن أُعالجها؟ قالوا: نعم، قال: إن الذي عرض لها مارد لا يُطاق، ولكن سأرشدكم إلى رجل تنفعون به تدعونها عنده إذا جاء شيطانها دعا لها حتى تعلموا أنها قد عُوفِيَت وتردّونها صحيحة، قالوا: ومَن هو؟ قال: برصيصاً، قالوا: وكيف لنا أن يجيبنا إلى هذا وهو أعظم شأناً من ذلك؟ قال: فانطلقوا فابنوا صومعة إلى جانب صومعته حتى تشرفوا عليه، فإن قبلها وإلا فضعوها في صومعته، ثم قولوا له هي أمانة عندك، فاحتسب فيها، قال: فانطلقوا إليه فسألوه فأبى عليهم، فبنوا صومعة على ما أمرهم الأبيض ووضعوا الجارية في صومعته، وقالوا هذه أُختنا أمانة فاحتسب فيها، ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصاً عن صلاته عاين الجارية وما بها من الحُسْن والجمال، فوقعت في قلبه ودخل عليه أمر عظيم، ثم أقبل في صلاته فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصاً بتلك الدعوات فذهب عنها الشيطان، ثم أقبل على صلاته فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصاً بتلك الدعوات، ثم أقبل على صلاته فجاءها الشيطان فخنقها، وكانت تكشف عن نفسها، فجاءه الشيطان وقال واقعها فستتوب بعد ذلك والله تعالى غفّار للذنوب والخطايا، فتدرك ما تريد من الأمر، فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها، فقال له الشيطان: ويحك يا برصيصاً قد افتضحت فهل لك أن تقتلها وتتوب، فإن سألوك فقل ذهب بها شيطانها فلم أقدر عليه، فدخل فقتلها ثم انطلق بها فدفنها إلى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها ليلاً فأخذ بطرف إزارها فبقي طرف خارجاً من التراب، ثم رجع برصيصاً إلى صومعته فأقبل على صلاته إذ جاء إخوتها يتعاهدون أُختهم وكانوا يجيئون في بعض الأيام يسألون عنها ويوصونه بها، فقالوا: يا برصيصاً ما فعلت أُختنا؟ قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه فصدّقوه وانصرفوا، فلما أمسوا وهم مكروبون جاء الشيطان إلى أكبرهم في منامه فقال ويحك إن برصيصاً فعل

عليه ثلاث ليال فلم يكترث به فانطلق الشيطان إلى أوسطهم فقال الأوسط مثل ما قال الأكبر ولم يخبر به أحداً فانطلق إلى أصغرهم بمثل ذلك قال الأصغر لأخويه والله لقد رأيت كذا وكذا فقال الأوسط أنا والله قد رأيت مثله فقال الأكبر أنا والله قد رأيت مثله فانطلقوا إلى برصيصا فقالوا يا برصيصا ما فعلت أختنا فقال أليس قد أعلمتكم بحالها فكأنكم قد اتهمتموني فقالوا لا والله لا نتهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان فقال ويحكم إنها لمدفونة في موضع كذا وكذا وإن طرف إزارها خرج من التراب فانطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوه في النوم فمشوا في مواليهم وغلمانهم معهم الفؤوس والمساحي فهدموا صومعة برصيصا وأنزلوه منها وكتفوه ثم انطلقوا به للملك فأقر على نفسه وذلك أن الشيطان أتاه فوسوس له فقال له تقتلها ثم تكابر يجتمع عليك أمران قتل ومكابرة اعترف فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب أتاه الأبيض فقال يا برصيصا أتعرفني؟ قال لا فقال أنا صاحبك الذي علمتك الدعوات وكنت إذا دعوت بهن يستجاب لك ويحك ما اتقيت الله في أمانتك خنت أهلها وإنك زعمت أنك أعبد بني إسرائيل أما استحيت فلم يزل يعيره ويعنفه حتى قال في آخر ذلك ألم يكفك ما صنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت أشباهك من الناس وفضحت نفسك فإن مت على هذه الحالة لن تفلح أبداً ولن يفلح أحد من نظرائك قال فكيف أصنع؟ قال تطيعني في خصلة واحدة حتى أخلصك مما أنت فيه فآخذ بأعينهم وأخرجك من مكانك قال وما هي؟ قال تسجد لي قال ما أستطيع أفعل قال بطرفك افعل فسجد له برصيصا فقال يا برصيصا هذا الذي أردت منك صارت عاقبة أمرك إلى أن كفرت بربك، ﴿فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين﴾ قال الله تعالى:

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾

﴿**فكان عاقبتهما**﴾ يعني الشيطان وذلك الإنسان ﴿**أنهما في النار خالدين فيها وذلك** جزاء **الظالمين**﴾ قال ابن

بأُختك كذا وكذا وإنه خاف منكم فقتلها ودفنها في موضع كذا وكذا فقال الأخ في نفسه هذا حلم وهو من عمل الشيطان، فإن برصيصاً خير من ذلك، قال فتتابع عليه ثلاث ليالٍ فلام يكترث، فانطلق إلى الأوسط بمثل ذلك فقال الأوسط مثل ما قاله الأكبر فلم يخبر أحداً فانطلق إلى أصغرهم بمثل ذلك فقال أصغرهم لأخويه والله لقد رأيت كذا وكذا، وقال الأوسط وأنا والله قد رأيت مثله، وقال الأكبر وأنا رأيت مثله، فانطلقوا إلى برصيصاً وقالوا: يا برصيصاً ما فعلت أُختنا؟ قال: أليس قد أعلمتكم بحالها فكأنكم اتهمتموني، فقالوا: والله لا نتّهمك واستحيوا منه فانصرفوا، فجاءهم الشيطان فقال: ويحكم إنها لمدفونة في موضع كذا وإن طرف إزارها خارج من التراب فانطلقوا فرأوا أُختهم على ما رأوا في النوم، فمشوا في مواليهم وغلمانهم ومعهم الفؤوس والمساحي فهدموا صومعته وأنزلوه ثم كتّفوه فانطلقوا به إلى الملك فأقرّ على نفسه، وذلك أن الشيطان أتاه فقال تقتلها ثم تكابر يجتمع عليك أمران قتل ومكابرة اعترف، فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة، فلما صُلِبَ أتاه الأبيض فقال: يا برصيصاً أتعرفني؟ قال: لا، قال: أنا صاحبك الذي علّمتـك الدعوات فاستُجيب لك ويحك ما اتّقيت الله في أمانتك خنت أهلها وإنك زعمت أنك أعبد بني إسرائيل، أما استحييت، فلم يزل يعيّره، ثم قال في آخر ذلك ألم يكفِك ما صنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت نفسك وفضحت أشباهك من الناس، فإن متّ على هذه الحالة لم يفلح أحد من نظرائك، قال: فكيف أصنع قال تطيعني في خصلة واحدة حتى أُنجيك مما أنت فيه فآخذ بأعينهم فأُخرجك من مكانك؟ قال: وما هي قال تسجد لي، قال ما أستطيع أفعل، قال: «بطرفك افعل فسجد له فقال يا برصيصاً هذا الذي كنت أردت منك صارت عاقبة أمرك إلى أن كفرت بربّك إني بريء منك ﴿ **إني أخاف الله ربّ العالمين** ﴾».

يقول الله تعالى: ﴿ **فكان عاقبتهما** ﴾، يعني الشيطان وذلك الإنسان ﴿ **أنهما في النار خالدين فيها وذلك**

عباس ضرب الله هذا المثل ليهود بني النضير والمنافقين من أهل المدينة وذلك أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ بإجلاء بني النضير فدس المنافقون إلى اليهود وقالوا لا تجيبوا محمداً إلى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم فإن قاتلكم فإنا معكم وإن أخرجكم خرجنا معكم فأجابوهم ودربوا على حصونهم وتحصنوا في ديارهم رجاء نصر المنافقين فخذلوهم وتبرؤوا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله فكان عاقبة الفريقين النار قال ابن عباس فكان الرهبان بعد ذلك لا يمشون في بني إسرائيل إلا بالتقية والكتمان وطمع أهل الفسق والفجور في الأحبار ورموهم بالبهتان والقبيح حتى كان من أمر جريج الراهب ما كان فلما برأه الله مما رموه به من الزنا انبسطت الرهبان بعده وظهروا للناس وكانت قصة جريج على ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى ابن مريم وصاحب جريج وصاحب يوسف وكان جريج رجلاً صالحاً عابداً فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته أمه وهو يصلي فيها فقالت يا جريج فقال يا رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته فقالت يا جريج فقال يا رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته فقالت يا جريج فقال يا رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر في وجوه المومسات فتذاكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها معهم، فقالت إن شئتم لأفتننه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأتت راعياً كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم فقالوا زنيت بهذه البغي فولدت منك فقال أين الصبي فجاؤوا فقال دعوني حتى أصلي فصلى؟ فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه وقال يا غلام من أبوك قال فلان الراعي قال فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا له نبني لك صومعتك من ذهب قال أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا وبينا صبي يرضع من أمه

جزاء الظالمين ﴾، قال ابن عباس ضرب الله هذا المثل ليهود بني النضير والمنافقين من أهل المدينة، وذلك أن الله عزّ وجلّ أمر نبيّه ﷺ بإجلاء بني النضير عن المدينة فدسّ المنافقون إليهم، وقالوا: لا تجيبوا محمداً إلى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم فإن قاتلكم فإنّا معكم وإن أخرجكم خرجنا معكم، فأجابوهم ودُرِّبوا على حصونهم وتحصّنوا في ديارهم رجاء نصر المنافقين، حتى جاءهم النبي ﷺ فناصبوه الحرب يرجون نصر المنافقين، فخذلوهم وتبرؤوا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصاً وخذله، فكان عاقبة الفريقين النار. قال ابن عباس رضي الله عنه: فكان الرهبان بعد ذلك في بني إسرائيل لا يمشون إلّا بالتّقية والكتمان، وطمع أهل الفسوق والفجور في الأحبار ورموهم بالبهتان والقبيح حتى كان أمر جريج الراهب، فلما برّأه الله مما رموا به انبسطت بعده الرهبان وظهروا للناس، وكانت قصة جريج على ما أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجّاج حدّثني زهير بن حرب ثنا يزيد بن هارون أنا جرير بن حازم ثنا محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لم يتكلم في المهد إلّا ثلاثة عيسى ابن مريم عليه السلام وصاحب جريج وصاحب يوسف وكان جريج رجلاً عابداً فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته أمه وهو يصلّي فقالت: يا جريج، فقال: يا رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته، فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلّي، فقالت: يا جريج، فقال: أيْ ربِّ أُمي وصلاتي؟ فأقبل على صلاته، فقالت اللّهمّ لا تُمِتْه حتى ينظر إلى وجوه المومسات، فتذاكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته وكانت امرأة بغي يتمثّل بحُسْنها، فقالت: إن شئتم لأفتننه لكم قال فتعرّضت له فلم يلتفت إليها، فأتت راعياً كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت: هو من جريج، فأتوه فاستنزلوه من صومعته وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زنيت بهذه البغية فولدت منك، فقال: أين الصبي؟ فجاؤوا به، فقال دعوني حتى أُصلّي فصلّى فلما انصرف أتى الصبي وطعن في بطنه

فمر رجل راكب على دابة فارهة ذو شارة حسنة فقالت أمه اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الثدي وأقبل عليه فنظر إليه فقال اللهم لا تجعلني مثل هذا ثم أقبل على ثديه فجعل يرضع قال فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبابة في فيه فجعل يمصها قال ومر بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت وهي تقول حسبي الله ونعم الوكيل فقالت أمه اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاع ونظر إليها فقالت اللهم اجعلني مثلها فهنالك تراجعا الحديث، فقالت مر رجل حسن الهيئة فقالت اللهم اجعل إبني مثله فقلت اللهم لا تجعلني مثله ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت فقلت اللهم لا تجعل ابني مثلها فقلت اللهم اجعلني مثلها فقال إن ذلك الرجل كان جباراً فقلت اللهم لا تجعلني مثله وإن هذه يقولون لها زنيت ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت اللهم اجعلني مثلها» أخرجه مسلم بتمامه وهذا لفظه وأخرجه البخاري مفرقاً حديث جريج تعليقاً وحديث المرأة وابنها خاصة.

المومسات الزواني جمع مومسة وهي المرأة الفاجرة والبغي الزانية أيضاً وقوله يتمثل بحسنها أي يتعجب منه ويضرب به المثل وقوله ذو شارة حسنة أي صاحب جمال ظاهر في الهيئة والملبس والمركب ونحو ذلك والجبار العاتي المتكبر القاهر للناس.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾
وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ
ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ
ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ
ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾** أي لينظر أحدكم إلى شيء قدم لنفسه من الأعمال عملاً صالحاً ينجيه أم سيئاً يوبقه والمراد بالغد يوم القيامة وقربه على الناس كان يوم القيامة يأتي غداً وكل ما

وقال: يا غلام مَن أبوك؟ قال: فلان الراعي، قال فأقبلوا على جريح يقبّلونه ويتمسّحون به، وقالوا نبني لك صومعتك من ذهب، قال: لا أعيدوها من طين كما كانت، ففعلوا. وبينا صبي يرضع من أمه فمرّ رجل راكب على دابّة فارهة وشارة حسنة فقالت أُمه اللّهمَّ اجعل ابني مثل هذا فترك الثدي وأقبل عليه ونظر إليه فقال اللّهمَّ لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديه فجعل يرضع، قال فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبّابة في فمه، فجعل يمصّها، قال: ومرّوا بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت وهي تقول حسبي الله ونِعْمَ الوكيل، فقالت أُمه اللّهمَّ لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاع ونظر إليها فقال: اللّهمَّ اجعلني مثلها، فهناك تراجعا الحديث، فقالت مرّ رجل حسن الهيئة فقلتُ اللّهمَّ اجعل ابني مثله، فقلت: اللّهمَّ لا تجعلني مثله، ومرّوا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت، فقلتُ: اللّهمَّ لا تجعل ابني مثلها، فقلت: اللّهمَّ اجعلني مثلها، قال: إن ذاك الرجل كان جبّاراً فقلت اللّهمَّ لا تجعلني مثله، وإن هذه يقولون لها زنيت ولم تزنِ وسرقتِ ولم تسرق، فقلت اللّهمَّ اجعلني مثلها».

قوله عزّ وجلّ: **﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظرْ نفسٌ ما قدّمت لغد ﴾**، يعني ليوم القيامة، أي لينظر

هو آت فهو قريب، ﴿**واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون**﴾ قيل كرر الأمر بالتقوى تأكيداً وقيل معنى الأول اتقوا الله في أداء الواجبات ومعنى الثاني واتقوا الله فلا تأتوا المنهيات ﴿**ولا تكونوا كالذين نسوا الله**﴾ أي تركوا أمر الله ﴿**فأنساهم أنفسهم**﴾ أي أنساهم حظوظ أنفسهم حتى لم يقدموا لها خيراً ينفعها وعنده ﴿**أولئك هم الفاسقون لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون**﴾ لما أرشد المؤمنين إلى ما يصلحهم بقوله «ولتنظر نفس ما قدمت لغد هدد الكافرين بقوله نسوا الله فأنساهم أنفسهم بين الفرق بين الفريقين بقوله لا يستوي أصحاب النار يعني الذين هم في العذاب الدائم وأصحاب الجنة يعني الذين هم في النعيم المقيم ثم أتبعه بقوله أصحاب الجنة هم الفائزون ومعلوم أن من جعل له النعيم المقيم فقد فاز فوزاً عظيماً.

قوله تعالى: ﴿**لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله**﴾ قيل معناه أنه لو جعل في الجبل تمييزاً وعقلاً كما جعل فيكم وأنزل عليه القرآن لخشع أي تطأطأ وخضع وتشقق وتصدع من خشية الله والمعنى أن الجبل مع صلابته ورزانته مشقق من خشية الله، وحذر من أن لا يؤدي حق الله تعالى في تعظيم القرآن والكافر مستخف بحقه معرض عما فيه من العبر والأحكام كأنه لم يسمعها.

وصفه بقساوة القلب فهو غافل عما يتضمنه القرآن من المواعظ والأمثال والوعيد وتمييز الحق من الباطل والواجب مما لا يجب بأحسن بيان وأوضح برهان ومن وقف على هذا وفهمه أوجب له الخشوع والخشية وهذا تمثيل لأن الجبل لا يتصور منه الخشوع والخشية إلا أن يخلق الله تعالى له تمييزاً وعقلاً يدل على أنه تمثيل.

قوله تعالى: ﴿**وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون**﴾ أي الغرض من هذا التمثيل التنبيه على فساد قلوب هؤلاء الكفار وقساوتها وغلظ طباعهم.

ولما وصف القرآن بالعظم أتبعه بوصف عظمته فقال تعالى: ﴿**هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة**﴾ يعني أنه تعالى أعلم بما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه وعلم ما شاهدوه وما علموه وقيل استوى في علمه تعالى السر والعلانية والموجود والمعدوم وقيل علم حال الدنيا والآخرة ﴿**هو الرحمن الرحيم**﴾ اسمان مشتقان اشتقاقهما من الرحمة وهما صفتان لله تعالى ومعناهما ذو الرحة ورحمة الله إرادته الخير والنعمة والإحسان إلى خلقه وقيل إن الرحمن أشد مبالغة من الرحيم ولهذا قيل هو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لأن إحسانه تعالى في الدنيا يعم المؤمن والكافر وفي الآخرة يختص إحسانه وإنعامه بالمؤمنين ﴿**هو الله الذي لا إله إلا هو الملك**﴾ أي المتصرف بالأمر والنهي في جميع خلقه المالك لهم فهم تحت ملكه وقهره وإرادته ﴿**القدوس**﴾ أي الطاهر عن كل عيب المنزه عما لا يليق به وقيل هو الذي كثرت بركته ﴿**السلام**﴾ أي الذي سلم من النقائص وكل آفة تلحق الخلق.

أحدكم أيّ شيء قدّم لنفسه عملاً صالحاً يُنجيه أم سيئاً يوبقه، ﴿ **واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون** ﴾.

﴿ **ولا تكونوا كالذين نسوا الله** ﴾، تركوا أمر الله، ﴿ **فأنساهم أنفسهم** ﴾، أي حظوظ أنفسهم حتى لم يقدّموا لها خيراً، ﴿ **أولئك هم الفاسقون** ﴾.

﴿ **لا يستوي أصحابُ النار وأصحابُ الجنة أصحابُ الجنة هم الفائزون** ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله** ﴾، قيل: لو جعل في الجبل تمييز وأنزل عليه القرآن لخشع وتشقّق وتصدّع من خشية الله مع صلابته ورزانته، حذراً من أن لا يؤدّي حق الله عزّ وجلّ في تعظيم القرآن، والكافر يعرض عمّا فيه من العِبَر كأن لم يسمعها، يصفه بقساوة القلب، ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس لعلّهم يتفكّرون** ﴾.

فإن قلت على هذا التفسير لا يبقى بين القدوس والسلام فرق فيكون كالتكرار وذلك لا يليق بفصاحة القرآن.

قلت الفرق بينهما أن القدوس إشارة إلى براءته عن جميع العيوب والنقائص في الماضي والحاضر والسلام إشارة إلى أنه لا يطرأ عليه شيء من العيوب والنقائص في المستقبل فإن الذي يطرأ عليه شيء من ذلك تزول سلامته ولا يبقى سليماً، وقيل السلام أي سلم خلقه ممن ظلمه، ﴿المؤمن﴾ قال ابن عباس هو الذي أمن الناس من ظلمه وأمن من آمن به من عذابه وقيل هو المصدق لرسله بإظهار المعجزات لهم والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب وبما أوعد الكافرين من العذاب ﴿المهيمن﴾ قال ابن عباس أي الشهيد على عباده بأعمالهم الذي لا يغيب عنه شيء وقيل هو القائم على خلقه برزقه وأنشد في معناه:

ألا إن خيـر النـاس بعـد نبيـه مهيمنـه التـاليـه فـي العـرب والنكـر

أي القائم على الناس بعده وقيل هو الرقيب الحافظ، وقيل هو المصدق وقيل هو القاضي وقيل هو بمعنى الأمين والمؤتمن وقيل بمعنى العلي ومنه قول العباس يمدح النبي ﷺ في أبيات منها:

حتـى احتـوى بينـك المهيمـن مـن خنـدف عليـاً زانهـا النطـق

وقيل: المهيمن اسم من أسماء الله تعالى هو أعلم بتأويله وأنشدوا في معناه:

جـل المهيمـن عـن صفـات عبيـده ولقـد تعـالى عـن عقـول أولـي النهـى

رامـوا بـزعمهـم صفـات مليكهـم والـوصـف يعجـز عـن مليـك لا يـرى

﴿العزيز﴾ أي الذي لا يوجد له نظير وقيل الغالب القاهر ﴿الجبار﴾ قال ابن عباس الجبار هو العظيم وجبروت الله عظمته فعلى هذا هو صفة ذات وقيل هو من الجبر يعني الذي يغني الفقير ويجبر الكسير فعلى هذا هو صفة فعل وهو سبحانه وتعالى كذلك يجبر كل كسير ويغني كل فقير وقيل هو الذي يجبر الخلق ويقهرهم على ما أراد: وسئل بعضهم عن معنى الجبار فقال هو القهار الذي إذا أراد أمراً فعله لا يحجزه عنه حاجز وقيل الجبار هو الذي لا ينال ولا يداني والجبار في صفة الله تعالى صفة مدح وفي صفة الناس صفة ذم وكذلك ﴿المتكبر﴾ في صفة الناس صفة ذم لأن المتكبر هو الذي يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص في حقه لأنه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فإذا أظهر الكبر كان كذاباً في فعله فكان مذموماً في حق الناس وأما المتكبر في صفة الله تعالى فهو صفة مدح لأن له جميع

﴿ هو الله الذي لا إله إلّا هو عالم الغيب والشهادة ﴾ الغيب ما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه، والشهادة ما شاهدوه وما علموه، ﴿ هو الرحمن الرحيم ﴾.

﴿ هو الله الذي لا إله إلّا هو الملك القدّوس ﴾، الطاهر من كل عيب المنزّه عمّا لا يليق به، ﴿ السلام ﴾، الذي سَلِمَ من النقائص، ﴿ المؤمن ﴾، قال ابن عباس: هو الذي أَمِنَ الناس من ظلمه وأَمِنَ مَن آمن به من عذابه، هو من الأمان الذي هو ضدّ التخويف كما قال: ﴿ وآمنهم من خوف ﴾ [قريش: ٤]، وقيل: معناه الصدق لرسله بإظهار المعجزات، والمصدِّق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب، وللكافرين بما أوعدهم من العقاب. ﴿ المهيمن ﴾، الشهيد على عباده بأعمالهم، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي ومقاتل، يقال: هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيباً على الشيء، وقيل: هو في الأصل مؤيمن قلبت الهمزة هاء، كقولهم أرقت وهرقت، ومعناه المؤمن، وقال الحسن: الأمين. وقال الخليل: هو الرقيب الحافظ. وقال ابن زيد: المصدّق. وقال سعيد بن المسيب والضحّاك: القاضي. وقال ابن كيسان: هو اسم من أسماء الله تعالى في الكتب والله أعلم بتأويله. ﴿ العزيز الجبّار ﴾، قال ابن عباس: الجبّار هو العظيم، وجبروت الله عظمته، وهو على هذا القول صفة ذات الله،

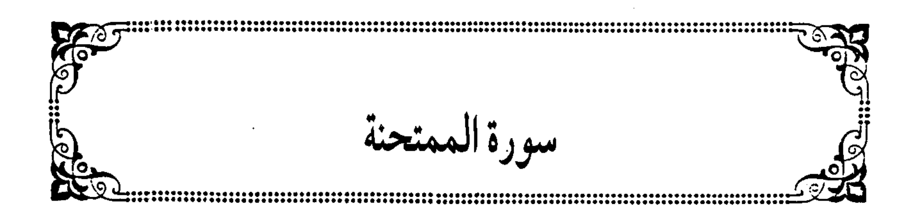
صفات العلو والعظمة ولهذا قال في آخر الآية ﴿سبحان الله عما يشركون﴾ كأنه قيل إن بعض الخلق يتكبر فيكون ذلك نقصاً في حقه أما الله تعالى فله العلو والعظمة والعزة والكبرياء فإن أظهر ذلك كان ضم كمال إلى كمال قال ابن عباس المتكبر هو الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله وقيل هو الذي تكبر عن كل سوء وقيل هو المتعظم عما لا يليق بجماله وجلاله وقيل هو المتكبر عن ظلم عباده وقيل الكبر والكبرياء الامتناع، وقيل هو ذو الكبرياء وهو الملك سبحان الله عما يشركون أي من ادعاء الكبر لأنفسهم.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

﴿هو الله الخالق﴾ أي المقدر لما يوجده فهو سبحانه وتعالى قدر أفعاله على وجوه مخصوصة فهو راجع إلى الإرادة، وقيل المقدر لقلب الشيء بالتدبير إلى غيره ﴿البارىء﴾ أي المخترع المنشىء للأعيان من العدم إلى الوجود ﴿المصور﴾ أي الذي يخلق صورة الخلق على ما يريده وقيل معناه الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض وقيل الخالق المبدىء للخلق المخترع له على غير مثال سبق البارىء المنشىء لما يريد بخلقه فيظهره من العدم إلى الوجود المصور لما خلقه وأنشأه على صور مختلفة وأشكال متباينة وقيل معنى التصوير التخطيط والتشكيل فأولاً يكون خلقاً ثم برءاً ثم تصويراً وإنما قدم الخالق على البارىء لأن تأثير الإرادة مقدم على تأثير القدرة وقدم البارىء على المصور لأن إيجاد الذات مقدم على إيجاد الصفات ﴿له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث الآيات من آخر سورة الحشر وكل به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي فإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً ومن قالها حين يمسي كان كذلك» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب والله أعلم.

وقيل: هو من الجبر وهو الإصلاح، يقال: جبرت الكسر والأمر، وجبرت العظم إذا أصلحته بعد الكسر، فهو يغني الفقير ويُصلح الكسير. وقال السدي ومقاتل: هو الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما أراد. وسأل بعضهم عن بعض عن معنى الجبار فقال: هو القهّار الذي إذا أراد أمراً فعله لا يحجزه عنه حاجز. ﴿ المتكبّر ﴾، الذي تكبّر عن كل سوء. وقيل: المتعظّم عمّا لا يليق به وأصل الكبر والكبرياء الامتناع. وقيل: ذو الكبرياء وهو الملك، ﴿ **سبحان الله عمّا يشركون** ﴾.

﴿**هو الله الخالق**﴾، المقدّر والمقلّب للشيء بالتدبير إلى غيره، كما قال يخلقكم في بطون أُمهاتكم خلقاً من بعد خلق، ﴿ **البارىء** ﴾، المنشىء للأعيان من العدم إلى الوجود ﴿ **المصوّر** ﴾، الممثّل للمخلوقات بالعلامات التي يتميّز بعضها عن بعض. يقال: هذه صورة الأمر أي مثاله، فأولاً يكون خلقاً ثم برءاً ثم تصويراً. ﴿ **له الأسماء الحسنى يسبّح له ما في السمٰوات والأرض وهو العزيز الحكيم** ﴾، أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن شيبة ثنا ابن وهب ثنا أحمد بن أبي شريح وأحمد بن منصور الرمادي قالا أنا أبو أحمد الرمادي قالا أنا أبو أحمد الزبيري ثنا خالد بن طهمان حدّثني نافع بن أبي نافع عن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «مَن قال حين يُصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ الثلاث الآيات من آخر سورة الحشر وُكّل به سبعين ألف مَلَك يصلّون عليه حتى يُمسي، فإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً، ومَن قال حين يُمسي كان بتلك المنزلة» ورواه أبو عيسى عن محمود بن غيلان عن أبي أحمد الزبيري بهذا الإسناد، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلّا من هذا الوجه.



سورة الممتحنة

(مدنية وهي ثلاث عشرة آية وثلاثمائة وثمان وأربعون كلمة وألف وخمسمائة وعشرة أحرف)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ
يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ
وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾

قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ الآية (ق) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال «بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة فقلنا أخرجي الكتاب فقالت ما معي من كتاب فقلنا لتخرجي الكتاب أو لنلقين الثياب فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبي ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ يا حاطب ما هذا فقال يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرأً ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي وما فعلته كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ إنه قد صدقكم فقال عمر دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله ﷺ إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقالوا اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء إلى قوله سواء السبيل﴾

سُوْرَة المُمْتَحَنَة

مدنيّة وهي ثلاث عشرة آية.

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء ﴾، الآية أخبرنا عبد الواحد المليحي ثنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا سفيان عن عمرو بن دينار أخبرني الحسن بن محمد أنه سمع عبد الله بن أبي رافع يقول سمعت عليّاً رضي الله عنه يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها»، قال: فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة، فقلنا أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي كتاب فقلنا لتخرجنّ الكتاب أو لتلقينّ الثياب، قال: فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال: «يا حاطب ما هذا»؟ قال: يا رسول الله لا تعجل عليّ

روضة خاخ موضع بقرب حمراء الأسد من المدينة وقيل إنه موضع قريب من مكة والأول أصح والظعينة المرأة المسافرة سميت بذلك لملازمتها الهودج والعقاص الشعر المضفور قال المفسرون نزلت هذه الآية في حاطب بن أبي بلتعة كما جاء في الحديث وذلك أن سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف أتت المدينة من مكة ورسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله ﷺ أمسلمة جئت؟ قالت لا قال أمهاجرة جئت؟ قالت لا قال فما جاء بك؟ قالت كنتم الأهل والعشيرة والموالي وقد ذهبت موالي وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني فقال لها وأين أنت من شباب مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر فحث عليها بني عبد المطلب فأعطوها نفقة وكسوها وحملوها فأتاها حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزي فكتب معها إلى أهل مكة وأعطاها عشرة دنانير وكساها برداً على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة وكتب في الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة إن رسول الله ﷺ يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام فأخبر النبي ﷺ بما فعل فبعث رسول الله ﷺ علياً وعماراً والزبير وطلحة والمقداد بن الأسود وأبا مرثد فرساناً فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظغينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها وإن لم تدفعه لكم فاضربوا عنقها فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله ﷺ فقالوا لها أين الكتاب؟ فحلفت بالله ما معها من كتاب فبحثوا وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتاباً فهموا بالرجوع،

إني كنت امرأً ملصقاً في قريش، يقول كنت حليفاً ولم أكن من أنفسها، وكان مَن معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رِضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «أما أنه قد صدقكم»، فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال إنه شهد بدراً وما يُدريك لعلّ الله اطّلع على مَن شهد بدراً فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، فأنزل الله تعالى هذه السورة: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء تُلقون إليهم بالمودّة** ﴾ إلى قوله: ﴿ **سواء السبيل** ﴾، قال المفسّرون: نزلت الآية في حاطب بن أبي بلتعة كما جاء في الحديث، وذلك أن سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف أتت المدينة من مكة، ورسول الله ﷺ يتجهّز لفتح مكة، فقال لها رسول الله ﷺ: «أمسلمة جئت»؟ قالت: لا، قال: «أمهاجرة جئت»؟ قالت: لا، قال: «فما جاء بك»؟ قالت: كنتم الأصل والعشيرة والموالي وقد ذهبت مواليّ وقد احتجت حاجة شديدة فقَدِمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني، فقال لها: «وأين أنت من شبّان مكة»؟ وكانت مغنيّة نـائحة، قـالت: ما طُلِبَ منّي شيء بعد وقعة بدر، فحثّ رسول الله ﷺ بني عبد المطّلب وبني المطّلب فأعطوها نفقة وكسوها وحملوها، فأتاها حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزّى، فكتب معها إلى أهل مكة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بُرداً على أن تُوصِل الكتاب إلى أهل مكة، وكتب في الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة إن رسول الله ﷺ يريدكم فخذوا حذركم، فخرجت سارة، ونزل جبريل فأخبر النبي ﷺ بما فعل فبعث رسول الله ﷺ عليّاً وعمّاراً والزبير وطلحة والمقداد بن الأسود وأبا مرثد فرساً، فقال لهم: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين، فخذوه منها وخلّوا سبيلها، وإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها»، قال: فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله ﷺ، فقالوا لها: أين الكتاب فحلفت بالله ما معها كتاب فبحثوها وفتّشوا متاعها فلم يجدوا معها كتاباً، فهمّوا بالرجوع، فقال عليٌّ رضي الله عنه: والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله ﷺ وسَلّ سيفه فقال أخرجي الكتاب وإلاّ لأجرّدَنّك ولأضربنّ عنقك، فلما رأت الجِدّ أخرجته من ذؤابتها، وكانت قد خبّأته في شعرها، فخلّوا سبيلها ولم يتعرّضوا لها ولا لما معها، فرجعوا بالكتاب إلى رسول

فقال علي والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله ﷺ وسل السيف وقال أخرجي الكتاب وإلا لأجردنك ولأضربن عنقك فلما رأت الجد أخرجته من ذوائبها وكانت قد خبأته في شعرها فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ فأرسل رسول الله ﷺ إلى حاطب فأتاه فقال له هل تعرف الكتاب قال نعم قال فما حملك على ما صنعت؟ فقال والله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريباً منهم وكان أهلي بين ظهرانيهم فخشيت على أهلي فأردت أن أتخذ لي عندهم يداً وقد علمت أن الله تعالى ينزل بهم بأسه وأن كتابي لا يغني عنهم شيئاً فصدقه رسول الله ﷺ وعذره فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله ﷺ وما يدريك يا عمل لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله في شأن حاطب بن أبي بلتعة: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء يعني أصدقاء وأنصاراً ﴿**تلقون إليهم بالمودة**﴾ أي بأسباب المحبة وقيل معناه تلقون إليهم أخبار النبي ﷺ وسره بالمودة التي بينكم وبينهم ﴿**وقد كفروا**﴾ أي وحالهم أنهم كفروا ﴿**بما جاء من الحق**﴾ يعني القرآن ﴿**يخرجون الرسول وإياكم**﴾ يعني من مكة ﴿**أن تؤمنوا**﴾ أي لأن آمنتم، كأنه قال يفعلون ذلك لإيمانكم ﴿**بالله ربكم إن كنتم خرجتم**﴾ هذا شرط جوابه متقدم والمعنى إن كنتم خرجتم ﴿**جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي**﴾ فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء.

وقوله: ﴿**تسرون إليهم بالمودة**﴾ أي بالنصيحة ﴿**وأنا أعلم بما أخفيتم**﴾ أي من المودة للكفار ﴿**وما أعلنتم**﴾ أي أظهرتم بألسنتكم منها ﴿**ومن يفعله منكم**﴾ أي الإسرار وإلقاء المودة إليهم فقال: ﴿**فقد ضل سواء السبيل**﴾ أي أخطأ طريق الهدى ثم أخبر عن عداوة الكفار فقال تعالى:

إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ

الله ﷺ فأرسل رسول الله ﷺ إلى حاطب، فأتاه فقال: «هل تعرف الكتاب»؟ قال: نعم، قال: «فما حالك على ما صنعت»؟ فقال: يا رسول الله والله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلاّ وله بمكة مَن يمنع عشيرته وكنت غريباً فيهم، وكان أهلي بين ظهرانيهم، فخشيت على أهلي، فأردت أن أتخذ عندهم يداً وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه، وأن كتابي لا يُغني عنهم شيئاً، فصدّقه رسول الله ﷺ وعذره، فقام عمر بن الخطاب فقال: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك يا عمر لعلّ الله قد اطّلع على أهل بدر؟ فقال لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، فأنزل الله عزّ وجلّ في شأن حاطب: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتّخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء** ﴾، ﴿ **تلقون إليهم بالمودّة** ﴾، قيل: أي المودّة، والباء زائدة كقوله: ﴿ ومَن يُرِد فيه بإلحاد بظلم ﴾ [الحج: ٢٥]، وقال الزجّاج: معناه تلقون إليهم أخبار النبي ﷺ، وسرّه بالمودّة التي بينكم وبينهم، ﴿ **وقد كفروا** ﴾، الواو للحال أي وحالهم أنهم كفروا، ﴿**بما جاء من الحق** ﴾، يعني القرآن ﴿ **يخرجون الرسول وإيّاكم** ﴾، من مكة، ﴿ **أن تؤمنوا** ﴾، أي لأن آمنتم، كأنه قال يفعلون ذلك لإيمانكم، ﴿ **بالله ربكم إن كنتم خرجتم** ﴾، هذا شرط جوابه متقدّم وهو قوله: ﴿ **لا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء تلقون إليهم بالمودّة وقد كفروا بما جاءكم من الحق إن كنتم خرجتم** ﴾، ﴿ **جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرّون إليهم بالمودّة** ﴾، قال مقاتل بالنصيحة، ﴿ **وأنا أعلم بما أخفيتم** ﴾، من المودّة للكفّار، ﴿ **وما أعلنتم** ﴾، أظهرتم بألسنتكم ومَن يفعله منكم ﴿ **فقد ضلّ سواء السبيل** ﴾، أخطأ طريق الهدى.

وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٥﴾

﴿إن يثقفوكم﴾ أي يظفروا بكم ويروكم **﴿يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء﴾** أي بالضرب والقتل والشم والسب **﴿وودوا﴾** أي تمنوا **﴿لو تكفرون﴾** أي ترجعون إلى دينهم كما كفروا والمعنى أن أعداء الله لا يخلصون المودة لأولياء الله ولا يناصحونهم لما بينهم من الخلاف فلا تناصحوهم أنتم ولا توادوهم **﴿لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم﴾** أي لا يدعونكم ولا يحملنكم ذوو أرحامكم وقراباتكم وأولادكم الذين بمكة إلى خيانة رسول الله ﷺ والمؤمنين وترك مناصحتهم ونقل أخبارهم وموالاة أعدائهم فإنه لا تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم الذين عصيتم الله لأجلهم **﴿يوم القيامة يفصل بينكم﴾** أي يدخل أهل طاعته الجنة وأهل معصيته النار **﴿والله بما تعملون بصير﴾** قوله تعالى: **﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم﴾** يخاطب حاطباً والمؤمنين ويأمرهم بالاقتداء بإبراهيم عليه الصلاة والسلام، **﴿والذين معه﴾** أي من أهل الإيمان **﴿إذ قالوا لقومهم﴾** يعني المشركين **﴿إنا برآء منكم﴾** جمع بريء **﴿ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم﴾** أي جحدناكم وأنكرنا دينكم **﴿وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده﴾** والمعنى أن إبراهيم عليه السلام وأصحابه تبرؤوا من قومهم وعادوهم لكفرهم فأمر حاطباً والمؤمنين أن يتأسوا بهم **﴿إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك﴾** يعني لكم أن تتأسوا بإبراهيم في جميع أموره إلا في الاستغفار لأبيه المشرك فلا تتأسوا به فإن إبراهيم كان قد قال لأبيه لأستغفرن لك فلما تبين له إقامته على الكفر تبرأ منه **﴿وما أملك لك**

﴿ إن يَثْقَفُوكم ﴾، يظفروا بكم ويروكم، **﴿ يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم ﴾**، بالضرب والقتل، **﴿ وألسنتهم بالسوء ﴾**، بالشتم، **﴿ وودّوا لو تكفرون ﴾**، كما كفروا يقول لا تناصحوهم فإنهم لا يناصحونكم ولا يوادّونكم.

﴿ لن تنفعكم أرحامكم ﴾، معناه لا يدعونكم ولا يحملنّكم ذوو أرحامكم وقراباتكم وأولادكم التي بمكة إلى خيانة الرسول ﷺ والمؤمنين وترك مناصحتهم وموالاة أعدائهم فلن تنفعكم أرحامكم، **﴿ ولا أولادكم ﴾**، الذين عصيتم الله لأجلهم، **﴿ يوم القيامة يفصل بينكم ﴾**، فيدخل أهل طاعته الجنة وأهل معصيته النار، قرأ عاصم ويعقوب **﴿ يفصل ﴾** بفتح الياء وكسر الصاد مخففاً وقرأ حمزة والكسائي بضمّ الياء وكسر الصاد مشدّداً، وقرأ ابن عامر بضم الياء وفتح الصاد مشدّداً، وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الصاد مخفّفاً. **﴿ والله بما تعملون بصير ﴾**.

﴿ قد كانت لكم أُسوة ﴾، قدوة، **﴿ حسنة في إبراهيم والذين معه ﴾**، من أهل الإيمان **﴿ إذْ قالوا لقومهم ﴾**، من المشركين، **﴿ إنّا برآء منكم ﴾**، جمع بريء، **﴿ ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم ﴾**، جحدنا وأنكرنا دينكم، **﴿ وبدَا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾**، يأمر حاطباً والمؤمنين بالاقتداء بإبراهيم عليه الصلاة والسلام، والذين معه من المؤمنين في التبرؤ من المشركين، **﴿ إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرنّ لك ﴾**، يعني لكم أسوة حسنة في إبراهيم وأموره إلاّ في استغفاره لأبيه المشرك فإن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان قد قال لأبيه لأستغفرنّ لك، ثم تبرّأ منه على ما ذكرناه في سورة التوبة، **﴿ وما أملك لك من الله من شيء ﴾**، يقول إبراهيم لأبيه ما أغني عنك ولا أدفع عنك عذاب الله إن عصيته وأشركت به، **﴿ ربنا عليك توكلنا ﴾**، يقوله إبراهيم ومَن معه من المؤمنين، **﴿ وإليك أنبنا وإليك المصير ﴾**.

من الله من شيء﴾ هذا من قول إبراهيم لأبيه يعني ما أغني عنك ولا أدفع عنك عذاب الله إن عصيته وأشركت به وإنما وعده بالاستغفار رجاء إسلامه وكان من دعاء إبراهيم ومن معه من المؤمنين ﴿**ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا**﴾ أي لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق، وقيل معناه لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم ذلك ﴿**واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم**﴾.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾

۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ

يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾

﴿**لقد كان لكم فيهم**﴾ يعني في إبراهيم ومن معه ﴿**أسوة حسنة**﴾ أي اقتداء حسن ﴿**لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**﴾ أي إن هذه الأسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة ﴿**ومن يتول**﴾ أي يعرض عن الإيمان ويوالي الكفار ﴿**فإن الله هو الغني**﴾ أي عن خلقه ﴿**الحميد**﴾ أي إلى أهل طاعته وأوليائه فلما أمر الله المؤمنين بعداوة الكفار عادى المؤمنون أقرباءهم المشركين وأظهروا لهم العداوة والبراءة وعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك فأنزل الله تعالى ﴿**عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم**﴾ أي من كفار مكة ﴿**مودة**﴾ ففعل الله تعالى ذلك بأن أسلم كثير منهم فصاروا لهم أولياء وإخواناً وخالطوهم وناكحوهم وتزوج النبي ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان ولان لهم أبو سفيان ﴿**والله قدير**﴾ أي علي جعل المودة بينكم ﴿**والله غفور رحيم**﴾ أي لمن تاب منهم وأسلم ثم رخص في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال تعالى: ﴿**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم**﴾ أي لا ينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم ﴿**وتقسطوا إليهم**﴾ أي وتعدلوا فيهم بالإحسان إليهم والبر ﴿**إن الله**

﴿ **ربّنا لا تجعلنا فتنةً للذين كفروا** ﴾، قال الزجّاج: لا تظهرهم علينا فيظنّوا أنهم على الحق فيفتتنوا. وقال مجاهد: لا تعذّبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولون لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم ذلك. ﴿ **واغفرْ لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم** ﴾.

﴿ **لقد كان لكم فيهم** ﴾، أي في إبراهيم ومَن معه ﴿ **أُسوة حسنة لمَن كان يرجوا الله واليوم الآخر** ﴾، هذا بدلٌ من قوله لكم وبيان أن هذه الأسوة لمَن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة، ﴿ **ومَن يتولَّ** ﴾، يعرض عن الإيمان ويوالِ الكفّار، ﴿ **فإن الله هو الغني** ﴾، عن خلقه، ﴿ **الحميد** ﴾، فولّى أوليائه وأهل طاعته. قال مقاتل: فلما أمر الله المؤمنين بعداوة الكفّار عادى المؤمنون أقرباءهم المشركين وأظهروا لهم العداوة والبراءة، ويعلم الله شدّة وَجْد المؤمنين بذلك فأنزل الله:

﴿ **عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم** ﴾، أي من كفّار مكة، ﴿ **مودّة** ﴾، ففعل الله ذلك بأن أسلم كثير منهم فصاروا لهم أولياء وإخواناً وخالطوهم وناكحوهم، ﴿ **والله قدير، والله غفور رحيم** ﴾، ثم رخّص الله تعالى في صلة الذين لم يُعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال:

﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم** ﴾، أي لا ينهاكم الله عن برّ الذين لم يقاتلوكم، ﴿ **وتقسطوا إليهم** ﴾، تعدلوا فيهم بالإحسان والبرّ، ﴿ **إن الله يحبّ المقسطين** ﴾، قال ابن عباس: نزلت في خزاعة كانوا قد صالحوا النبيّ ﷺ على أن لا يقاتلوه ولا يُعينوا عليه أحداً، فرخّص الله في برّهم. وقال عبد الله بن الزبير: نزلت في أسماء بنت أبي بكر وذلك أن أُمهاتهم قتيلة بنت عبد العزّى قَدِمت عليها

يحب المقسطين﴾ أي العادلين قال ابن عباس نزلت في خزاعة وذلك أنهم صالحوا رسول الله ﷺ على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحداً فرخص الله في برهم وقال عبد الله بن الزبير نزلت في أمه وهي أسماء بنت أبي بكر وذلك أن أمها قتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بهدايا ضباباً وأقطاً وسمناً وهي مشركة فقالت أسماء لا أقبل منك هدية ولا تدخلي عليّ بيتاً حتى أستأذن رسول الله ﷺ فسألته فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمرها رسول الله ﷺ أن تدخلها منزلها وأن تقبل هديتها وتكرمها وتحسن إليها»، (ق) عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما قالت «قدمت على أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله ﷺ ومدتهم فاستفتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله إن أمي قدمت عليّ وهي راغبة أفأصلها قال نعم صليها»، زاد في رواية قال ابن عيينة فأنزل الله فيها ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين﴾ ثم ذكر الله الذي نهى عن صلتهم وبرهم فقال تعالى:

إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين أخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم﴾ وهم مشركو مكة ﴿أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾ قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن﴾ الآية (خ) عن عروة بن الزبير أنه سمع مروان والمسور بن مخرمة يخبران عن أصحاب رسول الله ﷺ، وقال لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو عن النبي ﷺ إنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا وخليت بيننا وبينه وكره المؤمنون ذلك وأبي سهيل إلا ذلك فكاتبه النبي ﷺ على ذلك فرد يومئذ

المدينة بهدايا ضباباً وأقطاً وسمناً وهي مشركة، فقالت أسماء: لا أقبل منك هدية ولا تدخلي عليّ بيتي حتى أستأذن رسول الله ﷺ، فسألت رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية فأمرها رسول الله ﷺ أن تُدخِلها منزلها وتقبل هديتها وتكرمها وتُحسِن إليها. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة ثنا حاتم عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قَدِمتُ على أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله ﷺ ومدّتهم فاستفتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إني أمي قَدِمَت عليّ وهي راغبة أفأصلها؟ قال: «صِلِيها»، ورُوِيَ عن ابن عيينة قال: فأنزل الله فيها ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين** ﴾ ثم ذكر الذين نهاهم عن صلتهم فقال:

﴿ **إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم** ﴾، وهم مشركوا مكة، ﴿ **أن تولوهم ومَن يتولّهم فأولئك هم الظالمون** ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهنّ** ﴾، الآية، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يحيىٰ بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أنه سمع مروان والمسور بن مخرمة يخبران عن أصحاب رسول الله ﷺ قالا: لمّا كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي ﷺ أنه لا يأتيك منّا أحد وإن كان

أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو ولم يأته أحد من الرجال إلا رده في تلك المدة وإن كان مسلماً وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله ﷺ يومئذ وهي عاتق فجاء أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها إليهم فلم يرجعها حتى أنزل الله فيهن ﴿**إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن ـ إلى ـ ولا هم يحلون لهن**﴾ قال عروة فأخبرتني عائشة أن رسول الله ﷺ كان يمتحن بهذه الآية ﴿**يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات ـ إلى قوله غفور رحيم**﴾ قال عروة قالت عائشة فمن أقرت بهذا الشرط منهن؟ قال لها رسول الله ﷺ قد بايعتك كلاماً يكلمها والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة ولا بايعهن إلا بقوله وقال ابن عباس «أقبل رسول الله ﷺ معتمراً حتى إذا كان بالحديبية صالحه مشركو مكة على أن من أتاه من أهل مكة رده إليهم ومن أتى مكة من أصحابه لم يردوه إليه وكتبوا بذلك كتاباً وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة بعد فراغ الكتاب وأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم وقيل هو صيفي بن الراهب في طلبها وهو كافر فقال يا محمد اردد علي امرأتي فإنك قد شرطت أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طية الكتاب لم تجف بعد فأنزل الله: يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات أي من دار الكفر إلى دار الإسلام فامتحنوهن قال ابن عباس امتحانها أن تستحلف ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن أرض إلى أرض ولا لحدث أحدثته ولا التماس دنيا وما خرجت إلا رغبة في الإسلام وحباً لله ولرسوله ﷺ فإذا حلفت على ذلك لم يردها فاستحلف رسول الله ﷺ سبيعة فحلفت فلم يردها وأعطى زوجها مهرها وما أنفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب قال المفسرون المراد بقوله يا أيها الذين آمنوا رسول الله ﷺ

على دينك إلّا رددته إلينا، وخلّيت بيننا وبينه، فكره المؤمنون ذلك وأبى سهيل إلّا ذلك فكاتبه النبي ﷺ على ذلك، فردّ النبي ﷺ يومئذ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو ولم يأتِه أحَد من الرجال إلّا ردّه في تلك المدّة وإن كان مسلماً، وجاءت المؤمنات مهاجرات، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممّن خرج إلى رسول الله ﷺ يومئذ مهاجرة وهي عاتق، فجاء أهلها يسألون النبي ﷺ أن يُرجِعها إليهم فلم يُرْجِعْها إليهم لما أنزل الله فيهنّ: ﴿ **إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهنّ الله أعلم بإيمانهنّ** ﴾ إلى ﴿ **ولا هم يحلّون لهنّ** ﴾، قال عروة فأخبرتني عائشة رضي الله تعالى عنها: أن رسول الله ﷺ كان يمتحنهنّ بهذه الآية: ﴿ **يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات** ﴾ إلى قوله: ﴿ **غفور رحيم** ﴾ قال عروة قالت عائشة رضي الله عنها: فمَن أقرّت بهذا الشرط منهنّ قال لها رسول الله ﷺ: «قد بايعتك كلاماً يكلّمها به»، والله ما مسّت يده يد امرأة قطّ في المبايعة ما بايعهنّ إلّا بقوله. قال ابن عباس: أقبل رسول الله ﷺ معتمراً حتى إذا كان بالحديبية صالحه مشركو مكة على أن مَن أتاه من أهل مكة ردّه إليهم ومَن أتى أهل مكة من أصحاب رسول الله ﷺ لم يردّوه عليه وكتبوا بذلك كتاباً وختموا عليه، فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة بعد الفراغ من الكتاب، فأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم، وقيل مقاتل صيفي بن الراهب في طلبها، وكان كافراً، فقال: يا محمد رُدّ عليّ امرأتي فإنك قد شرطت أن تردّ علينا مَن أتاك منّا وهذه طيّة الكتاب لم تجفّ بعد، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات** ﴾ من دار الكفر إلى دار الإسلام، ﴿ **فامتحنوهنّ** ﴾ قال ابن عباس: امتحانها أن تستحلف ما خرجت لبغض زوجها ولا عشقاً لرجل من المسلمين ولا رغبة عن أرض إلى أرض ولا لحدَث أحدثته ولا لالتماس دنيا، وما خرجت إلّا رغبة في الإسلام وحبّاً لله ولرسوله، قال: فاستحلفها رسول الله ﷺ على ذلك فحلفت فلم يردّها، وأعطى زوجها مهرها وما أنفق عليها، فتزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان يردّ من جاءه من الرجال، ويحبس مَن جاءه من النساء بعد الامتحان ويعطي أزواجهنّ مهورهنّ، ﴿ **الله أعلم بإيمانهنّ** ﴾ أي هذا الامتحان لكم والله أعلم بإيمانهنّ، ﴿ **فإن علمتموهنّ مؤمنات فلا تُرجِعوهنّ إلى الكفّار لا هنّ حِلٌ لهم ولا هم يحلّون لهنّ** ﴾، ما أحلّ الله مؤمنة لكافر، ﴿ **وآتوهم** ﴾،

لأنه هو الذي تولى امتحانهن بنفسه فكان يمسك من جاءه من النساء بعد الامتحان ويعطي أزواجهن مهورهن ويرد من جاء من الرجال.

واختلف العلماء هل دخل رد النساء في عقد الهدنة لفظاً أو عموماً فقيل قد كان شرط ردهن في عقد الهدنة لفظاً صريحاً فنسخ الله تعالى ردهن من العقد ومنع منه وأبقاه في الرجال على ما كان في العقد وقيل لم يشترط ردهن في العقد لفظاً صريحاً وإنما أطلق العهد فكان ظاهره العموم لاشتماله على النساء وعلى الرجال فبين الله تعالى خروجهن من عموم العقد وفرق بينهن وبين الرجال في الحكم، ﴿**الله أعلم بإيمانهن**﴾ أي هذا الامتحان لكم والله أعلم بإيمانهن ﴿**فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن**﴾ إي إذا أقررن بالإيمان فلا تردوهن إلى الكفار لأن الله لم يبح مؤمنة لكفار ﴿**وآتوهم**﴾ يعني أزواجهن ﴿**ما أنفقوا**﴾ أي عليهن من المهر الذي دفعوه إليهن، ﴿**ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن**﴾ أي مهورهن أباح الله للمسلمين نكاح المهاجرات من دار الحرب إلى دار الإسلام وإن كان لهن أزواج كفار في دار الحرب لأن الإسلام فرق بينهن وبين أزواجهن الكفار ووقفت الفرقة بانقضاء عدتها فإن أسلم الزوج قبل انقضاء عدتها فهي زوجته وبه قال الأوزاعي والليث بن سعد ومالك والشافعي وأحمد وقال أبو حنيفة تقع الفرقة باختلاف الدارين، ﴿**ولا تمسكوا بعصم الكوافر**﴾ جمع عصمة وهي ما اعتصم به من العقد: والسبب نهى الله تعالى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات يقول الله تعالى وإن كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما.

قال الزهري لما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا بمكة مشركتين قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة فتزوجها معاوية بن أبي سفيان وهما على شركهما بمكة والأخرى أم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية وهي أم ابنه عبيد الله فتزوجها أبو جهم بن حذافة بن غنم وهما على شركهما.

وكانت أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب تحت طلحة بن عبيد الله فهاجر طلحة وبقيت هي على دين قومها ففرق الإسلام بينهما فتزوجها بعده في الإسلام خالد بن سعيد بن العاص بن أمية قال الشعبي وكانت زينب بنت رسول الله ﷺ امرأة أبي العاص بن الربيع أسلمت وهاجرت ولحقت بالنبي ﷺ وأقام أبو العاص بمكة مشركاً ثم أتى المدينة فأسلم فردها عليه رسول الله ﷺ ﴿**واسألوا**﴾ أي أيها المؤمنون ﴿**ما أنفقتم**﴾ يعني إن لحقت امرأة منكم

يعني أزواجهنّ الكفّار، ﴿ **ما أنفقوا** ﴾، عليهنّ يعني المهر الذي دفعوا إليهنّ، ﴿ **ولا جُناح عليكم أن تنكحوهنّ إذا آتيتموهنّ أجورهنّ** ﴾، أي مهورهنّ، أباح الله نكاحهنّ للمسلمين، وإن كان لهنّ أزواج في دار الكفر لأن الإسلام فرّق بينهنّ وبين أزواجهنّ الكفّار، ﴿ **ولا تمسكوا** ﴾، قرأ أبو عمرو ويعقوب بالتشديد، والآخرون بالتخفيف من الإمساك، ﴿ **بِعِصَم الكوافر** ﴾، والعِصَم جمع العصمة وهي ما يعتصم به من العقد والنسب، والكوافر جمع الكافرة، نهى الله المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات، يقول مَن كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدّ بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما، قال الزهري: فلما نزلت هذه الآية طلّق عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأتين كانتا له بمكة مشركتين قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة، فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان، وهما على شركهما بمكة، والأخرى أُم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية أُم ابنه عبيد الله بن عمر، فتزوّجها أبو جهم بن حذافة بن غانم وهما على شركهما، وكانت أروى بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب تحت طلحة بن عبيد الله فهاجر طلحة وهي بمكة على دين قومها، ففرّق الإسلام بينهما فتزوجها في الإسلام خالد بن سعيد بن العاص بن أُمية، قال الشعبي: وكانت زينب بنت رسول الله ﷺ امرأة أبي العاص بن الربيع أسلمت ولحقت بالنبي ﷺ وأقام أبو العاص بمكة مشركاً ثم أتى المدينة فأسلم فردّها عليه رسول الله ﷺ، ﴿ **واسئلوا** ﴾، أيها المؤمنون، ﴿ **ما**

بالمشركين مرتدة فاطلبوا ما أنفقتم من المهر إذا منعوها ممن تزوجها منهم ﴿وليسألوا﴾ يعني المشركين الذين لحقت أزواجهم بكم ﴿ما أنفقوا﴾ من المهر ممن تزوجها منكم ﴿ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم﴾ قال الزهري ولولا الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين قريش لأمسك النساء ولم يرد الصداق وكذلك صنع بمن جاء من المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه الآية أقر المؤمنون بحكم الله تعالى وأدوا ما أمروا به من أداء نفقات المشركين على نسائهم وأبى المشركون أن يقروا بحكم الله فيما أمر من أداء نفقات المسلمين فأنزل الله عز وجل:

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿وإن فاتكم﴾ أيها المؤمنون ﴿شيء من أزواجكم إلى الكفار﴾ أي فلحقن بهم مرتدات ﴿فعاقبتم﴾ معناه غزوتم فغنمتم وأصبتم من الكفار عقبي وهي الغنيمة وقيل معناه ظهرتم وكانت العاقبة لكم ﴿فآتوا الذين ذهبت أزواجهم﴾ أي إلى الكفار ﴿مثل ما أنفقوا﴾ معناه أعطوا الذين ذهبت أزواجهم منكم إلى الكفار مرتدات مثل ما أنفقوا عليها من الغنائم التي صارت في أيديكم من أموال الكفار قال ابن عباس لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة أم الحكم بنت أبي سفيان وكان تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة[1] بنت أبي أمية بن المغيرة أخت أم سلمة وكانت تحت عمر بن الخطاب فلما أراد عمر أن يهاجر بها أبت وارتدت وبروع بنت عقبة وكانت تحت شماس بن عثمان وعزة بنت عبد العزيز بن نضلة وتزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت أبي جهل بن هشام وكانت تحت هشام بن العاص بن وائل وأم كلثوم وكانت تحت عمر بن الخطاب فكلهن رجعن عن الإسلام فأعطى رسول الله ﷺ أزواجهن مهور نسائهم من الغنيمة واختلف القول في رد مهر من أسلمت من النساء إلى زوجها هل كان واجباً أو مندوباً وأصل

أنفقتم ﴾، أي إن لحقت امرأة منكم بالمشركين مرتدّة فاسألوا ما أنفقتم من المهر إذا منعوها ممّن تزوجها منهم، ﴿ وليسئلوا ﴾، يعني المشركين الذين لحقت أزواجهم بكم ﴿ما أنفقوا﴾، من المهر ممّن تزوجها منكم، ﴿ ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم ﴾، قال الزهري: لولا الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء ولم يردّ الصداق، وكذلك كان يصنع بمَن جاءه من المسلمات قبل العهد، فلما نزلت هذه الآية أقرّ المؤمنون بحكم الله عزّ وجلّ وأدّوا ما أُمروا به من نفقات المشركين على نسائهم، وأبى المشركون أن يقرّوا بحكم الله فيما أُمروا من أداء نفقات المسلمين على نسائهم.

فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ وإن فاتكم ﴾، أيها المؤمنون، ﴿ شيء من أزواجكم إلى الكفّار ﴾، فلحقن بهم مرتدّات، ﴿ فعاقبتم ﴾، قال المفسّرون معناه غنمتم أي غزوتم فأصبتم من الكفّار عقبى وهي الغنيمة، وقيل ظهرتم وكانت العاقبة لكم، وقيل: أصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم، قرأ حميد الأعرج (فعقّبتم) بالتشديد وقرأ الزهري (فعقبتم) خفيفة بغير ألف، وقرأ مجاهد (فأعبتم) أي صنعتم بهم كما صنعوا بكم وكلها لغات بمعنى واحد، يقال: عاقب وعقب وأعقب وتعقب وتعاقب واعتقب، إذا غنم، وقيل: التعقيب غزوة بعد غزوة، ﴿ فآتوا الذين ذهبت أزواجهم ﴾، إلى الكفّار منكم، ﴿ مثل ما أنفقوا ﴾، عليهنّ من الغنائم التي صارت في أيديكم من أموال الكفّار. وقيل: فعاقبتم المرتدّة بالقتل. ورُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ستّ نسوة أُم الحكم بنت أبي سفيان كانت تحت عياض بن شدّاد القهري وفاطمة بنت أبي

---

(١) قوله فاطمة، تقدم أن إسمها قريبة فلعل في إسمها خلافاً، وذكر الخطيب أولاً أن إسمها قريبة وثانياً فاطمة كما هنا والله أعلم اهـ.

هذه المسألة أن الصلح هل كان وقع على رد النساء أم لا فيه قولان أحدهما أنه وقع على رد الرجال والنساء جميعاً لما روي أنه لا يأتيك منا أحد إلا رددته ثم صار الحكم في رد النساء منسوخاً بقوله تعالى ﴿**فلا ترجعوهن إلى الكفار**﴾ فعلى هذا كان رد المهر واجباً. والقول الثاني أن الصلح لم يقع على رد النساء لأنه روي عن علي أنه قال لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته وذلك لأن الرجل لا يخشى عليه من الفتنة في الرد ما يخشى على المرأة من إصابة المشرك إياها وأنه لا يؤمن عليها الردة إذا خوفت وأكرهت عليها لضعف قلبها وقلة هدايتها إلى المخرج من الكفر بإظهار كلمة الكفر مع التورية وإضمار كلمة الإيمان وطمأنينة القلب عليه ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته إلى التقية فعلى هذا كان المهر مندوباً.

واختلفوا في أنه هل يجب العمل به اليوم في رد المال إذا شرط في معاقدة الكفار فقال قوم لا يجب وزعموا أن الآية منسوخة وهم عطاء ومجاهد وقتادة قال قوم الآية غير منسوخة ويرد عليهم ما أنفقوا قوله تعالى: ﴿**واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون**﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

﴿**يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك**﴾ الآية قال المفسرون لما فتح رسول الله ﷺ مكة وفرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا أتته النساء يبلغنه وعمر بن الخطاب أسفل منه يبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان

أُمية بن المغيرة أُخت أم سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب، فلما أراد عمر أن يهاجر أبت وارتدّت، ويروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان، وعزّة بنت عبد العزيز بن نضلة وتزوّجها عمرو بن عبد وِدّ، وهند بنت أبي جهل بن هشام كانت تحت هشام بن العاص بن وائل، وأُم كلثوم بنت جرول كانت تحت عمر بن الخطاب، فكلّهنّ يرجعن إلى الإسلام، فأعطى رسول الله ﷺ أزواجهنّ مهور نسائهم من الغنيمة. ﴿ **واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون** ﴾، واختلف القول في أن ردّ مهر مَن أسلمت من النساء إلى أزواجهنّ، كان واجباً أو مندوباً وأصله أن الصلح هل كان وقع على ردّ النساء، فيه قولان أحدهما أنه وقع على ردّ الرجال والنساء جميعاً لِما روينا أنه لا يأتيك منّا أحد وإن كان على دينك إلّا رددته إلينا، ثم صار الحكم في ردّ النساء منسوخاً بقوله: ﴿ **فلا ترجعوهنّ إلى الكفّار** ﴾، فعلى هذا كان ردّ المهر واجباً والقول الآخر أن الصلح لم يقع على ردّ النساء، لأنه رُوِيَ عن علي أنه لا يأتيك منّا رجل وإن كان على دينك إلّا رددته إلينا، وذلك لأن الرجل لا يُخشَى عليه من الفتنة في الردّ ما يُخشى على المرأة من إصابة المشرك إيّاها، وأنه لا يؤمن عليها الردّة إذا خُوّفت، وأُكرهت عليها لضعف قلبها، وقلّة عقلها وقلّة هدايتها إلى المخرج منها بأظهار كلمة الكفر مع التورية، وإضمار الإيمان، ولا يخشى ذلك على الرجل لقوّته وهدايته إلى التقية، فعلى هذا كان ردّ المهر مندوباً واختلفوا في أنه هل يجب العمل به اليوم في ردّ المال إذا شرط في معاقدة الكفّار، فقال قوم: لا يجب وزعموا أن الآية منسوخة، وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة، وقال قوم: هي غير منسوخة ويردّ إليهم ما أنفقوا.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **يا أيّها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك** ﴾، الآية، وذلك يوم فتح مكة لما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرجال، وهو على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه، وهو يبايع النساء بأمر رسول الله ﷺ ويبلغهنّ

متنقبة متنكرة مع النساء خوفاً من رسول الله ﷺ أن يعرفها فقال رسول الله ﷺ أبايعهن ﴿**على أن لا يشركن بالله شيئاً**﴾ فرفعت هند رأسها وقالت والله إنك لتأخذ علينا أمراً وما رأيناك أخذته على الرجال وكان قد بايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط فقال النبي ﷺ ﴿**ولا يسرقن**﴾ فقالت هند إن أبا سفيان رجل شحيح وإني أصبت من ماله هنات فلا أدري يحل لي أم لا فقال أبو سفيان ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو حلال فضحك النبي ﷺ وعرفها فقال لها وإنك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك فقال ﴿**ولا يزنين**﴾ فقالت هند أو تزني الحرة فقال ﴿**ولا يقتلن أولادهن**﴾ فقالت هند ربيناهم صغاراً وقتلتموهم كباراً فأنتم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله ﷺ ﴿**ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن**﴾ فقالت هند والله إن البهتان لقبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق، ﴿**ولا يعصينك في معروف**﴾ فقالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء فأقر النسوة بما أخذ عليهن من البيعة قال ابن الجوزي وجملة من أحصى من المبايعات أربعمائة وسبعة وخمسون امرأة ولم يصافح في البيعة امرأة وإنما بايعهن بالكلام، (ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت «كان رسول الله ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية على أن لا يشركن بالله شيئاً وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة لا يملكها» وأما تفسير الآية فقوله تعالى: ﴿**ولا يقتلن أولادهن**﴾ أراد به وأد البنات الذي كان يفعله أهل الجاهلية ثم هو عام في كل نوع من قتل الولد ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن يعني لا تلحق المرأة بزوجها غير ولده وذلك أن المرأة كانت تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك فهذا هو البهتان المفتري وليس المراد منه نهيهن عن الزنا لأن النهي عنه قد تقدم ذكره ومعنى بين أيديهن وأرجلهن أن الولد إذا وضعته الأم سقط بين يديها ورجليها ولا يعصينك في معروف أي في كل ما تأمرهن به أو تنهاهن عنه وقيل في كل أمر وافق

عنه، وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنقّبة متنكّرة مع النساء خوفاً من رسول الله ﷺ أن يعرفها، فقال رسول الله ﷺ: «أُبايعهنّ ﴿ **على أن لا يشركن بالله شيئاً** ﴾»، فرفعت هند رأسها وقالت والله إنـك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال، وبايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط، فقال النبي ﷺ: «ولا يسرقن»، فقالت هند: إن أبا سفيان رجل شحيح وإني أصبت من ماله هنات فلا أدري أيحلّ لي أم لا؟ فقال أبو سفيان: ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها، فقال لها: «وإنك لهند بنت عتبة»؟ قالت: نعم، فاعفُ عمّا سلف عفا الله عنك، فقال: ﴿ **ولا يزنين** ﴾، فقالت هند أَوَ تزني الحرّة؟ فقال: ﴿ **ولا يقتلن أولادهنّ** ﴾، فقالت هند: ربّيناهنّ صغاراً وقتلتموهم كباراً فأنتم وهم أعلم، وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر، فضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى، وتبسّم رسول الله ﷺ، فقال: ﴿ **ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهنّ وأرجلهنّ** ﴾، وهي أن تقذف ولداً على زوجها ليس منه، قالت هند: والله إن البهتان لقبيح وما تأمرنا إلّا بالرشد ومكارم الأخلاق، فقال: ﴿ **ولا يعصينك في معروف** ﴾، قالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء فأقرّ النسوة بما أخذ عليهنّ، قوله: ﴿ **ولا يقتلن أولادهنّ** ﴾ أراد وأد البنات الذي كان يفعل أهل الجاهلية، قوله: ﴿ **ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهنّ وأرجلهنّ** ﴾: ليس المراد منه نهيهنّ عن الزنا لأن النهي عن الزنا قد تقدّم ذكره، بل المراد منه أن تلتقط مولوداً وتقول لزوجها هذا ولدي منك، فهو البهتان المُفترى بين أيديهنّ وأرجلهنّ، لأن الولد إذا وضعته الأم سقط بين يديها ورجليها، قوله: ﴿ **ولا يعصينك في معروف** ﴾: أي في كل أمر وافق طاعة الله. قال بكر بن عبد الله المزني في كل أمر فيه رشدهنّ. وقال مجاهد: لا تخلو المرأة بالرجال. وقال سعيد بن المسيب والكلبي وعبد الرحمن بن زيد: هو النهي عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثوب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه، ولا تحدّث المرأة الرجال إلّا ذَا محرم، ولا تخلو برجل غير ذي محرم، ولا تسافر إلّا مع ذي

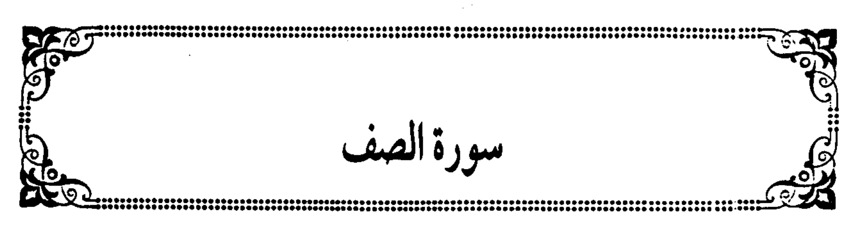
طاعة الله وكل أمر فيه رشد وقيل هو النهي عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثياب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه وأن لا تحدث المرأة الرجال الأجانب ولا تخلو برجل غير ذي محرم ولا تسافر مع غير ذي محرم قال ابن عباس في قوله ولا يعصينك في معروف إنما هو شرط شرطه الله على النساء أخرجه البخاري (ق) عن أم عطية قالت «بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا أن لا يشركن بالله شيئاً ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة منا يدها فقالت فلانة أسعدتني فأنا أريد أن أجزيها فما قال لها النبي ﷺ شيئاً فانطلقت ثم رجعت فبايعها»، (ق) عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية» عن أسيد بن أسيد عن امرأة من المبايعات قالت «كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ من المعروف الذي أخذ علينا أن لا نعصيه فيه أن لا نخمش وجهاً ولا ندعو ويلاً ولا نشق جيباً ولا ننشر شعراً» أخرجه أبو داود عن أنس رضي الله عنه «إن رسول الله ﷺ أخذ على النساء حين بايعهن أن لا ينحن فقلن يا رسول الله نساء أسعدتنا في الجاهلية فنسعدهن فقال رسول الله ﷺ لا إسعاد في الإسلام» أخرجه النسائي، (م) عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب» وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال «لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة» أخرجه أبو داود، وقوله تعالى: ﴿فبايعهن﴾ يعني إذا بايعنك على هذه الشروط فبايعهن ﴿واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم﴾ عن أميمة بنت رقية قالت «بايعت رسول الله ﷺ في نسوة فقال لنا فيما استطعتن وأطقتن قلنا الله ورسوله أرحم بنا منا بأنفسنا قلت يا رسول الله بايعنا قال سفيان يعني صافحنا فقال رسول الله ﷺ إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

محرم. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو معمر ثنا عبد الوارث ثنا أيوب عن حفصة بنت سيرين عن أُم عطية قالت: بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا ﴿ أن لا يشركن بالله شيئاً ﴾، ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها فقالت أسعدتني فلانة أُريد أن أُجزيها، فما قال لها النبي ﷺ شيئاً، فانطلقت ورجعت وبايعها. أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أنا الحسين بن محمد بن الحسين الدينوري ثنا أحمد بن محمد بن إسحاق ثنا أبو يعلى الموصلي ثنا هدبة بن خالد ثنا أبَان بن يزيد ثنا يحيىٰ بن أبي كثير أن زيداً حدّثه أن أبا سلام حدّثه أن أبا مالك الأشعري حدّثه أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أُمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهنّ: الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة». وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عمرو بن حفص ثنا أبي أنا الأعمش عن عبد الله بن مرّة عن مسروق عن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «ليس منّا مَن ضرب الخدود وشقّ الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية». قوله: ﴿ فبايعهنّ ﴾، يعني إذا بايعنك فبايعهنّ، ﴿ واستغفر لهنّ الله إن الله غفور رحيم ﴾، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل حدّثني محمود ثنا عبد الرزّاق أنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية: ﴿ لا يشركن بالله شيئاً ﴾ قالت: وما مسّتْ يَدُ رسول الله ﷺ يَدَ امرأة إلّا امرأة يملكها. أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا محمد بن عبد الله بن حمدون أنا مكّي بن عبدان ثنا عبد الرحمن بن بشر ثنا سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر سمع أُميمة بنت رقيّة تقول: بايعت رسول الله ﷺ في نسوة، فقال لنا: «فيما استطعتنّ وأطقتنّ»، فقلت: رسول الله ﷺ أرحم بنا من أنفسنا، قلت: يا رسول الله بايعنا، قال سفيان: يعني صافحنا، فقال: «إني لا أصافح النساء، إنّما قولي لامرأةٍ كقولي لمائة امرأة».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ١٣﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم﴾ يعني من اليهود وذلك أن ناساً من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود بأخبار المسلمين يتوصلون إليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك» ﴿قد يئسوا من الآخرة﴾ يعني اليهود وذلك أنهم عرفوا محمداً ﷺ وأنه رسول الله ﷺ فكذبوا به فيئسوا من أن يكون لهم ثواب أو خير في الآخرة ﴿كما يئس الكفار من أصحاب القبور﴾ يعني كما يئس الذين ماتوا على الكفر وصاروا في القبور من أن يكون لهم ثواب في الآخرة وذلك أن الكفار إذا دخلوا قبورهم أيسوا من رحمة الله تعالى وقيل معناه كما يئس الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا إليهم والمعنى: أن اليهود الذين عاينوا رسول الله ﷺ ولم يؤمنوا به قد يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا إليهم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتولّوا قوماً غضب الله عليهم ﴾، وهم اليهود وذلك أن أُناساً من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين، يتوصلون إليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم، فنهاهم الله عن ذلك، ﴿ قد يئسوا ﴾، يعني هؤلاء اليهود، ﴿ من الآخرة ﴾، بأن يكون لهم فيها ثواب وخير، ﴿ كما يئس الكفّار من أصحاب القبور ﴾، أي كما يئس الكفّار الذين ماتوا وصاروا في القبور من أن يكون لهم حظّ وثواب في الآخرة. قال مجاهد: الكفّار حين دخلوا قبورهم أيِسوا من رحمة الله. قال سعيد بن جبير: يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار الذين ماتوا فعاينوا الآخرة. وقيل: كما يئس الكفّار من أصحاب القبور أن يرجعوا إليهم.



سورة الصف

وفيها قولان: أحدهما أنها مدنية وهو قول ابن عباس والجمهور.

والثاني أنها مكية وهي أربع عشرة آية ومائتان وإحدى وعشرون كلمة وتسعمائة حرف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾

قوله عز وجل: ﴿**سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون**﴾ قيل سبب نزولها ما روي عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال «قعدنا نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملنا فأنزل الله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون قال عبد الله بن سلام فقرأها علينا رسول الله ﷺ» أخرجه الترمذي وقال المفسرون إن المؤمنين قالوا لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لعلمناه ولبذلنا فيها أموالنا وأنفسنا فأنزل الله عز وجل: ﴿**إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً وأنزل الله هل أدلكم على تجارة**﴾ الآية فابتلوا بذلك يوم أحد فولوا مدبرين وكرهوا الموت وأحبوا الحياة فأنزل الله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وقيل لما أخبر الله تعالى رسوله ﷺ بثواب أهل بدر قالت الصحابة لئن لقينا قتالاً لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد فعيرهم الله بهذه الآية وقيل نزلت في شأن القتال كان الرجل يقول قاتلت ولم يقاتل وأطعمت ولم يطعم وضربت ولم يضرب فنزلت هذه الآية وقيل نزلت في المنافقين وذلك أنهم كانوا يعدون النصر للمؤمنين وهم كاذبون.

كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ

سُوْرَة الصَّف

مدنيّة وقال عطاء: مكيّة وهي أربع عشرة آية.

﴿ **سبّح لله ما في السمٰوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم * يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون** ﴾، قال المفسّرون إن المؤمنين قالوا لو نعلم أيّ الأعمال أحبّ إلى الله عزّ وجلّ لعملناه ولبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ إن الله يحبّ الذين يقاتلون في سبيله صفّاً ﴾ [الصّف: ٤] فابتلوا بذلك يوم أُحُد فولّوا مدبرين، فأنزل الله تعالى ﴿ **لِمَ تقولون ما لا تفعلون** ﴾، وقال محمد بن كعب: لمّا أخبر الله تعالى رسوله ﷺ بثواب شهداء بدر، قالت الصحابة: لئن لقينا بعده قتالاً لنفرغنّ فيه وسعنا، ففرّوا يوم أُحُد فعيّرهم الله بهذه الآية. وقال قتادة والضحاك: نزلت في شأن القتال، كان الرجل يقول: قاتلت ولم يقاتل، وطعنت ولم يطعن، وضربت ولم يضرب، فنزلت هذه الآية. قال ابن زيد: نزلت في المنافقين كانوا يعدون النصر للمؤمنين وهم كاذبون.

إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾

﴿كبر مقتاً عند الله﴾ أي عظم بغضاً عند الله ﴿أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ معناه أن يعدوا من أنفسهم شيئاً ولم يفوا به ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً﴾ أي يصفون أنفسهم عند القتال صفاً ولا يزولون عن أماكنهم ﴿كأنهم بنيان مرصوص﴾ أي قد رص بعضه ببعض وألزق بعضه إلى بعض وأحكم فليس فيه فرجة ولا خلل ومنه الحديث «تراصوا في الصف» ومعنى الآية إن الله يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص.

قوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه﴾ أي واذكر يا محمد لقومك إذ قال موسى لقومه بني إسرائيل ﴿يا قوم لم تؤذونني﴾ قيل: إنهم كانوا يؤذونه بأنواع من الأذى التعنت منها قولهم أرنا الله جهرة وقولهم لن نصبر على طعام واحد ومنها أنهم رموه بالأدرة ﴿وقد تعلمون أني رسول الله إليكم﴾ يعني تؤذونني وأنتم عالمون علماً قطعياً أني رسول الله إليكم والرسول يعظم ويوقر ويحترم ولا يؤذي ﴿فلما زاغوا﴾ أي عدلوا ومالوا عن الحق ﴿أزاغ الله قلوبهم﴾ أي أمالها عن الحق إلى غيره ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ أي لا يهدي من سبق في علمه أنه فاسق خارج عن طاعته وهدايته وهذا تنبيه على عظم إيذاء الرسل حتى إن أذاهم يؤدي إلى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم﴾ أي إني رسول أرسلت إليكم بالوصف الذي وصفت به في التوراة ﴿مصدقاً لما بين يدي من التوراة﴾ أي مقر معترف بأحكام التوارة وكتب الله وأنبيائه جميعاً ممن قد تقدم ﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي﴾ أي يصدق بالتوراة على مثل تصديقي فكأنه قيل ما اسمه فقال ﴿اسمه أحمد﴾ عن أبي موسى قال «أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يأتوا النجاشي» وذكر الحديث، وفيه قال سمعت النجاشي يقول أشهد أن محمداً رسول الله ﷺ بشر به عيسى ولولا ما أنا فيه من الملك وما تحملت من أمر الناس لأتيته حتى أحمل نعليه» أخرجه أبو داود وعن عبد الله بن سلام قال مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى ابن مريم يدفن معه فقال أبو داود المدني قد بقي في البيت موضع قبر أخرجه الترمذي عن كعب الأحبار أن الحواريين قالوا لعيسى ﷺ يا روح الله هل بعدنا من أمة؟ قال نعم(١) يأتي بعدكم أمة حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم في الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل (ق) عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد

﴿ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ﴾، قوله: ﴿ أن تقولوا ﴾ في موضع رفع فهو كقولك بئس رجلاً أخوك، ومعنى الآية أي عظم ذلك في المقت والبغض عند الله أي إن الله يبغض بغضاً شديداً أن تقولوا، ﴿ ما لا تفعلون ﴾، أي تعدوا من أنفسكم شيئاً ثم لم تفوا به.

﴿ إن الله يحبّ الذين يقاتلون في سبيله صفّاً ﴾، أي يصفّون أنفسهم عند القتال صفّاً ولا يزولون عن أماكنهم، ﴿ كأنهم بنيان مرصوص ﴾، قد رصّ بعضه ببعض أي ألزق بعضه ببعض وأحكم فليس فيه فرجه ولا خلل. وقيل أحكم بالرصاص.

﴿ وإذْ قال موسى لقومه ﴾، من بني إسرائيل، ﴿ يا قوم لِمَ تُؤذونني ﴾، وذلك حين رموه بالأدرة، ﴿ وقد تعلمون أني رسول الله إليكم ﴾، والرسول يُعظَّم ويُحترَم، ﴿ فلما زاغوا ﴾، عدلوا عن الحق، ﴿ أزاغ الله قلوبهم ﴾، أمالها عن الحق، يعني أنهم لمّا تركوا الحق بإيذاء نبيّهم أمال الله قلوبهم عن الحق، ﴿ والله لا يهدي

---

(١) قوله قال نعم الخ كذلك في نسخة وفي أخرى قال نعم أمة أحمد حكماء اهـ من هامش.

وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي يوم القيامة وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي وقد سماه الله تعالى رؤوفاً رحيماً» وأحمد يحتمل معنيين أحدهما أنه مبالغة من الفاعل ومعناه أن الأنبياء كلهم حمادون لله عز وجل وهو أكثر حمداً لله من غيره والثاني أنه مبالغة من المفعول ومعناه أن الأنبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو أكثر مبالغة وأجمع للفضائل والمحاسن والأخلاق التي يحمد بها من غيره، ﴿فلما جاءهم بالبينات﴾ قيل هو عيسى ﷺ وقيل هو محمد ﷺ ﴿قالوا هذا سحر مبين﴾ أي ظاهر.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله للكذب﴾ أي ومن أقبح ظلماً ممن بلغ افتراؤه أن يكذب على الله وذلك أنهم علموا أن ما نالوه من نعمة فمن الله ثم كفروا به ﴿وهو يدعى إلى الإسلام﴾ معنى الآية أي الناس أشد ظلماً ممن يدعوه ربه على لسان نبيه ﷺ إلى الإسلام الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان إجابته افتراء الكذب على الله بقوله هذا سحر مبين ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ أي لا يوفقهم للهداية علم من حالهم عقوبة لهم ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم﴾ يعني إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم في القرآن هذا سحر ﴿والله متم نوره﴾ يعني متم للحق ومظهره ومبلغه غايته وقال ابن عباس مظهر دينه ﴿ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾ أي ليعليه على الأديان المخالفة له ولقد فعل ذلك فلم يبق دين من الأديان إلا وهو مغلوب ومقهور بدين الإسلام ﴿ولو كره المشركون﴾، قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾ نزلت هذه الآية

القوم الفاسقين ﴾، قال الزجّاج: يعني لا يهدي مَن سبق في علمه أنه فاسق.

﴿ وإذْ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدِّقاً لما بين يديّ من التوراة ومبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾، والألف فيه للمبالغة في الحمد، وله وجهان أحدهما أنه مبالغة من الفاعل أي الأنبياء كلهم حمّادون لله عزّ وجلّ وهو أكثر حمد الله من غير والثاني أنه مبالغة من المفعول أي الأنبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو أكثر مناقب وأجمع للفضائل والمحاسن التي يحمد بها **﴿ فلما جاءهم بالبيّنات قالوا هذا سحر مبين ﴾**.

﴿ ومَن أظلم منّ افترى على الله الكذب وهو يُدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين * يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله مُتمُّ نوره ولو كره الكافرون ﴾.

﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليُظهِره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾.

﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلّكم على تجارة تُنجيكم ﴾، قرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد والآخرون بالتخفيف، **﴿ من عذاب أليم ﴾**، نزل هذا حين قالوا: لو نعلم أيّ الأعمال أحبّ إلى الله عزّ وجلّ لعملناه، وجعل ذلك بمنزلة

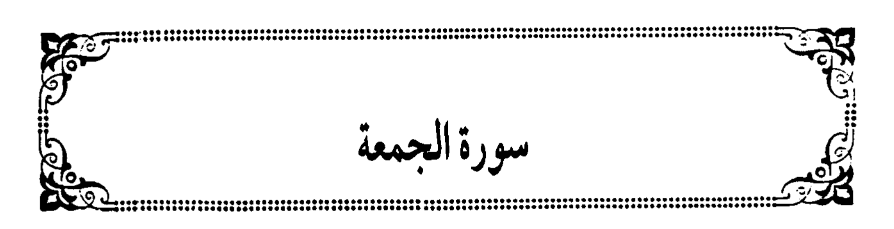
حين قالوا لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعملناه وإنما سماه تجارة لأنهم يربحون فيه رضا الله عز وجل ونيل جنته والنجاة من النار ثم بين تلك التجارة فقال تعالى: ﴿**تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلك خير لكم**﴾ أي الذي آمركم به من الإيمان والجهاد في سبيله ﴿**إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم**﴾ هذا جواب قوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون لأن معناه معنى الأمر والمعنى آمنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله أي إذا فعلتم ذلك يغفر لكم ذنوبكم ﴿**ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم**﴾ يعني هذا الجزاء الذي ذكر هو الفوز العظيم، ﴿**وأخرى تحبونها**﴾ أي ولكم تجارة أخرى وقيل لكم خصلة أخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الآخرة وتلك الحصلة ﴿**نصر من الله وفتح قريب**﴾، قيل هو النصر على قريش وفتح مكة وقيل فتح مدائن فارس والروم ﴿**وبشر المؤمنين**﴾ أي يا محمد بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة ثم حضهم على نصر الدين وجهاد المخالفين فقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله**﴾ أي مع الله والمعنى انصروا دين الله كما نصر الحواريون دين الله لما قال لهم عيسى من أنصاري إلى الله ﴿**قال الحواريون نحن أنصار الله**﴾ وكانوا اثني عشر رجلاً أول من آمن بعيسى عليه الصلاة والسلام وحواري الرجل صفيه وخلاصته ومنه قوله ﷺ «حواري» الزبير ﴿**فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة**﴾ قال ابن عباس في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام وذلك أنه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث الله محمداً ﷺ فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى: ﴿**فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين**﴾ أي غالبين وقيل معناه فأصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد ﷺ أن عيسى روح الله وكلمته والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

التجارة لأنهم يربحون فيها رضا الله ونيل جنّته والنجاة من النار ثم بيّن تلك التجارة فقال:

﴿ **تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون * يغفرْ لكم ذنوبكم ويدخلْكم جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنّات عدن ذلك الفوز العظيم** ﴾.

﴿ **وأُخرى تحبّونها** ﴾، ولكم خصلة أخرى تحبّونها في العاجل مع ثواب الآخرة وتلك الخصلة، ﴿ **نصر من الله وفتح قريب** ﴾، قال الكلبي: هو النصر على قريش، وفتح مكة. وقال عطاء: يريد فتح فارس والروم. ﴿ **وبشّرِ المؤمنين** ﴾، يا محمد بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة ثم حضّنهم على نصرة الدين وجهاد المخالفين.

فقال: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله** ﴾، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو (أنصاراً) بالتنوين (لله) بلام الإضافة، وقرأ الآخرون ﴿ **أنصار الله** ﴾ بالإضافة كقوله: ﴿ **نحن أنصار الله** ﴾، ﴿ **كما قال عيسى ابن مريم للحواريين** ﴾، أي انصروا دين الله مثل نصرة الحواريين لمّا قال لهم عيسى عليه السلام: ﴿ **مَن أنصاري إلى الله** ﴾، أي مَن ينصرني مع الله، ﴿ **قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرتْ طائفة** ﴾، قال ابن عباس: يعني في زمن عيسى عليه السلام، وذلك أنه لمّا رفع تفرّق قومه ثلاث فِرَق: فرقة قالوا كان الله فارتفع، وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه الله إليه، وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه إليه وهم المؤمنون، واتّبع كل فرقة منهم طائفة من الناس، فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث الله محمداً ﷺ فظهرت المؤمنة على الكافرة، فذلك قوله تعالى: ﴿ **فأيّدنا الذين آمنوا على عدوّهم فأصبحوا ظاهرين** ﴾، غالبين عالين، وروى مغيرة عن إبراهيم قال فأصبحت حجة مَن آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد ﷺ أن عيسى كلمة الله وروحه.



(مدنية وهي إحدى عشرة آية ومائة وثلاثون كلمة وسبعمائة وعشرون حرفاً)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا
مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ
مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾

قوله عز وجل: **﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الأميين﴾** يعني العرب وكانت العرب أمة أمية لا تكتب ولا تقرأ حتى بعث فيهم نبي الله وقيل الأمي هو الذي على ما خلق عليه كأنه منسوب إلى أمه **﴿رسولاً منهم﴾** يعني محمد ﷺ يعلمون نسبه وهو من جنسهم وقيل أمياً مثلهم وإنما كان أمياً لأن نعته في كتب الأنبياء النبي الأمي وكونه بهذه الصفة أبعد من توهم الاستعانة بالكتابة على ما أتى به من الوحي والحكمة ولتكون حاله مشاكلة لحال أمته الذين بعث فيهم وذلك أقرب إلى صدقه **﴿يتلو عليهم آياته﴾** أي التي يبين رسالته وقيل آياته التي يتميز بها الحلال من الحرام والحق من الباطل **﴿ويزكيهم﴾** أي يطهرهم من دنس الشرك

سُوْرَة الجُمعة

مدنيّة وهي إحدى عشرة آية.

﴿ يسبّح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدّوس العزيز الحكيم * هو الذي بعث في الأمّيين ﴾، يعني العرب كانت أمة أمّيّة لا تكتب ولا تقرأ **﴿ رسولاً منهم ﴾**، يعني محمداً ﷺ نسبُه نسبُهم، **﴿ يتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾**، أي ما كانوا قبل بعثة الرسول إلّا في ضلال مبين يعبدون الأوثان.

﴿ وآخرين منهم ﴾، وفي آخرين وجهان من الإعراب أحدهما الخفض على الردّ إلى الأمّيين مجازه وفي آخرين والثاني النصب على الردّ إلى الهاء والميم في قوله: **﴿ ويعلمهم ﴾** أي ويعلم آخرين منهم، أي المؤمنين الذين يدينون بدينهم، لأنهم إذا أسلموا صاروا منهم، فإن المسلمين كلهم أمّة واحدة، واختلف العلماء فيهم فقال قوم: هم العجم، وهو قول ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية ليث عن مجاهد، والدليل عليه ما أخبرنا أبو جعفر محمد بن عبد الله بن محمد المعلم الطوسي بها ثنا أبو الحسن محمد بن يعقوب أنا أبو النصر محمد بن محمد بن يوسف ثنا الحسين بن سفيان وعلي بن طيفور وأبو العباس الثقفي قالوا حدّثنا قتيبة ثنا عبد العزيز عن ثور عن أبي الغيث عن أبي هريرة قال: كنّا جلوساً عند النبي ﷺ إذْ نزلت عليه سورة الجمعة، فلما قرأ: **﴿ وآخرين منهم لما**

﴿ويعلمهم الكتاب﴾ أي القرآن وقيل الفرائض ﴿والحكمة﴾ قيل هي السنة ﴿وإن كانوا من قبل﴾ أي من قبل إرسال محمد ﷺ ﴿لفي ضلال مبين وآخرين منهم﴾ أي من المؤمنين الذين ظهروا يدينون بدينم لأنهم إذا أسلموا صاروا منهم فإن المسلمين كلهم أمة واحدة، وقيل أراد بالآخرين العجم وهو قول ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية عن مجاهد يدل عليه ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال له رجل يا رسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا فلم يكلمه حتى سأله ثلاثاً قال وسلمان الفارسي فينا فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان وقال والذي نفسي بيده لو كان الإيمان بالثريا لتناوله رجال من هؤلاء» أخرجاه في الصحيحين، وقيل هم جميع من دخل في الإسلام بعد النبي ﷺ إلى يوم القيامة ﴿لما يلحقوا بهم﴾ لم يدركوهم ولكنهم جاؤوا بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم في الفضل والسابقة لأن التابعين لا يدركون شأو الصحابة ﴿وهو العزيز﴾ أي الغالب الذي قهر الجبابرة ﴿الحكيم﴾ أي الذي جعل كل مخلوق يشهد بوحدانيته.

ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ يعني الإسلام وقيل النبوة خص بها محمداً ﷺ ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ أي على خلقه حيث أرسل فيهم رسوله محمداً ﷺ.

قوله تعالى: ﴿مثل الذين حملوا التوراة﴾ يعني اليهود حيث كلفوا القيامة بها والعمل بما فيها وليس هو من الحمل على الظهر وإنما هو من الحمالة والحميل والكفيل ﴿ثم لم يحملوها﴾ أي لم يعملوا بما فيها ولم يؤدوا حقها، ﴿كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾ جمع سفر الكتب العظام من العلم سمى سفراً لأنه سفر عما فيه من المعنى وهذا مثل ضربه الله تعالى لليهود الذين أعرضوا عن العمل بالتوراة والإيمان بمحمد ﷺ شبهوا إذا لم ينتفعوا بما في التوراة الدال

يلحقوا بهم ﴾ قال رجل: مَن هؤلاء يا رسول الله فلم يراجعه النبي ﷺ حتى سأله مرتين أو ثلاثاً، قال: وفينا سلمان الفارسي؟ قال: فوضع النبي ﷺ يده على سلمان، ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء»، أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أنا جدّي عبد الصمد بن عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أنا محمد بن زكريا العذافري أنا إسحاق الدبري ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن جعفر الجزري عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان الدين عند الثريا لذهب إليه رجل أو قال رجال من أبناء فارس حتى يتناولوه»، وقال عكرمة ومقاتل: هم التابعون. وقال ابن زيد: هم جميع مَن دخل في الإسلام بعد النبي ﷺ. وهي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد. قوله: ﴿ لمّا يلحقوا بهم ﴾، أي لم يدركوهم ولكنهم يكونون بعدهم. وقيل لمّا يلحقوا بهم أي في الفضل والسابقة لأن التابعين لا يدركون شيئاً والصحابة. ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾.

﴿ ذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء ﴾، يعني الإسلام والهداية. ﴿ والله دو الفضل العظيم ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ مَثَلُ الذين حُمِّلُوا التوراة ﴾، أي كُلِّفوا القيام بها والعمل بما فيها، ﴿ ثم لم يحملوها ﴾، لم يعملوا بما فيها ولم يؤدّوا حقها، ﴿ كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾، أي كتباً من العلم واحدها سفر، قال الفرّاء:

على الإيمان بمحمد ﷺ بالحمار الذي يحمل الكتب ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها كذلك اليهود الذين يقرؤون التوراة ولا ينتفعوا بها لأنهم خالفوا ما فيها وهذا المثل يلحق من لم يفهم معاني القرآن ولم يعمل بما فيه وأعرض عنه إعراض من لا يحتاج إليه ولهذا قال ميمون بن مهران يا أهل القرآن اتبعوا القرآن قبل أن يتبعكم ثم تلا هذه الآية ثم ذم هذا المثل والمراد منهم ذمهم فقال تعالى: ﴿**بئس مثل القوم**﴾ يعني بئس مثلاً مثل القوم ﴿**الذين كذبوا بآيات الله**﴾ يعني محمداً ﷺ وما أتي من آيات القرآن وقيل المراد من الآيات آيات التوراة لأنهم كذبوا بها حين تركوا الإيمان بمحمد ﷺ ﴿**والله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ أي لا يهدي من سبق في علمه أن يكون ظالماً وقيل يعني الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب آيات الله وأنبيائه ﴿**قل**﴾ أي قل يا محمد ﴿**يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس**﴾ أي من دون محمد ﷺ وأصحابه ﴿**فتمنوا الموت**﴾ ادعوا على أنفسكم ﴿**بالموت إن كنتم صادقين**﴾ يعني فيما زعمتم أنكم أبناء الله وأحباؤه فإن الموت هو الذي يوصلكم إليه لأن الآخرة خير لأولياء الله من الدنيا ﴿**ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم**﴾ أي بسبب ما قدموا من الكفر والتكذيب ﴿**والله عليم بالظالمين قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم**﴾ أي لا ينفعكم الفرار منه ﴿**ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون**﴾ فيه وعيد وتهديد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩﴾

قوله عز وجل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة**﴾ أي لوقت الصلاة ﴿**من يوم الجمعة**﴾ أي في يوم الجمعة وأراد بهذا النداء الإذن عند قعود الإمام على المنبر للخطبة لأنه لم يكن في عهد رسول الله ﷺ نداء سواه «كان إذا جلس ﷺ على المنبر أذن بلال» (خ) عن السائب بن يزيد قال «كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء» زاد في رواية «فثبت الأمر على ذلك»، ولأبي داود قال «كان يؤذن بين يدي النبي ﷺ إذا جلس على المنبر يوم الجمعة على باب المسجد وذكر نحوه» الزوراء موضع عند سوق المدينة قريب من المسجد وقيل كان مرتفعاً كالمنارة.

هي الكتب العِظام يعني كما أن الحمار يحملها ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها، كذلك اليهود يقرؤون التوراة ولا ينتفعون بها لأنهم خالفوا ما فيها، ﴿ **بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾، الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب الأنبياء يعني مَن سبق في علمه أنه لا يهديهم.

﴿ **قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس** ﴾، محمد ﷺ وأصحابه، ﴿ **فتمنّوا الموت** ﴾، فدعوا بالموت على أنفسكم، ﴿ **إن كنتم صادقين** ﴾، أنكم أبناء الله وأحباؤه فإن الموت هو الذي يوصلكم إليه.

﴿ **ولا يتمنّونه أبداً بما قدّمت أيديهم والله عليم بالظالمين * قل إن الموت الذي تفرّون منه فإنه مُلاقيكم ثم تُردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا نُودِيَ للصلاة من يوم الجمعة** ﴾، أي في يوم الجمعة كقوله: ﴿ أروني ماذا خلقوا من الأرض ﴾ [فاطر: ٤٠] أي في الأرض، وأراد بهذا النداء الأذان عند قعود الإمام على المنبر للخطبة، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا آدم ثنا ابن أبي ذئب عن الزهري عن السائب بن يزيد قال: كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء، قرأ الأعمش:

واختلفوا في تسمية هذا اليوم جمعة فقيل لأن الله تعالى جمع فيه خلق آدم وقيل لأن الله تعالى فرغ من خلق الأشياء فيه فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لاجتماع الجماعات فيه للصلاة وقيل أول من سمى هذا اليوم جمعة كعب بن لؤي قال أبو سلمة أول من قال أما بعد كعب بن لؤي وكان أول من سمى الجمعة جمعة وكان يقال لها يوم العروبة، عن ابن سيرين قال جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبي ﷺالمدينة وقبل أن تنزل الجمعة وهم الذين سموا الجمعة وقالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى يوم فهلم فلنجعل يوماً نجتمع فيه فنذكر اسم الله تعالى ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة ثم أنزل الله تعالى في ذلك اليوم ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة**﴾ الآية عن كعب بن مالك أنه كان إذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لأسعد بن زرارة فقال له ابنه عبد الرحمن يا أبت إذا سمعت النداء ترحمت لأسعد بن زرارة قال لأنه أول من جمع بنا في هزم النبيت من حرة بني بياضة في نقيع يقال له نقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ؟ قال أربعون» أخرجه أبو داود وأما أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ فذكر أصحاب السير أن النبي ﷺ لما دخل المدينة مهاجراً نزل قباء على بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لثنتي عشرة خلت من ربيع الأول حين امتد الضحى فأقام بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء ويوم الخميس وأسسس مسجدهم ثم خرج من بين أظهرهم يوم الجمعة عامداً إلى المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واديهم وقد اتخذوا في ذلك الموضع مسجداً فجمع فيه رسول الله ﷺ وخطب.

وقوله تعالى: ﴿**فاسعوا إلى ذكر الله**﴾ أي فامضوا إليه واعملوا له وليس المراد من السعي الإسراع في المشي

﴿ **من يوم الجمعة** ﴾ بسكون الميم، وقرأ العامّة بضمّها، واختلفوا في تسمية هذا اليوم جمعة، منهم مَن قال: لأن الله تعالى جمع فيه خلق آدم عليه السلام. وقيل: لأن الله تعالى فرغ من خلق جميع الأشياء فاجتمعت فيه المخلوقات. وقيل: لاجتماع الجماعات فيها. وقيل: لاجتماع الناس فيها للصلاة. وقيل: أول مَن سمّاها جمعة كعب بن لؤي قال أبو سلعة: أول مَن قال أما بعد كعب بن لؤي، وكان أول مَن سمّى الجمعة جمعة، وكان يقال له يوم العروبة. وعن ابين سيرين قال: جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبي ﷺ المدينة. وقيل: إن ينزل يوم الجمعة وهم الذين سمّوها الجمعة. وقالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى يوم، فهلمّ فلنجعل يوماً نجتمع فيه، فنذكر الله ونصلّي فيه، فقالوا: يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى، فاجعلوه يوم العروبة، فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلّى بهم ركعتين وذكرهم فسمّوه يوم الجمعة، ثم أنزل الله عزّ وجلّ في ذلك بعد. ورُوِيَ عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه عن كعب أنه كان إذا سمع النداء يوم الجمعة ترحّم لأسعد بن زرارة، فقلت له: إذا سمعت النداء ترحمت لأسعد بن زرارة؟ قال: لأنه أول مَن جمع بنا في هزم النبيت من حرّة بني بياضة في بقيع يقال له بقيع الخضمات، قلت له: كم كنتم يومئذ؟ قال: أربعون، وأما أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ بأصحابه فذكر أهل السِّيَر أن النبي ﷺ لمّا قَدِمَ المدينة مُهاجراً نزل قباء على بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الإثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين امتد الضحى، فأقام ببقاء يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء ويوم الخميس، وأسّسَ مسجدهم، ثم خرج من بين أظهرهم يوم الجمعة عامداً المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن وادٍ لهم، وقد اتخذوا في ذلك الموضع مسجداً فجمع هناك وخطب، قوله تعالى: ﴿ **فاسعوا إلى ذكر الله** ﴾، أي فامضوا إليه واعملوا له، وليس المراد من السعي الإسراع إنما المراد منه العمل والفعل، كما قال: ﴿ وإذا تولى سعى في الأرض ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وقال: ﴿ إن سعيكم لشتّى ﴾ [الليل: ٤]، وكان عمر بن الخطاب يقرأ: فامضوا إلى ذكر الله، وكذلك هي في قراءة عبد الله بن مسعود. وقال الحسن: أما والله ما هو بالسعي على الأقدام ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلاّ وعليهم السكينة والوقار، ولكن بالقلوب والنيّة والخشوع.

وإنما المراد منه العمل وكان عمر بن الخطاب يقرأ فامضوا إلى ذكر الله وقال الحسن أما والله ما هو بالسعي على الاقدام ولقد نهوا أن يأتوا إلى الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع.

وعن قتادة في هذه الآية فاسعوا إلى ذكر الله قال السعي أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشي إليها وكان يتأول قوله: ﴿**فلما بلغ معه السعي**﴾ بقوله فلما مشى معه (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا» وفي رواية «فإذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون وعليكم السكينة» وذكره زاد مسلم «فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في الصلاة» والمراد بقوله فاسعوا إلى ذكر الله الصلاة وقال سعيد بن المسيب هو موعظة الإمام ﴿**وذروا البيع**﴾ يعني البيع والشراء لأن البيع اسم يتناولهما جميعاً وهو من لوازمه وإنما يحرم البيع والشراء عند الأذان الثاني وقال الزهري عند خروج الإمام وقال الضحاك إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء ﴿**ذلكم**﴾ أي الذي ذكرت من حضور الجمعة وترك البيع والشراء ﴿**خير لكم**﴾ أي من المبايعة في ذلك الوقت ﴿**إن كنتم تعلمون**﴾ أي من مصالح أنفسكم والله تعالى أعلم.

(فصل: في فضل الجمعة وأحكامها وإثم تاركها)

وفيه مسائل:

(المسألة الأولى): في فضلها (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج لما منها»، زاد في رواية «ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة» (ق) عنه «أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل فيها شيئاً

وعن قتادة في هذه الآية: فاسعوا إلى ذكر الله، قال: فالسعي أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشي إليها، وكان يتأوّل قوله: ﴿ فلما بلغ معه السعي ﴾ [الصّافّات: ١٠٢] يقول فلما مشى معه. أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا محمد بن محمد بن معقل الميداني ثنا محمد بن يحيىٰ ثنا عبد الرزّاق أنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أُقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون، ولكن ائتوها تمشون وعليكم السكينة والوقار، فما أدركتم فصلّوا وما فاتكم فأتمّوها»، قوله: ﴿ **إلى ذكر الله** ﴾ أي الصلاة، وقال سعيد بن المسيب: ﴿ **فاسعوا إلى ذكر الله** ﴾ قال هو موعظة الإمام، ﴿ **وذَروا البيع** ﴾، يعني البيع والشراء لأن اسم البيع يتناولهما جميعاً. وإنّما يَحْرُم البيع والشراء عند الأذان الثاني، وقال الزهري عند خروج الإمام. وقال الضحاك: إذا زالت الشمس حرُم البيع والشراء، ﴿ **ذلكم** ﴾، الذي ذكرت من حضور الجمعة وترك البيع، ﴿ **خير لكم** ﴾، من المبايعة، ﴿ **إن كنتم تعلمون** ﴾، مصالح أنفسكم، واعلم أن صلاة الجمعة من فروض الأعيان فتجب على كل مَن جمع العقل والبلوغ والحرية والذكورة والإقامة إذا لم يكن له عذر فمَن تركها استحق الوعيد أما الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما، لأنهما ليسا من أهل أن يلزمهما فرض الأبدان لنقصان أبدانهما، ولا جمعة على النساء بالاتّفاق، أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا إبراهيم بن محمد حدّثني سلمة بن عبد الله الخطمي عن محمد بن كعب أنه سمع رجلاً من بني وائل يقول: قال النبي ﷺ: «تجب ترك الجمعة على كل مسلم إلّا امرأة أو صبيّاً أو مملوكاً» وذهب أكثرهم إلى أنه لا جمعة على العبيد. وقال الحسن وقتادة والأوزاعي: تجب على العبد المخارج ولا على المسافر عند الأكثرين. وقال النخعي والزهري: تجب على المسافر إذا سمع النداء،

إلا أعطاه إياه وأشار بيده يقللها» (ق) عنه أن رسول الله ﷺ قال «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا أحرم الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»، وفي رواية «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المساجد ملائكة يكتبون الأول فالأول فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاؤوا يستمعون الذكر» قوله من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة معناه غسلاً كغسل الجنابة (م) عنه أن رسول الله ﷺ قال «من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة واستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى فقد لغا» قوله ومن مس الحصى فقد لغا معناه أنه يشغله عن سماع الخطبة كما يشغله الكلام فجعله كاللغو (خ) عن عبادة قال أدركني أبو عيسى وأنا ذاهب إلى الجمعة فقال سمعت النبي ﷺ يقول «من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرجت إلى الطور فرأيت كعب الأحبار فجلست معه فحدثني عن التوراة وحدثته عن رسول الله ﷺ وكان فيما حدثته أن قلت له قال رسول الله ﷺ «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه مات وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة وما دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلا الجن والإنس وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه» قال كعب ذاك في كل سنة يوماً فقلت بل في كل جمعة فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله ﷺ قال أبو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الأحبار وما حدثته في يوم الجمعة فقال عبد الله بن سلام قد علمت أي ساعة هي قال أبو هريرة فقلت أخبرني بها ولا تكن عني، وفي رواية تضن عليّ قال هي آخر ساعة في يوم الجمعة قال أبو هريرة قلت وكيف تقول آخر ساعة في يوم الجمعة وقد قال رسول الله ﷺ لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لا يصلي

وكل مَن له عذر من مرض أو تعهّد مريض أو خوف، جاز له ترك الجمعة، وكذلك له تركها بعذر المطر والوحل، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبد المجيد صاحب الزيادي ثنا عبد الله بن الحارث بن عمر ثنا محمد بن سيرين قال ابن عباس لمؤذّنه في يوم مطير: إذا قلت أشهد أن محمداً رسول الله فلا تقل حيّ على الصلاة قل صلّوا في بيوتكم، فكأن الناس استنكروا، فقال فعله مَن هو خير منّي إن الجمعة عزيمة وإني كرهت أن أُخرجكم من بيوتكم فتمشون في الطين والدحض، وكل مَن لا يجب عليه حضور الجمعة، فإذا حضر وصلّى مع الإمام الجمعة سقط عنه فرض الظهر، ولكن لا يكمل به عدد الجمعة إلّا صاحب العذر، فإنه إذا حضر يكمل به العدد، أخبرنا الإمام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي في سنة إحدى وثمانين وثلثمائة أنا عيسى بن عمر بن العباس السمرقندي ثنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي أنا يحيى بن حسان ثنا معاوية بن سلام أخبرني زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول حدّثني الحكم بن مينا أن ابن عمر حدّثه وأبا هريرة أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول وهو على أعواد مِنبره: «لينتهينّ أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكوننّ من الغافلين». أخبرنا أبو عثمان الضبّي أنا أبو محمد الخزاعي ثنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا علي بن خشرم أنا عيسى بن يونس عن محمد بن عمرو عن عبيدة بن سفيان عن أبي الجعد يعني الضميري قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن ترك الجمعة ثلاثة مرات تهاوناً بها طبع الله على قلبه»، واختلف أهل العلم في موضع إقامة الجمعة وفي العدد الذي تنعقد به الجمعة، وفي المسافة التي يجب أن يؤتى منها، أما الموضع فذهب قوم إلى أن كل قرية اجتمع فيها أربعون رجلاً من أهل الكمال، بأن يكونوا أحراراً عاقلين بالغين مُقيمين لا

فيها قال عبد الله بن سلام ألم يقل رسول الله ﷺ «من جلس مجلساً ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصليها» قال أبو هريرة فقلت بلى قال فهو ذلك أخرجه مالك في الموطأ والنسائي (خ) عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ «لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من الطهور ويدهن من دهنه ويمس من طيب بيته ثم يخرج فلم يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة» الأخرى عن أوس بن أوس الثقفي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «من غسل واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام ولم يلغ واستمع كان له بكل خطوة أجر عمل سنة صيامها وقيامها» أخرجه أبو داود والنسائي قال أبو داود سئل مكحول عن غسل واغتسل قال غسل رأسه وجسده.

(المسألة الثانية): في إثم تاركها (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على منبره «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين» عن أبي الجعد الضمري وكان له صحبة أن رسول الله ﷺ قال من «ترك ثلاث جمع تهاوناً طبع الله على قلبه» أخرجه أبو داود والنسائي وللترمذي نحوه (م) عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجمعة «هممت أن آمر رجلاً يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم».

(المسألة الثالثة): في تأكيد وجوبها قال العلماء صلاة الجمعة هي من فروض الأعيان فتجب على كل مسلم حر بالغ عاقل ذكر مقيم إذا لم يكن له عذر في تركها ومن تركها من غير عذر استحق الوعيد أما الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما لأنهما ليسا من أهل الفرض ولا جمعة على النساء بالاتفاق يدل عليه ما روي عن طارق بن شهاب أن رسول

يظعنون عنها شتاءً ولا صيفاً، إلا ظعن حاجة، تجب عليهم إقامة الجمعة فيها، وهو قول عبيد الله بن عبد الله وعمر بن عبد العزيز، وبه قال الشافعي وأحمد وإسحاق، وقالوا: لا تنعقد الجمعة بأقل من أربعين رجلاً على هذه الصفة وشرط عمر بن عبد العزيز مع عدد الأربعين أن يكون فيهم والٍ، والوالي غير شرط عند الشافعي، وقال علي لا جمعة إلّا في مِصْر جامع وهو قول أصحاب الرأي، ثم عند أبي حنيفة رضي الله عنه تنعقد بأربعة والوالي شرط، وقال الأوزاعي وأبو يوسف: تنعقد بثلاثة إذا كان فيهم والٍ. وقال الحسن وأبو ثور: تنعقد باثنين كسائر الصلوات. وقال ربيعة: تنعقد باثني عشر رجلاً، والدليل على جواز إقامتها في القرى ما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن المثنى أنا أبو عامر العقدي ثنا إبراهيم بن طهمان عن أبي جمرة الضبعي عن ابن عباس قال: إن أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبد القيس بجؤاثي من البحرين، وإذا كان الرجل مقيماً في قرية لا تُقام فيها الجمعة، أو كان مقيماً في برية، فذهب قوم إلى أنه إن كان يبلغهم النداء في موضع الجمعة يلزمهم حضور الجمعة، وإن كان لا يبلغهم النداء فلا جمعة عليهم، وهو قول الشافعي وأحمد وإسحاق، والشرط أن يبلغهم نداء مؤذّن جهوري الصوت مؤذِّن في وقت تكون الأصوات فيه هادئة والرياح ساكنة، فكل قرية تكون من موضع الجمعة في القُرْب على هذا القدر يجب على أهلها حضور الجمعة. وقال سعيد بن المسيب: تجب على كل مَن آواه المبيت. وقال الزهري: تجب على مَن كان على ستّة أميال. وقال ربيعة: على أربعة أميال. وقال مالك والليث: على ثلاثة أميال. وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: لا جمعة على أهل السواد قريبة كانت القرية أو بعيدة. وكلّ مَن تلزمه صلاة الجمعة لا يجوز له أن يسافر يوم الجمعة بعد الزوال قبل أن يصلّي الجمعة، وجوّز أصحاب الرأي أن يسافر بعد الزوال إذا كان يفارق البلد قبل خروج الوقت، أما إذا سافر قبل الزوال قبل طلوع الفجر فيجوز، غير أنه يكره إلّا أن يكون سفره سفر طاعة من حج أو غزو، وذهب بعضهم إلى أنه إذا أصبح يوم الجمعة مُقيماً فلا يسافر حتى يصلّي الجمعة، والدليل على

الله ﷺ قال «الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا على أربعة عبد مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض»، أخرجه أبو داود وقال طارق «رأى النبي ﷺ وبعضاً من أصحاب النبي ﷺ ولم يسمع منه شيئاً عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال «الجمعة على من سمع النداء» أخرجه أبو داود وقال رواه جماعة ولم يرفعوه وإنما أسنده قبيصة عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال «الجمعة على من آواه الليل إلى أهله»، أخرجه الترمذي ولا تجب الجمعة على العبيد وقال الحسن وقتادة والأوزاعي تجب على العبد المكاتب وعن أحمد في العبيد روايتان وتجب الجمعة على أهل القرى والبوادي إذا سمعوا النداء من موضع تقام فيه الجمعة يلزمهم الحضور وإن لم يسمعوا فلا جمعة عليهم وبه قال الشافعي وأحمد وإسحاق والشرط أن يبلغهم نداء مؤذن جهوري الصوت يؤذن ني وقت تكون الأصوات فيه هادئة والرياح ساكنة فكل قرية تكون من موضع الجمعة في القرب على هذا القدر يجب على أهلها حضور الجمعة وقال سعيد بن المسيب تجب الجمعة على من آواه المبيت وقال الزهري تجب على كل من كان على ستة أميال وقال ربيعة على أربعة أميال، وقال مالك والليث على ثلاثة أميال وقال أبو حنيفة لا جمعة على أهل السواد سواء كانت القرية قريبة أو بعيدة دليل الشافعي ومن وافقه ما روي البخاري عن ابن عباس قال «إن أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبد القيس بجؤاثى من البحرين» ولأبي داود نحوه فيه بجؤائى قرية من قرى البحرين.

(المسألة الرابعة): في تركها لعذر كل من له عذر من مرض أو تعهد مريض أو خوف جاز له ترك الجمعة وكذا له تركها بعذر المطر والوحل يدل على ذلك ما روي عن ابن عباس «أنه خطب في يوم ذي ردغ فأمر المؤذن فلما بلغ حي

جوازه ما أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي أنا أبو العباس المحبوبي أنا أبو عيسى ثنا أحمد بن منيع ثنا معاوية عن الحجّاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال: بعث النبي ﷺ عبد الله بن رواحة في سَرِيَّة فوافق ذلك في يوم الجمعة فغدا أصحابه وقال أتخلّف فأُصلّي مع رسول الله ﷺ ثم ألحقهم، فلما صلّى مع النبي ﷺ رآه فقال: «ما منعك أن تغدوا مع أصحابك»؟ قال: أردت أن أُصلّي معك ثم ألحقهم، فقال: «لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما أدركت فضل غدوتهم». ورُوِيَ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع رجلاً عليه هيئة السفر يقول لولا أن اليوم يوم الجمعة لخرجت، فقال عمر: اخرجْ فإن الجمعة لا تحبس أحداً عن سفر. وقد ورد أخبار في سُنن يوم الجمعة وفضله منها ما أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد الفقيه أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن يزيد بن عبد الله بن الهاد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أنه قال: خرجت إلى الطور فلقيت كعب الأحبار فجلست معه فحدّثني عن التوراة وحدّثته عن رسول الله ﷺ، فكان فيما حدّثته أن قلت: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه أُهبط وفيه تِيبَ عليه، وفيه مات وفيه تقوم الساعة، وما من دابّة إلّا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حين تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلّا الجنّ والإنس، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلّي يسأل الله شيئاً إلّا أعطاه إيّاه»، قال كعب: ذلك في كل سنة يوم، فقلت: بل في كل جمعة، قال: فقرأ كعب التوراة قال: فصدق رسول الله ﷺ. قال أبو هريرة: ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدّثته بمجلسي مع كعب الأحبار وما حدّثته في يوم الجمعة، قال عبد الله بن سلام: قد علمت أيّة ساعة هي هي آخر ساعة في يوم الجمعة، قال أبو هريرة: وكيف تكون آخر ساعة في يوم الجمعة؟ وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلّي فيها» وتلك ساعة لا يصلّى فيها؟ فقال عبد الله بن سلام: ألم يقل رسول الله ﷺ: «مَن جلس مجلساً تنتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصلّيها»؟ قال أبو هريرة: بلى، قال: فهو ذاك. أخبرنا أبو الحسن

على الصلاة قال قل الصلاة في الرحال فنظر بعضهم إلى بعض كأنهم أنكروا ذلك فقال كأنكم أنكرتم هذا إن هذا فعله من هو خير مني يعني النبي ﷺ وإنها عزمة وإني كرهت أن أخرجكم» زاد في رواية «فتمشون في الطين والدحض والزلق»، أخرجه البخاري ومسلم وكل من لا تجب عليه الجمعة فإذا حضر وصلى مع الإمام الجمعة سقط عنه فرض الظهر ولكن لا يكمل به عدد الذين تنعقد بهم الجمعة إلا صاحب العذر فإنه إذا حضر كمل به العدد.

(المسألة الخامسة): في العدد الذي تنعقد به الجمعة اختلف أهل العلم في العدد الذي تنعقد به الجمعة فقيل لا تنعقد بأقل من أربعين رجلاً وهو قول عبيد الله بن عبد الله وعمر بن عبد العزيز وبه قال الشافعي وأحمد وإسحاق قالوا لا تنعقد الجمعة بأقل من أربعين رجلاً من أهل الكمال وذلك بأن يكونوا أحراراً بالغين عاقلين مقيمين في موضع لا يظعنون عنه شتاء ولا صيفاً إلا ظعن حاجة، وشرط عمر بن عبد العزيز أن يكون فيهم وال والوالي غير شرط عند الشافعي وقال علي بن أبي طالب: لا جمعة إلا في مصر جامع وهو قول أصحاب الرأي ثم عند أبي حنيفة تنعقد بأربعة والوالي شرط عنده وقال الأوزاعي وأبو يوسف تنعقد بثلاثة إذا كان فيهم وال وقال الحسن تنعقد باثنين وكسائر الصلوات وقال ربيعة تنعقد باثني عشر رجلاً ولا يكمل العدد بمن لا تجب عليه الجمعة كالعبد والمرأة والمسافر والصبي ولا تنعقد إلا في موضع واحد من البلد وبه قال الشافعي ومالك وأبو يوسف وقال أحمد تصح بموضعين إذا كثر الناس وضاق الجامع.

(المسألة السادسة): لا يجوز أن يسافر الرجل يوم الجمعة بعد الزوال قبل أن يصلي الجمعة وجوز أصحاب الرأي أن يسافر بعد الزوال إذا كان يفارق البلد قبل خروج الوقت أما إذا سافر قبل الزوال وبعد طلوع الفجر فإنه يجوز غير أنه يكره إلا أن يكون سفره سفر طاعة كحج أو غزو، وذهب بعضهم إلى أنه إذا أصبح يوم الجمعة مقيماً فلا يسافر حتى يصلي الجمعة يدل على جوازه ما روي عن ابن عباس قال «بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة في سرية فوافق

السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل ثنا آدم ثنا ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري أخبرني أبي عن عبد الله بن وديعة عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهّر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه أو يمسّ من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرّق بين اثنين ثم يصلّي ما كُتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلّا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبّار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا أحمد بن خالد ثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعن أبي أمامة يعني ابن سهل بن حنيف حدّثاه عن أبي سعيد وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «مَن اغتسل يوم الجمعة واستنّ ومسّ من طيب إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد، فلم يتخطَّ رقاب الناس ثم ركع ما شاء الله أن يركع، وأنصت إذا خرج الإمام كانت كفّارة لما بينها وبين الجمعة التي كانت قبلها»، وقال أبو هريرة وزيادة ثلاثة أيام لأن الله تعالى يقول: ﴿مَن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ [الأنعام: ١٦٠]، أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني أنا أبو القاسم بن جعفر الهاشمي أنا أبو علي بن أحمد بن عمر اللؤلؤي ثنا أبو داود سليمان بن الأشعث ثنا محمد بن حاتم الجرجرائي ثنا ابن المبارك عن الأوزاعي حدّثنا حسّان بن عطية حدّثني أبو الأشعث الصنعاني حدّثني أوس بن أوس الثقفي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن غسل يوم الجمعة واغتسل وبكّر وابتكر ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام واستمع، ولم يلغُ كان له بكل خطوة عمل سنة أجْر صيامها وقيامها». أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا

ذلك يوم الجمعة فغدا أصحابه وقال أتخلف فأصلي مع رسول الله ﷺ ثم ألحقهم فلما صلى مع النبي ﷺ رآه فقال ما منعك أن تغدو مع أصحابك؟ قال أردت أن أصلي معك ثم أتبعهم فقال لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما أدركت فضل غدوتهم» أخرجه الترمذي وروى أن عمر رأى رجلاً عليه أهبة السفر وسمعه يقول لولا أن اليوم يوم الجمعة لخرجت فقال له عمر اخرج فإن الجمعة لا تحبس عن سفر.

وللجمعة شرائط وسنن وآداب مذكورة في كتب الفقه وفي هذا القدر كفاية والله أعلم.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾

قوله عز وجل: **﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض﴾** أي إذا فرغ من صلاة الجمعة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم **﴿وابتغوا من فضل الله﴾** يعني الرزق وهذا أمر إباحة قال ابن عباس إن شئت فاخرج وإن شئت فاقعد وإن شئت فصل إلى العصر وقيل قوله فانتشروا في الأرض ليس لطلب دنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله وقيل وابتغوا من فضل الله هو طلب العلم وعن عراك بن مالك أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين **﴿واذكروا الله كثيراً﴾** أي إذا فرغتم من الصلاة ورجعتم إلى التجارة والبيع والشراء فاذكروا الله كثيراً قيل باللسان وقيل بالطاعة قيل لا تكون من الذاكرين الله كثيراً حتى تذكره قائماً وقاعداً ومضطجعاً **﴿لعلكم تفلحون﴾** قوله تعالى: **﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً﴾** (ق) عن جابر قال «بينما نحن نصلي مع رسول الله ﷺ إذ أقبلت عير تحمل طعاماً فانفتلوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا إثنا عشر رجلاً فنزلت هذه الآية وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً» وفي رواية «أن النبي ﷺ كان يخطب قائماً فجاءت عير من الشام وذكر نحوه» وفيه «إلا اثنا عشر رجلاً فيهم أبو بكر وعمر» ولمسلم «كنا مع النبي ﷺ يوم الجمعة فقدمت سويقة قال فخرج الناس إليها فلم يبق إلا اثنا عشر رجلاً أنا فيهم» وذكر الحديث وهو حجة من يرى صحة الجمعة باثني عشر رجلاً.

عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة وقفت على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الناس على منازلهم، الأول فالأول فإذا خرج الإمام طويت الصحف واستمعوا الخطبة والمهجر إلى الصلاة كالمهدي بدنةً، ثم الذي يليه كالمهدي بقرة، ثم الذي يليه كالمهدي شاة ثم الذي يليه كالمهدي كبشا حتى ذكر الدجاجة والبيضة».

قوله عزّ وجلّ: **﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ﴾**، أي إذا فرغ من الصلاة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرّف في حوائجكم، **﴿ وابتغوا من فضل الله ﴾**، يعني الرزق وهذا أمر إباحة كقوله: **﴿ وإذا حللتم فاصطادوا ﴾** [المائدة: ٢]، قال ابن عباس: إن شئت فاخرج وإن شئت فاقعد وإن شئت فصلِّ إلى العصر، وقيل: فانتشروا في الأرض ليس لطلب الدنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله. وقال الحسن وسعيد بن جبير ومكحول: **﴿ وابتغوا من فضل الله ﴾** هو طلب العلم. **﴿ واذكروا الله كثيراً لعلّكم تفلحون ﴾**.

قوله عزّ وجلّ: **﴿ وإذا رأوا تجارةً أو لهواً انفضّوا إليها وتركوك قائماً ﴾** الآية، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا حفص بن عمر ثنا خالد بن عبد الله أنا

وأجيب عنه بأنه ليس فيه بيان أنه أقام بهم الجمعة حتى يكون الحديث حجة لاشتراط هذا العدد وقال ابن عباس في رواية عنه لم يبق في المسجد إلا ثمانية رهط قال الحسن وأبو مالك «أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة الكلبي بتجارة زيت وطعام من الشام والنبي ﷺ يخطب فلما رأوه بالبقيع قاموا إليه خشية أن يسبقوا إليه فلم يبق مع النبي ﷺ إلا رهط فيهم أبو بكر وعمر، فنزلت هذه الآية فقال النبي ﷺ والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى منكم أحد لسال بكم الوادي ناراً» وقال مقاتل «بينا رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بالتجارة وكان إذا قدم لم تبق عاتق بالمدينة إلا أتته وكان يقدم بكل ما يحتاج إليه من دقيق وبر وزيت وغيره وينزل عند أحجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج إليه الناس ليبتاعوا منه فقدم ذات جمعة وذلك قبل أن يسلم ورسول الله ﷺ قائم على المنبر يخطب فخرج إليه الناس ولم يبق في المسجد إلا اثنا عشر رجلاً وامرأة فقال النبي ﷺ كم بقي في المسجد؟ فقالوا اثني عشر رجلاً وامرأة، فقال النبي ﷺ لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء فأنزل الله هذه الآية» وأراد باللهو الطبل وكانت العير إذا قدمت استقبلوها بالطبل والتصفيق، وقوله تعالى انفضوا أي تفرقوا وذهبوا نحوها والضمير في إليها راجع إلى التجارة لأنها أهم إليهم وتركوك قائماً اتفقوا على أن القيام كان في الخطبة للجمعة قال علقمة «سئل ابن مسعود أكان النبي ﷺ يخطب قائماً أو قاعداً؟ قال أما تقرؤون وتركوك قائماً» قال العلماء الخطبة فريضة في صلاة الجمعة وقال داود الظاهري هي مستحبة ويجب أن يخطب الإمام قائماً خطبتين يفصل بينهما بجلوس وقال أبو حنيفة وأحمد لا يشترط القيام ولا القعود وتشترط الطهارة في الخطبة عند الشافعي في أحد القولين وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله ويصلي على النبي ﷺ ويوصي بتقوى الله هذه الثلاث شروط في الخطبتين جميعاً ويجب أن يقرأ في الأولى آية من القرآن ويدعو للمؤمنين في الثانية ولو ترك واحدة من هذه الخمسة لم تصح خطبته ولا جمعته عند الشافعي وذهب أبو

حصين عن سالم بن أبي الجعد وعن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: أقبلت عير يوم الجمعة ونحن مع النبي ﷺ، فثار الناس إلّا اثني عشر رجلاً فأنزل الله: ﴿ **وإذا رأوا تجارةً أو لهواً انفضّوا إليها** ﴾ ويحتجّ بهذا الحديث مَن يرى الجمعة باثني عشر رجلاً وليس فيه بيان أنه أقام بهم الجمعة حتى يكون حجة، لاشتراط هذا العدد. وقال ابن عباس في رواية الكلبي: لم يبقَ في المسجد إلّا ثمانية رهط. وقال الحسن وأبو مالك: أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقَدِمَ دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فلما رأوه قاموا إليه بالبقيع خشوا أن يسبقوا إليه، فلم يبقَ مع النبي ﷺ إلّا رهط منهم أبو بكر وعمر فنزلت هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى منكم أحد لسال بكم الوادي ناراً»، وقال مقاتل: بينا رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ قَدِمَ دحية بن خليفة الكلبي من الشام بالتجارة، وكان إذا قَدِمَ لم تبقَ بالمدينة عاتق إلّا أتته، وكان يقدم إذا قَدِمَ بكل ما يحتاج إليه من دقيق وبُرٍّ وغيره، فينزل عند أحجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج إليه الناس ليبتاعوا منه، فقَدِمَ ذات جمعة وكان ذلك قبل أن يسلم ورسول الله ﷺ قائم على المنبر يخطب، فخرج إليه الناس فلم يبقَ في المسجد إلّا اثني عشرة رجلاً وامرأة، فقال النبي ﷺ: «كم بقي في المسجد»؟ فقالوا: اثني عشر رجلاً وامرأة، فقال النبي ﷺ: «لولا هؤلاء لسوّمت لهم الحجارة من السماء»، فأنزل الله هذه الآية وأراد باللهو الطبل. وقيل: كانت العير إذا قَدِمَت المدينة استقبلوها بالطبل والتصفيق. وقوله: ﴿ **انفضّوا إليها** ﴾ ردّ الكناية إلى التجارة لأنها أهم. وقال علقمة: سُئِلَ عبد الله بن عمر: أكان النبي ﷺ يخطب قائماً أو قاعداً؟ قال: أما تقرأ وتركوك قائماً. أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا إبراهيم بن محمد أخبرني

حنيفة إلى أنه لو أتى بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزأه وهذا القدر لا يقع عليه اسم الخطبة وهو مأمور بالخطبة والسنة للإمام إذا صعد المنبر أن يستقبل الناس وأن يسلم عليهم خلافاً لأبي حنيفة ومالك وهل يحرم الكلام في حال الخطبة فيه خلاف بين العلماء والأصح أنه يحرم على المستمع دون الخاطب ويستحب أن يصلي تحية المسجد إذا دخل والإمام يخطب خلافاً لأبي حنيفة ومالك.

(ذكر الأحاديث الواردة الدالة على هذه الأحكام)

(ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال «كان النبي ﷺ يخطب خطبتين يقعد بينهما» وفي رواية أخرى «كان يخطب يوم الجمعة وهو قائم ثم يقوم فيتم كما يفعلون الآن» (م) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال «كانت للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس» زاد في رواية «فمن حدثك أنه كان يخطب جالساً فقد كذب»، (م) عن كعب بن عجرة رضي الله عنه أنه دخل المسجد وعبد الرحمن بن الحكم يخطب جالساً فقال انظروا إلى هذا الخبيث يخطب قاعداً وقد قال الله تعالى: ﴿**وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً**﴾، (م) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال «كنت أصلي مع رسول الله ﷺ الصلاة فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً» زاد أبو داود ويقرأ آيات من القرآن ويذكر الناس عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء» أخرجه أبو داود والترمذي ولأبي داود عنه أن رسول الله ﷺ قال «كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم» عن ابن مسعود رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ كان إذا تشهد قال الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصيهما فإنه لا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً» وفي رواية أن يونس سأل ابن شهاب عن تشهد رسول الله ﷺ يوم الجمعة فذكر نحوه وقال فيه «ومن يعصيهما فقد غوى ونسأل الله ربنا أن يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه إنما نحن به وله» أخرجه أبو داود (م) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال «كانت خطبة رسول الله ﷺ يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول على أثر ذلك وقد علا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت أنا والساعة

جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله: كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة خطبتين قائماً يفصل بينهما بجلوس. أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجّاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة أنا أبو الأحوص عن سماك عن جابر بن سمرة قال: كان للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس. وبهذا الإسناد عن جابر بن سمرة قال: كنت أُصلّي مع النبي ﷺ، فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً والخطبة فريضةً في صلاة الجمعة، ويجب أن يخطب قائماً خطبتين وأقلّ ما يقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله ويصلّي على النبي ﷺ ويوصي بتقوى الله هذه الثلاثة فرض في الخطبتين جميعاً، ويجب أن يقرأ في الأولى آية من القرآن يدعو للمؤمنين في الثانية فلو ترك واحدة من هذه الخمس لا تصحّ جمعته عند الشافعي، وذهب أبو حنيفة رضي الله عنه إلى أنه لو أتى بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزأه وهذا القدر لا يقع عليه اسم الخطبة، وهو مأمور بالخطبة. أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا عبد الله بن يوسف بن محمد بن مأمونة أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد البصري بمكة ثنا الحسن بن الصباح الزعفراني ثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن أبي رافع أن مروان استخلف أبا هريرة على المدينة، فصلّى بهم أبو هريرة الجمعة فقرأ سورة الجمعة في الركعة الأولى وفي الثانية: ﴿ إذا جاءك المنافقون ﴾ [المنافقون: ١] فقال عبيد الله: فلما انصرف مشيت إلى جنبه فقلت له لقد قرأت بسورتين سمعت

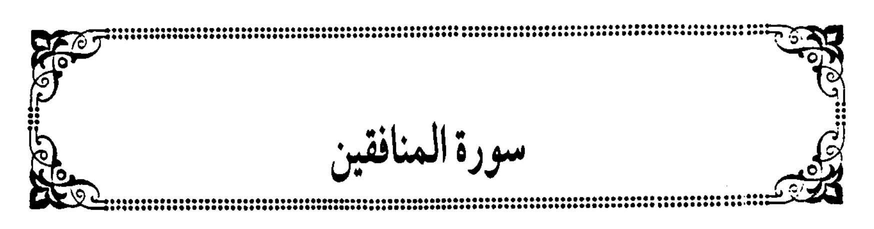
كهاتين ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى ويقول أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالاً فلأهله ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإليّ وعليّ» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال «كان رسول الله ﷺ إذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا أخرجه الترمذي (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والإمام يخطب فقد لغوت» عن نافع أن ابن عمر رأى رجلين يتحدثان والإمام يخطب يوم الجمعة فحصبهما أن اصمتا أخرجه مالك في الموطأ قال ابن شهاب خروج الإمام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام «فأما صفة صلاة الجمعة» فركعتان يجهر فيهما بالقراءة ولجواز الجمعة خمس شروط الوقت وهو وقت الظهر ما بين زوال الشمس إلى دخول وقت العصر والعدد والإمام والخطبة ودار الإقامة فإن فقد شرط من هذه الشروط لخمس يجب أن يصلي ظهراً ولا يجوز للإمام أن يبتدىء الخطبة قبل تمام العدد وهو أربعون عند الشافعي فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم انفضوا قبل افتتاح الصلاة أو انفض واحد من العدد لا يجوز أن يصلي بهم الجمعة بل يصلي الظهر ولو افتتح بهم الصلاة ثم انفضوا فأصح أقوال الشافعي أن بقاء الأربعين شرط إلى آخر الصلاة كما أن بقاء الوقت شرط إلى آخر الصلاة فلو نقص واحد قبل أن يسلم الإمام يجب على الباقين أن يصلوها ظهراً، وفيه قول آخر وهو أنه إن بقي معه اثنان أتمها جمعة وقيل إن بقي معه واحد أتمها جمعة وعند المزني إن انفضوا بعد ما صلى بهم الإمام ركعة أتمها جمعة وإن بقي وحده وإن كان في الركعة الأولى يتمها أربعاً وإن انفض من العدد واحداً، وبه قال أبو حنيفة لكن في العدد الذي يشترط كالمسبوق إذا أدرك مع الإمام ركعة من الجمعة فإذا سلم الإمام أتمها جمعة وإن أدرك أقل من ركعة أتمها أربعاً (خ) عن أنس رضي الله عنه «أن النبي ﷺ كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس» (م) عن عبيد الله بن أبي رافع قال «استخلف مروان أبا هريرة على المدينة وخرج إلى مكة فصلى بنا أبو هريرة الجمعة فقرأ بعد الحمد سورة الجمعة في الأولى وإذا جاءك المنافقون في الثانية قال فأدركت أبا هريرة حين انصرف فقلت له إنك قرأت سورتين كان علي بن أبي طالب يقرأ بهما في الكوفة فقال أبو هريرة إني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بهما يوم الجمعة»، (م) عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه قال «كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية قال وإذا اجتمع العيد والجمعة في

علي بن أبي طالب يقرأ بهما في الصلاة، فقال سمعت النبي ﷺ يقرأ بهما. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ضمرة بن سعيد المازني عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن الضحاك بن قيس سأل النعمان بن بشير ماذا كان يقرأ به رسول الله ﷺ يوم الجمعة على أثر سورة الجمعة، فقال: كان يقرأ بهل أتاك حديث الغاشية. أخبرنا أبو عثمان الضبّي أنا أبو محمد الجراحي ثنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى ثنا قتيبة ثنا أبو عوانة عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير قال: كان النبي ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بسبّح اسم ربك الأعلى، وهلى أتاك حديث الغاشية، وربما اجتمع في يوم واحد فيقرأ بهما، ولجواز الجمعة خمس شرائط: الوقت الظهر ما بين زوال الشمس إلى دخول وقت العصر، والعدد، والإمام، والخطبة، ودار الإقامة، فإذا فقد شرط من هذه الخمسة يجب أن يصلّوها ظهراً، ولا يجوز للإمام أن يتبدىء الخطبة قبل اجتماع العدد، وهو عدد الأربعين عند الشافعي، فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم انفضّوا قبل افتتاح الصلاة أو انتقص واحد من العدد لا يجوز أن يصلّي بهم الجمعة، بل يصلّي الظهر ولو افتتح بهم الصلاة ثم انفضّوا، فأصحّ أقوال الشافعي أن بقاء الأربعين شرط إلى آخر الصلاة، كما أن بقاء الوقت شرط إلى آخر الصلاة ولو انتقص واحد منهم قبل أن يسلّم الإمام يجب على الباقين أن يصلّوها أربعاً، وفيه قول آخر إن بقي معه اثنان أتمّها جمعة. وقيل: إن بقي معه واحد أتمّها جمعة، وعند المزني إذا انفضّوا

يوم واحد يقرأ بهما في الصلاتين» عن سمرة بن جندب رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية» أخرجه أبو داود والنسائي.

وقوله تعالى: ﴿**قل ما عند الله**﴾ أي ما عند الله من الثواب والأجر على الصلاة والثبات مع النبي ﷺ ﴿**خير من اللهو ومن التجارة**﴾ الذي جاء بهما دحية ﴿**والله خير الرازقين**﴾ يعني أنه تعالى موجد الأرزاق وأصلها منه فإياه فاسألوا ومنه فاطلبوا، والله تعالى أعلم.

بعد ما صلّى الإمام بهم ركعة أتمّها جمعة، وإن بقي وحده فإن كان في الركعة الأولى يتمّها أربعاً وإن انتقص من العدد واحد، وبه قال أبو حنيفة في العدد الذي يشترطه كالمسبوق إذا أدرك مع الإمام ركعة من الجمعة فإذا سلّم الإمام أتمّها جمعة فإن أدرك أقلّ من ركعة أتمّها أربعاً. قوله عزّ وجلّ: ﴿ **قلْ ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة** ﴾، أي ما عند الله من الثواب على الصلاة والثبات مع النبيﷺ خير من اللهو ومن التجارة، ﴿ **والله خير الرازقين** ﴾، لأنه مُوجِد الأرزاق فإيّاه فاسألوا ومنه فاطلبوا.



سورة المنافقين

مدنية وهي إحدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وتسعمائة وستة وسبعون حرفاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾

قوله عز وجل: ﴿**إذا جاءك المنافقون**﴾ يعني عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه قالوا ﴿**نشهد إنك لرسول الله**﴾ وتم الخبر عنهم ثم ابتدأ فقال تعالى: ﴿**والله يعلم إنك لرسوله**﴾ أي هو الذي أرسلك فهو عالم بك ﴿**والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**﴾ يعني في قولهم نشهد إنك لرسول الله لأنهم أضمروا خلاف ما أظهروا وذلك لأن حقيقة الإيمان أن يواطىء اللسان القلب وكذلك الكلام فمن أخبر عن شيء واعتقد خلافه أو أضمر خلاف ما أظهر فهو كاذب ألا ترى أنهم كانوا يقولون بألسنتهم نشهد إنك لرسول الله وسماه كذباً لأن قولهم خالف اعتقادهم ﴿**اتخذوا أيمانهم جنة**﴾ أي سترة يسترون بها من القتل ومعنى أيمانهم ما أخبر الله عنهم من حلفهم إنهم لمنكم وقولهم نشهد إنك لرسول الله ﴿**فصدوا عن سبيل الله**﴾ أي أعرضوا بأنفسهم عن طاعة الله وطاعة رسوله وقيل منعوا الناس عن الجهاد وعن الإيمان بمحمد ﷺ ﴿**إنهم ساء ما كانوا يعملون**﴾ يعني حيث آثروا الكفر على الإيمان ﴿**ذلك بأنهم آمنوا**﴾ أي في الظاهر وذلك إذا رأوا المؤمنين أقروا بالإيمان ﴿**ثم كفروا**﴾ أي في السر وذلك إذا خلوا مع المشركين وفيه تأكيد لقوله والله يشهد إنهم لكاذبون ﴿**فطبع على قلوبهم**﴾ أي بالكفر ﴿**فهم لا يفقهون**﴾ أي الإيمان وقيل لا يتدبرون القرآن.

سُوْرَة المُنَافِقُون

مدنيّة وهي إحدى عشرة آية.

﴿ **إذا جاءك المنافقون** ﴾، يعني عبد الله بن أُبيّ بن سلول وأصحابه، ﴿ **قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون** ﴾، لأنهم أضمروا خلاف ما أظهروا.

﴿ **اتخذوا أيمانهم جنّة** ﴾، سترة، ﴿ **فصدّوا عن سبيل الله** ﴾، منعوا الناس عن الجهاد والإيمان بمحمد ﷺ، ﴿ **إنهم ساء ما كانوا يعملون** ﴾.

﴿ **ذلك بأنهم آمنوا** ﴾، أقرّوا باللسان إذا رأوا المؤمنين، ﴿ **ثم كفروا** ﴾، إذا خلوا إلى المشركين، ﴿ **فطبع على قلوبهم** ﴾، بالكفر، ﴿ **فهم لا يفقهون** ﴾، الإيمان.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ
عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ
وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ
اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾

﴿**وإذا رأيتهم**﴾ يعني المنافقين مثل عبد الله بن أبي ابن سلول ﴿**تعجبك أجسامهم**﴾ يعني أن لهم أجساماً ومناظر حسنة ﴿**وإن يقولوا تسمع لقولهم**﴾ أي فتحسب أنه صدق قال ابن عباس كان عبد الله بن أبي ابن سلول جسيماً فصيحاً ذلق اللسان فإذا قال سمع النبي ﷺ قوله ﴿**كأنهم خشب مسندة**﴾ أي أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام شبههم بالخشب المسندة إلى جدر وليست بأشجار مثمرة ينتفع بها ﴿**يحسبون كل صيحة عليهم**﴾ يعني أنهم لا يسمعون صوتاً في العسكر بأن ينادي مناد أو تنفلت دابة أو تنشد ضالة إلا ظنوا من خبثهم وسوء ظنهم أنهم يرادون بذلك وظنوا أنهم قد أتوا لما في قلوبهم من الرعب وقيل إنهم على خوف ووجل من أن ينزل فيهم أمر يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وتم الكلام عند قوله عليهم ثم ابتدأ فقال تعالى: ﴿**هم العدو فاحذرهم**﴾ أي لا تأمنهم فإنهم وإن كانوا معك ويظهرون تصديقك أعداء لك فاحذرهم ولا تأمنهم على سرك لأنهم عيون لأعدائك من الكفار ينقلون إليهم أسرارك ﴿**قاتلهم الله**﴾ أي لعنهم الله ﴿**أنى يؤفكون**﴾ أي يصرفون عن الحق.

قوله تعالى: ﴿**وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم**﴾ أي أمالوها وأعرضوا بوجوههم رغبة عن الاستغفار ﴿**ورأيتهم يصدون**﴾ أي يعرضون عما دعوا إليه ﴿**وهم مستكبرون**﴾ أي عن استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ﴿**سواء عليهم استغفرت لهم**﴾ أي يا محمد ﴿**أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين**﴾.

﴿ **وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم** ﴾، يعني أن لهم أجساماً ومناظر، ﴿ **وإن يقولوا تسمع لقولهم** ﴾، فتحسب أنه صدق، قال عبد الله بن عباس: كان عبد الله بن أبي جسيماً فصيحاً ذَلِق اللسان فإذا قال سمع النبي ﷺ قوله: ﴿ **كأنهم خُشُبٌ مُّسَنَّدة** ﴾، أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام، قرأ أبو عمرو والكسائي: ﴿ **خشب** ﴾ بسكون الشين، وقرأ الباقون بضمّها، ﴿ **مّسندّة** ﴾ مُمالة إلى جدار من قولهم أسندت الشيء إذا أملته، والثقيل للتكثير، وأراد أنها ليست بأشجار تثمر ولكنها خشب مّسندّة إلى حائط، ﴿ **يحسبون كل صيحة عليهم** ﴾، أي لا يسمعون صوتاً في العسكر بأن نادى مُنادٍ أو انفلتت دابّة أو أنشدت ضالّة لا ظنوا من جبنهم وسوء ظنهم أنهم يُرادون بذلك وظنوا أنهم قد أتوا لما في قلوبهم من الرعب. وقيل: ذلك لكونهم على وجل من أن ينزل الله فيهم أمراً يهتك أستارهم ويبيح دماءهم ثم قال: ﴿ **هم العدو** ﴾، هذا ابتداء وخبره، ﴿ **فاحذرهم** ﴾، ولا تأمنهم، ﴿ **قاتلهم الله** ﴾، لعنهم الله ﴿ **أنّى يؤفكون** ﴾، يُصرفون عن الحق.

﴿ **وإذا قيل لهم تعالوا يستغفرْ لكم رسول الله لووا رؤوسهم** ﴾، أي عطفوا وأعرضُوا بوُجوههم رغبةً عن الاستغفار، قرأ نافع ويعقوب ﴿ **لووا** ﴾ بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد، لأنهم فعلوها مرة بعد مرة. ﴿ **ورأيتهم يصدّون** ﴾، يُعرضون عمّا دُعُوا إليه، ﴿ **وهم مستكبرون** ﴾، متكبّرون عن استغفار رسول الله ﷺ لهم.

﴿ **سواء عليهم أستغفرت لهم** ﴾، يا محمد، ﴿ **أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم**

(ذكر القصة: في سبب نزول هذه الآية)

قال محمد بن إسحاق وغيره من أصحاب السير إن رسول الله ﷺ بلغه أن بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحارث بن أبي ضرار وهو أبو جويرية زوج النبي ﷺ فلما سمع رسول الله ﷺ بذلك خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل فتزاحم الناس واقتتلوا فهزم الله تعالى بني المصطلق وأمكن منهم وقيل من قتل منهم ونقل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءها عليهم فبينما الناس على ذلك الماء إذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن سعيد الغفاري يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الأنصار وصرخ الغفاري يا معشر المهاجرين وأعان جهجاهاً رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيراً فقال عبدالله بن أبي الجعال وإنك لهناك فقال جعال وما يمنعني أن أفعل ذلك فغضب عبد الله بن أبي وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم وهو غلام حديث السن فقال عبد الله بن أبي افعلوها قد نافرونا وكاثرنا في بلادنا والله ما مثلنا زائدة ومثلهم إلا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ثم أقبل على من حضر من قومه فقال هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولتحولوا إلى غير بلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن أرقم أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد ﷺ في عز من الرحمن ومودة من المسلمين فقال عبد الله بن أبي اسكت لقد كنت ألعب فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله ﷺ وذلك بعد فراغه من الغزو فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال دعني أضرب عنقه يا رسول الله قال كيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ولكن أذن بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها فارتحل الناس وأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي

الفاسقين ﴾، ذكر محمد بن إسحاق وغيره من أصحاب رسول الله ﷺ بلغه أن بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويريّة زوج النبي ﷺ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل، فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق، وقتل مَن قتل منهم، ونقل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءها عليهم، فبينما الناس على ذلك الماء إذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار، يقال له جهجاه بن سعيد الغفاري يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا، فصرخ الجهني يا معشر الأنصار وصرخ الغفاري يا معشر المهاجرين وأعان جهجهاها الغفاري رجل من المهاجرين يقال له جعال، وكان فقيراً وغضب عبد الله بن أبي سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حديث السنّ، فقال ابن أُبيّ أفعلوها؟ فقد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما مثلنا ومثلهم إلاّ كما قال القائل سمّن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ، يعني بالأعزّ نفسه وبالأذلّ رسول الله ﷺ، ثم أقبل على مَن حضره من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولتحوّلوا إلى عير بلادكم، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضّوا من حول محمد، فقال زيد بن أرقم أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك محمد ﷺ في عزٍّ من الرحمن عزّ وجلّ ومودّة من المسلمين، فقال عبد الله بن أُبيّ اسكت فإنما كنت ألعب قال فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله ﷺ، وذلك بعد فراغه من الغزو فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فقال: دعني أضرب عنقه يا رسول الله، قال: «كيف يا عمر إذا تحدّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»؟ ولكن أَذّن بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن رسول

فأتاه فقال أنت صاحب هذا الكلام الذي بلغني فقال عبد الله بن أبي والذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك وإن زيداً لكاذب وكان عبد الله في قومه شريفاً عظيماً فقال من حضر من الأنصار من أصحابه يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد وهم في حديثه ولم يحفظ ما قاله فعذره النبي ﷺ وفشت الملامة لزيد في الأنصار وكذبوه وقال له عمه وكان زيد معه ما أردت إلا أن كذبك رسول الله ﷺ والناس ومقتوك وكان زيد يساير النبي ﷺ فاستحيا بعد ذلك أن يدنو من النبي ﷺ فلما استقل رسول الله ﷺ وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال يا رسول الله ﷺ لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله ﷺ أو ما بلغك ما قال صاحبك عبد الله بن أبي فقال أسيد وما قال؟ قال يزعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل فقال أسيد أنت والله يا رسول الله تخرجه هو والله الذليل وأنت والله العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فإنه ليرى أنك قد سلبته ملكاً وبلغ عبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن أبي ما كان من أبيه فأتى رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي لما بلغك عنه فإن كنت فاعلاً فمرني فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالديه مني وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي على الأرض فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار فقال رسول الله ﷺ بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا قالوا وسار رسول الله ﷺ يومه ذلك حتى أمسى وليلته حتى أصبح وصدر يومه حتى آذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يكن إلا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياماً وإنما فعل ذلك ليشتغل الناس عن حديث عبد الله بن أبي الذي كان منه بالأمس ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال لها نقعاء فهاجت ريح شديدة آذتهم وتخوفوها وضلت ناقة رسول الله ﷺ وذلك بالليل فقال رسول الله ﷺ لا تخافوا فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفي بالمدينة فقيل من هو؟ قال رفاعة بن زيد بن التابوت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم أنه يعلم الغيب

الله ﷺ يرتحل فيها فارتحل الناس وأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أُبيّ فأتاه فقال له أنت صاحب هذا الكلام الذي بلغني؟ فقال عبد الله: والذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك، وإن زيداً لكاذبٌ، وكان عبد الله في قومه شريفاً عظيماً، فقال مَن حضر من أصحابه من الأنصار: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام وهم في حديثه ولم يحفظ ما قاله، فعذره النبي ﷺ وفَشَت المَلامة في الأنصار لزيد وكذّبوه، وقال له عمّه وكان زيد معه: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ والناس كلهم يقولون إن عبد الله شيخنا وكبيرنا لا يصدق عليه كلام غلام من غلمان الأنصار، ومقتوك وكان زيد يساير النبي ﷺ فاستحيا بعد ذلك أن يدنوا من النبي ﷺ، فلما استقبل رسول الله ﷺ وسار لقيه أسيد بن حضير فحيّاه بتحيّة النبوّة وسلّم عليه، ثم قال: يا رسول الله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها، فقال له رسول الله ﷺ: «أوَ ما بلغك ما قال صاحبكم عبد الله بن أُبيّ»؟ قال: وما قال؟ قال: «زعم إن رجع إلى المدينة أخرج الأعزّ منها الأذلّ» فقال أسيد: فأنت والله يا رسول الله تُخرِجه إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز، ثم قال: يا رسول الله أرفِق به فوالله لقد جاء الله بك، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوّجوه فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ ما كان من أمر أبيه فأتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أُبيّ لما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبرّ بوالديه منّي وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبيّ يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر. فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: «بل نرفق به ونُحسِن صحبته ما بقي معنا»، قال: وسار رسول الله ﷺ يومه ذلك حتى أمسى وليلته، حتى أصبح وصدر يومه ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس فلم يكن إلاّ أن وجدوا مسّ الأرض فوقعوا نياماً، وإنما فعل ذلك ليشغل الناس

ولا يعلم بمكان ناقته ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فأخبر بذلك رسول الله ﷺ أصحابه وقال ما أزعم أني أعلم الغيب ولا أعلمه ولكن الله أخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب وقد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فإذا هي كما قال فجاؤوا بها فآمن ذلك المنافق وحسن إيمانه فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت قد مات في ذلك اليوم وكان من عظماء اليهود وكهفاً للمنافقين فلما وافى رسول الله ﷺ المدينة قال زيد بن أرقم جلست في البيت لما بي من الهم والحياء فأنزل الله عز وجل سورة المنافقين في تصديق زيد بن أرقم وتكذيب عبد الله بن أبي فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بإذن زيد وقال يا زيد إن الله قد صدقك وأوفى بإذنك (ق) عن زيد بن أرقم قال «خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر أصاب الناس فيه شدة فقال عبد الله بن أبي لا تنفقوا عليّ من عند رسول الله ﷺ حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل قال فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك فأرسل إلى عبد الله بن أبي فسأله فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا كذب زيد رسول الله ﷺ قال فوقع في نفسي مما قالوه شدة حتى أنزل الله بتصديقي إذا جاءك المنافقون قال ثم دعاهم رسول الله ﷺ ليستغفر لهم قال فلووا رؤوسهم وقوله كأنهم خشب مسندة قال كانوا رجالاً أجمل شيء» (ق) عن جابر قال «غزونا مع رسول الله ﷺ وقد بات معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع أنصارياً فغضب الأنصاري غضباً شديداً حتى تداعوا وقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فخرج رسول الله ﷺ فقال ما بال دعوى الجاهلية ثم قال ما شأنهم فأخبر بسكعة المهاجري الأنصاري فقال دعوها فإنها خبيثة وقال عبد الله بن أبي ابن سلول أقد تداعوا علينا لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل قال عمر ألا أقتل يا نبي الله هذا الخبيث لعبد الله فقال النبي ﷺ لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه» ولمسلم رواية «وفيها فقال لا بأس ولينصر الرجل أخاه ظالماً كان أو مظلوماً إن كان ظالماً فلينهه فإنه له نصر وإن كان مظلوماً فلينصره» وزاد الترمذي فيه «فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله لا تنقلب حتى تقر أنك أنت الذليل ورسول الله ﷺ العزيز ففعل» قال أصحاب السير وكان عبد الله بن أبي بقرب المدينة فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبد الله حتى أناخ على مجامع طرق المدينة فلما جاء عبد الله بن أبي قال له ابنه وراءك قال ويلك ما لك قال لا والله لا

عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أُبيّ، ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع، يقال له نقعاء فهاجت ريح شديدة آذتهم وتخوّفوا منها، وضلّت ناقة النبي ﷺ وذلك ليلاً، فقال رسول الله ﷺ: «لا تخافوا فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفّار توفي بالمدينة»، قيل: مَن هو؟ قال: «رفاعة بن زيد بن التابوت»، فقال رجل من المنافقين: كيف يزعم أنه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي، فأتاه جبريل فأخبره بقول المنافق وبمكان الناقة، وأخبر بذلك رسول الله ﷺ أصحابه، وقال: «ما أزعم أني أعلم الغيب وما أعلمه ولكن الله أخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب قد تعلق زمامها بشجرة، فخرجوا يسعون قبل الشعب فإذا هي كما قال: فجاؤوا بها من ذلك الشعب وآمن ذلك المنافق، فلما قَدِموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت قد مات ذلك اليوم، وكان من عظماء اليهود وكهفاً للمنافقين، فلما وافى رسول الله ﷺ المدينة قال زيد بن أرقم: جلست في البيت لما بي من الهمّ والحياء فأنزل الله تعالى سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبد الله بن أُبيّ فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بإذن زيد وقال: «يا زيد إن الله قد صدقك وأوفى بإذنك وكان عبد الله بن أُبيّ أتى بقرب المدينة، فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبد الله بن عبد الله حتى أناخ على مجامع طرق المدينة، فلما جاء عبد الله بن أُبيّ قال: وراءك، قال: ما لك ويلك؟ قال: لا والله لا تدخلها أبداً إلّا بإذن رسول الله ﷺ، ولتعلمنّ اليوم مَن الأعزّ من الأذلّ، فشكا عبد الله إلى رسول الله ﷺ ما صنع ابنه، فأرسل رسول الله ﷺ أن خلِّ عنه حتى يدخل، فقال: أما إذا جاء أمر رسول الله ﷺ فنعم، فدخل فلم يلبث إلّا أياماً قلائل

تدخلها أبداً إلا أن يأذن رسول الله ﷺ ولتعلمن اليوم من الأعز ومن الأذل فشكا عبد الله بن أبي إلى رسول الله ﷺ ما صنع ابنه عبد الله فأرسل رسول الله ﷺ أن خل عنه يدخل فقال عبد الله أما إذا جاء أمر رسول الله ﷺ فنعم فدخل قالوا فلما نزلت هذه السورة وتبين كذب المنافقين قيل يا أبا حباب إنه قد نزل فيك آي شداد فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك فلوى رأسه وقال أمرتموني أن أؤمن فآمنت وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فقد أعطيت فما بقي إلا أن أسجد لمحمد ﷺ فأنزل الله ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم﴾ الآية ونزل.

هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾

﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا علي من عند رسول الله ﷺ حتى ينفضوا﴾ أي يتفرقوا عنه ﴿ولله خزائن السموات والأرض﴾ يعني بيده مفاتيح الرزق فلا يعطي أحد أحداً شيئاً إلا بإذنه ولا يمنعه إلا بمشيئته ﴿ولكن المنافقين لا يفقهون﴾ يعني أن أمر الله إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة﴾ يعني من غزوة بني المصطلق ﴿ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ فرد الله عليهم بقوله ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ فعزة الله تعالى قهره وغلبته على من دونه وعزة رسوله ﷺ إظهار دينه على الأديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله إياهم على أعدائهم ﴿ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ أي ذلك لو علموا ما قالوا هذه المقالة قال أصحاب السير فلما نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي ابن سلول لم يلبث إلا أياماً قلائل حتى اشتكى ومات على نفاقه.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم﴾ أي لا تشغلكم ﴿أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾ يعني عن الصلوات الخمس والمعنى لا تشغلكم أموالكم ولا أولادكم كما شغلت المنافقين عن ذكر الله ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أي

حتى اشتكى ومات، قالوا: فلما نزلت الآية وبان كذب عبد الله بن أُبيّ قيل له: يا أبا حباب إنه قد نزل فيك أي شداد فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك، فلوى رأسه ثم قال: أمرتموني أن أُؤمن فآمنت، وأمرتموني أن أُعطي زكاة مالي فقد أعطيت فما بقي، إلاّ أن أسجد لمحمد ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ﴾ الآية.

ونزل: ﴿ هم الذين يقولون لا تنفقوا على مَن عند رسول الله حتى ينفضّوا ﴾، يتفرقوا، ﴿ ولله خزائن السموات والأرض ﴾، فلا يعطي أحد أحداً شيئاً إلاّ بإذنه ولا يمنعه إلاّ بمشيئته، ﴿ ولكن المنافقين لا يفقهون ﴾، أن أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

﴿ يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ﴾، عن غزوة بني المصطلق، ﴿ ليخرجنّ الأعزُّ منها الأذلّ ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين ﴾، فعزّة الله قهره من دونه، وعزّة رسوله إظهار دينه على الأديان كلها، وعزّة المؤمنين نصر الله إيّاهم على أعدائهم. ﴿ ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ ذلك ولو علموا ما قالوا هذه المقالة.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم ﴾ لا تشغلكم ﴿ أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ﴾ قال المفسّرون يعني الصلوات الخمس نظيره قوله: ﴿ لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ [النور: ٣٧] ﴿ ومَن يفعل ذلك ﴾ أي مَن شغله ماله وولده عن ذكر الله ﴿ فأولئك هم الخاسرون ﴾.

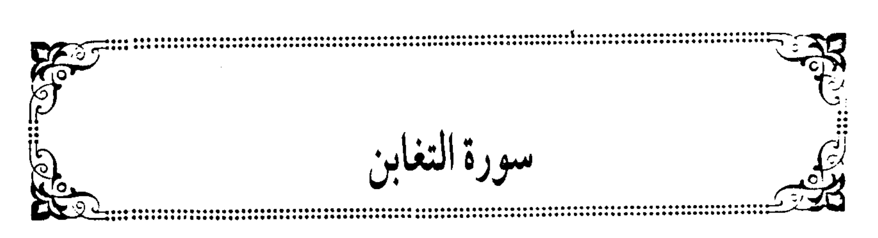
ومن شغله ماله وولده عن ذكر الله ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾ أي في تجارتهم حيث آثروا الفاني على الباقي.

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿وأنفقوا مما رزقناكم﴾ قال ابن عباس يريد زكاة الأموال ﴿من قبل أن يأتي أحدكم الموت﴾ أي دلائل الموت ومقدماته وعلاماته فيسأل الرجعة ﴿فيقول رب لولا أخرتني﴾ أي هلا أمهلتني وقيل لو أخرت أجلي ﴿إلى أجل قريب فأصدق﴾ أي فأزكي مالي ﴿وأكن﴾ وقرىء وأكون ﴿من الصالحين﴾ أي المؤمنين وقيل نزلت هذه الآية في المنافقين ويدل على هذا أن المؤمن لا يسأل الرجعة وقيل نزلت في المؤمنين والمراد بالصلاح هنا الحج قال ابن عباس ما من أحد يموت وكان له مال ولم يؤد زكاته أو أطاق الحج ولم يحج إلا سأل الرجعة عند الموت وقرأ هذه الآية وأكون من الصالحين أي أحج وأزكي ﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها﴾ يعني أنه تعالى لا يؤخر من حضر أجله وانقضت مدته ﴿والله خبير بما تعملون﴾ يعني أنه لو رد إلى الدنيا وأجيب إلي ما سأل ما حج وما زكى وقيل هو خطاب شائع لكل عامل عملاً من خير أو شر، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ وأنفقوا مما رزقناكم ﴾، قال ابن عباس: يريد زكاة الأموال، ﴿ من قبل أن يأتي أحدَكم الموتُ ﴾، فيسأل الرجعة، ﴿ فيقول ربِّ لولا أخّرتني ﴾، هلاّ أخّرتني أمهلتني، وقيل: ﴿ لا ﴾ صلة فيكون الكلام بمعنى التمنّي أي لو أخّرتني، ﴿ إلى أجل قريب فأصدّق ﴾، فأتصدّق وأُزكّي مالي، ﴿ وأكن من الصالحين ﴾، أي من المؤمنين نظيره، قوله تعالى: ﴿ ومَن صلح من آبائهم ﴾ [الرعد: ٢٣]، هذا قول مقاتل وجماعة، وقالوا: نزلت الآية في المنافقين. وقيل: نزلت الآية في المؤمنين. والمراد بالصلاح هنا الحج، وروى الضحاك وعطية عن ابن عباس أنه قال: ما من أحد يموت وكان له مال لم يؤدِّ زكاته وأطاق الحج فلم يحجّ إلاّ سأل الرجعة عند الموت. وقرأ هذه الآية. وقال: ﴿ وأكن من الصالحين ﴾ قرأ أبو عمرو وأكون بالواو ونصب النون على جواب التمنّي وعلى لفظ فأصّدق، قال: إنما حذفت الواو من المصحف اختصاراً، وقرأ الآخرون وأكن بالجزم عطفاً على قوله فأصدّق لو لم يكن فيه الفاء لأنه لو لم يكن فيه الفاء لكان جزماً يعني إن أخّرتني أصدّق وأكن ولأنه مكتوب في المصحف بحذف الواو.

﴿ ولن يؤخرَ الله نفساً إذاجاء أجَلها والله خبير بما تعملون ﴾، قرأ أبو بكر يعملون بالياء وقرأ الآخرون بالتاء.



سورة التغابن

وهي مدنية في قول الأكثر وقيل هي مكية إلا ثلاث آيات من قوله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم**﴾ إلى آخر ثلاث آيات وهي ثماني عشرة آية ومائتان وإحدى وأربعون كلمة وألف وسبعون حرفاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾

قوله عز وجل: ﴿**يسبح له ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد**﴾ يعني أنه تعالى متصرف في ملكه كيف يشاء تصرف اختصاص لا شريك له فيه وله **الحمد** لأن أصول النعم كلها منه وهو الذي يحمد على كل حال فلا محمود في جميع الأحوال إلا هو ﴿**وهو على كل شيء قدير**﴾ يعني أنه سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء كما يشاء بلا مانع ولا مدافع ﴿**هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن**﴾ قال ابن عباس إن الله تعالى خلق بني آدم مؤمناً وكافراً ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمناً وكافراً (م) عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال «إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلاً خلقهم لهم وهم في أصلاب آبائهم» (ق) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «وكل الله بالرحم ملكاً فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فإذا أراد الله

سُوْرَة التّغَابُن

قال عطاء هي مكيّة إلاّ ثلاث آيات من قوله: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم﴾ [التغابن: ١٤] إلى آخرهنّ، وهي ثماني عشرة آية.

﴿ **يسبّح لله ما في السمٰوات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير * هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير** ﴾، قال ابن عباس: إن الله خلق بني آدم مؤمناً وكافراً ثم يُعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمناً وكافراً. وروينا عن ابن عباس عن أُبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغلام الذي قتله الخَضر عليه السلام طبع كافراً». وقال جلّ ذكره: ﴿ ولا يلدوا إلاّ فاجراً كفّاراً ﴾ [نوح: ٢٧] أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا سليمان بن حرب ثنا حمّاد عن عبد الله بن أبي بكر عن أنس عن النبي ﷺ قال: «وكّل الله بالرحم ملكاً فيقول: أيْ ربِّ نطفة، أيْ ربِّ علقة، أيْ ربِّ مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال: يا ربِّ أذكرٌ أم أُنثى أشقي أم سعيد؟ فما الرزق فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أُمه». وقال جماعة: معنى الآية إن الله خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا، لأن الله تعالى ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم، فقال: ﴿ **فمنكم كافر ومنكم مؤمن** ﴾، كما قال الله تعالى: ﴿ والله

أن يقضي خلقها قال يا رب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد فما الزرق فما الأجل فيكتب ذلك وهو في بطن أمه» وقال جماعة في معنى الآية إن الله تعالى خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا لأن الله ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم فقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم اختلفوا في تأويلها فروي عن أبي سعيد الخدري أنه قال فمنكم كافر حياته مؤمن في العاقبة ومنكم مؤمن حياته كافر في العاقبة وقال عطاء بن أبي رباح فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب وقيل فمنكم كافر أي بأن الله خلقه وهم الدهرية وأصحاب الطبائع ومنكم مؤمن أي بأن الله خلقه وجملة القول فيه أن الله تعالى خلق الكافر وكفره فعلاً له وكسباً وخلق المؤمن وإيمانه فعلاً له وكسباً فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله وبمشيئته فالمؤمن بعد خلق الله إياه يختار الإيمان لأن الله تعالى أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله إياه يختار الكفر لأن الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه هذا طريق أهل السنة فمن سلك هذا أصاب الحق وسلم من مذهب الجبرية والقدرية ﴿**والله بما تعملون بصير**﴾ أي أنه عالم بكفر الكافر وإيمان المؤمن.

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾

﴿**خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم**﴾ أي إنه أتقن وأحكم صوركم على وجه لا يوجد مثله في الحسن والمنظر من حسن القامة والمناسبة في الأعضاء وقد علم بهذا أن صورة الإنسان أحسن صورة وأكملها ﴿**وإليه المصير**﴾ أي المرجع في القيامة ﴿**يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور**﴾ معناه أنه لا تخفى عليه خافية فاستوى في علمه الظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم قوله تعالى: ﴿**ألم**

خلق كل دابّة من ماء فمنهم مَن يمشي على بطنه ﴾ [النور: ٤٥] فالله خلقهم والمشي فعلهم ثم اختلفوا في تأويلها، فرُوِيَ عن أبي سعيد الخدري أنه قال: فمنكم كافر في حياته مؤمن في العاقبة، ومنكم مؤمن في حياته كافر في العاقبة. وقال عطاء بن أبي رباح: فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب، ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب. وقيل: فمنكم كافر بأن الله تعالى خلقه وهو مذهب الدهرية، ومنكم مؤمن بأن الله خلقه. وجملة القول فيه: أن الله خلق الكافر، وكفره فعلاً له وكسباً، وخلق المؤمن، وإيمانه فعلاً له وكسباً، فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله ومشيئته، فالمؤمن بعد خلق الله إيّاه يختار الإيمان لأن الله تعالى أراد ذلك منه وقدّره عليه وعلّمه منه، والكافر بعد خلق الله تعالى إيّاه يختار الكفر لأن الله تعالى أراد ذلك منه وقدّره عليه وعلّمه منه، وهذا طريق أهل السُّنّة والجماعة مَن سلكه أصاب الحق وسَلِمَ من الجبر والقدر.

﴿ **خلق السمٰوات والأرض بالحقّ وصوّركم فأحسن صوركم وإليه المصير يعلم ما في السمٰوات والأرض** ﴾.

﴿ **ويعلم ما تسرّون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور * ألم يأتكم** ﴾، يخاطب كفّار مكة، ﴿ **نبأ الذين كفروا من قبل** ﴾، يعني الأمم الخالية، ﴿ **فذاقوا وبال أمرهم** ﴾، يعني ما لحقهم من العذاب في الدنيا، ﴿ **ولهم عذاب أليم** ﴾، في الآخرة.

يأتكم﴾ يخاطب كفار مكة **﴿نبأ الذين كفروا من قبل﴾** يعني خبر الأمم الخالية **﴿فذاقوا وبال أمرهم﴾** أي جزاء أعمالهم وهو ما لحقهم من العذاب في الدنيا **﴿ولهم عذاب أليم﴾** أي في الآخرة **﴿ذلك﴾** أي الذي نزل بهم من العذاب **﴿بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا﴾** معناه أنهم أنكروا أن يكون الرسول بشراً وذلك لقلة عقولهم وسخافة أحلامهم ولم ينكروا أن يكون معبودهم حجراً **﴿فكفروا﴾** أي جحدوا وأنكروا **﴿وتولوا﴾** أي أعرضوا **﴿واستغنى الله﴾** أي عن إيمانهم وعبادتهم **﴿والله غني﴾** أي عن خلقه **﴿حميد﴾** أي في أفعاله ثم أخبر الله تعالى عن إنكارهم البعث فقال تعالى:

زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٨﴾ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا
يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ
إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ
فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٣﴾

﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل﴾ أي قل لهم يا محمد **﴿بلى وربي لتبعثن﴾** أي يوم القيامة **﴿ثم لتنبئن﴾** أي لتخبرن **﴿بما عملتم وذلك على الله يسير﴾** أي أمر البعث والحساب يوم القيامة **﴿فآمنوا بالله ورسوله﴾** لما ذكر حال الأمم الماضية المكذبة وما نزل بهم من العذاب قال فآمنوا أنتم بالله ورسوله لئلا ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة **﴿والنور الذي أنزلنا﴾** يعني القرآن سماه نوراً لأنه يهتدى به في ظلمات الضلال كما يهتدى بالنور في الظلمة **﴿والله بما تعملون خبير﴾** يعني أنه مطلع عليكم عالم بأحوالكم جميعاً فراقبوه وخافوه.

قوله عز وجل: **﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾** يعني يوم القيامة يجمع الله فيه الأولين والآخرين وأهل السموات وأهل الأرضين **﴿ذلك يوم التغابن﴾** من الغبن وهو فوت الحظ والمراد في المجازاة والتجارة وذلك أنه إذا أخذ الشيء بدون قيمته فقد غبن والمغبون من غبن أهله ومنازله في الجنة وذلك لأن كل كافر له أهل ومنزل في الجنة لو أسلم فيظهر يومئذ غبن كل كافر يتركه الإيمان ويظهر غبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان وقيل إن قوماً في النار يعذبون

﴿ ذلك ﴾، العذاب، **﴿ بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبيّنات فقالوا أبشرٌ يهدوننا ﴾**، ولم يقل يهدينا لأن البشر وإن كان لفظه واحد فإنه في معنى الجمع، وهو اسم الجنس لا واحد له من لفظه، وواحده إنسان، ومعناه ينكرون ويقولون آدمي مثلنا يهدينا، **﴿ فكفروا وتولّوا واستغنى الله ﴾**، عن إيمانهم، **﴿ والله غني ﴾**، عن خلقه، **﴿ حميد ﴾**، في أفعاله، ثم أخبر عن إنكارهم البعث.

فقال جلّ ذكره: **﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل ﴾**، يا محمد، **﴿ بلى وربّي لتبعثنّ ثم لتنبؤنّ بما عملتم وذلك على الله يسير * فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا ﴾**، وهو القرآن، **﴿والله بما تعملون خبير﴾**.

﴿ يوم يجمعكم ليوم الجمع ﴾، يعني يوم القيامة يجمع فيه أهل السمٰوات والأرض، **﴿ ذلك يوم التغابن ﴾**، وهو تفاعل من الغبن وهو فوت الحظ، والمراد فالمغبون من غبن عن أهله ومنازله في الجنة فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الإيمان، وغبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان، **﴿ ومَن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفّر عنه سيئاته**

وقوماً في الجنة ينعمون فلا غبن أعظم من هذا وقل هو غبن المظلوم للظالم لأن المظلوم مغبون في الدنيا فصار في الآخرة غابناً لظالمه وأصل الغبن في البيع والشراء وقد ذكر الله في حق الكافرين «انهم خسروا وغبنوا في شرائهم فقال تعالى: ﴿**اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة**﴾ وقال في حق المؤمنين ﴿**هل أدلكم على تجارة**﴾ وقال «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة» فخسرت صفقة الكافرين وربحت صفقة المؤمنين ﴿**ومن يؤمن بالله**﴾ على ما جاءت به الرسل من الإيمان بالبعث والجنة والنار ﴿**ويعمل صالحاً**﴾ أي في إيمانه إلى أن يموت على ذلك ﴿**يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم والذين كفروا**﴾ أي بوحدانية الله وقدرته ﴿**وكذبوا بآياتنا**﴾ أي الدالة على البعث ﴿**أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله**﴾ أي بقضاء الله وقدره وإرادته ﴿**ومن يؤمن بالله**﴾ أي يصدق أنه لا يصيبه مصيبة من موت أو مرض أو ذهاب مال ونحو ذلك إلا بقضاء الله وقدره وإذنه ﴿**يهد قلبه**﴾ أي يوفقه لليقين حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضاء الله تعالى وقدره وقيل يهد قلبه للشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء ﴿**والله بكل شيء عليم وأطيعوا الله**﴾ أي فيما أمر ﴿**وأطيعوا الرسول**﴾ أي فيما جاء به عن الله وما أمركم به ﴿**فإن توليتم**﴾ أي عن إجابة الرسول فيما دعاكم إليه ﴿**فإنما على رسولنا البلاغ المبين الله لا إله إلا هو**﴾ أي لا معبود ولا مقصود إلا هو ﴿**وعلى الله فليتوكل المؤمنون**﴾.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم**﴾ عن ابن عباس قال هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا النبي ﷺ فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا أن يعاقبوهم فأنزل الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم**

﴿**ويُدخله جنّات تجري من تحتها الأنهار**﴾، قرأ أهل المدينة والشام نكفّر (وندخله)، وفي سورة الطلاق [١١] ﴿**ندخله**﴾ بالنون فيهنّ وقرأ الآخرون بالياء، ﴿**خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم**﴾.

﴿**والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير**﴾.

﴿**ما أصاب من مصيبة إلّا بإذن الله**﴾، بإرادته وقضائه، ﴿**ومَن يؤمن بالله**﴾، فيصدّق أنه لا يصيبه مصيبة إلّا بإذن الله، ﴿**يهـد قلبه**﴾، يوفّقه لليقين حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيسلّم لقضائه، ﴿**والله بكل شيء عليم**﴾.

﴿**وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين**﴾.

﴿**الله لا إلّه إلّا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون**﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إنّ من أزواجكم وأولادكم عدوّاً لكم فاحذروهم**﴾، قال ابن عباس: هؤلاء رجال من أهل مكة أسلموا وأرادوا أن يهاجروا إلى المدينة فمنعهم أزواجهم وأولادهم، وقالوا صبرنا على إسلامكم فلا نصبر على فراقكم فأطاعوهم، وتركوا الهجرة، فقال تعالى: ﴿**فاحذروهم**﴾ أن تطيعوهم وتدعو

وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم﴾ الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعنه قالوا لهم صبرنا على إسلامكم فلا صبر لنا على فراقكم فأطاعوهم وتركوا الهجرة فقال تعالى فاحذروهم أي أن تطيعوهم وتدعوا الهجرة ﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا﴾ هذا فيمن أقام على الأهل والولد ولم يهاجر ثم هاجر فرأى الذين قد سبقوه بالهجرة فقد فقهوا في الدين فهم أن يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه ومنعوه عن الهجرة لما لحقوا به ولا ينفق عليهم ولا يصيبهم بخير فأمره الله بالعفو والصفح عنهم وقال عطاء بن يسار نزلت في عوف بن مالك الأشجعي وكان ذا أهل وولد فإذا أراد أن يغزو بكوا عليه ورققوه وقالوا إلى من تدعنا فيرق عليهم فيقيم فأنزل الله تعالى إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم بحملهم إياكم على ترك طاعة الله فاحذروهم أي أن تقبلوا منهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا أي فلا تعاقبوهم على خلافكم ﴿فإن الله غفور رحيم إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ أي بلاء واختبار وشغل عن الآخرة وقد يقع الإنسان بسببهم في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام وغصب مال الغير ونحو ذلك ﴿والله عنده أجر عظيم﴾ يعني الجنة والمعنى لا تباشروا المعاصي بسبب أولادكم ولا تؤثروهم على ما عند الله من الأجر العظيم قال بعضهم لما ذكر الله العداوة أدخل من للتبعيض فقال إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم لأنهم كلهم ليسوا بأعداء ولم يذكر من في قوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة لأنهم لم يخلوا من الفتنة واشتغال القلب بهم وكان عبد الله بن مسعود يقول لا يقولن أحدكم اللهم إني أعوذ بك من الفتنة فإنه ليس أحد منكم يرجع إلى أهل ومال وولد إلا يشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن.

عن بريدة رضي الله تعالى عنه قال «كان رسول الله ﷺ يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله إنما أموالكم وأولادكم

الهجرة، ﴿ وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم ﴾، هذا فيمن أقام على الأهل والولد ولم يهاجر فإذا هاجر رأى الذين سبقوه بالهجرة وقد فقهوا في الدين همّ أن يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه عن الهجرة، وإن لحقوا في دار الهجرة لم ينفق عليهم ولم يصبهم بخير، فأمرهم الله عزّ وجلّ بالعفو عنهم والصّفح، وقال عطاء بن يسار: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي: كان ذا أهل وولد وكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورقّقوه، وقالوا إلى مَن تدعنا فيرقّ لهم ويقيم، فأنزل الله ﴿ إنّ من أزواجكم وأولادكم عدوّاً لكم ﴾ بحملهم إياكم على ترك الطاعة، فاحذروهم أن تقبلوا منهم، ﴿ وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا ﴾ فلا تعاقبوهم على خلافهم إيّاكم فالله غفور رحيم.

﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾، بلاء واختبار وشغل عن الآخرة، يقع بسببها الإنسان في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام، ﴿ والله عنده أجْر عظيم ﴾، قال بعضهم: لمّا ذكر الله العداوة أدخل فيه من للتبعيض، فقال: إن من أزواجكم وأولادكم عدوّاً لكم لأن كلهم ليسوا بأعداء، ولم يذكر مَن في قوله: ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ لأنها لا تخلو عن الفتنة واشتغال القلب. وكان عبد الله بن مسعود يقول: لا يقولنّ أحدكم اللّهمَّ إني أعوذ بك من الفتنة فإنه ليس منكم أحد يرجع إلى مال وأهل وولد إلاّ وهو مشتمل على فتنة، ولكن ليقل: اللّهمَّ إني أعوذ بك من مضلّات الفتن. أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفري أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن الفضل الفقيه أنا أبو الحسن أحمد بن إسحاق الفقيه ثنا أحمد بن بكر بن سيف ثنا علي بن الحسن أنا الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة قال سمعت أبا بريدة يقول: كان رسول الله ﷺ يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال: صدق الله ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما.

فتنة نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب.

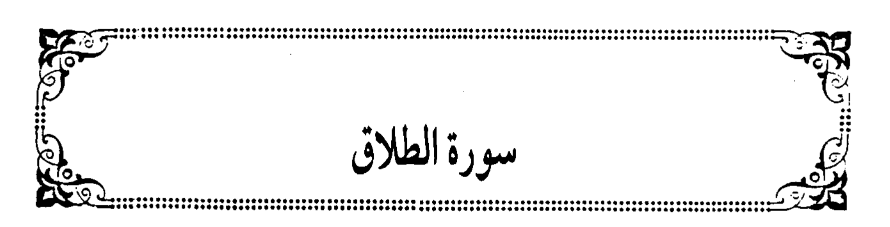
وقوله تعالى: ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾ أي ما أطقتم وهذه الآية ناسخة لقوله «اتقوا الله حق تقاته» ﴿**واسمعوا وأطيعوا**﴾ أي لله ولرسوله فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿**وأنفقوا**﴾ أي من أموالكم حق الله الذي أمركم به ﴿**خيراً لأنفسكم**﴾ أي ما أنفقتم في طاعة الله ﴿**ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾ تقدم تفسيره.

إِن تُقْرِضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

﴿**إن تقرضوا الله قرضاً حسناً**﴾ القرض الحسن هو التصدق من الحلال مع طيبة نفس يعني إن تقرضوا أي تنفقوا في طاعة الله متقربين إليه بالإنفاق ﴿**يضاعفه لكم**﴾ أي يجزكم بالضعف إلى سبعمائة إلى ما يشاء من الزيادة ﴿**ويغفر لكم والله شكور**﴾ يعني يحب المتقربين إليه ﴿**حليم**﴾ أي لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبهم ﴿**عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم**﴾ والله أعلم.

﴿ **فاتقوا الله ما استطعتم** ﴾، أي أطقتم، هذه الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿ **اتقوا الله حقَّ تقاته** ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿ **واسمعُوا وأطيعوا** ﴾، الله ورسوله، ﴿ **وأنفقوا خيراً لأنفسكم** ﴾، أي أنفقوا من أموالكم خيراً لأنفسكم. ﴿ **وَمَن يُوقَ شُحّ نفسه** ﴾ حتى يعطي حق الله من ماله ﴿ **فأولئك هم المفلحون** ﴾.

﴿ **إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم * عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم** ﴾.



سورة الطلاق

مدنية وهي اثنتا عشرة آية ومائتان وتسع وأربعون كلمة وألف وستون حرفاً

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١)

قوله عز وجل: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ نادى النبي ﷺ ثم خاطب أمته لأنه المقدم عليهم فإذا خوطب خطاب لجمع كانت أمته داخلة في ذلك الخطاب وقيل معناه يا أيها النبي قل لأمتك فأضمر القول إذا طلقتم النساء أي إذا أردتم تطليقهن ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ أي لزمان عدتهن وهو الطهر لأنها تعتد بذلك الطهر من عدتها وتحصل في العدة عقيب الطلاق فلا يطول عليها زمان العدة وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن فطلقوهن في قبل عدتهن وهذا في المدخول بها لأن غير المدخول بها لا عدة عليها نزلت هذه الآية في عبد الله بن عمر كان قد طلق امرأته في حال الحيض (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما «أنه طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله ﷺ فتغيظ منه رسول الله ﷺ ثم قال مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها قبل أن يمسها فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء» زاد في رواية «كان عبد الله طلقها تطليقة فحسبت من طلاقها وراجعها عبد الله كما أمر رسول الله ﷺ» وفي رواية لمسلم «إنه طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي ﷺ فقال مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً» ولمسلم من حديث أبي الزبير أنه سمع عبد الرحمن بن أيمن مولى عروة يسأل

سُورَة الطَّلَاق

مدنيّة وهي اثنتا عشرة آية.

﴿ يا أيّها النبي إذا طلّقتم النساء ﴾، نادى النبي ﷺ ثم خاطب أُمته لأنه السيد المقدّم، فخاطب الجميع معه، وقيل: مجازه يا أيها النبي قل لأمتك إذا طلّقتم النساء، أي إذا أردتم تطليقهنّ، كقوله عزّ وجلّ: ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذْ بالله ﴾ [النحل: ٩٨] أي إذا أردت القراءة. ﴿ فطلّقوهنّ لعدّتهنّ ﴾، أي لطهرهنّ بالذي يقضينه من عدّتهنّ، وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن (فطلّقوهنّ في قبل عدّتهنّ)، نزلت هذه الآية في عبد الله بن عمر كان قد طلّق امرأته في حال الحيض، أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد الفقيه أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه طلّق امرأته وهي حائض

عمر وأبو الزبير يسمع كيف ترى في رجل طلق امرأته حائضاً فقال «طلق ابن عمر امرأته وهي حائض على عهد رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ ليراجعها فردها وقال إذا طهرت فليطلق أو ليمسك قال ابن عمر وقرأ النبي ﷺ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن»(١).

(فصل)

اعلم أن الطلاق في حال الحيض والنفاس بدعة وكذلك في الطهر الذي جامعها فيه لقول النبي ﷺ وإن شاء طلق قبل أن يمس، والطلاق السني أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه وهذا في حق امرأة تلزمها العدة بالأقراء فأما إذا طلق غير المدخول بها في حال الحيض أو طلق الصغيرة التي لم تحض أو الآيسة بعد ما جامعها أو طلق الحامل بعد ما جامعها أو طلق التي لم تر الدم لا يكون بدعياً ولا سنة، ولا بدعة في طلاق هؤلاء لأن النبي ﷺ قال «ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً» والخلع في حال الحيض أو في طهر جامعها فيه لا يكون بدعياً لأن النبي ﷺ أذن لثابت بن قيس في مخالعة زوجته قبل أن يعرف حالها ولولا جوازه في جميع الأحوال لأمره أن يتعرف الحال؛ ولو طلق امرأته في حال الحيض أو في طهر جامعها فيه قصداً عصى الله تعالى ووقع الطلاق لأن النبي ﷺ أمر ابن عمر بالمراجعة فلولا وقوع الطلاق لم يأمره بالمراجعة، وإذا راجعها في حال الحيض يجوز أن يطلقها في حال الطهر الذي يعقب تلك الحيضة قبل المسيس كما رواه يونس بن جبير وأنس بن سيرين عن ابن عمر ولم يقولا ثم تحيض ثم تطهر وما رواه نافع عن ابن عمر ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فأمر استحباب استحب تأخير الطلاق إلى الطهر الثاني حتى لا تكون مراجعته إياها للطلاق كما أنه يكره النكاح للطلاق، ولا بدعة في الجمع بين الطلقات الثلاث عند بعض أهل العلم فلو طلق امرأته في حال الطهر ثلاثاً لا يكون بدعياً وهو قول الشافعي وأحمد وذهب بعضهم إلى أنه بدعة وهو قول مالك وأصحاب الرأي.

في عهد رسول الله ﷺ فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: يا عمر مُرْهُ فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلّق قبل أن يمسّ، فتلك العدّة التي أمر الله أن تُطلّق لها النساء. ورواه سالم عن ابن عمر قال: «فمُرْهُ فليراجعها ثم ليطلّقها طاهراً أو حاملاً»، ورواه يونس بن جبير وأنس بن سيرين عن ابن عمر: ولم يقولا ثم تحيض ثم تطهر، أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا مسلم وسعيد بن سالم عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع عبد الرحمن بن أيمن مولى عروة يسأل عبد الله بن عمر وأبو الزبير يسمع فقال: كيف ترى في رجل طلّق امرأته حائضاً؟ فقال ابن عمر: طلّق عبد الله بن عمر امرأته حائضاً، فقال النبي ﷺ: «مُرْهُ فليراجعها فإذا طهرت فليطلّق أو ليمسك»، قال ابن عمر: وقال الله عزّ وجلّ: «يا أيها النبي إذا طلّقتم النساء فطلّقوهنّ في قبل عدّتهنّ أو لقبل عدّتهنّ»، الشافعي يشكّ. ورواه حجّاج بن محمد عن ابن جريج. وقال: قال ابن عمر: وقرأ النبي ﷺ: يا أيها النبي إذا طلّقتم النساء فطلّقوهنّ في قبل عدّتهنّ.

فصل

اعلم أن الطلاق في حال الحيض والنفاس بدعة وكذلك في الطّهر الذي جامعها فيه، لقول النبي ﷺ: «وإن شاء طلّق قبل أن يمسّ». والطلاقّ السنّي أن يطلّقها في طهر لم يجامعها فيه، وهذا في حق امرأة تلزمها العدّة

---

(١) قوله في قبل عدتهن. قال في شرح مسلم هير قراءة ابن عباس وابن عمر وهي شاذة لا تثبت قرآناً بالإجماع ولا يكون لها حكم خبر الواحد عندنا اهـ.

قوله تعالى: ﴿**وأحصوا العدة**﴾ أي عدة أقرائها فاحفظوها؛ قيل أمر بإحصاء العدة لتفريق الطلاق على الأقراء إذا أراد أن يطلق ثلاثاً، وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة أمر النفقة والسكنى ﴿**واتقوا الله ربكم**﴾ أي واخشوا الله ولا تعصوه فيما أمركم به ﴿**لا تخرجوهن من بيوتهن**﴾ يعني إذا كان المسكن الذي طلقها فيه الزوج له بملك أو إكراء وإن كان عارية فارتجعت كان على الزوج أن يكري لها منزلاً غيره ولا يجوز للزوج أن يخرج المرأة من المسكن الذي طلقها فيه ﴿**ولا يخرجن**﴾ يعني ولا يجوز للمرأة أن تخرج ما لم تنقض عدتها لحق الله تعالى فإن خرجت لغير ضرورة أثمت فإن وقعت ضرورة بأن خافت هدماً أو غرقاً جاز لها أن تخرج إلى منزل آخر وكذلك إذا كان لها حاجة ضرورية من بيع غزل أو شراء قطن جاز لها الخروج نهاراً ولا يجوز ليلاً، يدل على ذلك أن رجالاً استشهدوا بأحد فقالت نساؤهم نستوحش في بيوتنا فأذن لهن رسول الله ﷺ أن يتحدثن عند إحداهن فإذا كان وقت النوم تأوي كل امرأة إلى بيتها وأذن رسول الله ﷺ لخالة جابر وقد كان طلقها زوجها أن تخرج لجذاذ نخلها فإذا لزمتها العدة في السفر تعتد في أهلها ذاهبة وراجعة والبدوية تتبوأ حيث يتبوأ أهلها في العدة لأن الانتقال في حقهم كالإقامة في حق المقيم.

بالأقراء، فأما إذا طلّق غير المدخول بها في حال الحيض أو طلّق الصغيرة التي لم تحض قطّ أو الآيسة بعد ما جامعها، أو طلّق الحامل بعد ما جامعها، أو في حال رؤية الدم لا يكون بدعياً ولا سُنّة ولا بدعة، في طلاق هؤلاء لأن النبي ﷺ قال: «ثم ليطلّقها طاهراً أو حاملاً». والخلع في حال الحيض أو في طُهْر جامعها فيه لا يكون بدعياً لأن النبي ﷺ أذِنَ لثابت بن قيس في مخالعة زوجته من غير أن يعرف حالها، ولولا جوازه في جميع الأحوال لأشبه أن يتعرّف الحال، ولو طلّق امرأته في حال الحيض أو في طهر جامعها فيه قصداً يعصي الله تعالى، ولكن يقع الطلاق لأن النبي ﷺ أمر ابن عمر بالمراجعة ولولا وقوع الطلاق لكان لا يأمره بالمراجعة، وإذا راجعها في حال الحيض يجوز أن يطلّقها في الطهر الذي يعقب تلك الحيضة قبل المسيس، كما رواه يونس بن جبير وأنس بن سيرين عن ابن عمر، وما رواه نافع عن ابن عمر: ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، فاستحباب استحبّ تأخير الطلاق إلى الطهر الثاني حتى لا يكون مراجعته إيّاها للطلاق كما يكره النكاح للطلاق، ولا بدعة في الجمع بين الطلقات الثلاث عند بعض أهل العلم، حتى لو طلّق امرأته في حال الطهر ثلاثاً لا يكون بدعياً وهو قول الشافعي وأحمد، وذهب بعضهم إلى أنه بدعة وهو قول مالك وأصحاب الرأي. قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وأحصوا العدّة** ﴾، أي عدد أقرائها فاحفظوها، قيل: أمر بإحصاء العدّة لتفريق الطلاق على الأقراء إذا أراد أن يطلّق ثلاثاً. وقيل: للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة أمر النفقة والسكنى. ﴿ **واتقوا الله ربكم لا تخرجوهنّ من بيوتهنّ** ﴾. أراد به إذا كان المسكن الذي طلّقها فيه للزوج لا يجوز أن يُخرِجها منه، ﴿ **ولا يخرجن** ﴾، ولا يجوز لها أن تخرج ما لم تنقضِ العدّة، فإن خرجت لغير ضرورة أو حاجة أثِمَت، فإن وقعت ضرورة بأن خافت هدماً أو غرقاً لها أن تخرج إلى منزل آخر، وكذلك إن كانت لها حاجة من بيع غزل أو شراء قطن فيجوز لها الخروج نهاراً ولا يجوز ليلاً، فإن رجالاً استشهدوا بأُحُد فقالت نساؤهم: نستوحش في بيوتنا، فأذِنَ لهنّ النبي ﷺ أن يتحدّثن عند إحداهنّ، فإذا كان وقت النوم تأوي كل امرأة إلى بيتها، وأذن النبي ﷺ لخالة جابر حين طلّقها زوجها أن تخرج لجداد نخلها، وإذا لزمتها العدّة في السفر تعتدّ في أهلها ذاهبة وجائية، والبدوية تتبوأ حيث يتبوأ أهلها في العدّة، لأن الانتقال في حقّهم كالإقامة في حق المقيم. قوله: ﴿ **إلّا أن يأتين بفاحشة مُبينة** ﴾، قال ابن عباس: الفاحشة المُبينة أن تبدأ على أهل زوجها فيحلّ إخراجها، وقال جماعة: أراد بالفاحشة أن تزني فتخرج لإقامة الحدّ عليها، ثم ترد إلى منزلها، ويُروَى ذلك عن ابن مسعود، وقال قتادة: معناه إلّا أن يطلّقها على نشوزها فلها أن تتحوّل من بيت زوجها. والفاحشة: النشوز. وقال ابن عمر والسدي: خروجها قبل انقضاء العدّة فاحشة. ﴿ **وتلك حدود الله** ﴾، يعني ما

وقوله تعالى: ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ قال ابن عباس الفاحشة المبينة بذاءتها على أهل زوجها فيحل إخراجها لسوء خلقها وقيل أراد بالفاحشة أن تزني فتخرج لإقامة الحد عليها ثم ترد إلى منزلها يروى ذلك عن ابن مسعود وقيل معناه إلا أن يطلقها على نشوزها فلها أن تتحول من بيت زوجها والفاحشة النشوز وقيل خروجها قبل انقضاء عدتها فاحشة ﴿وتلك حدود الله﴾ يعني ما ذكر من سنة الطلاق وما بعده من الأحكام ﴿ومن يتعد حدود الله﴾ أي فيطلق لغير السنة أو تجاوز هذه الأحكام ﴿فقد ظلم نفسه﴾ أي ضر نفسه ﴿لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾ أي يوقع في قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين وهذا يدل على أن المستحب أن يفرق الطلقات ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة حتى إذا ندم أمكنه المراجعة.

عن محارب بن دثار أن رسول الله ﷺ قال «ما أحل الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق» وأخرجه أبو داود مرسلاً وله في رواية عنه عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال «أبغض الحلال إلى الله الطلاق» عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس به حرام عليها رائحة الجنة» وأخرجه أبو داود والترمذي.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢﴾

قوله تعالى: ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ أي إذا قربن من انقضاء عدتهن ﴿فأمسكوهن﴾ أي راجعوهن ﴿بمعروف أو فارقوهن بمعروف﴾ أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيبن منكم ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾ أي على الرجعة وعلى الفراق أمر بالإشهاد على الرجعة وعلى الطلاق.

عن عمران بن حصين أنه سئل عن رجل يطلق امرأته ثم يقع عليها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال طلقت لغير سنة وراجعت لغير سنة أشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد. أخرجه أبو داود وهذا الإشهاد مندوب إليه عند أبي حنيفة كما في قوله وأشهدوا إذا تبايعتم وعند الشافعي هو واجب في الرجعة مندوب إليه في الفرقة وفائدة هذا الإشهاد أن لا يقع بينهما التجاحد وأن لا يتهم في إمساكها وأن لا يموت أحد الزوجين فيدعي الآخر ثبوت الزوجية ليرث؛ وقيل أمر بالإشهاد للاحتياط مخافة أن تنكر الزوجة المراجعة فتنقضي العدة فتنكح زوجاً غيره ﴿وأقيموا الشهادة﴾ يعني أيها الشهود ﴿لله﴾ أي طلباً لمرضاة الله وقياماً بوصيته والمعنى اشهدوا بالحق وأدوها على الصحة ﴿ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾ قيل معناه ومن يتق الله فيطلق للسنة يجعل له مخرجاً إلى الرجعة.

ذكر من سُنّة الطلاق وما بعدها، ﴿ ومَن يتعدَّ حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعلّ الله يُحدِث بعد ذلك أمراً ﴾، يُوقِع في قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين، وهذا يدلّ على أن المستحبّ أن يفرّق الطلقات، ولا يُوقِع الثلاث دفعة واحدة حتى إذا ندم أمكنته المراجعة.

﴿ فإذا بلغن أجلهنّ ﴾، أي قربن من انقضاء عدّتهنّ، ﴿ فأمسكوهنّ ﴾، أي راجعوهنّ، ﴿ بمعروف أو فارقوهنّ بمعروف ﴾، أي اتركوهنّ حتى تنقضي عدّتهنّ فتبين منكم، ﴿ وأشهدوا ذوي عدل منكم ﴾، على الرجعة أو الفراق أمر بالإشهاد على الرجعة وعلى الطلاق. ﴿ وأقيموا الشهادة لله ﴾، أيها الشهود، ﴿ ذلكم يُوعَظ به مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر. ومَن يتّقِ اللّهَ يجعلْ له مخرجاً ﴾، قال عكرمة والشعبي والضحاك: ومَن يتّقِ الله فيطلّق للسُّنّة يجعل له مخرجاً إلى الرجعة، وأكثر المفسّرين قالوا: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي أسر المشركون ابناً له يسمى مالكاً فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أسر العدو ابني وشكا إليه أيضاً الفاقة، فقال له

وقال أكثر المفسرين نزلت في عوف بن مالك أسر ابن له يسمى مالكاً فأتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أسر العدو ابني وشكا إليه أيضاً فاقة فقال له النبي ﷺ اتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله ففعل الرجل ذلك فبينا هو في بيته إذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فأصاب منهم إبلاً وجاء بها إلى أبيه.

وعن ابن عباس قال غفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها إلى أبيه وهي أربعة آلاف شاة فنزلت ﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجاً**﴾ أي في ابنه.

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾

﴿**ويرزقه من حيث لا يحتسب**﴾ يعني ما ساق من الغنم وقيل أصاب غنماً ومتاعاً ثم رجع إلى أبيه فانطلق أبوه إلى النبي ﷺ وأخبره الخبر وسأله أيحل له أن يأكل ما أتى به ابنه؟ فقال له النبي ﷺ نعم ونزلت الآية وقال ابن مسعود ومن يتق الله يجعل له مخرجاً من كل شيء ويرزقه من حيث لا يحتسب هو أن يعلم أنه من قبل الله وأن الله رازقه وقال الربيع بن خثيم **يجعل** له محرجاً من كل شيء ضاق على الناس وقيل محرجاً من كل شدة وقيل مخرجاً عما نهاه الله عنه ﴿**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**﴾ يعني من يتق الله فيما نابه كفاه ما أهمه وروي أن النبي ﷺ قال «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً» ﴿**إن الله بالغ أمره**﴾ أي منفذ أمره وممض في خلقه ما قضاه ﴿**قد جعل الله لكل شيء قدراً**﴾ أي جعل لكل شيء من شدة أو رخاء أجلاً ينتهى إليه وقال مسروق في هذه الآية إن الله بالغ أمره توكل عليه أم لم يتوكل عليه غير أن المتوكل يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ

النبي ﷺ: «اتقِ الله واصبرْ وأكثر من قول لا حول ولا قوّة إلّا بالله»، ففعل الرجل ذلك، فبينما هو في بيته إذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو، فأصاب إبلاً وجاء بها إلى أبيه. وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: فغفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها إلى أبيه، وهي أربعة آلاف شاة. فنزلت: ﴿ **وَمَن يتّقِ الله يجعل له مخرجاً** ﴾ في ابنه.

﴿ **ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾، ما ساق من الغنم، وقال مقاتل: أصاب غنماً ومتاعاً ثم رجع إلى أبيه فانطلق أبوه إلى النبي ﷺ وأخبره الخبر، وسأله أيحلّ له أن يأكل ما أتى به ابنه؟ فقال له النبي ﷺ: «نعم»، فأنزل الله هذه الآية. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وابن مسعود: ﴿ **وَمَن يتّقِ الله يجعل له مخرجاً** ﴾ هو أن يعلم أنه من قبل الله وأن الله رازقه. وقال الربيع بن خيثم: ﴿ **يجعل له مخرجاً** ﴾ من كل شيء ضاق على الناس. وقال أبو العالية: ﴿ **يجعل له مخرجاً** ﴾ من كل شدّة. وقال الحسن: ﴿ **مخرجاً** ﴾ عمّا نهاه الله عنه. ﴿ **وَمَن يتوكّلْ على الله فهو حسبه** ﴾، يتّق الله فيما نابه كفاه ما أهمّه. وروينا أن النبي ﷺ قال: «لو أنكم تتوكلون على الله حقّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً». ﴿ **إنّ الله بالغ أمره** ﴾، قرأ طلحة بن مصرف وحفص عن عاصم ﴿ **بالغ أمره** ﴾ بالإضافة، وقرأ الآخرون ﴿ **بالغ** ﴾ بالتنوين ﴿ **أمره** ﴾ نصب، أي منفذ أمره ممض في خلقه قضاءه. ﴿ **قد جعل الله لكل شيء قدراً** ﴾، أي جعل الله لكل شيء من الشدّة والرخاء أجلاً ينتهي إليه. قال مسروق: في هذه الآية ﴿ **إن الله بالغ أمره** ﴾، توكل عليه أو لم يتوكل غير أن المتوكّل عليه يكفّر عنه سيئاته ويعظّم له أجراً.

﴿أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥﴾

قوله عز وجل: **﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم﴾** قيل لما نزلت **﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾** قال خلاد بن النعمان بن قيس الأنصاري يا رسول الله فما عدة من تحيض والتي لم تحض وعدة الحبلى فأنزل الله عز وجل: **﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم﴾** يعني القواعد اللاتي قعدن عن الحيض فلا يرجى أن يحضن وهن العجائز الآيسات من الحيض **﴿إن ارتبتم﴾** أي شككتم في حكمهن ولم تدروا ما عدتهن **﴿فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن﴾** يعني الصغائر اللاتي لم يحضن بعد فعدتهن أيضاً ثلاثة أشهر أما الشابة التي كانت تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغ سن الآيسات فذهب أكثر أهل العلم إلى أن عدتها لا تنقضي حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة أقراء وتبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة أشهر وهذا قول عثمان وعلي وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وبه قال عطاء وإليه ذهب الشافعي وأصحاب الرأي وحكي عن عمر أنها تتربص تسعة أشهر فإن لم تحض فتعتد بثلاثة أشهر وهو قول مالك وقال الحسن تتربص سنة فإن لم تحض فتعتد بثلاثة أشهر وهذا كله في عدة الطلاق وأما المتوفى عنها زوجها فعدتها أربعة أشهر وعشر سواء كانت ممن تحيض أو لا تحيض وأما الحامل فعدتها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها أو مات عنها وهو قوله تعالى: **﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾** (ق) «عن سبيعة الأسلمية أنها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدراً فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك رجل من بني عبد الدار فقال لها ما لي أراك تجملت للخطاب ترجين النكاح وأنت والله ما أنت بناكح حتى يمر عليك أربعة أشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حتى أمسيت وأتيت رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج إن بدا لي» لفظ البخاري ولمسلم نحوه وزاد قال ابن شهاب ولا أرى

قوله عزّ وجلّ: **﴿ واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ﴾**، فلا يرجون أن يحضن، **﴿ إن ارتبتم ﴾**، أي شككتم فلم تدروا ما عدّتهنّ، **﴿ فعدّتهنّ ثلاثة أشهر ﴾**، قال مقاتل: لمّا نزلت: **﴿ والمطلّقات يتربصن بأنفسهنّ ثلاثة قروء ﴾** [البقرة: ٢٢٨]، قال خلّاد بن النعمان بن القيس الأنصاري: يا رسول الله فما عدّة مَن لا تحيض والتي لم تحض وعدّة الحبلى؟ فأنزل الله: **﴿ واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ﴾** يعني القواعد اللائي قعدن عن الحيض **﴿ إن ارتبتم ﴾** شككتم في حكمهنّ **﴿ فعدّتهنّ ثلاثة أشهر ﴾**. **﴿ واللائي لم يحضن ﴾**، يعني الصغائر اللائي لم يحضن فعدّتهنّ أيضاً ثلاثة أشهر أما الشابّة التي كانت تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغها سنّ الآيسات، فذهب أكثر أهل العلم إلى أن عدّتها لا تنقضي حتى يعاودها الدم فتعتدّ بثلاثة أقراء أو تبلغ سنّ الآيسات فتعتدّ بثلاثة أشهر، وهو قول عثمان وعلي وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود، وبه قال عطاء وإليه ذهب الشافعي وأصحاب الرأي، وحُكِيَ عن عمر: أنها تتربص تسعة أشهر فإن لم تحض تعتدّ بثلاثة أشهر وهو قول مالك. وقال الحسن: تتربص سنة فإن لم تحض تعتدّ بثلاثة أشهر. وهذا كله في عدّة الطلاق، أما المتوفّى عنها زوجها فعدّتها أربعة أشهر وعشر سواء كانت ممّن تحيض أو لا تحيض، وأما الحامل فعدّتها بوضع الحمل سواء طلّقها زوجها أو مات عنها لقوله تعالى: **﴿ وأُولات الأحمال أجَلَهنّ أن يضعن حملهنّ ﴾**، أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلّال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان أنا الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن أبيه أن سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليالٍ فمرّ بها أبو السنابل بن بعكك فقال قد

بأساً أن تتزوج حين وضعت وإن كانت في دمها غير أنها لا يقربها زوجها حتى تطهر ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً﴾ أي يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة ﴿ذلك﴾ أي ذلك الذي ذكر من الأحكام ﴿أمر الله أنزله إليكم﴾ أي لتعلموا به ﴿ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً﴾

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿أسكنوهن﴾ يعني مطلقات نسائكم ﴿من حيث سكنتم من وجدكم﴾ أي من سعتكم وطاقتكم فإن كان موسراً يوسع عليها في المسكن والنفقة وإن كان فقيراً فعلى قدر الطاقة ﴿ولاتضاروهن﴾ أي لا تؤذوهن ﴿لتضيقوا عليهن﴾ يعني في مساكنهن فيخرجن ﴿وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن﴾ أي فيخرجن من عدتهن.

(فصل: في حكم الآية)

اعلم أن المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى ما دامت في العدة ونعني بالسكنى مؤنة السكنى فإن كانت الدار التي طلقها الزوج فيها ملك الزوج يجب عليه أن يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها وإن كانت بإجارة فعلى الزوج الأجرة وإن كانت عارية فرجع المعير فعليه أن يكتري لها داراً تسكنها وأما المعتدة البائنة بالخلع أو بالطلاق الثلاث أو باللعان فلها السكنى حاملاً كانت أو غير حامل عند أكثر أهل العلم وروي عن ابن عباس أنه قال لا سكنى لها إلا أن تكون حاملاً وهو قول الحسن والشعبي.

تصنّعت للأزواج أنها أربعة أشهر وعشر، فذكرت ذلك سبيعة لرسول الله ﷺ فقال: «كذب أبو السنابل أَوَ ليس كما قال أبو السنابل قد حللت فتزوّجي. ﴿ ومَن يتّقِ الله يجعل له من أمره يسراً ﴾، أي يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة.

﴿ ذلك ﴾، يعني ما ذكر من الأحكام، ﴿ أمر الله أنزله إليكم ومَن يتق الله يكفّر عنه سيئاته ويعظّم له أجراً ﴾.

﴿ اسكنوهنّ ﴾، يعني مطلّقات نسائكم ﴿ من حيث سكنتم ﴾، ﴿ من ﴾ صلة أي اسكنوهنّ حيث سكنتم، ﴿ من وجْدِكم ﴾، سعتكم وطاقتكم يعني إن كان موسراً يوسِع عليها في المسكن والنفقة، وإن كان فقيراً فعلى قدر الطاقة، ﴿ ولا تضارّوهنّ ﴾، لا تؤذوهنّ، ﴿ لتضيقوا عليهنّ ﴾، مساكنهنّ فيخرجن، ﴿ وإن كنّ أُولات حمل فأنفقوا عليهنّ حتى يضعن حملهنّ ﴾، فيخرجن من عدّتهنّ.

فصـــل

اعلم أن المعتدّة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى ما دامت في العدّة ونعني بالسكنى مؤنة السكنى فإن كانت الدار التي طلّقها فيها ملكاً للزوج يجب على الزوج أن يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدّتها، وإن كانت بإجارة فعلى الزوج الأُجرة، وإن كانت عارية ورجع المُعِير فعليه أن يكتري لها داراً تسكنها، فأما المعتدّة البائنة بالخلع أو بالطلقات الثلاث أو باللعان فلها السكنى حاملاً كانت أو حائلاً عند أكثر أهل العلم. رُوِيَ ذلك عن ابن عباس أنه قال: لا سكنى لها إلّا أن تكون حاملاً وهو قول الحسن وعطاء والشعبي، واختلفوا في نفقتها فذهب قوم

واختلفوا في نفقتها فذهب قوم إلى أنه لا نفقة لها إلا أن تكون حاملاً، يروى ذلك، عن ابن عباس وهو قول الحسن والشعبي وبه قال الشافعي وأحمد ومنهم من أوجبها بكل حال يروى ذلك عن ابن مسعود وهو قول إبراهيم النخعي، وبه قال الثوري وأصحاب الرأي وظاهر القرآن يدل على أنها لا تستحق النفقة إلا أن تكون حاملاً لقوله تعالى: ﴿وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن﴾ وأما الدليل على ذلك من السنة فما روي عن فاطمة بنت قيس أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب فأرسل إليها وكيله بشعير فسخطته فقال والله ما لك علينا من شيء فجاءت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال لها ليس لك عليه نفقة وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك ثم قال تلك امرأة يغشاها أصحابي فاعتدي عند ابن أم مكتوم فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده فإذا حللت فآذنيني قالت فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني فقال رسول الله ﷺ أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وأما معاوية فصعلوك لا مال له انكحي أسامة بن زيد فكرهته ثم قال انكحي أسامة بن زيد فنكحته فجعل الله فيه خيراً واغتبطت به» أخرجه مسلم واحتج بهذا الحديث من لم يجعل لها سكنى وقال إن النبي ﷺ أمرها أن تعتد في بيت عبد الله بن أم مكتوم ولا حجة له فيه لما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت كانت فاطمة في مكان وحش فخيف على ناحيتها وقال سعيد بن المسيب إنما نقلت فاطمة لطول لسانها على أحمائها وكان في لسانها ذرابة: وأما المعتدة عن وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب أو خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وإن كانت حاملاً وأما المعتدة عن وفاة الزوج فلا نفقة لها عند أكثر أهل العلم وروي عن علي أن لها النفقة إن كانت حاملاً من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبي والنخعي والثوري.

واختلفوا في سكناها وللشافعي فيه قولان:

إلى أنه لا نفقة لها إلاّ أن تكون حاملاً. رُوِيَ ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن وعطاء والشعبي، وبه قال الشافعي وأحمد ومنهم مَن أوجبها بكل حال رُوِيَ ذلك عن ابن مسعود، وهو قول إبراهيم النخعي وبه قال الثّوري وأصحاب الرأي وظاهر القرآن يدلّ على أنها لا تستحق إلاّ أن تكون حاملاً لأن الله تعالى قال: ﴿ وإن كنّ أُولات حمل فأنفقوا عليهنّ ﴾ والدليل عليه من جهة السُّنّة ما أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا مصعب عن مالك عن عبد الله بن يزيد مولى الأسود بن سفيان عن أبي سلمة عن عبد الرحمن عن فاطمة بنت قيس أن أبا عمرو بن حفص طلّقها البتّة وهو غائب بالشام فأرسل إليها وكيله بشعير فسخطته، فقال: والله ما لك علينا من شيء فجاءت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال لها: «ليس لك عليه نفقة وأمرها أن تعتدّ في بيت أُم شريك»، ثم قال: «تلك امرأة يغشاها أصحابي فاعتدّي عند ابن أُم مكتوم فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك فإذا حللت فآذنيني»، قالت: فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني، فقال رسول الله ﷺ: «أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد»، قالت فكرهته، ثم قال: «انكحي أُسامة بن زيد»، فنكحته فجعل الله فيه خيراً واغتبطت به. واحتجّ مَن لم يجعل لها السكنى بحديث فاطمة بنت قيس أن النبي ﷺ أمرها أن تعتدّ في بيت عبد الله ابن أُم مكتوم ولا حجة فيه لما رُوِيَ عن عائشة أنها قالت كانت فاطمة في مكـان وحش فخِيفَ على ناحيتهـا. وقال سعيد بن المسيب: إنما نقلت فاطمة لطول لسانها على أحمائها وكان للسانها ذرابة أما المعتدّة عن وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب أو خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وإن كانت حاملاً، والمعتدّة عن وفاء الزوج لا نفقة لها حاملاً كانت أو حائلاً عند أكثر أهل العلم، ورُوِيَ عـن علي رضي الله تعالى عنه أن لهذه النفقة إن كانت حاملاً من التَرِكَة حتى تضع، وهو قول شريح والشعبي والنخعي والثّوري، واختلفوا في سكناها وللشافعي رضي الله عنه فيـه قولان أحـدهما لا سكنى لهـا بل

أحدهما: أنه لا سكنى لها بل تعتد حيث تشاء وهو قول علي وابن عباس وعائشة وبه قال عطاء والحسن وهو قول أبي حنيفة.

والثاني: أن لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبدالله بن عمر وبه قال مالك والثوري وأحمد وإسحاق.

واحتج من أوجب لها السكنى بما روي عن الفريعة بنت مالك بن سنان وهي أخت أبي سعيد الخدري «أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ وسألته أن ترجع إلى أهلها في بني خدرة فإن زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا حتى إذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه قالت فسألت رسول الله ﷺ أن أرجع إلى أهلي في بني خدرة فإن زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة قالت فقال رسول الله ﷺ نعم قالت فانصرفت حتى إذا كنت في الحجرة ناداني رسول الله ﷺ أو أمر بي فنوديت فقال كيف قلت فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله قالت فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشراً قالت فلما كان عثمان أرسل إليّ فسألني عن ذلك فأخبرته فاتبعه وقضى به» أخرجه أبو داود والترمذي، فمن قال بهذا القول قال إذنه لفريعة أولاً بالرجوع صار منسوخاً بقوله آخراً «امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله» ومن لم يوجب السكنى قال أمرها بالمكث في بيتها آخراً استحباباً لا وجوباً.

قوله عز وجل: ﴿**فإن أرضعن لكم**﴾ يعني أولادكم ﴿**فآتوهن أجورهن**﴾ يعني على إرضاعهن، وفيه دليل على أن اللبن وإن كان قد خلق لمكان الولد فهو ملك للأم وإلا لم يكن لها أن تأخذ عليه أجراً وفيه دليل على أن حق الرضاع والنفقة على الأزواج في حق الأولاد ﴿**وأتمروا بينكم بمعروف**﴾ أي ليقبل بعضكم من بعض إذا أمره بالمعروف وقيل يتراضى الأب والأم على أجر مسمى والخطاب للزوجين جميعاً أمرهم أن يأتوا بالمعروف وما هو الأحسن ولا يقصدوا الضرار، وقيل المعروف هاهنا لا أن يقصر الرجل في حق المرأة ونفقتها ولا المرأة في حق الولد ورضاعه ﴿**وإن تعاسرتم**﴾ أي في حق الولد وأجرة الرضاع فأبى الزوج أن يعطي المرأة أجرة رضاعها وأبت الأم أن ترضعه فليس له

تعتدّ حيث تشاء، وهو قول علي وابن عباس وعائشة، وبه قال عطاء والحسن وهو قول أبي حنيفة رضي الله عنه، والثاني: لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر، وبه قال مالك وسفيان الثّوري وأحمد وإسحاق، واحتجّ مَن أوجب لها السكنى بما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن سعيد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن عمّته زينب بنت كعب أن الفريعة بنت مالك بن سنان وهي أُخت أبي سعيد الخدري أخبرتها أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تسأله أن ترجع إلى أهلها في بني خدرة فإن زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا حتى إذا كان بطرف القدوم لحقهم، فقتلوه فسألت رسول الله ﷺ أن أرجع إلى أهلي فإن زوجي لم يتركني في منزل يملكه ولا نفقة فقالت: قال رسول الله ﷺ: «نعم»، فانصرفتُ حتى إذا كنت في الحجرة أو في المسجد دعاني أو أمر بي رسول الله ﷺ فدُعِيت له، فقال رسول الله ﷺ: «كيف»؟ قلت: قالت فرددت عليه القصة التي ذكرت من شأن زوجي، فقال: «امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله»، قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشراً، قالت: فلما كان عثمان أرسل إليّ فسألني عن ذلك فأخبرته فاتّبعه وقضى به، فمَن قال بهذا القول قال: إذنه لفريعة أولاً بالرجوع إلى أهلها صار منسوخاً بقوله آخراً: «امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله، ومَن لم يوجِب السكنى قال أمرها بالمكث في بيتها آخراً استحباباً لا وجوباً. قوله عزّ وجلّ: ﴿ **فإن أرضعن لكم** ﴾، أي أرضعن أولادكم، ﴿ **فآتوهنّ أُجورهنّ** ﴾، على إرضاعهنّ ﴿ **واتّمروا بينكم بمعروف** ﴾، ليقبل بعضكم من بعض إذا أمره بالمعروف، وقال الشافعي: شاوروا قال مقاتل

إكراهها على إرضاعه بل يستأجر للصبي مرضعاً غير أمه وذلك قوله: ﴿فسترضع له أخرى لينفق ذو سعة من سعته﴾ أي على قدر غناه ﴿ومن قدر﴾ أي ضيق ﴿عليه رزقه﴾ فكان بمقدار القوت ﴿فلينفق مما آتاه الله﴾ أي على قدر ما آتاه الله من المال ﴿لا يكلف الله نفساً﴾ أي في النفقة ﴿إلا ما آتاها﴾ يعني من المال والمعنى لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني في النفقة ﴿سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾ أي بعد ضيق وشدة غنى وسعة. قوله تعالى:

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾

﴿وكأين من قرية عتت﴾ أي عصت وطغت والمراد أهل القرية ﴿عن أمر ربها ورسله﴾ أي وأمر رسله ﴿فحاسبناها حساباً شديداً﴾ أي بالمناقشة والاستقصاء وقيل حاسبها بعملها في الكفر فجزاها النار وهو قوله ﴿وعذبناها عذاباً نكراً﴾ أي منكراً فظيعاً وقيل في الآية تقديم وتأخير مجازها فعذبناها في الدنيا بالجوع والقحط والسيف وسائر أنواع البلاء وحاسبناها في الآخرة حساباً شديداً ﴿فذاقت وبال أمرها﴾ أي شدة أمرها وجزاء كفرها ﴿وكان عاقبة أمرها خسراً﴾ أي خسراناً في الدنيا والآخرة ﴿أعد الله لهم عذاباً شديداً﴾ يخوف كفار مكة أن ينزل بهم مثل ما نزل بالأمم الماضية ﴿فاتقوا الله يا أولي الألباب﴾ أي يا ذوي العقول ثم نعتهم فقال تعالى: ﴿الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً﴾ يعني القرآن ﴿رسولاً﴾ أي وأرسل إليكم رسولاً ﴿يتلو عليهم آيات الله مبينات﴾ قرىء مبينات

بتراضي الأب والأم على أجْر مسمى، والخطاب للزوجين جميعاً يأمرهم أن يأتوا بالمعروف وبما هو الأحسن ولا يقصدوا الضرار، ﴿ وإن تعاسرتم ﴾، في الرضاع والأُجرة فأبى الزوج أن يعطي المرأة أُجرتها وأبت الأم أن تُرضِعه فليس له إكراهها على إرضاعه، ولكنه يستأجر للصبي مُرضِعاً غير أمه وذلك قوله: ﴿ فستُرضِع له أخرى ﴾.

﴿ لينفق ذو سعة من سعته ﴾، على قدر غناه، ﴿ ومَن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ﴾، من المال، ﴿ لا يكلّف الله نفساً ﴾، في النفقة، ﴿ إلاّ ما آتاها ﴾، أعطاها من المال، ﴿ سيجعل الله من بعد عسرٍ يُسراً ﴾، بعد ضيق وشدّة غنىً وسِعة.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وكأيِّن من قرية عتت ﴾، عصت وطغت، ﴿ عن أمر ربها ورسله ﴾، أي وأمر رسله، ﴿ فحاسبناها حساباً شديداً ﴾، بالمناقشة والاستقصاء، قال مقاتل: حاسبها بعملها في الدنيا فجازاها بالعذاب، وهو قوله: ﴿ وعذّبناها عذاباً نكراً ﴾، منكراً فظيعاً وهو عذاب النار لفظهما ماضٍ ومعناهما الاستقبال، وقيل: في الآية تقديم وتأخير مجازها فعذبناها في الدنيا بالجوع والقحط والسيف وسائر البلايا وحاسبناها في الآخرة حساباً شديداً.

﴿ فذاقت وِبال أمرها ﴾، جزاء أمرها، وقيل: ثقل عاقبة كفرها، ﴿ وكان عاقبة أمرها خسراً ﴾، خسراناً في الدنيا والآخرة.

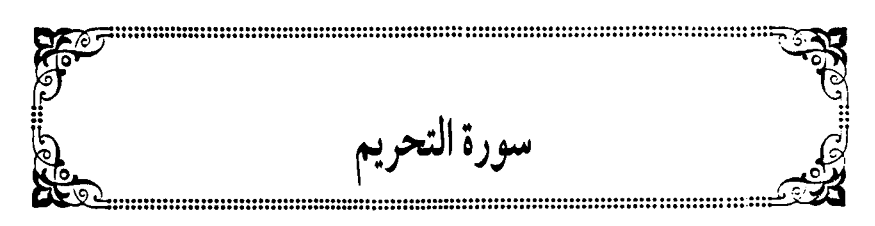
﴿ أعدّ الله لهم عذاباً شديداً فاتّقوا الله يا أُولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً ﴾، يعني القرآن.

﴿ رسولاً ﴾ بدلاً من الذكر، وقيل: أنزل إليكم قرآناً وأرسل رسولاً وقيل مع الرسول، وقيل: الذكر هو

بالخفض أي تبين الحلال من الحرام والأمر والنهي وقرىء بالنصب ومعناه أنها واضحات **﴿ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور﴾** أي من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان ومن ظلمة الجهل إلى نور العلم **﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً﴾** يعني الجنة التي لا ينقطع نعيمها وقيل يرزقون طاعة في الدنيا وثواباً في الآخرة **﴿الله الذي خلق سبع سموات﴾** يعني بعضها فوق بعض **﴿ومن الأرض مثلهن﴾** أي في العدد **﴿يتنزل الأمر بينهن﴾** أي الوحي إلى خلقه من السماء العليا إلى الأرض السفلى وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره ينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار وبالصيف والشتاء ويخلق الحيوان على اختلاف هيئاته وينقله من حال إلى حال فيحكم بحياة بعض وموت بعض وسلامة هذا وهلاك هذا، وقيل في كل سماء من سمواته وأرض من أرضيه خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه **﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾** يعني أنه سبحانه وتعالى عالم بكل شيء لا تخفى عليه خافية وأنه قادر على الإنشاء بعد الإفناء وكل الكائنات جارية تحت قدرته داخلة في علمه والله تعالى أعلم.

الرسول، وقيل: ذكراً أي شرفاً ثم بيّن ما هو فقال: **﴿ يتلوا عليكم آيات الله مبيّنات ليُخرِجَ الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومَن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يُدخله جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً ﴾**، يعني الجنة التي لا ينقطع نعيمها.

﴿ الله الذي خلق سبع سمٰوات ومن الأرض مثلهنّ ﴾، في العدد، **﴿ يتنزّل الأمر بينهنّ ﴾**، بالوحي من السماء السابعة إلى الأرض السفلى، قال أهل المعاني: هو ما يدبر فيهنّ من عجيب تدبيره فيُنزِل المطر ويُخرِج النبات، ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتاء، ويخلق الحيوان على اختلاف هيئاتها وينقلها من حال إلى حال. وقال قتادة: في كل أرض من أرضه وسماء من سمائه خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه. **﴿ لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ﴾**، فلا يُخفى عليه شيء.



سورة التحريم

(مدنية وهي اثنتا عشرة آية ومائتان وسبع وأربعون كلمة وألف وستون حرفاً)

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١)

قوله عز وجل: ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم﴾ ذكر سبب نزولها، (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت «كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس فغرت فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل فسقت النبي ﷺ منه شربة فقلت أما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك فقولي له يا رسول الله أكلت مغافير فإنه سيقول لا فقولي ما هذه الريح التي أجد وكان رسول الله ﷺ يشتد عليه أن يوجد منه الريح فإنه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي له جرست نحله العرفط وسأقول ذلك وقولي أنت يا صفية ذلك فلما دخل على سودة قالت تقول سودة والله الذي لا إله إلا هو لقد كدت أبادئه بالذي قلت لي وإنه لعلى الباب فرقاً منك فلما دنا منها قالت له سودة يا رسول الله أكلت

سُوْرَة التَّحْرِيم

مدنيّة وهي اثنتا عشرة آية.

﴿ **يا أيها النبي لِمَ تحرّم ما أحلّ الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم** ﴾، وسبب نزولها ما أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبيد الله بن إسماعيل ثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يحبّ الحلواء والعسل وكان إذا صلّى العصر دخل على نسائه فيدنو منهنّ فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس فسألت عن ذلك، فقيل لي أهدت لها امرأة من قومها عكّة عسل فسقت رسول الله ﷺ منها شربة فقلت أما والله لنحتالنّ له فذكرت ذلك لسودة، وقلت إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك فقولي له يا رسول الله أكلت مغافير فإنه سيقول لا فقولي له ما هذه الريح، وكان رسول الله ﷺ يشتدّ عليه أن يوجد منه الريح فإنه سيقول سقتني حفصة شربة عسل، فقولي له رسول الله جرست نحله العرفط، سأقول ذلك وقوليه أنتِ يا صفيّة، فلما دخل على سودة قالت سودة: والله الذي لا إله إلاّ هو لقد كدت أن أُبادئه بالذي قلت لي وإنه لعلى الباب فرقاً منك، فلما دنا رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله أكلت مغافير، قال: «لا»، قالت: فما بال هذه الريح؟ قال: «سقتني حفصة شربة عسل»، قالت: جرست نحله العرفط، فلما دخل عليّ قلت له مثل ذلك، ودخل على صفية فقالت مثل ذلك. فلما دخل

مغافير؟ قال لا قالت فما هذه الريح التي أجد منك؟ قال سقتني حفصة شربة عسل قال جرست نحله العرفط فلما دخل عليّ قلت له مثل ذلك ثم دخل على صفية فقالت له مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت له يا رسول الله ألا أسقيك منه؟ قال لا حاجة لي فيه قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه قلت لها اسكتي» (ق) عن عائشة رضي الله عنها «أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلاً فتواطيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل له إني أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير فدخل على إحداهما فقالت ذلك له فقال بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له فنزلت ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ إلى قوله ﴿إن تتوبا إلى الله﴾ لعائشة وحفصة «وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً» لقوله «بل شربت عسلاً ولن أعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحداً» زاد في رواية «يبتغي بذلك مرضاة أزواجه».

(شرح غريب ألفاظ الحديثين وما يتعلق بهما)

قولها كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل الحلواء بالمد وهو كل شيء حلو وذكر العسل بعدها وإن كان داخلاً في جملة الحلواء تنبيهاً على شرفه ومزيته وهو من باب ذكر الخاص بعد العام قولها في الحديث الثاني فتواطيت أنا وحفصة هكذا ذكر في الرواية وأصله فتواطأت أي اتفقت أنا وحفصة قولها إني لأجد منك ريح مغافير هو بغين معجمة وفاء بعدها ياء وراء وهو صمغ حلو كالناطف وله رائحة كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة وبالفاء يكون بالحجاز وقيل العرفط نبات له ورق عريض يفرش على الأرض له شوكة وثمره خبيث الرائحة، وقال أهل اللغة العرفط من شجر العضاه وهو كل شجر له شوك، وقيل رائحته كرائحة النبيذ وكان النبي ﷺ يكره أن يوجد منه رائحة كريهة قولها جرست نحله العفرط هو بالجيم والراء وبالسين المهملتين ومعناه أكلت نحله العرفط فصار منه العسل قولها في الحديث الثاني فقال شربت عسلاً عند زينب بنت جحش وفي الحديث الأول أن الشرب كان عند حفصة بنت عمر بن الخطاب وأن عائشة وسودة وصفية هن اللواتي تظاهرن عليه قال القاضي عياض والصحيح الأول قال النسائي إسناد حديث حجاج بن محمد عن ابن جريج صحيح حيد غاية وقال الأصيلي حديث حجاج أصح وهو أولى بظاهر كتاب الله وأكمل فائدة يريد قوله تعالى: ﴿وإن تظاهرا عليه﴾ وهما ثنتان لا ثلاثة وأنهما عائشة وحفصة كما اعترف به عمر في حديث ابن عباس وسيأتي الحديث قال وقد انقلبت الأسماء على الراوي في الرواية الأخرى يعني الحديث الأول الذي فيه أن الشرب كان عند حفصة قال القاضي عياض: والصواب أن شرب العسل كان عند زينب بنت جحش ذكره الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم وكذا ذكره القرطبي أيضاً وقال المفسرون في سبب النزول «إن النبي ﷺ كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله ﷺ في زيارة أبيها فأذن لها فلما خرجت أرسل رسول الله ﷺ جاريته مارية القبطية فأدخلها بيت حفصة وخلا بها فلما رجعت حفصة وجدت الباب

على حفصة قالت له: يا رسول الله ألا أسقيك منه قال: «لا حاجة لي به»، قالت تقول سودة: سبحان الله لقد حرمناه، قالت: قلت لها: اسكتي. وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا الحسن بن محمد الصباح ثنا الحجاج عن أبي جريج قال: زعم عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يقول سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: إن رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلاً فتواطيت أنا وحفصة أن أيّتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير، فدخل على إحداهما فقالت له ذلك، فقال: لا بأس شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له، فنزلت: ﴿ يا أيها النبي لِمَ تُحرِّم ما أحلّ الله لك تبتغي مرضات أزواجك ﴾ إلى قوله: ﴿ إن تتوبا إلى الله ﴾ لعائشة وحفصة، ﴿ وإذ أسرّ النبي إلى بعض أزواجه حديثاً ﴾ لقوله: بل شربت عسلاً، وبهذا الإسناد قال: حدّثنا محمد بن إسماعيل أنا

مغلقاً فجلست عند الباب فخرج رسول الله ﷺ ووجهه يقطر عرقاً وحفصة تبكي فقال ما يبكيك؟ قالت إنما أذنت لي من أجل هذا أدخلت أمتك بيتي ووقعت عليها في يومي وعلى فراشي أما رأيت لي حرمة وحقاً ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال رسول الله ﷺ أليس هي جاريتي قد أحلها الله لي اسكتي فهي علي حرام ألتمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امرأة منهن فلما خرج رسول الله ﷺ قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت ألا أبشرك أن رسول الله ﷺ قد حرم عليه أمته مارية وقد أراحنا الله منها وأخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبي بها ﷺ فغضبت عائشة فلم تزل بنبي الله ﷺ حتى حلف أن لا يقربها عن أنس بن مالك رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها بها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ الآية أخرجه النسائي قال العلماء الصحيح في سبب نزول الآية أنها في قصة العسل لا في قصة مارية المروية في غير الصحيحين ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح قال النسائي إسناد حديث عائشة في العسل جيد صحيح غاية، ﴿وأما التفسير﴾ فقوله ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ أي من العسل أو ملك اليمين على اختلاف الرواية فيه وهذا التحريم تحريم امتناع عن الانتفاع بها أو بالعسل لا تحريم اعتقاد بكونه حراماً بعد ما أحله الله فالنبي «ﷺ امتنع عن الانتفاع بذلك مع اعتقاده أن ذلك حلال تبتغي مرضاة أزواجك أي تطلب رضاهن بترك ما أحل الله لك والله غفور رحيم أي غفر لك ذلك التحريم.

قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَـٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾

﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾ أي بين وأوجب لكم تحليل أيمانكم بالكفارة وهو ما ذكر في سورة المائدة فأمره الله أن يكفر عن يمينه ويراجع أمته فأعتق رقبة ﴿والله مولاكم﴾ أي وليكم وناصركم ﴿وهو العليم﴾ أي بخلقه ﴿الحكيم﴾ أي فيما فرض من حكمه.

إبراهيم بن موسى أنا هشام بن يوسف عن ابن جريج عن عطاء بإسناده وقال: قال: لا ولكن كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فلن أعود لـه، وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحداً، يبتغي بذلك مرضات أزواجه، وقال المفسِّرون: وكان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه، فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله ﷺ في زيارة أبيها فأذِنَ لها، فلما خرجت أرسل رسول الله ﷺ إلى جاريته مارية القبطية فأدخلها بيت حفصة، فوقع عليها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقاً، فجلست عند الباب فخرج رسول الله ﷺ ووجهه يقطر عرقاً، وحفصة تبكي فقال: «ما يُبكيك»؟ فقالت: إنما أذنت لي من أجل هذا أدخلت أَمَتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي وعلى فراشي أما رأيت لي حُرمة وحقاً ما، كنت تصنع هذا بامرأة منهنّ، فقال رسول الله ﷺ: «أليست هي جاريتي أحلّها الله لي اسكتي فهي حرام عليّ ألتمس بذلك رضاك، فلا تخبري بهذا امرأة منهنّ»، فلما خرج رسول الله ﷺ قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت: ألا أُبشِّرك أن رسول الله ﷺ قد حرّم عليه أمته مارية، وقد أراحنا الله منها وأخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبي ﷺ، فغضبت عائشة فلم تزل بنبيّ الله ﷺ حتى حلف أن لا يقربها، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ يا أيها النبي لِمَ تُحرّمُ ما أحلّ الله لك ﴾ يعني العسل ومارية ﴿ تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم ﴾ وأمر أن يكفّر يمينه ويراجع أمته، فقال:

﴿ قد فرض الله لكم تحلّة أيمانكم ﴾، أي بيّن وأوجب أن تكفّروها إذا حنثتم وهي ما ذكر في سورة المائدة

(فصل)

اختلف العلماء في لفظ التحريم فقيل ليس هو بيمين فإن قال لزوجته أنت علي حرام أو قال حرمتك فإن نوى طلاقاً فهو طلاق وإن نوى ظهاراً فظهار وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ وإن قال ذلك لجاريته فإن نوى عتقاً عتقت وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين وإن قال لطعام حرمته على نفسي فلا شيء عليه وهذا قول أبي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة والتابعين وإليه ذهب الشافعي وإن لم ينو شيئاً ففيه قولان للشافعي أحدهما أنه يلزمه كفارة اليمين، والثاني لا شيء عليه وأنه لغو فلا يترتب عليه شيء من الأحكام وذهب جماعة إلى أنه يمين فإن قال ذلك لزوجته أو جاريته فلا تجب عليه الكفارة ما لم يقربها كما لو حلف أن لا يطؤها وإن حرم طعاماً فهو كما لو حلف أن لا يأكله فلا كفارة عليه ما لم يأكله وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «إذا حرم الرجل امرأته فهي يمين يكفرها وقال لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة» وفي رواية «إذا حرم امرأته ليس بشيء وقال لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة» لفظ الحميدي.

قوله تعالى: ﴿وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً﴾ يعني ما أسر إلى حفصة من تحريم مارية على نفسه واستكتمها ذلك وهو قوله لا تخبري بذلك أحداً وقال ابن عباس أسر أمر الخلافة بعده فحدثت به حفصة قال الكلبي أسر إليها إن أباك وأبا عائشة يكونان خليفتين على أمتي من بعدي، وقيل لما رأى الغيرة في وجه حفصة أراد أن

---

[٨٩]، ﴿والله مولاكم﴾، وليّكم وناصركم، ﴿وهو العليم الحكيم﴾، واختلف أهل العلم في لفظ التحريم، فقال قوم: ليس هو بيمين فإن قال لزوجته أنت عليّ حرام أو حرّمتك فإن نوى به طلاقاً فهو طلاق، وإن نوى به ظهاراً فظهار، وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفّارة اليمين بنفس اللفظ، وإن قال ذلك لجاريته فإن نوى عتقاً عتقت، وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفّارة اليمين، فإن قال لطعام حرّمته على نفسي فلا شيء عليه، وهذا قول ابن مسعود وإليه ذهب الشافعي، وذهب جماعة إلى أنه يمين، فإن قال ذلك لزوجته أو جاريته فلا تجب عليه الكفّارة ما لم يقربها، كما لو حلف أن لا يطأها وإن حرّم طعاماً فهو كما لو حلف أن لا يأكله فلا كفّارة عليه ما لم يأكل، يُروَى ذلك عن أبي بكر وعائشة، وبه قال الأوزاعي وأبو حنيفة رضي الله عنه، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا معاذ بن فضالة ثنا هشام عن يحيىٰ عن ابن حكيم وهو يعلى بن حكيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في الحرام يكفر، وقال ابن عباس: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة﴾ [الأحزاب: ٢١].

﴿وإذْ أسرَّ النبي إلى بعض أزواجه حديثاً﴾، وهو تحريم فتاته على نفسه، وقوله لحفصة: «لا تخبري بذلك أحداً»، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: أسرّ أمرك الخلافة بعده فحدّثت به حفصة. قال الكلبي: أسرّ إليها أن أباك وأبا عائشة يكونان خليفتين على أُمتي من بعدي. وقال ميمون بن مهران: أسرّ إليها أن أبا بكر خليفتي من بعدي. ﴿فلما نبّأت به﴾، أخبرت به حفصة عائشة، ﴿وأظهره الله عليه﴾، أي أطلع الله تعالى نبيّه على أنها أنبأت به، ﴿عرف بعضه﴾، قرأ عبد الرحمن السلمي والكسائي ﴿عرف﴾ بتخفيف الراء أي عرف بعض الفعل الذي فعلته من إفشاء سرّه، أي غضب من ذلك عليها وجازاها به، من قول القائل لمَن أساء إليه لأعرفنّ لك ما فعلت، أي لأجازينّك عليه، وجازاها به عليه بأن طلّقها، فلما بلغ ذلك عمر قال: لو كان في آل الخطاب خير لما طلّقك رسول الله ﷺ، فجاء جبريل وأمره بمراجعتها واعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهراً وقعد في مشربة أم إبراهيم مارية، حتى نزلت آية التخيير. وقال مقاتل بن حيان: لم يطلّق رسول الله ﷺ حفصة وإنما همّ بطلاقها فأتاه جبريل

يراضيها فسرها بشيئين بتحريم مارية على نفسه وأن الخلافة بعده في أبي بكر وأبيها عمر ﴿فلما نبأت به﴾ أي أخبرت بذلك حفصة عائشة ﴿وأظهره الله عليه﴾ أي أطلع الله نبيه ﷺ على قول حفصة لعائشة ﴿عرف بعضه﴾ قرىء بتخفيف الراء أي عرف بعض الذي فعلته حفصة فغضب من إفشاء سره وجازاها عليه بأن طلقها فلما بلغ عمر قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله ﷺ فجاءه جبريل عليه السلام وأمره بمراجعتها وقيل لم يطلق رسول الله ﷺ حفصة وإنما هم بطلاقها فأتاه جبريل فقال لا تطلقها فإنها صوامة قوامة وإنها من نسائك في الجنة وقرىء عرف بالتشديد، ومعناه عرف حفصة بعض الحديث وأخبرها ببعض ما كان منها ﴿وأعرض عن بعض﴾ أي لم يعرفها إياه ولم يخبرها به قال الحسن ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه وأعرض عن بعض والمعنى أن النبي ﷺ أخبر حفصة ببعض ما أخبرت به عائشة وهو تحريم الأمة وأعرض عن ذكر الخلافة لأنه ﷺ كره أن ينتشر ذلك في الناس ﴿فلما نبأها به﴾ أي أخبر حفصة بما أظهره الله عليه ﴿قالت﴾ يعني حفصة ﴿من أنبأك هذا﴾ أي من أخبرك بأني أفشيت السر ﴿قال نبأني العليم﴾ أي بما تكنه الضمائر ﴿الخبير﴾ أي بخفيات الأمور.

إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾

قوله عز وجل: ﴿إن تتوبا إلى الله﴾ يخاطب عائشة وحفصة أي من التعاون على رسول الله ﷺ والإيذاء له ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ أي زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما أن تتوبا وذلك بأن سرهما ما كره رسول الله ﷺ وهو اجتناب مارية، (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله عز وجل إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما حتى حج عمر وحججت معه فلما كان عمر ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالإداوة فتبرز ثم أتاني فصببت على يديه فتوضأ فقلت يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج

عليه السلام، وقال: لا تطلّقها فإنها صوّامة قوّامة وإنها من جملة نسائك في الجنة، فلم يطلّقها. وقرأ الآخرون ﴿ عرف ﴾ بالتشديد أي عرف حفصة بعد ذلك الحديث، أي أخبرها ببعض القول الذي كان منها، ﴿ وأعرض عن بعض ﴾، يعني لم يعرّفها إياه، ولم يخبرها به، قال الحسن: ما استقصى كريم قطّ، قال الله تعالى: ﴿ عرف بعضه وأعرض عن بعض ﴾، وذلك أن النبي ﷺ لمّا رأى الكراهية في وجه حفصة أراد أن يتراضاها فأسرّ إليها شيئين: تحريم الأمة على نفسه وتبشيرها بأن الخلافة بعده في أبي بكر وفي أبيها عمر رضي الله عنها، وأطلع الله نبيّه عليه، عرف حفصة وأخبرها ببعض ما أخبرت به عائشة وهو تحريم الأمة وأعرض عن بعض يعني ذكر الخلافة، كره رسول الله ﷺ أن ينتشر ذلك في الناس، ﴿ فلما نبّأها به ﴾، أي أخبر النبي ﷺ حفصة بما أظهره الله عليه، ﴿ قالت ﴾، حفصة، ﴿ مَن أنبأك هذا ﴾، أي مَن أخبرك بأني أفشيت السرّ؟ ﴿ قال نبّأني العليم الخبير ﴾.

﴿ إن تتوبا إلى الله ﴾، أي من التعاون على النبي ﷺ بالإيذاء يخاطب عائشة وحفصة، ﴿ فقد صغت قلوبكما ﴾، أي زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما التوبة. قال ابن زيد: مالت قلوبكما بأن سرّهما ما كره رسول الله ﷺ من اجتناب جاريته. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو اليمان أنا شعيب الزهري أخبرنا عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور أنا عبد الله بن عباس قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى لهما: ﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ﴾، حتى حجّ فحججت معه وعدل وعدلت معه بإداوة فتبرز ثم جاء فسكبت على يديه من الإداوة، فتوضأ فقلت له: يا أمير المؤمنين مَن المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله عزّ وجلّ

النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما قال عمر واعجباً لك يا ابن العباس قال الزهري كره منه ما سأله عنه ولم يكتمه قال هما عائشة وحفصة ثم أخذ يسوق الحديث قال كنا معشر قريش قوماً نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم قال وكان منزلي في بني أمية بن زيد بالعوالي فغضبت يوماً على امرأتي فإذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني فقالت ما تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت أتراجعن رسول الله ﷺ؟ فقالت نعم فقلت أتهجره إحداكن اليوم إلى الليل؟ قالت نعم قلت لقد خابت من فعلت ذلك منكن وخسرت أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله ﷺ فإذا هي قد هلكت لا تراجعي رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئاً وسليني ما بدا لك ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ منك يريد عائشة وكان لي جار من الأنصار فكنا نتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ فينزل يوماً ويأتيني بخبر الوحي وغيره وآتيه بمثل ذلك وكنا نتحدث أن غسان تبعث الخيل لتغزونا فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته ثم أتاني عشاء فضرب بابي ثم ناداني فخرجت إليه فقال حدث أمر عظيم قلت ماذا أجاءت غسان؟ قال لا بل أعظم من ذلك وأهول طلق رسول الله ﷺ نساءه قلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون حتى إذا صليت الصبح شددت على ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت أطلقكن رسول الله ﷺ؟ قالت لا أدري ها هو ذا معتزل في هذه المشربة فأتيت غلاماً له أسود فقلت

لهما: ﴿ **إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما** ﴾؟ فقال: واعجباً لك يا ابن عباس هما عائشة وحفصة. ثم استقبل عمر الحديث يسوقه فقال: إني كنت أنا وجارٌ لي من الأنصار في بني أُمية بن زيد وهي من عوالي المدينة، وكنّا نتناوب النزول على النبي ﷺ فينزل يوماً وأنزل يوماً فإذا نزلت حدّثته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الأمر أو غيره وإذا نزل فعل مثله، وكنّا معشر قريش نغلب النساء، فلما قَدِمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار فصحت على امرأتي فراجعتني فأنكرت أن تراجعني، فقالت: ولِمَ تنكر أن أُراجعك فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وإن إحداهنّ لتهجره اليوم حتى الليل. فأفزعني فقلت: خابت مَن فعلت منهنّ بعظيم، ثم جمعت عليّ ثيابي فدخلت على حفصة، فقلت: أيْ حفصة أتغاضب إحداكنّ النبيَّ ﷺ حتى الليل؟ فقالت: نعم، فقلت: خابت وخسرت أفتـأمنين أن يغضب الله تعالى لغضب رسـوله فتهلكي لا تستكثـري على النبـي ﷺ ولا تراجعيه في شيء، ولا تهجريه وسليني ما بدا لك، ولا يغرنّك إن كانت جارتك هي أوضأ منك وأحبّ إلى النبي ﷺ يريد عائشة، قال عمر: وكنّا تحدّثنا أن غسان تبعث الخيل لتغزونا فنزل صاحبي يوم نوبته، فرجع عشاء فضرب بابي ضرباً شديداً وقال: أثَمَّ هو، ففزعت فخرجت إليه فقال: حدث عظيم؟ فقلت: ما هو أجاءت غسان؟ قال: لا بل أعظم منه وأطول طلّق النبي ﷺ نساءه، فقلت قد خابت حفصة وخسرت كنت أظن أن هذا يوشك أن يكون، فجمعت عليّ ثيابي فصلّيت صلاة الفجر مع النبي ﷺ، فدخل مشربة له فاعتزل فيها فدخلت على حفصة فإذا هي تبكي، فقلت: ما يُبكيك أوَ لَمْ أكن حذّرتك؟ أطلّقكنّ النبي ﷺ؟ قالت: لا أدري هو ذا في المشربة، فخرجت فجئت المنبر فإذا حوله رهط يبكي بعضهم، فجلست معهم قليلاً ثم غلبني ما أجد، فجئت المشربة التي فيها النبي ﷺ فقلت لغلام له أسود: استأذن لعمر، فدخل فكلّم النبي ﷺ ثم رجع إليّ فقال: قد كلّمت النبي ﷺ فذكرتك له فصمت، فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد فجئت فقلت للغلام: استأذن لعمر، فدخل ثم رجع إليّ فقال: قد ذكرتك له فصمت، فرجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد فجئت الغلام فقلت: استأذن لعمر، فاستأذن ثم رجع إليّ فقال، قد ذكرتك له فصمت، فلما ولّيت منصرفاً فإذا الغلام يدعوني، فقال: قد أذِنَ لك النبي ﷺ، فدخلت على رسول الله ﷺ فإذا هو

استأذن لعمر فدخل ثم خرج إليّ فقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى أتيت المنبر فإذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست قليلاً ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت فجلست إلى المنبر ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت فوليت مدبراً فإذا الغلام يدعوني فقال ادخل فقد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله ﷺ فإذا هو متكىء على رمال حصير قد أثر في جنبه فقلت أطلقت يا رسول الله نساءك فرفع رأسه إليّ وقال لا فقلت الله أكبر لو رأيتنا يا رسول الله قد كنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فغضبت على امرأتي يوماً فإذا هي تراجعني فأنكرت إذ راجعتني فقالت ما تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر أفتأمن إحداهن أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله ﷺ فإذا هي قد هلكت فتبسم رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله قد دخلت علي حفصة فقلت لا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ منك فتبسم أخرى فقلت استأنس يا رسول الله قال نعم قال فجلست فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت فيه ما يرد البصر إلا أهبة ثلاثة فقلت يا رسول الله ادع الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالساً ثم قال أفي اشك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله وكان قد أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة لعائشة من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله تعالى» قال الزهري فأخبرني عروة عن عائشة قالت «لما مضت تسع وعشرون دخل علي رسول الله ﷺ بدأ بي فقلت يا رسول الله إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً وإنك دخلت في ليلة تسع وعشرين أعدهن فقال إن الشهر يكون تسعاً وعشرين زاد في رواية وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين ليلة ثم قال يا عائشة إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك ثم قال يا أيها

مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش، قد أثّر الرمال بجنبه متّكئاً على وسادة من أدم حشوها ليف، فسلّمت عليه ثم قلت وأنا قائم: يا رسول الله أطلّقتَ نساءك؟ فرفع إليّ بصره فقال: «لا»، فقلت: الله أكبر، ثم قلت وأنا قائم: أستأنس يا رسول الله لو رأيتني، وكنّا معشر قريش نغلب النساء فلما قَدِمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فتبسّم رسول الله ﷺ، ثم قلت: يا رسول الله لو رأيتني، ودخلت على حفصة فقلت لها لا يغرّنّك إن كانت جارتك أوضأ منك وأحبّ إلى رسول الله ﷺ يريد عائشة، فتبسم النبي ﷺ تبسمة أخرى، فجلست حين رأيته يتبسم فرفعت بصري في بيته فوالله ما رأيت فيه شيئاً يردّ البصر غير أُهبة ثلاثة، فقلت: يا رسول الله ادع الله تعالى فليوسع على أُمّتك فإن فارس والروم قد وُسِّع عليهم وأُعطوا من الدنيا وهم لا يعبدون الله تعالى، فجلس النبي ﷺ وكان متكئاً فقال: «أوَ في هذا أنت يا ابن الخطاب؟ إن أولئك قوم عجّلوا طيّباتهم في الحياة الدنيا»، فقلت: يا رسول الله استغفر لي فاعتزل النبي ﷺ، وسلّم نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسعاً وعشرين ليلة، وكان يقول: «ما أنا بداخل عليهنّ شهراً من شدّة موجدته عليهنّ حين عاتبه الله تعالى، فلما مضت تسعاً وعشرون ليلة، دخل على عائشة رضي الله عنها فبدأ بها، فقالت له عائشة: يا رسول الله إنك كنت أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً فإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدّها عدّاً؟ فقال: «الشهر تسع وعشرون»، وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين ليلة. قالت عائشة: ثم أنزل الله آية التخيير فبدأ بي أول امرأة من نسائه، فاخترته ثم خيّر نساءه كلهنّ فقلن مثل ما قالت عائشة، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أن رسول الله ﷺ جاءها حين أمر الله تعالى أن يخيّر أزواجه فبدأ بي رسول الله ﷺ، فقال: «إني ذاكر لك

النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها حتى بلغ إلى قوله عظيماً قالت عائشة قد علم رسول الله والله أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه فقلت أفي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة»، زاد في رواية «أن عائشة قالت لا تخبر نساءك أني اخترتك فقال لها النبي ﷺ إن الله أرسلني مبلغاً ولم يرسلني متعنتاً» ولمسلم عن ابن عباس عن عمر نحوه وفيه قال «دخلت عليه فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي الذي أقول فنزلت هذه الآية عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير»، وفيه أنه استأذن رسول الله ﷺ أن يخبر الناس أنه لم يطلق نساءه فأذن له وأنه قام على باب المسجد فنادى بأعلى صوته لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه.

(شرح بعض ألفاظه)

قوله فعدلت معه بالإداوة أي فملت معه بالركوة فتبرز أي أتى البراز وهو الفضاء من الأرض لقضاء الحاجة.

العوالي جمع عالية وهي أماكن بأعلى أراضي المدينة قوله ولا يغرنك أن كانت جارتك يريد بها الضرة وهي عائشة أوسم منك أي أكثر حسناً وجمالاً منك قوله فكنا نتناوب النزول التناوب هو أن يفعله الإنسان مرة ويفعله الآخر بعده المشربة بضم الراء وفتحها الغرفة قوله فإذا هو متكىء على رمال حصير يقال رملت الحصير إذا ضفرته ونسجته والمراد به أنه لم يكن على السرير وطاء سوى الحصير قوله ما رأيت فيه ما يرد البصر إلا أهبة ثلاثة الأهبة والأهب جمع إهاب وهو الجلد قوله من شدة موجدته الموجدة الغضب.

قوله تعالى: **﴿وإن تظاهرا عليه﴾** أي تعاونا على إيذاء النبي ﷺ **﴿فإن الله هو مولاه﴾** أي وليه وناصره **﴿وجبريل﴾** يعني وجبريل وليه وناصره أيضاً وإنما أفرده وإن كان داخلاً في جملة الملائكة تعظيماً له وتنبيهاً على علو منزلته ومكانته **﴿وصالح المؤمنين﴾** روي عن ابن مسعود وأبي بن كعب صالح المؤمنين أبو بكر وعمر وقيل هم المخلصون من المؤمنين الذين ليسوا بمنافقين وقيل هم الأنبياء **﴿والملائكة بعد ذلك﴾** أي بعد نصر الله وجبريل

أمراً فلا عليك أن لا تعجلي بالجواب حتى تستأمري أبويك»، وقد علم أن أبويّ لم يكونا يأمراني بفراقه، ثم قال: ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك ﴾ [الأحزاب: ٢٨ و٥٩] إلى تمام الآيتين، فقلت: أوَ في هذا أستأمر أبويّ فإني أُريد الله ورسوله والدار الآخرة. أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجّاج حدّثني زهير بن حرب ثنا عمر بن يونس الحنفي ثنا عكرمة بن عمّار عن سماك بن زميل حدّثنا عبد الله بن عباس حدّثني عمر بن الخطاب قال: لمّا اعتزل النبي ﷺ نساءه وذكر الحديث. وقال: دخلت عليه فقلت: يا رسول الله ما يشقّ عليك من شأن النساء فإن كنت طلّقتهنّ فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك. وقلّما تكلّمت وأحمد الله تعالى بكلام إلاّ رجوت أن يكون الله يصدق قولي الذي أقول، ونزلت هذه الآية: ﴿ عسى ربّه إن طلّقكنّ أن يبدله أزواجاً خيراً منكنّ ﴾ [التحريم: ٥]. **﴿ وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾**. قوله: **﴿ وإن تظاهرا عليه ﴾**، أي تتظاهرا أو تتعاونا على أذى النبي ﷺ، قرأ أهل الكوفة بتخفيف الظاء، والآخرون بتشديدها، **﴿ فإن الله هو مولاه ﴾**، أي وليّه وناصره قوله: **﴿ وجبريل وصالح المؤمنين ﴾**، رُوِيَ عن ابن مسعود وأُبيّ بن كعب: **﴿ وصالح المؤمنين ﴾** أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال الكلبي: هم المخلصون الذين ليسوا بمنافقين. قوله: **﴿ والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾**، قال مقاتل: بعد الله وجبريل وصالح المؤمنين ظهير، أي: أعوان للنبي ﷺ، وهذا

وصالح المؤمنين ﴿ظهير﴾ أي أعوان للنبي ﷺ ينصرونه.

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥﴾

﴿عسى ربه﴾ أي واجب من الله ﴿إن طلقكن﴾ يعني رسول الله ﷺ ﴿أن يبدله أزواجاً خيراً منكن﴾ ثم وصف الأزواج اللواتي كان يزوجه بهن فقال ﴿مسلمات﴾ أي خاضعات لله بالطاعة ﴿مؤمنات﴾ أي مصدقات بتوحيد الله تعالى: ﴿قانتات﴾ أي طائعات وقيل داعيات وقيل مصليات بالليل ﴿تائبات﴾ أي تاركات للذنوب، لقبحها أو كثيرات التوبة ﴿عابدات﴾ وكثيرات العبادة ﴿سائحات﴾ أي صائمات وقيل مهاجرات وقيل يسحن معه حيث ساح ﴿ثيبات﴾ جمع ثيب وهي التي تزوجت ثم بانت بوجه من الوجوه ﴿وأبكاراً﴾ أي عذارى جمع بكر وهذا من باب الإخبار عن القدرة لا عن الكون لأنه قال إن طلقكن وقد علم أنه لا يطلقهن فأخبر عن قدرته أنه إن طلقهن أبدله أزواجاً خيراً منهن تخويفاً لهن.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٩﴾

قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم﴾ قال ابن عباس بالانتهاء عما نهاكم الله عنه والعمل بطاعته ﴿وأهليكم﴾ يعني مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وأدبوهم تقوهم بذلك، ﴿ناراً وقودها الناس والحجارة﴾ يعني الكبريت، لأنه أشد الأشياء حراً وأسرع إيقاداً ﴿عليها ملائكة﴾ يعني خزنة النار وهم الزبانية ﴿غلاظ﴾ أي فظاظ على أهل النار ﴿شداد﴾ يعني أقوياء يدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين ألفاً في النار لم

من الواحد الذي يؤدّي عن الجمع، كقوله: ﴿ وحَسُنَ أولئك رفيقاً ﴾ [النساء: ٦٩].

﴿ **عسى ربّه إن طلّقكنّ** ﴾، أي واجب من الله إن طلّقكنّ رسوله، ﴿ **أن يبدله أزواجاً خيراً منكنّ مسلمات** ﴾، **خاضعات لله بالطاعة**، ﴿ **مؤمنات** ﴾، مصدّقات بتوحيد الله، ﴿ **قانتات** ﴾، طائعات، وقيل: داعيات وقيل مصلّيات، ﴿ **تائبات عابدات سائحات** ﴾، صائمات، وقال زيد بن أسلم: مهاجرات. وقيل: يسحن معه حيث ما ساح، ﴿ **ثيّبات وأبكاراً** ﴾، وهذا في الأخبار عن القدرة لا عن الكون لأنه قال: ﴿ **إن طلّقكنّ** ﴾ وقد علم أنه لا يطلّقهنّ وهذا كقوله: ﴿ وإن تتولّوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ [محمد: ٣٨]، وهذا إخبار عن القدرة لأن في الوجود أُمة هم خير من أُمة محمد ﷺ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم** ﴾، **قال عطاء عن ابن عباس**: أي بالانتهاء عمّا نهاكم الله تعالى عنه والعمل بطاعته، ﴿ **وأهليكم ناراً** ﴾، يعني مُرُوهم بالخير وانهوهم عن الشر، وعلّموهم وأدّبوهم تقوهم

يخلق الله الرحمة فيهم ﴿لا يعصون الله ما أمرهم﴾ أي لا يخالفون الله فيما أمرهم به ونهاهم عنه ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ أي لا تأخذهم رأفة في تنفيذ أوامره والانتقام من أعدائه ﴿يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم﴾ أي يقال لهم لا تعتذروا اليوم وذلك حين يعاينون النار وشدتها لأنه قد قدم إليهم الإنذار والإعذار فلا ينفعهم الاعتذار لأنه غير مقبول بعد دخول النار ﴿إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾ يعني أن أعمالكم السيئة ألزمتكم العذاب.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً﴾ أي ذات نصح تنصح صاحبها بترك العود إلى الذنب الذي تاب منه قال عمر بن الخطاب وأبي بن كعب ومعاذ التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع وقال الحسن هي أن يكون العبد نادماً على ما مضى مجمعاً على أن لا يعود إليه وقال الكلبي أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن وقال سعيد بن المسيب معناه توبة تنصحون بها أنفسكم وقال محمد بن كعب القرظي التوبة النصوح يجمعها أربعة أشياء الاستغفار باللسان والإقلاع بالأبدان وإضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيىء الإخوان.

(فصل)

وقال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب على الفور ولا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاث شروط:

أحدها: أن يقلع عن المعصية؛ والثاني أن يندم على فعلها، والثالث أن يعزم على أن لا يعود إليها أبداً فإذا اجتمعت هذه الشروط في التوبة كانت نصوحاً وإن فقد شرط منها لم تصح توبته فإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فشروطها أربعة هذه الثلاثة المتقدمة والرابع أن يبرأ من حق صاحبها فإن كانت المعصية مالاً ونحوه رده إلى صاحبه وإن كان حد قذف أو نحوه مكنه من نفسه أو طلب عفوه وإن كانت غيبة استحله منها ويجب أن يتوب العبد من جميع الذنوب فإن تاب من بعضها صحت توبته من ذلك الذنب وبقي عليه ما لم يتب منه هذا مذهب أهل السنة، وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوب التوبة (م) عن الأغر بن يسار المزني قال: قال رسول الله ﷺ «يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم مائة مرة» (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»، (ق) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة الحديث (م) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب

بذلك ناراً، ﴿وَقُودُها الناس والحجارة عليها ملائكة﴾، يعني خَزَنَة النار، ﴿غِلاظ﴾، فِظاظ على أهل النار، ﴿شِداد﴾، أقوياء يدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين ألفاً في النار وهم الزبانية لم يخلق الله فيهم الرحمة، ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾.

﴿يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تُجزَون ما كنتم تعملون * يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبةً نصوحاً﴾، قرأ الحسن وأبو بكر عن عاصم ﴿نصوحاً﴾ بضم النون، وقرأ العامّة بفتحها أي توبة ذات نصح تنصح صاحبها بترك العَوْد إلى ما تاب منه، واختلفوا في معناه قال عمر وأبي ومعاذ: التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب، كما لا يعود اللبن إلى الضرع. قال الحسن: هي أن يكون العبد نادماً على ما مضى مجمعاً على ألاّ يعود فيه. قال الكلبي أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن. قال سعيد بن المسيب: توبة تنصحون بها أنفسكم. قال القرظي: يجمعها أربعة أشياء الاستغفار باللسان والأقلام بالأبدان وإضمار ترك العَوْد بالجِنان ومهاجرة سيّىء الإخوان. ﴿عسى ربكم أن يكفّر عنكم سيئاتكم ويُدخلكم جنّات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله

مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن.

وقوله تعالى: ﴿عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم﴾ هذا إطماع من الله تعالى لعباده في قبول التوبة وذلك تفضلاً وتكرماً لا وجوباً عليه ﴿ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه﴾ أي لا يعذبهم بدخول النار ﴿نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم﴾ يعني على الصراط ﴿يقولون ربنا﴾ يعني إذا انطفأ نورا المنافقين ﴿أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾ تقدم تفسيره.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً﴾ أي بين شبهها وحالاً ﴿للذين كفروا امرأة نوح﴾ واسمها واعلة ﴿وامرأة لوط﴾ واسمها واهلة وقيل اسمهما والعة ووالهة ﴿كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين﴾ وهما نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام وقوله من عبادنا إضافة تشريف وتعظيم ﴿فخانتاهما﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما ما بغت امرأة نبي قط وإنما كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما وكانت امرأة نوح تقول للناس إنه مجنون وإذا آمن أحد أخبرت به الجبابرة من قومها وأما امرأة لوط فإنها كانت تدل قومها على أضيافه إذا نزل به ضيف بالليل أوقدت النار وإذا نزل به ضيف بالنهار دخنت لتعلم قومها بذلك وقيل أسرتا النفاق وأظهرتا الإيمان ﴿فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً﴾ أي لم يدفعا عن امرأتيهما مع نبوتهما عذاب الله ﴿وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾ وهذا مثل ضربه الله تعالى للصالحين والصالحات

النبي والذين آمنوا معه﴾، أي لا يعذّبهم الله بدخول النار، ﴿ **نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم** ﴾، على الصراط، ﴿ **يقولون** ﴾، إذ طُفِىء نور المنافقين، ﴿ **ربّنا أتممْ لنا نورنا واغفرْ لنا إنك على كل شيء قدير** ﴾.

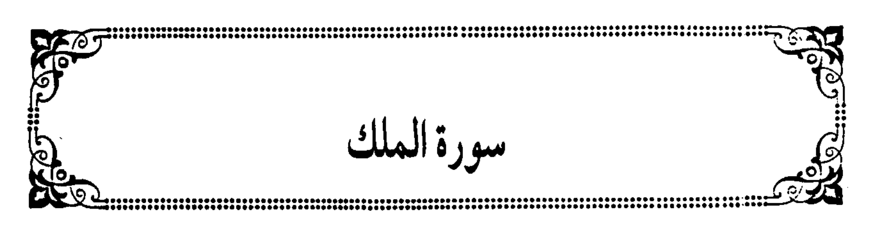
﴿ **يا أيها النبي جاهد الكفّار والمنافقين واغلظْ عليهم ومأْوَاهم جهنم وبئس المصير** ﴾، ثم ضرب الله مثلاً للصالحين والصالحات من النساء.

فقال جلّ ذكره: ﴿ **ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح**﴾، واسمها واعلة، ﴿ **وامرأة لوط** ﴾، واسمها واهلة. وقال مقاتل: والعة ووالهة، ﴿ **كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين** ﴾، وهما نوح ولوط عليهما السلام، ﴿ **فخانتاهما** ﴾، قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبيّ قطّ وإنما كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما، فكانت امرأة نوح تقول للناس: إنه مجنون وإذا آمن به أحد أخبرت به الجبابرة، وأما امرأة لوط فإنها كانت تدلّ قومه على أضيافه إذا نزل به ضيف بالليل أوقدت النار، وإذا نزل بالنهار دخّنت ليعلم قومه أنه نزل به ضيف. وقال الكلبي: أسرّتا النفاق وأظهرتا الإيمان، ﴿ **فلم يُغنيا عنهما من الله شيئاً** ﴾، لم يدفعا عنهما مع نبوّتهما عذاب الله، ﴿ **وقيل ادخلا النار مع الداخلين** ﴾، قطع الله بهذه الآية طمع كل مَن يركب المعصية أن ينفعه صلاح غيره، ثم أخبر أن معصية غيره لا تضرّه إذا كان مطيعاً.

من النساء وأنه لا ينفع العاصي طاعة غيره ولا يضر المطيع معصية غيره وإن كانت القرابة متصلة بينهم وأن القريب كالأجانب بل أبعد وإن كان القريب الذي يتصل به الكافر نبياً كامرأة نوح وامرأة لوط لما خانتاهما لم يغن هذان الرسولان عن امرأتيهما شيئاً فقطع بهذه الآية طمع من يرتكب المعصية ويتكل على صلاح غيره وفي هذا المثل تعريض بأمي المؤمنين عائشة وحفصة وما فرط منهما وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشده ثم ضرب مثلاً آخر يتضمن أن معصية الغير لا تضره إذا كان مطيعاً وأن وصلة المسلم بالكافر لا تضر المؤمن فقال تعالى: ﴿**وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون**﴾ يعني آسية بنت مزاحم قال المفسرون لما غلب موسى السحرة آمنت به امرأة فرعون فلما تبين لفرعون إسلامها أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس فكانت تعذب في الشمس فإذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة ﴿**إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة**﴾ فكشف الله لها عن بيتها في الجنة وقيل إن فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما أتوها بالصخرة قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة فأبصرت بيتها في الجنة، من درة بيضاء وانتزعت روحها فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه ولم تجد ألماً وقيل رفع الله امرأة فرعون إلى الجنة فهي تأكل وتشرب فيها ﴿**ونجني من فرعون وعمله**﴾ يعني وشركه وقال ابن عباس عمله يعني جماعه ﴿**ونجني من القوم الظالمين**﴾ يعني الكافرين ﴿**ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها**﴾ أي عن الفواحش والمحصنة العفيفة ﴿**فنفخنا فيه**﴾ أي في جيب درعها ولذلك ذكر الكناية ﴿**من روحنا**﴾ إضافة تمليك وتشريف كبيت الله وناقة الله ﴿**وصدقت بكلمات ربها**﴾ يعني الشرائع التي شرعها الله لعباده بكلماته المنزلة على أنبيائه ﴿**وكتبه**﴾ يعني الكتب المنزلة على إبراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم الصلاة والسلام، ﴿**وكانت من القانتين**﴾ يعني كانت من القوم القانتين أي المطيعين وهم رهطها وعشيرتها لأنهم كانوا أهل بيت صلاح وطاعة الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون» أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح. والله أعلم بمراده.

فقال: ﴿ **وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأت فرعون** ﴾، وهي آسية بنت مُزاحم، قال المفسّرون: لمّا غلب موسى السَّحَرَة آمنت امرأة فرعون لما تبيّن لفرعون إسلامها أوْتَدَ يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس. قال سلمان: كانت امرأة فرعون تُعَذَّب بالشمس فإذا انصرفوا عنها ظلّتها الملائكة ﴿ **إذْ قالت ربِّ ابنِ لي عندك بيتاً في الجنّة** ﴾، فكشف الله لها عن بيتها في الجنة حتى رأته في القصة أن فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها، فلما أتوها بالصخرة قالت: ربِّ ابنِ لي عندك بيتاً في الجنة فأبصرت بيتها في الجنة من درّة، وانتزع روحها فأُلقيت الصخرة على جسد لا روح فيه، ولم تجد ألماً. وقال الحسن وابن كيسان: رفع الله امرأة فرعون إلى الجنة فهي فيها تأكل وتشرب. ﴿ **ونجّني من فرعون وعمله** ﴾، قال مقاتل: وعمله يعني الشرك. وقال أبو صالح عن ابن عباس: وعمله، قال: جِمَاعه. ﴿ **ونجّني من القوم الظالمين** ﴾، الكافرين.

﴿ **ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه** ﴾، أي في جيب درعها، ولذلك ذكر الكناية، ﴿ **من روحنا وصدّقت بكلمات ربها** ﴾، يعني الشرائع التي شرعها الله للعباد بكلماته المنزلة، ﴿ **وكتبه** ﴾، قرأ أهل البصرة وحفص ﴿ **وكتبه** ﴾ على الجمع، وقرأ الآخرون (وكتابه) على التوحيد، والمراد منه الكثرة أيضاً. وأراد الكتب التي أُنزلت على إبراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم السلام. ﴿ **وكانت من القانتين** ﴾، أي من القوم القانتين المطيعين لربّها ولذلك لم يقل من القانتات. وقال عطاء: من القانتين أي من المصلّين ويجوز أن يريد بالقانتين رهطها وعشيرتها فإنهم كانوا أهل صلاح مطيعين لله. وروينا عن النبي ﷺ قال: «حسبك من نساء العالمين: مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون».



سورة الملك

مكية وهي ثلاثون آية وثلاثمائة وثلاثون كلمة وألف وثلاثمائة وثلاثة عشر حرفاً.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال «إن من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ولأبي داود ونحوه، وفيه «تشفع لصاحبها» عن ابن عباس قال «ضرب بعض أصحاب رسول الله ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا هو قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ضربت خبائي على قبر إنسان وأنا لا أحب أنه قبر فإذا هو قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال النبي ﷺ هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾

قوله عز وجل: ﴿**تبارك الذي بيده الملك**﴾ أي له الأمر والنهي والسلطان فيعز من يشاء ويذل من يشاء ﴿**وهو على كل شيء قدير**﴾ أي من الممكنات ﴿**الذي خلق الموت والحياة**﴾ قيل أراد موت الإنسان وحياته في الدنيا جعل الله الدنيا دار حياة وفناء وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء وإنما قدم الموت لأنه أقرب إلى قهر الإنسان، وقيل قدمه لأنه أقدم وذلك لأن الأشياء كانت في الابتداء في حكم الموتى كالتراب والنطفة والعلقة ونحو ذلك ثم طرأ عليها الحياة وقال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش أملح لا يمر بشيء ولا يجد ريحه شيء إلا مات وخلقت الحياة على صورة فرس بلقاء وهي التي كان جبريل والأنبياء يركبونها لا تمر بشيء ولا يجد ريحها شيء إلا حيي وهي التي أخذ السامري قبضة من أثرها فألقاها في العجل فخار وحيي وقيل إن الموت صفة وجودية مضادة للحياة، وقيل الموت عبارة عن زوال

سُورَة المُلْك

مكيّة وهي ثلاثون آية.

﴿ **تبارك الذي بيده المُلْك وهو على كل شيء قدير * الذي خلق الموت والحياة** ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: يريد الموت في الدنيا والحياة في الآخرة. وقال قتادة: أراد موت الإنسان وحياته في الدنيا، جعل الله الدنيا دار حياة وفناء، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء. قيل: إنما قدّم الموت لأنه إلى القهر أقرب. وقيل: قدّمه لأنه أقدم لأن الأشياء في الابتداء كانت في حكم الموت كالنطفة والتراب ونحوهما، ثم طرأت عليها الحياة. وقال ابن عباس: خلق الموت على صورة كبش أملح لا يمرّ بشيء ولا يجد ريحه شيء إلّا مات وخلق الحياة على صورة فرس

القوة الحيوانية وإبانة الروح عن الجسد وضده الحياة وهي القوة الحساسة مع وجود الروح في الجسد وبه سمي الحيوان حيواناً وقيل إن الموت نعمة لأن الفاصل بين حال التكليف في هذه الدار وحال المجازاة في دار القرار والحياة أيضاً نعمة إذ لولاها لم يتنعم أحد في الدنيا ولم يصل إليه الثواب في الآخرة **﴿ليبلوكم﴾** أي ليختبركم فيما بين الحياة إلى الموت **﴿أيكم أحسن عملاً﴾** روي عن ابن عمر مرفوعاً أحسن عملاً أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعته وقال الفضيل بن عياض أحسن عملاً أخلصه وأصوبه، وقال أيضاً العمل لا يقبل حتى يكون خالصاً صواباً فالخالص إذا كان لله والصواب إذا كان على السنة وقيل أيكم أزهد في الدنيا **﴿وهو العزيز﴾** أي الغالب المنتقم ممن عصاه **﴿الغفور﴾** أي لمن تاب إليه ورجع عن إساءته.

ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ﴿٤﴾ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ﴿٨﴾

قوله تعالى: **﴿الذي خلق سبع سموات طباقاً﴾** يعني طبقاً على طبق بعضها فوق بعض كل سماء مقبية على الأخرى وسماء الدنيا كالقبة على الأرض قال كعب الأحبار سماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة صفر أو قال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وما بين السماء إلى الحجب السبعة صحار من نور، **﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾** أي ما ترى يا ابن آدم في شيء مما خلق الرحمن اعوجاجاً ولا اختلافاً ولا تناقضاً بل خلقهن مستقيمة مستوية **﴿فارجع البصر﴾** أي كرر النظر **﴿هل ترى من فطور﴾** أي من شقوق وصدوع **﴿ثم ارجع البصر كرتين﴾** قال ابن عباس مرة بعد مرة **﴿ينقلب﴾** أي ينصرف **﴿إليك﴾** فيرجع **﴿البصر خاسئاً﴾** أي صاغراً ذليلاً مبعداً لم ير ما يهوي **﴿وهو حسير﴾** أي كليل منقطع لم يدرك ما طلب **﴿ولقد زينا السماء الدنيا﴾** أي القربى من الأرض وهي التي يراها الناس **﴿بمصابيح﴾** أي بكواكب كالمصابيح في الإضاءة وهي

بلقاء أنثى وهي التي كان جبريل والأنبياء يركبونها لا تمرّ بشيء ولا يجد ريحها شيء إلّا حيّ، وهي التي أخذ السامري قبضة من أثرها فألقى على العجل فحيّ **﴿ليبلوكم﴾**، فيما بين الحياة إلى الموت، **﴿أيّكم أحسن عملاً﴾**، رُوِيَ عن ابن عمر مرفوعاً أحسن عملاً أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله. وقال الفضيل بن عياض: أحسن عملاً أخلصه وأصوبه. وقال: العمل لا يقبل حتى يكون خالصاً صواباً فالخالص إذا كان لله والصواب إذا كان على السُّنّة. وقال الحسن: أيّكم أزهد في الدنيا وأترك لها. وقال الفرّاء: لم تقع البلوى على أيٍّ إلّا وبينهما إضمار كما تقول بلوتكم لأنظر أيّكم أطوع ومثله سلهم أيّهم بذلك زعيم أي سَلهم وانظر أيّهم، فإن رفع على الابتداء وأحسن خبره، **﴿وهو العزيز﴾**، في انتقامه ممّن عصاه، **﴿الغفور﴾**، لمَن تاب إليه.

﴿الذي خلق سبع سمٰوات طِباقاً﴾، طبقاً على طبق بعضها فوق بعض، **﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾**، قرأ حمزة والكسائي من تفوّت بتشديد الواو بلا ألف، وقرأ الآخرون بتخفيف الواو وألف قبلها، وهما لغتان كالتحمّل والتحامل والتظهّر والتظاهر، ومعناه: ما ترى يا ابن آدم في خلق الرحمن من اعوجاج واختلاف وتناقض، بل هي مستقيمة مستوية وأصله من الفَوْت وهو أن يفوت بعضها بعضاً لقلّة استوائها، **﴿فارجع البصر﴾**، كرّر النظر، معناه: انظر ثم ارجع، **﴿هل ترى من فطور﴾**، شقوق وصدوع.

﴿ثم ارجعِ البصر كرّتين﴾، قال ابن عباس مرة بعد مرة، **﴿ينقلب﴾**، ينصرف ويرجع **﴿إليك البصر**

أعلام الكواكب، وقال ابن عباس بنجوم لها نور وقيل خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ورجوماً للشياطين وهو قوله تعالى: ﴿وجعلناها رجوماً للشياطين﴾ قال ابن عباس يرجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع.

فإن قلت جعل الكواكب زينة للسماء يقتضي بقاءها وجعلها رجوماً للشياطين يقتضي زوالها فكيف الجمع بين هاتين الحالتين.

قلت قالوا إنه ليس المراد أنهم يرمون بأجرام الكواكب بل يجوز أن تنفصل من الكواكب شعلة وترمي الشياطين بتلك الشعلة وهي الشهب ومثلها كمثل قبس يؤخذ من النار وهي على حالها ﴿وأعتدنا لهم﴾ أي وأعتدنا للشياطين بعد الاحتراق في الدنيا ﴿عذاب السعير﴾ أي في الآخرة وهي النار الموقدة ﴿وللذين كفروا بربهم﴾ أي ليس العذاب مختصاً بالشياطين بل لكل من كفر بالله من إنس وجن ﴿عذاب جهنم وبئس المصير﴾ ثم وصف جهنم فقال تعالى: ﴿إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً﴾ هو أول صوت نهيق الحمار وذلك أقبح الأصوات ﴿وهي تفور﴾ أي تغلي بهم كغلي المرجل وقيل تفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحب القليل، ﴿تكاد تميز﴾ أي تتقطع ﴿من الغيظ﴾ من تغيظها عليهم ﴿كلما ألقى فيها فوج﴾ أي جماعة ﴿سألهم خزنتها﴾ يعني سؤال توبيخ وتقريع ﴿ألم يأتكم نذير﴾ أي رسول ينذركم.

قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ
نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ
لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ
ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِي
ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾

﴿قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا﴾ يعني للرسول ﴿ما نزل الله من شيء﴾ وهذا اعتراف منهم بأنه أزاح

خاسئاً ﴾، صاغراً ذليلاً مبعداً لم يرَ ما يهوي، ﴿ وهو حسير ﴾، كليل منقطع لم يدرك ما طلب. ورُوِيَ عن كعب أنه قال: الساء الدنيا موج مكفوف، والثانية من درّة بيضاء، والثالثة حديد، والرابعة صفراء، وقال نحاس، والخامسة فضة، والسادسة ذهب، والسابعة ياقوتة حمراء، ومن السماء السابعة إلى الحجب السبعة صحارى نور.

﴿ ولقد زيّنّا السماء الدنيا بمصابيح ﴾، أراد الأدنى من الأرض وهي التي يراها الناس. وقوله: ﴿ بمصابيح ﴾ الكواكب، واحدها مصباح، وهو السراج سُمّي الكوكب مصباحاً لإضاءته، ﴿ وجعلناها رجوماً ﴾، مرامي، ﴿ للشياطين ﴾، إذا استرقوا السمع، ﴿ وأعتدنا لهم ﴾، في الآخرة، ﴿ عذاب السعير ﴾، النار المُوقدة.

﴿ وللذين كفروا بربّهم عذاب جهنم وبئس المصير * إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً ﴾، وهو أول نهيق الحمار وذلك أقبح الأصوات، ﴿ وهي تفور ﴾، تغلي بهم كغلي المِرْجَل. وقال مجاهد: تفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحب القليل.

﴿ تكاد تميز ﴾، تتقطّع، ﴿ من الغيظ ﴾، من تغيظها عليهم، قال ابن قتيبة: تكاد تنشقّ غيظاً على الكفّار، ﴿ كلما أُلقي فيها فوج ﴾، جماعة منهم، ﴿ سألهم خَزَنَتها ﴾، سؤال توبيخ، ﴿ ألَمْ يأتكم نذير ﴾، رسول ينذركم.

﴿ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذّبنا وقلنا ﴾، للرسل، ﴿ ما نزل الله من شيء إن أنتم إلاّ في ضلال كبير ﴾.

عللهم ببعثة الرسل ولكنهم كذبوا وقالوا ما نزل الله من شيء ﴿إن أنتم إلا في ضلال كبير﴾ فيه وجهان أحدهما وهو الأظهر أنه من جملة قول الكفار للرسل والثاني يحتمل أن يكون من كلام الخزنة للكفار والمعنى لقد كنتم في الدنيا في ضلال كبير ﴿وقالوا لو كنا نسمع﴾ أي من الرسل ما جاؤوا به ﴿أو نعقل﴾ أي نفهم منهم، قال ابن عباس لو كنا نسمع الهدى أو نعقله فنعمل به ﴿ما كنا في أصحاب السعير﴾ وقيل معناه لو كنا نسمع سمع من يعي ونعقل عقل من يميز وننظر ونتفكر ما كنا في أصحاب السعير ﴿فاعترفوا بذنبهم﴾ هو في معنى الجمع أي بتكذيبهم الرسل وقولهم «ما نزل الله من شيء» ﴿فسحقاً﴾ أي بعداً ﴿لأصحاب السعير﴾ قوله عز وجل: ﴿إن الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ أي يخافون ربهم ولم يروه فيؤمنوا به خوفاً من عذابه ﴿لهم مغفرة﴾ أي لذنوبهم ﴿وأجر كبير﴾ يعني جزاء أعمالهم الصالحة ﴿وأسروا قولكم أو أجهروا به﴾ قال ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فيخبره جبريل بما قالوا فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم كي لا يسمع إله محمد فأخبره الله أنه لا يخفى عليه خافية فقال تعالى: ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ ثم أكد ذلك بقوله تعالى: ﴿ألا يعلم من خلق﴾ يعني ألا يعلم من خلق مخلوقه، وقيل ألا يعلم الله من خلق والمعنى ألا يعلم الله ما في صدور من خلق ﴿وهو اللطيف﴾ أي باستخراج ما في الصدور ﴿الخبير﴾ بما فيها من السر والوسوسة.

قوله تعالى: ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً﴾ الذلول المنقاد من كل شيء والمعنى جعلها لكم سهلة لا يمتنع المشي فيها لحزونتها وغلظها ﴿فامشوا في مناكبها﴾ أمر إباحة وكذا قوله ﴿وكلوا من رزقه﴾ ومناكبها جوانبها وأطرافها ونواحيها وقيل طرقها وفجاجها وقال ابن عباس جبالها والمعنى هو الذي سهل لكم السلوك في جبالها وهو

﴿ وقالوا لو كنّا نسمع ﴾، من الرّسل ما جاؤونا به، ﴿ أو نعقل ﴾، منهم، وقال ابن عباس: لو كنّا نسمع الهدى أو نعقله فنعمل به، ﴿ ما كنّا في أصحاب السعير ﴾، قال الزجّاج: لو كنّا نسمع سمع مَن يعي ويتفكّر أو نعقل عقل مَن يميّز وينظر ما كنّا من أهل النار.

﴿ فاعترفوا بذنبهم فسحقاً ﴾، بُعداً، ﴿ لأصحاب السعير ﴾، قرأ أبو جعفر والكسائي ﴿ فسحقاً ﴾ بضمّ الحاء، وقرأ الباقون بسكونها، وهما لغتان مثل الرعب والرعب والسحت والسحت.

﴿ إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير * وأسرّوا قولكم أوِ اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ﴾، قال ابن عباس: نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فيخبره جبريل عليه السلام بما قالوا، فقال بعضهم لبعض أسرُّوا قولكم كي لا يسمع إلّه محمد.

فقال الله جلّ ذكره: ﴿ ألا يعلم مَن خلق ﴾، ألا يعلم ما في الصدور مَن خلقها، ﴿ وهو اللطيف الخبير ﴾، لطيف علمه في القلوب الخبير بما فيها من السرّ والوسوسة. وقيل: ﴿ مَن ﴾ يرجع إلى المخلوق، أي ألا يعلم الله مخلوقه

﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً ﴾، سهلاً لا يمتنع المشي فيها بالحزونة، ﴿ فامشوا في مناكبها ﴾، قال ابن عباس وقتادة: في جبالها. وقال الضحاك: في آكامها. وقال مجاهد: في طرقها وفِجاجها. قال الحسن: في سبلها. وقال الكلبي: في أطرافها. وقال مقاتل: في نواحيها. قال الفرّاء: في جوانبها. والأصل في الكلمة الجانب، ومنه منكب الرجل، الريح النكباء وتنكب فلان. ﴿ وكلوا من رزقه ﴾، مما خلقه رزقاً لكم في الأرض، ﴿ وإليه النشور ﴾، أي وإليه تُبعثون من قبوركم.

أبلغ التذلل وكلوا من رزقه أي مما خلقه الله لكم في الأرض ﴿وإليه النشور﴾ أي وإليه تبعثون من قبوركم ثم خوف كفار مكة فقال تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ قال ابن عباس يعني عقاب من في السماء إن عصيتموه ﴿أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور﴾ أي تتحرك بأهلها وقيل تهوي بهم والمعنى أن الله تعالى يحرك الأرض عند الخسف بهم حتى يقلبهم إلى أسفل وتعلو الأرض عليهم وتمور فوقهم أي تجيء وتذهب.

أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾
أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ
رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ
ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ
زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾

﴿أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً﴾ يعني ريحاً ذات حجارة كما فعل بقوم لوط ﴿فستعلمون﴾ أي عند الموت في الآخرة ﴿كيف نذير﴾ أي إنذاري إذا عاينتم العذاب ﴿ولقد كذب الذين من قبلهم﴾ أي من قبل كفار مكة وهم الأمم الخالية ﴿فكيف كان نكير﴾ أي إنكاري عليهم أليس وجدوا العذاب حقاً.

قوله عز وجل: ﴿أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات﴾ أي باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها ﴿ويقبضن﴾ أي يضممن أجنحتهن إذا ضربن بهن جنوبهن بعد البسط ﴿ما يمسكهن﴾ أي حال القبض والبسط ﴿إلا الرحمن﴾ والمعنى: أن الطير مع ثقلها وضخامة جسمها لم يكن بقاؤها وثبوتها في الجو إلا بإمساك الله عز وجل إياها وحفظه لها

ثم خوّف الكفّار فقال: ﴿أأمنتم مَنْ في السماء﴾، قال ابن عباس: أي عذاب مَن في السماء إن عصيتموه، ﴿ أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور ﴾، قال الحسن: تتحرك بأهلها. وقيل: تهوي بهم، والمعنى: أن الله تعالى يحرّك الأرض عند الخسف بهم حتى تلقيهم إلى أسفل تعلو عليهم وتمرّ فوقهم. يقال: مارَ يمور إذا جاء وذهب.

﴿ أم أمنتم مَن في السماء أن يرسل عليكم حاصباً ﴾، ريحاً ذات حجارة كما فعل بقوم لوط. ﴿ فستعلمون ﴾، في الآخرة وعند الموت، ﴿ كيف نذير ﴾، أي إنذاري إذا عاينتم العذاب.

﴿ ولقد كذب الذين من قبلهم ﴾، يعني كفّار الأمم الماضية، ﴿ فكيف كان نكير ﴾، أي إنكاري عليهم بالعذاب.

﴿ أوَ لم يروا إلى الطير فوقهم صافّات ﴾، تصفّ أجنحتها في الهواء، ﴿ ويقبضن ﴾، أجنحتهنّ بعد البسط، ﴿ ما يمسكهنّ ﴾، في حال القبض والبسط أن يسقطن، ﴿ إلاّ الرحمن إنه بكل شيء بصير ﴾.

﴿أمّن هذا الذي هو جند لكم﴾، استفهام إنكار. قال ابن عباس: أي منعة لكم، ﴿ ينصركم من دون الرحمن ﴾، يمنعكم من عذابه ويدفع عنكم ما أراد بكم. ﴿ إنِ الكافرون إلاّ في غرور ﴾، أي في غرور من الشيطان يغرّهم بأن العذاب لا ينزل بهم.

﴿إنه بكل شيء بصير﴾ يعني أنه تعالى لا تخفى عليه خافية ﴿أمن هذا الذي هو جند لكم﴾ استفهام إنكار أي لا جند لكم ﴿ينصركم﴾ أي يمنعكم ﴿من دون الرحمن﴾ أي من عذاب الله قال ابن عباس أي من ينصركم مني إن أردت عذابكم ﴿إن الكافرون إلا في غرور﴾ أي من الشيطان يغرهم بأن العذاب لا ينزل بهم ﴿أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه﴾ يعني من ذا الذي يرزقكم المطر إن أمسكه الله عنكم ﴿بل لجوا﴾ أي تمادوا ﴿في عتو﴾ أي نبو وتكبر ﴿ونفور﴾ أي تباعد عن الحق ثم ضرب مثلاً للكافر والمؤمن فقال تعالى: ﴿أفمن يمشي مكباً على وجهه﴾ أي كاباً رأسه في الضلالة والجهالة أعمى القلب والعين لا يبصر يميناً ولا شمالاً وهو الكافر أكب على الكفر والمعاصي في الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيامة ﴿أهدى﴾ أي هو أهدى، ﴿أمن يمشي سوياً﴾ أي قائماً معتدلاً لا يبصر الطريق ﴿على صراط مستقيم﴾ يعني المؤمن يمشي يوم القيامة سوياً ﴿قل هو الذي أنشأكم﴾ أي خلقكم ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ يعني أنه تعالى ركب فيكم هذه القوى لكنكم ضيعتموها فلم تقبلوا ما سمعتموه ولا اعتبرتم بما أبصرتموه ولا تأملتم ما عقلتموه فكأنكم ضيعتم هذه النعم فاستعملتموها في غير ما خلقت له فلهذا قال ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ وذلك لأن شكر نعم الله صرفها في وجه مرضاته فلما صرفتموها في غير مرضاته فكأنكم ما شكرتم رب هذه النعم الواهب لها ﴿قل هو الذي ذرأكم﴾ أي خلقكم وبثكم ﴿في الأرض وإليه تحشرون﴾ أي يوم القيامة والمعنى أن القادر على الإبداء قادر على الإعادة ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ هذا سؤال يحتمل وجهين: أحدهما أنه سؤال عن نزول العذاب بهم والثاني أنه سؤال عن يوم القيامة فأجاب الله عن ذلك بقوله ﴿قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين﴾ أمره بإضافة العلم إلى الله تعالى وتبليغ ما أوحي إليه ﴿فلما رأوه﴾ يعني العذاب في الآخرة على قول أكثر المفسرين، وقيل يعني العذاب ببدر ﴿زلفة﴾ أي قريباً ﴿سيئت وجوه الذين كفروا﴾ أي اسودت وعلتها الكآبة والمعنى قبحت وجوههم بالسواد ﴿وقيل﴾ لهم أي وقالت لهم الخزنة ﴿هذا الذي كنتم به تدعون﴾ من الدعاء أي تتمنون وتطلبون أن يعجله لكم وقيل من الدعوى أي تدعون أنه باطل.

﴿ أَمَّن هذا الذي يرزقكم إنْ أمسك رزقه ﴾، أي مَن الذي يرزقكم المطر إن أمسك الله عنكم، ﴿ بل لَجّوا في عُتُوٍّ ﴾، تمادوا في الضلال، ﴿ ونفور ﴾، تباعد من الحق.

ثم ضرب مثلاً فقال: ﴿ أفمن يمشي مُكِبّاً على وجهه ﴾، راكباً رأسه في الضلالة والجهالة أعمى العين والقلب لا يبصر يميناً ولا شمالاً وهو الكافر. قال قتادة: راكباً على المعاصي في الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيامة، ﴿ أهدى أمّن يمشي سوياً ﴾، معتدلاً يبصر الطريق وهو، ﴿ على صراط مستقيم ﴾، وهو مؤمن. قال قتادة: يمشي يوم القيامة سويّاً.

﴿ قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون ﴾، قال مقاتل: يعني أنهم لا يشكرون ربَّ هذه النِّعَم.

﴿ قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تُحشرون * ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين * قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين * فلما رأوه ﴾، يعني العذاب في الآخرة على قول أكثر المفسِّرين. وقال مجاهد: يعني العذاب ببدر، ﴿ زلفة ﴾، أي قريباً وهو اسم يوصف به المصدر يستوي فيه المذكّر والمؤنث والواحد والاثنان والجمع، ﴿ سيئت وجوه الذين كفروا ﴾، اسودّت وعلتها الكآبة، فالمعنى قبحت وجوههم بالسواد يقال ساء الشيء يسوء فهو سيىء إذا قبح، وسيىء يُساء إذا قبح، ﴿ وقيل ﴾ لها أي قال لهم الخَزَنَة، ﴿ هذا ﴾، أي هذا العذاب، ﴿ الذي كنتم به تدعـون ﴾، تفتعلون من الدعاء أي أن تدعوه وتتمنّوه أنه يجعله لكم، وقرأ يعقوب تدعون بالتخفيف، وهي قراءة قتادة ومعناهما واحد مثل تذكرون وتذكرون.

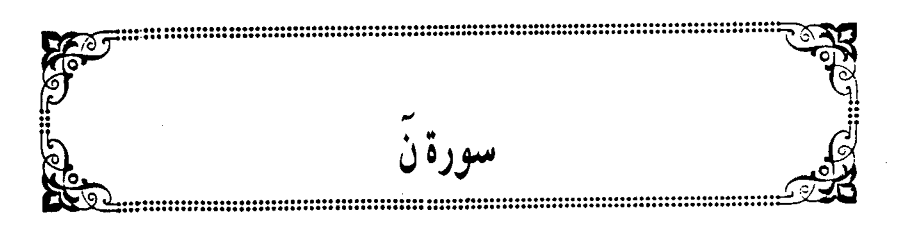
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

﴿قل﴾ يا محمد لمشركي مكة الذين يتمنون هلاكك ﴿أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي﴾ أي من المؤمنين ﴿أو رحمنا﴾ أي فأبقانا وأخر في آجالنا ﴿فمن يجير الكافرين من عذاب أليم﴾ أي إنه واقع بهم لا محالة وقيل في معنى الآية قل أرأيتم إن أهلكني الله أي فعذبني ومن معي أو رحمنا أي فغفر لنا فنحن مع إيماننا خائفون أن يهلكنا بذنوبنا لأن حكمه نافذ فينا فمن يجيركم أو يمنعكم من عذاب أليم وأنتم كافرون وهذ قول ابن عباس، ﴿قل﴾ أي قل لهم في إنكارك عليهم وتوبيخك لهم ﴿هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا﴾ أي نحن آمنا به وعبدناه وأنتم كفرتم به ﴿فستعلمون﴾ أي عند معاينة العذاب ﴿من هو في ضلال مبين﴾ أي نحن أم أنتم وهذا تهديد لهم ثم ذكرهم ببعض نعمه عليهم على طريق الاحتجاج فقال تعالى: ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم﴾ قيل يريد ماء زمزم وقيل غيرها من المياه ﴿غوراً﴾ أي غائراً ذاهباً في الأرض لا تناله الأيدي ولا الدلاء ﴿فمن يأتيكم بماء معين﴾ أي ظاهر تراه العيون وتناله الأيدي والدلاء، وقال ابن عباس معين أي جار والمقصود من الآية أن يجعلهم مقرين ببعض نعمه عليهم ويريهم قبح ما هم عليه من الكفر والمعنى أخبروني إن صار ماؤكم ذاهباً في الأرض فمن يأتيكم بماء معين فلا بد أن يقولوا هو الله تعالى فيقال لهم حينئذ فلم تجعلون معه من لا يقدر على شيء أصلاً شريكاً له في العبودية فهذا محال، والله أعلم.

﴿ قل ﴾، يا محمد لمشركي مكة الذين يتمنّون هلاكك، ﴿ أرأيتم إن أهلكني الله ومَن معي ﴾، من المؤمنين، ﴿ أو رحمنا ﴾، فأبقاها إلى منتهى آجالنا، ﴿ فمَن يُجير الكافرين من عذاب أليم ﴾، فإنه واقع بهم لا محالة، وقيل: معناه أرأيتم إن أهلكني الله فيعذّبني ومَن معي أو رحمنا فيغفر لنا، فنحن مع إيماننا خائفون أن يهلكنا بذنوبنا لأن حكمه نافذ فينا فمَن يُجير الكافرين، فمَن يجيركم ويمنعكم من عذابه وأنتم كافرون، وهذا معنى قول ابن عباس.

﴿ قلْ هو الرحمن ﴾، الذي نعبده، ﴿ آمنّا به وعليه توكلنا فستعلمون ﴾، قرأ الكسائي بالياء وقرأ الباقون بالتاء. ﴿ مَن هو في ضلال مبين ﴾، أي ستعلمون عند معاينة العذاب مَن الضالّ أنحن أم أنتم.

﴿ قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً ﴾، أي غائراً ذاهباً في الأرض لا تناله الأيدي والدلاء. قال الكلبي ومقاتل: يعني ماء زمزم، ﴿ فمَن يأتيكم بماء معين ﴾، ظاهر تراه العيون وتناله الأيدي والدلاء. وقال عطاء عن ابن عباس: معين أي جارٍ. أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسن الفارسي ثنا أبو عبد الله محمد بن يزيد ثنا أبو يحيىٰ البزاز ثنا محمد بن يحيىٰ ثنا أبو داود ثنا عمران عن قتادة عن ابن عباس الجشمي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: إن سورة من كتاب الله ما هي إلاّ ثلاثون آية شفعت لرجل فأخرجته يوم القيامة وأدخلته الجنة، وهي سورة تبارك.



سورة نٓ

مكية وهي إثنان وخمسون آية وثلاثمائة كلمة وألف ومائتان وستة وخمسون حرفاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نٓ ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾

قوله عز وجل: ﴿نٓ﴾ قال ابن عباس هو الحوت الذي على ظهره الأرض وعنه «إن أول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الأرض على ظهره فتحرك النون فمادت الأرض فأثبتت الجبال فإن الجبال لتفخر على الأرض ثم قرأ نٓ والقلم وما يسطرون» قيل اسم النون بهموت وقيل لوثيا وعن علي بلهوث.

قال أصحاب السير والأخبار لما خلق الله الأرض وفتقها سبع أرضين بعث من تحت العرش ملكاً فهبط إلى الأرض حتى دخلت تحت الأرضين السبع وضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط الله تعالى من الفردوس ثوراً له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدمه فأخذ الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة سنة فوضعها بين سنام الثور إلى أذنه فاستقر عليها قدما الملك وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الأرض ومنخراه في البحر فهو يتنفس كل يوم نفساً فإذا تنفس مد البحر وإذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور قرار فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه فتكن في صخرة فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نوناً وهو الحوت العظيم

سُوْرَة القَلَم

مكيّة وهي اثنتان وخمسون آية.

﴿ نٓ ﴾ اختلفوا فيه فقال ابن عباس: هو الحوت الذي على ظهره الأرض. وهو قول مجاهد ومقاتل والسدي والكلبي. وروى أبو ظبيان عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله القلم، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم خلق النون فبسط الأرض على ظهره فتحرّك النون فمادت الأرض، فأثبتت بالجبال وأن الجبال لتفخر على الأرض، ثم قرأ ابن عباس: ﴿ نٓ والقلم وما يسطرون ﴾. واختلفوا في اسمه، فقال الكلبي ومقاتل: بهموت. وقال الواقدي: ليوثاً. وقال كعب: لوثيا. وعن علي: اسمه بلهوث: وقال الرواة: لمّا خلق الله الأرض وفتقها بعث من تحت العرش ملكاً فهبط إلى الأرض حتى دخل تحت الأرضين السبع فوضعها على عاتقه إحدى يديه بالمشرق والأخرى بالمغرب باسطتين قابضتين على الأرضين السبع، حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار، فأهبط الله عليه من الفردوس ثوراً له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة، وجعل قرار قدمي الملك على سنامه، فلم تستقر قدماه فأخذ الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة في الفردوس غلَظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور إلى أُذنه فاستقرت

فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة قيل فكل الدنيا بما عليها حر فان قال لها الجبار سبحانه وتعالى وتنزه وتقدس كوني فكانت.

قال كعب الأحبار إن إبليس تغلغل إلى الحوت الذي على ظهر الأرض فوسوس إليه فقال له أتدري ما على ظهرك يا ليوثا من الأمم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم لألقيتهم على ظهرك فهم ليوثا أن يفعل ذلك فبعث له دابة فدخلت منخره فوصلت إلى دماغه فعج الحوت إلى الله تعالى منها فأذن لها فخرجت قال كعب الأحبار فوالذي نفسي بيده إنه لينظر إليها وتنظر إليه إن هم بشيء من ذلك عادت كما كانت وعن ابن عباس أيضاً أن النون هو الدواة ومنه قول الشاعر:

إذا ما الشوق برح بي إليهم ألقت النون بالدمع السجام

أراد بالنون الدواة وعن ابن عباس أيضاً أن نوناً حرف من حروف الرحمن إذا جمعت الرحمن وقيل هو مفتاح اسمه ناصر ونصير وقيل اسم للسورة ﴿والقلم﴾ هو القلم الذي كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والأرض ويقال أول ما خلق الله القلم فنظر إليه فانشق نصفين ثم قال اجر بما هو كائن إلى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه ﴿وما يسطرون﴾ أي وما يكتب الحفظة من أعمال بني آدم وقيل إن حملنا القلم على ذلك القلم المعين فيحتمل أن يكون المراد وما يسطرون فيه وهو اللوح المحفوظ ويكون الجمع في وما يسطرون للتعظيم لا للجمع.

﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤﴾

﴿ما أنت﴾ يا محمد ﴿بنعمة ربك بمجنون﴾ هذا جواب القسم أقسم الله بنون والقلم وما يسطرون وما أنت

عليها قدماه، وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الأرض، ومِنخراه في البحر فهو يتنفس كل يوم نفساً فإذا تنفس مدّ البحر وأزبد وإذا ردّ نفسه جزر فلم يكن لقوائم الثور موضع قرار، فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سمٰوات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه فتكن في صخرة ولم يكن للصخرة مستقر، فخلق الله نوناً وهو الحوت العظيم، فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خالٍ والحوت على البحر، والبحر على متن الريح، والريح على القدرة. قيل: فكلّ الدنيا كلها بما عليها حرفان قال لها الجبّار: كوني فكانت. كعب الأحبار: إن إبليس تغلغل إلى الحوت الذي على ظهره الأرض فوسوس إليه، فقال له: أتدري ما على ظهرك يا لوثيا من الأمم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم ألقيتهم عن ظهرك، فهمّ لوثيا أن يفعل ذلك فبعث الله دابّة فدخلت مِنْخَره فوصلت إلى دماغه فعجّ الحوت إلى الله منها فأذِنَ لها فخرجت. قال كعب: فوالذي نفسي بيده إنه لينظر إليها وتنظر إليه إن همّ بشيء من ذلك عادت إلى ذلك كما كانت. وقال بعضهم: إن نون آخر حروف الرحمن، وهي رواية عكرمة عن ابن عباس. وقال الحسن وقتادة والضحاك: النون الدواة. وقيل: هو قَسَم أقسم الله به. وقيل: فاتحة السورة. وقال عطاء: افتتاح اسمه نور وناصر. وقال محمد بن كعب: أقسم الله بنصرته المؤمنين. ﴿ والقلم ﴾، هو الذي كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والأرض، ويقال أول ما خلق الله القلم ونظر إليه فانشقّ نصفين، ثم قال: آجرِ بما هو كائن إلى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك. ﴿ وما يسطرون ﴾، يكتبون أي ما تكتب الملائكة الحَفَظَة من أعمال بني آدم.

﴿ ما أنت بنعمة ﴾، بنبوّة، ﴿ ربّك بمجنون ﴾، هذا جواب لقولهم: ﴿ يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾ [الحجر: ٦] فأقسم الله بالنون والقلم وما يكتب من الأعمال فقال: ﴿ ما أنت بنعمة ربّك ﴾، بنبوّة ربك

بنعمة ربك بمجنون وهو رد لقولهم ﴿يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾ والمعنى إنك لا تكون مجنوناً وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة فنفى عنه الجنون وقيل معناه ما أنت بمجنون والنعمة لله وهو كما يقال ما أنت بمجنون والحمد لله وقيل إن نعمة الله كانت ظاهرة عليه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والأخلاق الحميدة والبراءة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة وإذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة فوجودها ينفي حصول الجنون فنبه الله تعالى بهذه الآية على كونهم كاذبين في قولهم إنك لمجنون ﴿وإن لك لأجراً غير ممنون﴾ أي غير منقوص ولا مقطوع ومنه قول لبيد:

عبس كواسب ما يمن طعامها

أي ما يقطع يصف بذلك كلاباً ضارية، وقيل في معنى الآية إنه غير مكدر عليك بسبب المنة والقول هو الأول ومعناه إن لك على احتمالك الطعن وصبرك على هذا القول القبيح وافترائهم عليك أجراً عظيماً دائماً لا ينقطع، وقيل إن لك على إظهار النبوة وتبليغ الرسالة ودعاء الخلق إلى الله تعالى والصبر على ذلك وبيان الشرائع لهم أجراً عظيماً فلا تمنعك نسبتهم إياك إلى الجنون عن الاشتغال بهذا الأمر العظيم الذي قد حملته ثم وصفه بما يخالف حال المجنون فقال تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ وهذا كالتفسير لقوله ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ لأن الأخلاق الحميدة والأفعال المرضية كانت ظاهرة عليه ومن كان كذلك لم تجز إضافة الجنون إليه ولما كانت أخلاق رسول الله ﷺ كاملة حميدة وأفعاله المرضية الجميلة وافرة وصفها الله تعالى بأنها عظيمة وحقيقة الخلق قوى نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الحميدة والآداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة في صاحبه ويدخل في حسن الخلق التحرز من الشح والبخل والتشديد في المعاملات ويستعمل في حسن الخلق التحبب إلى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الأدب والمعاشرة بالمعروف مع الأقارب والأجانب والتساهل في جميع الأمور والتسامح بما يلزم من الحقوق وترك التقاطع والتهاجر واحتمال الأذى من الأعلى والأدنى مع طلاقة الوجه وإدامة البشر فهذه الخصال تجمع جميع محاسن

﴿ بمجنون ﴾، هذا جواب القسم أي: إنك لا تكون مجنوناً وقد أنعم الله عليك بالنبوّة والحكمة. وقيل: بعصمة ربك. وقيل: هو كما يقال ما أنت بمجنون والحمد لله. وقيل: معناه ما أنت بمجنون والنعمة لربِّك، كقولهم: سبحانك اللّهمَّ وبحمدك أي والحمد لك.

﴿ وإن لك لأجراً غير ممنون ﴾، أي منقوص ولا مقطوع بصبرك على افترائهم عليك.

﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾، قال ابن عباس ومجاهد: دين عظيم لا دين أحبَّ إليّ ولا أرضى عندي منه، وهو دين الإسلام. وقال الحسن: هو آداب القرآن. سُئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن. قال قتادة: هو ما كان يأتمر به من أمر الله وينتهي عنه من نهي الله، والمعنى إنك لعلى الخُلُق الذي أمرك الله به في القرآن. وقيل: سمّى الله خلقه عظيماً لأنه امتثل تأديب الله إيّاه بقوله: ﴿ خذ العفو ﴾ [الأعراف: ١٩٩] الآية، وروينا عن جابر أن النبي ﷺ قال: «إن الله بعثني لتمام مكارم الأخلاق، وتمام محاسن الأفعال». أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أحمد بن سعيد أبو عبد الله ثنا إسحاق بن منصور ثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحاق قال سمعت البراء يقول: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خَلْقاً ليس بالطويل البائن ولا بالقصير. أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جعفر بن سليمان الضبعي عن ثابت عن أنس بن مالك قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أفٍّ قطُّ وما قال لشيء صنعتُه لِمَ صنعتَه، ولا لشيء تركتُه، وكان رسول الله ﷺ من أحسن

الأخلاق ومكارم الأفعال ولقد كان جميع ذلك في رسول الله ﷺ ولهذا وصفه الله تعالى بقوله **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾**، وقال ابن عباس معناه على دين عظيم لا دين أحب إليّ ولا أرضى عندي منه وهو دين الإسلام وقال الحسن هو آداب القرآن سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت كان خلقه القرآن وقال قتادة هو ما كان يأتمر من أوامر الله وينتهي عنه من مناهي الله تعالى والمعنى وإنك لعلى الخلق الذي أمرك الله به في القرآن وقيل سمى الله خلقه عظيماً لأنه امتثل تأديب الله إياه بقوله **﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾** والله سبحانه وتعالى أعلم.

(فصل: في فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله ﷺ)

من ذلك ما روى جابر أن النبي ﷺ قال «إن الله بعثني لتمام مكارم الأخلاق وتمام محاسن الأفعال»(م) عن النواس بن سمعان قال «سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال رسول الله ﷺ: البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»، عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم» أخرجه أبو داود وعنها قالت: قال رسول الله ﷺ «إن من أكمل الناس إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن.

عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وإن الله تعالى يبغض الفاحش البذيء» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح، وله عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إن من أحبكم إلى الله وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً»، (ق) عن البراء رضي الله عنه قال

الناس خُلقاً وما مسست خزّاً قطّ ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كفّ رسول الله ﷺ، ولا شممت مِسكاً ولا عطراً كان أطيب من عَرَقِ رسول الله ﷺ. أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا عبد الله محمد بن عبد الله الصفار ثنا أحمد بن محمد بن عيسى البَرْني ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان الثّوري عن الأعْمش عن أبي وائل عن مسروق عن عبد الله بن عمرو قال: إن رسول الله ﷺ لم يكن فاحشاً ولا متفحّشاً وكان يقول: «خياركم أحاسنكم أخلاقاً». أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو العباس الأصم ثنا محمد بن هشام بن ملاس ثنا مروان الفزاري ثنا حميد الطويل عن أنس أن امرأة عرضت لرسول الله ﷺ في طريق من طرق المدينة فقالت: يا رسول الله إن لي إليك حاجة فقال: «يا أم فلان اجلسي في أي سكك المدينة شئت أجلسْ إليك»، قال: ففعلت فقعد إليها رسول الله ﷺ، حتى قضت حاجتها. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل قال: قال لي محمد بن عيسى ثنا هشام أنا حميد الطويل ثنا أنس بن مالك قال: إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت. وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو محمد بن عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ثنا علي بن الجعد أخبرنا عمران بن يزيد الثعلبي عن زيد العمي عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان إذا صافح الرجل لم ينزع يده حتى يكون هو الذي ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عن وجهه، ولم يُرَ مقدّماً ركبتيه بين يدي جليس له. أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد أنا أبو القاسم الخزاعي أنا الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى ثنا هارون بن إسحاق الهمداني ثنا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئاً قطّ إلّا أن يجاهد في سبيل الله، ولا ضرب خادماً ولا امرأة. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا

«كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً ليس بالطويل ولا بالقصير» (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال «إن رسول الله ﷺ لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً» وكان يقول «خياركم أحاسنكم أخلاقاً» (ق) عن أنس رضي الله عنه قال «خدمت النبي ﷺ عشر سنين والله ما قال لي أف قط ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا» زاد الترمذي «وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً وما مسست خزاً قط ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مسكاً قط ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ»، (خ) عنه قال «إن كانت الأمة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت» زاد في رواية «ويجيب إذا دعي» وعنه قال «كان رسول الله ﷺ إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده ولا يصرف وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه ولم ير مقدماً ركبتيه بين يدي جليس له» أخرجه الترمذي، (ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم»، زاد مسلم عنها «وما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله تعالى» (ق) عن أنس قال «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله ﷺ وضحك وأمر له بعطاء»، (ق) عنه رضي الله عنه قال «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً وكان لي أخ يقال له أبو عمير وكان فطيماً كان إذا جاءنا قال يا أبا عمير ما فعل النغير لنغير كان يلعب به» النغير طائر صغير يشبه العصفور إلا أنه أحمر المنقار (م) عن الأسود قال «سألت عائشة ما كان رسول الله ﷺ يفعل في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج إلى الصلاة» المهنة الخدمة عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال «ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ» أخرجه الترمذي قوله تعالى:

إسماعيل بن عبد الله حدّثني مالك بن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس قال كنت أمشي مع رسول الله ﷺ ببرد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، ورجع النبي ﷺ في نحر الأعرابي حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثّرت بها حاشية البرد من شدّة جبذته، ثم قال: يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك ثم أمر له بعطاء. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا علي المديني ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك عن أم الدرداء تحدّث عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «إن أثقل شيء يوضع في ميزان المؤمن يوم القيامة خُلُق حَسَن، والله تعالى يبغض الفاحش البذيء»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو نعيم ثنا داود بن يزيد الأودي سمعت أبي سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أتدرون ما أكثر ما يُدخل الناس النار»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن أكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان: الفرج والفم، أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس الجنة»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «إن أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحُسْن الخُلُق». أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي ثنا أبو العباس الأصم ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنا أبي شعيب قالا ثنا الليث عن أبي المهاد عن عمرو بن أبي عمرو عن عبد المطّلب بن عبد الله عن عائشة، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المؤمن ليدرك بحُسْن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار».

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨﴾

﴿فستبصر﴾ أي يا محمد ﴿ويبصرون﴾ يعني أهل مكة إذا نزل بهم العذاب ﴿بأيكم المفتون﴾ قال ابن عباس معناه بأيكم المجنون وقيل الباء بمعنى «في» معناه فستبصر ويبصرون في أي الفريقين المجنون في فريقك أو فريقهم وقيل المفتون هو الشيطان الذي فتن بالجنون ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ معناه إنهم رموه بالجنون والضلال ووصفوا أنفسهم بالعقل والهداية فأعلم الله تعالى أنه هو العالم بالفريقين الضال والمهتدي والمجنون والعاقل ﴿فلا تطع المكذبين﴾ يعني مشركي مكة وذلك أنهم دعوه إلى دين آبائه فنهاه الله أن يطيعهم.

﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠﴾

﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾ أصل الإدهان اللين والمصانعة والمقاربة في الكلام وقيل أدهن الرجل في دينه وداهن في أمره إذا خان فيه وأظهر خلاف ما أبطن ومعنى الآية أنهم تمنوا أن تترك بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض ما لا ترضى به فتلين لهم ويلينون لك وقيل معناه ودوا لو تكفر فيكفرون وهو أن تعبد آلهتهم مدة ويعبدون الله مدة ﴿ولا تطع كل حلاف﴾ أي كثير الحلف بالباطل ﴿مهين﴾ أي ضعيف حقير ذليل وقيل هو من المهانة وهي قلة الرأي والتمييز وقال ابن عباس كذاب وهو قريب من الأول لأن الإنسان إنما يكذب لمهانة نفسه عليه قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو الأسود بن عبد يغوث وقيل هو الأخنس بن شريق.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ فستبصر ويبصرون ﴾، فسترى يا محمد ويرون يعني أهل مكة إذا نزل بهم العذاب.

﴿ بأيّكم المفتون ﴾، قيل معناه بأيكم المجنون فالمفتون مفعول بمعنى المصدر، كما يُقال ما بفلان مجلود ومعقول، أي جلادة وعقل، وهذا معنى قول الضحاك ورواية العوفي عن ابن عباس. وقيل: الباء بمعنى في، مجازه: فستبصر ويبصرون في أيّ الفريقين المجنون في فريقك أو في فريقهم. وقيل: بأيّكم المفتون وهو الشيطان الذي فتن بالجنون، وهذا قول مجاهد. وقال آخرون: الباء فيه زائدة معناه: أيّكم المفتون؟ أي المجنون الذي فتن بالجنون، وهذا قول قتادة.

﴿ إنّ ربك هو أعلم بمَن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين * فلا تطعِ المكذّبين ﴾، يعني مُشرِكي مكة فإنهم كانوا يدعونه إلى دين آبائه فنهاه أن يطيعهم.

﴿ ودّوا لَو تُدْهِنُ فيُدْهِنُون ﴾، قال الضحاك: لو تكفر فيكفرون. وقال الكلبي: لو تلين لهم فيلينون لك. قال الحسن: لو تصانعهم في دينك فيصانعون في دينهم. قال زيد بن أسلم: لو تنافق وتُرائي فينافقون. قال ابن قتيبة: أرادوا على أن تعبد آلهتهم مدة ويعبدون الله مدة.

﴿ ولا تطعْ كل حلّاف ﴾، كثير الحلف بالباطل. قال مقاتل: يعني الوليد بن المغيرة. وقيل: الأسود بن عبد يغوث: وقال عطاء: الأخنس بن شريق. قوله: ﴿ مهين ﴾، ضعيف حقير. قيل: هو فعيل من المهانة وهي قلّة الرأي والتمييز. وقال ابن عباس: كذاب، وهو قريب من الأول لأن الإنسان إنما يكذب لمهانة نفسه عليه.

﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٥﴾

﴿همّاز﴾ أي مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والعيب وقيل هو الذي يغمز بأخيه في المجلس ﴿مشاء بنميم﴾ أي فتان يسعى بالنميمة ليفسد بين الناس ﴿مناع للخير﴾ أي بخيل بالمال وقال ابن عباس مناع للخير أي يمنع ولده وعشيرته عن الإسلام يقول لئن دخل واحد منكم في دين محمد لا أنفعه بشيء أبداً، ﴿معتد﴾ أي ظلوم يتعدى الحق ﴿أثيم﴾ أي فاجر يتعاطى الإثم ﴿عتل﴾ أي غليظ جاف وقيل هو الفاحش السيىء الخلق وقيل هو الشديد في الخصومة بالباطل وقيل هو الشديد في كفره وقيل العتل الأكول الشروب القوي الشديد ولا يزن في الميزان شعيرة يدفع الملك من أولئك سبعين ألفاً في النار دفعة واحدة ﴿بعد ذلك زنيم﴾ أي مع ما وصفناه به من الصفات المذمومة زنيم وهو الدعي الملصق في القوم وليس منهم قال ابن عباس يريد مع هذا هو دعي في قريش وليس منهم قيل إنما ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة وقيل الزنيم هو الذي له زنمة كزنمة الشاة وقال ابن عباس في هذه الآية نعت من لا يعرف حتى قيل زنيم فعرف وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها وعنه أيضاً قال يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها قال ابن قتيبة لا نعلم أن

﴿ همّاز ﴾، مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والغيبة. وقال الحسن هو الذي يغمز بأخيه في المجلس، كقوله: ﴿ همزة ﴾ [الهمزة: ١] ﴿ مشّاء بنميم ﴾. قتّات يسعى بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم.

﴿ منّاع للخير ﴾. بخيل بالمال قال ابن عباس منّاع للخير أي للإسلام يمنع ولده وعشيرته عن الإسلام، يقول: لئن دخل واحد منكم في دين محمد لا أنفعه بشيء أبداً. ﴿ مُعْتَدٍ ﴾، ظلوم يتعدّى الحق، ﴿ أثيم ﴾. فاجر.

﴿عُتلٍّ﴾، العتل: الغليظ الجافي. وقال الحسن: هو الفاحش الخلق السيء الخلق. قال الفرّاء: هو الشديد الخصومة في الباطل. وقال الكلبي: هو الشديد في كفره، وكل شديد عند العرب عتل، وأصله من العتل وهو الدفع بالعنف. قال عبيد بن عمير: العتل الأكول الشروب القوي الشديد لا يزن في الميزان شعيرة، يدفع الملك من أولئك سبعين ألفاً دفعة واحدة. ﴿ بعد ذلك ﴾، أي مع ذلك يريد مع ما وصفناه به، ﴿ زنيم ﴾، وهو الدَّعِي الملصق بالقوم، وليس منهم، قال عطاء عن ابن عباس: يريد مع هذا هو دَعِيٌّ في قريش وليس منهم. قال مرّة الهمداني: إنما ادّعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة. وقيل: الزنيم الذي له زنمة كزنمة الشاة. وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية نعت مَن لا يعرف حتى قيل زنيم فعرف، وكانت له زنمة في عنقه يُعرَف بها. وقال سعيد بن جبير: عن ابن عباس قال: يُعرَف بالشرّ كما تُعرَف الشاة بزنمتها. قال ابن قتيبة: لا نعلم أن الله وصف أحداً ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة، فألحق به عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان الواعظ حدّثني أبو محمد بن زنجويه بن محمد ثنا علي بن الحسين الهمداني ثنا عبد الله بن الوليد العوفي عن سفيان حدّثني معبد بن خالد القيسي عن حارث بن وهب الخزاعي قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أُخبركم بأهل الجنّة كل ضعيف متضعّف لو أقسم على الله لا أبرّه، ألا أُخبركم بأهل النار كل عتل جوّاظ متكبّر».

﴿ أن كان ذَا مالٍ وبنين ﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة وأبو بكر ويعقوب (أأن) بالاستفهام، ثم حمزة وأبو بكر يخفّفان الهمزتين بلا مدّ، ويمدّ الهمزة الأولى أبو جعفر وابن عامر ويعقوب، ويليّنون الثانية، وقرأ الآخرون

الله وصف أحداً ولا ذكر من عيوبه مثل ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فألحق به عاراً لا يفارقه في الدنيا ولا في الآخرة ﴿أن كان ذا مال وبنين﴾ قرىء على الخبر ومعناه فلا تطع كل حلاف مهين لأن كان ذا مال وبنين أي لا تطعه لماله وبنيه وقرىء أأن كان ذا مال وبنين بالاستفهام ومعناه ألأن كان ذا مال وبنين ﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾ أي جعل مجازاة النعم التي خولها من المال والبنين الكفر بآياتنا وقيل لأن كان ذا مال وبنين تطيعه ثم أوعده فقال تعالى:

﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿سنسمه على الخرطوم﴾ أي على الأنف والمعنى نسود وجهه فنجعل له علماً يعرف به في الآخرة وهو سواد الوجه فعبر بالأنف عن الوجه وقال ابن عباس سنسمه بالسيف وفعل به ذلك يوم بدر، وقيل معناه سنلحق به شيئاً لا يفارقه أي سنسمه ميسم سوء يريد نلحق به عاراً لا يفارقه كما أن السمة لا تمحى ولا يعفى أثرها.

وقد ألحق الله به بما ذكر من عيوبه عاراً لا يفارقه في الدنيا ولا في الآخرة كالوسم على الخرطوم الذي لا يخفى قط وقيل معناه سنكويه على وجهه.

وقوله تعالى: ﴿إنا بلوناهم﴾ أي اختبرنا أهل مكة بالقحط والجوع ﴿كما بلونا أصحاب الجنة﴾ روي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة﴾ قال بستان باليمن يقال له الضروان دون صنعاء بفرسخين يطؤه أهل الطريق وكان غرسه قوم من أهل الصلاة وكان لرجل فمات فورثه ثلاث بنين له وكان يترك للمساكين إذا صرموا نخلهم كل شيء تعداه المنجل إذا طرح من فوق النخل إلى البساط وكل شيء يخرج من المنجل إلى البساط فهو أيضاً للمساكين وإذا حصدوا زرعهم فكل شيء تعداه المنجل فهو للمساكين وإذا داسوه كان لهم كل

بلا استفهام على الخبر، فمَن قرأ بالاستفهام فمعناه: ألأن كان ذا مال وبنين.

﴿ إذا تُتلى عليه آياتنا قال أساطير الأوّلين ﴾، أي جعل مجازاة النِّعَم التي خوّلها من البنين والمال الكفر بآياتنا. وقيل: معناه ألأن كان ذا مال وبنين تطيعه. ومَن قرأ على الخبر فمعناه: لا تُطِعْ كل حلّاف مهين لأن كان ذا مال وبنين، أي لا تطعه لماله وبنيه، ﴿ إذا تُتلى عليه آياتنا قال أساطير الأوّلين ﴾.

ثم أوعده فقال: ﴿ سَنَسِمُه على الخُرْطُوم ﴾، والخرطوم الأنف. قال أبو العالية ومجاهد: أي نسوّد وجهه فنجعل له علماً في الآخرة يُعرَف به وهو سواد الوجه. قال الفرّاء: خصّ الخرطوم بالسِّمَة وأنه في مذهب الوجه لأن بعض الشيء يعبّر به عن كلّه. وقال ابن عباس: سنخطمه بالسيف، وقد فعل ذلك يوم بدر. وقال قتادة: سنلحق به شيئاً لا يفارقه. قال القتيبي تقول العرب للرجل: سبّ الرجل سبّة قبيحة قد وسَمَه مَيْسَم سوء، يريد ألصق به عاراً لا يفارقه، كما أن السِّمة لا ينمحي ولا يعفو أثرها، وقد ألحق الله بما ذكر من عيوبه عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة، كالوسم على الخرطوم. وقال الضحاك والكسائي: سنكويه على وجهه.

﴿ إنّا بلوناهم ﴾، يعني اختبرنا أهل مكة بالقحط والجوع، ﴿ كما بلونا ﴾، ابتلينا، ﴿ أصحاب الجنّة ﴾، روى محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله عزّ وجلّ: ﴿ إنّا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة ﴾، قال: كان بستان باليمن يقال له الضروان دون صنعاء بفرسخين يطؤه أهل الطريق كان غرسه قوم من أهل

شيء ينتثر أيضاً فلما مات الأب وورثه بنوه هؤلاء الإخوة الثلاثة قالوا والله إن المال قليل وإن العيال كثير وإنما كان هذا الأمر يفعل لما كان المال كثيراً والعيال قليلاً فأما إذا قل المال وكثر العيال فإنا لا نستطيع أن نفعل فتحالفوا بينهم يوماً أن يغدوا غدوة قبل خروج الناس فليصر من نخلهم فذلك قوله تعالى: ﴿إذ أقسموا﴾ أي تحالفوا ﴿ليصرمنها﴾ أي ليقطعن ثمرها ﴿مصبحين﴾ أي إذا أصبحوا قبل أن يخرج إليهم المساكين وقبل أن يعلم بها المساكين، ﴿ولا يستثنون﴾ أي ولم يقولوا إن شاء الله وقيل لا يستثنون شيئاً للمساكين من ثمر جنتهم ﴿فطاف عليها طائف من ربك﴾ أي عذاب من ربك ولا يكون الطائف إلا بالليل وهو قوله تعالى: ﴿وهم نائمون﴾ وكان ذلك الطائف ناراً أنزلت من السماء فأحرقتها وهو قوله تعالى: ﴿فأصبحت﴾ أي الجنة ﴿كالصريم﴾ أي كالليل الأسود المظلم وقيل تصرم منها الخير فليس فيها شيء ينتفع به وقال ابن عباس كالرماد الأسود وهو بلغة خزيمة.

فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾

﴿فتنادوا﴾ أي فنادى بعضهم بعضاً ﴿مصبحين﴾ يعني لما أصبحوا ﴿أن اغدوا على حرثكم﴾ يعني الثمار والزرع والأعناب ﴿إن كنتم صارمين﴾ أي قاطعين ثماركم ﴿فانطلقوا﴾ أي مشوا إليها ﴿وهم يتخافتون﴾ أي يتسارون يقول

الصلاة وكان لرجل فمات فورثه ثلاثة بنين له وكان يكون للمساكين إذا صرموا نخلهم كل شيء تعدّاه المِنجَل إذا طرح من فوق النخل إلى البساط فكل شيء يسقط على البساط فهو أيضاً للمساكين، وإذا حصدوا زرعهم فكل شيء تعدّاه المِنجَل فهو للمساكين، وإذا داسوا كان لهم كل شيء يُنتَثَر أيضاً، فلما مات الأب وورثه هؤلاء الإخوة عن أبيهم، فقالوا: والله إن المال لقليل وإن العيال لكثير، وإنما كان هذا الأمر يُفعَل إذا كان المال كثيراً والعيال قليلاً فأما إذا قلّ المال وكثر العيال فإنّا لا نستطيع أن نفعل هذا، فتحالفوا بينهم يوماً ليغدون غدوة قبل خروج الناس فليصرمنّ نخلهم ولم يستثنوا، يعني لم يقولوا: إن شاء الله، فغدا القوم بسدفة من الليل إلى جنتهم ليصرموها قبل أن يخرج المساكين، فرأوها مسودّة وقد طاف عليها من الليل طائف من العذاب فأحرقها فأصبحت كالصريم فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ إذْ أقسموا ﴾، حلفوا، ﴿ ليصرمنّها مُصبِحين ﴾، ليقطعنّ ثمرها إذا أصبحوا قبل أن يعلم المساكين، ﴿ ولا يستثنون ﴾، لا يقولون إن شاء الله.

﴿ فطاف عليها طائف ﴾، عذاب، ﴿ من ربك ﴾، ليلاً ولا يكون الطائف إلاّ بالليل وكان ذلك الطائف ناراً نزلت من السماء فأحرقتها، ﴿ وهم نائمون ﴾.

﴿ فأصبحت كالصريم ﴾، كالليل المظلم الأسود. وقال الحسن: أي صرم منها الخير فليس فيها شيء. وقال الأخفش كالصبح الصريم من الليل وأصل الصريم المصروم، مثل قتيل ومقتول وكل شيء قطع فهو صريم فالليل صريم والصبح صريم، لأن كل واحد منهما ينصرم عن صاحبه. وقال ابن عباس كالرماد الأسود بلغة خزيمة.

﴿ فتنادوا مصبحين ﴾، نادى بعضهم بعضاً لمّا أصبحوا.

﴿ أنِ اغدوا على حرثكم ﴾ يعني الثمار والزروع والأعناب، ﴿ إن كنتم صارمين ﴾، قاطعين للنخل.

﴿ فانطلقوا ﴾، مشوا إليها، ﴿ وهم يتخافتون ﴾، يتسارّون يقول بعضهم لبعض سرّاً.

بعضهم لبعض سراً ﴿أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد﴾ أي على قصد ومنع وقيل معناه على جد وجهد وقيل على أمر مجتمع قد أسسوه بينهم وقيل على حنق وغضب من المساكين وقال ابن عباس على قدرة ﴿قادرين﴾ أي عند أنفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول بينهم وبينها أحد ﴿فلما رأوها﴾ أي رأوا الجنة محترقة ﴿قالوا إنا لضالون﴾ أي لمخطئون الطريق أضللنا عن مكان جنتنا وليست هذه جنتنا ﴿بل نحن محرومون﴾ أي قال بعضهم قد حرمنا خيرها ونفعها بمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء ﴿قال أوسطهم﴾ أي أعدلهم وأعقلهم وأفضلهم ﴿ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾ أي هلا تستثنون أنكر عليهم ترك الاستثناء في قولهم ليصرمنها مصبحين سماه تسبيحاً لأنه تعظيم لله وإقرار بأنه لا يقدر أحد على شيء إلا بمشيئته، وعلى التفسير الثاني أن الاستثناء بمعنى لا يتركون شيئاً للمساكين من ثمر جنتهم يكون معنى لولا تسبحون أي تتوبون وتستغفرون الله من ذنوبكم وتفريطكم ومنعكم حق المساكين وقيل كان استثناؤهم سبحان الله وقيل هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم من نعمه ﴿قالوا سبحان ربنا﴾ معناه أنهم نزهوه عن الظلم فيما فعل وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا ﴿إنا كنا ظالمين﴾ أي بمنعنا المساكين حقوقهم ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون﴾ أي يلوم بعضهم بعضاً ﴿قالوا يا ويلنا﴾ دعوا على أنفسهم بالويل ﴿إنا كنا طاغين﴾ أي في منعنا حق الفقراء والمساكين وقيل معناه طغينا في نعم الله فلم نشكرها ولم نصنع ما كان يصنع آباؤنا من قبل ثم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا:

﴿ أن لا يدخلنّها اليومَ عليكم مسكين * وغَدَوْا على حردٍ ﴾، الحرْدُ في اللغة يكون بمعنى القصد والمنع والغضب، قال الحسن وقتادة وأبو العالية: على جدٍّ وجهد. وقال القرظي ومجاهد وعكرمة: على أمر مجتمع قد أسّسوه بينهم، وهذا على معنى القصد لأن القاصد إلى الشيء جادّ مجمِع على الأمر. وقال أبو عبيدة والقتيبي: غدوا من بيتهم على منع المساكين، يقال: حاردت السنة إذا لم يكن لها مطر، وحاردت الناقة إذا لم يكن لها لبن. وقال الشعبي وسفيان: على حنق وغضب من المساكين. وعن ابن عباس: على قدرة، ﴿ قادرين ﴾، عند أنفسهم على جنّتهم وثمارها لا يحول بينها وبينهم أحد.

﴿ فلما رأوها قالوا إنّا لضالّون ﴾، أي لمّا رأوا الجنة محترقة قالوا: إنّا لمخطئون الطريق أضللنا مكان جنّتنا ليست هذه بجنّتنا.

فقال بعضهم: ﴿ بل نحن محرومون ﴾، حُرِمنا خيرها ونفعها لمنْعِنا المساكين وتركنا الاستثناء.

﴿ قال أوسطهم ﴾، أعدلهم وأعقلهم وأفضلهم، ﴿ ألمْ أقلْ لكم لولا تسبّحون ﴾، هلّا تستثنون، أنكر عليهم ترك الاستثناء في قولهم ليصرمنّها مُصبِحين، وسمّي الاستثناء تسبيحاً لأنه تعظيم لله وإقرار بأنه لا يقدر أحد على شيء إلّا بمشيئته. وقال أبو صالح: كان استثناؤهم سبحان الله، وقيل: هلّا تسبّحون الله وتقولوا سبحان الله وتشكرونه على ما أعطاكم. وقيل: هلّا تستغفرونه من فعلكم.

﴿ قالوا سبحان ربّنا ﴾، نزّهوه عن أن يكون ظالماً فيما فعل وأقرّوا على أنفسهم بالظلم فقالوا: ﴿ إنّا كنّا ظالمين ﴾، بمنعنا المساكين.

﴿ فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ﴾، يلوم بعضهم بعضاً في منع المساكين حقوقهم ونادوا على أنفسهم بالويل.

﴿ قالوا يا ويلنا إنّا كنّا طاغين ﴾، في منعنا حق الفقراء. وقال ابن كيسان: طغينا نِعَمَ الله فلم نشكرها ولم نصنع ما صنع آباؤنا من قبل.

عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ
لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾
إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ
شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

﴿عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون﴾ قال ابن مسعود بلغني أن القوم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقوداً قال الله تعالى: ﴿**كذلك العذاب**﴾ أي كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف أمرنا يخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى: ﴿**ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون**﴾ ثم أخبر بما أعد الله للمتقين فقال تعالى: ﴿**إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم**﴾ أي عند ربهم في الآخرة ولما نزلت هذه الآية قال المشركون إنا نعطي في الآخرة أفضل مما تعطون فقال الله تعالى تكذيباً للمشركين ﴿**أفنجعل المسلمين كالمجرمين**﴾ يعني أن التسوية بين المسلم والمجرم غير جائزة فكيف يكون أفضل أو يعطى أفضل منه ولما قال تعالى ذلك على سبيل الاستبعاد والإنكار قال لهم على طريق الالتفات ﴿**ما لكم كيف تحكمون**﴾ يعني هذا الحكم المعوج ﴿**أم لكم كتاب**﴾ أي نزل من عند الله ﴿**فيه**﴾ أي في ذلك الكتاب ﴿**تدرسون**﴾ أي تقرؤون ﴿**إن لكم فيه**﴾ أي في ذلك الكتاب ﴿**لما تخيرون**﴾ أي تختارون وتشتهون ﴿**أم لكم أيمان علينا بالغة**﴾ معناه ألكم عهود ومواثيق مؤكدة عاهدناكم عليها فاستوثقتم بها منا ﴿**إلى يوم القيامة**﴾ أي لا تنقطع تلك الأيمان والعهود إلى يوم القيامة ﴿**إن لكم**﴾ أي في ذلك العهد ﴿**لما تحكمون**﴾ أي لأنفسكم من الخير والكرامة عند الله تعالى ثم قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿**سلهم أيهم بذلك زعيم**﴾ أي أيهم كفيل لهم بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين ﴿**أم لهم شركاء**﴾ أي بل لهم شركاء

ثـــم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا: ﴿ **عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنّا إلى ربنا راغبون** ﴾، قال عبد الله بن مسعود: بلغني أن القوم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنّة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقوداً واحداً.

﴿ **كذلك العذاب** ﴾، أي كفعلنا بهم نفعل بمَن تعدّى حدودنا وخالف أمرنا، ﴿ **ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمـــون** ﴾.

ثم أخبر بما عنده للمتّقين فقال: ﴿ **إنّ للمتّقين عند ربّهم جنّات النعيم** ﴾، فقال المشركون: إنّا نعطى في الآخرة أفضل مما تُعطون فقال الله تكذيباً لهم:

﴿ **أفنجعل المسلمين كالمجرمين * ما لكم كيف تحكمون أم لكم كتاب** ﴾، نزل من عند الله، ﴿ **فيه** ﴾. في هذا الكتاب، ﴿ **تدرسون** ﴾، تقرؤون.

﴿ **إن لكم فيه** ﴾، في ذلك الكتاب، ﴿ **لما تخيّرون** ﴾، تختارون وتشتهون.

﴿ **أم لكم أيمان** ﴾، عهود ومواثيق، ﴿ **علينا بالغة** ﴾، مؤكدة عاهدناكم عليها، فاستوثقتم بها منّا فلا تنقطع، ﴿ **إلى يوم القيامة إن لكم** ﴾، كسر ﴿ **إن** ﴾ لدخول اللام في الخبر ذلك العهد، ﴿ **لما تحكمون** ﴾ لأنفسكم من الخير والكرامة عند الله.

ثم قال لنبيّه ﷺ: ﴿ **سَلْهم أيّهم بذلك زعيم** ﴾، كفيل أي أيّهم يكفل لهم بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين.

يعني ما كانوا يجعلونه لله شريكاً وإنما أضاف الشركاء إليهم لأنهم هم جعلوها شركاء لله، وقيل معنى شركاء شهداء يشهدون بصدق ما ادعوه ﴿فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين﴾ أي في دعواهم ﴿يوم يكشف﴾ أي فليأتوا بشركائهم في ذلك اليوم لتنفعهم وتشفع لهم ﴿عن ساق﴾ أي عن أمر فظيع شديد قال ابن عباس هو أشد ساعة في القيامة تقول العرب للرجل إذا وقع في أمر عظيم فظيع يحتاج فيه إلى الجد ومقاساة الشدة شمر عن ساقك إذا قام في ذلك الأمر ويقال إذا اشتد الأمر في الحرب كشفت الحرب عن ساق وسئل ابن عباس عن هذه الآية فقال إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر:

سن لنا قومك ضرب الأعناق ... وقامت الحرب بنا على ساق

ثم قال ابن عباس هو يوم كرب وشدة وأنشد أهل اللغة أبياتاً في هذا المعنى فمنها ما أنشده أبو عبيدة لقيس بن زهير:

فإن شمرت لك عن ساقها ... فدنها ربيع ولا تسأم

ومنها قول جرير:

ألا رب ساهي الطرف من آل مازن ... إذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقد كثر مثل هذا في كلام العرب حتى صار كالمثل للأمر العظيم الشديد (ق) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناساً في زمن النبي ﷺ قالوا يا محمد هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله ﷺ نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون في رؤية الله يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزيراً ابن الله قال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون

﴿أم لهم شركاء﴾، أي عندهم شركاء لله أرباب تفعل هذا. وقيل: شهداء يشهدون لهم بصدق ما يدعونه. **﴿فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين﴾**.

﴿يوم يكشف عن ساق﴾، قيل يوم ظرف لقوله فليأتوا بشركائهم أي فليأتوا بها في ذلك اليوم لتنفعهم وتشفع لهم، يوم يكشف عن ساق، قيل: عن أمر فظيع شديد، قال ابن عباس: هو أشدّ ساعة في القيامة. قال سعيد بن جبير: يوم يكشف عن ساق: عن شدّة الأمر. وقال ابن قتيبة: تقول العرب للرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج فيه إلى الجدّ ومقاساة الشدّة شمّر عن ساقه، ويقال: إذا اشتدّ الأمر في الحرب كشفت الحرب عن ساق. أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجّاج حدّثني سويد بن سعيد حدّثني حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أُناساً في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم هل تضارّون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب؟ وهل تضارّون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب»: قالوا: لا يا رسول الله، قال: «ما تضارّون في رؤية الله يوم القيامة إلّا كما تضارّون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذّن مؤذّن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من

إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار ثم تدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبذون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال فماذا تنتظرون لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فيقولون يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية لتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد من تلقاء نفسه إلا أذن له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد نفاقاً ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فقال أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم، قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس في نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد منا شدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيام لإخوانهم الذين في النار فيقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيراً وقد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه، ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيراً، وكان أبو سعيد يقول إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا إن شئتم: إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة

الأصنام والأنصاب إلاّ يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبقَ إلاّ مَن كان يعبد الله من برٍّ وفاجر وغير أهل الكتاب فتُدعى اليهود فيقالُ لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنّا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ فقالوا: عطشنا يا ربّنا فاسقنا فيُشار إليهم ألا تَردون فيُحشرون إلى النار كأنها سراب يحطّم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار، ثم تدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنّا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا فيُشار إليهم ألا تَردون فيُحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطّم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبقَ إلاّ مَن كان يعبد الله من برٍّ وفاجر أتاهم ربّ العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال: فماذا تنتظرون؟ لتتبع كل أُمة ما كانت تعبد، قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنّا إليهم ولم نصاحبهم فيقول أنا ربكم، فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها، فيقولون: نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى مَن كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلاّ أذِنَ الله له بالسجود، فلا يبقى مَن كان يسجد نفاقاً ورياءً إلاّ جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحوّل في الصورة التي رأوه فيها أول مرة فقال: أنا ربكم، فيقولون أنت ربّنا، ثم يضرب الجسر على جهنم وتحلّ الشفاعة، ويقولون اللّهمَّ سلّم سلّم»، قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: «دحض مُزِلّة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة يكون

يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصفر أو أخضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم تعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين فيقول لكم عندي أفضل من هذا فيقولون ربنا أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول رضائي فلا أسخط عليكم أبداً» لفظ مسلم والبخاري نحوه بمعناه.

(فصل: في شرح ألفاظ الحديث وما يتعلق به)

أما الرؤية وما يتعلق بها فسيأتي الكلام عليها في موضعها إن شاء الله تعالى.

قوله «حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها وفي رواية أبي هريرة فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه» قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله وغيره اعلم أن هذا الحديث من أكبر أحاديث الصفات وأعظمها وللعلماء فيه وفي أمثاله قولان:

أحدهما: وهو قول معظم السلف أو كلهم أنه لا يتكلم في معناها بل يقولون يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد أن لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثله شيء وأنه منزه عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوقين وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققيهم وهو أسلم وقال الخطابي هذا الحديث تهيب القول فيه شيوخنا فأجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقف عن تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب.

والقول الثاني: وهو مذهب معظم المتكلمين أنها تتأول على ما يليق بها على حسب مواقعها وإنما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله فعلى هذا المذهب يقال في قوله ﷺ فيأتيهم الله أن الإتيان عبارة عن رؤيتهم إياه لأن العادة أن من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته بالإتيان فعبر بالإتيان والمجيء هنا عن الرؤية مجازاً وقيل الإتيان فعل من أفعال الله تعالى سماه إتياناً وقيل المراد بيأتيهم الله يأتيهم بعض ملائكته قال القاضي عياض وهذا الوجه أشبه عندي بالحديث قال ويكون هذا الملك هو الذي جاءهم في الصورة التي أنكروها من سمات الحدوث الظاهرة على الملك والمخلوق قال أو يكون معناه يأتيهم الله في صورة أي يصور ويظهر لهم من صور ملائكته ومخلوقاته التي لا تشبه صفات الإله

بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمرّ المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناجٍ مسلم ومخدوش مرسل ومكردس في نار جهنم، حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشدّ مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربّنا كانوا يصومون معنا ويصلّون ويحجّون، فيقال لهم: أخرجوا مَن عرفتم فتحرّم صورهم على النار فيُخرِجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبتيه، ثم يقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممّن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فمَن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيُخرِجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربّنا لم نذر فيها أحداً ممّن أمرتنا به، ثم يقول: ارجعوا فمَن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممّن أمرتنا به أحداً، ثم يقول: ارجعوا فمَن وجدتم في قلبه مثقال ذرّة من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً فيه خير ممّن أمرتنا به»، وكان أبو سعيد الخدري يقول: إن

ليختبرهم وهذا آخر امتحان المؤمنين فإذا قال لهم هذا الملك أو هذه الصورة أنا ربكم رأوا عليه علامة من علامات المخلوقات مما ينكرونه ويعلمون بذلك أنه ليس ربهم فيستعيذون بالله منه.

وأما قوله ﷺ فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فالمراد بالصورة هنا الصفة ومعناه فيتجلى الله تعالى لهم في الصفة التي يعلمونها ويعرفونه بها وإنما عرفوه بصفته وإن لم تكن تقدمت لهم رؤية له سبحانه وتعالى لأنهم على هذه الصفة يرونه شيئاً من مخلوقاته وقد علموا أنه لا يشبه شيئاً من مخلوقاته فيعلمون بذلك أنه ربهم فيقولون أنت ربنا وإنما عبر عن الصفة بالصورة لمشابهتها إياها ولمجانسة الكلام فإنه تقدم ذكر الصورة.

وقوله في حديث أبي سعيد «أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها» معنى رأوه فيها أي علموها وهي صفته المعلومة للمؤمنين وهي أنه لا يشبهه شيء وقولهم «نعوذ بالله منك لا نشرك بالله» إنما استعاذوا منه لما قدمناه من كونهم رأوا عليه سمات المخلوق.

قوله «فيكشف عن ساق وفي رواية للبخاري يكشف ربنا عن ساقه» ذكر هذه الرواية البيهقي في كتاب الأسماء والصفات، قال أبو سليمان الخطابي فيحتمل أن يكون معنى قوله فيكشف عن ساقه أي عن قدرته التي تكشف عن الشدة وضبط يكشف بفتح الياء وضمها وقد تقدم تفسير كشف الساق وقيل المراد بالساق في هذا الحديث نور عظيم. وورد ذلك في حديث عن النبي ﷺ وهو ما روي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله «يوم يكشف عن ساق قال نور عظيم يخرون له سجداً تفرد به روح بن حبان مولى عمر بن عبد العزيز وهو شامي يأتي بأحاديث منكرة لا يتابع عليها وموالي عمر بن عبد العزيز كثيرون ففي إسناده مجهول أيضاً وقال ابن فورك ومعنى ذلك ما يتجدد للمؤمن عند رؤية الله تعالى من الفوائد والألطاف قال القاضي عياض وقيل قد يكون الساق علامة بينه وبين المؤمنين من ظهور جماعة من الملائكة على خلقة عظيمة وقد تكون ساقاً مخلوقة جعلها الله تعالى علامة للمؤمنين خارجة عن السوق المعتادة، قيل معناه كشف الحزن وإزالة للرعب عنهم وما كان غلب على عقولهم من الأهوال فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك ويتجلى الله لهم فيخرون سجداً قال الخطابي وهذه الرؤية في هذا المقام يوم القيامة غير الرؤية التي هي في الجنة لكرامة أولياء الله وإنما هذه الرؤية امتحان الله لعباده وقوله فلا يبقى من كان يسجد لله تعالى من تلقاء نفسه إلا أذن الله له في السجود ولا يبقى من كان يسجد نفاقاً ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة هذا السجود امتحان من الله تعالى لعباده ومعنى طبقة واحدة أي فقارة واحدة كالصحيفة فلا يقدر على السجود وقوله ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة معناه ثم يرفعون رؤوسهم وقد أزال المانع لهم من رؤيته وتجلى لهم فيقولون أنت ربنا وقوله ثم يضرب الجسر على جهنم الجسر بفتح الجيم وكسرها لغتان وهو الصراط

لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا إن شئتم: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرّة وإن تكُ حسنة يضاعفْها ويؤْتِ من لدنه أجراً عظيماً﴾ [النساء: ٤٠]، فيقول الله شفعت الملائكة وشفع النبيّون وشفع المؤمنون ولم يبقَ إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيُخرِج منها قوماً لم يعملوا خيراً قطّ قد عادوا حمماً فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبّة في حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى ما يكون إلى الشمس أُصيفر وأُخيضر، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض، قال: فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم تعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله من النار الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدّموه، ثم يقول: «ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا: أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا فيقولون: يا ربنا أيّ شيء أفضل من هذا؟ فيقول رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبداً». وروى محمد بن إسماعيل هذا الحديث عن يحيىٰ بن بكير عن الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم بهذا

وتحل للشفاعة بكسر الحاء وقيل بضمها من حل ومعناه وتقع الشفاعة ويؤذن فيها قوله دحض مزلة أي تزلق فيه الأقدام ولا تثبت قوله فيه خطاطيف جمع خطاف وهو الذي يخطف الشيء وكلاليب جمع كلوب وهو الحديدة التي يعلق بها اللحم والحسك الذي يقال له السعدان نبت له شوك عظيم من كل جانب قوله فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس في نار جهنم معناه أنهم ثلاثة أقسام قسم يسلم فلا يناله شيء أصلاً وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص وقسم يكردس أي يلقى ويسقط في جهنم وفي هذا إثبات الصراط وهو مذهب أهل السنة وأهل الحق وهو جسر يجعل على متن جهنم وهو أرق من الشعر وأحد من السيف فيمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب منازلهم وأعمالهم والآخرون يسقطون في جهنم أعاذنا الله منها، ومعنى مناشدة المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار شفاعتهم لهم وقوله فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير ومثقال نصف دينار من خير ومثقال ذرة قال القاضي عياض قيل معنى الخير اليقين قال والصحيح أن معناه شيء زائد على مجرد الإيمان لأن الإيمان الذي هو التصديق لا يتجزأ وإنما يكون هذا الخير زائداً عليه من عمل صالح وذكر خفي وعمل من أعمال القلب من شفقة على مسكين أو خوف من الله تعالى أو نية صادقة ومثقال الذرة مثل لأقل الخير لأن ذلك أقل المقادير وقول المؤمنين لم نذر فيها خيراً أي صاحب خير وقوله تعالى: «شفعت الملائكة هو بفتح الفاء وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط» هؤلاء الذين معهم مجرد الإيمان فقط ولم يعملوا خيراً قط وتفرد الله تعالى بعلم ما تكنه القلوب فالرحمة لمن ليس عنده إلا مجرد الإيمان فقط ومعنى قبض قبضة أي جمع جماعة.

قوله قد عادوا حمماً أي صاروا فحماً فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة جمع فوهة وهي أول النهر.

قوله فيخرجون كاللؤلؤ أي في الصفاء في رقابهم الخواتم قيل معناه أنه يعلق في رقابهم أشياء من ذهب أو غير ذلك مما يعرفون بها والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿**ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون**﴾ السجود يعني الكفار والمنافقين تصير أصلابهم كصياصي البقر أو كصفيحة نحاس فلا يستطيعون السجود.

﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿**خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة**﴾ وذلك أن المؤمنين يرفعون رؤوسهم من السجود ووجوههم أشد بياضاً من الثلج وقد علاها النور والبهاء وتسود وجوه الكفار والمنافقين ويغشاهم ذل وخسران وندامة ﴿**وقد كانوا يدعون إلى السجود**﴾ يعني في دار الدنيا كانوا يدعون إلى الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة وذلك أنهم كانوا يسمعون حي على

المعنى، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا آدم ثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن يزيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى مَن كان يسجد في الدنيا رياءً وسُمعةً فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً». قوله عزّ وجلّ: ﴿ **يدعون إلى السجود فلا يستطيعون** ﴾، يعني الكفّار والمنافقون، تصير أصلابهم كصياصي البقر فلا يستطيعون السجود.

﴿ **خاشعة أبصارهم** ﴾، وذلك أن المؤمنين يرفعون رؤوسهم من السجود ووجوههم أشدّ بياضاً من الثلج، وتسودّ وجوه الكافرين والمنافقين، ﴿ **ترهقهم ذلّة** ﴾، يغشاهم ذلّ الندامة والحسرة، ﴿ **وقد كانوا يدعون إلى السجود** ﴾، قال إبراهيم التيمي: يعني إلى الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة. وقال سعيد بن جبير: كانوا يسمعون حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح فلا يجيبون، ﴿ **وهم سالمون** ﴾، أصحّاء فلا يأتونه، قال كعب الأحبار: والله ما

الصلاة حي على الفلاح فلا يجيبون ﴿وهم سالمون﴾ يعني أنهم كانوا يدعون إلى الصلاة وهم أصحاء فلا يأتونها قال كعب الأحبار والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن الجماعة.

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾

قوله عز وجل: **﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث﴾** أي دعني والمكذبين بالقرآن وخل بيني وبينهم ولا تشغل قلبك بهم وكلهم إليّ فإني أكفيك إياهم **﴿سنستدرجهم﴾** أي سنأخذهم بالعذاب **﴿من حيث لا يعلمون﴾** فعذبوا يوم بدر بالقتل والأسر، وقيل في معنى الآية كلما أذنبوا ذنباً جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار والتوبة. وهذا هو الاستدراج لأنهم يحسبونه تفضيلاً لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة سبب إهلاكهم فعلى العبد المسلم إذا تجددت عنده نعمة أن يقابلها بالشكر وإذا أذنب ذنباً أن يعاجله بالاستغفار والتوبة. **﴿وأملي لهم﴾** أي أمهلهم وأطيل لهم المدة. وقيل معناه أمهلهم إلى الموت فلا أعاجلهم بالعقوبة **﴿إن كيدي متين﴾** أي عذابي شديد وقيل الكيد ضرب من الاحتيال فيكون بمعنى الاستدراج المؤدي إلى العذاب **﴿أم تسألهم أجراً﴾** أي على تبليغ الرسالة **﴿فهم من مغرم مثقلون﴾** المغرم الغرامة والمعنى أتطلب منهم أجراً فيثقل عليهم حمل الغرامات في أموالهم فيثبطهم ذلك عن الإيمان **﴿أم عندهم الغيب فهم يكتبون﴾** أي عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ما يحكمون به وهو استفهام على سبيل الإنكار **﴿فاصبر لحكم ربك﴾** أي اصبر على أذاهم لقضاء ربك قيل إنه منسوخ بآية السيف **﴿ولا تكن﴾** في الضجر والعجلة **﴿كصاحب الحوت﴾** يعني يونس بن متى **﴿إذ نادى﴾** ربه أي في بطن الحوت **﴿وهو مكظوم﴾** أي مملوء غماً **﴿لولا أن تداركه نعمة من ربه﴾** أي حين رحمه وتاب عليه، **﴿لنبذ بالعراء﴾** أي لطرح بالفضاء من بطن الحوت على الأرض **﴿وهو مذموم﴾** أي يذم ويلام بالذنب. وقيل في معنى الآية لولا أن تداركته نعمة من ربه لبقي في بطن الحوت إلى يوم القيامة ثم ينبذ بعراء القيامة أي بأرضها وفضائها فإن قلت هل يدل قوله وهو مذموم على كونه كان فاعلاً للذنب.

قلت الجواب عنه من ثلاثة أوجه: أحدها: أن كلمة لولا دلت على أنه لم يحصل منه ما يوجب الذم الثاني لعل المراد منه ترك الأفضل فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة يدل عليه قوله

نزلت هذه الآية إلّا عن الذين يتخلّفون عن الجماعات.

﴿ فذرني ومَن يكذب بهذا الحديث ﴾، أي فدعني والمكذّبين بالقرآن، وخلِّ بيني وبينهم. قال الزجّاج: معناه لا تشغل قلبك به وكِلْهُ إليّ فإني أكفيك أمره، **﴿ سنستدرجهم ﴾**، سنأخذهم بالعذاب، **﴿ من حيث لا يعلمون ﴾**، فعذّبوا يوم بدر.

﴿ وأُملي لهم إن كيدي متين ﴾، **﴿ أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون * أم عندهم الغيب فهم يكتبون * فاصبرْ لحكم ربّك ﴾**، اصبر على أذاهم لقضاء ربك، **﴿ ولا تكن ﴾**، في الضجر والجلّة، **﴿ كصاحب الحوت ﴾**، وهو يونس بن متّى، **﴿ إذ نادى ﴾**، ربّه وهو في بطن الحوت، **﴿ وهو مكظوم ﴾**، مملوء غمّاً.

﴿ لولا أن تداركه ﴾، أدركه **﴿ نعمة من ربّه ﴾**، حين رحمه وتاب عليه، **﴿ لَنُبِذَ بالعَراء ﴾**، لطرح بالفضاء من بطن الحوت، **﴿ وهو مذموم ﴾**، يذمّ ويُلاَم بالذنب.

تعالى: ﴿فاجتباه ربه﴾ والفاء للتعقيب أي اصطفاه ورد عليه الوحي وشفعه في قومه ﴿فجعله من الصالحين﴾ أي النبيين.

قوله تعالى: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم﴾ وذلك أن الكفار أرادوا أن يصيبوا النبي ﷺ بالعين فنظرت قريش إليه وقالوا ما رأينا مثله ولا مثل حججه، وقيل كانت العين في بني أسد حتى أن كانت الناقة أو البقرة لتمر بأحدهم فيعاينها ثم يقول لجاريته خذي المكتل والدراهم فائتينا بلحم من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر. وقيل كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثة ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الإبل فيقول لم أر كاليوم إبلاً ولا غنماً أحسن من هذه فما تذهب إلا قليلاً حتى يسقط ما عناه فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ بالعين ويفعل به مثل ذلك فعصم الله نبيه ﷺ وأنزل وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم قال ابن عباس: معناه ينفذونك وقيل يصيبونك بعيونهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه. وقيل يصرعونك وقيل يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة وإنما أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك، ومنه قولهم نظر إلي نظراً يكاد يصرعني أو يكاد يهلكني يدل على صحة هذا المعنى أنه قرن هذا النظر بسماع القرآن وهو قوله ﴿لما سمعوا الذكر﴾ لأنهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهة ويحدون النظر إليه بالبغضاء ﴿ويقولون إنه لمجنون﴾ أي ينسبونه إلى الجنون إذا سمعوه يقرأ القرآن قال تعالى رداً عليهم.

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝٥٢﴾

﴿وما هو﴾ يعني القرآن ﴿إلا ذكر للعالمين﴾ قال ابن عباس موعظة للمؤمنين قال الحسن: دواء من أصابته

﴿فاجتباه ربّه﴾، اصطفاه، ﴿فجعله من الصالحين * وإن يكاد الذين كفروا لَيُزْلِقُونَك بأبصارهم﴾، وذلك أن الكفّار أرادوا أن يصيبوا رسول الله ﷺ بالعين فنظر إليه قوم من قريش وقالوا ما رأينا مثله ولا مثل حججه. وقيل: كانت العين في بني أسد حتى كانت الناقة والبقرة السمينة تمرّ بأحدهم فيعاينها ثم يقول يا جارية خذي المكتل والدراهم فائتينا بشيء من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت، فتنحر. وقال الكلبي: كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثاً ثم يرفع جانب خبائه فتمرّ به الإبل فيقول لم أرَ كاليوم إبلاً ولا غنماً أحسن من هذه، فما تذهب إلّا قليلاً حتى تسقط منها طائفة وعدّة، فسأل الكفّار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ ويفعل به مثل ذلك، فعصم الله نبيّه وأنزل: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم﴾، أي ويكاد، ودخلت اللام في ﴿ليزلقونك﴾ لمكان أن، وقرأ أهل المدينة ﴿ليزلقونك﴾ بفتح الياء، والآخرون بضمها، وهما لغتان، يقال: زلقه يزلقه زلقاً وأزلقه يزلقه أزلاقاً. قال ابن عباس: معناه ينفذونك، يقال: زلق السهم إذا أنفذ، قال السدي: يصيبونك بعيونهم. قال النضير بن شميل: يعينونك. وقيل: يزيلونك. وقال الكلبي: يصرعونك. وقيل: يصرفونك عمّا أنت عليه من تبليغ الرسالة. قال ابن قتيبة: ليس يريد أنهم يصيبونك بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه، وإنما أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء، يكاد يسقطك. وقال الزجّاج: يعني من شدّة عداوتهم يكادون ينظرهم نظر البغضاء أن يصرعوك، وهذا مستعمل في الكلام يقول القائل: نظر إليّ يكاد يصرعني، ونظراً يكاد يأكلني، يدلّ على صحة هذا المعنى أنه قرن هذا النظر بسماع القرآن. وهو قوله: ﴿لمّا سمعوا الذكر﴾، وهم كانوا يكرهون ذلك أشدّ الكراهية فيحدّون إليه النظر بالبغضاء، ﴿ويقولون إنه لمجنون﴾، أي ينسبونه لجنون إذا سمعوه يقرأ القرآن.

فقال الله تعالى: ﴿وما هو﴾، يعني القرآن، ﴿إلّا ذكر للعالمين﴾، قال ابن عباس: موعظة للمؤمنين. قال

العين أن تقرأ عليه هذه الآية (ق)، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ «العين حق» زاد البخاري «ونهى عن الوشم» (م) عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: «العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا» وعن عبيد الله بن رفاعة الزرقي «أن أسماء بنت عميس كانت تقول يا رسول الله إن ولد جعفر تسرع إليهم العين أفأسترقي لهم؟ قال: نعم ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين» أخرجه الترمذي قوله العين حق أخذ بظاهر هذا الحديث جماهير العلماء وقالوا العين حق وأنكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم «أن كل معنى ليس مخالفاً في نفسه ولا يؤدي إلى قلب حقيقة ولا إفساد دليل فإنه من مجوزات العقول فإذا أخبر الشارع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه ومذهب أهل السنة أن العين إنما تفسد وتهلك عند مقابلة هذا الشخص الذي هو العائن لشخص آخر فتؤثر فيه بقدرة الله تعالى وفعله وقوله ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين، فيه إثبات القدر وأنه حق والمعنى أن الأشياء كلها بقدر الله ولا يقع شيء إلا على حسب ما قدر الله وسبق به علمه ولا يقع شرر العين وغيره من الخير والشر إلا بقدرة الله وفيه صحة إثبات العين وأنها قوية الضرر إذا وافقها القدر، والله أعلم.

الحسن: دواءُ إصابةِ العين أن يقرأ الإنسانُ هذه الآية. أخبرنا أبو علي حسّان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطّان أنا أحمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزّاق أنا معمر عن همّام بن منبّه أنا أبو هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «العين حق» ونهى عن الوشم أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي ثنا السيد أبو الحسن بن محمد بن الحسين بن داود العلوي، أنا أبو نضر بن محمد بن حمدويه بن سهل المروزي ثنا محمود بن آدم المروزي ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة الزرقي أن أسماء بنت عميس قالت: يا رسول الله إن ابني جعفر تصيبهم العين أفأسترقي لهم؟ قال: «نعم فلو كان شيء يسبق القضاء لسبقته العين».



سورة الحاقة

مكية وهي اثنتان وخمسون آية ومائتان وست وخمسون كلمة وألف وأربع وثلاثون حرفاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣﴾

قوله عز وجل: ﴿**الحاقة**﴾ يعني القيامة سميت حاقة من الحق الثابت يعني أنها ثابتة الوقوع لا ريب فيها. وقيل لأن فيها تحقيق الأمور فتعرف على الحقيقة وفيها يحق الجزاء على الأعمال أي يجب. وقيل الحاقة النازلة التي حقت فلا كاذبة لها. وقيل الحاقة هي التي تحق على القوم أي تقع بهم، ﴿**ما الحاقة**﴾ استفهام ومعناه التفخيم لشأنها والتهويل لها والمعنى أي شيء هي الحاقة ﴿**وما أدراك ما الحاقة**﴾ أي إنك لا تعلمها إذ لم تعاينها ولم تر ما فيها من الأهوال على أنه من العظم والشدة أمر لا تبلغه دراية أحد ولا فكره وكيف قدرت حالها فهي أعظم من ذلك.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ
عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧
فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ۝٨ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً
رَّابِيَةً ۝١٠﴾

﴿**كذبت ثمود وعاد بالقارعة**﴾ قال ابن عباس بالقيامة سميت قارعة لأنها تقرع قلوب العباد بالمخافة. وقيل كذبت بالعذاب أي الذي أوعدهم نبيهم حتى نزل بهم فقرع قلوبهم ﴿**فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية**﴾ أي طغيانهم

سُورَة الحَاقّة

مكيّة وهي اثنتان وخمسون آية.

﴿ **الحاقّةُ** ﴾، يعني القيامة سُمّيت حاقّة لأنها حقّت فلا كاذبة لها. وقيل: لأن فيها حواق الأمور وحقائقها، ولأن فيها يحقّ الجزاء على الأعمال، أي يجب، يقال: حقّ عليه الشيء إذا وجب يحقّ حقوقاً، قال الله تعالى: ﴿ ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين ﴾ [الزّمر: ٧١] قال الكسائي: الحاقّة يوم الحق.

﴿ **مَا الحاقّةُ** ﴾، هذا استفهام معناه التفخيم لشأنها، كما يقال: زيدٌ مَا زيدٌ، على التعظيم لشأنه.

﴿ **وما أدراك ما الحاقّة** ﴾، أي أنك لا تعلمها إذ لم تعاينها ولم ترَ ما فيها من الأهوال.

﴿ **كذّبتْ ثمودُ وعادٌ بالقارعة** ﴾، قال ابن عباس وقتادة: بالقيامة سُمّيت قارعة لأنها تقرع قلوب العباد

وكفرهم. وقيل الطاغية الصيحة الشديدة المجاوزة الحد في القوة. وقيل الطاغية الفرقة التي عقروا الناقة فأهلك قوم ثمود بسببهم ﴿**وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر**﴾ أي شديدة الصوت في الهبوب لها صرصرة. وقيل هي الباردة من الصر كأنها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق بشدة بردها ﴿**عاتية**﴾ أي عتت على خزنتها فلم تطعهم ولم يكن لهم عليهم سبيل وجاوزت الحد والمقدار فلم يعرفوا مقدار ما خرج منها. وقيل عتت على عاد فلم يقدروا على دفعها عنهم بقوة ولا حيلة ﴿**سخرها عليهم**﴾ أي أرسلها وسلطها عليهم وفيه رد على من قال إن سبب ذلك كان باتصال الكواكب فنفى هذا المذهب بقوله سخرها عليهم وبين الله تعالى أن ذلك بقضائه وقدره وبمشيئته لا باتصال الكواكب، ﴿**سبع ليال وثمانية أيام**﴾ ذات برد ورياح شديدة. قال وهب هي الأيام التي سماها العرب العجوز لأنها أيام ذات برد ورياح شديدة وسميت عجوزاً لأنها تأتي في عجز الشتاء وقيل لأن عجوزاً من قوم عاد دخلت سربها فاتبعتها الريح حتى قتلتها ﴿**حسوماً**﴾ أي متتابعة دائمة ليس فيها فتور، وذلك أن الريح المهلكة تتابعت عليهم في هذه الأيام فلم يكن لها فتور ولا انقطاع حتى أهلكتهم، وقيل حسوماً شؤماً وقيل لهذه الأيام حسوماً لأنها تحسم الخير عن أهلها والحسم القطع. والمعنى أنها حسمتهم بعذاب الاستئصال فلم تبق منهم أحداً ﴿**فترى القوم فيها**﴾ أي في تلك الليالي والأيام ﴿**صرعى**﴾ أي هلكى جمع صريع قد صرعهم الموت ﴿**كأنهم أعجاز نخل خاوية**﴾ أي ساقطة وقيل خالية الأجواف شبههم بجذوع نخل ساقطة ليس لها رؤوس ﴿**فهل ترى لهم من باقية**﴾ أي من نفس باقية، قيل إنهم لما أصبحوا موتى في اليوم الثامن كما وصفهم الله تعالى بقوله ﴿**أعجاز نخل خاوية**﴾ حملتهم الريح فألقتهم في البحر فلم يبق منهم أحد.

بالمخافة. وقيل: كذّبت بالعذاب الذي أوعدهم نبيّهم حتى نزل بهم فقرع قلوبهم.

﴿ **فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية** ﴾، أي بطغيانهم وكفرهم. قيل: هي مصدر، وقيل: نعت، أي بأفعالهم الطاغية، وهذا معنى قول مجاهد، كما قال: ﴿ كذبت ثمود بطغواها ﴾ [الشمس: ١١] وقال قتادة: بالصيحة الطاغية، وهي التي جاوزت مقادير الصياح فأهلكتهم. وقيل: طغَت على الخزّان كما طغى الماء على قوم نوح.

﴿ **وأمّا عادٌ فأهلكوا بريح صرصر عَاتية** ﴾، عتت على خزائنها فلم تطعهم ولم يكن لهم عليها سبيل، وجاوزت المقدار فلم يعرفوا كم خرج منها.

﴿ **سخّرها عليهم** ﴾. أرسلها عليهم. وقال مقاتل: سلّطها عليهم. ﴿ **سبع ليالٍ وثمانية أيام** ﴾، قال وهب: هي الأيام التي تسمّيها العرب أيام العجوز ذات برد ورياح شديدة. قيل: سُمّيت عجوزاً لأنها عجز الشتاء. وقيل: سُمّيت بذلك لأن عجوزاً من قوم عاد دخلت سرباً فتبعتها الريح، فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع العذاب. ﴿ **حُسوماً** ﴾، قال مجاهد وقتادة: متتابعة ليس فيها فترة، فعلى هذا هو حسم الكيّ، وهو أن يتابع على موضع الداء بالمكوة حتى يبرأ، ثم قيل لكل شيء توبع: حاسم، وجمعه حسوم، مثل شاهد وشهود، وقال الكلبي ومقاتل: حسوماً دائمة. وقال النضر بن شميل: حسمتهم قطعتهم وأهلكتهم، والحسم: القطع والمنع ومنه حسم الداء. قال الزجّاج: أي تحسمهم حسوماً تفنيهم وتُذهِبهم. وقال عطية شؤماً كأنها حسمت الخير عن أهلها. ﴿ **فترى القوم فيها** ﴾، أي في تلك الليالي والأيام، ﴿ **صرعى** ﴾، هلكى جمع صريع، ﴿ **كأنهم أعجاز نخل خاوية** ﴾، ساقطة، وقيل: خالية الأجواف.

﴿ **فهل ترى لهم من باقية** ﴾، أي من نفس باقية يعني لم يبقَ منهم أحد.

﴿ **وجاء فرعون ومَن قبله** ﴾، قرأ أهل البصرة والكسائي بكسر القاف، وفتح الباء أي ومَن معه من جنوده

قوله تعالى: ﴿وجاء فرعون ومن قبله﴾ قرىء بكسر القاف وفتح الباء أي ومن معه من جنوده وأتباعه وقرىء بفتح القاف وسكون الباء أي ومن قبله من الأمم الكافرة ﴿المؤتفكات﴾ يعني قرى قوم لوط يريد أهل المؤتفكات، وقيل يريد الأمم الذين ائتفكوا بخطيئتهم وهو قوله ﴿بالخاطئة﴾ أي بالخطيئة والمعصية وهو الشرك ﴿فعصوا رسول ربهم﴾، قيل يعني موسى بن عمران وقيل لوطاً والأولى أن يقال المراد بالرسول كلاهما لتقدم ذكر الأمتين جميعاً ﴿فأخذهم أخذة رابية﴾ يعني نامية وقال ابن عباس شديدة وقيل زائدة على عذاب الأمم.

إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾

﴿إنا لما طغى الماء﴾ أي عتا وجاوز حده حتى علا على كل شيء وارتفع فوقه وذلك في زمن نوح عليه الصلاة والسلام وهو الطوفان ﴿حملناكم في الجارية﴾ يعني حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم فصح خطاب الحاضرين في الجارية أي السفينة التي تجري في الماء ﴿لنجعلها﴾ أي لنجعل تلك الفعلة التي فعلناها من إغراق قوم نوح ونجاة من حملنا معه، ﴿لكم تذكرة﴾ أي عبرة وموعظة ﴿وتعيها﴾ أي تحفظها ﴿أذن واعية﴾ أي حافظة لما جاء من عند الله. وقيل أذن سمعت وعقلت ما سمعت وقيل لتحفظها كل أذن فتكون عظة وعبرة لمن يأتي بعد والمراد صاحب الإذن والمعنى ليعتبر ويعمل بالموعظة.

قوله عز وجل: ﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة﴾ يعني النفخة الأولى ﴿وحملت الأرض والجبال﴾ أي رفعت من أماكنها ﴿فدكتا دكة واحدة﴾ أي كسرتا وفتتتا حتى صارتا هباء منبثاً والضمير عائد إلى الأرض والجبال فعبر عنهما بلفظ الاثنين ﴿فيومئذ وقعت الواقعة﴾ أي قامت القيامة ﴿وانشقت السماء فهي يومئذ واهية﴾ أي ضعيفة لتشققها ﴿والملك﴾ يعني الملائكة ﴿على أرجائها﴾ يعني نواحيها وأقطارها وهو الذي لم ينشق منها قال الضحاك تكون الملائكة على حافتها حتى يأمرهم الرب فينزلون فيحيطون بالأرض ومن عليها ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم﴾ أي فوق

وأتباعه، وقرأ الآخرون بفتح القاف وسكون الباء، أي ومَن قبله من الأمم الكافرة، ﴿ والمؤتفكات ﴾، يعني أي قرى قوم لوط يريد أهل المؤتفكات. وقيل: يريد الأمم الذين ائتفكوا بخطيئتهم، ﴿ بالخاطئة ﴾، أي بالخطيئة والمعصية وهي الشرك.

﴿ فعصوا رسول ربّهم ﴾، يعني لوطاً وموسى، ﴿ فأخذهم أخذة رابية ﴾، نامية، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: شديدة. وقيل: زائدة على عذاب الأمم.

﴿ إنّا لما طغى الماء ﴾، أي عتا وجاوز حدّه حتى علا على كل شيء وارتفع فوقه يعني زمن نوح عليه السلام. ﴿ حملناكم ﴾، أي حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم، ﴿ في الجارية ﴾، في السفينة التي تجري في الماء.

﴿ لنجعلها ﴾، أي لنجعل تلك الفعلة التي فعلنا من إغراق قوم نوح ونجاة مَن حملنا معه، ﴿ لكم تذكرة ﴾، عبرة وعظة ﴿ وتعيها ﴾، قرأ القوّاس عن ابن كثير وسليم عن حمزة باختلاس العين، وقرأ الآخرون بكسرها أي تحفظها، ﴿ أُذن واعية ﴾، أي: حافظة لما جاء من عند الله. قال قتادة: أُذن سمعت وعقلت ما سمعت. قال الفرّاء: لتحفظها كل أُذن فتكون عبرة وموعظة لمَن يأتي بعد.

رؤوسهم يعني الحملة ﴿يومئذ﴾ أي يوم القيامة ﴿ثمانية﴾ يعني ثمانية أملاك، وجاء في الحديث أنهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين فكانوا ثمانية على صورة الأوعال بين أظلافهم إلى ركبهم كما بين سماء إلى سماء. الأوعال تيوس الجبل وروى السدي عن أبي مالك قال إن الصخرة التي تحت الأرض السابعة ومنتهى علم الخلائق على أرجائها يحملها أربعة من الملائكة لكل واحد منهم أربعة وجوه وجه إنسان ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر فهم قيام عليها قد أحاطوا بالسموات والأرض ورؤوسهم تحت العرش، وعن عروة بن الزبير قال حملة العرش منهم من صورته على صورة الإنسان ومنهم من صورته على صورة النسر ومنهم من صورته على صورة الثور ومنهم من صورته على صورة الأسد. وعن ابن عباس قال صدق النبي ﷺ أمية بن أبي الصلت في شيء من الشعر فقال:

رجـل وثـور تحـت رجـل يمينـه والنسـر لـلأخـرى وليـث يـرصـد

عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام أخرجه أبو داود بإسناد صحيح غريب عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي ﷺ قال «كنت جالساً في البطحاء في عصابة ورسول الله ﷺ فيهم إذ مرت سحابة فنظروا إليها فقال رسول الله ﷺ هل تدرون ما اسم هذه قلنا نعم هذا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال رسول الله ﷺ والعنان قالوا والعنان ثم قال لهم رسول الله ﷺ هل تدرون كم بعد ما بين السماء والأرض؟ قالوا لا والله ما ندري قال: فإن بعد ما بينهما إما قال واحدة وإما قال اثنتان وإما ثلاث وسبعون سنة وبعد التي فوقها كذلك وكذلك حتى عدهن سبع سموات كذلك ثم فوق السماء السابعة بحراً أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء وفوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن كما بين سماء إلى سماء ثم فوق ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين السماء إلى السماء والله عز وجل فوق ذلك» أخرجه الترمذي وأبو داود زاد في رواية «وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء»، عن ابن مسعود قال ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء وسماء خمسمائة عام وفضاء كل سماء وأرض مسيرة خمسمائة

﴿ فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة ﴾، وهي النفخة الأولى.

﴿ وحملت الأرض والجبال ﴾، رفعت أماكنها، ﴿ فدكّتا ﴾، كسرتا، ﴿ دكّة ﴾ كسرة، ﴿ واحدة ﴾، فصارتا هباءً منثوراً.

﴿ فيومئذٍ وقعتِ الواقعة ﴾، قامت القيامة.

﴿ وانشقّت السماء فهي يومئذ واهية ﴾، ضعيفة قال الفرّاء: وهيها تشقّقها.

﴿ والملك ﴾، يعني الملائكة، ﴿ على أرجائها ﴾، نواحيها وأقطارها ما لم ينشقّ منها واحدها رجا وتثنيته رجوان. قال الضحاك: تكون الملائكة على حافّاتها حتى يأمرهم الربّ فينزلون فيحيطون بالأرض ومَن عليها. ﴿ ويحمل عرش ربّك فوقهم ﴾، أي فوق رؤوسهم يعني الحَمَلَة، ﴿ يومئذ ﴾، يوم القيامة، ﴿ ثمانية ﴾، أي ثمانية أملاك، جاء في الحديث: «إنهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيّدهم الله بأربعة أخرى، فكانوا ثمانية على صورة الأوعال ما بين أظلافهم إلى ركبهم كما بين سماء إلى سماء»، وجاء في الحديث: «لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر». أخبرنا أبو بكر بن الهيثم الترابي أنا أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي أنا محمد بن يحيىٰ الخالدي أنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ثنا عبد الرزّاق ثنا يحيىٰ بن العلاء الراعي عن عمّه شعيب بن خالد ثنا سماك بن حرب عن عبد الله بن عمير عن العباس بن عبد المطّلب قال: كنّا جلوساً عند النبي ﷺ بالبطحاء فمرّت سحابة فقال النبي ﷺ: «أتدرون ما هذا»؟ قلنا: السحاب، قال: «والمزن»، قلنا: والمزن، قال:

عام وما بين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمسمائة عام وما بين الكرسي والماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله على العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم». أخرجه أبو سعيد الدارمي وابن خزيمة وغيرهما موقوفاً على ابن مسعود قال ابن خزيمة اختلاف خبر العباس وابن مسعود في قدر المسافة على اختلاف سير الدواب. وعن ابن عباس قال: «لحملة العرش قرون ما بين أخمص أحدهم إلى كعبه مسيرة خمسمائة عام ومن كعبه إلى ركبته مسيرة خمسمائة عام ومن ترقوته إلى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام».

وعن عبد الله بن عمر قال «الذين يحملون العرش ما بين موق أحدهم إلى مؤخر عينيه خمسمائة عام» وعن شهر بن حوشب قال «حملة العرش ثمانية فأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك، وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك» وروي عن ابن عباس في قوله يومئذ ثمانية قال ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل:

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾

﴿**يومئذ تعرضون**﴾ أي على الله تعالى للحساب ﴿**لا تخفى منكم خافية**﴾ أي فعلة خافية. والمعنى أنه تعالى عالم بأحوالكم لا يخفى عليه شيء منها وأن عرضكم يوم القيامة عليه ففيه المبالغة والتهديد، وقيل معناه لا يخفى منكم يوم القيامة ما كان مخفياً في الدنيا فإنه يظهر أحوال الخلائق فالمحسنون يسرون بإحسانهم والمسيئون يحزنون بإساءتهم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله» أخرجه الترمذي وقال ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبي موسى عن النبي ﷺ.

«والعنان»، فقلنا: والعنان، فسكتنا فقال: «هل تدرون كم بين السماء والأرض»؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكذلك غلظ كل سماء خمسمائة سنة، وفوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله ما بين السماء والأرض، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهنّ وركبهنّ كما بين السماء والأرض، وفوق ذلك العرش بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء». ويُروى هذا عن عبد الله بن عمير عن الأحنف بن قيس عن العباس. ورُوِيَ عن ابن عباس أنه قال: فوقهم يومئذ ثمانية أي ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدّتهم إلاّ الله.

﴿ **يومئذ تعرَضون** ﴾، على الله، ﴿ **لا تخفى** ﴾، قرأ بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء، ﴿ **منكم خافية** ﴾، أي فِعْلَةٌ خافية. قال الكلبي: لا يخفى على الله منكم شيء. قال أبو موسى: يعرض الناس ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما العرضة الثالثة فعندها تطاير الصحف فأخذ بيمينه وأخذ بشماله.

وذلك قوله عزّ وجل: ﴿ **فأما مَن أُوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه** ﴾، الهاء في ﴿ **كتابيه** ﴾ هاء الوقف.

﴿ **إني ظننت** ﴾ علمت وأيقنت، ﴿ **أني مُلاقٍ حسابيه** ﴾، أي أُحاسَب في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿فأما من أوتي﴾ أي أعطي ﴿كتابه بيمينه فيقول هاؤم﴾ أي تعالوا ﴿اقرؤوا كتابيه﴾ والمعنى أنه لما بلغ الغاية في السرور وعلم أنه من الناجين بإعطاء كتابه بيمينه أحب أن يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا له، وقيل يقول ذلك لأهله وأقربائه ﴿إني ظننت﴾ أي عملت وأيقنت وإنما أجرى الظن مجرى العلم لأن الظن في الغالب يقوم مقام العلم في العادات والأحكام ﴿أني ملاق حسابيه﴾ أي في الآخرة والمعنى أني كنت في الدنيا أستيقن أني أحاسب في الآخرة ﴿فهو في عيشة راضية﴾ أي في حالة من العيش مرضية وذلك بأنه لقي الثواب وأمن من العقاب ﴿في جنة عالية﴾ رفيعة ﴿قطوفها دانية﴾ أي ثمارها قريبة لمن يتناولها ينالها قائماً وقاعداً ومضطجعاً يقطفونها كيف شاؤوا ﴿كلوا﴾ أي يقال لهم كلوا ﴿واشربوا هنيئاً بما أسلفتم﴾ أي بما قدمتم لآخرتكم من الأعمال الصالحة ﴿في الأيام الخالية﴾ أي الماضية يريد أيام الدنيا.

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾

﴿وأما من أوتي كتابه بشماله﴾، قيل تلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها. وقيل تنزع يده اليسرى من صدره إلى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها ﴿فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه﴾ وذلك لما نظر في كتابه ورأى قبائح أعماله مثبتة عليه تمنى أنه لم يؤت كتابه لما حصل له من الخجل والافتضاح ﴿ولم أدر ما حسابيه﴾ أي لم أدر أي شيء حسابي لأنه لا طائل ولا حاصل له وإنما كله عليه لا له ﴿يا ليتها كانت القاضية﴾ تمنى أنه لم يبعث للحساب والمعنى يا ليت الموتة التي متها في الدنيا كانت القاضية عن كل ما بعدها والقاطعة للحياة أي ما أحيا بعدها قال قتادة تمنى الموت ولم يكن شيء عنده أكره منه إليه أي من الموت في الدنيا لأنه رأى تلك الحالة أشنع وأمر مما ذاقه من الموت ﴿ما أغنى عني ماليه﴾ أي لم يدفع عني يساري ومالي من العذاب شيئاً ﴿هلك عني سلطانيه﴾ أي ضلت عني حجتي التي كنت أحتج بها في الدنيا وقيل ضلت عنه حجته حين شهدت عليه الجوارح بالشرك وقيل معناه زال عني ملكي وقوتي وتسلطي على الناس وبقيت ذليلاً حقيراً فقيراً ﴿خذوه﴾ أي يقول الله تعالى لخزنة جهنم خذوه ﴿فغلوه﴾ أي

﴿ فهو في عيشة ﴾، يعني حالة من العيش، ﴿ راضية ﴾، مرضية كقوله: ﴿ ماء دافق ﴾ [الطارق: ٦] يريد برضاها بأن لقي الثواب وأمِنَ العقاب.

﴿ في جنّة عالية ﴾، رفيعة.

﴿ قطوفها دانية ﴾، ثمارها قريبة لمَن يتناولها ينالها قائماً وقاعداً ومضطجعاً يقطعون كيف شاؤوا.

ويقال لهم: ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم ﴾، قدّمتم لآخرتكم من الأعمال الصالحة، ﴿ في الأيام الخالية ﴾، الماضية يريد أيام الدنيا.

﴿ وأما مَن أُوتي كتابه بشماله ﴾، قال ابن السائب تُلْوَى يده اليسرى خلف ظهره ثم يُعطى كتابه. وقيل: تُنزَع يده اليسرى من صدره إلى خلف ظهره ثم يُعطى كتابه. ﴿ فيقول يا ليتني لم أُوْتَ كتابيه ﴾، يتمنى أنه لم يُؤْتَ كتابه لما يرى فيه من قبائح أعماله.

﴿ ولم أدرِ ما حسابيه * يا ليتها كانت القاضية ﴾، يقول يا ليت الموتة التي متّها في الدنيا كانت القاضية من كل ما بعدها، والقاطعة للحياة، فلم أحيَ بعدها. والقاضية موت لا حياة بعدها يتمنى أنه لم يُبعَث للحساب. قال

أجمعوا يديه إلى عنقه ﴿ثم الجحيم صلوه﴾ أي أدخلوه معظم النار لأنه كان يتعاظم في الدنيا ﴿ثم في سلسلة﴾ وهي حلق منتظمة كل حلقة منها في حلقة ﴿ذرعها﴾ أي مقدارها والذرع التقدير بالذراع من اليد أو غيرها ﴿سبعون ذراعاً﴾ قال ابن عباس بذرع الملك. وقال نوفر البكالي سبعون ذراعاً كل ذراع سبعون باعاً كل باع أبعد مما بينك وبين مكة وكان في رحبة الكوفة. وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعاً، وقال الحسن الله أعلم أي ذراع هو عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ «لو أن رضاضة مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت في رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ قعرها أو أصلها» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن.

الرضاض الحصباء الصغار، وقوله مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة.

الجمجمة قدح من خشب وجمعه جماجم والجمجمة الرأس وهو أشرف الأعضاء وقال وهب لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها وقوله تعالى: ﴿فاسلكوه﴾ أي أدخلوه فيها قال ابن عباس تدخل في دبره وتخرج من منخره. وقيل تدخل في فيه وتخرج من دبره ﴿إنه كان لا يؤمن بالله العظيم﴾ أي لا يصدق بوحدانية الله وعظمته، ﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾ أي ولا يحث نفسه على إطعام المسكين ولا يأمر أهله بذلك وفيه دليل على تعظيم الجرم في حرمان المساكين لأن الله تعالى عطفه على الكفر وجعله قرينه. قال الحسن في هذه الآية أدركت أقواماً يعزمون على أهليهم أن لا يردوا سائلاً وعن بعضهم أنه كان يأمر أهله بكثير المرقة لأجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالإيمان أفلا نخلع النصف الثاني بالإطعام.

قتادة: يتمنى الموت وإن لم يكن عنده في الدنيا شيء أكره من الموت.

﴿ ما أغنى عني ماليه ﴾، لم يدفع عنّي من عذاب الله شيئاً.

﴿ هلك عنّي سلطانيه ﴾، ضلّت عنّي حجّتي، عن أكثر المفسّرين، وقال ابن زيد: زال عنّي مُلكي وقوّتي. قال مقاتل: يعني حين شهدت عليه الجوارح بالشرك يقول الله لخَزَنَة جهنم:

﴿ خذوه فغلّوه ﴾، اجمعوا يده إلى عنقه.

﴿ ثم الجحيم صلوه ﴾، أي أدخلوه الجحيم.

﴿ ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه ﴾، فأدخلوه فيها. قال ابن عباس: سبعون ذراعاً بذراع الملك، فيدخل في دبره ويخرج من مِنخره. وقيل: يدخل في فِيْه ويخرج من دبره. وقال نوف البكالي: سبعون ذراعاً كل ذراع سبعون باعاً كل باع أبعد مما بينك وبين مكة، وكان في رحبة الكوفة. وقال سفيان: كل ذراع سبعون ذراعاً. وقال الحسن: الله أعلم أيّ ذراع هو. أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن يزيد عن أبي السمح عن عيسى بن هلال الصدفي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن رضاضة مثل هذه، وأشار إلى مثل الجمجمة أُرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة، لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أُرسلت من رأس السلسلة التي ذكرها الله في القرآن لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار. قبل أن تبلغ أصلها». وعن كعب قال: لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها.

﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا
لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ
مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿فليس له اليوم هاهنا حميم﴾ أي ليس له في الآخرة قريب ينفعه أو يشفع له **﴿ولا طعام إلا من غسلين﴾** يعني صديد أهل النار مأخوذ من الغسل كأنه غسالة جروحهم وقروحهم وقيل هو شجر يأكله أهل النار **﴿لا يأكله إلا الخاطئون﴾** أي الكافرون.

قوله عز وجل: **﴿فلا أقسم﴾** قيل إن لا صلة والمعنى أقسم. وقيل لا رد لكلام المشركين كأنه قال ليس الأمر كما يقول المشركون ثم قال تعالى أقسم وقيل لا هنا نافية للقسم على معنى أنه لا يحتاج إليه لوضوح الحق فيه كأنه قال لا أقسم على أن القرآن قول رسول كريم فكأنه لوضوحه استغنى عن القسم.

وقوله **﴿بما تبصرون وما لا تبصرون﴾** يعني بما ترون وتشاهدون وبما لا ترون وما لا تشاهدون أقسم بالأشياء كلها فيدخل فيه جميع المكونات والموجودات، وقيل أقسم بالدنيا والآخرة. وقيل بما تبصرون يعني على ظهر الأرض وما لا تبصرون أي ما في بطنها. وقيل بما تبصرون يعني الأجسام وما لا تبصرون يعني الأرواح. وقيل بما تبصرون يعني الإنس وما لا تبصرون يعني الملائكة والجن. وقيل بما تبصرون من النعم الظاهرة وما لا تبصرون من النعم الباطنة. وقيل بما تبصرون هو ما أظهره الله من مكنون غيبه لملائكته واللوح والقلم وجميع خلقه وما لا تبصرون هو ما استأثر الله بنعمه فلم يطلع عليه أحداً من خلقه، ثم ذكر المقسم عليه فقال تعالى **﴿إنه﴾** يعني للقرآن **﴿لقول رسول كريم﴾** يعني تلاوة رسول كريم وهو محمد ﷺ وقيل: الرسول هو جبريل عليه السلام فعلى هذا يكون المعنى إنه لرسالة رسول كريم والقول الأول أصح لأنهم لم يصفوا جبريل بالشعر والكهانة وإنما وصفوا بهما محمداً ﷺ.

﴿ إنه كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحضّ على طعام المسكين ﴾، لا يطعم المسكين في الدينا ولا يأمر أهله بذلك.

﴿ فليس له اليوم ههنا حميم ﴾، قريب ينفعه ويشفع له.

﴿ ولا طعام إلّا من غسلين ﴾، وهو صديد أهل النار مأخوذ من الغسل كأنه غُسالة جروحهم وقروحهم. قال الضحّاك والربيع: هو شجر يأكله أهل النار.

﴿ لا يأكله إلّا الخاطئون ﴾، أي الكافرون.

﴿ فلا أُقسم ﴾، لا ردّ لكلام المشركين كأنه قال: ليس كما يقول المشركون أُقسم، **﴿ بما تبصرون * وما لا تبصرون ﴾**، أي بما ترون وبما لا ترون. قال قتادة: أُقسم بالأشياء كلها فيدخل فيه جميع المكوّنات والموجودات. وقال: أُقسم بالدنيا والآخرة. وقيل: ما تبصرون ما على وجه الأرض وما لا تبصرون ما في بطنها. وقيل: ما تبصرون من الأجسام وما لا تبصرون من الأرواح. وقيل: ماتبصرون: الإنس وما لا تبصرون: الملائكة والجنّ. وقيل: النِّعَم الظاهرة والباطنة. وقيل: ما تبصرون ما أظهر الله للملائكة واللوح والقلم، وما لا تبصرون ما استأثر بعلمه فلم يطلع عليه أحداً.

﴿ إنه ﴾ يعني القرآن، **﴿ لقول رسول كريم ﴾**، أي تلاوة رسول كريم يعني محمداً ﷺ.

﴿ وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون ﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب

فإن قلت قد توجه هنا سؤال وهو أن جمهور الأمة وهم أهل السنة مجمعون على أن القرآن كلام الله فكيف يصح إضافته إلى الرسول.

قلت أما إضافته إلى الله تعالى فلأنه هو المتكلم به وأما إضافته إلى الرسول فلأنه هو المبلغ عن الله تعالى ما أوحى إليه ولهذا أكده بقوله ﴿**تنزيل من رب العالمين**﴾ ليزول هذا الإشكال. قال ابن قتيبة لم يرد أنه قول الرسول وإنما أراد أنه قول الرسول المبلغ عن الله تعالى. وفي الرسول ما يدل على ذلك فاكتفى به عن أن يقول عن الله تعالى وقوله تعالى: ﴿**وما هو بقول شاعر**﴾ يعني أن هذا القرآن ليس بقول رجل شاعر ولا هو من ضروب الشعر ولا تركيبه ﴿**قليلاً ما تؤمنون**﴾ أراد بالقليل عدم إيمانهم أصلاً. والمعنى أنكم لا تصدقون بأن القرآن من عند الله تعالى: ﴿**ولا بقول كاهن**﴾ أي وليس هو بقول رجل كاهن ولا هو من جنس الكهانة ﴿**قليلاً ما تذكرون**﴾ يعني لا تتذكرون البتة ﴿**تنزيل**﴾ أي هو تنزيل يعني القرآن، ﴿**من رب العالمين**﴾ وذلك أنه لما قال إنه لقول رسول كريم أتبعه بقوله تنزيل من رب العالمين ليزول هذا الإشكال.

قوله تعالى: ﴿**ولو تقول علينا**﴾ أي اختلق علينا محمد ﴿**بعض الأقاويل**﴾ يعني أتى بشيء من عند نفسه لم نقله نحن ولم نوجه إليه ﴿**لأخذنا منه باليمين**﴾ أي لأخذناه بالقوة والقدرة وانتقمنا منه باليمين أي بالحق. قال ابن عباس لأخذناه بالقوة والقدرة قال الشماخ يمدح عرابة ملك اليمن:

إذا مـــا رايـــة رفعـــت لمجـــد تلقـــاهـــا عـــرابـــة بـــاليميـــن

أي بالقوة فعبر عن القوة باليمين لأن قوة كل شيء في ميامنه. والمعنى لأخذنا منه اليمين أي سلبناه القوة فعلى هذا المعنى الباء زائدة. وقيل معنى الآية ذللناه وأهناه كفعل السلطان بمن يريد أن يهينه، يقول لبعض أعوانه خذ بيده فأقمه. وإنما أخص اليمين بالذكر لأنه أشرف العضوين.

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿**ثم لقطعنا منه الوتين**﴾ قال ابن عباس يعني نياط القلب، وقيل هو حبل الظهر. وقيل هو عرق يجري في الظهر

(يؤمنون ويذكرون) بالياء فيهما، وقرأ الآخرون بالتاء، وأراد بالقليل نفي إيمانهم أصلاً كقولك لمَن لا يزول: قلّما تأتينا وأنت تريد لا تأتينا أصلاً.

﴿ **تنزيلٌ من ربِّ العالمين * ولو تقوّل** ﴾، تحرّصَ واختلق، ﴿ **علينا** ﴾، محمد، ﴿ **بعض الأقاويل** ﴾، وأتى بشيء من عند نفسه.

﴿ **لأخذنا منه باليمين** ﴾، قيل: (من) صلة، مجازه: لأخذناه وانتقمنا منه باليمين أي بالحق، كقوله: ﴿ كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾ [الصّافّات: ٢٨]، أي: من قبل الحق. وقال ابن عباس: لأخذناه بالقوة والقدرة. قال الشماخ يمدح عرابة ملك اليمن:

إذا مـا رايـة رفعت لمجـد تلقـاهـا عـرابـة بـاليـمن

أي بالقوة عبّر عن القوة باليمن لأن قوة كل شيء في ميامنه. وقيل: معناه لأخذنا بيده اليمنى، وهو مثلُ معناه: لأذللناه، وأهنّاه كالسلطان إذا أراد الاستخفاف ببعض مَن بين يديه، يقول لبعض أعوانه: خذ بيده فأقمه.
﴿ **ثم لقطعنا منه الوتين** ﴾، قال ابن عباس: أي نِياط القلب، وهو قول أكثر المفسّرين. وقال مجاهد: الحبل

حتى يتصل بالقلب فإذا انقطع مات صاحبه. وقيل هو عرق يتصل من القلب بالرأس، قال ابن قتيبة لم يرد أنا نقطعه بعينه بل المراد منه أنه لو كذب علينا لأمتناه فكان كمن قطع وتينه والمعنى أنه لو كذب علينا وتقول علينا قولاً لم نقله لمنعناه من ذلك إما بواسطة إقامة الحجة عليه بأن نقيض له من يعارضه ويظهر للناس كذبه فيكون ذلك إبطالاً لدعواه، وإما أن نسلب عنه قوة التكلم بذلك القول الكذب حتى لا يشتبه الصادق بالكاذب، وإما أن نميته، ﴿**فما منكم من أحد عنه حاجزين**﴾ أي مانعين يحجزوننا عن عقوبته والمعنى أن محمداً لا يتكلم الكذب علينا لأجلكم مع علمه أنه لو تكلمه لعاقبناه ولا يقدر أحد على دفع عقوبتنا عنه وإنما قال حاجزين بلفظ الجمع وهو وصف أحد رداً على معناه ﴿**وإنه**﴾ يعني القرآن وذلك أنه لما وصفه بأنه تنزيل من رب العالمين بواسطة جبريل إلى النبي ﷺ بين ما هو فقال تعالى: ﴿**لتذكرة**﴾ أي لعظة ﴿**للمتقين**﴾ أي لمن اتقى عقاب الله ﴿**وإنا لنعلم أن منكم مكذبين**﴾ فيه وعيد لمن كذب بالقرآن ﴿**وإنه**﴾ يعني القرآن ﴿**لحسرة على الكافرين**﴾ يعني يوم القيامة والمعنى أنهم يندمون على ترك الإيمان به لما يرون من ثواب من آمن به ﴿**وإنه لحق اليقين**﴾ معناه أنه حق معين لا بطلان فيه ويقين لا شك ولا ريب فيه ﴿**فسبح باسم ربك العظيم**﴾ أي نزه ربك العظيم واشكره على أن جعلك أهلاً لإيحائه إليك والله سبحانه وتعالى أعلم.

الذي في الظهر. وقيل هو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب، فإذا انقطع مات صاحبه.

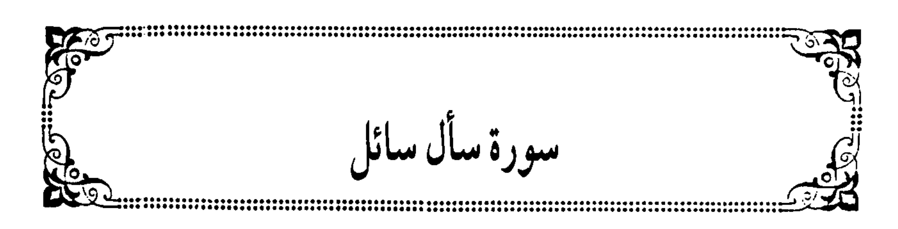
﴿ **فما منكم من أحد عنه حاجزين** ﴾، مانعين يحجزوننا عن عقوبته، والمعنى: أن محمداً لا يتكلّف الكذب لأجلكم مع علمه بأنه لو تكلّمه لعاقبناه ولا يقدر أحد على دفع عقوبتنا عنه، وإنما قال: ﴿ **حاجزين** ﴾ بالجمع وهو فعل واحد ردّاً على معناه كقوله: ﴿ لا نفرّق بين أحد من رسله ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

﴿ **وإنه** ﴾، يعني القرآن، ﴿ **لتذكرة للمتّقين** ﴾، أي لعظة لِمَن اتّقى عقاب الله.

﴿ **وإنّا لنعلم أنّ منكم مكذّبين * وإنه لحسرة على الكافرين** ﴾، يوم القيامة يندمون على ترك الإيمان به.

﴿ **وإنه لحقُّ اليقين** ﴾، أضافه إلى نفسه لاختلاف اللفظين.

﴿ **فسبّحْ باسمِ رَبِّك العظيم** ﴾.



سورة سأل سائل

وتسمى المعارج مكية وهي أربع وأربعون آية ومائتان وأربع وعشرون كلمة وتسعة وعشرون حرفاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾

قوله عز وجل: ﴿سأل سائل﴾ قرىء بغير همزة وفيه وجهان الأول أنه لغة في السؤال والثاني أنه من السيل. ومعناه اندفع عليهم واد بعذاب وقيل سال واد من أودية جهنم. وقرىء سأل سائل بالهمز من السؤال ﴿بعذاب﴾ قيل الباء بمعنى عن أي عذاب ﴿واقع﴾ أي نازل وكائن وعلى من ينزل ولمن ينزل ولمن ذلك العذاب فقال الله تعالى مجيباً لذلك السؤال.

لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾

﴿للكافرين﴾ وذلك أن أهل مكة لما خوفهم النبي ﷺ بالعذاب قال بعضهم لبعض: من أهل هذا العذاب ولمن هو سلوا عنه محمداً فسألوه فأنزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع للكافرين أي هو للكافرين. والباء صلة ومعنى الآية دعا داع وطلب طالب عذاباً واقعاً للكافرين. وهذا السائل هو النضر بن الحارث حيث دعا على نفسه وسأل العذاب فقال «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك» الآية فنزل به ما سأل فقتل يوم بدر صبراً وهذا قول ابن عباس،

سُوْرَة المَعَارِج

مكيّة وهي أربع وأربعون آية.

﴿ سأل سائل ﴾، قرأ أهل المدينة والشام ﴿ سأل ﴾ بغير همز وقرأ الآخرون بالهمز، فمَن همز فهو من السؤال، ومَن قرأ بغير همز قيل: هو لغة في السؤال، يقال: سال يسال مثل خاف يخاف، يعني سال يسال خفف الهمزة وجعلها ألفاً. وقيل: هو من السيل. وسال وادٍ من أودية جهنم، يُروَى ذلك عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، والأول أصح. واختلفوا في الباء في قوله: ﴿ بعذاب ﴾، قيل: هي بمعنى (عن) كقوله: ﴿ فاسئلْ به خبيراً ﴾ [الفرقان: ٥٩] أي عنه خبير، ومعنى الآية سأل سائل عن عذاب، ﴿ واقع ﴾، نازل كائن على مَن ينزل ولمَن ذلك العذاب.

فقال الله مبيّناً مُجيباً لذلك السائل: ﴿ للكافرين ﴾، وذلك أن أهل مكة لمّا خوّفهم النبي ﷺ بالعذاب قال بعضهم لبعض: مَن أهل هذا العذاب؟ ولمَن هو؟ سلوا عنه محمداً فسألوه فأنزل الله: ﴿ سأل سائل بعذاب واقع

﴿ليس له دافع﴾ أي أن العذاب واقع بهم لا محالة سواء طلبوه أو لم يطلبوه إما في الدنيا بالقتل وإما في الآخرة، لأن العذاب واقع بهم في الآخرة لا يدفعه دافع ﴿من الله﴾ أي بعذاب من الله، والمعنى ليس لذلك العذاب الصادر من الله للكافرين دافع يدفعه عنهم ﴿ذي المعارج﴾ قال ابن عباس ذي السموات سماها معارج لأن الملائكة تعرج فيها. وقيل ذي الدرجات وهي المصاعد التي تعرج الملائكة فيها. وقيل ذي الفواضل والنعم وذلك لأن أفضاله وأنعامه مراتب وهي تصل إلى الخلق على مراتب مختلفة، ﴿تعرج الملائكة والروح﴾ يعني جبريل عليه الصلاة والسلام وإنما أفرده بالذكر وإن كان من جملة الملائكة لشرفه وفضل منزلته. وقيل إن الله تعالى إذا ذكر الملائكة في معرض التخويف والتهويل أفرد الروح بالذكر وهذا يقتضي أن الروح أعظم الملائكة ﴿إليه﴾ أي إلى الله عز وجل ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ أي من سني الدنيا. والمعنى أنه لو صعد غير الملك من بني آدم من منتهى أمر الله تعالى من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى أمر الله تعالى من فوق السماء السابعة لما صعد في أقل من خمسين ألف سنة والملك يقطع ذلك كله في ساعة واحدة وأقل من ذلك وذكر أن مقدار ما بين الأرض السابعة السفلى إلى منتهى العرش مسافة خمسين ألف سنة. وقيل إن ذلك اليوم هو يوم القيامة قال الحسن هو يوم القيامة وأراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس في مقدار خمسين ألف سنة من سني الدنيا وليس يعني أن مقدار طول ذلك اليوم خمسون ألف سنة دون غيره من الأيام لأن يوم القيامة له أول وليس له آخر لأنه يوم ممدود لا آخر له. ولو كان له آخر لكان منقطعاً وهذا الطول في حق الكفار دون المؤمنين. قال ابن عباس يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة. وروى البغوي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال «قيل لرسول الله ﷺ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فما أطول هذا اليوم فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصليها في

للكافرين ﴾ أي هو للكافرين، هذا قول الحسن وقتادة. وقيل: التاء صلة ومعنى الآية: دعا داعٍ وسأل سائل عذاباً واقعاً للكافرين أي على الكافرين، اللام بمعنى على، وهو النضر بن الحارث حيث دعا على نفسه وسأل العذاب، فقال: اللّهمَّ إن كان هذا هو الحق من عندك، الآية، فنزل به ما سأل يوم بدر فقتل صبراً. وهذا قول ابن عباس ومجاهد. ﴿ ليس له دافع ﴾.

﴿ من الله ﴾، أي بعذاب من الله، ﴿ ذي المعارج ﴾، قال ابن عباس: أي ذي السمٰوات، سمّاها معارج لأن الملائكة تعرج فيها. وقال سعيد بن جبير: ذي الدرجات. وقال قتادة: ذي الفواضل والنِّعَم، ومعارج الملائكة.

﴿ تعرج الملائكة ﴾، قرأ الكسائي (يعرج) بالياء، وهي قراءة ابن مسعود، وقرأ الآخرون ﴿ تعرج ﴾ بالتاء، ﴿ والروح ﴾، يعني جبريل عليه السلام، ﴿ إليه ﴾ أي إلى الله عزّ وجلّ، ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾، من سني الدنيا لو صعد غير الملك من بني آدم من منتهى أمر الله تعالى من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى أمر الله تعالى من فوق السماء السابعة، لما صعد في أقل من خمسين ألف سنة والملك يقطع ذلك كله في ساعة واحدة. وروى ليث عن مجاهد أن مقدار هذا خمسين ألف سنة. وقال محمد بن إسحاق: لو سار بنو آدم من الدنيا إلى موضع العرش ساروا خمسين ألف سنة. وقال عكرمة وقتادة: هو يوم القيامة. وقال الحسن أيضاً: هو يوم القيامة. وأراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسون ألف سنة من سني الدنيا، ليس يعني به أن مقدار طوله هذا دون غيره لأن يوم القيامة له أول وليس له آخر لأنه يوم ممدود، ولو كان له آخر لكان منقطعاً. وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: هو يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة، أخبرنا أبو الفرج المظفر بن إسماعيل التميمي أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ ثنا عبد الله بن سعيد ثنا أسد بن موسى ثنا ابن لهيعة عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال:

الدنيا» وقال ابن عباس معناه لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة. وقال عطاء ويفرغ الله تعالى منها في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا. وقال الكلبي يقول الله تعالى لو وليت حساب ذلك اليوم الملائكة والجن والإنس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه في خمسين ألف سنة وأنا أفرغ منه في ساعة من نهار. وقال يمان هو يوم القيامة فيه خمسون موطناً كل موطن ألف سنة فعلى هذا يكون المعنى ليس له دافع من الله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة. وقيل معناه سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وفيه تقديم وتأخير.

فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾

﴿**فاصبر**﴾ أي يا محمد على تكذيبهم إياك ﴿**صبراً جميلاً**﴾ أي لا جزع فيه وهذا قبل أن يؤمر بالقتال ثم نسخ بآية السيف، ﴿**إنهم يرونه**﴾ أي العذاب ﴿**بعيداً**﴾ أي غير كائن ﴿**ونراه قريباً**﴾ أي كائناً لا محالة لأن كل ما هو آت قريب، وقيل الضمير في يرونه بعيداً يعود إلى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة والمعنى أنهم يستبعدونه على جهة الانكسار والإحالة ونحن نراه قريباً في قدرتنا غير بعيد علينا فلا يتعذر علينا إمكانه ﴿**يوم تكون السماء كالمهل**﴾ أي كعكر الزيت وقال الحسن كالفضة المذابة ﴿**وتكون الجبال كالعهن**﴾ أي الصوف المصبوغ. وإنما شبه الجبال بالمصبوغ من الصوف لأنها ذات ألوان أحمر وأبيض وغرابيب سود ونحو ذلك فإذا بست الجبال وسيرت أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح. وقيل العهن الصوف الأحمر وهو أضعف الصوف وأول ما تتغير الجبال تصير رملاً مهيلاً ثم عهناً منفوشاً

قيل لرسول الله ﷺ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة: فما أطول هذا اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنه ليخفّف على المؤمن حتى يكون أخفّ من صلاة مكتوبة يصلّيها في الدنيا». وقيل: معناه لو وُلِّي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة. وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس ومقاتل. وقال عطاء ويفرغ الله منه في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا. وروى محمد بن الفضل عن الكلبي قال: يقول لو ولّيتُ حسابَ ذلك اليوم الملائكةَ والجنَّ والإنسَ وطوّقتُهم محاسبتهم لم يفرغوا منه في خمسين ألف سنة، وأنا أفرغ منها في ساعة من النهار. وقال يمان: هو يوم القيامة فيه خمسون موطناً كل موطن ألف سنة. وفيه تقديم وتأخير كأنه قال: ليس له دافع من الله ذي المعارج في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة تعرج الملائكة والروح إليه.

﴿ **فاصبرْ صبراً جميلاً** ﴾، يا محمد على تكذيبهم، وهذا قبل أن يؤمر بالقتال.

﴿ **إنهم يرونه بعيداً** ﴾، يعني العذاب، ﴿ **ونراه قريباً** ﴾، لأن ما هو آت قريب وهو يوم القيامة.

﴿ **يوم تكون السماء كالمهل** ﴾، كعكر الزيت. وقال الحسن: كالفضة إذا أُذيبت.

﴿ **وتكون الجبال كالعهن** ﴾، كالصوف المصبوغ. ولا يقال: عهن إلّا للمصبوغ. وقال مقاتل: كالصوف المنفوش. وقال الحسن: كالصوف الأحمر وهو أضعف الصوف، وأول ما تتغير الجبال تصير رملاً مهيلاً ثم عهناً منفوشاً ثم تصير هباءً منثوراً.

﴿ **ولا يسأل حميم حميماً** ﴾، قرأ البزّي عن ابن كثير ﴿ **ولا يسأل** ﴾ بضم الياء أي لا يسأل حميم عن حميم، أي لا يقال له أين حميمك؟ وقرأ الآخرون بفتح الياء، أي لا يسأل قريب قريباً لشغله بشأن نفسه.

ثم تصير هباء منثوراً ﴿ولا يسأل حميم حميماً﴾ أي لا يسأل قريب قريبه لشغله بشأن نفسه والمعنى لا يسأل الحميم حميمه كيف حالك ولا يكلمه لهول ذلك اليوم وشدته. وقيل لا يسأله الشفاعة ولا يسأله الإحسان إليه ولا الرفق به كما كان يسأله في الدنيا وذلك لشدة الأمر وهول يوم القيامة ﴿يبصرونهم﴾ أي يرونهم وليس في القيامة مخلوق من جن أو إنس إلا وهو نصف عين صاحبه فيبصر الرجل أباه وأخاه وقرابته فلا يسألهم ويبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه. وقال ابن عباس يتعارفون ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعد ذلك، وقيل يعرف الحميم حميمه ومع ذلك لا يسأله عن حاله لشغله بنفسه. وقيل يبصرونهم أي يعرفونهم أما المؤمن فيعرف ببياض وجهه وأما الكافر فيعرف بسواد وجهه ﴿يود المجرم﴾ أي يتمنى المشرك ﴿لو يفتدي من عذاب يومئذ﴾ أي عذاب يوم القيامة ﴿ببنيه وصاحبته﴾ أي زوجته ﴿وأخيه وفصيلته﴾ أي عشيرته وقيل قبيلته وقيل أقربائه الأقربين ﴿التي تؤويه﴾ أي تضمه ويأوي إليها ﴿ومن في الأرض جميعاً﴾ يعني أنه يتمنى لو ملك هؤلاء وكانوا تحت يده ثم إنه يفتدي بهم جميعاً ﴿ثم ينجيه﴾ أي ذلك الفداء من عذاب الله.

كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾

﴿كلا﴾ أي لا ينجيه من عذاب الله شيء ثم ابتدأ فقال تعالى ﴿إنها لظى﴾ يعني النار ولظى اسم من أسمائها وقيل: الدركة الثانية من النار سميت لظى لأنها تتلظى أي تلتهب، ﴿نزاعة للشوى﴾ يعني الأطراف كاليدين والرجلين مما ليس بمقتل. والمعنى أن النار تنزع الأطراف فلا تترك عليها لحماً ولا جلداً. وقال ابن عباس تنزع العصب والعقب وقيل تنزع اللحم دون العظام وقيل تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان ثم تأكله فذلك دأبها. وقيل لمكارم خلقه ومحاسن وجهه وأطرافه، ﴿تدعو﴾ يعني النار إلى نفسها ﴿من أدبر﴾ أي عن الإيمان ﴿وتولى﴾ أي عن الحق فتقول له إليّ يا مشرك إليّ يا منافق إليّ إليّ. قال ابن عباس تدعو الكافر والمنافق بأسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط

﴿ يبصّرونهم ﴾ يـرونهم وليس في القيامة مخلوق إلاّ وهو نصب عين صاحبه من الجنّ والإنس فيبصر الرجل أباه وأخاه وقرابته فلا يسأله، ويبصر حميمه فلا يكلّمه لاشتغاله بنفسه. قال ابن عباس: يتعارفون ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعده. وقيل: يبصرونهم يعرفونهم أي يعرف الحميم حميمه حتى يعرفه، ومع ذلك لا يسأله عن شأنه لشغله بنفسه. وقال السدي: يعرفونهم أمّا المؤمن فببياض وجهه، وأما الكافر فبسواد وجهه، ﴿ يودّ المجرم ﴾، يتمنى المشرك، ﴿ لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه ﴾.

﴿ وصاحبته ﴾، زوجته، ﴿ وأخيه * وفصيلته ﴾، عشيرته التي فصل منهم. وقال مجاهد: قبيلته. وقال غيره: أقربائه الأقربين. ﴿ التي تؤويه ﴾، أي تعنيه ويأوي إليها.

﴿ ومَنْ في الأرض جميعاً ﴾، يودّ لو يفتدي بهم جميعاً، ﴿ ثم ينجيه ﴾، ذلك الفداء من عذاب الله.

﴿ كلا ﴾، لا ينجيه من عذاب الله شيء، ثم ابتدأ فقال: ﴿ إنها لظى ﴾، وهي اسم من أسماء جهنم. وقيل: هي الدركة الثانية، سُمّيت بذلك لأنها تتلظى أي تتلهب.

﴿ نزّاعة للشّوى ﴾، قرأ حفص عن عاصم ﴿ نزّاعة ﴾ نصب على الحال والقطع، وقرأ الآخرون بالرفع أي هي نزّاعة للشّوى، وهي الأطراف: اليدان، والرجلان، والأطراف. وقال مجاهد: لجلود الرأس. وروى إبراهيم بن المهاجر عنه: اللحم دون العظام. قال مقاتل: تنزع النار الأطراف فلا تترك لحماً ولا جلداً. وقال الضحاك: تنزع

الطير الحب. وقيل تدعو أي تعذب قال أعرابي لآخر دعاك الله أي عذبك الله ﴿وجمع فأوعى﴾ يعني وتدعو من جمع المال في الوعاء ولم يؤد حق الله منه، ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً﴾ قال ابن عباس الهلوع الحريص على ما لا يحل. وقيل شحيحاً بخيلاً. وقيل ضجوراً وقيل جزوعاً، وقيل ضيق القلب والهلع شدة الحرص وقلة الصبر وقال ابن عباس تفسيره ما بعده وهو قوله تعالى: ﴿إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً﴾ يعني إذا أصابه الفقر لم يصبر وإذا أصابه المال لم ينفق. وقال ابن كيسان خلق الله الإنسان يحب ما يسره ويهرب مما يكره ثم تعبده بإنفاق ما يحب والصبر على ما يكره. قيل أراد بالإنسان هنا الكافر وقيل هو على عمومه ثم استثنى الله عز وجل فقال تعالى: ﴿إلا المصلين﴾ وهذا استثناء الجمع من الواحد لأن الإنسان واحد وفيه معنى الجمع ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ يعني يقيمونها في أوقاتها وهي الفرائض.

فإن قلت كيف قال على صلاتهم دائمون ثم قال بعده على صلاتهم يحافظون؟

قلت معنى إدامتهم عليها أن يواظبوا على أدائها، وأن لا يتركوها في شيء من الأوقات وأن لا يشتغلوا عنها بغيرها إذا دخل وقتها، والمحافظة عليها ترجع إلى الاهتمام بحالها وهو أن يأتي بها العبد على أكمل الوجوه. وهذا إنما يحصل بأمور ثلاثة منها ما هو سابق للصلاة كاشتغاله بالوضوء وستر العورة وإرصاد المكان الطاهر للصلاة، وقصد الجماعة وتعلق القلب بدخول وقتها وتفريغه عن الوسواس والالتفات إلى ما سوى الله عز وجل. وأما الأمور المقارنة للصلاة فهي أن لا يلتفت في الصلاة يميناً ولا شمالاً وأن يكون حاضر القلب في جميعها بالخشوع والخوف

الجلد واللحم عن العظام. قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: للعصب والعقب. وقال الكلبي: لأُم الرأس تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان، ثم تعود لأكله فتأكله فذلك دأبها. وقال قتادة: لمكارم خلقه وأطرافه. وقال أبو العالية: لمحاسن وجهه. وقال ابن جرير: الشّوى جوارح الإنسان ما لم يكن مقتلاً، يقال: رمى فأشوى إذا أصاب الأطراف ولم يصب المقتل.

﴿ تدعو ﴾، النار إلى نفسها، ﴿ مَن أدبر ﴾، على الإيمان، ﴿ وتولى ﴾، عن الحق فتقول إليّ يا مشرك إليّ يا منافق إليّ إليّ. قال ابن عباس: تدعو الكافرين والمنافقين بأسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب. حُكِيَ عن الخليل: أنه قال: تدعو أي تعذب. وقال: قال أعرابي لآخر: دَعاك الله أي عذّبك الله.

﴿ وجمع ﴾، أي جمع المال، ﴿ فأوعى ﴾، أمسكه في الوعاء ولم يُؤدِّ حق الله منه.

﴿ إن الإنسان خُلق هلوعاً ﴾، روى السدي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: الهلوع الحريص على ما لا يحلّ له. وقال سعيد بن جبير: شحيحاً. وقال عكرمة: ضجوراً. وقال الضحاك والحسن: بخيلاً. وقال قتادة: جزوعاً. وقال مقاتل: ضيّق القلب. والهلع: شدّة الحرص، وقلّة الصبر. وقال عطية عن ابن عباس: تفسيره ما بعد.

وهو قوله: ﴿ إذا مسّه الشرُّ جزوعاً * وإذا مسّه الخيرُ منوعاً ﴾، يعني إذا أصابه الفقر لم يصبر، وإذا أصابه المال لم ينفق. قال ابن كيسان: خلق الإنسان يحبّ ما يسرّه ويهرب مما يكره، ثم تعبده بإنفاق ما يحبّ والصبر على ما يكره.

ثم استثنى فقال: ﴿ إلاّ المصلّين ﴾، استثنى الجمع من الواحد لأن الإنسان في معنى الجمع.

﴿ الذين هم على صلاتهم دائمون ﴾، يقيمونها في أوقاتها يعني الفرائض. أخبرنا أبو بكر محمد بن

وإتمام ركوعها وسجودها. وأما الأمور الخارجة عن الصلاة فهو أن يحترز عن الرياء والسمعة خوف أن لا تقبل منه مع الابتهال والتضرع إلى الله تعالى في سؤال قبولها وطلب الثواب فالمداومة على الصلاة ترجع إلى نفسها والمحافظة عليها ترجع إلى أحوالها وهيئاتها. وروى البغوي بسنده عن أبي الخير قال سألنا عقبة بن عامر عن قوله عز وجل الذين هم على صلاتهم دائمون أهم الذين يصلون أبداً؟ قال لا ولكنه إذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه.

وَالَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

﴿**والذين في أموالهم حق معلوم**﴾ يعني الزكاة المفروضة لأنها مقدرة معلومة. وقيل هي صدقة التطوع وذلك بأن يوظف الرجل على نفسه شيئاً من الصدقة يخرجه على سبيل الندب في أوقات معلومة ﴿**للسائل**﴾ يعني الذي يسأل ﴿**والمحروم**﴾ يعني الفقير المتعفف عن السؤال فيحسب غنياً فيحرم ﴿**والذين يصدقون بيوم الدين**﴾ أي يؤمنون بالبعث بعد الموت والحشر والنشر والجزاء يوم القيامة ﴿**والذين هم من عذاب ربهم مشفقون**﴾ أي خائفون ثم أكد ذلك الخوف فقال تعالى: ﴿**إن عذاب ربهم غير مأمون**﴾ يعني أن الإنسان لا يمكنه القطع بأنه أدى الواجبات كما ينبغي ولا اجتنب المحظورات بالكلية كما ينبغي بل قد يكون وقع منه تقصير من الجانبين فلا جرم ينبغي أن يكون بين الخوف والرجاء.

قوله تعالى: ﴿**والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**﴾ تقدم تفسيره في سورة المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿**والذين هم بشهاداتهم قائمون**﴾ أي يقومون فيها عند الحكام ولا يكتمونها ولا يغيرونها وهذه الشهادة من جملة الأمانات إلا أنه خصها بالذكر لفضلها لأن بها تحيا الحقوق وتظهر وفي تركها تموت وتضيع، وقيل أراد بالشهادة الشهادة له بأن لا إله إلا الله واحد لا شريك له ولهذا عطف عليها ﴿**والذين هم على صلواتهم يحافظون**﴾

عبدالله بن أبي توبة ثنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن أبي لهيعة حدّثني يزيد بن أبي حبيب أن أبا الخير أخبره قال: سألنا عقبة بن عامر عن قول الله تعالى: ﴿ **الذين هم على صلاتهم دائمون** ﴾ أهم الذين يصلّون أبداً؟ قال: لا ولكنهم إذا صلّوا لم يلتفتوا عن يمينهم ولا عن شمائلهم ولا خلفهم.

﴿ **والذين في أموالهم حقٌّ معلوم * للسائل والمحروم * والذين يُصدِّقون بيوم الدين * والذين هم من عذاب ربهم مشفقون * إن عذاب ربِّهم غير مأمون * والذين هم لفروجهم حافظون * إلّا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمَن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون * والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم بشهاداتهم قائمون** ﴾، قرأ حفص عن عاصم ويعقوب بشهاداتهم على الجمع، وقرأ الآخرون بشهادتهم على التوحيد. ﴿ **قائمون** ﴾ أي يقومون فيها بالحق ولا يكتمونها ولا يغيّرونها.

ثم ذكر ما أعده لهم فقال تعالى: ﴿أولئك﴾ يعني من هذه صفته ﴿في جنات مكرمون﴾ قوله تعالى: ﴿فمال الذين كفروا﴾ أي فما بالهم ﴿قبلك مهطعين﴾ أي مسرعين مقبلين إليك مادي أعناقهم ومديمي النظر إليك متطلعين نحوك، نزلت في جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبي ﷺ يسمعون كلامه ويستهزئون به ويكذبونه فقال الله تعالى ما لهم ينظرون إليك ويجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يسمعون منك ﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾ يعني أنهم كانوا عن يمينه وعن شماله مجتمعين حلقاً وفرقاً، والعزون جماعات في تفرقة ﴿أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم﴾ قال ابن عباس معناه أيطمع كل رجل منهم أن يدخل جنتي نعيم كما يدخلها المسلمون ويتنعمون فيها وقد كذبوا نبيي، ﴿كلا﴾ أي لا يدخلها ثم ابتدأ فقال تعالى ﴿إنا خلقناهم مما يعلمون﴾ أي من الأشياء المستقذرة من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة نبه الله على أنهم خلقوا من أصل واحد وشيء واحد وإنما يتفاضلون بالمعرفة ويستوجبون الجنة بالإيمان والطاعة. روى البغوي بإسناد الثعلبي عن بشر بن جحاش قال: قال رسول الله ﷺ وبصق يوماً في كفه ووضع عليها أصبعه فقال «يقول الله عز وجل يا ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك ومشيت بين بردين والأرض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة»، وأخرجه ابن الجوزي في تفسيره بلا إسناد. وقيل في معنى الآية إنا خلقناهم من أجل ما يعلمون وهو الأمر والنهي والثواب والعقاب. وقيل معناه إنا خلقناهم ممن يعلمون ويعقلون ولم نخلقهم كالبهائم بلا علم ولا عقل.

فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ

﴿ والذين هم على صلاتهم يحافظون * أولئك في جنّات مكرمون ﴾.

﴿ فمالِ الذين كفروا ﴾، أي فما بال الذين كفروا، كقوله: ﴿ فما لهم عن التذكرة مُعرِضين ﴾ [المدّثر: ٤٩]، ﴿ قِبَلك مهطعين ﴾، مسرعين مقبلين إليك مادّي أعناقهم ومُديمي النظر إليك متطلعين نحوك، نزلت في جماعة من الكفّار كانوا يجتمعون حول النبي ﷺ يستمعون كلامه ويستهزئون به ويكذبونه، فقال الله تعالى: ما لهم ينظرون إليك ويجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يستمعون.

﴿ عن اليمين وعن الشمال عِزين ﴾، حلقاً وفرقاً، والعزون: جماعات في تفرقة واحدتها عزة.

﴿ أيَطْمَعُ كلُّ امرىء منهم أن يدخل جنّة نعيم ﴾، قال ابن عباس: معناه أيطمع كل رجل منهم أن يدخل جنتي كما يدخلها المسلمون ويتنعم فيها وقد كذب نبي؟

﴿ كلاّ ﴾، لا يدخلونها، ثم ابتدأ فقال: ﴿ إنّا خلقناهم مما يعلمون ﴾، أي من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، نبّه الناس على أنهم خلقوا من أصل واحد وإنما يتفاضلون ويستوجبون الجنة بالإيمان والطاعة. أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه ثنا موسى بن محمد بن علي ثنا جعفر بن محمد الفريابي ثنا صفوان بن صالح ثنا الوليد بن مسلم ثنا جرير بن عثمان الرحبي عن عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشر بن جحاش قال: قال النبي ﷺ وبصق يوماً في كفّه ووضع عليها إصبعه فقال: «يقول الله عزّ وجلّ: ابـن آدم أنّى تعجزني وقد خلقتُك من مثل هذه، حتى إذا سوّيتُك وعدلتُك، ومشيت بين بردين، والأرض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدّق، وأنى أوان الصدقة»؟ وقيل: معناه إنّا خلقناهم من أجل ما يعلمون وهو الأمر والنهي والثواب والعقاب. وقيل: (ما) بمعنى (من)، مجازه: إنّا خلقناهم ممّن يعلمون ويعقلون لا كالبهائم.

يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

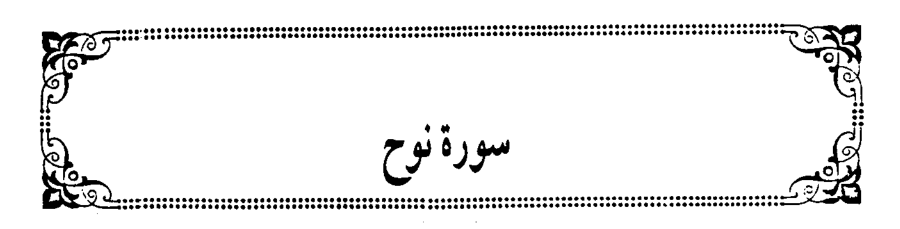
﴿**فلا أقسم**﴾ يعني وأقسم وقد تقدم بيانه ﴿**برب المشارق والمغارب**﴾ يعني مشرق كل يوم من السنة ومغربه. وقيل يعني مشرق كل نجم ومغربه ﴿**إنا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم**﴾ معناه إنا لقادرون على إهلاكهم وعلى أن نخلق أمثل منهم وأطوع لله ﴿**وما نحن بمسبوقين**﴾ أي بمغلوبين عاجزين عن إهلاككم وإبدالكم بمن هو خير منكم ﴿**فذرهم يخوضوا**﴾ أي في أباطيلهم ﴿**ويلعبوا**﴾ في دنياهم ﴿**حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون**﴾ نسختها آية القتال ثم فسر ذلك فقال تعالى: ﴿**يوم يخرجون من الأجداث**﴾ يعني القبور ﴿**سراعاً**﴾ أي إلى إجابة الداعي ﴿**كأنهم إلى نصب**﴾ يعني إلى شيء منصوب كالعلم والراية ونحوه. وقرىء بضم النون والصاد وهي الأصنام التي كانوا يعبدونها ﴿**يوفضون**﴾ أي يسرعون ومعنى الآية أنهم يخرجون من الأجداث يسرعون إلى الداعي مستبقين إليه كما كانوا يستبقون إلى نصبهم ليستلموها ﴿**خاشعة أبصارهم**﴾ أي ذليلة خاضعة ﴿**ترهقهم ذلة**﴾ أي يغشاهم هوان ﴿**ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون**﴾ يعني يوم القيامة الذي كانوا يوعدون به في الدنيا، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ **فلا أقسم بربّ المشارق والمغارب** ﴾، يعني مشرق كل يوم من السنة ومغربه، ﴿ **إنّا لقادرون * على أن نبدل خيراً منهم** ﴾، على أن نخلق أمثل منهم وأطوع لله، ﴿ **وما نحن بمسبوقين** ﴾.

﴿ **فذرهم يخوضوا** ﴾، في باطلهم، ﴿ **ويلعبوا** ﴾، في دنياهم، ﴿ **حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون** ﴾، نسختها آية القتال.

﴿ **يوم يخرجون من الأجداث** ﴾، أي القبور، ﴿ **سراعاً** ﴾، إلى إجابة الداعي، ﴿ **كأنهم إلى نصب** ﴾، قرأ ابن عامر وحفص ﴿ **نصب** ﴾، بضم النون والصاد، وقرأ الآخرون بفتح النون وسكون الصاد، يعنون إلى شيء منصوب، يقال: فلان نُصْبَ عيني. وقال الكلبي: إلى علم ودراية. ومَن قرأ بالضم. قال مقاتل والكسائي: يعني إلى أوثانهم التي كانوا يعبدونها من دون الله. قال الحسن: يسرعون إليها أيّهم يستلمها أولاً. ﴿ **يوفضون** ﴾، أي يسرعون.

﴿ **خاشعة** ﴾، ذليلة خاضعة ﴿ **أبصارهم ترهقهم ذلّة** ﴾، يغشاهم هوان، ﴿ **ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون** ﴾، يعني يوم القيامة.



سورة نوح

مكية وهي ثمان وعشرون آية ومائتان وأربعة وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وتسعون حرفاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾
أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ
لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾

قوله عز وجل: ﴿**إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك**﴾ أي بأن خوف قومك وحذرهم ﴿**من قبل أن يأتيهم عذاب أليم**﴾ يعني الغرق بالطوفان والمعنى إنا أرسلناه لينذرهم بالعذاب إن لم يؤمنوا ﴿**قال يا قوم إني لكم نذير مبين**﴾ أي أنذركم وأبين لكم ﴿**أن اعبدوا الله**﴾ أي وحدوه ولا تشركوا به شيئاً ﴿**واتقوه**﴾ أي وخافوه بأن تحفظوا أنفسكم مما يؤثمكم ﴿**وأطيعون**﴾ أي فيما آمركم به من عبادة الله وتقواه ﴿**يغفر لكم من ذنوبكم**﴾ أي يغفر لكم ذنوبكم. ومن صلة وقيل يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم إلى وقت الإيمان وذلك بعض الذنوب ﴿**ويؤخركم إلى أجل مسمى**﴾ أي إلى منتهى آجالكم فلا يعاقبكم ﴿**إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون**﴾، معناه يقول آمنوا قبل الموت تسلموا من العذاب فإن أجل الله وهو الموت إذا جاء لا يؤخر، قال الزمخشري إن قلت كيف قال ويؤخركم مع الإخبار بامتناع تأخير الأجل وهل هذا إلى تناقض قلت قضى مثلاً أن قوم نوح إن آمنوا عمرهم ألف سنة وإن بقوا على كفرهم أهلكهم

سُورَة نُوح

مكيّة وهي ثمانٍ وعشرون آية.

﴿ **إنّا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك** ﴾، بأن أنذر قومك، ﴿ **من قبل أن يأتيهم عذاب أليم** ﴾، المعنى: إنّا أرسلناه لينذرهم بالعذاب إن لم يؤمنوا.

﴿ **قال يا قوم إني لكم نذير مبين** ﴾، أُنذركم وأُبيّن لكم.

﴿ **أنِ اعبدوا الله واتّقوه وأطيعون * يغفر لكم من ذنوبكم** ﴾، ﴿ **من** ﴾ صلة أي يغفر لكم ذنوبكم. وقيل: يعني ما سلف من ذنوبكم إلى وقت الإيمان، وذلك بعض ذنوبهم، ﴿ **ويؤخّركم إلى أجَلٍ مسمى** ﴾، أن يعافيكم إلى منتهى آجالكم فلا يعاقبكم، ﴿ **إنّ أجلَ الله إذا جاء لا يؤخّر لو كنتم تعلمون** ﴾، يقول آمنوا قبل الموت، تسلموا من العذاب، فإن أجل الله إذا جاء لا يؤخّر ولا يمكنكم الإيمان.

على رأس تسعمائة سنة فقيل لهم آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمى أي إلى وقت سماه الله وضربه أمداً تنتهون إليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الأطول تمام الألف. ثم أخبر أنه إذا جاء ذلك الأجل لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن حيلة فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير عنكم وحيث يمكنكم الإيمان، ﴿قال﴾ يعني نوحاً عليه الصلاة والسلام ﴿رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعائي إلا فراراً﴾ أي نفاراً وإدباراً عن الإيمان ﴿وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم﴾ أي ليؤمنوا بك فتغفر لهم ﴿جعلوا أصابعهم في آذانهم﴾ لئلا يسمعوا دعوتي ﴿واستغشوا ثيابهم﴾ أي غطوا وجوههم بثيابهم لئلا يرون ﴿وأسروا﴾ على كفرهم ﴿واستكبروا﴾ عن الإيمان بك ﴿استكباراً﴾ أي تكبراً عظيماً ﴿ثم إني دعوتهم جهاراً﴾ أي معلناً قال ابن عباس بأعلى صوتي.

﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾

﴿ثم إني أعلنت لهم﴾ أي كررت لهم الدعاء معلناً ﴿وأسررت لهم إسراراً﴾ قال ابن عباس يريد الرجل بعد الرجل أكلمه سراً بيني وبينه أدعوه إلى عبادتك وتوحيدك ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً﴾ وذلك أن قوم نوح لما كذبوه زماناً طويلاً حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة فهلكت أموالهم ومواشيهم فقال لهم استغفروا ربكم أي من الشرك واطلبوا المغفرة بالتوحيد حتى يفتح عليكم أبواب نعمه وذلك لأن الاشتغال بالطاعة يكون سبباً لاتساع الخير والرزق.

وأن الكفر سبب لهلاك الدنيا فإذا اشتغلوا بالإيمان والطاعة حصل ما يحتاجون إليه في الدنيا. وروى الشعبي أن

﴿ قال ربِّ إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً * فلم يزدهم دعائي إلاّ فراراً ﴾، نفاراً وإدباراً عن الإيمان.

﴿ وإني كلما دعوتهم ﴾، إلى الإيمان بك، ﴿ لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم ﴾، لئلا يسمعوا دعوتي، ﴿ واستغشوا ثيابهم ﴾، غطّوا بها وجوههم لئلا يروني، ﴿ وأصرّوا ﴾، على كفرهم. ﴿ واستكبروا ﴾، عن الإيمان بك، ﴿ استكباراً ﴾.

﴿ ثم إني دعوتهم جهاراً ﴾، معناه: بالدعاء. قال ابن عباس: بأعلى صوتي.

﴿ ثم إني أعلنت لهم ﴾، أي كرّرت الدعاء مُعلناً، ﴿ وأسررت لهم إسراراً ﴾، قال ابن عباس: يريد الرجل بعد الرجل أكلمه سرّاً بيني وبينه، أدعوه إلى عبادتك وتوحيدك.

﴿ فقلتُ استغفروا ربَّكم إنه كان غفّاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً ﴾، وذلك أن قوم نوح لمّا كذّبوه زماناً طويلاً حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، فهلكت أولادهم وأموالهم ومواشيهم، فقال لهم نوح: استغفروا ربكم من الشرك، أي استدعوا المغفرة بالتوحيد، يرسلِ السماء عليكم مدراراً. وروى مطرف عن الشعبي أن عمر رضي الله تعالى عنه خرج يستسقي بالناس، فلم يزد على الاستغفار حتى رجع، فقيل له: ما سمعناك استسقيت؟ فقال: طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يستنزل بها القطر، ثم قرأ: ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفّاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً ﴾.

عمر بن الخطاب خرج يستسقي بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى يرجع فقيل له ما سمعناك استسقيت فقال طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يستنزل بها القطر ثم قرأ ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفاراً﴾ الآية قوله بمجاديح السماء واحدها مجدح وهو نجم من النجوم. وقيل هو الدبران وقيل هي ثلاثة كواكب كالأثافي تشبيهاً بالمجدح الذي له شعب وهي عند العرب من الأنواء الدالة على المطر فجعل عمر الاستغفار مشبهاً بالأنواء مخاطبة لهم بما يعرفون وكانوا يزعمون أن من شأنها المطر لا أنه يقول بالأنواء.

وعن بكر بن عبد الله أن أكثر الناس ذنوباً أقلهم استغفاراً وأكثرهم استغفاراً أقلهم ذنوباً. وعن الحسن أن رجلاً شكا إليه الجدب فقال له استغفر الله وشكا آخر إليه الفقر وقلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون أنواعاً فأمرتهم كلهم بالاستغفار؟ فتلا هذه الآية وقوله يرسل السماء عليكم أي يرسل ماء السماء وذلك لأن ماء المطر ينزل من السماء إلى السحاب ثم ينزل من السحاب إلى الأرض. وقيل أراد بالسماء السحاب، وقيل أراد بالسماء المطر من قول الشاعر

إذا نزل السماء بأرض قوم فحلوا حيثما نزل السماء

يعني المطر مدراراً أي كثير الدر وهو حلب الشاة حالاً بعد حال. وقيل مدراراً أي متتابعاً ﴿ويمددكم بأموال وبنين﴾ أي يكثر أموالكم وأولادكم ﴿ويجعل لكم جنات﴾ أي البساتين ﴿ويجعل لكم أنهاراً﴾ وهذا كله مما يميل طبع البشرية إليه ﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً﴾ قال ابن عباس أي لا ترون لله عظمة. وقيل معناه لا تخافون عظمته فالرجاء بمعنى الخوف، والوقار العظمة من التوقير وهو التعظيم. وقيل التعظيم وقيل معناه ما لكم لا تعرفون لله حقاً ولا تشكرون له نعمة وقيل معناه ما لكم لا ترجون في عبادة الله أن يثيبكم على توقيركم إياه خيراً ﴿وقد خلقكم أطواراً﴾ يعني تارة بعد تارة وحالاً بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى تمام الخلق. وقيل معناه خلقكم أصنافاً مختلفين لا يشبه بعضكم بعضاً وهذا مما يدل على وحدانية الله وسعة قدرته ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً﴾ أي بعضها فوق بعض.

﴿وجعل القمر فيهن نوراً﴾ يعني في سماء الدنيا وقوله فيهن هو كما يقال أتيت بني تميم وإنما أتى رجلاً منهم ﴿وجعل الشمس سراجاً﴾ يعني مصباحاً مضيئة. قال عبد الله بن عمرو إن الشمس والقمر وجوههما إلى السموات وضوء الشمس والقمر فيهن جميعاً وأقفيتهما إلى الأرض ويروى هذا عن ابن عباس أيضاً، ﴿والله أنبتكم من الأرض

﴿ويُمددكم بأموالٍ وبنينَ﴾، قال عطاء: يكثّر أموالكم وأولادكم، ﴿ويجعل لكم جنّات ويجعل لكم أنهاراً * ما لكم لا ترجون لله وقاراً﴾، قال ابن عباس ومجاهد: لا ترون لله عظمة. وقال سعيد بن جبير: ما لكم لا تعظّمون الله حق عظمته. وقال الكلبي: لا تخافون الله حقّ عظمته. والرجاء: بمعنى الخوف، والوقار: العظمة، اسم من التوقير وهو التعظيم. قال الحسن: لا تعرفون لله حقاً ولا تشكرون له نعمة. قال ابن كيسان: ما لكم لا ترجون في عبادة الله أن يثيبكم على توقيركم إياه خيراً.

﴿وقد خلقكم أطواراً﴾، تارات، حال بعد حال، نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى تمام الخلق.

﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سمٰوات طباقاً * وجعل القمر فيهنّ نوراً﴾، قال الحسن: يعني في السماء الدنيا، كما يقال أتيت بني تميم وإنما أتى بعضهم، وفلانٌ متوارٍ في دور بني فلان وهو دار واحدة. وقال عبد الله بن عمرو: إن الشمس والقمر وجوههما إلى السمٰوات وضوء الشمس ونور القمر فيهنّ وأقفيتهما إلى الأرض. ويُروى هذا عن ابن عباس.

نباتاً﴾ أراد مبدأ خلق آدم وأصل خلقه من الأرض والناس كلهم من ولده وقوله نباتاً اسم جعل في موضع المصدر أي إنباتاً. وقيل تقديره أنبتكم فنبتم نباتاً وفيه دقيقة لطيفة وهي أنه لو قال أنبتكم إنباتاً كان المعنى أنبتكم إنباتاً عجيباً غريباً ولما قال أنبتكم نباتاً كان المعنى أنبتكم نباتاً عجيباً وهذا الثاني أولى لأن الانبات صفة الله تعالى وصفة الله تعالى غير محسوسة لنا فلا يعرف أن ذلك الانبات إنبات عجيب كامل إلا بواسطة إخبار الله تعالى وهذا المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى فكان هذا موافقاً لهذا المقام فظهر بهذا أن العدول عن تلك الحقيقة إلى هذا المجاز كان لهذا السر اللطيف.

ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ
نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ
وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾

﴿ثم يعيدكم فيها﴾ أي في الأرض بعد الموت **﴿ويخرجكم﴾** أي منها يوم البعث **﴿إخراجاً﴾** يعني إخراجاً حقاً لا محالة **﴿والله جعل لكم الأرض بساطاً﴾** أي فرشها لكم مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه **﴿لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً﴾** أي طرقاً واسعة.

قوله تعالى: **﴿قال نوح رب إنهم عصوني﴾** أي لم يجيبوا دعوتي **﴿واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً﴾** يعني اتبع السفلة والفقراء القادة والرؤساء الذين لم تزدهم كثرة المال والولد إلا ضلالاً في الدنيا وعقوبة في الآخرة **﴿ومكروا مكراً كباراً﴾** يعني كبيراً عظيماً يقال كبيراً وكباراً بالتشديد والتخفيف والتشديد أشد وأعظم في المبالغة والماكرون هم الرؤساء والقادة ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح عليه الصلاة والسلام وتحريش السفلة على أذاه وصد الناس عن الإيمان به والميل إليه والاستماع منه. وقيل مكرهم هو قولهم لا تذرن آلهتكم وتعبدوا إله نوح،

﴿ وجعل الشمس سراجاً ﴾، مصباحاً مضيئاً.

﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتاً ﴾، أراد مبدأ خلق أبي البشر آدم خلقه من الأرض، والناس ولده، قوله: **﴿ نباتاً ﴾** اسم جعل في موضع المصدر أي نباتاً، قال الخليل: مجازه فنبتّم نباتاً.

﴿ ثم يعيدكم فيها ﴾، بعد الموت، **﴿ ويخرجكم ﴾**، منها يوم البعث أحياء، **﴿ إخراجاً ﴾**.

﴿ والله جعل لكم الأرض بساطاً ﴾، فرشها وبسطها لكم.

﴿ لتسلكوا منها سبلاً فِجاجاً ﴾، طرقاً واسعةً.

﴿ قال نوح ربِّ إنهم عصوني ﴾، يعني لم يُجيبوا دوني، **﴿ واتّبعوا مَن لم يزده ماله وولده إلّا خساراً ﴾**، يعني اتّبع السَّفَلَة والفقراء القادة والرؤوساء الذين هم لم يزدهم كثرة المال والولد إلّا ضلالاً في الدنيا وعقوبة في الآخرة.

﴿ ومكروا مكراً كُبّاراً ﴾، أي كبيراً عظيماً، يقال: كبير وكبَار، بالتخفيف، وكبار بالتشديد، شدّد للمبالغة، وكلها بمعنى واحد كما يقال: أمر عجيب وعجاب وعجّاب بالتشديد أشدّ في المبالغة، واختلفوا في مكرهم. قال ابن عباس: قالوا قولاً عظيماً. قال الضحاك: افتروا على الله وكذبوا رسله. وقيل منع الرؤوساء أتباعهم عن الإيمان بنوح وحرّشوهم على قتله.

وقال ابن عباس في مكرهم قالوا قولاً عظيماً. وقيل افتروا على الله الكذب وكذبوا رسله ﴿وقالوا﴾ يعني القادة للأتباع ﴿لا تذرن آلهتكم﴾ أي لا تتركن عبادتها ﴿ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾ هذه أسماء آلهتهم وإنما أفرد بالذكر وإن كانت داخلة في جملة قوله لا تذرن آلهتكم لأنهم كانت لهم أصنام هذه الخمسة المذكورة هي أعظمها عندهم. قال محمد بن كعب هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا كان أتباعهم يقتدون بهم ويأخذون بعدهم بأخذهم في العبادة فجاءهم إبليس وقال لهم: لو صورتم صورهم كان ذلك أنشط لكم وأشوق إلى العبادة ففعلوا ذلك ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم إبليس إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم. فابتداء عبادة الأوثان كان من ذلك وسميت تلك الصور بهذه الأسماء لأنهم صوروها على صورة أولئك القوم الصالحين من المسلمين، (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صارت الأوثان التي كانت تعبد قوم نوح في العرب بعد. أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم صارت لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع. وروى سفيان عن موسى عن محمد بن قيس في قوله ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً، قال كانت أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى هلك أولئك ونسخ العلم فعبدت الأوثان، وروي عن ابن عباس أن تلك الأوثان دفنها الطوفان وطمها التراب فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب، وكانت للعرب أصنام أخر فاللات كانت لثقيف والعزى لسليم وغطفان وجشم، ومناة كانت لخزاعة بقديد وإساف ونائلة وهبل كانت لأهل مكة. ولذلك سمت العرب أنفسهم بعبد ود وعبد يغوث وعبد العزى ونحو ذلك من الأسماء.

وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا

﴿ وقالوا ﴾، لهم ﴿ لا تذرنّ آلهتكم ﴾، أي عبادتها، ﴿ ولا تذرنّ وَدّاً ﴾، قرأ أهل المدينة بضمّ الواو والباقون بفتحها، ﴿ ولا سُواعاً ولا يغوث ويعوق ونَسْراً ﴾، هذه أسماء آلهتهم. قال محمد بن كعب: هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح، فلما ماتوا كان لهم أتباع يقتدون بهم ويأخذون بعدهم مأخذهم في العبادة فجاءهم إبليس وقال لهم: لو صوّرتم صورهم كان أنشط لكم وأشوق إلى العبادة، ففعلوا ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم إبليس: إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فعبدوهم، فابتداء عبادة الأوثان كان من ذلك وسمّيت تلك الصور بهذه الأسماء لأنهم صوّروها على صور أولئك القوم من المسلمين. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا إبراهيم بن موسى ثنا هشام عن ابن جريج وقال عطاء عن ابن عباس: صارت الأوثان التي كانت تُعبَد في قوم نوح في العرب بعده، أمّا وَدّ فكانت لكلب بدومة الجندل، وأمّا سُواع فكانت لهذيل، وأما يَغُوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يَعُوق فكانت لهمدان، وأما نَسْر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع. وهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسمّوها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبَد، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عُبِدَتْ. ورُوِيَ عن ابن عباس: أن تلك الأوثان دفنها الطوفان وطمّها التراب، فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب، وكانت للعرب أصنام أُخَر، فاللّات كانت لثقيف، والعُزّى لسليم وغطفان وجشم، ومَنَاة لقديد، وإساف ونائلة وهُبل لأهل مكة.

فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

﴿**وقد أضلوا كثيراً**﴾ أي ضل بسبب الأصنام كثير من الناس. وقيل أضل كبراء قوم نوح كثيراً من الناس ﴿**ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً**﴾ يعني ولا تزد المشركين بعبادتهم الأصنام إلا ضلالاً وهذا دعاء عليهم وذلك أن نوحاً عليه السلام كان قد امتلأ قلبه غضباً وغيظاً عليهم فدعا عليهم.

فإن قلت كيف يليق بمنصب النبوة أن يدعو بمزيد الضلال وإنما بعث ليصرفهم عنه.

قلت إنما دعا عليهم بعد أن أعلمه الله أنهم لا يؤمنون وهو قوله تعالى: ﴿**إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن**﴾ وقيل إنما أراد بالضلال في أمر الدنيا وما يتعلق بها لا في أمر الآخرة ﴿**مما خطيئاتهم أغرقوا**﴾ أي بالطوفان ﴿**فأدخلوا ناراً**﴾ أي في حالة واحدة وذلك في الدنيا كانوا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب. واستدل بعضهم بهذه الآية على صحة عذاب القبر وذلك لأن الفاء تقتضي التعقيب في قوله تعالى أغرقوا فأدخلوا ناراً، وهذا يدل على أنه إنما حصل دخول النار عقيب الإغراق ولا يمكن حمله على عذاب الآخرة لأنه يبطل دلالة الفاء، وقيل معناه أنهم سيدخلون ناراً في الآخرة فعبر عن المستقبل بلفظ الماضي لصدق الوعد في ذلك والأول أصح ﴿**فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً**﴾ يعني تنصرهم وتمنعهم من العذاب الذي نزل بهم ﴿**وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً**﴾ يعني أحد يدور في الأرض فيذهب ويجيء من الدوران. وقيل أصله من الدار أي نازل دار ﴿**إنك إن تذرهم يضلوا عبادك**﴾ قال ابن عباس وغيره كان الرجل ينطلق بابنه إلى نوح فيقول له احذر هذا فإنه كذاب وإن أبي حذرنيه، فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك ﴿**ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً**﴾ إنما قال نوح هذا حين أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم وأعقم بعد ذلك أرحام النساء وأيبس أصلاب الرجال وذلك قبل نزول العذاب بأربعين سنة. وقيل بسبعين سنة وأخبر الله نوحاً أنهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمناً فحينئذ دعا عليهم فأجاب الله دعوته فأهلكم جميعاً

﴿ **وقد أضلّوا كثيراً** ﴾، أي ضلّ بسبب الأصنام كثير من الناس كقوله عزّ وجلّ: ﴿ ربِّ إنهنّ أضللن كثيراً من الناس ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وقال مقاتل: أضلّ كبراؤهم كثيراً من الناس. ﴿ **ولا تزد الظالمين إلّا ضلالاً** ﴾، هذا دعاء عليهم بعدما أعلم الله نوحاً أنهم لا يؤمنون، وهو قوله: ﴿ أنه لن يؤمن من قومك إلّا مَنْ قد آمن ﴾ [هود: ٣٦].

﴿ **مما خطيئاتهم** ﴾، أي من خطيئاتهم، و(ما) صلة، وقرأ أبو عمرو (خطاياهم) وكلاهما جمع خطيئة، ﴿ **أغرقوا** ﴾، بالطوفان، ﴿ **فأُدخلوا ناراً** ﴾، قال الضحاك هي في حالة واحدة في الدنيا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب، وقال مقاتل: فأُدخلوا ناراً في الآخرة، ﴿ **فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً** ﴾، لم يجدوا أحداً يمنعهم من عذاب الله الواحد القهّار.

﴿ **وقال نوح ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً** ﴾، أحداً يدور في الأرض فيذهب ويجيء من الدوران، وقال القتيبي: إن أصله من الدار أي نازل دار.

﴿ **إنك إن تذرهم يضلّوا عبادك** ﴾، قال ابن عباس والكلبي ومقاتل: كان الرجل ينطلق بابنه إلى نوح فيقول احذر هذا فإنه كذاب وإن أبي حذّرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير عليه، ﴿ **ولا يلد إلّا فاجراً كفّاراً** ﴾، قال محمد بن كعب ومقاتل والربيع وغيرهم: إنما قال نوح هذا حين أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم

ولم يكن معهم صبي وقت العذاب لأن الله تعالى أعقمهم قبل العذاب ﴿**رب اغفر لي**﴾ وذلك أنه لما دعا على الكفار قال رب اغفر لي يعني ما صدر مني من ترك الأفضل، وقيل يحتمل أنه لما دعا على الكفار قال رب اغفر لي يعني ما صدر مني من ترك الأفضل. وقيل يحتمل أنه حين دعا على الكفار أنه إنما دعا عليهم بسبب تأذيه منهم فكان ذلك الدعاء عليهم كالانتقام منهم فاستغفر من ذلك لما فيه من طلب حظ النفس أو لأنه ترك الاحتمال. ﴿**ولوالدي**﴾ وكان اسم أبيه ملك بن متوشلخ واسم أمه سمخاء بنت أنوش وكانا مؤمنين وقيل لم يكن بين آدم ونوح عليهما السلام من آبائه كافر وكان بينهما عشرة آباء ﴿**ولمن دخل بيتي مؤمناً**﴾ أي داري وقيل مسجدي وقيل سفينتي ﴿**وللمؤمنين والمؤمنات**﴾ وهذا عام في كل مؤمن آمن بالله وصدق الرسل، وإنما بدأ بنفسه لأنها أولى بالتخصيص والتقديم ثم ثنى بالمتصلين به لأنهم أحق بدعائه من غيرهم ثم عمم جميع المؤمنين والمؤمنات ليكون ذلك أبلغ في الدعاء، ﴿**ولا تزد الظالمين إلا تباراً**﴾ أي هلاكاً ودماراً فاستجاب الله تعالى دعاءه فأهلكهم جميعاً والله أعلم.

وأعقم أرحام نسائهم وأيبس أصلاب رجالهم قبل العذاب بأربعين سنة. وقيل: سبعين سنة وأخبر الله نوحاً أنهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمناً فحينئذ دعا عليهم نوح فأجاب الله دعاءه، وأهلكهم كلهم ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب لأن الله تعالى قال: ﴿ وقوم نوح لمّا كذبوا الرسل أغرقناهم ﴾ [الفرقان: ٣٧]، ولم يوجد التكذيب من الأطفال.

﴿ **ربِّ اغفرْ لي ولوالديّ** ﴾، واسم أبيه لَمك بن متوشلخ واسم أُمه سمحاء بنت أنوش وكانا مؤمنين، ﴿ **ولمَن دخل بيتي** ﴾، داري ﴿ **مؤمناً** ﴾، وقال الضحاك والكلبي: مسجدي. وقيل: سفينتي. ﴿ **وللمؤمنين والمؤمنات** ﴾، هذا عامّ في كل مَن آمن بالله وملائكته وصدّق الرّسل، ﴿ **ولا تزد الظالمين إلاّ تباراً** ﴾، هلاكاً ودماراً فاستجاب الله دعاءه فأهلكهم.



سورة الجن

وهي ثمان وعشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿**قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن**﴾ اختلف الناس قديماً وحديثاً في ثبوت وجود الجن فأنكر وجودهم معظم الفلاسفة، واعترف بوجودهم جمع منهم وسموهم بالأرواح السفلية، وزعموا أنهم أسرع إجابة من الأرواح الفلكية إلا أنهم أضعف. وأما جمهور أرباب الملل وهم أتباع الرسل والشرائع فقد اعترفوا بوجود الجن لكن اختلفوا في ماهيتهم، فقيل الجن حيوان هوائي يتشكل بأشكال مختلفة، وقيل إنها جواهر وليست بأجسام ولا أعراض ثم هذه الجواهر أنواع مختلفة بالماهية فبعضها خيرة كريمة محبة للخيرات وبعضها دنيئة خسيسة شريرة محبة للشرور والآفات ولا يعلم عدة أنواعهم إلا الله تعالى، وقيل إنهم أجسام مختلفة الماهية لكن تجمعهم صفة واحدة وهي كونهم حاصلون في الحيز موصوفون بالطول والعرض والعمق، وينقسمون إلى لطيف وكثيف وعلوي وسفلي ولا يمتنع في بعض الأجسام اللطيفة الهوائية أن تكون مخالفة لسائر أنواع الأجسام في الماهية وأن يكون لها علم مخصوص وقدرة مخصوصة على أفعال عجيبة أو شاقة يعجز البشر عن مثلها. وقد يتشكلون بأشكال مختلفة وذلك بإقدار الله تعالى إياهم على ذلك، وقيل إن الأجسام متساوية في تمام الماهية وليست البنية شرطاً للحياة وهذا قول الأشعري وجمهور أتباعه، وشذ تأويل المعتزلة من هذه الأمة فأنكروا وجود الجن وقالوا البنية شرط للحياة وإنه لا بد من صلابة البنية حتى يكون قادراً على الأفعال الشاقة، وهذا قول منكر وصاحب هذا القول ينكر خرق العادات ورد ما ثبت وجوده بنص الكتاب والسنة.

(فصل)

اختلف الرواة هل رأى النبي ﷺ الجن فأثبتها ابن مسعود فيما رواه عنه مسلم في صحيحه وقد تقدم حديثه في

سُورَة الجِنّ

مكيّة وهي ثمانٍ وعشرون آية.

﴿**قلْ أُوحِي إليّ أنه استمع نفر من الجنّ**﴾، وكانوا تسعة من جنّ نصيبين. وقيل: سبعة، استمعوا قراءة النبي ﷺ ذكرنا خبرهم في سورة الأحقاف[٢٩]. ﴿**فقالوا**﴾، لمّا رجعوا إلى قومهم: ﴿**إنّا سمعنا قرآناً عجباً**﴾، قال ابن عباس: بليغاً أي قرآناً ذا عجب يُعجَب منه لبلاغته.

تفسير سورة الأحقاف عند قوله تعالى: ﴿**وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن**﴾ وأنكرها ابن عباس فيما رواه عنه البخاري ومسلم. قال ابن عباس «ما قرأ رسول الله ﷺ عن الجن ولا رآهم، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا ما لكم فقيل حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب؟ قالوا وما ذاك إلا من شيء قد حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء. فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة بالنبي ﷺ وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم فقالوا ﴿**يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً**﴾ فأنزل الله تعالى على نبيه ﴿**قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن**﴾ زاد في رواية «وإنما أوحي إليه قول الجن» أخرجاه في الصحيحين، قال القرطبي في شرح مسلم في حديث ابن عباس هذا معناه أنه لم يقصدهم بالقراءة بل لما تفرقوا يطلبون الخبر الذي حال بينهم وبين استراق السمع، صادف هؤلاء النفر رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه وعلى هذا فهو ﷺ لم يعلم باستماعهم ولم يكلمهم وإنما أعلمه الله عز وجل بما أوحي إليه من قوله قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن وأما حديث ابن مسعود فقضية أخرى وجن آخرون.

والحاصل من الكتاب والسنة العلم القطعي بأن الجن والشياطين موجودون متعبدون بالأحكام الشرعية على النحو الذي يليق بخلقتهم وبحالهم، وأن النبي ﷺ رسول إلى الإنس والجن فمن دخل في دينه فهو من المؤمنين ومعهم في الدنيا والآخرة والجنة، ومن كفر به فهو من الشياطين المبعدين المعذبين فيها والنار مستقره. وهذا الحديث يقتضي أن الرجم بالنجوم ولم يكن قبل المبعث. وذهب قوم إلى أنه كان قبل مبعثه وآخرون إلى أنه كان لكن زاد بهذا المبعث وبهذا القول يرتفع التعارض بين الحديثين هذا آخر كلام القرطبي والله أعلم.

عكاظ سويقة معروفة بقرب مكة كان العرب يقصدونها في كل سنة مرة في الجاهلية وأول الإسلام وتهامة كل ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز سميت تهامة لتغير هوائها. ومكة من تهامة معدودة ونخلة واد من أودية مكة قريب منها.

وأما التفسير فقوله سبحانه وتعالى: ﴿**قل أوحي إليّ**﴾ أمر الله نبيه ﷺ أن يظهر لأصحابه واقعة الجن وكما أنه مبعوث إلى الإنس فهو أيضاً مبعوث إلى الجن لتعلم قريش أن الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن عرفوا إعجازه فآمنوا به وقوله استمع نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة إلى العشرة قيل كانوا تسعة من جن نصيبين. وقيل سبعة سمعوا قراءة النبي ﷺ ﴿**فقالوا**﴾ أي لما رجعوا إلى قومهم، ﴿**إنا سمعنا قرآناً عجباً**﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما بليغاً أي ذا عجب يعجب منه لبلاغته وفصاحته ﴿**يهدي إلى الرشد**﴾ أي يدعو إلى الصواب يعني التوحيد والإيمان ﴿**فآمنا به**﴾ أي بالقرآن ﴿**ولن نشرك بربنا أحداً**﴾ أي ولن نعود إلى ما كنا عليه من الشرك. وفيه دليل على أن أولئك النفر كانوا مشركين قيل كانوا يهوداً وقيل كانوا نصارى وقيل كانوا مجوساً ومشركين ﴿**وأنه تعالى جد ربنا**﴾ أي جلال ربنا وعظمته، ومنه قول أنس «كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا» أي عظم قدره وقيل الجد الغنى. ومنه الحديث

﴿ **يهدي إلى الرشد** ﴾، يدعو إلى الصواب من التوحيد والإيمان، ﴿ **فآمنّا به ولن نشرك بربّنا أحداً** ﴾.

﴿ **وأنه تعالى جَدُّ ربِّنا** ﴾، قرأ أهل الشام والكوفة غير أبي بكر عن عاصم ﴿ **وأنه تعالى** ﴾ بفتح الهمزة وكذلك ما بعده إلى قوله: ﴿ **وإنّا منّـا المسلمون** ﴾، وقرأ الآخرون بكسرهنّ وفتح أبو جعفر منها ﴿ **وأنه** ﴾ وهو ما كان مردوداً على الوحي، وكسر ما كان حكاية عن الجنّ، والاختيار كسر الكل لأنه من قول الجنّ لقومهم، فهو معطوف على قوله: ﴿ **فقالوا إنّا سمعنا قرآناً عجباً** ﴾، وقالوا: ﴿ **وأنـه تعالى** ﴾ ومَن فتح على قوله: ﴿ **فآمنّا به** ﴾ وآمنّا بكل ذلك، ففتح (أن) لوقوع الإيمان عليه، ﴿ **جَدُّ ربِّنا** ﴾ جلال ربّنا وعظمته، قاله مجاهد وعكرمة وقتادة، يقال: جَدّ

«ولا ينفع ذا الجد منك الجد» أي لا ينفع ذا الغنى غناه. وقال ابن عباس عظمت قدرة ربنا وقيل أمر ربنا وقيل فعله وقيل آلاؤه ونعماؤه على خلقه وقيل علا ملك ربنا ﴿ما اتخذ صاحبة ولا ولداً﴾ أي أنه تعالى جلال ربنا وعظمته عن أن يتخذ صاحبة أو ولداً لأن الصاحبة تتخذ للحاجة والولد للاستئناس به والله تعالى منزه عن كل نقص ﴿وأنه كان يقول سفيهنا﴾ يعني جاهلنا قيل هو إبليس ﴿على الله شططاً﴾ أي كذباً وعدواناً وهو وصفه تعالى بالشريك والولد أي الشطط وهو مجاوزة الحد في كل شيء.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾

﴿وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذباً﴾ أي كنا نظن أن الإنس والجن صادقون في قولهم إن لله صاحبة وولداً وأنهم لا يكذبون على الله في ذلك فلما سمعنا القرآن علمنا أنهم قد كذبوا على الله.

قوله تعالى: ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن﴾ وذلك أن الرجل من العرب في الجاهلية كان إذا سافر فأمسى في أرض قفر قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في أمن وجوار منهم حتى يصبح. روى البغوي بإسناد الثعلبي عن كردم بن أبي السائب الأنصاري قال خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة فآوانا المبيت إلى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملاً من الغنم فوثب الراعي فقال: يا عامر الوادي جارك فنادى مناد لا نراه يا سرحان أرسله فأتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمته فأنزل الله على رسوله ﷺ بمكة وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن، ﴿فزادوهم رهقاً﴾ وذكره ابن

الرجل أي عظم، ومنه قول أنس: إذا كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جَدّ فينا، أي عظم قدره، وقال السدي: ﴿ جدّ ربّنا ﴾ أي أمر ربنا. وقال الحسن: غنى ربنا. ومنه قيل للجدّ: حظ، ورجل مجدود. وقال ابن عباس: قدرة ربنا. قال الضحاك: فعله. وقال القرظي: آلاؤه ونعماؤه على خلقه. وقال الأخفش: علا ملك ربنا. ﴿ ما اتخذ صاحبةً ولا ولداً ﴾، قيل: تعالى جلاله وعظمته عن أن يتخذ صاحبةً وولداً.

﴿ وأنه كان يقول سفيهنا ﴾، هو إبليس، ﴿ على الله شططاً ﴾، كذباً وعدواناً وهو وصفه بالشريك والولد.

﴿ وأنّا ظننا ﴾، حسبنا، ﴿ أن لن تقول الإنس والجنّ ﴾، قرأ يعقوب ﴿ تقول ﴾ بفتح الواو وتشديدها، ﴿ على الله كذباً ﴾، أي كنّا نظنهم في قولهم إن لله صاحبةً وولداً حتى سمعنا القرآن.

قال الله: ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ ﴾، وذلك أن الرجل من العرب في الجاهلية كان إذا سافر فأمسى في هذا الوادي من شرّ أرض قفر، قال: أعوذ بسيد سفهاء قومه، فيبيت في أمن وجوار منهم حتى يصبح، أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا ابن فنجويه ثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك ثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن إسحاق المروزي ثنا موسى بن سعيد بن النعمان بن برطوس ثنا فروة بن أبي المعز الكندي ثنا القاسم بن مالك عن عبد الرحمن بن إسحاق عن أبيه عن كردم بن أبي سائب الأنصاري قال: خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة، فآوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملاً من الغنم، فوثب الراعي فقال: يا عامر الوادي جارك فنادى منادٍ لا نراه، يقول يا سرحان أرسله فأتى الحمل يشتدّ حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمته، فأنزل الله عزّ وجلّ على

الجوزي في تفسيره بغير سند ومعنى الآية زاد الإنس الجن باستعاذتهم بقادتهم رهقاً، قال ابن عباس إثماً. وقيل طغياناً وقيل غياً وقيل شراً وقيل عظمة وذلك أنهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغياناً وعظمة ويقولون يعني عظماء الجن سدنا الجن والإنس. والرهق في كلام العرب الإثم وغشيان المحارم ﴿وأنهم ظنوا﴾ يعني الجن ﴿كما ظننتم﴾ أي يا معشر الكفار من الإنس ﴿أن لن يبعث الله أحداً﴾ يعني يقول الجن وأنا ﴿لمسنا السماء﴾ أي طلبنا بلوغ السماء الدنيا واستماع كلام أهلها ﴿فوجدناها ملئت حرساً﴾ يعني من الملائكة ﴿شديداً وشهباً﴾ أي من النجوم ﴿وأنا كنا نقعد منها﴾ أي من السماء ﴿مقاعد للسمع﴾ يعني كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن قد ملئت المقاعد كلها ﴿فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً﴾ أي أرصد له ليرمى به. وقيل شهاباً من الكواكب ورصداً من الملائكة، عن ابن عباس قال «كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحي فإذا سمعوا الكلمة زادوا عليها تسعاً، فأما الكلمة فتكون حقاً وأما ما زاد فيكون باطلاً. فلما بعث رسول الله ﷺ منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لإبليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم إبليس ما هذا إلا من أمر قد حدث في الأرض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائماً يصلي بين جبلين أراه قال بمكة فأخبروه فقال هذا الحدث في الأرض»، أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح. وقال ابن قتيبة إن الرجم كان قبل مبعث النبي ﷺ ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة وكانوا يسترقون في بعض الأحوال فلما بعث منعوا من ذلك أصلاً فعلى هذا القول يكون حمل الجن على الضرب في الأرض. وطلب السبب إنما كان لكثرة الرجم ومنعهم عن الاستراق بالكلية.

وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا
طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن
يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟
رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾

﴿وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض﴾ أي برمي الشهب ﴿أم أراد بهم ربهم رشداً﴾ ومعنى الآية لا ندري هل

رسوله ﷺ بمكة ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ ﴾، ﴿ فزادوهم ﴾، يعني زاد الإنسُ والجنُّ باستعاذتهم بقادتهم، ﴿ رهقاً ﴾، قال ابن عباس: إثماً. وقال مجاهد: طغياناً. وقال مقاتل: غيّاً. قال الحسن: شرّاً. قال إبراهيم: عظمة وذلك أنهم كانوا يزدادون بهذا التعوّذ طغياناً، يقولون: سدنا الجنّ والإنس، والرهق في كلام العرب الإثم وغشيان المحارم.

﴿ وأنهم ظنوا ﴾، يقول الله تعالى إن الجنّ ظنوا، ﴿ كما ظننتم ﴾، يا معشر الكفّار من الإنس، ﴿ أن لن يبعث الله أحداً ﴾، بعد موته.

﴿ وأنا ﴾، يقول الجنّ، ﴿ لمسنا السماء ﴾، قال الكلبي: السماء الدنيا، ﴿ فوجدناها مُلِئت حرساً شديداً ﴾، من الملائكة ﴿ وشهباً ﴾، من النجوم.

﴿ وأنّا كنّا نقعد منها ﴾، من السماء، ﴿ مقاعد للسمع ﴾، أي كنّا نستمع، ﴿ فمَن يستمع الآن يجد له شهَاباً رصداً ﴾، أرصد له ليرمى به، قال ابن قتيبة: إن الرجم كان قبل مبعث النبي ﷺ ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدّة الحراسة، وكان يسترقّون في بعض الأحوال، فلما بعث النبي ﷺ منعوا من ذلك أصلاً ثم قالوا:

﴿ وأنّا لا ندري أشرٌّ أُريدَ بمَن في الأرض ﴾، برمي الشهب، ﴿ أم أراد بهم ربّهم رشداً ﴾.

المقصود من المنع من الاستراق هو شر أريد بأهل الأرض أم أريد بهم صلاح وخير ﴿**وأنا منا الصالحون**﴾ أي المؤمنون المخلصون ﴿**ومنا دون ذلك**﴾ أي دون الصالحين مرتبة. قيل المراد بهم غير الكاملين في الصلاح وهم المقتصدون فيدخل فيهم الكافر وغيره ﴿**كنا طرائق قدداً**﴾ أي جماعات متفرقين وأصنافاً مختلفة والقدة القطعة من الشيء، قال مجاهد يعنون مسلمين وكافرين. وقيل أهواء مختلفة وشيعاً متفرقة لكل فرقة هوى كأهواء الناس وذلك أن الجن فيهم القدرية والمرجئة والرافضة والخوارج وغير ذلك من أهل الأهواء، فعلى هذا التفسير يكون معنى طرائق قدداً أي سنصير طرائق قدداً وهو بيان للقسمة المذكورة أي كنا ذوي مذاهب مختلفة متفرقة، وقيل معناه كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة ﴿**وأنا ظننا**﴾ الظن هنا بمعنى العلم واليقين أي علمنا وأيقنا ﴿**أن لن نعجز الله في الأرض**﴾ أي لن نفوته إن أراد بنا أمراً ﴿**ولن نعجزه هرباً**﴾ أي إن طلبنا فلن نعجزه أينما كنا ﴿**وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به**﴾ أي لما سمعنا القرآن آمنا به وبمحمد ﷺ ﴿**فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً**﴾ أي نقصاناً من عمله وثوابه ﴿**ولا رهقاً**﴾ يعني ظلماً وقيل مكروهاً يغشاه ﴿**وأنا منا المسلمون**﴾ وهم الذين آمنوا بالنبي ﷺ ﴿**ومنا القاسطون**﴾ أي الجائرون العادلون عن الحق، قال ابن عباس وهم الذين جعلوا لله أنداداً ﴿**فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً**﴾ أي قصدوا طريق الله وتوخوه ﴿**وأما القاسطون**﴾ يعني الذين كفروا ﴿**فكانوا لجهنم حطباً**﴾ يعني وقوداً للنار يوم القيامة.

فإن قلت قد يتمسك بظاهر هذه الآية من لا يرى لمؤمني الجن ثواباً وذلك لأن الله تعالى ذكر عقاب الكافرين منهم ولم يذكر ثواب المؤمنين منهم.

قلت ليس فيه تمسك له وكفى بقوله فأولئك تحروا رشداً فذكر سبب الثواب والله أعدل وأكرم من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد.

فإن قلت كيف يعذب الجن بالنار وقد خلقوا منها.

﴿ **وأنّا منّا الصالحون ومنّا دون ذلك** ﴾، دون الصالحين، ﴿ **كنّا طرائق قِدداً** ﴾، أي جماعات متفرقين وأصنافاً مختلفة، والقدة: القطعة من الشيء، يقال: صار القوم قدداً إذا اختلف حالاتهم، وأصلها من القدّ وهو القطع، قال مجاهد: يعنون مسلمين وكافرين، وقيل: أهواء مختلفة. وقال الحسن والسدي: الجنّ أمثالكم فمنهم قدرية ومرجئة ورافضة. وقال ابن كيسان: شيعاً وفِرَقاً ولكل فرقة هوىً كأهواء الناس. وقال سعيد بن جبير: ألواناً شتّى. وقال أبو عبيدة: أصنافاً.

﴿ **وأنّا ظننا** ﴾، علمنا وأيقنّا، ﴿ **أن لن نعجز اللّهَ في الأرض** ﴾، أي لن نفوته إن أراد بنا أمراً، ﴿ **ولن نعجزه هرباً** ﴾، إن طلبنا.

﴿ **وأنّا لمّا سمعنا الهدى** ﴾، القرآن وما أتى به محمد، ﴿ **آمنّا به فمَن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً** ﴾، نقصاناً من عمله وثوابه، ﴿ **ولا رَهَقاً** ﴾، ظلماً. وقيل: مكروهاً يغشاه.

﴿ **وأنّا منّا المسلمون** ﴾، وهم الذين آمنوا بمحمد ﷺ، ﴿ **ومنّا القاسطون** ﴾، الجائرون العادلون عن الحق. قال ابن عباس: الذين جعلوا لله نداً، يقال: أقسط الرجل إذا عدل فهو مقسط، وقسط إذا جار فهو قاسط. ﴿ **فمَن أسلم فأولئك تحرّوا رشداً** ﴾، أي قصدوا طريق الحق وتوخّوه.

﴿ **وأما القاسطون** ﴾، الذين كفروا، ﴿ **فكانوا لجهنم حطباً** ﴾، كانوا وقود النار يوم القيامة.

ثم رجع إلى كفّار مكة فقال: ﴿ **وأنْ لو استقاموا على الطريقة** ﴾، اختلفوا في تأويلها، فقال قوم: لو استقاموا

قلت وإن خلقوا من النار فقد تغيروا عن تلك الهيئة وصاروا خلقاً آخر والله تعالى قادر أن يعذب النار بالنار قوله عز وجل: ﴿**وأن لو استقاموا على الطريقة**﴾.

اختلفوا فيمن يرجع الضمير إليه فقيل هو راجع إلى الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم والمعنى لو استقام الجن على الطريقة المثلى الحسنى لأنعمنا عليهم وإنما ذكر الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع وقيل معناه لو ثبت الجن الذين سمعوا القرآن. على الطريقة التي كانوا عليها قبل استماع القرآن ولم يسلموا ﴿**لأسقيناهم ماء غدقاً**﴾ أي لوسعنا الرزق عليهم.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾

﴿**لنفتنهم فيه**﴾ وقيل الضمير راجع إلى الإنس وتم الخبر عن الجن ثم رجع إلى خطاب الإنس فقال تعالى: ﴿**وأن لو استقاموا**﴾ يعني كفار مكة على الطريقة يعني على طريقة الحق والإيمان والهدى وكانوا مؤمنين مطيعين «لأسقيناهم ماء غدقاً» يعني كثيراً وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين.

والمعنى لو آمنوا لوسعنا عليهم في الدنيا ولأعطيناهم ماء كثيراً وعيشاً رغداً. وإنما ذكر الماء الغدق مثلاً لأن الخير والرزق كله أصله من المطر وقوله «لنفتنهم فيه» أي لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا فيه. وقيل في معنى الآية لو استقاموا أي ثبتوا على طريقة الكفر والضلالة لأعطيناهم مالاً كثيراً ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجاً لهم حتى يفتنوا به فنعذبهم والقول الأول أصح لأن الطريقة معرفة بالألف واللام وهي طريقة الهدى والقول بأن الآية في الإنس أولى لأن الإنس هم الذين ينتفعون بالمطر ﴿**ومن يعرض عن ذكر ربه**﴾ أي عن عبادة ربه وقيل عن مواعظه

على طريقة الحق والإيمان والهدى فكانوا مؤمنين مطيعين، ﴿ **لأسقيناهم ماءً غدقاً** ﴾، كثيراً، قال مقاتل: وذلك بعدما رفع عنهم المطر سبع سنين. وقالوا: معناه لو آمنوا لَوسّعنا عليهم في الدنيا وأعطيناهم مالاً كثيراً وعيشاً رغداً، وضرب الماء الغدق مثلاً لأن الخير والرزق كله في المطر، كما قال: ﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليهم من ربّهم لأكلوا من فوقهم ﴾ [المائدة: ٦٦]، الآية. وقال: ﴿ لو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء ﴾ [الأعراف: ٩٦] الآية.

وقوله تعالى: ﴿ **لنفتنهم فيه** ﴾، أي لنختبرهم كيف شكرهم فيما خُوّلوا. وهذا قول سعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رواح والضحاك وقتادة ومقاتل والحسن. وقال آخرون: معناها وأن لو استقاموا على طريقة الكفر والضلالة لأعطيناهم مالاً كثيراً ولوسّعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجاً حتى يفتتنوا بها فنعذبهم، وهذا قول الربيع بن أنس وزيد بن أسلم والكلبي وابن كيسان، كما قال الله: ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ﴾ [الأنعام: ٤٤] الآية. ﴿ **ومَن يُعرِضْ عن ذكر ربّه يسلكه** ﴾، قرأ أهل الكوفة ويعقوب ﴿ **يسلكه** ﴾ بالياء، وقرأ الآخرون بالنون، أي ندخله، ﴿ **عذاباً صَعَداً** ﴾، قال ابن عباس شاقّاً، والمعنى ذا صعد أي ذا مشقّة. قال قتادة: لا راحة فيه. وقال مقاتل: لا فرح فيه. قال الحسن: لا يزداد إلّا شدّة. والأصل فيه أن الصعود يشقّ على الإنسان.

﴿ **وأن المساجد لله** ﴾، يعني المواضع التي بُنيت للصلاة وذكر الله، ﴿ **فلا تدعوا مع الله أحداً** ﴾، قال قتادة: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعهم أشركوا بالله، فأمر الله المؤمنين أن يُخلِصوا لله الدعوة إذا دخلوا

﴿يسلكه﴾ أي يدخله ﴿عذاباً صعداً﴾، قال ابن عباس شاقاً وقيل عذاباً لا راحة فيه وقيل لا يزداد إلا شدة.

قوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله﴾ يعني المواضع التي بنيت للصلاة والعبادة، وذكر الله تعالى فيدخل فيه مساجد المسلمين والكنائس والبيع التي لليهود والنصارى ﴿فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ قال قتادة كان اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله فيها فأمر الله عز وجل المؤمنين أن يخلصوا الدعوة لله إذا دخلوا المساجد كلها. وقيل أراد بالمساجد بقاع الأرض كلها لأن الأرض كلها جعلت مسجداً للنبي ﷺ فعلى هذا يكون المعنى فلا تسجدوا على الأرض لغير الله تعالى، قال سعيد بن جبير «قالت الجن للنبي ﷺ كيف لنا أن نشهد معك الصلاة ونحن ناؤون عنك فنزلت وأن المساجد لله» وروي عنه أيضاً أن المراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها الإنسان وهي سبعة الجبهة واليدان والركبتان والقدمان والمعنى أن هذه الأعضاء التي يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره، (م) عن العباس بن عبد المطلب أنه سمع النبي ﷺ يقول «إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب وجهه وكفاه وركبتاه وقدماه» الآراب الأعضاء، (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «أمرنا النبي ﷺ أن نسجد على سبعة أعضاء وأن لا نكف شعراً ولا ثوباً: الجبهة واليدين والركبتين والقدمين» وفي رواية أن النبي ﷺ قال «أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء على الجبهة وأشار بيده إلى أنفه واليدين والركبتين وأطراف القدمين ولا نكفف الثياب ولا الشعر» كف شعره عقصه وغرز طرفه في أعلى الضفيرة وقد نهي عن ذلك.

قوله عز وجل: ﴿وأنه لما قام عبد الله﴾ يعني النبي ﷺ ﴿يدعوه﴾ يعني يعبد الله ويقرأ القرآن وذلك حين كان يصلي الفجر ببطن نخلة ﴿كادوا﴾ يعني الجن ﴿يكونون عليه لبداً﴾ يعني يركب بعضهم بعضاً من الازدحام عليه حرصاً على استماع القرآن، قاله ابن عباس. وعنه أيضاً أنه من قول النفر من الجن الذين رجعوا إلى قومهم فأخبروهم عن طاعة أصحاب النبي ﷺ له واقتدائهم به في الصلاة. وقيل في معنى الآية لما قدم عبد الله بالدعوة تلبدت الإنس والجن

المساجد وأراد بها المساجد كلها. وقال الحسن: أراد بها البقاع كلها لأن الأرض جُعِلَت كلها مسجداً للنبي ﷺ.
وقال سعيد بن جبير: قالت الجنّ للنبي ﷺ: كيف لنا أن نشهد معك الصلاة ونحن نـاؤن؟ فنزلت: ﴿ وأن المساجد لله ﴾. ورُوِيَ عن سعيد بن جبير أيضاً: أن المراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها الإنسان وهي سبعة: الجبهة واليدان والركبتان والقدمان، يقول: هذه الأعضاء التي يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره. أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ أنا عبد الله محمد بن يعقوب ثنا علي بن الحسن الهلالي والسري بن خزيمة قالا ثنا يعلى بن أسد ثنا وهيب عن عبد الله بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «أُمِرتُ أن أسجد على سبعة أعضاء الجبهة، وأشار بيده إليها، واليدين والركبتين وأطراف القدمين، ولا أكفّ الثوب ولا الشعر»، فإن جعلت المساجد مواضع الصلاة فواحدها مسجد بكسر الجيم، وإن جعلتها الأعضاء فواحدها مسجد بفتح الجيم.

﴿ وأنه ﴾، قرأ نافع وأبو بكر بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها، ﴿ لمّا قام عبد الله ﴾، يعني النبي ﷺ، ﴿ يدعوه ﴾، يعني يعبده ويقرأ القرآن وذلك حين كان يصلّي ببطن نخلة ويقرأ القرآن، ﴿ كادوا ﴾، يعني الجنّ، ﴿ يكونون عليه لبداً ﴾، أي يركب بعضهم بعضاً، ويزدحمون حرصاً على استماع القرآن، هذا قول الضحاك ورواية عطية عن ابن عباس. وقال سعيد بن جبير عنه: هذا من قول النفر الذين رجعوا إلى قومهم من الجنّ أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب النبي ﷺ واقتدائهم به في الصلاة. وقال الحسن وقتادة وابن زيد: يعني لمّا قام عبد الله بالدعوة تلبّدت الإنس والجنّ، وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاءهم به، ويطفؤوا نور الله فأبى الله إلاّ

وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاءهم به ويطفئوا نور الله فأبى الله إلا أن يتم نوره ويظهر هذا الأمر وينصره على من ناوأه وعاداه. وأصل اللبد الجماعة بعضهم فوق بعض.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿قل﴾ يعني النبي ﷺ وقرىء على الأمر ﴿إنما أدعو ربي﴾ وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ لقد جئت بأمر عظيم فارجع عنه فنحن نجيرك فقال لهم النبي ﷺ «إنما أدعو ربي ﴿ولا أشرك به أحداً قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً﴾ » أي لا أقدر على أن أدفع عنكم ضراً ولا أسوق إليكم رشداً وإنما الضار والنافع والمرشد والمغوي هو الله تعالى. ﴿قال إني لن يجيرني من الله أحد﴾ أي لن يمنعني منه أحد إن عصيته ﴿ولن أجد من دونه ملتحداً﴾ أي ملجأ ألجأ إليه. وقيل حرزاً أحترز به وقيل مدخلاً في الأرض مثل السرب أدخل فيه ﴿إلا بلاغاً من الله ورسالاته﴾ أي ففيه الجوار والأمن والنجاة. وقيل معناه ذلك الذي يجبرني من عذاب الله يعني التبليغ وقيل إلا بلاغاً من الله فذلك الذي أملكه بعون الله وتوفيقه. وقيل معناه لا أملك لكم ضراً ولا رشداً لكن أبلغ بلاغاً عن الله عز وجل فإنما أنا مرسل لا أملك إلا ما ملكت، ﴿ومن يعص الله ورسوله﴾ يعني ولم يؤمن ﴿فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً حتى إذا رأوا ما يوعدون﴾ يعني العذاب يوم القيامة ﴿فسيعلمون﴾ أي عند نزول العذاب ﴿من أضعف ناصراً وأقل عدداً﴾ أهم أم المؤمنون ﴿قل إن أدري﴾ أي ما أدري ﴿أقريب ما توعدون﴾ يعني العذاب وقيل يوم القيامة ﴿أم يجعل له ربي أمداً﴾ أي أجلاً وغاية تطول مدتها والمعنى أن علم وقت العذاب غيب لا يعلمه إلا الله عز وجل ﴿عالم الغيب﴾ أي هو عالم ما غاب عن العباد ﴿فلا يظهر﴾ أي فلا يطلع ﴿على غيبه﴾ أي الغيب الذي يعلمه وانفرد به ﴿أحداً﴾ أي من الناس ثم استثنى فقال تعالى: ﴿إلا من ارتضى من رسول﴾ يعني إلا من يصطفيه

أن يتمّ نوره، ويتمّ هذا الأمر وينصره على مَن ناوأه. وقرأ هشام عن ابن عامر ﴿ لبداً ﴾ بضمّ اللام، وأصل اللّبد الجماعات بعضها فوق بعض، ومنه سُمّي اللبد الذي يفرش لتراكمه وتلبّد الشعر إذا تراكم.

﴿ قلْ إنما أدعوا ربّي ﴾، قرأ أبو جعفر وعاصم وحمزة ﴿ قل ﴾ على الأمر، وقرأ الآخرون (قال) يعني رسول الله ﷺ: «إنما أدعو ربّي»، قال مقاتل: وذلك أن كفّار مكّة قالوا للنبي ﷺ: لقد جئت بأمر عظيم فارجع عنه فنحن نُجيرك، فقال لهم: «إنما أدعو ربّي»، ﴿ ولا أُشرك به أحداً ﴾.

﴿ قل إني لا أملك لكم ضرّاً ﴾، لا أقدر أن أدفع عنكم ضرّاً، ﴿ ولا رشداً ﴾، أي لا أسوق لكم أو إليكم رشداً، أي خيراً يعني أن الله يملكه.

﴿ قلْ إني لن يجيرني من الله أحد ﴾، لن يمنعني منه أحد إن عصيته. ﴿ ولن أجد من دونه ملتحداً ﴾، ملجأ أميل إليه. ومعنى الملتحد أي المائل، قال السدي: حرزاً. وقال الكلبي: مدخلاً في الأرض مثل السرب.

﴿ إلّا بلاغاً من الله ورسالاته ﴾، ففيه الجوار والأمن والنجاة، قاله الحسن. قال مقاتل: ذلك الذي يُجيرني

لرسالته ونبوته فيظهره على ما يشاء من الغيب حتى يستدل على نبوته بما يخبر به من المغيبات فيكون ذلك معجزة له وآية دالة على نبوته. قال الزمخشري وفي هذا إبطال الكرامات لأن الذين تضاف إليهم الكرامات وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيه أيضاً إبطال الكهانة والتنجيم لأن أصحابهما أبعد شيء من الارتضاء وأدخله في السخط. قال الواحدي وفي هذا دليل على أن من ادعى أن النجوم تدله على ما يكون من حياة أو موت ونحو ذلك فقد كفر بما في القرآن. فأما الزمخشري فأنكر كرامات الأولياء جرياً على قاعدة مذهبه في الاعتزال ووافق الواحدي وغيره من المفسرين في إبطال الكهانة والتنجيم قال الإمام فخر الدين ونسبة الآية في الصورتين واحدة فإن جعل الآية دالة على المنع من أحكام النجوم فينبغي أن يجعلها دالة على المنع من الكرامات قال: وعندي أن الآية لا دلالة فيها على شيء من ذلك والذي تدل عليه أن قوله ﴿**فلا يظهر على غيبه أحداً**﴾ ليس فيه صيغة عموم فيكفي في العمل بمقتضاه أن لا يظهر الله تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه فنحمله على وقت وقوع القيامة، فيكون المراد من الآية أنه تعالى لا يظهر هذا الغيب لأحد فلا يبقى في الآية دلالة على أنه لا يظهر شيئاً من الغيوب لأحد ثم إنه يجوز أن يطلع الله على شيء من المغيبات غير الرسل كالكهنة وغيرهم وذكر ما يدل على صحة قوله.

والذي ينبغي أن مذهب أهل السنة إثبات كرامات الأولياء خلافاً للمعتزلة وأنه يجوز أن يلهم الله بعض أوليائه وقوع بعض الوقائع في المستقبل فيخبر به وهو من إطلاع الله إياه على ذلك. ويدل على صحة ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «لقد كان فيمن كان قبلكم من الأمم ناس محدثون من غير أن يكونوا أنبياء وإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر بن الخطاب» أخرجه البخاري قال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون.

ولمسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه كان يقول «قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم»، ففي هذا إثبات كرامات الأولياء ولا يقال لو جازت الكرامة للولي لما تميزت معجزة النبي عن غيرها ولا نسد الطريق إلى معرفة الرسول من غيره فنقول الفرق بين معجزة النبي وكرامة الولي أن المعجزة أمر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقرون بالتحدي، ولا يجوز للولي أن يدعي خرق العادة مع التحدي إذ لو ادعاه الولي لكفر من ساعته فبان الفرق بين المعجزة والكرامة وقد يظهر على يد الولي أمر خارق للعادة من غير دعواه. وهذا أيضاً يدل على ثبوت نبوة النبي لأن الكرامة إنما تظهر على يد من هو معتقد للرسول متابع له فلو لم تكن

من عذاب الله، يعني التبليغ. وقال قتادة: إلّا بلاغاً من الله فذلك الذي أملكه بعون الله وتوفيقه. وقيل: لا أملك لكم ضرّاً ولا رشداً لكن أبلغ بلاغاً من الله فإنما أنا مُرسَل به لا أملك إلّا ما ملكت. ﴿ **ومَن يعصِ اللَّهَ ورسولَهُ** ﴾، ولم يؤمن، ﴿ **فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً** ﴾.

﴿ **حتى إذا رأوا ما يُوعدون** ﴾، يعني العذاب يوم القيامة، ﴿ **فسيعلمون** ﴾، عند نزول العذاب، ﴿ **مَن أضعف ناصراً وأقلّ عدداً** ﴾، أهم أم المؤمنون.

﴿ **قلْ إنْ أدري** ﴾، أي ما أدري، ﴿ **أقريب ما توعدون** ﴾، من العذاب وقيل يوم القيامة، ﴿ **أم يجعل له ربّي أمداً** ﴾.

﴿ **عالم الغيب** ﴾، رفع على نعت أجلاً وغايةً تطول مدّتها يعني: أن علم وقت العذاب غيب لا يعلمه إلّا الله. قوله: ﴿ **ربّي** ﴾، وقيل: هو عالم الغيب؛ ﴿ **فلا يظهر** ﴾، لا يطلع، ﴿ **على غيبه أحداً * إلّا مَن ارتضى من رسول** ﴾، إلّا مَن يصطفيه لرسالته فيُظهِره على ما يشاء من الغيب لأنه يستدلّ على نبوّته بالآية المعجزة التي تخبر

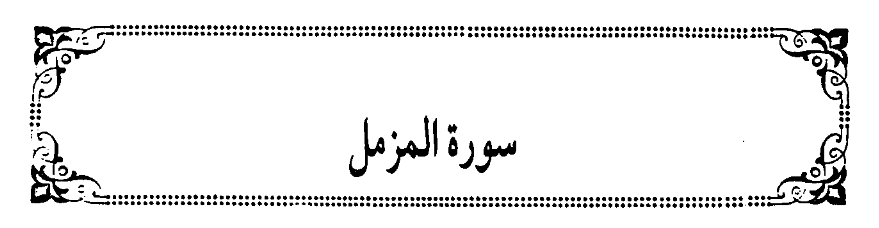
نبوته حقاً لما ظهر الخارق على يد متابعه. وأما الكاهن فليس بمتبع للرسول وقد انسد باب الكهانة بمبعث النبي ﷺ فمن ادعى منهم اطلاعاً على غيب فقد كفر بما جاء به القرآن وكذلك حكم المنجم والله تعالى أعلم، وقوله تعالى: ﴿**فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه**﴾ أي من بين يدي الرسول ومن خلفه وذكر البعض دال على جميع الجهات ﴿**رصداً**﴾ أي حفظه من الملائكة يحفظونه من الشيطان أن يسترق السمع من الملائكة ويحفظونه من الجن أن يسمعوا الوحي فيلقوه إلى الكهنة فيخبروا به قبل الرسول. وقيل إن الله تعالى كان إذا بعث رسولاً أتاه إبليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصداً من الملائكة يحرسونه ويطردون الشيطان عنه فإذا جاءه شيطان في صورة ملك أخبروه بأنه شيطان فاحذره وإن جاء ملك قالوا له هذا رسول ربك.

﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾

﴿**ليعلم**﴾ أي ليعلم محمد ﷺ ﴿**أن**﴾ أي أن جبريل قد بلغ إليه رسالات ربه وقيل معناه ليعلم محمد أن الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم وأن الله قد حفظهم ودفع عنهم. وقيل معناه ليعلم الله أن الرسل ﴿**قد أبلغوا رسالات ربهم**﴾ فيعلم الله ذاك ظاهراً موجوداً فيوجب فيه الثواب ﴿**وأحاط بما لديهم**﴾ أي علم الله ما عند الرسل فلا يخفى عليه شيء من أمورهم ﴿**وأحصى كل شيء عدداً**﴾ قال ابن عباس أحصى ما خلق وعرف ما خلق لم يفته شيء حتى مثاقيل الذر والخردل، والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه.

عن الغيب، ﴿ **فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً** ﴾، ذكر بعض الجهات دلالة على جميعها رصداً أي يجعل بين يديه وخلفه حَفَظَة من الملائكة يحفظونه من الشياطين أن يسترقوا السمع، ومن الجنّ أن يستمعوا الوحي فيلقوا إلى الكهنة. قال مقاتل وغيره: كان الله إذا بعث رسولاً أتاه إبليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصداً من الملائكة يحرسونه ويطردون الشياطين، فإذا جاءه شيطان في صورة ملك أخبروه بأنه شيطان، فاحذره وإذا جاءه ملك قالوا له: هذا رسول ربك.

﴿ **ليعلم** ﴾، قرأ يعقوب ليعلم بضمّ الياء أي ليعلم الناس، ﴿ **أن** ﴾ الرسل، ﴿ **قد أُبلغوا** ﴾، وقرأ الآخرون بفتح الياء أي ليعلم الرسول أن الملائكة قد أبلغوا، ﴿ **رسالات ربّهم وأحاط بما لديهم** ﴾، أي علم الله ما عند الرسل فلم يُخفَ عليه شيء، ﴿ **وأحصى كل شيء عدداً** ﴾، قال ابن عباس: أحصى ما خلق وعرف عدد ما خلق فلم يفته علم شيء حتى مثاقيل الذرّ والخردل، ونصب ﴿ **عدداً** ﴾ على الحال، وإن شئت على المصدر، أي عدّ عدداً.



سورة المزمل

مكية قيل غير آيتين منها وهما قوله ﴿**واصبر على ما يقولون**﴾ وقيل غير آية وهي ﴿**إن ربك يعلم أنك تقوم**﴾ الآية وهي عشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وثمانية وثلاثون حرفاً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣

قوله عز وجل: ﴿**يا أيها المزمل**﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ وأصله المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه أي تلفف.

قال المفسرون كان النبي ﷺ يتزمل في ثيابه أول ما جاءه جبريل فرقاً منه فكان يقول زملوني زملوني حتى أنس به. وقيل خرج يوماً من البيت وقد لبس ثيابه فناداه جبريل يا أيها المزمل، وقيل معناه متزمل النبوة أي حاملها والمعنى زملت هذا الأمر فقم به واحمله فإنه أمر عظيم وإنما لم يخاطب بالنبي والرسول لأنه كان في أول الأمر ومبدئه، ثم خوطب بالنبي والرسول بعد ذلك، وقيل كان ﷺ قد نام وهو متزمل في ثوبه فنودي يا أيها المزمل ﴿**قم الليل**﴾ أي للصلاة والعبادة واهجر هذه الحالة واشتغل بالصلاة والعبودية وكان قيام الليل فريضة في ابتداء الإسلام ﴿**إلا قليلاً**﴾ أي صل الليل إلا قليلاً تنام فيه وهو الثلث ثم بين قدر القيام فقال تعالى: ﴿**نصفه**﴾ أي قم نصف الليل ﴿**أو انقص منه قليلاً**﴾ أي إلى الثلث.

أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤

﴿**أو زد عليه**﴾ أي على النصف إلى الثلثين خيره بين هذه المنازل فكان النبي ﷺ وأصحابه يقومون على هذه

سُوْرَة المُزَّمِّل

مكيّة وهي عشرون آية.

﴿**يا أيها المزّمّل**﴾، أي الملتفف بثوبه، وأصله المتزمّل أُدغمت التاء في الزاي، ومثله المدّثّر أُدغمت التاء في الدال، يقال: تزمّل وتدثّر بثوبه إذا تغطى به. وقال السدي: أراد يا أيها النائم قم فصلِّ. قال الحكماء: كان هذا الخطاب للنبي ﷺ في أول الوحي قبل تبليغ الرسالة ثم خوطب بعد بالنبي والرسول.

﴿ **قمِ الليلَ** ﴾، أي للصلاة، ﴿ **إلاّ قليلاً** ﴾، وكان قيام الليل فريضة في الابتداء ثم بيّن قدره فقال:

﴿ **نصفه أو أنقصْ منه قليلاً** ﴾، إلى الثلث.

﴿ **أو زِدْ عليه** ﴾، على النصف إلى الثلثين، خيّره بين هذه المنازل، فكان النبي ﷺ وأصحابه يقومون على

المقادير وكان الرجل منهم لا يدري متى ثلث الليل أو متى نصفه أو متى ثلثاه، فكان يقوم الليل كله حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها عنهم بقوله **﴿فاقرؤوا ما تيسر منه﴾** قيل ليس في القرآن سورة نسخ آخرها أولها إلا هذه السورة وكان بين نزول أولها ونزول آخرها سنة. وقيل ستة عشر شهراً. وكان قيام الليل فرضاً ثم نسخ بعد ذلك في حق الأمة بالصلوات الخمس وثبتت فريضته على النبي ﷺ بقوله تعالى: **﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾** (م) عن سعد بن هشام قال «انطلقت إلى عائشة فقلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ قالت ألست تقرأ القرآن قلت بلى قالت فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن. قلت فقيام رسول الله ﷺ يا أم المؤمنين؟ قالت ألست تقرأ المزمل قلت بلى قالت فإن الله افترض القيام في أول هذه السورة فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء ثم أنزل التخفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعاً بعد الفريضة».

وقوله تعالى: **﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾** قال ابن عباس بينه بياناً وعنه أيضاً «اقرأه على هينتك ثلاث آيات وأربعاً وخمساً»، وقيل الترتيل هو التوقف والترسل والتمهل والإفهام وتبيين القراءة حرفاً حرفاً أثره في أثر بعض بالمد والإشباع والتحقيق. وترتيلاً تأكيد في الأمر به وأنه لا بد للقارىء منه، وقيل إن الله تعالى لما أمر بقيام الليل أتبعه بترتيل القرآن حتى يتمكن المصلي من حضور القلب والتأمل والفكر في حقائق الآيات ومعانيها فعند الوصول إلى ذكر الله تعالى يستشعر بقلبه عظمة المذكور وجلاله وعند ذكر الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف وعند ذكر القصص

هذه المقادير، وكان الرجل لا يدري متى ثلث الليل ومتى النصف ومتى الثلثان، فكان يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب، واشتدّ ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم فرحمهم الله وخفّف عنهم ونسخها بقوله: ﴿ فاقرؤوا ما تيسّر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى ﴾ [المزّمّل: ٢٠] الآية، فكان بين أول السورة وآخرها سنة. أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الأسفرايني أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ ثنا الحسن بن علي بن عفّان ثنا يحيىٰ بن بشر ثنا سعيد يعني ابن أبي عروبة ثنا قتادة عن زرادة بن أوفى عن سعيد بن هشام قال: انطلقت إلى عائشة فقلت: يا أُمّ المؤمنين أنبئيني عن خُلق رسول الله ﷺ، فقالتْ: ألستَ تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خُلق نبيّ الله ﷺ كان القرآن، قلت: فقيام رسول الله ﷺ يا أُمّ المؤمنين؟ قالتْ: ألستَ تقرأ ﴿ **يا أيّها المزّمّل** ﴾؟ قلت: بلى، قالت: فإن الله افترض القيام في أول هذه السورة، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة، فصار قيام الليل تطوّعاً بعد الفريضة. قال مقاتل وابن كيسان: كان هذا بمكة قبل أن تُفرَض الصلوات الخمس، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس، ﴿ **ورتّلِ القرآنَ ترتيلاً** ﴾، قال ابن عباس: بيّنه بياناً. قال الحسن: أقرأه قراءة بيّنة. قال مجاهد: ترسّل فيه ترسّلاً. قال قتادة: فثبت فيه تثبّتاً. وعن ابن عباس أيضاً: اقرأه على هينتك ثلاث آيات أو أربعاً أو خمساً. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عمرو بن عاصم ثنا هشام عن قتادة قال: سُئِلَ أنس كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟ فقال: كانت مدّاً مدّاً ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمدّ بسم الله ويمدّ الرحمٰن ويمدّ الرحيم. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا آدم ثنا شعبة ثنا عمرو بنِ مرّة قال: سمعت أبا وائل قال: جاء رجل إلى ابن مسعود، قال: قرأت المفصل الليلة في ركعة، فقال: هذّاً كهذِّ الشعر، لقد عرفت النظائر التي كان النبي ﷺ يقرن بينهنّ فذكر عشرين سورة من المفصل كل سورتين في ركعة. أخبرنا أبو جعفر أحمد بن أبي أحمد منويه أنا الشريف أبو القاسم علي بن محمد بن علي الحسيني الحرّاني

والأمثال يحصل الاعتبار فيستنير القلب عند ذلك بنور المعرفة، والإسراع في القراءة لا يحصل فيها ذلك فظهر بذلك أن المقصود من الترتيل إنما هو حضور القلب عند القراءة.

(فصل)

(خ) عن قتادة قال «سئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله ﷺ فقال كانت مداً ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم» عن أم سلمة رضي الله عنها وقد سألها يعلى بن مالك عن قراءة رسول الله ﷺ وصلاته فقالت «ما لكم وصلاته ثم نعتت قراءته فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً»، أخرجه النسائي وللترمذي قالت «كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم، ثم يقف وكان يقول مالك يوم الدين ثم يقف» وفي رواية أبي داود قالت «قراءة رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين يقطع قراءته آية آية» (ق) عن عبدالله بن مغفل قال «رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح فرجع في قراءته»، (ق) عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال «جاء رجل إلى ابن مسعود قال إني لأقرأ المفصل في ركعة قال عبد الله هذّاً كهذّ الشعر إن أقواماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع في القلب فرسخ نفع، إن أفضل الصلاة الركوع والسجود إني لأعرف النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن بينهن سورتين في كل ركعة» وفي رواية «فذكر عشرين سورة من المفصل» الهذ سرعة القطع والمراد به هنا سرعة القراءة والعجلة فيها، وقوله لا يجاوز تراقيهم التراقي جمع ترقوة وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق وعند مخرج الصوت، والنظائر جمع نظير وهو الشبه والمثل. عن عائشة رضي الله عنها قالت «قام النبي ﷺ بآية من القرآن»، أخرجه الترمذي وللنسائي عن أبي ذر نحوه وزاد «والآية إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم» عن سهل بن سعد قال «خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقرأ فقال: الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الأحمر وفيكم الأبيض وفيكم الأسود اقرؤوا القرآن قبل أن يقرأه أقوام يقيمونه كما يقال السهل يتعجل لقراءته ولا يتأجله» أخرجه أبو داود وزاد غيره في رواية «لا يجاوز تراقيهم» عن جابر رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقرأ القرآن وفينا العربي والعجمي فقال: اقرؤوا فكل حسن وسيجيء أقوام يقومونه كما يقوم القدح يتعجلونه ولا

فيما كتبه إليّ، أنا أبو بكر محمد بن الحسين الآجري أنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن حميد الواسطي ثنا زيد بن أجروم ثنا محمد بن الفضل ثنا سعيد بن زيد عن أبي حمزة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله يعني ابن مسعود قال: لا تنثروه نثرَ الدقل ولا تهذوه هذا الشعر، قفوا عند عجائبه وحرّكوا به القلوب، ولا يكنِ همّ أحدكم آخر السورة. أخبر أبو جعفر أحمد بن أبي أحمد بن منويه أنا الشريف أبو القاسم علي بن محمد علي الحسيني الحرّاني كتب إليّ ثنا أبو بكر محمد بن الحسين الآجري ثنا أبو محمد يحيىٰ بن محمد بن ساعد ثنا الحسين بن الحسن المروي ثنا ابن المبارك الحنبلي أنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن موسى بن عبيدة عن عبد الله بن عبيدة وهو أخوه عن سهل بن سعد الساعدي قال: بينا نحن نقرأ إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الأحمر والأسود والأبيض اقرؤوا القرآن قبل أن يأتي أقوام يقرؤونه، يقيمون حروفه كما يُقام السهم لا يجاوز تراقيهم، يتعجّلون أجره ولا يتأجّلونه» أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي ثنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا أبو بكر محمد بن نافع البصري ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن إسماعيل بن مسلم العبدي عن أبي المتوكل الناجي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قام النبي ﷺ بآية من القرآن ليلة. ورواه أبو ذرّ، قال: قام النبي ﷺ حتى أصبح بآية، والآية: ﴿ إنْ تعذّبهم

يتأجلونه» أخرجه أبو داود عن ابن مسعود قال «لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذّ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة» قوله تعالى:

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾

﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾ قال ابن عباس شديداً. وقيل ثقيلاً يعني كلاماً عظيماً جليلاً ذا خطر وعظمة لأنه كلام رب العالمين وكل شيء له خطر ومقدار فهو ثقيل والمعنى فصير نفسك مستعدة لقبول هذا القول العظيم الثقيل الشاق، وقيل سماه ثقيلاً لما فيه من الأوامر والنواهي فإن فيه مشقة وكلفة على الأنفس وقيل ثقيلاً لما فيه من الوعد والوعيد والحلال والحرام والحدود والفرائض والأحكام. وقيل ثقيلاً على المنافقين لأنه يبين عيوبهم ويظهر نفاقهم، وقيل هو خفيف على اللسان بالتلاوة ثقيل في الميزان بالثواب يوم القيامة. وقيل ثقيلاً أي ليس بالخفيف ولا السفساف لأنه كلام ربنا تبارك وتعالى. وقيل معناه أنه قول مبين في صحته وبيانه ونفعه كما تقول هذا كلام رصين وهذا قول له وزن إذا استجدته وعلمت أنه صادق الحكمة والبيان. وقيل سماه ثقيلاً لما فيه من المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ. وقيل ثقيلاً في الوحي وذلك أنه ﷺ «كان إذا نزل عليه القرآن والوحي يجد له مشقة»، (ق) عن عائشة رضي الله عنها «أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهذا أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل إلي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول. قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً» (م) عن عبادة بن الصامت قال «كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد له وجهه» وفي رواية «كان إذا نزل عليه الوحي عرفنا ذلك في فيه وغمض عينيه وتربد وجهه» قوله مثل صلصلة الجرس الصلصة الصوت

فإنهم عبادُك وإنْ تغفرْ لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [المائدة: ١١٨].

﴿ إنّا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: شديداً. قال الحسن: إن الرجل ليهذّ السورة ولكن العمل بها ثقيل. قال قتادة: ثقيلاً هو والله فرائضه وحدوده. قال مقاتل: ثقيل لما فيه من الأمر والنهي والحدود. قال أبو العالية: ثقيل بالوعد والوعيد والحلال والحرام. وقال محمد بن كعب: ثقيل على المنافقين: قال الحسين بن الفضل: قولاً خفيفاً على اللسان ثقيلاً في الميزان. قال الفرّاء: ثقيلاً ليس بالخفيف السفساف لأنه كلام ربّنا. قال ابن زيد: هو والله ثقيل مبارك كما ثقل في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيامة. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد السرخسي أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبي ﷺ أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهذا أشدّه عليّ فيفصم عنّي وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثّل لي الملك رجلاً فيكلّمني فأعي ما يقول». قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وأن جبينه ليتفصّد عرقاً.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ إنّ ناشئة الليل ﴾، أي ساعته كلها وكل ساعة منه ناشئة، سمّيت بذلك لأنها تنشأ أي تبدو ومنه نشأت السحابة إذا بدت وكل ما حدث بالليل وبدأ فقد نشأ فهو ناشىء، والجمع ناشئة. وقال ابن أبي مليكة: سألت ابن عباس وابن الزبير عنها، فقالا: الليل كله ناشئة. وقال سعيد بن جبير وابن زيد: أي ساعة قام من الليل فقد نشأ وهو بلسان الحبش القيام، يقال: نشأ فلان أي قام. وقالت عائشة: الناشئة القيام بعد النوم. وقال ابن كيسان: هي القيام من آخر الليل. وقال عكرمة: هي القيام من أول الليل. يُروَى عن علي بن الحسين أنه كان

الشديد الصلب اليابس من الأشياء الصلبة كالجرس ونحوه. قوله فيفصم أي ينفصل عني ويفارقني وقد وعيت ما قال أي حفظت. وقولها ليتفصد عرقاً أي يجري عرقه كما يجري الدم من الفاصد. قوله تربد وجهه الربدة في الألوان غبرة مع سواد، وقوله تعالى: ﴿إن ناشئة الليل﴾ أي ساعاته كلها وكل ساعة منه ناشئة، لأنها تنشأ عن التي قبلها وقال ابن أبي مليكة سألت ابن عباس وابن الزبير عنها فقالا الليل كله ناشئة وهي عبارة عن الأمور التي تحدث وتنشأ في الليل وقالت عائشة الناشئة القيام بعد النوم. وقيل هي قيام آخر الليل وقيل أوله، وقيل أي ساعة قام الإنسان من الليل فقد نشأ. روي عن زين العابدين علي بن الحسين أنه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول هذه ناشئة الليل، وقيل كل صلاة بعد العشاء الآخرة فهي ناشئة الليل، وقيل ناشئة الليل قيامه وقيل ناشئة الليل وطاؤه ﴿هي أشد وطأ﴾ قرىء بكسر الواو مع المد يعني من المواطأة والموافقة وذلك لأن مواطأة القلب اللسان والسمع والبصر تكون بالليل أكثر مما تكون بالنهار. وقرىء وطأ بفتح الواو وسكون الطاء أي أشد على المصلي وأثقل. من صلاة النهار لأن الليل جعل للنوم والراحة فكان قيامه على النفس أشد وأثقل وقال ابن عباس كانت صلاتهم أول الليل هي أشد وطأ يقول هي أجدر أن يحصوا ما فرض الله عليهم من القيام وذلك أن الإنسان إذا نام لا يدري متى يستيقظ. وقيل أثبت للخير وأحفظ للقراءة من النهار وقيل هي أوطأ للقيام وأسهل على المصلي من ساعات النهار لأنه خلق لتصرف العباد والليل والخلوة برب العباد ولأن الليل أفرغ للقلب من النهار ولا يعرض له في الليل حوائج وموانع مثل النهار وأمنع من الشيطان وأبعد من الرياء وهو قوله تعالى: ﴿وأقوم قيلاً﴾ أي أصوب قراءة وأصح قولاً من النهار لهدأة الناس وسكون الأصوات وقيل معناه أبين قولاً بالقرآن.

والحاصل أن عبادة الليل أشد نشاطاً وأتم إخلاصاً وأبعد عن الرياء وأكثر بركة وأبلغ في الثواب وأدخل في القبول.

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلٗا ۝٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ۝٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ۝٩ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ۝١٠﴾

﴿إن لك في النهار سبحاً طويلاً﴾ أي تصرفاً وتقلباً وإقبالاً وإدباراً في حوائجك واشتغالك. وقيل فراغاً وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك أفضل من الليل ﴿واذكر اسم ربك﴾ أي بالتوحيد والتعظيم والتقديس والتسبيح ﴿وتبتل

يصلّي بين المغرب والعشاء، ويقول: هذه ناشئة الليل. وقال الحسن: كل صلاة بعد العشاء الآخرة فهي ناشئة من الليل. وقال الأزهري: ناشئة الليل قيام الليل، مصدر جاء على فاعلة كالعـافية بمعنى العفـو. ﴿ هي أشدّ وطـأً ﴾، قرأ ابن عامر وأبو عمر وطاء بكسر الواو ممدوداً بمعنى المواطأة والموافقة، يقال وطأت فلاناً مواطأة القلب والسمع والبصر واللسان، بالليل تكون أكثر مما يكون بالنهار. وقرأ الآخرون بفتح الواو وسكون الطاء أي أشدّ على المصلّي وأثقل من صلاة النهار، لأن الليل للنوم والراحة ومنه قوله ﷺ: «اللّهمَّ أشدد وطأتك على مضر»، وقال ابن عباس: كانت صلاتهم أول الليل هي أشدّ وطأً، يقول هي أجدر أن تحصوا ما فرض الله عليكم من القيام، وذلك أن الإنسان إذا نام لم يدرِ متى يستيقظ. وقال قتادة: أثبت في الخير وأحفظ للقراءة. وقال الفرّاء: أثبت قياماً أي أوطأ للقيام وأسهل للمصلّي من ساعات النهار، لأن النهار خُلِقَ لتصرف العبادة، والليل للخلوة فالعبادة فيه أسهل. وقيل: أشدّ نشاطاً. وقال ابن زيد: أفرغ له قلباً من النهار لأنه لا تُعرَض فيه حوائج. وقال الحسن: أشدّ وطأً في الخير وأمنع من الشيطان. ﴿ وأقوم قيلاً ﴾، وأصوب قراءة وأصحّ قولاً لهدأة الناس وسكون الأصوات. وقال الكلبي: أبين قولاً بالقرآن، وفي الجملة عبادة الليل أشدّ نشاطاً وأتمّ إخلاصاً وأكثر بركة وأبلغ في الثواب.

﴿ إن لك في النهار سبحاً طويلاً ﴾، أي تصرّفاً وتقلّباً وإقبالاً وإدباراً في حوائجك وأشغالك، وأصل السبح

إليه تبتيلاً﴾ قال ابن عباس أخلص إليه إخلاصاً وقيل تفرغ لعبادته وانقطع إليه انقطاعاً والمعنى بتل إليه نفسك واقطعها عن كل شيء سواه. وقيل التبتل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله. وقيل معناه وتوكل عليه توكلاً واجتهد في العبادة وقيل يقال للعابد إذا ترك كل شيء وأقبل على العبادة قد تبتل أي انقطع عن كل شيء إلا من عبادة الله وطاعته.

فإن قلت كيف قال تبتيلاً مكان تبتلاً ولم يجيء على مصدره؟

قلت جاء تبتيلاً على بتل نفسك إليه تبتيلاً فوقع المصدر موضع مقارنة في المعنى ويكون التقدير وبتل نفسك إليه تبتيلاً فهو كقوله والله أنبتكم من الأرض نباتاً، وقيل لأن معنى تبتل بتل نفسك فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل. وقيل الأصل في تبتل أن يقال تبتلت تبتيلاً وتبتلت تبتيلاً فتبتيلاً محمول على معنى بتل إليه تبتيلاً وقيل إنما عدل عن هذه العبارة لدقيقة لطيفة وهي أن المقصود إنما هو التبتل فأما التبتيل فهو تصرف والمشتغل بالتصرف لا يكون متبتلاً إلى الله تعالى لأن المشتغل بغير الله لا يكون منقطعاً إليه إلا أنه لا بد من التبتيل حتى يحصل التبتل فذكر أولاً التبتل لأنه المقصود وذكر التبتيل ثانياً إشعاراً بأنه لا بد منه **﴿رب المشرق والمغرب﴾** يعني أن التبتل والانقطاع لا يليق إلا لله تعالى الذي هو رب المشرق والمغرب **﴿لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً﴾** أي فوض أمرك إليه وتوكل عليه. وقيل معناه اتخذ يا محمد ربك كفيلاً بما وعدك من النصر على الأعداء **﴿واصبر على ما يقولون﴾** أي من التكذيب لك والأذى **﴿واهجرهم هجراً جميلاً﴾** أي واعتزلهم اعتزالاً حسناً لا جزع فيه وهذه الآية منسوخة بآية القتال.

وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُولِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

﴿وذرني والمكذبين﴾ أي دعني ومن كذبك لا تهتم به فإني أكفيكه **﴿أولي النعمة﴾** أي أصحاب النعم والترفه

سرعة الذهاب، ومنه السباحة في الماء، وقيل: سبحاً طويلاً أي فراغاً وسِعة لنومك وتصرّفك في حوائجك فصلٍ من الليل، وقرأ يحيىٰ بن يعمر ﴿ **سبخاً** ﴾ بالخاء المعجمة أي استراحةً وتخفيفاً للبدن، منه قول النبي ﷺ لعائشة، وقد دعت على سارق: (لا تسبخي عنه بدعائك عليه)، أي لا تخففي.

﴿ **واذكر اسمَ ربك** ﴾، بالتوحيد والتعظيم، ﴿ **وتبتّل إليه تبتيلاً** ﴾، قال ابن عباس وغيره: أخلص إليه إخلاصاً. قال الحسن: اجتهد. وقال ابن زيد: تفرّغ لعبادته. وقال سفيان: توكّل عليه توكّلاً. وقيل: انقطع إليه في العبادة انقطاعاً، وهو الأصل في الباب، يقال: تبتلت الشيء أي قطعته وصدّقه، قولهم: أنت بتة بتلة أي مقطوعة عن صاحبها لا سبيل له عليها، والتبتيل: تفعيل، منه يقال: بتلته فتبتّل، المعنى: بتل إليه نفسك، ولذلك قال: تبتيلاً. قال ابن زيد: التبتّل رفض الدنيا وما فيها، والتماس ما عند الله تعالى.

﴿ **ربّ المشرق والمغرب** ﴾، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وحفص ﴿ **ربّ** ﴾ برفع الباء على الابتداء، وقرأ الآخرون بالجرّ على نعت الربّ في قوله: ﴿ **اذكر اسم ربّك** ﴾، ﴿ **لا إله إلّا هو فاتخذه وكيلاً** ﴾، قيّماً بأمورك ففوّضها إليه.

﴿ **واصبرْ على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً** ﴾، نسختها آية القتال.

﴿ **وذرني والمكذبين أُولي النَّعمة ومهّلهم قليلاً** ﴾، نزلت في صناديد قريش المستهزئين. وقال مقاتل بن

نزلت في صناديد قريش المستهزئين وقيل نزلت في المطعمين ببدر ﴿ومهلهم قليلاً﴾ يعني إلى يوم بدر فلم يكن إلا يسير حتى قتلوا ببدر. وقيل أراد بالقليل أيام الدنيا ثم وصف عذابهم فقال تعالى: ﴿إن لدينا﴾ أي عندنا في الآخرة ﴿أنكالاً﴾ يعني قيوداً عظاماً ثقالاً لا تنفك أبداً وقيل أغلالاً من حديد ﴿وجحيماً وطعاماً ذا غصة﴾ أي غير سائغ في الحلق لا ينزل ولا يخرج وهو الزقوم والضريع ﴿وعذاباً أليماً﴾ أي وجيعاً ﴿يوم ترجف الأرض والجبال﴾ أي تتزلزل وتتحرك وهو يوم القيامة ﴿وكانت الجبال كثيباً مهيلاً﴾ يعني رملاً سائلاً وهو الذي إذا أخذت منه شيئاً يتبعك ما بعده ﴿إنا أرسلنا إليكم﴾ يعني يا أهل مكة ﴿رسولاً﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿شاهداً عليكم﴾ أي بالتبليغ وإيمان من آمن منكم وكفر من كفر ﴿كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً﴾ يعني موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام، قيل إنما خص فرعون وموسى بالذكر من بين سائر الأمم والرسل لأن محمداً ﷺ آذاه أهل مكة واستخفوا به لأنه ولد فيهم كما أن فرعون ازدرى بموسى وآذاه لأنه رباه ﴿فعصى فرعون الرسول فأخذناه﴾ أي فرعون ﴿أخذاً وبيلاً﴾ أي شديداً ثقيلاً يعني عاقبناه عقوبة غليظة، خوَّف بذلك كفار مكة ثم خوَّفهم يوم القيامة فقال تعالى: ﴿فكيف تتقون إن كفرتم﴾ أي كيف لكم بالتّقوى يوم القيامة إن كفرتم أي في الدنيا، المعنى لا سبيل لكم إلى التّقوى إذا وافيتم القيامة. وقيل معنى الآية فكيف تتقون العذاب يوم القيامة، وبأي شيء تتحصنون من عذاب ذلك اليوم، وكيف تنجون منه إن كفرتم في الدّنيا ﴿يوماً يجعل الولدان شيباً﴾ يعني شيوخاً شمطاً من هول ذلك اليوم وشدته وذلك حين يقال لآدم عليه الصّلاة والسّلام قم، فابعث بعث النار من ذريتك. (ق) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم فيقول لبيك وسعديك» زاد في رواية «والخير في يديك فينادى بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعث النّار قال يا رب، وما بعث النار؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد وترى النّاس سكارى، وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قالوا: يا رسول الله أينا ذلك الرجل فقال النبي ﷺ أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعاً وتسعين ومنكم واحد ثم قال: أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثّور الأبيض، أو كالشّعرة البيضاء في جنب الثّور الأسود، وفي رواية كالرّقمة في ذراع الحمار، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبرنا ثم قال: ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا» أما ما يتعلق بمعنى الحديث فقوله أن تخرج من ذريتك بعث النار فمعناه ميز أهل الجنة من أهل النار، وأما الرقمة بفتح الراء وإسكان القاف فهي الأثرة في باطن عضد الحمار. وقوله إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة وثلث أهل الجنة، وشطر أهل الجنة فيه البشارة العظيمة لهذه الأمة وجعلهم ربع أهل الجنة أولاً ثم الثلث ثم الشّطر لفائدة حسنة، وهي أن ذلك أوقع في نفوسهم، وأبلغ في إكرامهم فإن إعطاء الإنسان مرة بعد مرة

حيان: نزلت في المطعمين ببدر فلم يكن إلاّ يسير حتى قتلوا ببدر.

﴿ إن لدينا ﴾، عندنا في الآخرة، ﴿ أنكالاً ﴾، قيوداً عِظاماً لا تنفكّ أبداً واحدها نكل. قال الكلبي: أغلالاً من حديد، ﴿ وجحيماً ﴾.

﴿ وطعاماً ذَا غُصّة ﴾، غير سائغة يأخذ بالحق لا ينزل ولا يخرج وهو الزقّوم والضريع. ﴿ وعذاباً أليماً ﴾.

﴿ يوم ترجف الأرض والجبال ﴾، أي تتزلزل وتتحرّك، ﴿ وكانت الجبال كثيباً مهيلاً ﴾، رملاً سائلاً. قال الكلبي: هو الرمل الذي أخذت منه شيئاً تبعك ما بعده، يقال: أهلت الرمل أهيله هيلاً إذا حرّكتَ أسفله حتى انهال من أعلاه.

﴿ إنّا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً ﴾.

دليل على الاعتناء به، ودوام ملاحظته وفيه تكرير البشارة مرة بعد أخرى، وفيه أيضاً حملهم على تجديد شكر الله وحمده على إنعامه عليهم، وهو تكبيرهم لهذه البشارة العظيمة، وسرورهم بها، وأما ما. يتعلق بمعنى الآية الكريمة، والحديث في قوله تعالى: ﴿فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً﴾ وقوله ﷺ «ويشيب الوليد» ففيه وجهان: الأول عند زلزلة السّاعة قبل خروجهم من الدّنيا، فعلى هذا هو على ظاهره الثاني أنه في القيامة، فعلى هذا يكون ذكر الشّيب مجازاً، لأن القيامة ليس فيها شيب، وإنما هو مثل في شدة الأمر، وهوله يقال في اليوم الشّديد يوم تشيب فيه نواصي الأطفال، والأصل فيه أن الهموم والأحزان إذا تعاقب على الإنسان أسرع فيه الشيب. قال المتنبي:

والهـم يختـرم الجسيـم نحـافـة ويشيـب نـاصيـة الصبـي ويهـرم

فلما كان الشّيب من لوازم كثرة الهموم والأحزان جعلوه كناية عن الشّدة والهول، وليس المراد أن هول ذلك اليوم يجعل الولدان شيباً حقيقة لأن الطفل لا تمييز له، وقيل يحتمل أن يكون المراد وصف ذلك اليوم بالطول، وأن الأطفال يبلغون سن الشّيخوخة والشّيب. ﴿السماء منفطر به﴾ وصف اليوم بالشّدة أيضاً وأن السّماء مع عظمها تنفطر به، وتتشقق فما ظنك بغيرها من الخلائق، وقيل تتشقق لنزول الملائكة، وقيل به أي بذلك المكان، وقيل الهاء ترجع إلى الرّب سبحانه وتعالى أي بأمره وهيبته. ﴿كان وعده مفعولاً﴾ أي كائناً لا محالة فيه، ولا خلف ﴿إن هذه﴾ أي آيات القرآن ﴿تذكرة﴾ أي مواعظ يتذكر بها ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ بالإيمان والطاعة. قوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي اللّيل﴾ أي أقل من ثلثي الليل ﴿ونصفه وثلثه﴾ أي تقوم نصفه وثلثه ﴿وطائفة من الذين معك﴾ يعني المؤمنين، وكانوا يقومون معه الليل ﴿والله يقدر اللّيل والنّهار﴾ يعني أن العالم بمقادير الليل والنهار وأجزائهما وساعاتهما هو الله تعالى. لا يفوته علم ما يفعلون، فيعلم القدر الذي يقومون من اللّيل والذي

﴿ فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً ﴾، شديداً ثقيلاً، يعني عاقبناه عقوبة غليظة يخوّف كفّار مكة.

﴿ فكيف تتّقون إن كفرتم ﴾، أي كيف لكم بالتقوى يوم القيامة إذ كفرتم في الدنيا يعني لا سبيل لكم إلى التقوى إذا وافيتم يوم القيامة؟ وقيل: معناه كيف تتّقون العذاب يوم القيامة وبأيّ شيء تتحصّنون منه إذا كفرتم؟ ﴿ يوماً يجعل الولدان شيباً ﴾، شمطاً من هوله وشدّته، وذلك حين يقال لآدم قم فابعث بعث النار من ذرّيّتك.

ثم وصف هول ذلك اليوم فقال: ﴿ السماء منفطرٌ به ﴾، منشقّ لنزول الملائكة به أي بذلك المكان. وقيل: الهاء ترجع إلى الربّ أي بأمره وهيبته، ﴿ كان وعده مفعولاً ﴾، كائناً.

﴿ إن هذه ﴾، أي آيات القرآن ﴿ تذكرة ﴾، تذكير وموعظة ﴿ فمَن شاء اتخذ إلى ربّه سبيلاً ﴾، بالإيمان والطاعة.

﴿ إنّ ربّك يعلم أنك تقوم أدنى ﴾، أقلّ من، ﴿ثلثي الليل ونصفه وثلثه ﴾، قرأ أهل مكة والكوفة ﴿ نصفه وثلثه ﴾ بنصب الفاء والثاء وإشباع الهاءين ضمّاً، أي وتقوم نصفه وثلثه وقرأ الآخرون بجرّ الفاء والثاء وإشباع

ينامون منه. ﴿علم أن لن تحصوه﴾ يعني أن لن تطيقوا معرفته على الحقيقة. قيل قاموا حتى انتفخت أقدامهم، فنزل: علم أن لن تحصوه أي لن تطيقوه، قيل كان الرجل يصلي الليل كله مخافة أن لا يصيب ما أمر الله به من القيام فقال تعالى: علم أن لن تحصوه أي لن تطيقوا معرفة ذلك ﴿فتاب عليكم﴾ أي فعاد عليكم بالعفو والتخفيف، والمعنى عفا عنكم ما لم تحيطوا بعلمه ورفع المشقة عنكم ﴿فاقرؤوا ما تيسر من القرآن﴾ فيه قولان:

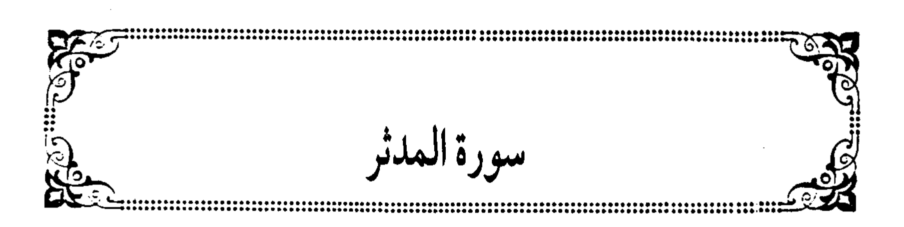
أحدهما: أن المراد بهذه القراءة. القراءة في الصلاة، وذلك لأن القراءة أحد أجزاء الصّلاة، فأطلق اسم الجزء على الكل، والمعنى فصلوا ما تيسر عليكم. وقال الحسن: يعني في صلاة المغرب والعشاء، قال قيس بن أبي حازم: صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرأ في أول ركعة بالحمد، وأول آية من البقرة، ثم قام في الثانية، فقرأ بالحمد والآية الثانية من البقرة، ثم ركع فلما انصرف أقبل علينا بوجهه فقال: إن الله تعالى يقول فاقرؤوا ما تيسر منه، وقيل نسخ ذلك التّهجد، واكتفي بما تيسر ثم نسخ ذلك أيضاً بالصّلوات الخمس وذلك في حق الأمة وثبت قيام اللّيل في حقه ﷺ بقوله تعالى: ﴿ومن اللّيل فتهجد به نافلة لك﴾.

القول الثاني: أن المراد بقوله فاقرؤوا ما تيسر من القرآن دراسته، وتحصيل حفظه وأن لا يعرض للنسيان، فقيل يقرأ مائة آية ونحوها، وقيل إن قراءة السورة القصيرة كافية. روى البغوي بإسناده عن أنس رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «من قرأ خمسين آية في يوم أو ليلة لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية، لم يحاجه القرآن يوم القيامة، ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الأجر». وذكره الشّيخ محيي الدّين في كتابه الأذكار ولم يضعفه وقال: في رواية «من قرأ أربعين آية بدل خمسين وفي رواية عشرين» وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ عشر آيات لم يكتب من الغافلين» (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ «ألم أخبر أنك تصوم الدهر، وتقرأ القرآن كل ليلة قلت

الهاءين كسراً عطفاً على ثلثي، ﴿ وطائفة من الذين معك ﴾ يعني المؤمنين وكانوا يقومون معه، ﴿ والله يقدّر الليل والنهار ﴾، قال عطاء: يريد لا يفوته علم ما تفعلون، أي أنه يعلم مقادير الليل والنهار فيعلم القدر الذي تقومون من الليل، ﴿ علم أن لن تحصوه ﴾، قال الحسن: قاموا حتى انتفخت أقدامهم، فنزل: ﴿ علم أن لن تحصوه ﴾، لن تطيقوه. وقال مقاتل: كان الرجل يصلّي الليل كله، مخافة أن لا يصيب ما أمر به من قيام، فقال: علم أن لن يحصوه لن تطيقوا معرفة ذلك. ﴿ فتاب عليكم ﴾، فعاد عليكم بالعفو والتخفيف، ﴿ فاقرؤوا ما تيسّرَ من القرآن ﴾، يعني في الصلاة، قال الحسن: يعني في صلاة المغرب والعشاء. قال قيس بن حازم: صلّيت خلف ابن عباس بالبصرة فقرأ في أول ركعة بالحمد وأول آية من البقرة، ثم قام في الثانية فقرأ بالحمد والآية الثانية من البقرة، ثم ركع، فلما انصرف أقبل علينا بوجهه فقال: إن الله عزّ وجلّ يقول: فاقرؤوا ما تيسّر منه. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عثمان بن صالح ثنا ابن لهيعة حدّثني حميد بن مخراق عن أنس بن مالك أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَن قرأ خمسين آية في يوم أو في ليلة لم يكتب من الغافلين، ومَن قرأ مائة آية كتب من القانتين، ومَن قرأ مائتي آية لم يحاجّه القرآن يوم القيامة، ومَن قرأ خمسمائة آية كُتب له قنطارٌ من الأجْر». أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى ثنا إبراهيم بن محمد ثنا مسلم بن الحجّاج حدّثني القاسم بن زكريا بن عبيد الله بن موسى عن شيبان عن يحيى عن محمد بن عبد الرحمن مولى بن زهرة عن أبي سلمة عن عبد الله بن عمرو قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ القرآن في كل شهر»، قال: قلت: إني أجد قوّة، قال: «فاقرأه في عشرين ليلة»، قال: قلت: إني أجد قوّة، قال: «فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك». قوله عزّ وجلّ: ﴿ علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل

بلى يا رسول الله، ولم أرد بذلك إلا الخير قال فصم صوم داود وكان أعبد النّاس واقرأ القرآن في كل شهر مرة قال قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك قال فاقرأه في كل عشر قال: قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك قال فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك» ثم ذكر الله حكمة النّسخ والتّخفيف. فقال تعالى: ﴿**علم أن سيكون منكم مرضى**﴾ يعني أن المريض يضعف عن التّهجد باللّيل فخفف الله عز وجل عنه لأجل ضعفه وعجزه عنه ﴿**وآخرون يضربون في الأرض**﴾ يعني المسافرين للتجارة ﴿**يبتغون من فضل الله**﴾ أي يطلبون من رزق الله وهو الربح في التجارة ﴿**وآخرون يقاتلون في سبيل الله**﴾ يعني الغزاة والمجاهدين، وذلك لأن المجاهد والمسافر مشتغل في النهار بالأعمال الشّاقة، فلو لم ينم بالليل لتوالت عليه أسباب المشقة، فخفف الله عنهم لذلك. روي عن ابن مسعود: قال «أيما رجل جلب شيئاً إلى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً، فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشّهداء ثم قرأ عبد الله: وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله» ﴿**فاقرؤوا ما تيسر منه**﴾ أي من القرآن وإنما أعاده للتأكيد ﴿**وأقيموا الصّلاة**﴾ يعني المفروضة ﴿**وآتوا الزكاة**﴾ أي الواجبة. ﴿**وأقرضوا الله قرضاً حسناً**﴾ قال ابن عباس: يريد سوى الزكاة من صلة الرحم وقرى الضيف، وقيل يريد سائر الصّدقات، وذلك بأن يخرجها على أحسن وجه من كسب طيب، ومن أكثر الأموال نفعاً للفقراء ومراعاة النيّة والإخلاص وابتغاء مرضاة الله تعالى بما يخرج والصرف إلى المستحق. ﴿**وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله**﴾ أي ثوابه وأجره ﴿**هو خيراً وأعظم أجراً**﴾ يعني أن الذي قدمتم لأنفسكم خير من الذي أخرتموه ولم تقدموه وروى البغوي بسنده عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ «أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه قالوا يا رسول الله ما منا أحد إلا ما له أحب إليه من مال وارثه قال اعلموا ما تقولون قالوا ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله قال ما منكم رجل إلا مال وارثه أحب إليه من ماله، قالوا كيف يا رسول الله؟ قال: إنما قال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر» ﴿**واستغفروا الله**﴾ أي لذنوبكم وتقصيركم في قيام الليل ﴿**إن الله غفور رحيم**﴾ أي لجميع الذنوب والله تعالى أعلم.

الله ﴾، يعني المسافرين للتجارة يطلبون من رزق الله، ﴿ **وآخرون يقاتلون في سبيل الله** ﴾، لا يطيقون قيام الليل، روى إبراهيم عن ابن مسعود قال: أيما رجل جلب شيئاً ما إلى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء، ثم قرأ عبد الله: ﴿ **وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله، وآخرون يُقاتلون في سبيل الله** ﴾. ﴿ **فاقرؤوا ما تيسّر منه** ﴾، أي ما تيسّر عليكم من القرآن. قال أهل التفسير كان هذا في صدر الإسلام ثم نسخ بالصلوات الخمس، وذلك قوله: ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً** ﴾، قال ابن عباس: يريد سوى الزكاة من صلة الرّحم، وقري الضيف. ﴿ **وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً** ﴾، تجدوا ثوابه في الآخرة أفضل مما أعطيتم، ﴿ **وأعظم أجراً** ﴾، من الذي أخّرتم، ولم تقدّموه، ونصب (خير وأعظم) على المفعول الثاني، فإن الوجود إذا كان بمعنى الرؤية يتعدّى إلى مفعولين، وهو فصل في قول البصريين، وعماد في قول الكوفيين، لا محل لها في الإعراب، أخبرنا أبو القاسم يحيىٰ بن علي الكشمهيني أنا أبو نصر أحمد بن علي البخاري بالكوفة أنا أبو القاسم نصر بن أحمد الفقيه بالموصل ثنا أبو يعلى الموصلي ثنا أبو خثيمة ثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن الحارث بن سويد قال: قال عبد الله قال رسول الله ﷺ: «أيّكم ماله أحبّ إليه من مال وارثه»؟ قالوا: يا رسول الله ما منّا من أحد إلاّ ماله أحبّ إليه من مال وارثه، قال: «اعلموا ما تقولون»، قالوا: ما نعلم إلاّ ذلك يا رسول الله، قال: «ما منكم رجل إلاّ مال وارثه أحبّ إليه من ماله»، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: «إنما مال أحدكم ما قدّم ومال وارثه ما أخّر». ﴿ **واستغفروا الله** ﴾، لذنوبكم، ﴿ **إن الله غفور رحيم** ﴾.



سورة المدثر

وهي مكية وقيل غير آية من آخرها وهي ست وخمسون آية ومائتان وخمس وخمسون كلمة وألف حرف وعشرة أحرف.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥)﴾

قوله عز وجل: ﴿**يا أيها المدثر**﴾ (ق) عن يحيى بن كثير قال «سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال يا أيها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك قال أبو سلمة سألت جابراً عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت فقال لي جابر لا أحدثك إلا ما حدثنا به رسول الله ﷺ قال «جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ونظرت خلفي فلم أر شيئاً فرفعت رأسي فرأيت شيئاً.

فأتيت خديجة فقلت دثروني فد ثروني» وصبوا علي ماء بارداً فنزلت ﴿**أيا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر**﴾ وذلك قبل أن تفرض الصلاة وفي رواية «فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي ـ وذكر نحوه ـ فإذا هو قاعد على عرش في الهواء ـ يعني جبريل ـ فأخذتني رجفة شديدة» (ق) عن جابر رضي الله عنه من رواية الزهري «عن أبي سلمة عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي فقال لي في حديثه: فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجئثت منه رعباً فقلت زملوني زملوني فدثروني فأنزل الله عز وجل ﴿**يا أيها المدثر**﴾ إلى ﴿**والرجز فاهجر**﴾ وفي رواية «فجئثت منه حتى هويت إلى الأرض فجئت إلى أهلي» وذكره وفيه قال أبو سلمة الرّجز الأوثان قال ثم حمى الوحي بعد وتتابع.

سُوْرَة المُدّثّر

مكيّة وهي ستّ وخمسون آية.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يحيىٰ ثنا وكيع عن علي بن المبارك عن يحيىٰ بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن؟ قال: ﴿ **يا أيها المدّثّر** ﴾، قلت: يقولون: ﴿ إقرأ باسم ربّك ﴾ [العلق: ١]؟ وقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله عن ذلك، وقلت له مثل الذي قلت، فقال لي جابر لا أُحدّثك إلّا بما حدّثنا رسول الله ﷺ، قال: «جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أرَ شيئاً ونظرت عن شمالي فلم أرَ شيئاً ونظرت أمامي فلم أرَ شيئاً ونظرت من خلفي فلم أرَ شيئاً، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً فأتيت خديجة فقلت:

فإن قلت دل هذا الحديث على أن سورة المدثر أول ما نزل من القرآن، ويعارضه حديث عائشة رضي الله عنها المخرج في الصحيحين أيضاً في بدء الوحي، وسيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى وفيه «فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾، حتى بلغ ـ ﴿ما لم يعلم﴾ ـ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده» الحديث.

قلت الصّواب الذي عليه جمهور العلماء أن أول ما نزل من القرآن على الإطلاق ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾، كما صرح به في حديث عائشة، وقول من قال إن سورة المدثر أول ما نزل من القرآن على الإطلاق ضعيف لا يعتد به، وإنما كان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزّهري عن أبي سلمة عن جابر، ويدل عليه أيضاً قوله في الحديث وهو يحدث عن فترة الوحي إلى أن قال وأنزل الله تعالى يا أيها المدثر ويدل عليه أيضاً قوله «فإذا الملك الذي جاءني بحراء ثم قال وأنزل الله تعالى: يا أيها المدثر» وأيضاً قوله «ثم حمي الوحي بعد وتتابع» فالصواب إن أول ما نزل من القرآن على رسول الله ﷺ سورة ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ وإن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة المدثر فحصل بهذا الذي بيناه الجمع بين الحديثين، والله أعلم قوله «فإذا هو قاعد على عرش بين السّماء والأرض» يريد به السرير الذي يجلس عليه وقوله يحدث عن فترة الوحي، أي عن احتباسه وعدم تتابعه، وتواليه في النزول قوله «فجئثت منه» روى بجيم مضمومة ثم همزة مكسورة ثم ثاء مثلثة ساكنة ثم تاء الضّمير وروى بثاءين مثلثتين بعد الجيم، ومعناه فرعبت منه وفزعت. وقوله «وحمى الوحي بعد وتتابع» أي كثر نزوله، وازداد بعد فترته من قولهم حميت الشّمس والنّار إذا ازداد حرهما، وقوله وصبوا علي ماء فيه أنه ينبغي لمن فزع أن يصب عليه ماء حتى يسكن فزعه والله أعلم.

وأما التّفسير فقوله عز وجل: يا أيها المدثر أصله المتدثر وهو الذي يتدثر في ثيابه ليستدفىء بها، وأجمعوا على أنه رسول الله ﷺ وإنما سماه مدثراً لقوله ﷺ دثروني، وقيل معناه يا أيّها المدثر بدثار النّبوة والرّسالة من قولهم ألبسه الله لباس التقوى، فجعل النّبوة كالدثار واللباس، مجازاً ﴿قم فأنذر﴾ أي حذرهم من عذاب ربك إن لم يؤمنوا والمعنى قم من مضجعك ودثارك، وقيل قم قيام عز واشتغل بالإنذار الذي تحملته ﴿وربك فكبر﴾ أي عظم ربك عما يقوله عبدة الأوثان ﴿وثيابك فطهر﴾ فيه أربعة أوجه: أحدها أن ينزل لفظ الثّياب والتّطهير على الحقيقة، والثاني أن

دثّروني وصبّوا عليّ ماءً بارداً، قال: فدثّروني وصبّوا عليّ ماءً بارداً، قال فنزلت: ﴿ يا أيّها المدّثّر قمْ فأنذرْ وربَّك فكبّرْ ﴾»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبد الله بن يوسف ثنا الليث عن عقيل قال ابن شهاب: سمعت أبا سلمة قال أخبرني جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يحدّث عن فترة الوحي قال: «فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت منه رعباً حتى هويت إلى الأرض، فجئت أهلي فقلت: زمّلوني زمّلوني فزمّلوني، فأنزل الله تعالى: ﴿ يا أيّها المدّثّر قمْ فأنذرْ ﴾، إلى قوله: ﴿ فاهجرْ ﴾، قال أبو سلمة: والرجز الأوثان، ثم حمى الوحي بعدُ وتتابع.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ يا أيّها المدّثر * قمْ فأنذر ﴾، أي أنذر كفّار مكة.

﴿ وربّك فكبّر ﴾، أي عظّمه عمّا يقوله عَبَدَة الأوثان.

﴿ وثيابك فطهّر ﴾، قال قتادة ومجاهد: نفسك فطهّر من الذنب، فكنّى عن النفس بالثوب، وهو قول إبراهيم والضحّاك والشعبي والزهري. وقال عكرمة: سُئِلَ ابن عباس عن قوله: ﴿ وثيابك فطهّر ﴾، فقال: لا تلبسها على معصية ولا على غدر. ثم قال: أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي: «وإني بحمد الله لا ثوب فاجر

ينزل لفظ الثياب على الحقيقة والتطهير على المجاز والثالث أن ينزل لفظ الثّياب على المجاز، والتّطهير على الحقيقة والرابع أن ينزل لفظ الثّياب والتّطهير على المجاز.

أما الوجه الأول: فمعناه وثيابك فطهر من النّجاسات والمستقذرات، وذلك أن المشركين لم يكونوا يحترزون عنها فأمر ﷺ بصون ثيابه من النجاسات، وغيرها خلافاً للمشركين.

الوجه الثاني: معناه وثيابك فقصر وذلك لأن المشركين كانوا يطولون ثيابهم ويجرون أذيالهم على النّجاسات وفي الثّوب الطّويل من الخيلاء والكبر والفخر ما ليس في الثوب القصير فنهى عن تطويل الثوب وأمر بتقصيره لذلك، وقيل معناه وثيابك فطهر عن أن تكون مغصوبة أو محرمة بل تكون من وجه حلال وكسب طيب.

الوجه الثالث: معناه حمل الثوب على النفس قال عنترة:

وشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم

يريد نفسه والمعنى ونفسك فطهر عن الذّنوب والرّيب وغيرهم وكنى بالثياب عن الجسد لأنها تشتمل عليه.

الوجه الرابع: وهو حمل الثّياب والتّطهير على المجاز، فقيل معناه وقلبك فطهر عن الصّفات المذمومة، وقيل معناه وخلقك فحسن وسئل ابن عباس عن قوله، وثيابك فطهر فقال: لا تلبسها على معصية ولا غدر أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي:

وإني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة أتقنع

والعرب تقول في وصف الرّجل بالصّدق والوفاء هو طاهر الثّياب، وتقول لمن غدر إنه لدنس الثّوب، والسّبب في ذلك أن الثوب كالشّيء الملازم للإنسان فلهذا جعلوه كناية عن الإنسان كما يقال الكرم في ثوبه والعفة في أزاره، وقيل إن من طهر باطنه طهر ظاهره.

وقوله تعالى: ﴿والرجز فاهجر﴾ يعني أترك الأوثان ولا تقربها وقال ابن عباس: اترك المآثم، وقيل الشّرك والمعنى اترك كل ما أجب لك العذاب من الأعمال والأقوال.

لبست ولا من غدرة أتقنّع» والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفاء إنه طاهر الثياب، وتقول لِمَن غدر إنه لدنس الثياب، وقال أُبيّ بن كعب: لا تلبسها على غدر ولا على ظلم ولا على إثم، البسها وأنت برّ طاهر. وروى أبو روق عن الضحاك معناه: وعملك فأصلح. قال السدي: يقال للرجل إذا كان صالحاً إنه لطاهر الثياب، وإذا كان فاجراً إنه لخبيث الثياب. وقال سعيد بن جبير: وقلبك ونيّتك فطهّر. وقال الحسن والقرظي: وخلقك فحسّنْ. وقال ابن سيرين وابن زيد: أمر بتطهير الثياب من النجاسات التي لا تجوز الصلاة معها، وذلك أن المشركين كانوا لا يتطهرون ولا يطهرون ثيابهم. وقال طاوس: وثيابك فقصّر لأن تقصير الثياب طُهْرة لها.

﴿ والرجزَ فاهجرْ ﴾، قرأ أبو جعفر وحفص عن عاصم ويعقوب والرجز بضمّ الراء، وقرأ الآخرون بكسرهما وهما لغتان ومعناهما واحد. قال مجاهد وعكرمة وقتادة والزهري وابن زيد وأبو سلمة: المراد بالرجز الأوثان، قال: فاهجرها ولا تقربها. وقيل: الزاي فيه منقلبة عن السين، والعرب تعاقب بين السين والزاي لقُرْب مخرجهما، ودليل هذا التأويل قوله: ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾ [الحج: ٣٠]، ورُوِيَ عن ابن عباس أن معناه: اترك المآثم، وقال أبو العالية والربيع: الرجز بضمّن الراء الصنم، وبالكسر النجاسة والمعصية. قال الضحاك: يعني الشرك. وقال الكلبي: يعني العذاب، ومجاز الآية اهجر ما أوجب لك العذاب من الأعمال.

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۝١٤﴾

﴿**ولا تمنن تستكثر**﴾ يعني لا تعط مالك مصانعة لتعطي أكثر منه هذا قول أكثر المفسرين وهذا النهي مختص بالنبي ﷺ وإنما نهى عن ذلك تنزيهاً لمنصب النبوة لأن من أعطى شيئاً لغيره يطلب منه الزيادة عليه لا بد وأن يتواضع لذلك الذي أعطاه، ومنصب النّبوة بحل عن ذلك وهذا غير موجود في حق الأمة، فيجوز لغيره من الأمة ذلك كما قيل هما رباءان حلال وحرام فالحلال الهدية يهديها الرجل لغيره ليعطيه أكثر منها وأما الحرام فالربا المحرم بنص الشرع، وقيل معناه لا تعط شيئاً لمجازاة الدنيا أعط لله وأراد به وجه الله. وقيل معناه لا تمنن على الله بعملك فتستكثره، ولا يكثرن عملك في عينك فإنه مما أنعم الله به عليك وأعطاك. وقيل معناه لا تمنن على أصحابك بما تعلمهم من أمر الدين وتبلغهم من أمر الوحي كالمستكثر بذلك عليهم، وقيل لا تمنن عليهم بنبوتك فتأخذ منهم على ذلك أجراً تستكثر به، وقيل معناه لا تمنن لا تضعف عن الخير تستكثر منه، وقيل معناه لا تمنن على النّاس بما تنعم عليهم وتعطيهم استكثاراً منك لتلك العطية، فإن المن يحبط العمل ﴿**ولربك فاصبر**﴾ أي على طاعته وأوامره ونواهيه لأجل ثواب الله تعالى؛ وقيل معناه فاصبر لله على ما أوذيت فيه، وقيل معناه إنك حملت أمراً عظيماً فيه محاربة العرب والعجم، فاصبر على ذلك لله عز وجل، وقيل معناه فاصبر تحت موارد القضاء لأجل الله ﴿**فإذا نقر في الناقور**﴾ أي نفخ في الصور وهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل وهي النّفخة الأولى، وقيل الثانية وهو الأصح ﴿**فذلك يومئذ**﴾ يعني يوم النفخة وهو يوم القيامة ﴿**يوم عسير**﴾ أي شديد ﴿**على الكافرين**﴾ يعني يعسر عليهم في ذلك اليوم الأمر، فيعطون كتبهم بشمائلهم وتسود وجوههم ﴿**غير يسير**﴾ أي غير هين.

فإن قلت ما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه.

﴿ **ولا تمنْن تستكثرْ** ﴾، أي لا تعطِ مالكَ مصانعةً لتُعطى أكثر منه، وهذا قول أكثر المفسّرين، قال الضحاك ومجاهد: كان هذا للنبي ﷺ خاصة. قال الضحاك: هما رِباً من حلال وحرام، فأمّا الحلال فالهدايا، وأما الحرام فالرِبا. قال قتادة: لا تعطِ شيئاً طمعاً لمجازاة الدنيا، يعني أعطِ لربّك وأردْ به اللّهَ. وقال الحسن: معناه لا تمنن على الله بعملك فتستكثره، قال الربيع: لا يكثرنّ عملك في عينك فإنه فيما أنعم الله عليك وأعطاك قليل. وروى خصيف عن مجاهد: ولا تضعفْ أن تستكثر من الخير، من قولهم: حبل متين إذا كان ضعيفاً دليله قراءة ابن مسعود (ولا تمنن أن تستكثر من الخير)، وقال ابن زيد معناه: لا تمنن بالنبوّة على الناس فتأخذ عليها أجْراً أو عرضاً من الدنيا.

﴿ **ولربِّك فاصبرْ** ﴾، قيل: فاصبر على طاعته وأوامره ونواهيه لأجل ثواب الله. وقال مجاهد: فاصبر لله على ما أُوذيت فيه. وقال ابن زيد: معناه حملت أمراً عظيماً فيه محاربة العرب والعجم فاصبر عليه لله عزّ وجلّ. وقيل: فاصبر تحت موارد القضاء لأجل الله.

﴿ **فإذا نُقِرَ في الناقور** ﴾، أي نُفِخَ في الصور، وهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل يعني النفخة الثانية.

﴿ **فذلك** ﴾ أي النفخ في الصور، ﴿ **يومئذ** ﴾، يعني يوم القيامة، ﴿ **يوم عسير** ﴾، شديد.

﴿ **على الكافرين** ﴾، يعسر فيه الأمر عليهم، ﴿ **غير يسير** ﴾، غير هيِّن.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **ذرني ومَن خلقتُ وحيداً** ﴾، أي خلقته في بطن أُمه وحيداً فريداً لا مال له ولا ولد، نزلت

قلت فائدة التكرار التأكيد كقوله: أنا محب لك غير مبغض، وقيل لما كان على الكافرين غير يسير دل على أنه يهون على المؤمنين بخلاف الكفار فإنه عليهم عسير لا يسر فيه ليزداد غيظ الكافرين وبشارة المؤمنين قوله تعالى: ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ أي خلقته في بطن أمه وحيداً فريداً لا مال له ولا ولد، وقيل معناه خلقته وحدي لم يشاركني في خلقه أحد، والمعنى ذرني وإيّاه، فأنا أكفيكه نزلت هذه الآية في الوليد بن المغيرة المخزومي، وكان يسمى الوحيد في قومه. ﴿وجعلت له مالاً ممدوداً﴾ أي كثير يمد بعضه بعضاً دائماً غير منقطع، وقيل ما يمد بالنماء كالزرع والضرع والتجارة واختلفوا في مبلغه، فقيل كان ألف دينار وقيل أربعة آلاف درهم، وقيل ألف ألف وقال ابن عباس: تسعة آلاف مثقال فضة وعنه كان له بين مكة والطّائف إبل وخيل ونعم، وكان له غنم كثيرة وعبيد وجوار: وقيل كان له بستان بالطّائف لا تنقطع ثماره شتاء ولا صيفاً، وقيل كان له غلة شهر بشهر، ﴿وبنين شهوداً﴾ أي حضوراً بمكة لا يغيبون عنه لأنهم كانوا أغنياء غير محتاجين إلى الغيبة لطلب الكسب، وقيل معنى شهوداً أي رجالاً يشهدون معه المحافل والمجامع، قيل كانوا عشرة وقيل سبعة وهم الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة نفر خالد وهشام وعمارة ﴿ومهدت له تمهيداً﴾ أي بسطت له في العيش وطول العمر بسطاً مع الجاه العريض والرياسة في قومه، وكان الوليد من أكابر قريش وكان يدعى ريحانة قريش.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾﴾

﴿ثم يطمع﴾ أي يرجو ﴿أن أزيد﴾ أي أزيده مالاً وولداً وتمهيداً ﴿كلا﴾ أي لا أفعل ولا أزيده قالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان ماله وولده حتى هلك ﴿إنه كان لآياتنا عنيداً﴾ أي معانداً والمعنى أنه كان معانداً في جميع دلائل التوحيد والقدرة والبعث والنبوة منكراً للكل، وقيل كان كفره كفر عناد وهو أنه كان يعرف هذا بقلبه وينكره بلسانه وهو أقبح الكفر وأفحشه ﴿سأرهقه صعوداً﴾ يعني سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له فيها، وعن أبي

في الوليد بن المغيرة المخزومي كان يسمى الوحيد في قومه.

﴿ وجعلت له مالاً ممدوداً ﴾. أي كثيراً. قيل: هو ما يُمَدّ بالنماء كالزرع والضرع والتجارة. واختلفوا في مبلغه، قال مجاهد وسعيد بن جبير: مائة ألف دينار. وقال قتادة: أربعة آلاف دينار. وقال سفيان الثّوري: ألف ألف. وقال ابن عباس تسعة آلاف مثقال فضة. وقال مقاتل: كان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره شتاءً ولا صيفاً. وقال عطاء عن ابن عباس: كان له بين مكة والطائف إبل وخيل ونَعَم، وكان له عير كثيرة وعبيد وجَوَارٍ. وقيل: مالاً ممدوداً غلّة شهر بشهر.

﴿ وبنين شهوداً ﴾ حضوراً بمكة لا يغيبون عنه وكانوا عشرة، قاله مجاهد وقتادة. وقال مقاتل: كانوا سبعة وهم الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس، أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة.

﴿ ومهّدتُ له تمهيداً ﴾، أي بسطت له في العيش وطول العمر بسطاً. وقال الكلبي: يعني المال بعضه على بعض كما يمهد الفرش.

﴿ ثم يطمع ﴾، يرجو، ﴿ أن أزيد ﴾، أي أن أزيده مالاً وولداً، وتمهيداً.

﴿ كلا ﴾، لا أفعل ولا أزيده، قالوا: فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك. ﴿ إنه كان لآياتنا عنيداً ﴾، معانداً.

﴿ سأرهقه صُعوداً ﴾، سأُكلّفه مشقّة من العذاب لا راحة له فيها، وروينا عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال:

سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «الصعود عقبة في النار يتصعد فيها الكافر سبعين خريفاً ثم يهوي فيها سبعين خريفاً فهو كذلك أبداً» أخرجه الترمذي. وقال حديث غريب وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله سأرهقه صعوداً. قال هو جبل من نار يكلف أن يصعده فإذا وضع يده ذابت فإذا رفعها عادت، وإذا وضع رجله ذابت فإذا رفعها عادت وقال الكلبي الصعود صخرة ملساء في النّار يكلف الكافر أن يصعدها لا يترك يتنفس في صعوده يجذب من أمامه بسلاسل الحديد، ويضرب من خلفه بمقامع من حديد فيصعدها في أربعين عاماً، فإذا بلغ ذروتها أحدر إلى أسفلها، ثم يكلف أن يصعدها يجذب من أمامه، ويضرب من خلفه فذلك دأبه أبداً قوله عز وجل ﴿إنه فكر وقدر﴾ أي فكر في الأمر الذي يريده ونظر فيه وتدبره ورتب في قلبه كلاماً، وهيأه لذلك لأمر وهو المراد بقوله ﴿وقدر﴾ أي وقدر ذلك الكلام في قلبه وذلك أن الله تعالى لما أنزل على نبيه ﷺ ﴿حمٓ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾ إلى قوله ﴿المصير﴾ قام النبي ﷺ في المسجد يصلي والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي ﷺ لاستماعه أعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه من بني مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو وما يعلي ثم انصرف إلى منزله فقالت قريش صبأ والله الوليد ولتصبون قريش كلهم فقال أبو جهل: إنا أكفيكموه فانطلق حتى جلس إلى جنب الوليد حزيناً فقال له الوليد ما لي أراك حزيناً يا ابن أخي؟ فقال وما يمنعني أن لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك، ويزعمون أنك زينت كلام محمد، وإنك تدخل على ابن أبي كبشة، وابن أبي قحافة لتنال من فضل طعامهم. فغضب الوليد وقال ألم تعلم قريش

«الصعود جبل من نار يتصعّد فيه سبعين خريفاً، ثم يهوي». أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا عمر بن الخطاب ثنا عبد الله بن الفضل أنا منجاب بن الحارث أنا شريك عن عمّار الذهني عن عطية عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قوله: «سأرهقه صعوداً» قال: «هو جبل في النار من نار يكلّف أن يصعده فإذا وضع يده ذابت، فإذا رفعها عادت فإذا وضع رجله ذابت، وإذا رفعها عادت». وقال الكلبي: الصعود صخرة ملساء في النار يُكلّف أن يصعدها لا يُترَك أن يتنفس في صعوده ويجذب من أمامه بسلاسل من حديد ويُضرَب من خلفه بمقامع من حديد، فيصعدها في أربعين عاماً فإذا بلغ ذروتها أُحدر إلى أسفلها، ثم يكلّف أن يصعدها ويجذب مَن أمامه ويضرب مَن خلفه فذلك دأبه أبداً.

﴿ إنه فكر وقدر ﴾ الآيات، وذلك أن الله تعالى لمّا أنزل على النبي ﷺ ﴿حمٓ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ﴾، إلى قوله: ﴿ المصير ﴾ [غافر: ١ ـ ٣٢] قام النبي ﷺ في المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي ﷺ لاستماعه لقراءته أعاد قراءة الآية، فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه من بني مخزوم، فقال: والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجنّ، وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وأنه يعلو وما يُعلى، ثم انصرف إلى منزله فقالت قريش: صبأ والله الوليد، والله لتصبونّ قريش كلهم، وكان يقال للوليد: ريحانة قريش، فقال لهم أبو جهل: أنا أكفيكموه فانطلق فقعد إلى جنب الوليد حزيناً، فقال له الوليد: ما لي أراك حزيناً يا ابن أخي؟ قال: وما يمنعني أن لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنّك ويزعمون أنك زيّنت كلام محمد وأنك تدخل على ابن أبي كبشة، وابن أبي قحافة لتنال من فضل طعامهم، فغضب الوليد، فقال: ألم تعلم قريش أني من أكثرهم مالاً وولداً، وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام فيكون لهم فضل، ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه، فقال لهم: تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يخنق قطّ؟ قالوا: اللّهمّ لا، قال: تزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه قطّ تكهّن؟ قالوا:

أني من أكثرهم مالاً وولداً؟ وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل طعام ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه، فقال لهم تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يخنق قط؟ قالوا اللّهم لا قال تزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن؟ قالوا اللّهم لا قال تزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر قط؟ قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب، قالوا اللّهم لا وكان رسول الله ﷺ يسمى الأمين قبل النبوة لصدقه، فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر في نفسه، ثم قال ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل، وأهله، وولده، ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر. فذلك قوله عز وجل: ﴿**إنه فكر**﴾ أي في أمر محمد ﷺ والقرآن وقدر في نفسه ماذا يمكنه أن يقول في محمد ﷺ والقرآن.

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝٢٩﴾

﴿**فقتل كيف قدر**﴾ أي عذب، وقيل لعن كيف قدر وهو على طريق التعجب والإنكار والتوبيخ ﴿**ثم قتل كيف قدر**﴾ كرره للتأكيد، وقيل معناه لعن على أي حال قدر من الكلام ﴿**ثم نظر**﴾ أي في طلب ما يدفع به القرآن ويرده ﴿**ثم عبس وبسر**﴾ أي كلح وقطب وجهه كالمهتم المتفكر في شيء يدبره ﴿**ثم أدبر**﴾ أي عن الإيمان ﴿**واستكبر**﴾ أي حين دعى إليه ﴿**فقال إن هذا**﴾ الذي يقوله محمد ويقرؤوه ﴿**إلا سحر يؤثر**﴾ يروى ويحكى عن السحرة ﴿**إنْ هذا إلا قول البشر**﴾ يعني يساراً وجبراً فهو يأثره عنهما الله قال الله تعالى: ﴿**سأصليه**﴾ أي سأدخله ﴿**سقر**﴾ هو اسم من أسماء جهنّم وقيل آخر دركاتها ﴿**وما أدراك ما سقر**﴾ أي وما أعلمك أي شيء هي سقر، وإنما ذكره على سبيل التّهويل والتّعظيم لأمرها ﴿**لا تبقى ولا تذر**﴾ قيل هما بمعنى كما تقول صد عني وأعرض عني وقيل لا بد من الفرق وإلا لزم

اللّهمَّ لا، قال: تزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر قطّ؟ قالوا: اللّهمَّ لا. قال: تزعمون أنه كذاب فهل جرّبتم عليه شيءً من الكذب؟ قالوا: لا، وكان رسول الله ﷺ يسمّى الأمين قبل النبوّة من صدقه، فقالت قريش للوليد: فما هو؟ فتفكّر في نفسه ثم نظر وعبس، فقال: ما هو إلاّ ساحر، أمَا رأيتموه يفرّق بين الرجل وأهله وولده ومواليه؟ فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ **إنه فكّر** ﴾ في محمد والقرآن ﴿ **وقدر** ﴾ في نفسه ماذا يمكنه أن يقول في محمد والقرآن.

﴿ **فقتل** ﴾، لعن، وقال الزهري: عُذّب، ﴿ **كيف قدّر** ﴾، على طريق التعجّب والإنكار والتوبيخ

﴿ **ثم قتل كيف قدّر** ﴾، كرّره للتأكيد، وقيل: معناه لعن على أي حال قدر من الكلام، كما يقال لأضربنّه كيف صنع أي على أيّ حالٍ صنع.

﴿ **ثم نظر** ﴾ في طلب ما يدفع به القرآن ويردّه.

﴿ **ثم عبس وبسر** ﴾، كلح وقطب وجهه فنظر بكراهية شديدة كالمهتمّ المتفكّر في شيء.

﴿ **ثم أدبر** ﴾، عن الإيمان، ﴿ **واستكبر** ﴾، تكبّر حين دعى إليه.

﴿ **فقال إن هذا** ﴾، ما هذا الذي يقرأه محمد، ﴿ **إلاّ سحر يؤثر** ﴾، يُروَى ويُحكى عن السَّحرَة.

﴿ **إن هذا إلاّ قول البشر** ﴾، يعني يساراً وجبراً فهو يأثره عنهما. **وقيل**: يرويه عن مسلمة صاحب اليمامة.

قال الله تعالى: ﴿ **سأصليه** ﴾، سأُدخله، ﴿ **سقر** ﴾، وسقر اسم من أسماء جهنم.

التكرار فقيل معناه لا تبقى أحداً من المستحقين للعذاب إلا أخذته، ثم لا تذر من لحوم أولئك شيئاً إلا أكلته وأهلكته، وقيل لا يموت فيها ولا يحيا أي لا تبقى من فيها حياً ولا تذر من فيها ميتاً كلما احترقوا جددوا وأعيدوا، وقيل لا تبقى لهم لحماً ولا تذر منهم عظماً، وقيل لكل شيء ملال وفترة إلا جهنم ليس لها ملال ولا فترة فهي لا تبقى عليهم ولا تذرهم ﴿لواحة للبشر﴾ جمع بشرة أي مغيرة للجلد حتى تجعله أسود قال مجاهد: تلفح الجلد حتى تدعه أشد سواداً من اللّيل وقال ابن عباس: محرقة للجلد، وقيل تلوح لهم جهنم حتى يروها عياناً.

عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾

﴿عليها تسعة عشر﴾ أي على النار تسعة عشر من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر جاء في الأثر «إن أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصّياصي يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة قد نزعت منهم الرّحمة يدفع أحدهم سبعين ألفاً فيرميهم حيث أراد من جهنم» وقال عمرو بن دينار: إن أحدهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر وقال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية. قال أبو جهل: لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمع من ابن أبي كبشة يخبر أن خزنة النار تسعة عشر، وأنتم الدهم يعني الشجعان أفيعجز كل عشر منكم أن تبطش بواحد منهم يعني خزنة جهنم، فقال أبو الأشد بن أسيد بن كلدة بن خلف الجمحي أنا أكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري، وسبعة على بطني، وأكفوني أنتم اثنين ويروى عنه أنه قال أنا أمشي بين أيديكم على الصّراط فأدفع عشرة بمنكبي الأيمن وتسعة بمنكبي الأيسر في النار ونمضي فندخل الجنة. فأنزل الله تعالى: ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا

﴿ وما أدراك ما سقر * لا تُبقي ولا تذر ﴾، أي لا تبقي ولا تذر فيها شيئاً إلّا أكلته وأهلكته. وقال مجاهد: لا تُميت ولا تحيي يعني لا تُبقي فيها حيّاً ولا تذر مَن فيها ميتاً كلما احترقوا جُدّدوا. وقال السدي: لا تُبقي لهم لحماً ولا تذر لهم عظماً. وقال الضحاك: إذا أخذت فيهم لم تُبقِ منهم شيئاً وإذا أُعيدوا لم تذرهم حتى تفنيهم، ولكل شيء ملالة وفترة إلّا جهنم.

﴿ لوّاحةٌ للبشر ﴾، مغيّرة للجلد حتى تجعله أسود، يقال: لاحه السقم والحزن إذ غيّره، قال مجاهد: تلفح الجلد حتى تدعه أشدّ سواداً من الليل. وقال ابن عباس وزيد بن أسلم: محرِقة للجلد. وقال الحسن وابن كيسان: تلوح لهم جهنم حتى يروها عياناً نظيره قوله: ﴿ وبُرِّزتِ الجحيم للغاوين ﴾ [الشعراء: ٩١]، و﴿ لوّاحة ﴾ رفع على نعت، ﴿ سقر ﴾ في قوله: ﴿ وما أدراك ما سقر ﴾، و﴿ البشر ﴾ جمع بشرة وجمع البشر أبشار.

﴿ عَليها تسعة عشر ﴾، أي على النار تسعة عشر من الملائكة، وهم خَزَنَتها مالك ومعه ثمانية عشر، وجاء في الأثر: أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصي يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، نُزعت منهم الرحمة يرفع أحدهم سبعين ألفاً فيرميهم حيث أراد من جهنم. قال عَمرو بن دينار: إن واحداً منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر. قال ابن عباس وقتادة والضحاك: لمّا نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أُمّهاتكم أسمع ابن أبي كبشة يخبر أن خَزَنَة جهنم تسعة عشر وأنتم الدهم أي الشجعان أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد من خَزَنَة جهنم؟ قال أبو الأشد أسيد بن كلدة بن خلف الجمحي: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر، عشرة على ظهري وسبعة على بطني، فاكفوني أنتم اثنين. ورُوِيَ أنه قال: أنا أمشي بين أيديكم على

ملائكة﴾ يعني لا رجالاً آدميين فمن ذا يغلب الملائكة وإنما جعلهم ملائكة ليكونوا من غير جنس المعذبين وأشد منهم لأن الجنسية مظنة الرّأفة والرّحمة **﴿وما جعلنا عدتهم﴾** أي عددهم في القلة **﴿إلا فتنة للذين كفروا﴾** أي ضلالة لهم حتى قالوا ما قالوا، وقيل فتنتهم هي قولهم لم لم يكونوا عشرين، وما الحكمة في تخصيص هذا العدد وقيل فتنتهم هي قولهم كيف يقدر هذا العدد، القليل على تعذيب جميع من في النار.

وأجيب عن قولهم لم لم يكونوا عشرين بأن أفعال الله تعالى لا تعلل ولا يقال فيها لم، وتخصيص الزبانية بهذا العدد لأمر اقتضته الحكمة، وقيل وجه الحكمة في كونهم تسعة عشر أن هذا العدد يجمع أكثر القليل، وأقل الكثير، ووجه ذلك أن الآحاد أقل الأعداد وأكثرها تسعة، وأقل الكثير عشرة فوقع الاقتصار على عدد يجمع أقل الكثير وأكثر القليل لهذه الحكمة، وما سوى ذلك من الأعداد فكثير لا يدخل تحت الحصر.

وأجيب عن قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع أهل النّار، وذلك بأن الله جلّ جلاله يعطي هذا القليل من القوة والقدرة ما يقدرون به على ذلك، فمن اعترف بكمال قدرة الله، وأنه على كل شيء قدير وأن أحوال القيامة على خلاف أحوال الدنيا زال عن قلبه هذا الاستبعاد بالكلية. **﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾** يعني أن هذا العدد مكتوب في التّوراة والإنجيل أنهم تسعة عشر **﴿ويزداد الذين آمنوا إيماناً﴾** يعني من آمن من أهل الكتاب يزدادون تصديقاً بمحمد ﷺ، وذلك أن العدد كان موجوداً في كتابهم وأخبر به النّبي ﷺ على وفق ما عندهم من غير سابقة دراسة، وتعلم علم إنما حصل له ذلك بالوحي السّماوي، فازدادوا بذلك إيماناً وتصديقاً بمحمد ﷺ. **﴿ولا يرتاب﴾** أي ولا يشك **﴿الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾** يعني في عددهم وإنما قال ولا يرتاب وإن كان الاستيقان يدل على نفي الارتياب ليجمع لهم بين إثبات اليقين ونفي الشّك، وذلك أبلغ وآكد لأن فيه تعريضاً بحال غيرهم كأنه قال: وليخالف حالهم حال الناس المرتابين من أهل الكفر، والنفاق **﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض﴾** أي شك ونفاق **﴿والكافرون﴾** أي مشركو مكة.

فإن قلت لم يكن بمكة نفاق فكيف قال، وليقول الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون وهذه السورة مكية.

قلت لأنه كان في علم الله تعالى أن النفاق سيحدث فأخبره عما سيكون وهو كسائر الإخبار بالغيوب فعلى هذا تصير الآية معجزة للنبي ﷺ لأنه إخبار عن غيب سيقع وقد وقع على وفق الخبر، وقيل يحتمل أن يراد بالّذين في قلوبهم مرض أهل مكة لأن فيهم من هو شاك وفيهم من هو قاطع بالكذب **﴿ماذا أراد الله بهذا مثلاً﴾** يعني أي شيء أراد الله بهذا المثل العجيب، وإنما سموه مثلاً لأنه استعارة من المثل المضروب لأنه مما غرب من الكلام وبدع استغراباً منهم لهذا العقد واستبعاداً له، والمعنى أيّ غرض قصد في جعل الملائكة تسعة عشرة لا عشرين ومرادهم بذلك إنكار

الصراط فأدفع عشرة بمنكبي الأيمن وتسعة بمنكبي الأيسر في النار ونمضي فندخل الجنة.

فأنزل الله عزّ وجلّ: **﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلاّ ملائكة ﴾**، لا رجالاً آدميين فمَن ذا يغلب الملائكة؟ **﴿ وما جعلنا عدّتهم ﴾**، أي عددهم في القلّة، **﴿ إلاّ فتنةً للذين كفروا ﴾**، أي ضلالة لهم حتى قالوا ما قالوا، **﴿ ليستيقن الذين أُوتوا الكتاب ﴾**، لأنه مكتوب في التوراة والإنجيل إنهم تسعة عشر، **﴿ ويزداد الذين آمنوا إيماناً ﴾**، يعني مَن آمن من أهل الكتاب يزدادون تصديقاً بمحمد ﷺ إذا وجدوا ما قاله موافقاً لما في كتبهم، **﴿ ولا يرتاب ﴾**، لا يشك، **﴿ الذين أُوتوا الكتاب والمؤمنون ﴾**، في عددهم، **﴿ وليقول الذين في قلوبهم مرض ﴾**، شك ونفاق، **﴿ والكافرون ﴾**، مشركوا مكة **﴿ ماذا أراد الله بهذا مثلاً ﴾**، أي شيء أراد بهذا الحديث؟ وأراد بالمثل الحديثَ نفسَه. **﴿ كذلك ﴾**، أي كما أضلّ الله مَن أنكر عدد الخَزَنَة وهدى مَن صدق كذلك، **﴿ يضلّ الله مَن يشاء ويهدي مَن يشاء وما يعلم جنود ربك إلاّ هو ﴾**، قال مقاتل: هذا جواب أبي جهل حين قال: أما لمحمد أعوان إلاّ

هذا من أصله وإنه ليس من عند الله فلهذا سموه مثلاً ﴿كذلك﴾ أي كما أضل من أنكر عدد الخزنة وهدى من صدق به كذلك ﴿يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾ لأن الله تعالى بيده الهداية والإضلال ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ هذا جواب لأبي جهل حين قال: أما لمحمد أعوان إلا تسعة عشر، والمعنى أن الخزنة تسعة عشر، ولهم أعوان وجنود من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى خلقوا لتعذيب أهل النار وقيل كما أن مقدورات الله تعالى غير متناهية فكذلك جنوده غير متناهية، ﴿وما هي﴾ يعني النار ﴿إلا ذكرى للبشر﴾ أي إلا تذكرة وموعظة للناس، وقيل ما هي يعني آيات القرآن ومواعظه إلا تذكرة للناس يتعظون بها ﴿كلا﴾ أي لا يتعظون ولا يتذكرون، وقيل معناه ليس الأمر كما يقول من زعم أنه يكفي أصحابه خزنة النار وقيل كلا هنا بمعنى حقاً ﴿والقمر﴾.

وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلۡبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾

﴿والليل إذا أدبر﴾ أي ولى ذاهباً، وقيل دبر بمعنى أقبل تقول العرب دبرني فلان أي جاء خلفي فالليل يأتي خلف النهار ﴿والصبح إذا أسفر﴾ أي أضاء وتبين وهذا قسم وجوابه ﴿إنها لإحدى الكبر﴾ يعني إن سقر لإحدى الأمور العظام، وقيل أراد بالكبر دركات النار وهي سبعة جهنم ولظى والحطمة والسّعير وسقر والجحيم والهاوية ﴿نذيراً للبشر﴾ قيل يحتمل أن يكون نذيراً صفة للنار، والمعنى أن النّار نذير للبشر قال الحسن: والله ما أنذر بشيء أدهى من النار، وقيل يجوز أن يكون نذيراً صفة لله تعالى، والمعنى أنا لكم منها نذير فاتقوها وقيل هو صفة للنبي ﷺ ومعناه يا أيها المدثر قم نذيراً للبشر فأنذر ﴿لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر﴾ أي يتقدم في الخير والطّاعة أو يتأخر عنهما فيقع في الشر والمعصية، والمعنى أن الإنذار قد حصل لكل واحد ممن آمن أو كفر، وقد تمسك بهذه الآية من يرى أن العبد غير مجبور على الفعل وأنه متمكن من فعل نفسه.

تسعة عشر؟ قال عطاء: وما يعلم جنود ربك إلّا هو يعني من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار، لا يعلم عدّتهم إلّا الله، والمعنى إن تسعة عشر هم خَزَنَة النار، ولهم من الأعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلمهم إلّا الله عزّ وجلّ، ثم رجع إلى ذكر سقر فقال: ﴿ وما هي ﴾، يعني النار، ﴿ إلّا ذكرى للبشر ﴾، إلّا تذكرة وموعظة للناس.

﴿ كلا والقمر ﴾، هذا قسم يقول حقاً.

﴿ والليل إذا أدبر ﴾، قرأ نافع وحمزة وحفص ويعقوب ﴿ إذ ﴾ بغير ألف، ﴿ أدبر ﴾ بالألف، وقرأ الآخرون (إذا) بالألف، (دبر) بلا ألف، لأنه أشدّ موافقة لما يليه، وهو قوله: ﴿ والصبح إذا أسفر ﴾، ولأنه ليس في القرآن قسم بجانبه إذ وإنما بجانب الأقسام إذا وكلاهما لغة، يقال: دبر الليل وأدبر إذا ولّى ذاهباً. قال أبو عمرو: دبر لغة قريش، وقال قطرب: دبر أي أقبل، تقول العرب: دبرني فلان أي جاء خلفي، فالليل يأتي خلف النهار.

﴿ والصبح إذا أسفر ﴾، أضاء وتبيّن.

﴿ إنها لإحدى الكِبَر ﴾، يعني أن سقر لإحدى الأمور العظام، وواحد الكُبَر كبرى، قال مقاتل والكلبي: أراد بالكبر دركات جهنم وهي سبعة: جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية.

﴿ نذيراً للبشر ﴾، يعني النار نذيراً للبشر. قال الحسن: والله ما أنذر الله بشيء أدهى منها، وهو نصب على القطع من قوله لإحدى الكِبَر إنها معرّفة، ونذيراً نكرة، قال الخليل: النذير مصدر كالنكير. ولذلك وصف به المؤنث، وقيل: هو من صفة الله سبحانه وتعالى، مجازه: وما جعلنا أصحاب النار إلّا ملائكة نذيراً للبشر أي إنذاراً

وأجيب عنه بأن مشيئته تابعة لمشيئة الله تعالى؛ وقيل إضافة المشيئة إلى المخاطبين على سبيل التهديد كقوله ﴿اعملوا ما شئتم﴾ وقيل هذه المشيئة لله تعالى، والمعنى لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر.

قوله تعالى: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ أي مرتهنة في النّار بكسبها ومأخوذة بعملها ﴿إلا أصحاب اليمين﴾ فإنهم غير مرتهنين بذنوبهم في النار، ولكن الله يغفرها لهم، وقيل معناه فكوا رقاب أنفسهم بأعمالهم الحسنة كما يفك الراهن رهنه بأداء الحق الذي عليه.

واختلفوا في أصحاب اليمين من هم فقيل هم المؤمنون المخلصون، وقيل هم الذين يعطون كتبهم بإيمانهم، وقيل هم الذين كانوا على يمين آدم يوم أخذ الميثاق وحين قال الله تعالى لهم: ﴿هؤلاء في الجنة ولا أبالي﴾ وقيل هم الذين كانوا ميامين أي مباركين على أنفسهم، وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنهم أطفال المسلمين وهو أشبه بالصواب لأن الأطفال لم يكتسبوا إثماً يرتهنون به وعن ابن عباس قال هم الملائكة ﴿في جنات﴾ أي هم في بساتين ﴿يتساءلون عن المجرمين﴾ أي يتساءلون المجرمين وعن صلة فيقولون لهم.

مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾

﴿ما سلككم في سقر﴾ قيل وهذا يقوي قول من قال إن أصحاب اليمين هم الأطفال لأنهم لم يعرفوا الذنوب التي توجب النّار، وقيل معناه يسأل بعضهم بعضاً عن المجرمين، فعلى هذا التفسير يكون معنى ما سلككم، أيّ يقول المسؤولون للسّائلين قلنا للمجرمين ما سلككم، أي أدخلكم وقيل ما حبسكم في سقر، وهذا سؤال توبيخ وتقريع

لهم قال أبو رزين يقول أنا لكم منها نذير، فاتّقوها. وقيل: هو صفة محمد ﷺ معناه: يا أيها المدّثّر قم نذيراً للبشر، فأنذر، وهذا معنى قول ابن زيد.

﴿ لمَن شاء ﴾، بدل من قوله للبشر: ﴿ منكم أن يتقدم ﴾، في الخير والطاعة، ﴿ أو يتأخر ﴾، عنها في الشرّ والمعصية، والمعنى: أن الإنذار قد حصل لكل واحد ممّن آمن أو كفر.

﴿ كلّ نفس بما كسبت رهينة ﴾، مرتهنة في النار بكسبها مأخوذة بعملها.

﴿ إلاّ أصحاب اليمين ﴾، فإنهم لا يرتهنون بذنوبهم في النار ولكن يغفرها الله لهم. قال قتادة: علق الناس كلهم إلا أصحاب اليمين. واختلفوا فيهم رُوِيَ عن عليّ رضي الله عنه أنهم أطفال المسلمين. وروى أبو ظبيان عن ابن عباس: هم الملائكة. وقال مقاتل: هم أصحاب الجنة الذين كانوا على يمين آدم يوم الميثاق، حين قال الله لهم: هؤلاء في الجنة ولا أبالي وعنه أيضاً: هم الذين أُعطوا كتبهم بأيمانهم، وعنه أيضاً: هم الذين كانوا ميامين على أنفسهم. وقال الحسن: هم المسلمون المخلصون. وقال القاسم: كلّ نفس مأخوذة بكسبها من خير أو شرّ إلاّ مَن اعتمد على الفضل، وكلّ مَن اعتمد على الكسب فهو رهين به، ومَن اعتمد على الفضل فهو غير مأخوذ به.

﴿ في جنّات يتساءلون * عن المجرمين ﴾، المشركين.

﴿ ما سلككم ﴾، أدخلكم، ﴿ في سقر ﴾، فأجابوا.

و﴿ قالوا لَمْ نكُ من المصلّين ﴾، لله.

﴿ ولم نكُ نطعم المسكين * وكنّا نخوض ﴾، في الباطل، ﴿ مع الخائضين * وكنّا نكذب بيوم الدين *

﴿قالوا﴾ مجيبين لهم ﴿لم نك من المصلين﴾ أي لله في الدّنيا ﴿ولم نك نطعم المسكين﴾ أي لم نتصدق عليه ﴿وكنا نخوض مع الخائضين﴾ أي في الباطل ﴿وكنا نكذب بيوم الدين﴾ أي بيوم الجزاء على الأعمال وهو يوم القيامة ﴿حتى أتانا اليقين﴾ يعني الموت قال الله تعالى: ﴿فما تنفعهم شافعة الشّافعين﴾ قال ابن مسعود: تشفع الملائكة والنّبيون والشهداء والصحالون وجميع المؤمنين فلا يبقى في النار إلا أربعة ثم تلا ﴿قالوا لم نك من المصلين﴾ الآية، وقال عمران بن حصين: الشّفاعة نافعة لكل أحد دون هؤلاء الذين تسمعون. روى البغوي بسنده عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يصف أهل النار فيعذبون قال فيمر بهم الرجل من أهل الجنة، فيقول للرجل منهم يا فلان فيقول ما تريد فيقول أما تذكر رجلاً سقاك شربة يوم كذا وكذا قال؛ فيقول وإنك لأنت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه قال، ثم يمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول يا فلان فيقول ما تريد فيقول أما تذكر رجلاً وهب لك وضوءاً يوم كذا وكذا، فيقول وإنك لأنت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه» ﴿فما لهم عن التذكرة معرضين﴾ أيّ عن مواعظ القرآن ﴿كأنهم حمر﴾ جمع حمار ﴿مستنفرة﴾ قرىء بالكسر أي نافرة وقرىء بالفتح أي منفرة مذعورة محمولة على النفار ﴿فرت من قسورة﴾ قيل القسورة جماعة الرّماة لا واحد له من لفظه، وهي رواية عن ابن عباس وعنه أنها القناص وعنه قال: هي حبال الصيادين، وقيل معناه فرت من رجال أقوياء وكل ضخم شديد عند العرب قسورة وقسور وقيل القسورة لغط القوم وأصواتهم وقيل القسورة شدة سواد ظلمة اللّيل وقال أبو هريرة: هي الأسد وذلك لأن الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت فكذلك هؤلاء المشركون إذا سمعوا النبي ﷺ يقرأ القرآن هربوا منه شبههم بالحمر في

حتى أتانا اليقين ﴾، وهو الموت.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿ **فما تنفعهم شفاعة الشافعين** ﴾، قال ابن مسعود: تشفع الملائكة والنبيّون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين، فلا يبقى في النار إلّا أربعة، ثم تلا: ﴿ **قالوا لم نكُ من المصلّين** ﴾ إلى قوله: ﴿ **يوم الدين** ﴾، قال عمران بن الحصين: الشفاعة نافعة لكل واحد دون هؤلاء الذين تسمعون. أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أحمد بن الحسين الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي ثنا محمد بن حماد ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن يزيد الرقاشي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ يصف أهل النار فيعذبون قال: «فيمرّ بهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم يا فلان قال: فيقول: ما تريد؟ فيقول: أما تذكر رجلاً سقاك شربة ماء يوم كذا وكذا؟ قال: فيقول: وإنك لأنت هو؟ فيقول: نعم، فيشفع له فيُشفّع فيه. قال: ثم يمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول: يا فلان، فيقول: ما تريد؟ فيقول: أما تذكر رجلاً وهب لك وضوءاً يوم كذا وكذا؟ فيقول: إنك لأنت هو؟ فيقول: نعم فيشفع له فيُشفّع فيه».

﴿ **فما لهم عن التذكرة مُعرِضين** ﴾، عن مواعظ القرآن مُعرِضين نصب على الحال، وقيل صاروا معرضين.

﴿ **كأنهم حُمُر** ﴾، جمع حمار، ﴿ **مستنفرة** ﴾، قرأ أهل المدينة والشام بفتح الفاء، وقرأ الباقون بكسرها، فمَن قرأ بالفتح فمعناها مُنفِرة مذعورة، ومَن قرأ بالكسر فمعناها نافرة، يقال: نفر واستنفر بمعنى واحد، كما يقال عجب واستعجب.

﴿ **فرّتْ من قسورة** ﴾، قال مجاهد وقتادة والضحاك: القسورة جماعة الرّماة لا واحد لها من لفظها، وهي رواية عطاء عن ابن عباس. وقال سعيد بن جبير: هم القنّاص وهي رواية عطية عن ابن عباس. وقال زيد بن أسلم: من رجال أقوياء وكل ضخم شديد عند العرب قسور وقسورة. وعن أبي المتوكل قال: هي لغط القوم وأصواتهم. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: هي حبال الصيادين. وقال أبو هريرة: هي الأسد، وهو قول عطاء والكلبي،

البلادة والبله، وذلك أنه لايرى مثل نفار حمر الوحش إذا خافت من شيء.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

﴿**بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفاً منشرة**﴾ قال المفسرون إن كفار قريش قالوا لرسول الله ﷺ ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله إنك رسوله نؤمر فيه بإتباعك، وقيل إن المشركين قالوا يا محمد بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان يصبح، وعند رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك ﴿**كلا**﴾ أي لا يؤتون الصحف وهو ردع لهم عن هذه الاقتراحات ﴿**بل لا يخافون الآخرة**﴾ أي لا يخافون عذاب الآخرة والمعنى أنهم لو خافوا النّار لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الأدلة، لأنه لما حصلت المعجزات الكثيرة كفت في الدّلالة على صحة النّبوة فطلب الزّيادة يكون من باب التعنت ﴿**كلا**﴾ أي حقاً ﴿**إنه تذكرة**﴾ يعني إنه عظة عظيمة ﴿**فمن شاء ذكره**﴾ أي اتعظ به فإنما يعود نفع ذلك عليه ﴿**وما يذكرون إلا أن يشاء الله**﴾ أي إلا أن يشاء الله لهم الهدى فيتذكروا ويتعظوا ﴿**هو أهل التقوى وأهل المغفرة**﴾ أي هو حقيق بأن يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا به ويطيعوه، وهو حقيق بأن يغفر لهم ما سلف من كفرهم وذنوبهم. وقيل هو أهل أن تتقي محارمه، وأهل أن يغفر لمن اتقاه عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في هذه الآية: هو أهل التّقوى وأهل المغفرة قال الله تبارك، وتعالى أنا أهل أن أتقي فمن اتقاني فلم يجعل معي إلهاً فأنا أهل أن أغفر له أخرجه التّرمذي، وقال حديث غريب وفي إسناده سهيل بن عبد الله القطيعي وليس بالقوي في الحديث وقد تفرد به عن ثابت، والله تعالى أعلم بمراده.

وذلك أن الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت، كذلك هؤلاء المشركين إذا سمعوا النبي ﷺ يقرأ القرآن هربوا منه. قال عكرمة: هي ظلمة الليل، ويقال لسواد أول الليل قسورة.

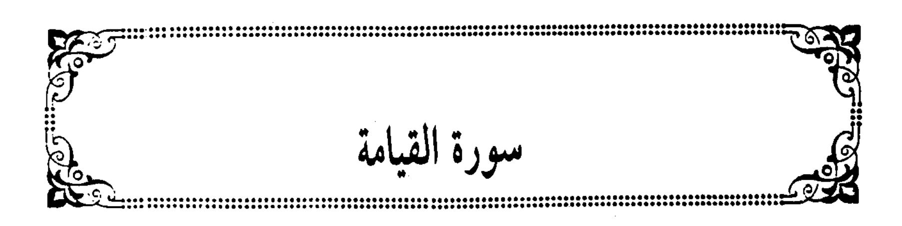
﴿ **بل يريد كل امرىء منهم أن يُؤتى صحفاً منشرة** ﴾، قال المفسّرون: إن كفّار قريش قالوا لرسول الله ﷺ: ليصبح عند رأس كل رجل منّا كتاب منشور من الله أنك لرسوله نؤمر فيه باتّباعك. قال الكلبي: إن المشركين قالوا: يا محمد بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان يصبح مكتوباً عند رأسه ذنبه وكفّارته، فاتنا بمثل ذلك، والصحف الكتب وهي جمع الصحيفة ومنشرة منشورة.

فقال الله تعالى: ﴿ **كلا** ﴾، لا يؤتون الصحف. وقيل: حقاً وكل ما ورد عليك منه فهذا وجهه بل، ﴿ **لا يخافون الآخرة** ﴾، أي لا يخافون عذاب الآخرة، والمعنى أنهم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الأدلّة.

﴿ **كلا** ﴾، حقاً، ﴿ **إنه** ﴾، يعني القرآن، ﴿ **تذكرة** ﴾، موعظة.

﴿ **فمَن شاء ذكره** ﴾، اتّعظ به.

﴿ **وما يذكرون** ﴾، قرأ نافع ويعقوب تذكرون بالتاء والآخرون بالياء، ﴿ **إلّا أن يشاء الله** ﴾، قال مقاتل: إلّا أن يشاء الله لهم الهدى. ﴿ **هو أهل التقوى وأهل المغفرة** ﴾، أي أهل أن يُتقى محارمه وأهل أن يغفر لمَن اتّقاه، أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا ابن فنجويه ثنا عمر بن الخطاب ثنا عبد الله بن الفضل ثنا هدية بن خالد ثنا سهيل بن أبي حزم عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ قال في هذه الآية: ﴿ **هو أهل التقوى وأهل المغفرة** ﴾ قال: قال ربّكم عزّ وجلّ: «أنا أهل أن أُتقى ولا يُشرَكَ بي غيري، وأنا أهل لمَن اتّقى أن يشركَ بي أن أغفر له»، وسهيل هو ابن عبد الرحمن القطيعي أخو حزم القطيعي.



سورة القيامة

مكية وهي أربعون آية ومائة وتسع وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾

قوله عز وجل: ﴿**لا أقسم بيوم القيامة**﴾ اتفقوا على أن المعنى أقسم، واختلفوا في لفظ لا فقيل إدخال لفظة لا على القسم مستفيض في كلام العرب، وأشعارهم قال امرؤ القيس:

لا وأبيك ابنة العامري ... لا يدعى القوم أني أفر

قالوا: وفائدتها تأكيد القسم كقولك لا والله ما ذاك كما تقول تريد والله فيجوز حذفها. لكنه أبلغ في الرّد مع إثباتها، وقيل إنها صلة كقول الله تعالى: ﴿**لئلا يعلم أهل الكتاب**﴾ وفيه ضعف لأنها لا تزاد إلا في وسط الكلام لا في أوله.

وأجيب عنه بأن القرآن في حكم السّورة الواحدة بعضه متصل ببعض يدل عليه أنه قد يجيء ذكر الشيء في سورة، ويذكر جوابه في سورة أخرى كقوله: ﴿**يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون**﴾ وجوابه في سورة ﴿**ما أنت بنعمة ربك بمجنون**﴾ وإذا كان كذلك كان أول هذه السورة جارياً مجرى الوسط وفيه ضعف أيضاً لأن القرآن في حكم السّورة الواحدة في عدم التناقض لا أن تقرن سورة بما بعدها فذلك غير جائز، وقيل لا رد لكلام المشركين المنكرين للبعث أي ليس الأمر كما زعموا، ثم ابتدأ فقال أقسم بيوم القيامة وأقسم بالنفس اللّوامة، وقيل الوجه فيه أن يقال إن لا هي للنفي، والمعنى في ذلك كأنه قال لا أقسم بذلك اليوم ولا بتلك النّفس إلا إعظاماً لهما فيكون الغرض تعظيم المقسم به وتفخيم شأنه، وقيل معناه لا أقسم بهذه الأشياء على إثبات هذا المطلوب فإنه إثباته أظهر من أن يقسم عليه. وروى البغوي في تفسير القيامة عن المغيرة بن شعبة قال: يقولون القيامة وقيامة أحدهم موته وشهد علقمة

سُورَة القِيَامَة

مكيّة وهي أربعون آية.

﴿ **لا أُقسم بيوم القيامة** ﴾، قرأ القواس عن ابن كثير (لا قسم) الحرف الأول بلا ألف قبل الهمزة.

﴿ **ولا أُقسم بالنفس اللوّامة** ﴾، بالألف وكذلك قرأ عبد الرحمن الأعرج، على معنى أنه أقسم بيوم القيامة، ولم يقسم بالنفس اللوّامة والصحيح، أنه أقسم بهما جميعاً و﴿ **لا** ﴾ صلة فيهما أي أُقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوّامة. وقال أبو بكر بن عياش: هو تأكيد للقَسَم كقولك لا والله. وقال الفرّاء: لا ردّ لكلام المشركين المنكرين،

جنازة فلما دفنت قال أما هذا فقد قامت قيامته وفيه ضعف لاتفاق المفسرين على أن المراد به القيامة الكبرى لسياق الآيات في ذلك. وقوله ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ قيل هي التي تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء، وقيل اللوامة هي التي تندم على ما فات فتقول لو فعلت ولو لم تفعل وقيل ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها إن كانت عملت خيراً تقول هلا ازددت وإن عملت شراً تقول يا ليتني لم أفعل وقال الحسن: هي نفس المؤمن إن المؤمن ما تراه إلا يلوم نفسه ما أردت بكلامي ما أردت بأكلي، وإن الكفار يمضي ولا يحاسب نفسه، ولا يعاتبها، وقيل هي النّفس الشّريفة التي تلوم النّفوس العاصية يوم القيامة بسبب ترك التّقوى، وقيل هي النّفس الشريفة التي لا تزال تلوم نفسها وإن اجتهدت في الطاعة وقيل هي النّفس الشّقية العاصية يوم القيامة بسبب ترك التقوى، وقيل هي النفس الشقية تلوم نفسها حين تعاين أهوال يوم القيامة فتقول «يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله» فإن قلت أيّ مناسبة بين يوم القيامة، وبين النّفس اللّوامة حتى جمع بينهما في القسم.

قلت وجه المناسبة أن في يوم القيامة تظهر أحوال النفوس اللّوامة من الشقاوة أو السعادة فلهذا حسن الجمع بينهما في القسم وقيل إنما وقع القسم بالنفس اللوامة على معنى التعظيم لها من حيث إنها أبداً تستحقر فعلها واجتهادها في طاعة الله تعالى؛ وقيل إنه تعالى: أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنّفس اللّوامة فكأنه قال أقسم بيوم القيامة تعظيماً لها ولا أقسم بالنفس اللوامة تحقيراً لها لأن النّفس الكافرة أو الفاجرة لا يقسم بها، فإن قلت المقسم به هو يوم القيامة، والمقسم عليه هو يوم القيامة، فيصير حاصله أنه أقسم بيوم القيامة على وقوع القيامة وفيه إشكال.

قلت إن المحققين قالوا: القسم بهذه الأشياء قسم بربها في الحقيقة، فكأنه قال أقسم برب القيامة، وقيل لله تعالى أن يقسم بما يشاء من خلقه وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ثم لتحاسبن يدل عليه قوله تعالى: ﴿أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه﴾ وقيل جواب القسم قوله:

ثم ابتدأ فقال أُقسم بيوم القيامة وأقسم بالنفس اللوّامة. وقال المغيرة بن شعبة: يقولون القيامة وقيامة أحدهم موته، وشهد علقمة جنازة فلما دفنت قال: أما هذا فقد قامت قيامته. ﴿ ولا أُقسم بالنفس اللوّامة ﴾ قال سعيد بن جبير وعكرمة: تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السرّاء والضرّاء. قال قتادة: اللوّامة الفاجرة. قال مجاهد: تندم على ما فات وتقول لو فعلت ولو لم أفعل. قال الفرّاء: ليس من نفس برّة ولا فاجرة إلاّ وهي تلوم نفسها، إن كانت عملت خيراً قالت: هلاّ ازددت، وإن عملت شرّاً قالت: ليتني لم أفعل. قال الحسن: هي النفس المؤمنة قال: إن المؤمن والله ما تراه إلاّ يلوم نفسه ما أردت بكلامي ما أردت بأكلتي وإن الفاجر يمضي قُدُماً لا يحاسب نفسه ولا يعاتبها. قال مقاتل: هي النفس الكافرة تلوم نفسها في الآخرة على ما فرّطت في أمر الله في الدنيا.

﴿ أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ﴾، نزلت في عدي بن ربيعة حليف بني زهرة ختن الأخنس بن شريق الثقفي، وكان النبي ﷺ يقول: اللّهمَّ اكفني جاري السوء يعني عدياً والأخنس. وذلك أن عدي بن ربيعة أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد حدّثني عن القيامة متى تكون وكيف أمرها وحالها؟ فأخبره النبي ﷺ فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أُصدّقك ولم أُؤمن بك أو يجمع الله العظام، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ أيحسب الإنسان ﴾ يعني الكافر ﴿ أن لن نجمع عظامه ﴾ بعد التفرّق والبلى فنُحييه، قيل: ذكر العظام وأراد نفسه لأن العظام قالب النفس لا يستوي الخلق إلاّ باستوائها. وقيل: هو خارج على قول المنكر أو يجمع الله العظام كقوله: ﴿ قال مَن يُحيـي العظام وهي رميم ﴾ [يٓس: ٧٨].

﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥﴾

﴿**بلى قادرين على أن نسوي بنانه**﴾ ومعنى أيحسب الإنسان أيظن هذا الكافر أن العظام بعد تفرقها ورجوعها رميماً، ورفاتاً مختلطة بالتراب وبعد ما نسفتها الريح فطيرتها في أباعد الأرض أن لن نجمع عظامه، أي لا يمكننا جمعها مرة أخرى وكيف خطر بباله هذا الخاطر الفاسد، وما علم أن القادر على الإبداء قادر على الإعادة نزلت هذه الآية في عدي بن ربيعة حليف بني زهرة وهو ختن الأخنس بن شريق الثقفي وكان النبي ﷺ يقول اللهم اكفني جاري السوء يعني عدياً والأخنس وذلك أن عدياً أتى النبي ﷺ فقال يا محمد حدثني متى تكون القيامة وكيف أمرها وحالها فأخبره النبي ﷺ فقال عدي بن ربيعة لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك، ولم أؤمن بك أو يجمع الله العظام فأنزل الله عز وجل. أيحسب الإنسان يعني هذا الكافر أن لن نجمع عظامه يعني بعد التفرق والبلاء فنحييه ما كان أول مرة، وقيل ذكر العظام وأراد بها نفسه جميعها لأن العظام قالب النّفوس، ولا يستوي الخلق إلا باستوائها، وقيل إنما خرج على وفق قول هذا المنكر، أو يجمع الله العظام بلى قادرين يعني على جمع عظامه، وتأليفها وإعادتها إلى التركيب الأول والحالة، والهيئة الأولى وعلى ما هو أعظم من ذلك، وهو أن نسوي بنانه يعني أنامله فنجعل أصابع يديه ورجليه شيئاً واحداً كخف البعير، أو كحافر الحمار، فلا يقدر أن يرتفق بها بالقبض والبسط والأعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرهما، وقيل معناه أظن الكافر أن لن نقدر على عظامه بلى نقدر على جمع عظامه حتى نعيدالسّلاميات على صغرها إلى أماكنها، ونؤلف بينها حتى نسوي البنان فمن يقدر على جمع العظام الصغار، فهو على جمع كبارها أقدر وهذا القول أقرب إلى الصواب، وقيل إنما خص البنان بالذكر لأنه آخر ما يتم به الخلق.

قوله تعالى: ﴿**بل يريد الإنسان ليفجر أمامه**﴾ أي ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان ما عاش لا ينزع عن المعاصي ولا يتوب وقال سعيد بن جبير يقدم الذّنب ويؤخر التوبة، ويقول سوف أتوب سوف أعمل حتى يأتيه الموت وهو على سوء حاله وشر أعماله، وقيل هو طول الأمل يقول أعيش فأصيب من الدّنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس: يكذب بما أمامه من البعث والحساب، وأصل الفجور الميل وسمي الكافر والفاسق فاجراً لميله عن الحق.

﴿ **بلى قادرين** ﴾، أي نقدر استقبال صرف إلى الحال، قال الفرّاء: ﴿ **قادرين** ﴾ نصب على الخروج من نجمع كما تقول في الكلام أتحسب أن لا نقدر عليك؟ بلى قادرين على أقوى منك، يريد بل قادرين على أكثر من ذا، مجاز الآية: بلى نقدر على جمع عظامه وعلى ما هو أعظم من ذلك، وهو: ﴿ **على أن نسوّي بنانه** ﴾، أنامله فنجعل أصابع يديه ورجليه شيئاً واحداً كخفّ البعير وحافر الحمار فلا يرتفق بها بالقبض والبسط والأعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرها، هذا قول أكثر المفسّرين. وقال الزجّاج وابن قتيبة: معناه ظنّ الكافر أنّا لا نقدر على جمع عظامه بلى نقدر على أن نُعيد السلاميات على صغرها فنؤلّف بينها حتى نسوّي البنان، فمَن قدر على جمع صغار العظام فهو على جمع كبارها أقدر.

﴿ **بل يريد الإنسان ليفجر أمامه** ﴾، يقول لا يجهل ابن آدم أن ربّه قادر على جمع عظامه لكنه يريد أن يفجر أمامه أي يمضي قُدُماً في الله ما عاش راكباً رأسه لا ينزع عنها ولا يتوب، هذا قول مجاهد والحسن وعكرمة والسدي. وقال سعيد بن جبير: ليفجر أمامه يقدم على الذنب ويؤخّر التوبة فيقول سوف أتوب سوف أعمل حتى يأتيه الموت على شرّ أحواله وأسوأ أعماله. وقال الضحاك: هو الأمل يقول أعيش فأُصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت. وقال ابن عباس وابن زيد: يكذب بما أمامه من البعث والحساب. وأصل الفجور الميل وسُمّي الفاسق والكافر فاجراً لميله عن الحق.

يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾

﴿**يسأل أيان يوم القيامة**﴾ أيّ متى يكون يوم القيامة والمعنى أن الكافر يسأل سؤال متعنت مستبعد لقيام السّاعة قال الله تعالى: ﴿**فإذا برق البصر**﴾ أي شخص البصر عند الموت فلا يطرف مما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا، وقيل تبرق أبصار الكفار عند رؤية جهنم، وقيل برق إذا فزع وتحير لما يرى من العجائب، وقيل برق أي شق عينه وفتحها من البريق وهو التلألؤ ﴿**وخسف القمر**﴾ أي أي أظلم وذهب ضوءه ﴿**وجمع الشمس والقمر**﴾ يعني أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران، وقيل يجمع بينهما في ذهاب الضّوء، وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فهناك نار الله الكبرى ﴿**يقول الإنسان**﴾ يعني الكافر المكذب ﴿**يومئذ**﴾ أي القيامة ﴿**أين المفر**﴾ أي المهرب وهو موضع الفرار ﴿**كلا**﴾ أي لا ملجأ لهم يهربون إليه وهو قوله ﴿**لا وزر**﴾ أي لا حرز ولا ملجأ ولا جبل، وكانوا إذا فزعوا لجؤوا إلى الجبل فتحصنوا به، فقيل لهم لا جبل لكم يومئذ تتحصنون به وأصل الوزر الجبل المنيع، وكل ما التجأت إليه وتحصنت به فهو وزر ومنه قول كعب بن مالك.

النـــاس آلـــت علينـــا فيـــك ليـــس لنـــا إلا السيـــوف وأطـــراف القنـــا وزر

ومعنى الآية إنه لا شيء يعصمهم من أمر الله تعالى لا حصن ولا جبل يوم القيامة يستندون إليه من النار ﴿**إلى ربك يومئذ المستقر**﴾ يعني مستقر الخلق وقال عبد الله بن مسعود إليه الصمير والمرجع وهو بمعنى لاستقرار، وقيل إلى ربك مستقرهم أي موضع قرارهم من جنة أو نار، وذلك مفوض إلى مشيئته فمن شاء أدخله الجنة برحمته ومن

﴿ **يسأل أيّان يوم القيامة** ﴾، أي متى يكون ذلك تكذيباً به.

قال الله تعالى: ﴿ **فإذا برق البصر** ﴾، قرأ أهل المدينة ﴿ **برق** ﴾ بفتح الراء وقرأ الآخرون بكسرها وهما لغتان. **قال قتادة ومقاتل**: شخص البصر فلا يطرف مما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا. **قيل**: ذلك عند الموت. **وقال الكلبي**: عند رؤية جهنم تبرق أبصار الكفّار. **وقال الفرّاء والخليل** برق بالكسر أي فزع وتحيّر لما يرى من العجائب، وبرق بالفتح أي شقّ عينه وفتحها من البريق وهو التلألؤ.

﴿ **وخسف القمر** ﴾، أظلم وذهب نوره وضوءه.

﴿ **وجمع الشمس والقمر** ﴾، أي صارا أسودين مكوّرين كأنهما ثوران عقيران. **وقيل**: يجمع بينهما في ذهاب الضياء. **وقال عطاء بن يسار** يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى. **وقيل**: يجمعان ثم يقذفان في النار. **وقيل**: يجمعان فيطلعان من المغرب.

﴿ **يقول الإنسان** ﴾، أي الكافر المكذّب ﴿ **يومئذ أين المفر** ﴾، أي المهرب وهو موضع الفرار. **وقيل**: هو مصدر أي أين الفرار.

قال الله تعالى: ﴿ **كلا لا وزر** ﴾، لا حصن ولا حرز ولا ملجأ. **وقال السدي**: لا جبل وكانوا إذا فزعوا لجؤوا إلى الجبل فتحصنوا به. **وقال تعالى**: لا جبل يومئذ يمنعهم.

﴿ **إلى ربّك يومئذ المستقر** ﴾، أي مستقر الخلق. **وقال عبد الله بن مسعود**: المصير والمرجع نظيره قوله تعالى: ﴿ إلى ربّك الرجعى ﴾ [العلق: ٨] ﴿ وإلى الله المصير ﴾ [آل عمران: ٢٨، النور: ٤٢، فاطر: ١٨] وقال

شاء أدخله النار بعدله ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾ قال ابن مسعود وابن عباس: بما قدم قبل موته من عمل صالح أو سيىء وما أخر بعد موته من سنة حسنة، أو سيئة يعمل بها، وعن ابن عباس أيضاً بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة، وقيل بما قدم من طاعة الله وأخر من حق الله فضيعه، وقيل بأول عمله وآخره وهو ما عمله في أول عمره وفي آخره، وقيل بما قدم من ماله لنفسه قبل موته وما آخر من ماله لورثته.

بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾

﴿**بل الإنسان على نفسه بصيرة**﴾ أي بل الإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهي سمعه وبصره وجوارحه، وإنما دخلت الهاء في البصيرة لأن المراد من الإنسان جوارحه، وقيل معناه بل الإنسان على نفسه عين بصيرة وفي رواية عن ابن عباس بل الإنسان على نفسه شاهد فتكون الهاء للمبالغة كعلامة ﴿**ولو ألقى معاذيرة**﴾ يعني ولو اعتذر بكل عذر وجادل عن نفسه، فإنه لا ينفعه لأنه قد شهد عليه شاهد من نفسه، وقيل معناه ولو اعتذر فعليه من نفسه ما يكذب عذره، وقيل إن أهل اليمن يسمون السّتر معذاراً وجمعه معاذير، فعلى هذا يكون معناه ولو أرخى السّتور وأغلق الأبواب ليخفي ما يعمل، فإن نفسه شاهدة عليه، وهذا في حق الكافر لأنه ينكر يوم القيامة فتشهد عليه جوارحه بما عمل في الدنيا.

قوله عز وجل: ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به**﴾ (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به**﴾ قال كان النبي ﷺ يعالج من التّنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه قال ابن جبير: قال ابن عباس أنا أحركهما كما كان رسول الله ﷺ يحركها فحرك شفتيه فأنزل الله عز وجل ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه**﴾ قال: جمعه في صدرك ثم تقرأه، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه. قال فاستمع وأنصت ثم إن علينا أن تقرأه، قال فكان رسول الله ﷺ إذا أتاه جبريل بعد ذلك استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه، وفي رواية

السدي: المنتهى نظيره: ﴿ وإن إلى ربك المنتهى ﴾ [النجم: ٤٢].

﴿ **ينبأ الإنسان يومئذ بما قدّم وأخر** ﴾، قال ابن مسعود وابن عباس بما قدّم قبل الموت من عمل صالح وسيىء، وما أخّر بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها. وقال عطية عن ابن عباس بما قدّم من المعصية وأخّر من الطاعة. وقال قتادة: بما قدّم من طاعة الله وأخّر من حق الله فضيّعه. وقال مجاهد: بأول عمله وآخره. وقال عطاء: قدّم في أول عمره وما أخّر في آخر عمره. وقال زيد بن أسلم بما قدّم من أمواله لنفسه وما أخّر خلفه للوَرَثَة.

﴿ **بل الإنسان على نفسه بصيرة** ﴾، قال عكرمة ومقاتل والكلبي معناه بل الإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله، وهي سمعه وبصره وجوارحه، ودخل الهاء في البصيرة لأن المراد بالإنسان ههنا جوارحه ويحتمل أن يكون معناه بل الإنسان على نفسه بصيرة، يعني لجوارحه، فحذف حرف الجرّ كقوله: ﴿ وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم ﴾ [البقرة: ٢٣٣] أي لأولادكم، ويجوز أن يكون نعتا لاسم مؤنث أي بل الإنسان على نفسه عين بصيرة. وقال أبو العالية وعطاء بل الإنسان على نفسه شاهد وهي رواية العوفي عن ابن عباس والهاء في بصيرة للمبالغة دليل هذا التأويل. قوله عزّ وجلّ: ﴿ كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ [الإسراء: ١٤].

﴿ **ولو ألقى معاذيره** ﴾، يعني يشهد عليه الشاهد ولو اعتذر وجادل عن نفسه لم ينفعه، كما قال: ﴿ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ﴾ [غافر: ٥٢]، وهذا قول مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وابن زيد وعطاء: قال الفرّاء: ولو اعتذر فعليه الإلقاء القول كما قال: ﴿ فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون ﴾ [النحل: ٨٦]. وقال الضحاك والسدي:

كما وعده الله تعالى لفظ الحميدي، ورواه البغوي من طريق البخاري وقال: فيه كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالوحي، كان مما يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه، وكان يعرف منه فأنزل الله عز وجل الآية، التي في لا أقسم بيوم القيامة لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه، قال إن علينا أن نجمعه في صدرك، وتقرأه فإذا قرأناه، فاتبع قرآنه، فإذا أنزلناه فاستمع ثم إن علينا بيانه علينا أن نبينه بلسانك. قال فكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله تعالى؛ وفي رواية كان يحرك شفتيه إذا نزل عليه يخشى أن ينفلت منه فقيل له لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه، أيّ نجمعه في صدرك وقرآنه أن تقرأه، ومعنى الآية لا تحرك بالقرآن لسانك، وإنما جاز هذه الإضمار وإن لم يجر له ذكر لدّلالة الحال عليه لتجعل به أي بأخذه ﴿إن علينا جمعه﴾ أي جمعه في صدرك وحفظك إياه ﴿وقرآنه﴾ أي قراءته علينا والمعنى سنقرئك يا محمد بحيث تصير لا تنساه ﴿فإذا قرآناه فاتبع قرآنه﴾ أي لا تكن قراءتك مقارنة لقراءة جبريل عليك بل اسكت حتى يتم جبريل ما يوحى إليك، فإذا فرغ جبريل من القراءة، فخذ أنت فيها، وجعل قراءة جبريل قراءته لأنه بأمره نزل بالوحي ونظيره. «من يطع الرسول فقد أطاع الله» وقيل معناه اعمل به واتبع حلاله، وحرامه، والقول الأول أولى لأن هذا ليس موضع الأمر باتباع حلاله وحرامه وإنما هو موضع الأمر بالاستماع حتى يفرغ جبريل من قراءته فكان النبي ﷺ بعد ذلك إذا نزل عليه جبريل بالوحي أصغى إليه فإذا فرغ من قراءته وعاه النبي ﷺ وحفظه ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ أي أن نبينه بلسانك فتقرأه كما أقرأك جبريل وقيل إذا أشكل شيء من معانيه فنحن نبينه لك، وعلينا بيان ما فيه من الأحكام والحلال والحرام، وذلك أن النبي ﷺ كان إذا أشكل عليه شيء سأل جبريل عن معانيه لغاية حرصه على العلم فقيل له نحن نبينه لك.

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ أي حقاً ﴿بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة﴾ أي تختارون الدنيا على العقبى وتعملون لها يخاطب كفار مكة.

﴿ ولو ألقى معاذيره ﴾ يعني ولو أرخى الستور وأغلق الأبواب من نفسه مَن يكذب عذره. ومعنى وأهل اليمن يسمّون الستر معذاراً وجمعه معاذير، ومعناه على هذا القول: وإن أسبل الستر ليخفي ما كان يعمل فإن نفسه شاهدة عليه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ لا تحرّكْ به لسانك لتعجل به ﴾، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جرير عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عزّ وجلّ: ﴿ لا تحرّك به لسانك لتعجل به ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحي كان يحرّك لسانه وشفتيه فيشتدّ عليه، وكان يعرف منه فأنزل الله عزّ وجلّ الآية التي في لا أُقسم بيوم القيامة، ﴿ لا تحرّك به لسانك لتعجل به ﴾.

﴿ إن علينا جمعه وقرآنه ﴾، قال علينا أن نجمعه في صدرك، قرآنه.

﴿ فإذا قرأناه فاتّبعْ قرآنه ﴾، فإذا أنزلناه فاستمع.

﴿ ثم إن علينا بيانه ﴾، علينا أن نبيّنه بلسانك. قال: وكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عزّ وجلّ: ورواه محمد بن إسماعيل عن عبد الله بن موسى عن إسرائيل عن موسى بن أبي عائشة بهذا الإسناد وقال: كان يحرّك شفتيه إذا نزل عليه يخشى أن ينفلت منه، فقيل له: ﴿ لا تحرّك به لسانك ﴾ ﴿ إن علينا جمعه ﴾ أن نجمعه في صدرك ﴿ وقرآنه ﴾ أن تقرأه.

﴿ كلّا بل تحبّون العاجلة * وتذرون الآخرة ﴾. قرأ أهل المدينة والكوفة تحبّون وتذرون بالتاء فيهما، وقرأ الآخرون بالياء أي يختارون الدنيا على العقبى ويعملون لها يعني كفّار مكة، ومَن قرأ بالتاء فعلى تقدير قل لهم يا محمد: بل تحبّون وتذرون.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾

﴿وجوه يومئذ﴾ أي يوم القيامة **﴿ناضرة﴾** من النضارة، وهي الحسن قال ابن عباس: حسنة وقيل مسرورة بالنعيم، وقيل ناعمة، وقيل مسفرة مضيئة، وقيل بيض يعلوها نور وبهاء وقيل مشرقة بالنعيم. **﴿إلى ربها ناظرة﴾** قال ابن عباس وأكثر المفسرين: تنظر إلى ربها عياناً بلا حجاب قال الحسن حق لها أن تنظر وهي تنظر إلى الخالق سبحانه وتعالى، وروي عن مجاهد وأبي صالح أنهما فسرا النّظر في هذه الآية بالانتظار قال مجاهد تنتظر من ربها ما أمر لها به وقال أبو صالح تنتظر الثّواب من ربها قال الأزهري ومن قال إن معنى قوله **﴿إلى ربها ناظرة﴾** بمعنى منتظرة فقد أخطأ لأن العرب لا تقول نظرت إلى الشيء بمعنى انتظرته إنما تقول نظرت فلاناً أي انتظرته ومنه قول الحطيئة:

وقـد نظـرتكـم أعشـاء صـادرة   للـورد طـال بهـا حـوري وتنسـاسـي

فإذا قلت نظرت إليه لم يكن إلا بالعين، وإذا قلت نظرت في الأمر احتمل أن يكون تفكر فيه وتدبر بالقلب، وهذا آخر كلامه ويشهد لصحة هذا أن النظر الوارد في التّنزيل بمعنى الانتظار كثير ولم يوصل في موضع بالي كقوله **﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾** وقوله **﴿هل ينظرون إلا تأويله ـ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله﴾** والوجه إذا وصف بالنظر وعدي بإلى لم يحتمل غير الرؤية، وأما قوله أنظر إلى الله ثم إليك على معنى أتوقع فضل الله ثم فضلك، فيكون النّظر إلى الوجه لم يحتمل نظر القلب إنما يجوز هذا إذا لم يسند إلى الوجه، فإذا أسند النظر إلى الوجه لم يحتمل نظر القلب، ولا الانتظار وإذا بطل المعنيان لم يبق لبقاء الرّؤية كلام وإن شق ذلك عليهم، والأحاديث الصحيحة تعضد قول من فسر النظر في هذه الآية بالرؤية وسنذكرها إن شاء الله تعالى.

(فصل: في إثبات رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى في الآخرة)

قال علماء أهل السنة رؤية الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلاً، وأجمعوا على وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يرون الله سبحانه، وتعالى دون الكافرين بدليل قوله تعالى: **﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾** وزعمت طوائف من أهل البدع كالمعتزلة والخوارج، وبعض المرجئة أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه، وأن رؤيته مستحيلة عقلاً، وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى، وقد رواها نحو من عشرين صحابياً عن رسول الله ﷺ وآيات القرآن فيها مشهورة، واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبتها مشهورة في كتب المتكلمين من أهل السنة، وكذلك باقي شبههم وأجوبتها مشهورة مستفاضة في كتب الكلام، وليس هذا موضع ذكرها، ثم مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله في خلقه، ولا يشترط فيها اتصال الأشعة، ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك.

﴿وجوه يومئذ﴾، يوم القيامة **﴿ناضرة﴾**، قال ابن عباس حسنة، وقال مجاهد: مسرورة. وقال ابن زيد: ناعمة. وقال مقاتل: بيض يعلوها النور. وقال السدي: مضيئة. وقال يمان: مسفرة. وقال الفرّاء: مُشرِقة بالنعيم. يقال: نضر الله وجهه ينضر نضراً، ونضره الله وأنضره ونضر وجهه ينضر نضرة ونضارة. قال الله تعالى: **﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾** [المطففين: ٢٤]، **﴿إلى ربّها ناظرة﴾**، قال ابن عباس: وأكثر الناس تنظر إلى ربّها عَياناً بلا حجاب. قال الحسن: تنظر إلى الخالق وحقّ لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق. أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم الترابي أنا عبد الله بن أحمد الحموي أنا إبراهيم بن خزيم الشاشي أنا عبد الله بن حميد ثنا شبابة عن إسرائيل عن

وأما الأحاديث الواردة في إثبات الرّؤية فمنها ما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه، وأزواجه، ونعيمه وخدمه، وسروره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية، ثم قرأ رسول الله ﷺ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» أخرجه التّرمذي وقال: هذا حديث غريب، وقال: وقد روى عن ابن عمر رضي الله عنهما ولم يرفعه (ق) عن جرير بن عبد الله قال «كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر، وقال إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشّمس، وقبل الغروب» قوله «لا تضامون» روي بفتح التاء وتشديد الميم وقد تضم التاء مع التّشديد أيضاً ومعناه لا ينضم بعضكم إلى بعض ولا تزدحمون وقت النظر إليه، وروي بتخفيف الميم ومعناه لا ينالكم ضيم في رؤيته فيراه بعضكم دون بعض وقوله ﴿**إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون القمر**﴾ معناه تشبيه الرّؤية بالرّؤية في الوضوح وزوال الشّك والمشقة لا تشبيه المرئي بالمرئي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه «أن أناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله ﷺ: هل تضارون في القمر ليلة البدر، قالوا: لا يا رسول الله قال: هل تضارون في الشّمس ليس دونها سحاب، قالوا: لا يا رسول الله قال رسول الله ﷺ فإنكم سترونه كذلك» أخرجه أبو داود وأخرجه التّرمذي. وليس عنده في أوله أن أناساً سألوا رسول الله ﷺ ولا قوله ليس دونها سحاب. قال الترمذي وقد روى مثل هذا الحديث عن أبي سعيد وهو صحيح، وهذا الحديث طرف من حديث طويل قد أخرجه البخاري ومسلم، ومعنى تضارون وتضامون واحد.

عن أبي رزين العقيلي قال: «قلت يا رسول الله أكلنا يرى ربه مخلياً به يوم القيامة، قال نعم قلت وما آية ذلك في خلقه قال يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخلياً به قلت بلى قال: فالله أعظم إنما هو خلق من خلق الله يعني القمر فالله أجل وأعظم» أخرجه أبو داود (م) عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى» والأحاديث في الباب كثيرة وهذا القدر كاف والله أعلم. قوله عز وجل: ﴿**ووجوه يومئذ باسرة**﴾ أي عابسة كالحة متغيرة مسودة قد أظلمت ألوانها، وعدمت آثار النعمة، والسرورة منها لما أدركها من اليأس من رحمة الله تعالى: وذلك حين يميز بين أهل الجنة والنار ﴿**تظن**﴾ أي تستيقن والظّن هنا بمعنى اليقين ﴿**أن يفعل بها فاقرة**﴾ أن يفعل بهم أمر عظيم من العذاب

ثوير قال: سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: « إن أدنى أهل الجنة منزلة لَمَن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسُرُره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله مَن ينظر إلى وجهه غدوةً وعشيّةً»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربّها ناظرة** ﴾.

﴿ **ووجوه يومئذ باسرة** ﴾، عابسة كالحة مغبرّة مسودّة.

﴿ **تظن أن يفعل بها فاقرة** ﴾، تستيقن أن يعمل بها عظيمة من العذاب، والفاقرة: الداهية العظيمة، والأمر الشديد يكسر فِقار الظهر. قال سعيد بن المسيب: قاصمة الظهر. قال ابن زيد: هي دخول النار. وقال الكلبي: هي أن يحتجب عن رؤية الربّ عزّ وجلّ.

﴿ **كلا إذا بلغت** ﴾، يعني النفس كناية عن غير مذكور، ﴿ **التراقي** ﴾، فحشرج بها عند الموت والتراقي جمع الترقوة، وهي العظام بين ثغرة النحر والعاتق ويكنّى ببلوغ النفس التراقي عن الإشراف على الموت.

﴿ **وقيل مَن راقٍ** ﴾، أي قال مَن حضره الموت هل من طبيب يرقيه ويداويه فيشفيه برُقْيته أو دوائه، وقال

والفاقرة الدّاهية العظيمة والأمر الشّديد الذي يكسر فقار الظهر ويقصمه وقيل الفاقرة دخول النار، وقيل هي أن تحجب تلك الوجوه عن رؤية الله تعالى: ﴿كلا﴾ أي حقاً ﴿إذا بلغت﴾ يعني النفس كناية عن غير مذكور ﴿التراقي﴾ جمع ترقوة وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الإشراف على الموت ومنه قول دريد بن الصمة:

ورب عظيمـــــة دافعـــــت عنهـــــا وقـــد بلغـــت نفـــوسهـــم التـــراقـــي

﴿وقيل﴾ يعني وقال من حضره ﴿من راق﴾ أي هل من طبيب يرقيه ويداويه مما نزل به ويشفيه ويخلصه من ذلك برقيته ودوائه، وقيل لما نزل به من قضاء الله ما نزل التّمسوا له الأطباء، فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئاً، وقيل هذا من قول الملائكة الذين يحضرونه عند الموت يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه إذا خرجت فيصعد بها ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب، ﴿وظن﴾ أي أيقن الذين بلغت روحه التراقي ﴿أنه الفراق﴾ يعني الخروج من الدنيا وفراق المال والأهل والولد ﴿والتفت﴾ أي اجتمعت ﴿الساق بالساق﴾ أي الشدة بالشدة يعني شدة مفارقة الدنيا مع شدة الموت وكربه، وقيل شدة الموت بشدة الآخرة، وقيل تتابعت عليه الشدائد لا يخرج من كرب إلا جاءه ما هو أشد منه، وقال ابن عباس: أمر الدنيا بأمر الآخرة فكان في آخر يوم من أيام الدّنيا وأول يوم من أيام الآخرة، وقيل الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه، وقيل هما ساقا الميت إذا لفتا في الكفن، وقيل هما ساقاه عند الموت ألا تراه كيف يضرب بإحدى رجليه على الأخرى عند النزع، وقيل إذا مات يبست ساقاه فالتفت إحداهما بالأخرى.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ۝٣٠ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٣٢ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ۝٣٣ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ۝٣٥ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾

﴿إلى ربك يومئذ المساق﴾ أي مرجع العباد إلى الله تعالى يساقون إليه يوم القيامة ليفصل بينهم.

قوله تعالى: ﴿فلا صدق ولا صلى﴾ يعني أبا جهل لم يصدق بالقرآن، ولم يصل لله تعالى: ﴿ولكن كذب

قتادة: التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئاً. وقال سليمان التيمي ومقاتل بن سليمان: هذا من قول الملائكة يقول بعضهم لبعض مَن يرقى بروحه فتصعد بها ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب.

﴿ وظن ﴾، أيقن الذي بلغت روحه التراقي، ﴿ أنه الفراق ﴾، من الدنيا.

﴿ والتفّت الساق بالساق ﴾، قال قتادة الشدّة بالشدّة. قال عطاء شدّة الموت بشدّة الآخرة قال سعيد بن جبير تتابعت عليه الشدائد، قال السدي: لا يخرج من كرب إلا جاءه أشدّ منه قال ابن عباس: أمر الدنيا بأمر الآخرة فكان في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، وقال مجاهد اجتمع فيه الحياة والموت. وقال الضحاك: الناس يجهّزون جسده والملائكة يجهّزون روحه. وقال الحسن: هما ساقاه إذا التفّا في الكفن. وقال الشعبي: هما ساقاه إذا التفّا عند الموت.

﴿ إلى ربك يومئذ المساق ﴾، أي مرجع العباد إلى الله يُساقون إليه.

﴿ فلا صدّق ولا صلّى ﴾، يعني أبا جهل لم يصدّق بالقرآن ولا صلّى لله.

﴿ ولكن كذّب وتولى ﴾، عن الإيمان.

وتولى﴾ أي أعرض عن الإيمان والتصديق **﴿ثم ذهب إلى أهله يتمطى﴾** أي يتبختر ويختال في مشيته، وقيل أصله يتمطط أي يتمدد من المط، وقيل من المطا وهو الظهر لأنه يلويه. **﴿أولى لك فأولى﴾** هذا وعيد على وعيد من الله تعالى لأبي جهل. وهي كلمة موضوعة للتهديد والوعيد ومعناه، ويل لك مرة بعد مرة وهودعاء عليه بأن يليه ما يكرهه، وقيل معناه أنك أجدر بهذا العذاب. وأحق وأولى به. يقال ذلك لمن يصيبه مكروه يستوجبه قال قتادة: ذكر لنا «أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية أخذ بمجامع ثوب أبي جهل بالبطحاء وقال له أولى لك فأولى **﴿ثم أولى لك فأولى﴾** فقال أبو جهل أتوعدوني يا محمد والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئاً وإني لأعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه وقتله أشد قتله» وكان نبي الله يقول ﷺ إن لكل أمة فرعوناً وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل» **﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾** أي هملاً لا يؤمر ولا ينهى ولا يكلف في الدنيا ولا يحاسب في الآخرة **﴿ألم يك نطفة﴾** أي ماء قليلاً **﴿من مني يمنى﴾** أي يصيب في الرحم، والمعنى كيف يليق بمن خلق من شيء قذر مستقذر أن يتكبر ويتمرد عن الطاعة. **﴿ثم كان علقة﴾** أي صار الإنسان علقة بعد النطفة **﴿فخلق فسوى﴾** أي فقدر خلقه وسواه وعدله وقيل نفخ فيه الروح وكمل أعضاءه **﴿فجعل منه﴾** أي من الإنسان **﴿الزوجين﴾** أي الصنفين ثم فسرهما فقال **﴿الذكر والأنثى﴾** أي خلق من مائة أولاداً ذكوراً وإناثاً **﴿أليس ذلك﴾** أي الذي فعل وأنشأ الأشياء أول مرة **﴿بقادر على أن يحيي الموتى﴾** أي بقادر على إعادته بعد الموت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ منكم

﴿ ثم ذهب إلى أهله ﴾، رجع إليهم، **﴿ يتمطّى ﴾**، يتبختر ويحتال في مشيه قيل: أصله يتمطّط أي يتمدّد والمطّ هو المدّ.

﴿ أولى لك فأولى * ثم أولى لك فأولى ﴾، هذا وعيد على وعيد من الله عزّ وجلّ لأبي جهل، وهي كلمة موضوعة للتهديد والوعيد. وقال بعض العلماء: معناه إنك أجدر بهذا العذاب وأحقّ وأولى به، تُقال للرجل حيث يصيبه مكروه يستوجبه. وقيل: هي كلمة تقولها العرب لمَن قاربه المكروه وأصلها من الولي وهو القرب قال الله تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفّار. وقال قتادة: ذكر لنا أن النبي ﷺ لمّا نزلت هذه الآية أخذ بمجامع ثوب أبي جهل بالبطحاء وقال له: **﴿ أولى لك فأولى * ثم أولى لك فأولى ﴾**، فقال أبو جهل: أتوعدني يا محمد والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئاً وإني لأعزّ مَن مشى بين جبليها؟ فلما كان يوم بدر صرعه الله شرّ مصرع، وقتله أسوأ قتلة. وكان النبي ﷺ يقول: إن لكل أُمة فرعوناً وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل.

﴿ أيحسب الإنسان أن يُترَك سُدىً ﴾، هملاً لا يُؤمر ولا يُنهى، قال السدي: معناه المهمل وإبل سدى إذا كانت ترعى حيث شاءت بلا راعٍ.

﴿ ألم يكُ نطفةً مّن مَّنِيٍّ يُمْنَى ﴾، تصف في الرحم، قرأ حفص عن عاصم **﴿ يمنى ﴾** بالياء وهي قراءة الحسن، وقرأ الآخرون بالتاء لأجل النطفة.

﴿ ثم كان علقة فخلق فسوّى ﴾، فجعل فيه الروح وسوّى خلقه.

﴿ فجعل منه الزوجين الذَّكر والأُنثى ﴾، خلق من مائه أولاداً ذُكوراً وإناثاً.

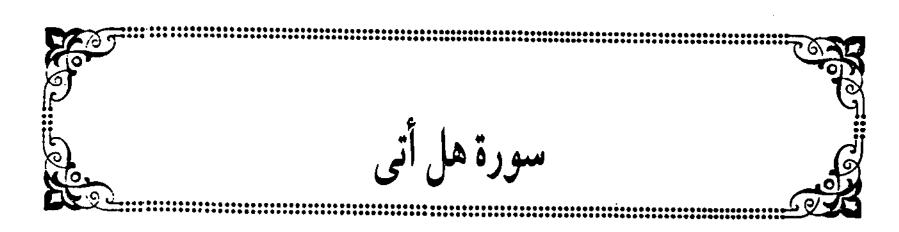
﴿ أليس ذلك ﴾، الذي فعل هذا، **﴿ بقادر على أن يُحيـي الموتى ﴾**، أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني أنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي أنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي ثنا أبو داود سليمان بن أشعث ثنا عبد الله بن محمد الزهري ثنا سفيان حدّثني إسماعيل بن أُميّة قال: سمعت أعرابياً يقول سمعت أبا هريرة

﴿**والتين والزيتون**﴾، فانتهى إلى آخرها ﴿**أليس الله بأحكم الحاكمين**﴾ فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين. ومن قرأ ﴿**لا أقسم بيوم القيامة**﴾ فانتهى إلى ﴿**أليس ذلك بقادر على أن يحيـي الموتى**﴾، فليقل بلى ومن قرأ ﴿**والمرسلات فبلغ، فبأي حديث بعده يؤمنون**﴾ فليقل آمنا بالله» أخرجه أبو داود وله عن موسى بن أبي عائشة قال «كان رجل يصلي فوق بيته. فكان إذا قرأ أليس ذلك بقادر على أن يحيـي الموتى قال سبحانك بلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله ﷺ» والله سبحانه وتعالى أعلم:

يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَن قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها: ﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ [التين: ٨] فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، ومَن قرأ: ﴿ لا أُقسم بيوم القيامة ﴾ [القيامة: ١] فانتهى إلى: ﴿ **أليس ذلك بقادر على أن يُحيـي الموتى** ﴾ فليقل: بلى، ومَن قرأ: ﴿ والمرسلات ﴾، فبلغ ﴿ فبأيّ حديث بعده يؤمنون ﴾ [الأعراف: ١٨٥] فليقل: آمنّا بالله». أخبرنا عمر بن العزيز أنا أبو القاسم بن جعفر أنا أبو علي اللؤلؤي أنا أبو داود ثنا محمد بن المثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن موسى بن أبي عائشة قال: كان رجل يصلّي فوق بيته وكان إذا قرأ: ﴿ **أليس ذلك بقادر على أن يُحيـي الموتى**﴾ قال: سبحانك بلى، فسألوه عن ذلك فقال: سمعته من رسول الله ﷺ.

سورة هل أتى

وتسمى سورة الإنسان أيضاًوهي مدنية كذا قال مجاهد، وقتادة والجمهور، وقيل مكية يحكى ذلك عن ابن عباس وعطاء بن يسار ومقاتل، وقيل فيها مكي ومدني، فالمكي منها قوله ﴿ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً﴾ وباقيها مدني قاله الحسن وعكرمة وقيل إن المدني من أولها إلى قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً﴾ ومن هذه الآية إلى آخرها مكي حكاه الماوردي وهي إحدى وثلاثون آية ومائتان وأربعون كلمة وألف وأربعة وخمسون حرفاً.



قوله عز وجل: ﴿هل أتى﴾ أي قد أتى ﴿على الإنسان﴾ يعني آدم عليه الصلاة والسلام ﴿حين من الدهر﴾ يعني مدة أربعين سنة وهو من طين ملقى (م) عن أنس رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال «لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل إبليس يطوف به وينظر إليه فلما رآه أجوف عرف أنه خلف لا يتمالك» قوله يطوف أي يدور حوله فلما رآه أجوف أي صاحب جوف وقيل هو الذي داخله خال قوله عرف أنه خلق لا يتمالك، أي لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات، وقيل لا يملك دفع الوسواس عنه، وقيل لا يملك نفسه عند الغضب.

وروي في تفسير الآية أن آدم بقي أربعين سنة طيناً، وبقي أربعين سنة حمأ مسنوناً وأربعين سنة صلصالاً كالفخار

سُوْرَة الإنْسَان

مدنيّة وهي إحدى وثلاثون آية.

قال عطاء: هي مكيّة. وقال مجاهد وقتادة: مدنيّة. وقال الحسن وعكرمة: هي مدنيّة إلاّ آية وهي قوله: ﴿ فاصبر لحكم ربك ﴾، ﴿ ولا تطعْ منهم آثماً أو كفوراً ﴾ [٢٤] وهي إحدى وثلاثون آية.

﴿ هلْ أتى ﴾، قد أتى، ﴿ على الإنسان ﴾، يعني آدم عليه السلام، ﴿ حين من الدهر ﴾، أربعون سنة وهو من طين مُلقى بين مكة والطائف قبل أن ينفخ فيه الروح، ﴿ لم يكن شيئاً مذكوراً ﴾، لا يذكر ولا يعرف ولا يدري ما اسمه ولا ما يراد به، يريد كان شيئاً ولم يكن مذكوراً، وذلك من حين خلقه من طين إلى أن نفخ فيه الروح، رُوِيَ أن عمر سمع رجلاً يقرأ هذه الآية: ﴿ لم يكن شيئاً مذكوراً ﴾ فقال عمر: ليتها تمّت يريد ليته بقي على ما كان، قال ابن عباس: ثم خلقه بعد عشرين ومائة سنة.

﴿ إنّا خلقنا الإنسان ﴾، يعني ولد آدم، ﴿ من نطفة ﴾، يعني منيّ الرجل ومنيّ المرأة. ﴿ أمشاج ﴾، أخلاط

فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ﴿لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ أي لا يذكر ولا يعرف ولا يدري ما اسمه، ولا ما يراد به وذلك قبل أن ينفخ فيه الروح كان شيئاً ولم يكن شيئاً يذكر.

روي عن عمر أنه سمع رجلاً يقرأ هذه الآية: لم يكن شيئاً مذكوراً فقال عمر ليتها تمت يعني ليته بقي على ما كان عليه ويروى نحوه عن أبي بكر وابن مسعود، وقيل المراد بالإنسان جنس الإنسان وهم بنو آدم بدليل قوله ﴿إنا خلقنا الإنسان﴾ فالإنسان في الموضعين واحد فعلى هذا يكون معنى قوله حين من الدهر طائفة من الدهر غير مقدرة لم يكن شيئاً مذكوراً يعني أنهم كانوا نطفاً في الأصلاب. ثم علقاً، ومضغاً في الأرحام لم يذكروا بشيء إنا خلقنا الإنسان يعني ولد آدم ﴿من نطفة﴾ أي مني الرجل ومني المرأة ﴿أمشاج﴾ أي أخلاط قال ابن عباس وغيره: يعني ماء الرجل، وماء المرأة يختلطان في الرحم فيكون منهما الولد فماء الرجل أبيض غليظ، وماء المرأة أصفر رقيق فأيهما علا صاحبه كان الشبه له وما كان من عصب، وعظم فمن نطفة الرجل، وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة، وقيل الأمشاج اختلاف ألوان النطفة، فنطفة الرجل بيضاء ونطفة المرأة صفراء. وكل لونين اختلطا فهو أمشاج. وقال ابن مسعود: هي العروق التي تكون في النطفة، وقيل هي نطفة مشجت أي خلطت بدم وهو دم الحيض فإذا حبلت المرأة ارتفع دم الحيض، وقيل الأمشاج أطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة، ثم عظما ثم يكسوه لحماً ثم ينشئه خلقاً آخر، وقيل إن الله تعالى جعل في النطفة أخلاطاً من الطبائع التي تكون في الإنسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فعلى هذا يكون التقدير من نطفة ذات أمشاج. ﴿نبتليه﴾ أي لنختبره بالأمر والنهي ﴿فجعلناه سميعاً بصيراً﴾ قيل فيه تقديم وتأخير تقديره فجعلناه سميعاً بصيراً لنبتليه لأن الابتلاء لا يقع إلا بعد تمام الخلقة، وقيل معناه إنا خلقنا الإنسان من هذه الأمشاج للابتلاء والامتحان ثم ذكر أنه أعطاه ما يصح معه الابتلاء، وهو السمع والبصر وهما كنايتان عن الفهم والتمييز وقيل المراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان، وإنما خصهما بالذكر لأنهما أعظم الحواس وأشرفها.

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾

﴿إنا هديناه السبيل﴾ أي بينا له سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة، وعرفناه طريق الخير والشر، وقيل معناه أرشدناه إلى الهدى لأنه لا يطلق اسم السبيل إلا عليه والمراد من هداية السبيل نصب الدلائل، وبعثه الرسل وإنزال

واحدها مشج ومشيج، مثل خدن وخدين، قال ابن عباس والحسن ومجاهد والربيع: يعني ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في الرحم فيكون منهما الولد، فماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق، فأيّهما علا صاحبه كان الشبه له وما كان من عصب وعظم فهو من نطفة الرجل، وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة. وقال الضحاك: أراد بالأمشاج اختلاف ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وحمراء وصفراء، وهي رواية الوالبي عن ابن عباس. وكذلك قال الكلبي: قال: الأمشاج البياض في الحمرة والصفرة. وقال يمان: كل لونين اختلطا فهو أمشاج. وقال ابن مسعود: هي العروق التي تكون في النطفة. وقال الحسن: نطفة مشجت بدم وهو دم الحيضة فإذا حبلت ارتفع الحيض. وقال قتادة: هي أطوار الخلق نطفة، ثم علقة ثم مضغة، ثم عظماً ثم يكسوه لحماً ثم ينشئه خلقاً آخر. ﴿ نبتليه ﴾ نختبره بالأمر والنهي، ﴿ فجعلناه سميعاً بصيراً ﴾ قال بعض أهل العربية: وفيه تقديم وتأخير، مجازه: فجعلناه سميعاً بصيراً لنبتليه، لأن الابتلاء لا يقع إلّا بعد تمام الخلقة.

﴿ إنّا هديناه السبيل ﴾، أي بيّنّا له سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة، وعرّفناه طريق الخير والشر. ﴿ إمّا

الكتب. ﴿إما شاكراً وإما كفوراً﴾ يعني إما موحداً طائعاً لله، وإما مشركاً بالله في علم الله وذلك أن الله تعالى بين سبيل التوحيد ليتبين شكر الإنسان من كفره، وطاعته عن معصيته، وقيل في معنى الآية إما مؤمناً سعيداً وإما كافراً شقياً. وقيل معناه الجزاء أي بينا له الطريق إن شكر أو كفر، وقيل المراد من الشاكر الذي يكون مقراً معترفاً بوجوب شكر خالقه سبحانه وتعالى عليه، والمراد من الكفور الذي لا يقر بوجوب الشكر عليه ثم بين ما للفريقين فوعد الشاكر، وأوعد الكافر فقال تعالى: ﴿إنا أعتدنا﴾ أي هيأنا في جهنم ﴿للكافرين سلاسل﴾ يعني يشدون بها ﴿وأغلالاً﴾ أي في أيديهم تغل بها إلى أعناقهم ﴿وسعيراً﴾ يعني وقوداً لا توصف شدته وهذا من أعظم أنواع الترهيب والتخويف ثم ذكر ما أعد للشاكرين الموحدين فقال تعالى: ﴿إن الأبرار﴾ يعني المؤمنين الصادقين في إيمانهم المطيعين لربهم، واحدهم بار وبرو وأصله التوسع فمعنى البر المتوسع في الطاعة ﴿يشربون من كأس﴾ يعني فيها شراب ﴿كان مزاجها كافوراً﴾ قيل يمزج لهم شرابهم بالكافور ويختم بالمسك.

فإن قلت إن الكافور غير لذيذ، وشربه مضر فما وجه مزج شرابهم به.

قلت قال أهل المعاني: أراد بالكافور بياضه، وطيب ريحه وبرده. لأن الكافور لا يشرب وقال ابن عباس: هو اسم عين في الجنة والمعنى أن ذلك الشراب يمازجه شراب ماء هذه العين التي تسمى كافوراً، ولا يكون في ذلك ضرر لأن أهل الجنة لا يمسهم ضرر فيما يأكلون، ويشربون وقيل هو كافور لذيذ طيب الطعم ليس فيه مضرة، وليس ككافور الدنيا ولكن الله سمى ما عنده بما عندكم بمزج شرابهم. بذلك الكافور والمسك والزنجبيل.

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ

شاكراً وإمّا كفوراً ﴾، إما مؤمناً سعيداً وإما كافراً شقيّاً. وقيل: معنى الكلام الجزاء يعني بينّا له الطريق إن شكر أو كفر.

ثم بيّن ما للفريقين فقال: ﴿ إنّا أعتدنا للكافرين سلاسلا ﴾، يعني في جهنم، قرأ أهل المدينة والكسائي وأبو بكر عن عاصم (سلاسلاً) و﴿قوارير ﴾ [النمل: ٤٤، الإنسان: ١٥] «قواريرا» بالألف في الوقف وبالتنوين في الوصل فيهنّ جميعاً، وقرأ حمزة ويعقوب بلا ألف في الوقف، ولا تنوين في الوصل فيهنّ، وقرأ ابن كثير ﴿ قوارير ﴾ الأولى بالألف في الوقف وبالتنوين في الوصل، و﴿ سلاسل ﴾ و﴿ قوارير ﴾ الثانية بلا ألف ولا تنوين وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحفص (سلاسلاً وقواريراً) الأولى بالألف في الوقف على الخط وبغير تنوين في الوصف، و﴿ قوارير ﴾ الثانية بغير ألف ولا تنوين، قوله: ﴿ وأغلالاً ﴾ يعني في أيديهم تغلّ في أعناقهم، ﴿ وسعيراً ﴾، وقوداً شديداً.

﴿ إن الأبرار ﴾، يعني المؤمنين الصادقين في إيمانهم المُطيعين لربهم واحدهم بارّ، مثل شاهد وأشهاد، وناصر وأنصار، وبَرّ أيضاً مثل نهر وأنهار، ﴿ يشربون ﴾، في الآخرة، ﴿ من كأس ﴾، فيه شراب ﴿ كان مزاجها كافوراً ﴾، قال قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم بالمِسك، قال عكرمة مزاجها طعمها، وقال أهل المعاني أراد كالكافور في بياضه وطيب ريحه وبرده لأن الكافور لا يُشرَب، وهو كقوله: ﴿ حتى إذا جعله ناراً ﴾ [الكهف: ٩٦] أي كنار، وهذا معنى قول مجاهد ومقاتل وقتادة: يمازجه ريح الكافور. وقال ابن كيسان: طيّبت بالكافور والمِسْك والزنجبيل. قال عطاء والكلبي: الكافور اسم لعين ماء في الجنة.

﴿حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾

﴿عيناً﴾ بدلاً من الكافور وقيل أعني عيناً ﴿يشرب بها﴾ أي يشرب منها ﴿عباد الله﴾ قال ابن عباس أولياء الله ﴿يفجرونها تفجيراً﴾ أي يقودونها إلى حيث شاؤوا من منازلهم وقصورهم تفجيراً سهلاً لا يمتنع عليهم.

قوله تعالى: ﴿يوفون بالنذر﴾ لما وصف الله تعالى ثواب الأبرار في الآخرة وصف أعمالهم في الدنيا التي يستوجبون بها هذا الثواب والمعنى كانوا في الدنيا يوفون بالنذر والنذر الإيجاب. والمعنى يوفون بما فرض الله عليهم فيدخل فيه جميع الطاعات من الأيمان والصلاة، والزكاة والصوم والحج، والعمرة، وغير ذلك من الواجبات، وقيل النذر في عرف الشرع. واللغة أن يوجب الرجل على نفسه شيئاً ليس بواجب عليه، وذلك بأن يقول الله على كذا وكذا من صدقه أو صلاة أو صوم أو حج أو عمرة يعلق ذلك بأمر يلتمسه من الله. وذلك بأن يقول إن شفى الله مريضي أو قدم غائبي كان لله على كذا، ولو نذر في معصية لا يجب الوفاء به (خ) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول «من نذر أن يطيع الله فليف بنذره، ومن نذر أن يعصي الله فلا يف به» وفي رواية «فليطعه ولا يعصيه» وعنها أن رسول الله ﷺ قال «لا نذر في معصية الله وكفارته كفارة يمين» أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي (ق) عن ابن عباس قال: «استفتى سعد بن عبادة رسول الله ﷺ في نذر كان على أمه فتوفيت قبل أن تقضيه فأمره أن يقضيه عنها» أخرجه الجماعة. وفي الآية دليل على وجوب الوفاء بالنذر، وهذا مبالغة في وصفهم بأداء الواجبات لأن من وفى بما أوجبه على نفسه كان لما أوجبه الله عليه أوفى. ﴿ويخافون يوماً كان شره مستطيراً﴾ أي منتشراً فاشياً ممتداً، وقيل استطار خوفه في أهل السموات والأرض، وفي أولياء الله وأعدائه، وقيل فشا سره في السموات. فانشقت وتناثرت الكواكب وفزعت، الملائكة وكورت الشمس، والقمر وفي الأرض. فتشققت الجبال وغارت المياه وكسر كل شيء على الأرض من جبل وبناء، والمعنى أنهم يوفون بالنذر وهم خائفون من شر ذلك اليوم وهوله وشدته.

قوله عز وجل: ﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ أي حب الطعام وقلته وشهوتهم له والحاجة إليه فوصفهم الله تعالى: بأنهم يؤثرون غيرهم على أنفهسم بالطعام، ويواسون به أهل الحاجة، وذلك لأن أشرف أنواع الإحسان والبر إطعام الطعام. لأن به قوام الأبدان، وقيل على حب الله عز وجل أي لحب الله ﴿مسكيناً﴾ يعني فقيراً وهو الذي لا مال له ولا يقدر على الكسب ﴿ويتيماً﴾ أي صغيراً وهو الذي لا أب له يكتسب له، وينفق عليه ﴿وأسيراً﴾ قيل هو المسجون من أهل القبلة يعني من المسلمين، وقيل هو الأسير من أهل الشرك. أمر الله بالأسرى أن يحسن إليهم وإن

﴿ عيناً ﴾، نصب تبعاً للكافور. وقيل: نصب على المدح. وقيل: أعني عيناً. وقال الزجّاج: الأجود أن يكون المعنى من عين، ﴿ يشرب بها ﴾، قيل: يشربها والباء صلة وقيل بها أي منها، ﴿ عباد الله ﴾، قال ابن عباس أولياء الله، ﴿ يفجرونها تفجيراً ﴾، أي يقودونها حيث شاؤوا من منازلهم وقصورهم، كمَن يكون له نهر يفجّره ههنا إلى حيث يزيد.

﴿ يوفون بالنذر ﴾، هذا من صفاتهم في الدنيا أي كانوا في الدنيا كذلك، قال قتادة: أراد يوفّون بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة، وغيره من الواجبات، ومعنى النذر الإيجاب. وقال مجاهد وعكرمة: إذا نذروا في طاعة الله وفّوا به. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن طلحة بن عبد الملك الأيلي عن القاسم بن محمد عن عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مَن نذر أن يطيع الله فليطعه، ومَن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» ﴿ ويخافون يوماً كان شرّه

أسراهم يومئذ أهل الشرك. فعلى هذا الوجه يجوز إطعام الأسرى، وإن كانوا على غير ديننا، وأنه يرجى ثوابه، ولا يجوز أن يعطوا من الصدقة الواجبة كالزكاة والكفارة، وقيل الأسير المملوك، وقيل الأسير المرأة لقول النبي ﷺ «اتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان» يعني أسرى، وقيل غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك.

واختلفوا في سبب نزول الآية، فقيل نزلت في رجل من الأنصار يقال له أبو الدحداح صام يوماً فلما كان وقت الإفطار جاءه مسكين، ويتيم، وأسير فأطعمهم ثلاثة أرغفة، وبقي له ولأهله رغيف واحد. فنزلت هذه الآية فيه، وروي عن ابن عباس أنها نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وذلك أنه عمل ليهودي بشيء من شعير فقبض ذلك الشعير فطحن منه ثلثه، وأصلحوا منه شيئاً يأكلونه فلما فرغ أتى مسكين فسأل فأعطوه ذلك ثم عمل الثلث الثاني فلما فرغ أتى يتيم فسأل فأعطوه ذلك، ثم عمل الثلث الباقي فلما تم نضجه أتى أسير من المشركين فسأل فأعطوه ذلك وطووا يومهم وليلتهم فنزلت هذه الآية. وقيل هذه عامة في كل من أطعم المسكين واليتيم والأسير لله تعالى وآثر على نفسه ﴿**إنما نطعمكم لوجه الله**﴾ أي لأجل وجه الله تعالى: ﴿**لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً**﴾ قيل إنهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم. فأثنى به عليهم، وقيل قالوا ذلك منعاً للمحتاجين من المكافأة، وقيل قالوا ذلك ليقتدي بهم غيرهم في ذلك وذلك أن الإحسان إلى الغير تارة يكون لأجل الله تعالى لا يراد به غيره. فهذا هو الإخلاص، وتارة يكون لطلب المكافأة أو لطلب الحمد من الناس أو لهما، وهذان القسمان مردودان لا يقبلهما الله تعالى لأن فيهما شركاً، ورياء فنفوا ذلك عنهم بقولهم إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً.

إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾

مستطيراً﴾، فاشياً ممتدّاً، يقال: استطار الصبح إذا امتدّ وانتشر. قال مقاتل: كان شرّه فاشياً في السموات فانشقّت وتناثرت الكواكب وكوّرت الشمس والقمر وفزعت الملائكة، وفي الأرض فنسفت الجبال وغارت المياه وتكسّر كل شيء على الأرض من جبل وبناء.

﴿ **ويطعمون الطعام على حبّه** ﴾، أي على حبّ الطعام وقلّته وشهوتهم له وحاجتهم إليه. وقيل: على حبّ الله، ﴿ **مسكيناً** ﴾، فقيراً لا مال له، ﴿ **ويتيماً** ﴾، صغيراً لا أب له ﴿ **وأسيراً** ﴾، قال مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء: هو المسجون من أهل القِبلة. وقال قتادة: أمر الله بالأمراء أن يُحسَن إليهم وإن أسراهم يومئذ لأهل الشرك. وقيل: الأسير المملوك. وقيل المرأة، يقول النبي ﷺ: «اتقوا الله في النساء فإنهنّ عندكم عوان» أي أسراء، واختلفوا في سبب نزول هذه الآية، قال مقاتل: نزلت في رجل من الأنصار أطعم في يوم واحد مسكيناً ويتيماً وأسيراً. ورُوِيَ عن مجاهد وعطاء عن ابن عباس: أنها نزلت في عليّ بن أبي طالب، وذلك أنه عمل ليهودي بشيء من شعير، فقبض الشعير فطحن ثلثه فجعلوا منه شيئاً ليأكلوه، فلما تمّ إنضاجه أتى مسكين فسأل فأخرجوا إليه الطعام، ثم عمل الثلث الثاني فلما تمّ إنضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه، ثم عمل الثلث الباقي فلما تمّ إنضاجه أتى أسير من المشركين، فسأل فأطعموه، وطووا يومهم ذلك. وهذا قول الحسن وقتادة، أن الأسير كان من أهل الشرك، وفيه دليل على أن إطعام الأسارى وإن كانوا من أهل الشرك حَسَن يُرجَى ثوابه.

﴿ **إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً** ﴾، والشكور مصدر كالعقود والدخول والخروج. قال مجاهد وسعيد بن جبير: إنهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم، فأثنى عليهم.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾

﴿إنا نخاف من ربنا يوماً﴾ يعني أن إحساننا إليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لطلب مكافأتكم ﴿عبوساً﴾ وصف ذلك اليوم بالعبوس مجازاً كما يقال نهاره صائم، والمراد أهله والمعنى تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته وقيل وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة. ﴿قمطريراً﴾ يعني شديداً كريهاً يقبض الوجوه والجباه بالتعبيس، وقيل العبوس الذي لا انبساط فيه، والقمطرير الشديد، وقيل هو أشد ما يكون من الأيام وأطوله في البلاء ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم﴾ أي الذي يخافونه ﴿ولقاهم نضرة﴾ أي حسناً في وجوههم ﴿وسروراً﴾ أي في قلوبهم ﴿وجزاهم بما صبروا﴾ أي على طاعة الله واجتناب معصيته، وقيل على الفقر والجوع مع الوفاء بالنذر والإيثار ﴿جنة وحريراً﴾ أي أدخلهم الجنة وألبسهم الحرير ﴿متكئين فيها﴾ أي في الجنة ﴿على الأرائك﴾ جمع أريكة وهي السرر في الحجال ولا تسمى أريكة إلا إذا اجتمعا ﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾ يعني لا يؤذيهم حر الشمس، ولا برد الزمهرير كما كان يؤذيهم في الدنيا والزمهرير أشد البرد وحكى الزمخشري قولاً إن الزمهرير هوالقمر وعن ثعلب أنه في لغة طيىء وأنشد:

وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر

والمعنى أن الجنة ضياء لا يحتاج فيها إلى شمس وقمر ﴿ودانية عليهم ظلالها﴾ أي قريبة منهم ظلال أشجارها ﴿وذللت﴾ أي سخرت وقربت ﴿قطوفها﴾ أي ثمارها ﴿تذليلاً﴾ أي يأكلون من ثمارها قياماً وقعوداً ومضطجعين، ويتناولونها كيف شاؤوا وعلى أي حال أرادوا. ﴿ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب﴾ قيل هي الكيزان التي لا عرى

﴿ إنّا نخاف من ربّنا يوماً عبوساً ﴾، تعبس فيه الوجوه من هوله وشدّته، ونسب العبوس إلى اليوم، كما يقال يوم صائم وليل نائم. وقيل: وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدّة، ﴿ قمطريراً ﴾، قال قتادة ومجاهد ومقاتل: القمطرير الذي يقبض الوجوه والجِباه بالتعبيس. وقال الكلبي: العبوس الذي لا انبساط فيه، والقمطرير: الشديد، قال الأخفش: القمطرير: أشدّ ما يكون من الأيام وأطوله في البلاء، يقال: يوم قمطرير وقماطر إذا كان شديداً كريهاً، واقمطرّ اليوم فهو مقمطر.

﴿ فَوَقاهم اللَّهُ شَرَّ ذلك اليوم ﴾، الذي يخافون، ﴿ ولقاهم نضرة ﴾، حسناً في وجوههم، ﴿ وسُروراً ﴾، في قلوبهم.

﴿ وجزاهم بما صبروا ﴾، على طاعة الله واجتناب معصيته، وقال الضحاك: على الفقر. وقال عطاء: على الجوع. ﴿ جنّةً وحريراً ﴾، قال الحسن: أدخلهم الله الجنّة وألبسهم الحرير.

﴿ متّكئين ﴾، على الحال، ﴿ فيها ﴾ في الجنة، ﴿ على الأرائك ﴾، السُّرُر في الحجال، ولا تكون أريكة إلّا إذا اجتمعا، ﴿ لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً ﴾، أي صيفاً ولا شتاءً. قال مقاتل: يعني شمساً يؤذيهم حرّها ولا زمهريراً يؤذيهم برده، لأنهما يؤذيان في الدنيا. والزمهرير: البرد الشديد.

﴿ ودانية عليهم ظلالها ﴾، أي قريبة منهم ظلال أشجارها، ونصب ﴿ دانية ﴾ بالعطف على قوله: ﴿ متّكئين ﴾، وقيل: على موضع قوله: ﴿ لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً ﴾ ويرون ﴿ دانية ﴾، وقيل: على المدح، ﴿ وذُلّلت ﴾، سُخّرت وقُرّبت، ﴿ قطوفها ﴾، ثمارها، ﴿ تذليلاً ﴾، يأكلون من ثمارها قياماً وقعوداً ومضطجعين ويتناولونها كيف شاؤوا على أيّ حال كانوا.

لها كالقدح ونحوه ﴿كانت قواريراً قوارير من فضة﴾ قال أهل التفسير أراد بياض الفضة في صفاء القوارير وهو الزجاج، والمعنى أن آنية أهل الجنة من فضة بيضاء في صفاء الزجاج، والمعنى يرى ما في باطنها من ظاهرها، قال الكلبي: إن الله تبارك وتعالى جعل قوارير كل قوم من تراب أرضهم، وإن أرض الجنة من فضة فجعل منها قوارير يشربون فيها، وقيل إن القوارير التي في الدنيا من الرمل والقوارير التي في الجنة من الفضة، ولكنها أصفى من الزجاج. ﴿قدروها تقديراً﴾ أي قدروا الكؤوس على قدر ريهم، وكفايتهم لا تزيد ولا تنقص. والمعنى أن السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم يقدرونها لهم ثم يسقونهم.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾

﴿ويسقون فيها﴾ أي في الجنة ﴿كأساً كان مزاجها زنجبيلاً﴾ قيل إن الزنجبيل هو اسم للعين التي يشرب منها الأبرار يوجد منها طعم الزنجبيل يشرب بها المقربون صرفاً، ويمزج لسائر أهل الجنة، وقيل هو النبت المعروف، والعرب كانوا يجعلون الزنجبيل في شرابهم لأنه يحصل فيه ضرب من اللذع قال الأعشى:

كــأن القــرنفــل والــــزنجبيــــل بــاتــا بفيهــا وأريــا مشــورا

الأري العسل والمشور المستخرج من بيوت النحل وقال المسيب بن علس:

فكـــأن طعـــم الـــــزنجبـــيـل بـه إذ ذقتـه وسـلافـة الخمـر

فلما كان الزنجبيل مستطاباً عند العرب وصف الله تعالى: شراب أهل الجنة بذلك، وقيل إن شرب أهل الجنة على برد الكافور، وطعم الزنجبيل وريح المسك قال ابن عباس: كل ما ذكر الله تعالى في القرآن مما في الجنة وسماه ليس له مثل في الدنيا، وذلك لأن زنجبيل الجنة لا يشبه زنجبيل الدنيا ﴿عيناً فيها تسمى سلسبيلاً﴾ أي سلسلة منقادة

﴿ويُطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريراً * قوارير من فضة﴾، قال المفسّرون: أراد بياض الفضة في صفاء القوارير، فهي من فضة في صفاء الزجاج، يرى ما في داخلها من خارجها. قال الكلبي: إن الله جعل قوارير كل قوم من تراب أرضهم، وإن أرض الجنة من فضة، فجعل منها قوارير يشربون فيها، ﴿قدّروها تقديراً﴾، قدّروا الكأس على قدر ربّهم لا يزيد ولا ينقص، أي قدّرها لهم السُّقاة والخَدَم الذين يطوفون عليهم يقدّرونها ثم يسقون.

﴿ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً﴾، يشوق ويطرب، والزنجبيل: مما كانت العرب تستطيبه جدّاً، فوعدهم الله تعالى أنهم يسقون في الجنة الكأس الممزوجة بزنجبيل الجنة. قال مقاتل: لا يشبه زنجبيل الدنيا. قال ابن عباس: كل ما ذكر الله القرآن مما في الجنة وسماء ليس له في الدنيا مثل. وقيل: هو عين في الجنة يوجد منها طعم الزنجبيل. قال قتادة: يشربها المقرّبون صرفاً، ويمزج لسائر أهل الجنة.

﴿عيناً فيها تُسمى سلسبيلاً﴾، قال قتادة: سلسلة منقادة لهم يصرفونها حيث شاؤوا، قال مجاهد: حديدة الجرية. قال أبو العالية ومقاتل بن حيان: سُمّيت سلسبيلاً لأنها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من أصل العرش من جنّة عدن إلى أهل الجنان وشراب الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المِسك. قال الزجّاج:

لهم يصرفونها حيث شاؤوا وقيل حديدة الجرية سميت سلسبيلاً لأنها تسيل عليها في طرقهم، ومنازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى سائر الجنان، وقيل سميت بذلك لأنها في غاية السلاسة تتسلسل في الحلق ومعنى تسمى أي توصف لأن أكثر العلماء على أن سلسبيلا صفة لا اسم ﴿**ويطوف عليهم ولدان مخلدون**﴾ أي في الخدمة وقيل مخلدون مسرورون ومقرطون ﴿**إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً**﴾ يعني في بياض اللؤلؤ الرطب وحسنه، وصفائه، واللؤلؤ إذا انتثر على البساط كان أصفى منه منظوماً، وقيل إنما شبهوا بالمنثور لانتثارهم في الخدمة.

قوله عز وجل: ﴿**وإذا رأيت**﴾ قيل الخطاب للنبي ﷺ وقيل لكل واحد ممن يدخل الجنة والمعنى إذا رأيت ببصرك ونظرت به ﴿**ثم**﴾ يعني إلى الجنة ﴿**رأيت نعيماً**﴾ أي لا يوصف عظمه ﴿**وملكاً كبيراً**﴾ قيل هو أن أدناهم منزلة من ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه، وقيل هو أن رسول رب العزة من الملائكة لا يدخل عليه إلا بإذنه وهو استئذان الملائكة عليهم وقيل معناه ملكاً لا زوال له ولا انتقال ﴿**عاليهم**﴾ أي فوقهم ﴿**ثياب سندس خضر**﴾ وهو مارق من الديباج ﴿**وإستبرق**﴾ وهو ما غلظ منه وكلاهما داخل في اسم الحرير ﴿**وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً**﴾ يعني طاهراً من الأقذار والأردان لم تمسه الأيدي، ولم تدنسه الأرجل كخمر الدنيا وقيل إنه لا يستحيل بولاً، ولكنه يستحيل رشحاً في أبدانهم كرشح المسك، وذلك أنهم يؤتون بالطعام ثم من بعده يؤتون بالشراب الطهور فيشربون منه فتطهر بطونهم ويصير ما أكلوا رشحاً يخرج من جلودهم أطيب من المسك الأذفر، وتضمر بطونهم وتعود شهواتهم، وقيل الشراب الطهور هو عين ماء على باب الجنة من شرب منه نزع الله ما كان في قلبه من غل وغش وحسد.

سُمّيت سلسبيلاً لأنها في غاية السلاسة تتسلسل في الحلق، ومعنى قوله: ﴿ **تسمى** ﴾ أي توصف لأن أكثر العلماء على أن سلسبيلاً صفة لا اسم.

﴿ **ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً** ﴾، قال عطاء: يريد في بياض اللؤلؤ وحُسْنه واللؤلؤ إذا نثر من الخيط على البساط، كان أحسن منه منظوماً. وقال أهل المعاني: إنما شُبِّهوا بالمنثور لانتثارهم في الخدمة، فلو كانوا صفّاً لشُبِّهوا بالمنظوم.

﴿ **وإذا رأيتَ ثَمَّ** ﴾، أي إذا رأيت ببصرك ونظرت به ثم يعني في الجنة، ﴿ **رأيت نعيماً** ﴾، لا يوصف، ﴿ **وملكاً كبيراً** ﴾، وهو أن أدناهم منزلة ينظر إلى ملكه في مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه. قال مقاتل والكلبي: هو أن رسول ربِّ العزّة من الملائكة لا يدخل عليه إلاّ بإذنه. وقيل: ملكاً لا زوال له.

﴿ **عاليهم ثياب سندس** ﴾، قرأ أهل المدينة وحمزة ﴿ **عاليهم** ﴾ ساكنة الياء مكسورة الهاء، فيكون في موضع رفع بالابتداء، وخبره ثياب سندس، وقرأ الآخرون بنصب الياء وضمّ الهاء على الصفة، أي فوقهم وهو نصب على الظرف ثياب سندس، ﴿ **خضر واستبرق** ﴾، قرأ نافع وحفص ﴿ **خضر واستبرق** ﴾ مرفوعان عطفاً على الثياب، وقرأهما حمزة والكسائي مجرورين، وقرأ ابن كثير وأبو بكر ﴿ **خضر** ﴾ جرّ ﴿ **واستبرق** ﴾، رفع، وقرأ أبو جعفر وأهل البصرة والشام علىٰ ضدّه فالرفع على نعت الثياب والجرّ على نعت السندس. ﴿ **وحلّوا أساور من فضة وسقاهم ربّهم شراباً طهوراً** ﴾، قيل: طاهراً من الأقذار والإقذاء لم تدنّسه الأيدي والأرجل كخمر الدنيا. وقال أبو قلابة وإبراهيم: إنه لا يصير بولاً نجساً ولكنه يصير رشحاً في أبدانهم، كريح المِسك، وذلك أنهم يُؤتون بالطعام فيأكلون، فإذا كان آخر ذلك أُتوا بالشراب الطهور، فيشربون فتطهر بطونهم ويصير ما أكلوا رشحاً يخرج من جلودهم أطيب من المِسك الإذفر، وتضمر بطونهم وتعود شهوتهم. وقال مقاتل: هو عين ماء على باب الجنة مَن شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غلٍّ وغشّ وحسد.

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿إن هذا كان لكم جزاء﴾ أي يقال لأهل الجنة بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم نعيمها. إن هذا كان لكم جزاء قد أعده الله لكم إلى هذا الوقت. فهو لكم بأعمالكم، وقيل هو إخبار من الله تعالى لعباده المؤمنين أنه قد أعده لهم في الآخرة ﴿وكان سعيكم مشكوراً﴾ أي شكرتكم عليه وآتيتكم أفضل منه، وهو الثواب، وقيل شكر الله لعباده هو رضاء منهم بالقليل من الطاعة وإعطاؤه إياهم الكثير من الخيرات.

قوله عز وجل: ﴿إنا نحن نزلنا عليك﴾ أي يا محمد ﴿القرآن تنزيلاً﴾ قال ابن عباس: متفرقاً آية بعد آية ولم ننزله جملة واحدة، والمعنى أنزلنا عليك القرآن متفرقاً لحكمة بالغة تقتضي تخصيص كل شيء بوقت معين، والمقصود من ذلك تثبيت قلب رسول الله ﷺ وشرح صدره وإن الذي أنزله إليه وحي منه ليس بكهانة، ولا سحر لتزول تلك الوحشة التي حصلت له من قول الكفار إنه سحر أو كهانة. ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ أي لعبادته فهي من الحكمة المحضة، وقيل معناه فاصبر لحكم ربك في تأخير الإذن في القتال، وقيل هو عام في جميع التكاليف، أي فاصبر لحكم ربك في كل ما حكم الله به سواء كان تكليفاً خاصاً كالعبادات والطاعات أو عاماً متعلقاً بالغير كالتبليغ، وأداء الرسالة وتحمل المشاق وغير ذلك. ﴿ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً﴾ قيل أراد به أبا جهل، وذلك أنه لما فرضت الصلاة على النبي ﷺ نهاه أبو جهل عنها، وقال لئن رأيت محمداً يصلي لأطأن عنقه، وقيل أراد بالآثم عتبة بن ربيعة، وبالكفور الوليد بن المغيرة وذلك أنهما قالا للنبي ﷺ إن كنت صنعت ما صنعت لأجل النساء، والمال فارجع عن هذا الأمر، وقال عتبة أنا أزوجك ابنتي وأسوقها إليك بغير مهر، وقال الوليد أنا أعطيك من المال حتى ترضى فارجع عن هذا الأمر فأنزل الله تعالى هذه الآية.

فإن قلت هل من فرق بين الآثم والكفور قلت نعم. الآثم هو المقدم على المعاصي أي معصية كانت، والكفور

﴿ إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً ﴾، أي ما وصف من نعيم الجنة كان لكم جزاء بأعمالكم وكان سعيكم عملكم في الدنيا بطاعة الله مشكوراً، قال عطاء: شكرتكم عليه وأثبتكم أفضل الثواب.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ إنّا نحن نزّلنا عليك القرآن تنزيلاً ﴾، قال ابن عباس: متفرّقاً آية بعد آية، ولم ينزل جملة واحدة.

﴿ فاصبرْ لحكم ربك ولا تطع منهم ﴾، يعني من مشركي مكة، ﴿ آثماً أو كفوراً ﴾، يعني وكفوراً، والألف صلة، قال قتادة: أراد بالآثم والكفور أبا جهل وذلك أنه لمّا فُرضت الصلاة على النبي ﷺ نهاه أبو جهل عنها، وقال: لئن رأيت محمداً يصلّي لأطأنّ عنقه. وقال مقاتل: أراد بالآثم عتبة بن ربيعة، وبالكفور الوليد بن المغيرة، قالا للنبي ﷺ: إن كنت صنعت ما صنعت لأجل النساء والمال فارجع عن هذا الأمر، قال عتبة: فأنا أُزوّجك ابنتي وأسوقها إليك بغير مهر، وقال الوليد: أنا أُعطيك من المال حتى ترضى، فارجع عن هذا الأمر، فأنزل الله هذه الآية.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ واذكر اسم ربك بكرةً وأصيلاً * ومن الليل فاسجد له ﴾، يعني صلاة المغرب والعشاء،

هو الجاحد فكل كفور آثم، ولا ينعكس لأن من عبد غير الله فقد اجتمع في حقه هذان الوصفان لأنه لما عبد غير الله فقد عصاه وجحد نعمه عليه. ﴿**واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً**﴾ قيل المراد من الذكر الصلاة، والمعنى وصل لربك بكرة يعني صلاة الصبح وأصيلاً يعني صلاة الظهر والعصر ﴿**ومن الليل فاسجد له**﴾ يعني صلاة المغرب والعشاء فعلى هذا تكون الآية جامعة لمواقيت الصلاة الخمس ﴿**وسبحه ليلاً طويلاً**﴾ يعني صلاة التطوع بعد المكتوبة وهو التهجد بالليل، وقيل المراد من الآية هو الذكر باللسان، والمقصود أن يكون ذاكراً لله تعالى في جميع الأوقات في الليل والنهار بقلبه وبلسانه. قوله عز وجل: ﴿**إن هؤلاء**﴾ يعني كفار مكة ﴿**يحبون العاجلة**﴾ يعني الدار العاجلة، وهي الدنيا. ﴿**ويذرون وراءهم**﴾ يعني أمامهم ﴿**يوماً ثقيلاً**﴾ يعني شديداً وهو يوم القيامة والمعنى أنهم يتركونه فلا يؤمنون به، ولا يعملون له ﴿**نحن خلقناهم وشددنا**﴾ أي قوينا وأحكمنا ﴿**أسرهم**﴾ أي خلقهم وقيل أوصالهم شددنا بعضها إلى بعض بالعروق والأعصاب، وقيل الأسر مجرى البول والغائط، وذلك أنه إذا خرج الأذى انقبضا. ﴿**وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً**﴾ أي إذا شئنا أهلكناهم، وآتينا بأشباههم فجعلناهم بدلاً منهم.

إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾

﴿**إن هذه**﴾ أي السورة ﴿**تذكرة**﴾ أي تذكير وعظة ﴿**فمن شاء اتخذ**﴾ أي لنفسه في الدنيا ﴿**إلى ربه سبيلاً**﴾ أي وسيلة بالطاعة، والتقرب إليه وهذه مما يتمسك بها القدرية يقولون اتخاذ السبيل هو عبارة عن التقرب إلى الله تعالى، وهو إلى اختيار العبد، ومشيئته قال أهل السنة ويرد عليهم قوله عز وجل في سياق الآية. ﴿**وما تشاؤون إلا أن يشاء الله**﴾ أي لستم تشاؤون إلا بمشيئة الله تعالى لأن الأمر إليه، ومشيئة الله مستلزمة لفعل العبد فجميع ما يصدر عن العبد بميشئة الله جلّ جلاله وتعالى شأنه ﴿**إن الله كان عليماً**﴾ أي بأحوال خلقه وما يكون منهم ﴿**حكيماً**﴾ أي حيث خلقهم مع علمه بهم ﴿**يدخل من يشاء في رحمته**﴾ أي في دينه وقيل في جنته فإن فسرت الرحمة بالدين كان ذلك من الله تعالى وإن فسرت بالجنة كان دخول الجنة بسبب مشيئة الله جلّ جلاله وتعالى شأنه وفضله وإحسانه لا بسبب الاستحقاق ﴿**والظّالمين**﴾ يعني المشركين ﴿**أعد لهم عذاباً أليماً**﴾ أي مؤلماً، والله سبحانه وتعالى أعلم.

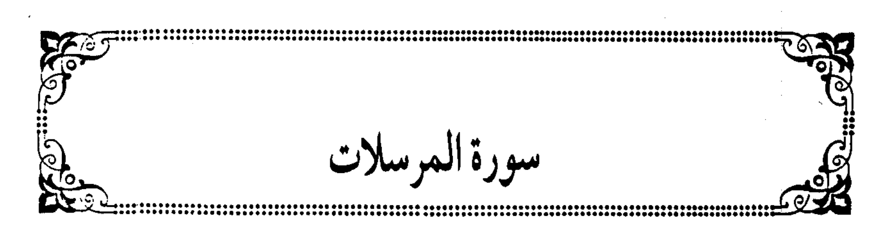
﴿ **وسبّحه ليلاً طويلاً** ﴾، يعني التطوّع بعد المكتوبة.

﴿ **إن هؤلاء** ﴾، يعني كفّار مكة ﴿ **يحبّون العاجلة** ﴾، أي الدار العاجلة وهي الدنيا. ﴿ **ويذرون وراءهم** ﴾، يعني أمامهم، ﴿ **يوماً ثقيلاً** ﴾، شديداً وهو يوم القيامة. أي يتركون فلا يؤمنون به ولا يعملون له.

﴿ **نحن خلقناهم وشددنا** ﴾، قوّينا وأحكمنا، ﴿ **أسْرَهم** ﴾، قال مجاهد وقتادة ومقاتل: أسرهم أي خلقهم، يقال رجل حسن الأسر أي الخلق، وقال الحسن: يعني أوصالهم شددنا بعضها إلى بعض بالعروق والعصب. ورُوِيَ عن مجاهد في تفسير الأسر قال: الفرج يعني موضع مصر في البول والغائط إذا خرج الأذى انقبضا. ﴿ **وإذا شئنا بدّلنا أمثالهم تبديلاً** ﴾، أي إذا شئنا أهلكناهم وأتينا بأشباههم فجعلناهم بدلاً منهم.

﴿ **إن هذه** ﴾، يعني هذه السورة، ﴿ **تذكرة** ﴾، تذكير وعِظة، ﴿ **فمَن شاء اتخذ إلى ربّه سبيلاً**﴾ وسيلة للطـــــاعة.

﴿ **وما تشاؤون** ﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو (يشاؤون) بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء، ﴿ **إلاّ أن يشاء الله** ﴾ أي لستم تشاؤون إلاّ بمشيئة الله عزّ وجلّ، لأن الأمر إليه ﴿ **إن الله كان عليماً حكيماً * يُدخِل مَن يشاء في رحمته والظالمين** ﴾، أي المشركين. ﴿ **أعدّ لهم عذاباً أليماً** ﴾.



سورة المرسلات

(مكية وهي خمسون آية ومائة وثمانون كلمة وثمانمائة وستة عشر حرفاً)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾

قوله عز وجل: ﴿**والمرسلات عرفاً فالعاصفات عصفاً والناشرات نشراً فالفارقات فرقاً فالملقيات ذكراً عذراً أو نذراً**﴾ أعلم أن المفسرين ذكروا في هذه الكلمات الخمس وجوها:

الأول: أن المراد بأسرها الرّياح ومعنى المرسلات عرفاً الرياح أرسلت متتابعة كعرف الفرس، وقيل عرفاً أي كثيراً ﴿**فالعاصفات عصفاً**﴾ يعني الرّياح الشّديدة الهبوب، ﴿**والناشرات نشراً**﴾. يعني الرياح اللّينة، وقيل هي الرياح التي أرسلها نشراً بين يدي رحمته، وقيل هي الرّياح التي تنشر السحاب، وتأتي بالمطر فالفارقات فرقاً يعني الرياح التي تفرق السحاب، وتبدده فالملقيات ذكراً يعني أن الرياح إذا أرسلت عاصفة شديدة قلعت الأشجار، وخربت الديار، وغيرت الآثار. فيحصل بذلك خوف للعباد في القلوب، فيلجئون إلى الله تعالى ويذكرونه، فصارت تلك الرياح كأنها ألقت الذكر، والمعرفة في القلوب عند هبوبها.

الوجه الثاني: أن المراد بأسرها الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى ومعنى والمرسلات عرفاً. الملائكة الذين أرسلوا بالمعروف من أمر الله، ونهيه وهذا القول رواية عن ابن مسعود فالعاصفات عصفاً يعني الملائكة تعصف في طيرانهم، ونزولهم كعصف الرياح في السرعة، والناشرات نشراً يعني أنهم إذا نزلوا إلى الأرض نشروا أجنحتهم، وقيل هم الذين ينشرون الكتب، ودواوين الأعمال يوم القيامة فالفارقات فرقاً. قال ابن عباس: يعني الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل، فالملقيات ذكراً يعني الملائكة تلقي الذكر إلى الأنبياء، وقيل يجوز أن يكون الذكر هو القرآن

سُورَة المُرْسَلَات

مكيّة وهي خمسون آية.

﴿ **والمرسلات عُرْفاً** ﴾، يعني الرياح أُرسلت متتابعة كعُرف الفرس. وقيل: عُرفاً أي كثير تقول العرب: الناس إلى فلان عرف واحد، إذا توجّهوا إليه فأكثروا، هذا معنى قول مجاهد وقتادة، قال مقاتل: يعني الملائكة التي أُرسلت بالمعروف من أمر الله ونهيه، وهي رواية مسروق عن ابن مسعود.

﴿ **فالعاصفات عصفاً** ﴾، يعني الرياح الشديدة الهبــوب.

﴿ **والناشرات نشراً** ﴾، يعني الرياح الليّنة. وقال الحسن: هي الرياح الليّنة. وقال الحسن: هي الرياح التي

خاصة فعلى هذا يكون الملقى هو جبريل وحده، وإنما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم.

الوجه الثالث: أن المراد بأسرها آيات القرآن، ومعنى المرسلات عرفاً آيات القرآن المتتابعة في النزول على محمد ﷺ بكل عرف وخير فالعاصفات عصفاً يعني آيات القرآن تعصف القلوب بذكر الوعيد حتى تجعلها كالعصف وهو النبت المتكسر، والناشرات نشراً يعني آيات القرآن تنشر أنوار الهداية والمعرفة في قلوب المؤمنين. فالفارقات فرقاً يعني آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكراً يعني آيات القرآن هي الذكر الحكيم الذي يلقى الإيمان والنور في قلوب المؤمنين.

﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾

الوجه الرابع: أنه ليس المراد من هذه الكلمات الخمس شيئاً واحداً بعينه فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى: **﴿والمرسلات عرفاً فالعاصفات عصفاً والناشرات نشراً الرياح﴾** ويكون المراد بقوله **﴿فالفارقات فرقاً فالملقيات ذكرا﴾** الملائكة.

فإن قلت وما المجانسة بين الرياح والملائكة حتى جمع بينهما في القسم قلت الملائكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم، وسرعة حركاتهم شابهوا الرياح فحصلت المجانسة بينهما من هذا الوجه فحسن الجمع بينهما في القسم عذراً أو نذراً أي للإعذار والإنذار من الله، وقيل عذراً من الله ونذراً منه إلى خلقه، وهذه كلها أقسام وجواب القسم قوله تعالى: **﴿إن ما توعدون﴾** أي من أمر الساعة ومجيئها **﴿لواقع﴾** أي لكائن نازل لا محالة، وقيل معناه إن ما

يرسلها الله بشراً بين يدي رحمته. وقيل: هي الرياح التي تنشر السحاب وتأتي بالمطر. وقال مقاتل: هم الملائكة ينشرون الكتب.

﴿ فالفارقات فرقاً ﴾، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: يعني الملائكة تأتي بما يفرّق بين الحق والباطل. وقال قتادة والحسن: هي آي القرآن تفرّق بين الحلال والحرام. ورُوِيَ عن مجاهد قال: هي الرياح تفرّق السحاب وتبدّده.

﴿ فالملقيات ذكراً ﴾، يعني الملائكة تلقي الذكر إلى الأنبياء، نظيرها: **﴿ يلقي الروح من أمره ﴾** [غافر: ١٥].

﴿ عذراً أو نذراً ﴾، أي للإعذار والإنذار، قرأ الحسن **﴿ عذراً ﴾** بضمّ الذال واختلف فيه عن أبي بكر عن عاصم، وقراءة العامّة بسكونها، وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص **﴿ نذراً ﴾** ساكنة الذال، وقرأ الباقون بضمّها، ومَن سكّن قال لأنهما في موضع مصدرين بمعنى الإنذار والإعذار وليسا بجمع فينقلا إلى ههنا أقسام ذكرها على قوله:

﴿ إنما تُوعدون ﴾، من أمر الساعة والبعث، **﴿ لواقع ﴾**، لكائن ثم ذكر متى يقع.

فقال: **﴿ فإذا النجوم طُمست ﴾**، مُحِيَ نورها.

توعدون به من الخير والشر لواقع بكم. ثم ذكر متى يقع فقال تعالى: ﴿**فإذا النجوم طمست**﴾ أي محي نورها وقيل محقت ﴿**وإذا السماء فرجت**﴾ أي شقت وقيل فتحت ﴿**وإذا الجبال نسفت**﴾ أي قلعت من أماكنها ﴿**وإذا الرسل أقتت**﴾ وقرىء وقتت بالواو ومعناهما وأحد أي جمعت لميقات يوم معلوم، وهو يوم القيامة ليشهدوا على الأمم ﴿**لأي يوم أجلت**﴾ أي أخرت وضرب الأجل لجميعهم كأنه تعالى يعجب لعباده من تعظيم ذلك اليوم، والمعنى جمعت الرسل في ذلك اليوم لتعذيب من كذبهم وتعظيم من آمن بهم، ثم بين ذلك اليوم فقال تعالى: ﴿**ليوم الفصل**﴾ قال ابن عباس يوم فصل الرحمن فيه بين الخلائق ثم أتبع ذلك تعظيماً وتهويلاً فقال تعالى: ﴿**وما أدراك ما يوم الفصل**﴾ أي وما أعلمك بيوم الفصل وهو له وشدته ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾ أي بالتوحيد والنبوة والمعاد والبعث والحساب.

قوله تعالى: ﴿**ألم نهلك الأولين**﴾ يعني الأمم الماضية بالعذاب في الدنيا حين كذبوا رسلهم ﴿**ثم نتبعهم الآخرين**﴾ يعني السالكين سبيلهم في الكفر والتكذيب، وهم كفار قريش، أي نهلكهم بتكذيبهم محمداً ﷺ ﴿**كذلك نفعل بالمجرمين**﴾ أي إنما نفعل بهم ذلك لكونهم مجرمين ﴿**ويل يومئذ للمكذبين ألم نخلقكم من ماء مهين**﴾ يعني النطفة ﴿**فجعلناه في قرار مكين**﴾ يعني الرحم ﴿**إلى قدر معلوم**﴾ يعني وقت الولادة وهو معلوم لله تعالى لا يعلم ذلك غيره ﴿**فقدرنا**﴾ قرىء بالتشديد من التقدير، أي قدرنا ذلك تقديراً ﴿**فنعم القادرون**﴾ أي المقدرون له وقرىء بالتخفيف من القدرة، أي قدرنا على خلقه، وتصويره كيف شئنا فنعم القادرون حيث خلقناه في أحسن صورة وهيئة.

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم

﴿ **وإذا السماء فُرِجَت** ﴾، شُقّت.

﴿ **وإذا الجبال نُسِفَت** ﴾، قُلِعَت من أماكنها.

﴿ **وإذا الرسل أُقّتت** ﴾، قرأ أهل البصرة (وقتت) بالواو، وقرأ أبو جعفر بالواو وتخفيف القاف، وقرأ الآخرون بالألف وتشديد القاف، وهما لغتان. والعرب تعاقبت بين الواو والهمزة كقولهم: وكدت وأكدت، ورّخت وأرّخت، ومعناهما جمعاً لميقات يوم معلوم، وهو يوم القيامة ليشهدوا على الأمم.

﴿ **لأيّ يوم أُجِلت** ﴾، أي أُخّرت، وضرب الأجل لجمعهم فعجب العباد من ذلك اليوم.

ثم بيّن فقال: ﴿ **ليوم الفصل** ﴾، قال ابن عباس: يوم فصل الرحمن بين الخلائق.

﴿ **وما أدراك ما يوم الفصل * وويل يومئذ للمكذّبين * ألم نهلك الأوّلين** ﴾، يعني الأمم الماضية بالعذاب في الدنيا حين كذّبوا رسلهم.

﴿ **ثم نتبعهم الآخرين** ﴾، السالكين سبيلهم في الكفر والتكذيب يعني كفّار مكة بتكذيبهم محمداً ﷺ.

﴿ **كذلك نفعل بالمجرمين * ويل يومئذ للمكذّبين * ألم نخلقكم من ماء مهين** ﴾، يعني النطفة.

﴿ **فجعلناه في قرار مكين** ﴾، يعني الرحم.

﴿ **إلى قدر معلوم** ﴾، وهو وقت الولادة.

﴿ **فقدرنا** ﴾، قرأ أهل المدينة والكسائي ﴿ **فقدرنا** ﴾ بالتشديد من التقدير، وقرأ الآخرون بالتخفيف من القدرة، لقوله: ﴿ **فنِعمَ القادرون** ﴾، وقيل: معناهما واحد، وقوله: ﴿ **فنعم القادرون** ﴾ أي المقدّرون.

مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا
ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾

﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾ أي المنكرين للبعث لأن القادر على الابتداء قادر على الإعادة ﴿**ألم نجعل الأرض كفاتاً**﴾ يعني وعاء وأصله الضم والجمع ﴿**أحياء وأمواتاً**﴾ يعني تكفتهم أحياء على ظهرها بمعنى تضمهم في دورهم ومنازلهم وتكفتهم أمواتاً في بطنها في قبورهم، ولذلك تسمى الأرض أما لأنها تضم الناس كالأم تضم ولدها ﴿**وجعلنا فيها**﴾ أي في الأرض ﴿**رواسي شامخات**﴾ يعني جبالاً عاليات ﴿**وأسقيناكم ماء فراتاً**﴾ يعني عذباً ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾ يعني أن هذا كله أعجب عن البعث فالقادر عليه قادر على البعث.

قوله عز وجل: ﴿**انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون**﴾ يعني يقال للمكذبين بيوم القيامة في الدنيا انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون وهو العذاب ثم فسره بقوله ﴿**انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب**﴾ يعني دخان جهنم إذا سطع وارتفع تشعب، وتفرق ثلاث فرق، وكذلك شأن الدخان العظيم. فيقال لهم كونوا فيه إلى أن يفرغ من الحساب كما يكون أولياء الله تعالى في ظل عرشه، وقيل يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث شعب على رؤوسهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ﴿**لا ظليل**﴾ أي إن ذلك الظل لا يظل من حر ﴿**ولا يغني من اللهب**﴾ أي لا يرد عنهم لهب جهنم والمعنى أنهم إذا استظلوا بذلك الظل لا يدفع عنهم حر اللهب ﴿**إنها**﴾ يعني جهنم ﴿**ترمي بشرر**﴾ جمع شرارة وهي ما تطاير من النار

﴿ **ويلٌ يومئذ للمكذبين * ألم نجعلِ الأرض كِفَاتاً** ﴾، وعاءً، ومعنى الكفت: الضمّ والجمع، يقال: كفت الشيء إذا ضمّه وجمعه. وقال الفرّاء يريد تكفتهم أحياء على ظهرها في دُورهم ومنازلهم وتكفتهم أمواتاً في بطنها أي تحوزهم.

وهو قوله: ﴿ **أحياءً وأمواتاً * وجعلنا فيها رواسي** ﴾، جبالاً ﴿ **شامخات** ﴾، عاليات، ﴿ **وأسقيناكم ماءً فراتاً** ﴾، عذباً.

﴿ **ويلٌ يومئذ للمكذبين** ﴾، قال مقاتل: وهذا كله أعجب من البعث الذي تكذبون به، ثم أخبر أنه يقال لهم يوم القيامة.

﴿ **انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون** ﴾، في الدنيا.

﴿ **انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب** ﴾، يعني دخان جهنم إذا ارتفع انشعب وافترق ثلاث فِرَق. وقيل: يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث نور ودخان ولهب، فأما النور فيقف على رؤوس المؤمنين، والدخان يقف على رؤوس المنافقين، واللهب الصافي يقف على رؤوس الكافرين.

ثم وصف ذلك الظل فقال: ﴿ **لا ظليل** ﴾ يظلّ من الحرّ، ﴿ **ولا يُغني من اللهب** ﴾، قال الكلبي: لا يردّ لهب جهنم عنكم، والمعنى أنهم إذا استظلّوا بذلك الظل لم يدفع عنهم حرّ اللهب.

﴿ **إنها** ﴾، يعني جهنم، ﴿ **ترمي بشرر** ﴾، وهو ما تطاير من النار، واحدها شررة. ﴿ **كالقصر** ﴾، وهو البناء العظيم، قال ابن مسعود: يعني الحصون. وقال عبد الرحمن بن عباس عن قوله: ﴿ **إنها ترمي بشرر كالقصر** ﴾ قال: هي الخشب العِظام المقطّعة، وكنّا نعمد إلى الخشب فنقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه ندّخرها للشتاء، فكنّا نسمّيها القصر. وقال سعيد بن جبير والضحاك: هي أصول النخل والشجر العِظام، واحدتها قصرة، مثل تمرة

﴿كالقصر﴾ يعني كالبناء العظيم ونحوه قيل هي أصول الشجر، والنخل العظام واحدتها قصرة وسئل ابن عباس عن قوله، ﴿ترمي بشرر كالقصر﴾ فقال هي الخشب العظام المقطعة وكنا نعمد إلى الخشبة فنقطعها ثلاثة أذرع، وفوق ذلك ودونه وندخرها للشتاء، وكنا نسميها القصر.

كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾

﴿كأنه﴾ يعني الشرر ﴿جمالات﴾ جمع الجمال، وقال ابن عباس: هي حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض حتى تكون كأوساط الجمال ﴿صفر﴾ جمع أصفر يعني أن لون ذلك الشرر أصفر وأنشد بعضهم:

دعتهم بأعلى صوتها ورمتهم ... بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى

وقيل الصفر هنا معناه الأسود لأنه جاء في الحديث أن شرر نار جهنم أسود كالقيز، والعرب تسمى سود الإبل صفراً لأنه يشوب سوادها شيء من الصفرة، وقيل هي قطع النحاس، والمعنى أن هذا الشرر يرتفع كأنه شيء مجموع غليظ أصفر. ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ قوله عز وجل: ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾ يعني بحجة تنفعهم قيل هذا في بعض مواطن القيامة ومواقفها، وذلك لأن في بعضها يتكلمون وفي بعضها يختصمون، وفي بعضها يختم على أفواههم فلا ينطقون ﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ عطف على يؤذن واختير ذلك لأن رؤوس الآي بالنون فلو قال فيتعذروا لم يوافق الآيات، والعرب تستحب وفاق الفواصل كما تستحب وفاق القوافي، والقرآن نزل على ما تستحب العرب من موافقة المقاطع، والمعنى لا يكون إذن واعتذار قال الجنيدي: أي عذر لمن أعرض عن منعمه وكفر بأياديه ونعمه.

فإن قلت قد توهم أن لهم عذراً، ولكن قد منعوا من ذكره.

قلت ليس لهم عذر في الحقيقة لأنه قد تقدم الإعذار والإنذار في الدّنيا فلم يبق لهم عذر في الآخرة، ولكن ربما تخيلوا خيالاً فاسداً أن لهم عذراً فلم يؤذن لهم في ذلك العذر الفاسد ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ يعني أنه لما تبين إنه لا

وتمر، وجمرة وجمر، وقرأ علي وابن عباس ﴿ كالقصر ﴾ بفتح الصاد، أي أعناق النخل، والقصرة العنق، وجمعها قصر وقصرات.

﴿ كأنّه ﴾ ردّ الكناية إلى اللفظ، ﴿ جِمَالةٌ ﴾. قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿ جمالة ﴾ على جمع الجمل مثل حجر وحجارة، وقرأ يعقوب بضم الجيم بلا ألف أراد الأشياء العِظام المجموعة، وقرأ الآخرون ﴿ جمالات ﴾ بالألف وكسر الجيم على جمع الجمال، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير: هي حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض، حتى يكون كأوساط الرجال، ﴿ صُفْرٌ ﴾، جمع الأصفر، يعني لون قنانٍ، وقيل: الصفر معناه السود لأنه جاء في الحديث أن شرر نار جهنم أسود كالقير، والعرب تسمّي سود الإبل صفر لأنه يشوب سوادها شيء من صفرة كما يقال لبيض الظباء: أدم لأنها بياضها يعلوه كدرة.

﴿ ويل يومئذ للمكذبين * هذا يوم لا ينطقون ﴾، أي في القيامة لأن فيها مواقف، ففي بعضها يختصمون ويتكلمون وفي بعضها يختم على أفواههم فلا ينطقون.

عذر لهم، ولا حجة فيما أتوا به من الأعمال السيئة، ولا قدرة لهم على دفع العذاب عنهم لا جرم قال في حقهم ﴿**ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل**﴾ يعني بين أهل الجنة وأهل النار، وقيل هو الفصل بين العباد في الحقوق والمحاكمات ﴿**جمعناكم والأولين**﴾ يعني مكذبي هذه الأمة والذين كذبوا أنبياءهم من الأمم الماضية. ﴿**فإن كان لكم كيد فكيدون**﴾ أي إن كانت لكم حيلة تحتالون بها لأنفسكم فاحتالوا وهم يعلمون أن الحيل يومئذ منقطعة لا تنفع وهذا في نهاية التوبيخ والتقريع فلهذا عقبة بقوله ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾ قوله عزوجل ﴿**إن المتقين**﴾ أي الذين اتقوا الشرك ﴿**في ظلال**﴾ جمع ظل وهو ظل الأشجار ﴿**وعيون**﴾ أي في ظلهم عيون ماء ﴿**وفواكه مما يشتهون**﴾ أي يتلذذون بها ﴿**كلوا واشربوا**﴾ أي ويقال لهم كلوا واشربوا، وهذا القول يحتمل أن يكون من جهة الله تعالى بلا واسطة، وما أعظمها من نعمة أو يكون من جهة الملائكة على سبيل الإكرام ﴿**هنيئاً**﴾ أي خالص اللّذة لا يشوبه تنغيص ﴿**بما كنتم تعملون**﴾ أي في الدنيا من الطاعات ﴿**إنا كذلك نجزي المحسنين**﴾ قيل المقصود منه تذكير الكفار ما فاتهم من النعم العظيمة، ليعلموا أنهم لو كانوا من المتقين المحسنين لفازوا بمثل ذلك الخير العظيم. فلما لم يفعلوا ذلك وقعوا في قوله. ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾ قوله عز وجل: ﴿**كلوا وتمتعوا قليلاً**﴾ يقول الكفار مكة كلوا وتمتعوا قليلاً في الدنيا إلى منتهى آجالكم، وهذا وإن كان ظاهر اللفظ أمراً إلا أنه في المعنى نهي بليغ وزجر عظيم ﴿**إنكم مجرمون**﴾ أي مشركون بالله مستحقون للعقاب لا جرم أتبعه بقوله ﴿**ويل يومئذ للمكذبين وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون**﴾ أي وإذا قيل لهم صلوا مع محمد وأصحابه لا يصلون فعبر عن الصلاة بلفظ الركوع لأنه ركن من أركانها وقال ابن عباس: إنما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون.

وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٠﴾

﴿**ويل يومئذ للمكذبين فبأي حديث بعده يؤمنون**﴾ أي بعد نزول القرآن إذا لم يؤمنوا به فبأي شيء يؤمنون والله أعلم.

﴿ **ولا يؤذن لهم فيعتذرون** ﴾، قال الجنيد: أي لا عذر لمَن أعرض عن منعمه وكفر بأياديه ونِعَمِه.

﴿ **ويلٌ يومئذ للمكذبين * هذا يوم الفصل** ﴾، بين أهل الجنة والنار، ﴿ **جمعناكم والأوّلين** ﴾، يعني مكذّبي هذه الأمة والأوّلين الذين كذبوا أنبياءهم.

﴿ **فإن كان لكم كيدٌ فكيدون** ﴾، قال مقاتل: إن كانت لكم حيلة فاحتالوا لأنفسكم.

﴿ **ويلٌ يومئذ للمكذّبين * إن المتّقين في ظلال** ﴾، جمع ظل أي في ظلال الشجر، ﴿ **وعيون** ﴾، الماء.

﴿ **وفواكه مما يشتهون** ﴾.

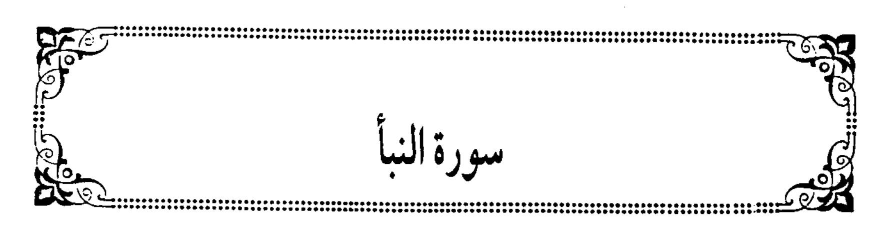
ويقال لهم: ﴿ **كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون** ﴾، في الدنيا بطاعتي.

﴿ **إنّا كذلك نجزي المحسنين * ويلٌ يومئذ للمكذبين** ﴾.

ثم قال لكفّار مكة: ﴿ **كُلوا وتمتعوا قليلاً** ﴾، في الدنيا، ﴿ **إنكم مجرمون** ﴾، مشركون بالله عزّ وجلّ مستحقّون للعذاب.

﴿ **ويلٌ يومئذ للمكذبين * وإذا قيل لهم اركعوا** ﴾، يعني صلّوا، ﴿ **لا يركعون** ﴾، لا يصلّون، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إنما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون.

﴿ **ويلٌ يومئذ للمكذبين * فبأيّ حديث بعده** ﴾، أي بعد القرآن، ﴿ **يؤمنون** ﴾، إذا لم يؤمنوا به.



سورة النبأ

وتسمى سورة عم يتساءلون والتساؤل مكية وهي أربعون آية ومائة وثلاث وسبعون كلمة وتسعمائة وسبعون حرفاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾

قوله عز وجل: ﴿**عم**﴾ أصله عن ما ﴿**يتساءلون**﴾ عن أي شيء يتساءلون يعني المشركين ولفظه استفهام، ومعناه التفخيم كقولك، أي شيء زيد إذا عظمت شأنه، وذلك أن النبي ﷺ لما دعاهم إلى التوحيد، وأخبرهم بالبعث بعد الموت، وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون فيما بينهم فيقول بعضهم لبعض ماذا جاء به محمد ﷺ ثم ذكر عما ذا تساؤلهم فقال تعالى: ﴿**عن النبأ العظيم**﴾ يعني الخبر العظيم الشأن قال الأكثرون هو القرآن، وقيل هو البعث وقيل نبوة محمد ﷺ وما جاء به ﴿**الذي هم فيه مختلفون**﴾ فمن فسر النبأ العظيم بالقرآن قال اختلافهم فيه هو قولهم إنه سحر أو شعر أو كهانة أو نحو ذلك مما قالوه في القرآن، ومن فسر النبأ العظيم بالبعث قال اختلافهم فيه فمن مصدق به، وهم المؤمنون ومن مكذب به، وهم الكافرون ومن فسره بنبوة محمد ﷺ قال اختلافهم فيه كاختلافهم في القرآن ﴿**كلا**﴾ هي ردع وزجر وقيل هي نفي لاختلافهم، والمعنى ليس الأمر كما قالوا ﴿**سيعلمون**﴾ أي عاقبة تكذيبهم حين ينكشف الأمر يعني في القيامة ﴿**ثم كلا سيعلمون**﴾ وعيد على أثر وعيد، وقيل معناه كلا سيعلمون يعني الكافرين عاقبة

سُورَة النَّبَأ

مكيّة وهي أربعون آية.

﴿ **عمَّ** ﴾، أصله (عن ما) فأُدغمت النون في الميم وحذفت ألف ما كقوله: (فيم)، و(بم)، ﴿ **يتساءلون** ﴾، أي عن أي شيء يتساءل هؤلاء المشركون، وذلك أن النبي ﷺ لمّا دعاهم إلى التوحيد وأخبرهم بالبعث بعد الموت، وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم فيقولون: ماذا جاء به محمد ﷺ، قال الزجّاج: اللفظ لفظ استفهام ومعناه التفخيم، كما تقول: أيّ شيء زيد؟ إذا أعظمت أمره وشأنه.

ثم ذكر أن تساؤلهم عمّاذا فقال: ﴿ **عن النبأ العظيم** ﴾، قال مجاهد والأكثرون: هو القرآن، دليله قوله: ﴿ **قل هو نبأ عظيم** ﴾ [صٓ: ٦٧]، وقال قتادة: هو البعث.

﴿ **الذي هم فيه مختلفون** ﴾، فمصدّق ومكذّب، ﴿ **كلا سيعلمون** ﴾، كلا نفي يقول هم سيعلمون عاقبة تكذيبهم حين تنكشف الأمور.

تكذيبهم وكفرهم ثم كلا سيعلمون يعني المؤمنين عاقبة تصديقهم وإيمانهم ثم ذكر أشياء من عجائب صنائعه ليستدلوا بذلك على توحيده، ويعلموا أنه قادر على إيجاد العالم وفنائه بعد إيجاده وإيجاده مرة أخرى للبعث والحساب، والثواب، والعقاب فقال تعالى: ﴿**ألم نجعل الأرض مهاداً**﴾ أي فراشاً وبساطاً لتستقر عليها الأقدام ﴿**والجبال أوتاداً**﴾ يعني للأرض حتى لا تميد ﴿**وخلقناكم أزواجاً**﴾ يعني أصنافاً ذكوراً وإناثاً.

وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَاتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾

﴿**وجعلنا نومكم سباتاً**﴾ أي راحة لأبدانكم وليس الغرض أن السبات للراحة بل المقصود منه أن النوم يقطع التعب ويزيله، ومع ذلك تحصل الراحة، وأصل السبت القطع، ومعناه أن النوم يقطع عن الحركة والتصرف في الأعمال ﴿**وجعلنا الليل لباساً**﴾ أي غطاء وغشاء يستر كل شيء بظلمته عن العيون، ولهذا سمي الليل لباساً على وجه المجاز، ووجه النعمة في ذلك هو أن الإنسان يستتر بظلمة الليل عن العيون إذا أراد هرباً من عدو ونحو ذلك. ﴿**وجعلنا النهار معاشاً**﴾ أي سبباً للمعاش والتصرف في المصالح وقال ابن عباس تبتغون فيه من فضل الله وما قسم لكم من رزقه ﴿**وبنينا فوقكم سبعاً شداداً**﴾ يعني سبع سموات محكمة ليس يتطرق عليها شقوق ولا فطور على ممر الزمان إلى أن يأتي أمر الله تعالى: ﴿**وجعلنا سراجاً وهاجاً**﴾ يعني الشمس مضيئة منيرة، وقيل الوهاج الوقاد، وقيل جعل في

﴿ **ثم كلا سيعلمون** ﴾، وعيد لهم على أثر وعيد. قال الضحاك: كلا سيعلمون يعني الكافرين ثم كلا سيعلمون يعني المؤمنين ثم ذكر صنائعه ليعلموا توحيده.

فقال: ﴿ **ألم نجعل الأرض مهاداً** ﴾، فراشاً.

﴿ **والجبال أوتاداً** ﴾، للأرض حتى لا تميد.

﴿ **وخلقناكم أزواجاً** ﴾، أصنافاً ذكوراً وإناثاً.

﴿ **وجعلنا نومكم سُباتاً** ﴾، أي راحة لأبدانكم. قال الزجّاج: السبات أن ينقطع عن الحركة والروح فيه. وقيل: معناه جعلنا نومكم قطعاً لأعمالكم لأن أصل السبت القطع.

﴿ **وجعلنا الليل لباساً** ﴾، غطاءً وعشاءً يستر كل شيء بظلمته.

﴿ **وجعلنا النهار معاشاً** ﴾، المعاش العيش وكلّ ما يُعاش فيه فهو معاش، أي جعلنا منها سبباً للمعاش والتصرّف في المصالح. قال ابن عباس: يريد تبتغون فيه من فضل الله، وما قسم لكم من رزقه.

﴿ **وبنينا فوقكم سبعاً شِداداً** ﴾، يريد سبع سمٰوات.

﴿ **وجعلنا سِراجاً** ﴾، يعني الشمس، ﴿ **وهّاجاً** ﴾، مضيئاً منيراً. قال الزجّاج: الوهّاج الوقّاد. وقال مقاتل: جعل فيه نوراً وحرارة، والوهج يجمع النور والحرارة.

﴿ **وأنزلنا من المعصرات** ﴾، قال مجاهد وقتادة ومقاتل والكلبي: يعني الرياح التي تعصر السحاب، وهي رواية العوفي عن ابن عباس، قال الأزهري: هي الرياح ذوات الأعاصير، وعلى التأويل تكون من بمعنى الباء أي

الشمس حرارة ونوراً والوهج يجمع النور والحرارة ﴿**وأنزلنا من المعصرات**﴾ يعني الرياح التي تعصر السحاب. وهي رواية عن ابن عباس: وقيل هي الرياح ذوات الأعاصير، وعلى هذا المعنى تكون من بمعنى الباء، أي وأنزلنا بالمعصرات، وذلك لأن الريح تستدر المطر من السّحاب، وقيل هي السحاب وفي الرواية الأخرى عن ابن عباس المعصرات السّحابة التي حان لها أن تمطر، ولما تمطر وقيل المعصرات المغيثات والعاصر هو الغيث، وقيل المعصرات السّموات، وذلك لأن المطر ينزل من السّماء إلى السحاب ﴿**ماء ثجاجاً**﴾ أي صباباً مدراراً متتابعاً يتلو بعضه بعضاً، ومنه الحديث «أفضل الحج العج والثج»، أي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهَدى ﴿**لنخرج به**﴾ أي بذلك الماء ﴿**حباً**﴾ أي ما يأكله الإنسان كالحنطة ونحوها ﴿**ونباتاً**﴾ أي ما ينبت في الأرض من الحشيش مما يأكل منه الأنعام ﴿**وجنات ألفافاً**﴾ أي ملتفة بالشجر ليس بينها خلال فدل على البعث بذكر ابتداء الخلق ثم أخبر عنه بقوله تعالى: ﴿**إن يوم الفصل**﴾ أي الحساب ﴿**كان ميقاتاً**﴾ أي لما وعده الله من الثواب والعقاب وقيل ميقاتاً يجمع فيه الخلائق ليقضي بينهم ﴿**يوم ينفخ في الصور**﴾ يعني النفخة الأخيرة ﴿**فتأتون أفواجاً**﴾ يعني زمراً زمراً من كل مكان للحساب.

وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾

﴿**وفتحت السماء فكانت أبواباً**﴾ يعني فكانت ذوات أبواب لنزول الملائكة، وقيل تنحل وتتناثر حتى يصير فيها أبواب وطرق ﴿**وسيرت الجبال**﴾ أي عن وجه الأرض ﴿**فكانت سراباً**﴾ أي هباء منبثاً كالسراب في عين الناظر ﴿**إن جهنم كانت مرصاداً**﴾ أي طريقاً وممراً فلا سبيل لأحد إلى الجنة حتى يقطع النار وروي عن ابن عباس «إن على جسر جهنم سبع محابس يسئل العبد عند أولها عن شهادة أن لا إله إلا الله فإن جاء بها تامة جاز إلى الثاني فيسأل عن

بالمعصرات، وذلك أن الريح تستدّر المطر، وقال أبو العالية والربيع والضحاك: المعصرات هي السحاب وهي رواية الوالبي عن ابن عباس، وقال الفرّاء: المعصر السحابة التي تتحلب بالمطر ولا تمطر، كالمرأة المعصر هي التي دنا حيضها ولم تحض. وقال ابن كيسان: هي المُغيثات من قوله: ﴿ فيه يُغاث الناس وفيه يعصرون ﴾ [يوسف: ٤٩]. وقال الحسن وسعيد بن جبير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيّان: من المعصرات أي من السمٰوات. ﴿ **ماءً ثجاجاً** ﴾، أي صباباً، وقال مجاهد: مدراراً. وقال قتادة: متتابعاً يتلو بعضه بعضاً. وقال ابن زيد: كثيراً.

﴿ **لنخرج به** ﴾، أي بذلك الماء، ﴿ **حبّاً** ﴾، وهو ما يأكله الناس، ﴿ **ونباتاً** ﴾، ما تنبته الأرض مما تأكله الأنعام.

﴿ **وجنات ألفافاً** ﴾، ملتفّة بالشجر واحدها لف وليف، وقيل: هو جمع الجمع، يقال جنة لفا وجمعها لف، بضم اللام وجمع الجمع ألفاف.

﴿ **إن يوم الفصل** ﴾، يوم القضاء بين الخلق، ﴿ **كان ميقاتاً** ﴾، لما وعد الله من الثواب والعقاب.

﴿ **يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً** ﴾، زمراً زمراً من كل مكان للحساب.

﴿ **وفتحت السماء** ﴾، قرأ أهل الكوفة فتحت بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد، أي شقّت لنزول الملائكة، ﴿ **فكانت أبواباً** ﴾، أي ذات أبواب. وقيل: تنحلّ وتتناثر حتى تصير فيها أبواب وطرق.

﴿ **وسُيّرَتِ الجبالُ** ﴾، عن وجه الأرض، ﴿ **فكانت سراباً** ﴾، أي هباءً منبثّاً لعين الناظر كالسراب.

الصّلوات فإن جاء بها تامة جاز إلى الثالث فيسأل عن الزّكاة فإن جاء بها تامة جاز إلى الرابع فيسأل عن الصوم، فإن جاء به تاماً جاز إلى الخامس، فيسأل عن الحج فإن جاء به تاماً جـاز إلى السادس، فيسأل عن العمرة فإن جاء بها تامة جاز إلى السابع، فيسأل عن المظالم فإن خرج منها، وإلا يقال انظروا فإن كان له تطوع أكملت به أعماله فإذا فرغ انطلق به إلى الجنة»، وقيل كانت مرصادا أي معدة لهم، وقيل هو من رصدت الشيء أرصده إذا ترقبته، والمرصاد المكان الذي يرصد فيه الراصد العدو، والمعنى إن جهنم ترصد الكفار أي تنتظرهم ﴿للطاغين﴾ أي الكافرين ﴿مآباً﴾ أي مرجعاً يرجعون إليها ﴿لابثين فيها﴾ أي في جهنم ﴿أحقاباً﴾ جمع حقب وهو ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهراً كل شهر ثلاثون يوم كل يوم ألف سنة يروى ذلك عن علي بن أبي طالب، وقيل الحقب الواحد سبعة عشر ألف سنة.

فإن قلت الأحقاب وإن طالت فهي متناهية وعذاب الكفار في جهنم غير متناه فما معنى قوله أحقاباً.

قلت ذكروا فيه وجوهاً:

أحدها: ما روي عن الحسن قال: إن الله تعالى لم يجعل على النار مدة بل قال لابثين فيها أحقاباً، فوالله ما هو إلا أنه إذا مضى حقب دخل حقب آخر، ثم آخر إلى الأبد فليس للأحقاب عدة إلا الخلود وروي عن عبد الله بن مسعود قال: «لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا، ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا».

الوجه الثاني: أن لفظ الأحقاب لا يدل على نهاية، والحقب الواحد متناه، والمعنى أنهم يلبثون فيها أحقاباً لا

﴿ **إن جهنم كانت مرصاداً** ﴾، طريقاً وممرّاً فلا سبيل لأحد إلى الجنة حتى يقطع النار. وقيل: **كانت** مرصاداً أي مُعدّة لهم، يقال: أرصدت الشيء إذا أعددته له. وقيل: هو من رصدت الشيء أرصده إذا ترقبته والمرصاد المكان الذي يرصد الراصد فيه العدو. وقوله: ﴿ **إن جهنم كانت مرصاداً** ﴾، أي ترصد الكفّار. وروى مقسم عن ابن عباس: أن على جسر جهنم سبع محابس يُسئل العبد عند أولها عن شهادة أن لا إلّه إلّا الله فإن جاء بها تامّة جاز إلى الثاني، فيُسئل عن الصلاة فإن جاء بها تامّة جاز إلى الثالث، فيُسئل عن الزكاة فإن جاء بها تامّة جاز إلى الرابع، فيُسئل عن الصوم فإن جاء به تامّاً جاز إلى الخامس، فيُسئل عن الحج فإن جاء به تامّاً جاز إلى السادس، فيُسئل عن العمرة فإن جاء بها تامّة جاز إلى السابع، فيُسئل عن المظالم فإن خرج منها وإلا يقال: انظروا فإن كان له تطوّع أكمل به أعماله، فإذا فرغ انطلق به إلى الجنة.

﴿ **للطاغين** ﴾، للكافرين، ﴿ **مآباً** ﴾، مرجعاً يرجعون إليه.

﴿ **لابثين** ﴾، قرأ حمزة ويعقوب (لبثين) بغير ألف، وقرأ العامّة ﴿ **لابثين** ﴾ بالألف وهما لغتان. ﴿ **فيها أحقاباً** ﴾، جمع حقب، والحقب الواحد: ثمانون سنة، كل سنة اثنا عشر شهراً، كل شهر ثلاثون يوماً، كل يوم ألف سنة. رُوِيَ ذلك عن عليّ بن أبي طالب، وقال مجاهد: الأحقاب ثلاثة وأربعون حقباً، كل حقب سبعون خريفاً، كل خريف سبعمائة سنة، كل سنة ثلاثمائة وستّون يوماً، كل يوم ألف سنة. قال الحسن: إن الله لم يجعل لأهل النار مدة، بل قال: ﴿ **لابثين فيها أحقاباً** ﴾ فوالله ما هو إلّا إذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر إلى الأبد، فليس للأحقاب عدّة إلّا الخلود. وروى السدي عن مُرّة عن عبد الله قال: لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا، ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا. وقال مقاتل بن حيان: الحقب الواحد سبع عشرة ألف سنة. قال: وهذه الآية منسوخة نسختها ﴿ فلن نزيدكم إلّا عذاباً ﴾ [النبأ: ٣٠] يعني أن العدد قد ارتفع والخلود قد حصل.

يذوقون فيها أي في تلك الأحقاب برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً، فهذا توقيت لأنواع العذاب الذي يبدلونه ولا توقيت للبثهم فيها.

الوجه الثالث: أن الآية منسوخة بقوله فلن نزيدكم إلا عذاباً يعني أن العدد قد ارتفع والخلود قد حصل. ﴿**لا يذوقون فيها برداً**﴾ قال ابن عباس: البرد النوم وقيل برداً أي روحاً وراحة، وقيل لا يذوقون برداً ينفعهم. ﴿**ولا شراباً**﴾ أي يغنيهم عن عطش ﴿**إلا حميماً وغساقاً**﴾ أي لكن يشربون حميماً قيل هو الصفر المذاب، وقيل هو الماء الحار الذي انتهى حره وغساقاً قال ابن عباس الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده، وقيل هو صديد أهل النار.

جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾

﴿**جزاء وفاقاً**﴾ أي جازيناهم جزاء وافق أعمالهم، وقيل وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الشرك، ولا عذاب أعظم من النار. ﴿**إنهم كانوا لا يرجون حساباً**﴾ أي لا يخافون أن يحاسبوا، والمعنى أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بأنهم يحاسبون ﴿**وكذبوا بآياتنا**﴾ أي التي جاءت بها الأنبياء، وقيل كذبوا بدلائل التوحيد والنّبوة والبعث والحساب ﴿**كذابا**﴾، أي تكذيباً قال الفراء هي لغة يمانية فصيحة يقولون في مصدر التفعيل فعال، قال وقد سألني أعرابي منهم يستفتيني الحلق أحب إليك أم القصار يريد التقصير ﴿**وكل شيء**﴾ أي من الأعمال ﴿**أحصيناه**﴾ أي بيناه وأثبتناه ﴿**كتاباً**﴾ أي في كتاب وهو اللوح المحفوظ، وقيل معناه وكل شيء علمناه علماً لا يزول ولا يتغيرولا يتبدل

﴿ **لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً** ﴾، رُوِي عن ابن عباس: أن البرد النوم، ومنه ما قال الكسائي وأبو عبيدة، تقول العرب: منع البرد البرد أي أذهب البرد النوم. وقال الحسن وعطاء: لا يذوقون فيها برداً أي روحاً وراحة. قال مقاتل: لا يذوقون فيها برداً ينفعهم من حرّ ولا شراباً ينفعهم من عطش.

﴿ **إلّا حميماً وغساقاً** ﴾، قال: الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده. وقيل: صديد أهل النار، وقد ذكرناه في سورة صّ [٥٧].

﴿ **جزاءً وفاقاً** ﴾، أي جازيناهم جزاء وافق أعمالهم. وقال مقاتل: وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أعظم من النار.

﴿ **إنهم كانوا لا يرجون حساباً** ﴾، لا يخافون أن يحاسبوا، والمعنى: أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بأنهم يحاسبون.

﴿ **وكذبوا بآياتنا** ﴾، أي بما جاء به الأنبياء، ﴿ **كِذّاباً** ﴾، يعني تكذيباً، قال الفرّاء: هي لغة يمانية فصيحة، يقولون في مصدر التفعيل فعال قال: قال لي أعرابي منهم، على المروة يستفتيني: الحلق أحبّ إليك أم القصار.

﴿ **وكلّ شيء أحصيناه كتاباً** ﴾، أي وكل شيء من الأعمال بيّناه في اللوح المحفوظ، كقوله: ﴿ وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾ [يّس: ١٢].

﴿ **فذوقوا** ﴾، أي يقال لهم فذوقوا، ﴿ **فلن نزيدكم إلّا عـذاباً** ﴾.

والمعنى أنا عالم بجميع ما فعلوه من خير وشر، وأنا أجازيهم على قدر أعمالهم جزاء وفاقاً ﴿**فذوقوا**﴾ أي يقال لهم ذوقوا ﴿**فلن نزيدكم إلا عذاباً**﴾ قيل هذه الآية أشد آية في القرآن على أهل النار كلما استغاثوا من نوع من العذاب أغيثوا بأشد منه.

قوله عز وجل: ﴿**إن للمتقين مفازاً**﴾ أي فوزاً أي نجاة من العذاب، وقيل فوزاً بما طلبوه من نعيم الجنة، ويحتمل أن يفسر الفوز بالأمرين جميعاً لأنهم فازوا بمعنى نجوا من العذاب، وفازوا بما حصل لهم من النّعيم. ثم فسره فقال ﴿**حدائق**﴾ جمع حديقة وهي البستان المحوط فيه كل ما يشتهون ﴿**وأعنابا**﴾ التنكير يدل على تعظيم ذلك العنب ﴿**وكواعب**﴾ جمع كاعب يعني جواري نواهد قد تكعبت ثديهن ﴿**أترابا**﴾ يعني مستويات في السن ﴿**وكأساً دهاقاً**﴾ قال ابن عباس: مملوءة مترعة، وقيل متتابعة، وقيل صافية ﴿**لا يسمعون فيها**﴾ أي في الجنة، وقيل في حالة شربهم لأن أهل الدنيا يتكلمون بالباطل في حالة شربهم ﴿**لغواً**﴾ أي باطلاً من الكلام ﴿**ولا كذاباً**﴾ أي تكذيباً والمعنى أنه لا يكذب بعضهم بعضاً ولا ينطقون به ﴿**جزاء من ربك عطاء حساباً**﴾ أي جازاهم جزاء وأعطاهم عطاء حساباً أي كافياً وافياً، وقيل حساباً يعني كثيراً، وقيل جزاء بقدر أعمالهم ﴿**رب السموات والأرض وما بينهما الرّحمن لا يملكون منه خطاباً**﴾ أي لا يقدر الخلق أن يكلموا الرب إلا بإذنه، وقيل لا يملكون منه خطاباً أي لا يملكون شفاعة إلا بإذنه في ذلك اليوم.

يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **إن للمتّقين مفازاً** ﴾، فوز ونجاة من النار، وقال الضحاك: متنزهاً.

﴿ **حدائق وأعناباً** ﴾، يريد أشجار الجنّة وثمارها.

﴿ **وكواعب** ﴾، جواري نواهد قد تكعبت ثديهنّ، واحدتها كاعب، ﴿ **أتراباً** ﴾، مستويات في السنّ.

﴿ **وكأساً دِهَاقاً** ﴾، قال ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد: مترعة مملوءة. وقال سعيد بن جبير ومجاهد: متتابعة. قال عكرمة: صافية.

﴿ **لا يسمعون فيها لغواً** ﴾، باطلاً من الكلام، ﴿ **ولا كِذّاباً** ﴾، تكذيباً، لا يكذب بعضهم بعضاً. وقرأ الكسائي ﴿ **كذاباً** ﴾ بالتخفيف مصدر المكاذبة، وقيل: هو الكذب. وقيل: هو بمعنى التكذيب كالمشدد.

﴿ **جزاء من ربك عطاءً حساباً** ﴾، أي جازاهم جزاءً وأعطاهم عطاءً حساباً أي كافياً وافياً، يقال: أحسبت فلاناً أي أعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي. وقال ابن قتيبة: عطاءً حساباً أي كثيراً. وقيل: هو جزاء بقدر أعمالهم.

﴿ **ربّ السموات والأرض وما بينهما الرحمن** ﴾، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو ﴿ **ربّ** ﴾ رفع على الاستئناف والرحمن خبره وقرأ الآخرون بالجرّ إتباعاً لقوله من ربّك وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب ﴿ **الرحمن** ﴾ جرّاً إتباعاً لقوله: ﴿ **ربّ السموات والأرض** ﴾، وقرأ الآخرون بالرفع، فحمزة والكسائي يقرآن ﴿ **ربّ** ﴾ بالخفض لقربه من قوله: ﴿ **جزاءً من ربّك** ﴾ ويقرآن ﴿ **الرحمن** ﴾ بالرفع لبعده منه على الاستئناف، وقوله: ﴿ **لا يملكون** ﴾ في موضع رفع خبره، ومعنى: ﴿ **لا يملكون منه خطاباً** ﴾، قال مقاتل: لا يقدر الخلق على أن يكلّموا الربّ إلّا بإذنه. وقال الكلبي: لا يملكون شفاعة إلّا بإذنه.

شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً﴾ قيل هو جبريل عليه الصلاة والسلام وقال ابن عباس: الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقاً أعظم منه، فإذا كان يوم القيامة قام وحده صفاً، وقامت الملائكة كلهم صفاً واحداً فيكون من عظم خلقه مثلهم، وقال ابن مسعود: الروح ملك عظيم أعظم من السموات والأرض والجبال وهو في السماء الرابعة يسبح الله كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكاً يجيء يوم القيامة صفاً وحده، وقيل الروح خلق على صورة بني آدم وليسوا بناس يقومون صفاً والملائكة صفاً هؤلاء جند وهؤلاء جند وقال ابن عباس الروح خلق على صورة بني آدم وما ينزل من السماء ملك إلا ومعه واحد منهم، وعنه أنهم بنو آدم يقومون صفاً والملائكة صفاً، وقيل يقوم سماطان سماط من الروح وسماط من الملائكة ﴿لا يتكلمون﴾ يعني الخلق كلهم إجلالاً لعظمته تعالى جلّ جلاله وتعالى عطاؤه وشأنه من هول ذلك اليوم ﴿إلا من أذن له الرحمن﴾ أي في الكلام ﴿وقال صواباً﴾ أي حقاً في الدنيا وعمل به، وقيل قال لا إله إلا الله قيل الاستثناء يرجع إلى الروح والملائكة، ومعنى الآية لا يشفعون إلا في شخص أذن الرحمن في الشفاعة له، وذلك الشخص ممن كان يقول صواباً في الدنيا، وهو لا إله إلا الله ﴿ذلك اليوم الحق﴾ أي الكائن الواقع لا محالة وهو يوم القيامة. ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً﴾ أي سبيلاً يرجع إليه وهو طاعة الله وما يتقرب به إليه ﴿إنا أنذرناكم﴾ أي خوفناكم في الدنيا ﴿عذاباً قريباً﴾ أي في الآخرة وكل ما هو آت قريب ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾ يعني من خير أو شر مثبتاً في صحيفته ينظر إليه يوم القيامة. ﴿ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً﴾ قال عبد الله بن عمرو «إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وحشر الدّواب والبهائم والوحوش، ثم يجعل القصاص بين البهائم حتى يقتص للشّاة الحماء من الشاة القرناء نطحتها. فإذا فرغ من القصاص

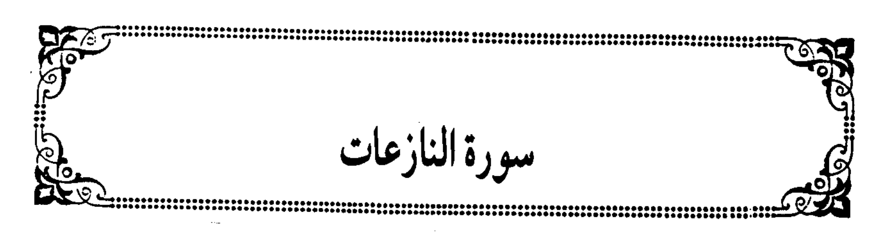
﴿ يوم يقوم الروح ﴾، أي في ذلك اليوم، ﴿ والملائكة صفّاً ﴾، واختلفوا في هذا الروح، قال الشعبي والضحاك: هو جبريل. وقال عطاء عن ابن عباس: الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقاً أعظم منه، فإذا كان يوم القيامة قام وحده صفّاً وقامت الملائكة كلّهم صفّاً واحداً، فيكون عظم خلقه مثلهم. وعن ابن مسعود: الروح ملك أعظم من السمٰوات ومن الجبال، ومن الملائكة وهو في السماء الرابعة، يسبّح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة، يخلق الله من كل تسبيحة ملكاً يجيء يوم القيامة صفّاً وحده. وقال مجاهد وقتادة وأبو صالح: الروح خلق على صورة بني آدم وليسوا بناس يقومون صفّاً والملائكة صفّاً، هؤلاء جند وهؤلاء جند. وروى مجاهد عن ابن عباس قال: هم خلق على صورة بني آدم وما ينزل من السماء ملك إلا معه واحد منهم. وقال الحسن: هم بنو آدم. ورواه قتادة عن ابن عباس، وقال: هذا مما كان يكتمه ابن عباس، والملائكة صفّاً، قال الشعبي: هما سماطا ربّ العالمين، يوم يقوم سماط من الروح وسماط من الملائكة. ﴿ لا يتكلمون إلاّ مَن أذِنَ له الرحمن وقال صواباً ﴾، في الدنيا، أي حقّاً. وقيل: قال: لا إلٰه إلاّ الله.

﴿ ذلك اليوم الحق ﴾، الكائن الواقع يعني يوم القيامة، ﴿ فمَن شاء اتخذ إلى ربّه مآباً ﴾، مرجعاً وسبيلاً بطاعته، أي فمَن شاء رجع إلى الله بطاعته.

﴿ إنّا أنذرناكم عذاباً قريباً ﴾، يعني العذاب في الآخرة، وكلّ ما هو آتٍ قريب. ﴿ يوم ينظر المرء ما قدّمت يداه ﴾، أي كل امرىء يرى في ذلك اليوم ما قدّم من العمل مثبتاً في صحيفته، ﴿ ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً ﴾، قال عبد الله بن عمرو: إذا كان يوم القيامة مُدّت الأرض مدّ الأديم، وحشر الدواب والبهائم والوحوش، ثم

قيل لها كوني تراباً فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت تراباً» وقيل يقول الله عز وجل للبهائم بعد القصاص **﴿إنا خلقناكم وسحرناكم لبني آدم وكنتم مطيعين لهم أيام حياتكم فارجعوا إلى ما كنتم عليه كونوا تراباً﴾**، فإذ رأى الكافر ذلك تمنى، وقال يا ليتني كنت في الدّنيا في صورة بعض هذه البهائم، وكنت اليوم تراباً وإذا قضى الله بين الناس وأمر بأهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، وقيل لسائر الأمم سوى الناس والجن عودوا تراباً فيعودون تراباً فحينئذ يقول الكافر يا ليتني كنت تراباً، وقيل معناه إن الكافر إذا رأى ما أنعم الله به على المؤمنين من الخير، والرحمة، قال يا ليتني كنت تراباً يعني متواضعاً في طاعة الله في الدنيا، ولم أكن جباراً متكبراً، وقيل إن الكافر هاهنا هو إبليس، وذلك أنه عاب آدم وكونه خلق من تراب، وافتخر عليه بأنه خلق من نار فإذا كان يوم القيامة، ورأى ما فيه آدم وبنوه المؤمنين من الثواب والرحمة، وما هو فيه من الشّدة والعذاب قال يا ليتني كنت تراباً قال أبو هريرة رضي الله عنه يقول التراب لاولا كرامة لك من جعلك مثلي، والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه.

يجعل القصاص بين البهائم حتى يقتصّ للشاة الجماء من الشاة القرناء تنطحها، فإذا فرغ من القصاص قيل لها: كوني تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً. ومثله عن مجاهد، وقال مقاتل: يجمع الله الوحوش والبهائم والهوام والطير فيقضي بينهم حتى يقتصّ للجماء من القرناء، ثم يقول لهم: إنما خلقتكم وسخّرتكم لبني آدم وكنتم مطيعين إياهم أيام حياتكم، فارجعوا إلى الذي كنتم كونوا تراباً فإذا التفت الكافر إلى شيء صار تراباً يتمنى، فيقول: يا ليتني كنت في الدنيا في صورة خنزير، وكنت اليوم تراباً. وعن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان قال: إذا قضى الله بين الناس وأمر بأهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، وقيل لسائر الأمم ولمؤمني الجنّ عودوا تراباً فحينئذ يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً. وبه قال ليث بن أبي ثليم، مؤمنوا الجنّ يعودون تراباً. وقيل: إن الكافر ههنا إبليس، وذلك أنه عابَ آدم وأنه خلق من التراب وافتخر بأنه خلق من النار، فإذا عاين يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه المؤمنون من الثواب والرحمة، وما هو فيه من الشدّة والعذاب، قال: يا ليتني كنت تراباً. قال أبو هريرة فيقول: التراب لا ولا كرامة لك من جعلك مثلي؟



سورة النازعات

مكية وهي ست وقيل خمس وأربعون آية ومائة وسبع وتسعون كلمة وسبعمائة وثلاثة وخمسون حرفاً

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ﴿٢﴾

قوله عز وجل: ﴿والنازعات غرقاً والناشطات نشطاً والسابحات سبحاً فالسابقات سبقاً﴾ اختلفت عبارات المفسرين في هذه الكلمات هل هي صفات لشيء واحد أم لأشياء مختلفة على أوجه واتفقوا على أن المراد بقوله ﴿فالمدبرات أمراً﴾ وصف لشيء واحد وهم الملائكة:

الوجه الأول: في قوله تعالى: ﴿والنازعات غرقاً﴾ يعني الملائكة تنزع أرواح الكفار من أقاصي أجسامهم. كما يغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد، والغرق من الإغراق أي، والنازعات إغراقاً وقال ابن مسعود: «إن ملك الموت، وأعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل، فتخرج نفس الكافر كالغريق في الماء» ﴿والناشطات نشطاً﴾ الملائكة تنشط نفس المؤمن أي تسلها سلاً رفيقاً فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير، وإنما خص النزع بنفس الكافر والنشط بنفس المؤمن، لأن بينهما فرقاً فالنزع جذب بشدة والنشط جذب برفق،

سُورَة النّازِعَات

مكيّة وهي ستّ وأربعون آية.

﴿ والنازعات غرقاً ﴾، يعني الملائكة تنزع أرواح الكفّار من أجسادهم، كما يغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المدّ، والغرق اسم أُقيم مقام الإغراق، أي والنازعات إغراقاً والمراد بالإغراق المبالغة في المدّ، وقال ابن مسعود: ينزعها ملك الموت من تحت كل شعرة ومن الأظافر وأصول القدمين، ويردّدها في جسده بعدما ينزعها حتى إذا كادت تخرج ردّها في جسده بعدما ينزعها، فهذا عمله بالكفّار. وقال مقاتل: ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكفّار كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتلّ، فتخرج نفسه كالغريق في الماء. وقال مجاهد: هو الموت ينزع النفوس. وقال السدي: هي النفس حين تغرق في الصدر. وقال الحسن وقتادة وابن كيسان: هي النجوم تنزع من أُفق إلى أُفق تطلع ثم تغيب. وقال عطاء وعكرمة: هي القسي. وقيل: هم الغزاة الرماة.

﴿ والناشطات نشطاً ﴾، هي الملائكة تنشط نفس المؤمن، أي تحلّ حلًّا رفيقاً فتقبضها، كما ينشط العقال من يد البعير، أي يحلّ برفق، حكي الفرّاء هذا القول، ثم قال: والذي سمعت من العرب أن يقولوا: أنشطت العقال إذا حللته ونشطته إذا عقدته بأنشوطة. وفي الحديث: كأنما أنشط من عقال. وعن ابن عباس: هي نفس

﴿والسابحات سبحاً﴾ يعني الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلونها سلاً رفيقاً، ثم يدعونها حتى تستريح، ثم يستخرجونها كالسابح في الماء يتحرك فيه برفق ولطافة، وقيل هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد إذا أسرع في جريه. يقال له سابح ﴿فالسابقات سبقاً﴾ يعني الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح، وقيل هم الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة.

الوجه الثاني: في قوله ﴿والنازعات غرقاً﴾ يعني النفس حين تنزع من الجسد، فتغرق في الصدر ثم تخرج ﴿والناشطات نشطاً﴾، قال ابن عباس: هي نفوس المؤمنين تنشط للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة، وذلك لأنه يعرض عليه مقعده في الجنة قبل أن يموت وقال علي بن أبي طالب: هي أرواح الكفار تنشط بين الجلد، والأظفار حتى تخرج من أفواههم بالكرب والغم.

﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾

﴿والسابحات سبحاً﴾ يعني أرواح المؤمنين حين تسبح في الملكوت ﴿فالسابقات سبقاً﴾ يعني استباقها إلى الحضرة المقدسة.

الوجه الثالث: في قوله تعالى: ﴿والنّازعات غرقاً﴾ يعني النجوم تنزع من أفق إلى أفق تطلع ثم تغيب ﴿والناشطات نشطاً﴾، يعني النجوم تنشط من أفق إلى أفق، أي تذهب ﴿والسابحات سبحاً﴾، يعني النجوم والشمس والقمر يسبحون في الفلك. ﴿فالسابقات سبقا﴾ يعني النجوم يسبق بعضها بعضاً في السير.

الوجـه الرابع: في قوله تعالى ﴿والنّازعات غرقاً﴾. يعني خيل الغزاة تنزع في أعنتها وتغرق في عرقها وهي الناشطات نشطاً لأنها تخرج بسرعة إلى ميدانها، وهي السابحات في جريها، وهي السابقات سبقاً لاستباقها إلى الغاية.

المؤمن من تنشط للخروج عند الموت، لما يرى من الكرامة لأنه تعرض عليه الجنة قبل أن يموت. وقال علي بن أبي طالب: هي الملائكة تنشط أرواح الكفّار مما بين الجلد والأظفار حتى تخرجها من أفواههم بالكرب والغمّ، والنشط: الجذب والنزع، يقال: نشطت الدلو نشطاً إذا نزعتها، قال الخليل: النشط والأنشاط مدّك الشيء إلى نفسك، حتى ينحلّ. وقال مجاهد: هو الموت ينشّط النفوس. وقال السدي: هي النفس تنشط من القدمين أي بجذب. وقال قتادة: هي النجوم تنشط من أُفق إلى أُفق، أي تذهب، يقال: نشط من بلد إلى بلد إذا خرج في سرعة، ويقال حمارنا شطّ ينشط من بلد إلى بلد، وقال عطاء وعكرمة: هي الإرهاق.

﴿ والسابحات سبحاً ﴾، هم الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلّونها سلّاً رفيقاً، ثم يدعونها حتى تستريح كالسابح بالشيء في الماء يرفق به. وقال مجاهد وأبو صالح: هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد يقال له سابح إذا أسرع في جريه. وقيل: هي خيل الغزاة. وقال قتادة: هي النجوم والشمس والقمر، قال الله تعالى: ﴿ وكلٌّ في فلك يسبحون ﴾ [يّس: ٤٠]، وقال عطاء: هي السفن.

﴿ فالسابقات سبقاً ﴾، قال مجاهد: هي الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح. وقال مقاتل: هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة. وعن ابن مسعود قال: هي أنفس المؤمنين تتسارع وتسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها شوقاً إلى لقاء الله وكرامته، وقد عاينت السرور. وقال قتادة: هي النجوم يسبق بعضها بعضاً في السير. وقال عطاء: هي الخيل.

﴿ فالمدبرات أمراً ﴾، قال ابن عباس: هم الملائكة وُكّلوا بأمور عرّفهم الله عزّ وجلّ العمل بها. قال

الوجه الخامس: في قوله ﴿**والنازعات غرقاً**﴾ يعني الغزاة حين تنزع قسيها في الرمي فتبلغ غاية المد وهو قوله غرقاً، ﴿**والنّاشطات نشطاً**﴾، أي السّهام في الرمي ﴿**والسّابحات سبحاً، فالسّابقات سبقاً**﴾ يعني الخيل والإبل حين يخرجها أصحابها إلى الغزو.

الوجه السادس: ليس المراد بهذه الكلمات شيئاً واحداً، فقوله والنازعات يعني ملك الموت ينزع النفوس غرقاً حتى بلغ بها الغاية، ﴿**والناشطات نشطاً**﴾ يعني النفس تنشط من القدمين بمعنى تجذب، ﴿**والسابحات سبحاً**﴾ يعني السفن، ﴿**والسابقات سبقاً**﴾ يعني مسابقة نفوس المؤمنين إلى الخيرات والطاعات.

أما قوله: ﴿**فالمدبرات أمراً**﴾، فأجمعوا على أنهم الملائكة قال ابن عباس: هم الملائكة وكلوا بأمور عرفهم الله عز وجل: العمل بها وقال عبد الرّحمن بن سابط يدبر الأمر في الدنيا أربعة أملاك جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، واسمه عزرائيل، فأما جبريل فموكل بالرّياح والجنود، وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنّبات، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأنفس، وأما إسرافيل فهو ينزل عليهم بالأمر من الله تعالى أقسم الله بهذه الأشياء لشرفها، ولله أن يقسم بما يشاء من خلقه، أو يكون التقدير، ورب هذه الأشياء، وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن، ولتحاسبن، وقيل جوابه «إن في ذلك لعبرة لمن يخشى» وقيل هو قوله:

قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾

﴿**قلوب يومئذ واجفة**﴾ ﴿**يوم ترجف الراجفة**﴾ يعني النفخة الأولى يتزلزل ويتحرك لها كل شيء، ويموت منها

عبد الرحمن بن سابط: يدبر الأمر في الدنيا أربعة جبريل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل عليهم السلام، أما جبريل فموكل بالوحي والبطش وهزم الجيوش، وأما ميكائيل فموكل بالمطر والنبات والأرزاق، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأنفس، وأما إسرافيل فهو صاحب الصور، ولا ينزل إلّا للأمر العظيم، وجواب هذه الأقسام محذوف على تقديره: لتبعثنّ ولتحاسبنّ. وقيل: جوابه قوله: إن في ذلك لعبرة لمَن يخشى. وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات غرقاً.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **يوم ترجف الراجفة** ﴾، يعني النفخة الأولى يتزلزل ويتحرك لها كل شيء، ويموت منها جميع الخلق.

﴿ **تتبعها الرادفة** ﴾، وهي النفخة الثانية ردفت الأولى وبينهما أربعون سنة. قال قتادة: هما صيحتان فالأولى تُميت كل شيء والأخرى تُحيي كل شيء بإذن الله عزّ وجلّ. وقال مجاهد: ترجف الراجفة تتزلزل الأرض والجبال. **تتبعها** الرادفة حين تنشقّ السماء، وتُحمل الأرض والجبال فدكّتا دكّة واحدة. وقال عطاء: الراجفة القيامة، والرادفة البعث. وأصل الرجفة: الصوت والحركة. أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك ثنا محمد بن هارون الحضرمي ثنا الحسن بن عرفة ثنا قبيصة بن عقبة عن سفيان الثّوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أُبيّ بن كعب عن أُبيّ بن كعب قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل قام، وقال: «يا أيها الناس اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه».

﴿ **قلوبٌ يومئذ واجفة** ﴾، خائفة قلقة مضطربة، وسُمّي الوجيف في السير لشدة اضطرابه، يقال: وجف

جميع الخلق ﴿**تتبعها الرادفة**﴾ يعني النفخة الثانية ردفت الأولى وبينهما أربعون سنة، وقال قتادة: هما صيحتان فالأولى تميت كل شيء، والأخرى تحيي كل شيء بإذن الله عز وجلّ وقيل الرّاجفة التي تزلزل الأرض، والجبال والرادفة التي تشق السماء، وقيل الراجفة القيامة والرّادفة البعث يوم القيامة روى البغوي بسند الثعلبي عن أبي بن كعب قال: «كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع اللّيل قام وقال: أيّها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه.

قوله عز وجل: ﴿**قلوب يومئذ واجفة**﴾ أي خافقة قلقة مضطربة، وقيل وجلّه زائلة عن أماكنها ﴿**أبصارها خاشعة**﴾ أي أبصار أهلها خاشعة ذليلة، والمراد بها لكفار بدليل قوله تعالى: ﴿**يقولون**﴾ يعني المنكرين للبعث إذا قيل لهم إنكم مبعوثون بعد الموت. ﴿**أئنا لمردودون في الحافرة**﴾ يعني أنرد إلى أول الحال، وابتداء الأمر فنصير أحياء بعد الموت كما كنا أول مرة والعرب تقول رجع فلان في حافرته، أي رجع من حيث جاء فالحافرة عنده اسم لابتداء الشيء وأول الشيء ويقال رجع فلان في حافرته أي في طريقه الذي جاء منه يحفره بمشيئته، فحصل بأثر قدميه حفر فهي محفورة في الحقيقة، وقيل الحافرة الأرض التي تحفر فيها قبورهم سميت حافرة لأنها يستقر عليها الحافر، والمعنى أئنا لمردودون إلى الأرض فنبعث خلقاً جديداً نمشي عليها، وقيل الحافرة النار ﴿**أئذا كنا عظاماً نخرة**﴾ أي بالية وقرىء ناخرة وهما بمعنى، وقيل الناخرة المجوفة التي يمر فيها الريح فتنخر أي توصت ﴿**قالوا**﴾ يعني المنكرين للبعث إذا عاينوا أهول القيامة ﴿**تلك إذا كرة خاسرة**﴾ أي رجعة غابنة يعني إن رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت. ﴿**فإنما هي**﴾ يعني النفخة الأخيرة ﴿**زجرة واحدة**﴾ أي صيحة واحدة يجمعون بها جميعاً ﴿**فإذا هم بالساهرة**﴾ يعني وجه الأرض سميت ساهرة لأن عليها نوم الحيوان وسهرهم، وقيل هي التي كثر الوطء عليها كأنها

القلب ووجف وجوفاً ووجيفاً ووجوباً ووجيباً. وقال مجاهد: وجلة. وقال السدي: زائلة عن أماكنها، نظيره ﴿ إِذِ القلوب لدى الحناجر ﴾ [غافر: ١٨].

﴿ **أبصارها خاشعة** ﴾، ذليلة كقوله: ﴿ خاشعين من الذلّ ﴾ [الشورى: ٤٥] الآية.

﴿ **يقولون** ﴾ يعني المنكوبين للبعث إذا قيل لهم إنكم مبعوثون من بعد الموت: ﴿ **أئنا لمردودون في الحافرة** ﴾؟ أي إلى أول الحال وابتداء الأمر فنصير أحياءً بعد الموت كما كنّا؟ تقول العرب: رجع فلان في حافرته أي رجع من حيث جاء، والحافرة عندهم اسم لابتداء الشيء، وأول الشيء. وقال بعضهم: الحافرة وجه الأرض التي تُحفَر فيها قبورهم، سُمّيت الحافرة بمعنى المحفورة، كقوله: ﴿ عيشة راضية ﴾ [الحاقة: ٢١، القارعة: ٧]، أي مرضية. وقيل: سُمّيت حافرة لأنها مستقر الحوافر، أي أئنا لمردُودون إلى الأرض فنبعث خلقاً جديداً نمشي عليها؟ وقال ابن زيد: الحافرة النار.

﴿ **أئذا كنّا عِظاماً نخرة** ﴾، قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب (أئنا) مستفهم، (إذا) بتركه، ضدّه أبو جعفر، الباقون باستفهامها، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ﴿ **عظاماً ناخرة** ﴾، والآخرون (نخرة) وهما لغتان، مثل الطمع والطامع والحذر والحاذر، ومعناهما البالية، وفرّق قوم بينهما، فقالوا: النخرة البالية والناخرة المجوّفة التي تمرّ فيها الريح فتنخر أي تصوّت.

﴿ **قالوا** ﴾، يعني المنكرين، ﴿ **تلك إذاً كرّة خاسرة** ﴾، رجعة خائبة، يعني إن رددنا بعد الموت لنخسرنّ بما يصيبنا بعد الموت.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿ **فإنما هي** ﴾، يعني النفخة الأخيرة، ﴿ **زجرة** ﴾، صيحة، ﴿ **واحدة** ﴾، يسمعونها.

سهرت، والمعنى أنهم كانوا في بطن الأرض. فلما سمعوا الصيحة صاروا على وجهها، وقيل هي أرض الشام وقيل أرض القيامة، وقيل هي أرض جهنم.

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾

قوله عز وجل: ﴿**هل أتاك حديث موسى**﴾ يا محمد وذلك أنه ﷺ شق عليه حين كذبه قومه، فذكر له قصة موسى عليه الصلاة والسلام وأنه كان يتحمل المشاق من قومه ليتأسى به ﴿**إذ ناداه ربه بالواد المقدس**﴾ أي المطهر ﴿**طوى**﴾ هو اسم واد بالشام عند الطور ﴿**اذهب إلى فرعون إنه طغى**﴾ أي علا وتكبر وكفر بالله ﴿**فقل هل لك إلى أن تزكى**﴾ أي تتطهر من الشّرك والكفر، وقيل معناه تسلم وتصلح العمل وقال ابن عباس: تشهد أن لا إله إلا الله ﴿**وأهديك إلى ربك**﴾ أي أدعوك إلى عبادة ربك وتوحيده ﴿**فتخشى**﴾ يعني عقابه وإنما خص فرعون بالذكر، وإن كانت دعوة موسى شاملة لجميع قومه لأن فرعون كان أعظمهم فكانت دعوته دعوة لجميع قومه ﴿**فأراه**﴾ أي أرى موسى فرعون ﴿**الآية الكبرى**﴾ يعني اليد البيضاء والعصا ﴿**فكذب**﴾ يعني فرعون بأنها من الله ﴿**وعصى**﴾ أي تمرد وأظهر التجبر ﴿**ثم أدبر**﴾ أي أعرض عن الإيمان ﴿**يسعى**﴾ يعمل الفساد في الأرض ﴿**فحشر**﴾ أي فجمع قومه وجنوده ﴿**فنادى**﴾ أي لما اجتمعوا ﴿**فقال**﴾ يعني فرعون لقومه ﴿**أنا ربكم الأعلى**﴾ أي لا رب فوقي، وقيل أراد أن الأصنام أرباب وهو ربها وربهم ﴿**فأخذه الله نكال الآخرة والأولى**﴾ أي عاقبة فجعله عبرة لغيره بأن أغرقه في الدنيا ويدخله النار

﴿ **فإذا هم بالساهرة** ﴾، يعني وجه الأرض أي صاروا على وجه.الأرض بعدما كانوا في جوفها. والعرب تسمّي الفلاة ووجه الأرض: ساهرة. قال بعض أهل اللغة: تراهم سمّوها ساهرة لأن فيها نوم الحيوان وسهرهم. قال سفيان: هي أرض الشام، وقال قتادة: هي جهنم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **هل أتاك حديث موسى** ﴾، يقول قد جاءك يا محمد حديث موسى.

﴿ **إذْ ناداه ربُّه بالوادِ المقدس طُوى** ﴾.

فقال يا موسى: ﴿ **اذهبْ إلى فرعون إنه طغى** ﴾، علا وتكبّر وكفر بالله.

﴿ **فقلْ هلْ لك إلى أن تزكّى** ﴾، قرأ أهل الحجاز ويعقوب بتشديد الزاي: أي تتزكّى وتتطهّر من الشرك، وقرأ الآخرون بالتخفيف أي تسلم وتصلح، قال ابن عباس: تشهد أن لا إلّه إلاّ الله.

﴿ **وأهديك إلى ربك فتخشى** ﴾، أي أدعوك إلى عبادة ربّك وتوحيده فتخشى عقابه.

﴿ **فأراه الآية الكبرى** ﴾، وهي العصا واليد البيضاء.

﴿ **فكذب** ﴾، بأنهما من الله، ﴿ **وعصى** ﴾.

﴿ **ثم أدبر** ﴾، تولّى وأعرض عن الإيمان ﴿ **يسعى** ﴾، يعمل بالفساد في الأرض.

﴿ **فحشر** ﴾، فجمع قومه وجنوده، ﴿ **فنادى** ﴾، لما اجتمعوا.

في الآخرة، وقيل أراد بالآخرة والأولى كلمتي فرعون وهما قوله ﴿**ما علمت لكم من إله غيري**﴾ وقوله ﴿**أنا ربكم الأعلى**﴾ وكان بينهما أربعون سنة ﴿**إن في ذلك**﴾ أي في الذي فعل بفرعون حين كذب وعصى ﴿**لعبرة**﴾ أي عظة ﴿**لمن يخشى**﴾ أي يخاف الله عز وجل ثم عاتب منكري البعث فقال تعالى: ﴿**أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها**﴾ معناه أخلقكم بعد الموت أشد أم خلق السّماء عندكم في تقديركم. فإن كلا الأمرين بالنسبة إلى قدرة الله واحد، لأن خلق الإنسان على صغره وضعفه إذا أضيف إلى خلق السماء مع عظمها وعظم أحوالها كان يسيراً فبين تعالى: أن خلق السماء أعظم، وإذا كان كذلك كان خلقكم بعد الموت أهون على الله تعالى: فكيف تنكرون ذلك مع علمكم بأنه خلق السموات والأرض ولا تنكرون ذلك. ثم إنه تعالى ذكر كيفية خلق السّماء والأرض فقال تعالى:

﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾

﴿**رفع سمكها**﴾ يعني علو سمتها، وقيل رفعها بغير عمد ﴿**فسواها**﴾ أي أتقن بناءها، فليس فيها شقوق، ولا فطور، ﴿**وأغطش**﴾ أي أظلم ﴿**ليلها**﴾ والغطش الظلمة ﴿**وأخرج**﴾ أي وأظهر وأبرز ﴿**ضحاها**﴾ أي نهارها، وإنما عبر عن النهار بالضحى لأنه أكمل أجزاء النهار في النور، والضوء، وإنما أضاف الليل والنهار إلى السماء لأنهما يجريان بسبب غروب الشمس وطلوعها، وهي في السماء ثم وصف كيفية خلق الأرض. فقال تعالى: ﴿**والأرض بعد ذلك دحاها**﴾ أي بسطها ومدها قال أمية بن أبي الصلت:

﴿ **فقال أنا ربكم الأعلى** ﴾، فلا ربّ فوقي. وقيل: أراد أن الأصنام أرباب وأنا ربّكم وربّها.

﴿ **فأخذه الله نكال الآخرة والأولى** ﴾، قال الحسن وقتادة: عاقبه الله فجعله نكال الآخرة والأولى، أي في الدنيا بالغرق وفي الآخرة بالنار. وقال مجاهد وجماعة من المفسّرين: أراد بالآخرة والأولى كلمتي فرعون قوله: ﴿ ما علمتُ لكم من إله غيري ﴾ [القصص: ٣٨] وقوله: ﴿ **أنا ربّكم الأعلى** ﴾، وكان بينهما أربعون سنة.

﴿ **إنّ في ذلك** ﴾، الذي فعل بفرعون حين كذب وعصى، ﴿ **لعبرة** ﴾، عظة، ﴿ **لمَن يخشى** ﴾، اللَّهَ عزّ وجلّ.

ثم خاطب مُنكِري البعث فقال: ﴿ **أأنتم أشدُّ خلقاً أمِ** السماء ﴾، يعني أخلقكم بعد الموت أشدّ عندكم وفي تقديركم أم السماء؟ وهما في قدرة الله واحد، كقوله: ﴿ لَخلقُ السمٰواتِ والأرضِ أكبرُ من خلقِ الناس ﴾ [غافر: ٥٧]، ثم وصف من خلق السماء فقال: ﴿ **بناها** ﴾.

﴿ **رفع سمكها** ﴾، سقفها ﴿ **فسوّاها** ﴾، بلا شقوق ولا فطور.

﴿ **وأغطش** ﴾، أظلم، ﴿ **ليلها** ﴾، والغطش والغبش الظلمة، ﴿ **وأخرج ضحاها** ﴾، أبرز وأظهر نهارها ونورها، وأضافهما إلى السماء لأن الظلمة والنور كلاهما ينزل من السماء.

﴿ **والأرض بعد ذلك** ﴾، بعد خلق السماء، ﴿ **دحاها** ﴾، بسطها، والدحو: البسط. قال ابن عباس: خلق

دحـــوت البـــلاد فســـويتهـــا وأنـــت علـــى طيهـــا قـــادر

فإن قلت ظاهر هذه الآية، يقتضي أن الأرض خلقت بعد السّماء بدليل قوله تعالى ﴿بعد ذلك﴾ وقد قال تعالى: في حمَ السّجدة ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ فكيف الجمع بين الآيتين وما معناهما.

قلت خلق الله الأرض، أولاً مجتمعة، ثم سمك السماء ثانياً: ثم دحا الأرض بمعنى مدها وبسطها. ثالثاً: فحصل بهذا التفسير الجمع بين الآيتين، وزال الإشكال قال ابن عباس: خلق الله الأرض بأقواتها، من غير أن يدحوها قبل السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات، ثم دحا الأرض بعد ذلك، وقيل معناه والأرض مع ذلك دحاها كقوله ﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾ أي مع ذلك ﴿أخرج منها ماءها ومرعاها﴾ أي فجر من الأرض عيونها، ومرعاها أي رعيها، وهي ما يأكله النّاس، والأنعام واستعير الرعي للإنسان على سبيل التّجوز. ﴿والجبال أرساها﴾ أي أثبتها ﴿متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ أي الذي أخرج من الأرض هو بلغة لكم ولأنعامكم.

قوله عز وجل: ﴿فإذا جاءت الطّامة الكبرى﴾ يعني النّفخة الثانية، التي فيها البعث، وقيل الطامة القيامة سميت بذلك لأنها تطم على كل شيء فتعلو عليه، والطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع. ﴿يوم يتذكر الإنسان ما سعى﴾ أي ما عمل في الدنيا من خير، أو شر. ﴿وبرزت الجحيم لمن يرى﴾ يعني أنه ينكشف عنها الغطاء فينظر إليها الخلق ﴿فأما من طغى﴾ أي كفر ﴿وآثر الحياة الدّنيا﴾ أي على الآخرة ﴿فإن الجحيم هي المأوى﴾ أي لمن هذه صفته ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى﴾ أي المحارم التي يشتهيها وقيل هوالرجل يهم بالمعصية، فيذكر مقامه بين يديه جلّ جلاله للحساب فيتركها لذلك ﴿فإن الجنة هي المأوى﴾ أي لمن هذه صفته.

قوله عز وجل: ﴿يسألونك﴾ أي يا محمد ﴿عن الساعة أيّان مرساها﴾ أي متى ظهورها وقيامها ﴿فيم أنت من ذكراها﴾ أي لست في شيء من علمها وذكراها حتى تهتم لها وتذكر وقتها ﴿إلى ربك منتهاها﴾ أي منتهى علمها لا

الله الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء ثم استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سمٰوات، ثم دحا الأرض بعد ذلك. وقيل: معناه إذِ الأرض مع ذلك دحاها، كقوله عزّ وجلّ: ﴿ عتل بعد ذلك زنيم ﴾ [القلم: ١٣] أي مع ذلك.

﴿ أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعاً لكم ولأنعامكم * فإذا جاءت الطّامّة الكبرى ﴾، يعني النفخة الثانية التي فيها البعث وقامت القيامة، وسُمّيت القيامة طامّة لأنها تطم على كل هائلة من الأمور فتعلو فوقها وتغمر ما سواها والطامّة عند العرب الداهية التي لا تستطاع.

﴿ يوم يتذكر الإنسان ما سعى ﴾، ما عمل في الدنيا من خير وشرّ.

﴿ وبرزت الجحيم لمَن يرى ﴾، قال مقاتل يكشف عنها الغطاء فينظر إليها الخلق.

﴿ فأمّا مَن طغى ﴾، في كفره.

﴿ وآثر الحياة الدنيا ﴾، على الآخرة.

﴿ فإن الجحيم هي المأوى * وأما مَن خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى ﴾، عن المحارم التي تشتهيها، قال مقاتل: هو الرجل يهمّ بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها.

﴿ فإن الجنة هي المأوى * يسألونك عن الساعة أيّان مُرْساها ﴾، متى ظهورها وثبوتها.

يعلم متى تقوم الساعة إلا هو، وقيل معناه فيم إنكار لسؤالهم، أي فيم هذا السّؤال، ثم قال أنت يا محمد من ذكراها، أي من علامتها، لأنك آخر الرّسل، وخاتم الأنبياء، فكفاهم ذلك دليلاً على دنوها، ووجوب الاستعداد لها.

إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا (٤٥) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا (٤٦)

﴿**إنما أنت منذر من يخشاها**﴾ أي إنما ينفع إنذارك من يخافها. ﴿**كأنهم**﴾ يعني الكفار ﴿**يوم يرونها**﴾ أي يعاينون يوم القيامة. ﴿**لم يلبثوا**﴾ أي في الدنيا، وقيل في قبورهم ﴿**إلا عشية أو ضحاها**﴾.

فإن قلت العشية ليس لها ضحى فما معنى قوله ﴿**أو ضحاها**﴾.

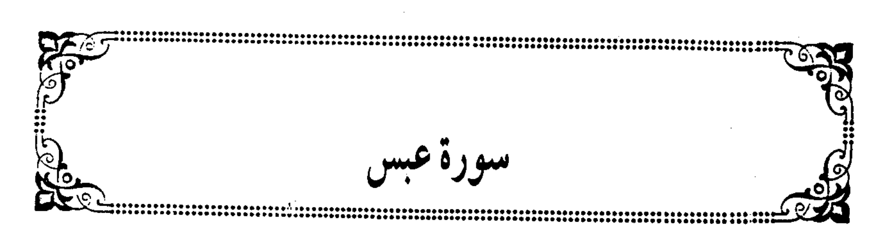
قلت قيل إن الهاء والألف صلة، والمعنى لم يلبثوا إلا عشية، أو ضحى، وقيل إضافة الضّحى إلى العشية، إضافة إلى يومها، كأنه قال: إلا عشية أو ضحى يومها. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

﴿ **فيمَ أنتَ من ذكراها** ﴾، لست في شيء من علمها وذكرها، أي لا تعلمها.

﴿ **إلى ربك منتهاها** ﴾، أي منتهى علمها عند الله.

﴿ **إنما أنت منذر مَن يخشاها** ﴾، قرأ أبو جعفر منذر بالتنوين أي أنت مخوّف مَن يخاف قيامها، أي إنما ينفع إنذارك مَن يخافها.

﴿ **كأنهم** ﴾، يعني كفّار قريش، ﴿ **يوم يرونها** ﴾، يعاينون يوم القيامة، ﴿ **لم يلبثوا** ﴾، في الدنيا، وقيل: في قبورهم، ﴿ **إلّا عشيّةً أو ضحاها** ﴾، قال الفرّاء: ليس للعشيّة ضحى إنما الضحى اسم لصدر النهار، ولكن هذا ظاهر من كلام العرب أن يقولوا: آتيك العشية أو غداتها، إنما معناه آخر يوم أو أوله، نظيره قوله: ﴿ يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلّا ساعة من نهار ﴾ [الأحقاف: ٣٥].



سورة عبس

مكية وهي إحدى وأربعون آية ومائة وثلاثون وخمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفاً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾

قوله عز وجل: ﴿**عبس وتولى**﴾ أي كلح وقطب وجهه وتولى أي أعرض بوجهه. ﴿**أن جاءه الأعمى**﴾ يعني ابن أم مكتوم، واسمه عمرو، وقيل عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة، وقيل عمرو قيس بن زائدة بن الأصم بن زهرة بن رواحة القرشي الفهري من بني عامر بن لؤي، واسم أمه عاتكة بنت عبد الله المخزومية، وهو ابن خالة خديجة بنت خويلد أسلم قديماً بمكة، وذلك أنه أتى النبي ﷺ، وهو يناجي عتبة بن ربيعة، وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب، وأبي بن خلف، وأخاه أمية بن خلف ويدعوهم إلى الله يرجو إسلامهم فقال ابن أم مكتوم: يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله؛ وجعل يناديه ويكرر النّداء، وهو لا يدري أنه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله ﷺ لقطعه كلامه، وقال في نفسه يقول هؤلاء الصّناديد إنما اتبعه الصّبيان، والعبيد، والسّفلة فعبس وجهه وأعرض عنه، وأقبل على القوم الذين كان يكلمهم، فأنزل الله هذه الآيات معاتبة لرسول الله ﷺ فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يكرمه إذا رآه، ويقول مرحباً بمن عاتبني الله فيه ويقول له هل لك من حاجة، واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين وكان من المهاجرين الأولين، وقيل قتل شهيداً بالقادسية قال أنس: رأيته يوم القادسية، وعليه درع ومعه راية سوداء، عن عائشة رضي الله عنها قالت «أنزلت ﴿**عبس وتولى**﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ عظماء قريش من المشركين فجعل رسول الله ﷺ

سُوْرَة عَبَسَ

مكيّة وهي اثنتان وأربعون آية.

﴿ **عبس** ﴾، كلح، ﴿ **وتولى** ﴾، أعرض بوجهه.

﴿ **أنْ جاءه الأعمى** ﴾، وهو ابن أُم مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بني لؤي، وذلك أنه أتى رسول الله ﷺ، وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب وأبيّ بن خلف، وأخاه أمية يدعوهم إلى الله، يرجو إسلامهم، فقال ابن أم مكتوم: يا رسول الله أقرئني وعلّمني مما علّمك الله، فجعل يناديه ويكرّر النداء ولا يدري أنه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله ﷺ لقطعه كلامه، وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان والعبيد والسَّفَلَة، فعبس وجهه وأعرض عنه، وأقبل على القوم الذين يكلّمهم فأنزل الله هذه الآية، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يكرهه، وإذا رآه قال مرحباً بمَن عاتبني فيه ربّي، ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما رسول الله ﷺ، قال

يعرض عنه ويقبل على الآخرين ويقول أترى بما أقول بأساً فيقول لا ففي هذا أنزلت» أخرجه الترمذي، وقال حديث غريب ﴿وما يدريك﴾ أي أي شيء يجعلك دارياً ﴿لعله يزكى﴾ أي يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك.

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾﴾

﴿أو يذكر﴾ أي يتعظ ﴿فتنفعه الذكرى﴾ أي الموعظة ﴿أما من استغنى﴾ قال ابن عباس: عن الله وعن الإيمان بما له من المال ﴿فأنت له تصدى﴾ أي تتعرض له، وتقبل عليه وتصغى إلى كلامه ﴿وما عليك ألا يزكى﴾ أي لا يؤمن، ولا يهتدي وإنما عليك البلاغ ﴿وأما من جاءك يسعى﴾ يعني يمشي يعني ابن أم مكتوم ﴿وهو يخشى﴾ أي الله عز وجل ﴿فأنت عنه تلهى﴾ أي تتشاغل وتعرض عنه ﴿كلا﴾ أي لا تفعل بعدها مثلها ﴿إنها﴾ يعني الموعظة وقيل آيات القرآن ﴿تذكرة﴾ أي موعظة للخلق ﴿فمن شاء﴾ أي من عباد الله ﴿ذكره﴾ أي اتعظ به يعني القرآن ثم وصف

أنس بن مالك: فرأيته يوم القادسية عليه درع ومعه راية سوداء.

﴿ وما يُدريك لعلّه يزّكّى ﴾، يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك، وقال ابن زيد: يسلم.

﴿ أو يذّكّر ﴾، يتّعظ، ﴿ فتنفعه الذكرى ﴾، الموعظة قرأ عاصم فتنفعه بنصب العين على جواب لعلّ بالفاء وقراءة العامّة بالرفع نسقاً على قوله: ﴿ يذّكّر ﴾.

﴿ أما من استغنى﴾، قال ابن عباس عن الله وعن الإيمان بما له من المال.

﴿ فأنتَ له تصدّى ﴾، تتعرض له وتقبل عليه وتصغي إلى كلامه، قرأ أهل الحجاز ﴿ تصدّى ﴾ بتشديد الصاد، أي تتصدى، وقرأ الآخرون بتخيف الصاد على الحذف.

﴿ وما عليك ألّا يزّكّى ﴾، أن لا يؤمن ولا يهتدي، إنْ عليك إلّا البلاغ.

﴿ وأما مَن جاءك يسعى ﴾، يمشي يعني ابن أُم مكتوم.

﴿ وهو يخشى ﴾، الله عزّ وجلّ.

﴿ فأنت عنهة تلهى ﴾، تتشاغل وتعرض عنه.

﴿ كلا ﴾، زجر أي لا تفعل بعدها مثلها، ﴿ إنها ﴾، يعني هذه الموعظة. وقال مقاتل: آيات القرآن، ﴿ تذكرة ﴾، موعظة وتذكير للخلق.

﴿ فمَن شاء ﴾، من عباد الله، ﴿ ذكره ﴾، أي اتّعظ به. وقال مقاتل: فمَن شاء الله ذكره وفهمه واتّعظ بمشيئته وتفهيمه، والهاء في ﴿ ذكره ﴾ راجعة إلى القرآن والتنزيل والوعظ. ثم أخبر عن جلالته عنده فقال:

﴿ في صحف مكرّمة ﴾، يعني اللوح المحفوظ. وقيل: كتب الأنبياء، دليله قوله تعالى: ﴿ إنّ هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى ﴾ [الأعلى: ١٨ و١٩].

﴿ مرفوعة ﴾، رفيعة القدر عند الله عزّ وجلّ. وقيل: مرفوعة يعني في السماء السابعة. ﴿ مطهرة ﴾، لا يمسّها إلّا المطهرون، وهم الملائكة.

جلالة القرآن، ومحله عنده فقال عز وجل ﴿في صحف مكرمة﴾ يعني القرآن في اللّوح المحفوظ ﴿مرفوعة﴾ أي رفيعة القدر عند الله، وقيل مرفوعة في السّماء السابعة ﴿مطهرة﴾ يعني الصحف لا يمسها إلا المطهرون، وهم الملائكة ﴿بأيدي سفرة﴾ قال ابن عباس: يعني كتبه، وهم الملائكة الكرام الكاتبون، واحدهم سافر ومنه قيل للكتاب سفر، وقيل هم الرّسل من الملائكة إلى الأنبياء واحدهم سفير، ثم أثنى عليهم. بقوله:

﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾

﴿كرام﴾ أي هم كرام على الله ﴿بررة﴾ أي مطيعين له جمع بار.

قوله عز وجل: ﴿قتل الإنسان﴾ أي لعن الكافر وطرد ﴿ما أكفره﴾ أي أشد كفره بالله مع كثرة إحسانه إليه، وأياديه عنده وهذا على سبيل التّعجب، أي أعجبوا من كفره وقيل معناه أي شيء حمله على الكفر، نزلت هذه الآية في عتبة بن أبي لهب، وقيل في أمية بن خلف، وقيل في الذين قتلوا يوم بدر، وقيل الآية عامة في كل كافر، ثم بين من أمره ما كان ينبغي أن يعلم أن الله تعالى: خالقه منه فقال تعالى: ﴿من أي شيء خلقه﴾ لفظة استفهام ومعناه التّقرير، ثم فسر ذلك فقال تعالى ﴿من نطفة خلقه فقدره﴾ يعني خلقه أطواراً نطفة ثم علقة، ثم مضغة، إلى آخر خلقه، وقيل قدره يعني خلق رأسه، وعينيه ويديه، ورجليه على قدر ما أراده ﴿ثم السبيل يسره﴾ أي سهل له طريق خروجه من بطن

﴿ بأيدي سفرة ﴾، قال ابن عباس ومجاهد: كتبة، وهم الملائكة الكرام الكاتبون، واحدهم سافر، يقال: سفرت أي كتبت. ومنه قيل للكتاب: سِفْرٌ وجمعه أسفار. وقال الآخرون: هم الرسل من الملائكة واحدهم سفير، وهو الرسول، وسفير القوم الذي يسعى بينهم بالصلح، وسفرت بين القوم إذا أصلحت بينهم.

ثم أثنى عليهم فقال: ﴿ كرام بررة ﴾، أي كرام على الله بررة مطيعين جمع بارّ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ قُتل الإنسان ﴾، أي لعن الكافر. قال مقاتل: نزلت في عتبة بن أبي لهب ﴿ ما أكفره ﴾، ما أشدّ كفره مع كثرة إحسانه إليه وأياديه عنده، على طريق التعجّب، قال الزجّاج: معناه اعجبوا أنتم من كفره. قال الكلبي ومقاتل: هو ﴿ ما ﴾ الاستفهام، يعني أيّ شيء حمله على الكفر؟ ثم بيّن من أمره ما كان ينبغي معه أن يعلم أن الله خالقه.

فقال: ﴿ من أيّ شيء خلقه ﴾، لفظه استفهامٌ ومعناه التقرير.

ثم فسَّره فقال: ﴿ من نطفة خلقه فقدّره ﴾، أطواراً: نطفة ثم علقة إلى آخر خلقه. قال الكلبي: قدر خلقه رأسه وعينيه ويديه ورجليه.

﴿ ثم السبيل يسّره ﴾، أي طريق خروجه من بطن أُمه. قال السدي ومقاتل، وقال الحسن ومجاهد: يعني طريق الحق والباطل سهّل له العلم به، كما قال: ﴿ إنّا هديناه السبيل ﴾ [الإنسان: ٣] ﴿ وهديناه النجدين ﴾ [البلد: ١٠]، وقيل: يسّر على كل أحد ما خلقه له وقدر عليه.

﴿ ثم أماته فأقبره ﴾، جعل له قبراً يوارى فيه. قال الفرّاء: جعله مقبوراً ولم يجعله ممّن يلقى كالسِّباع والطيور. يقال قبرت الميت إذا دفنته، وأقبره الله أي صيّره بحيث يقبر، وجعله ذا قبر، كما يقال: طردت فلاناً والله أطرده أي صيّره طريداً.

أمه، وقيل سهل له العلم بطريق الحق والباطل، وقيل يسر على كل أحد ما خلق له وقدر عليه. ﴿ثم أماته فأقبره﴾ أي جعل له قبراً يوارى فيه، وقيل جعله مقبوراً، ولم يجعله ملقى للسّباع، والوحوش والطّيور، أو أقبره معناه ستره الله بحيث يقبروجعله ذا قبر يدفن فيه، وهذه تكرمة لبني آدم على سائر الحيوانات. ثم قال تعالى: ﴿ثم إذا شاء أنشره﴾ أي أحياه بعد موته للبعث، والحساب وإنما قال تعالى﴿ثم إذا شاء أنشره﴾ لأن وقت البعث غير معلوم لأحد فهو إلى مشيئة الله تعالى متى شاء أن يحيـي الخلق أحياهم ﴿كلا﴾ ردع وزجر للإنسان عن تكبره وتجبره وترفعه، وعن كفره وإصراره على إنكار التوحيد، وإنكار البعث والحساب ﴿لما يقض ما أمره﴾ أي لم يفعل ما أمره به ربه، ولم يؤد ما فرض عليه، ولما ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر فإنه موضع الاعتبار فقال تعالى: ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾ إلى قدرة ربه فيه أي كيف قدره ربه، ويسره ودبره له وجعله سبباً لحياته، وقيل مدخل طعامه ومخرجه. ثم بين ذلك فقال تعالى: ﴿أنا صببنا الماء صباً﴾ يعني المطر.

ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾

﴿ثم شققنا الأرض شقاً﴾ أي بالنبات ﴿فأنبتنا فيها﴾ أي بذلك الماء ﴿حباً﴾ يعني الحبوب التي يتغذى بها الإنسان ﴿وعنباً﴾ يعني أنه غذاء من وجه، وفاكهة من وجه، فلهذا أتبعه الحب ﴿وقضباً﴾ يعني القت وهو الرطب سمي بذلك لأنه يقتضب، أي يقطع في كل الأيام، وقيل القضب هو العلف كله الذي تعلف به الدواب. ﴿وزيتوناً﴾ وهو ما يعصر منه الزيت ﴿ونخلاً وحدائق﴾ جمع حديقة ﴿غلباً﴾ يعني غلاظ الأشجار، وقيل الغلب الشجر الملتف

﴿ ثم إذا شاء أنشره ﴾، أحياه بعد موته.

﴿ كلا ﴾، ردّ عليه أي ليس كما يقول ويظن هذا الكافر وقال الحسن: حقاً. ﴿ لمّا يقضِ ما أمره ﴾، أي لم يفعل ما أمره به ربّه ولم يؤدّ ما فرض عليه، ولمّا ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر.

فقال: ﴿ فلينظرِ الإنسان إلى طعامه ﴾، كيف قدّره ربـه ودبّره له وجعله سبباً لحياته. وقال مجاهد: إلى مدخله ومخرجه.

ثم بيّن فقال: ﴿ أنّا ﴾ قرأ أهل الكوفة ﴿ أنا ﴾ بالفتح على تكرير الخافض، مجازه فلينظر إلى أنا، وقرأ الآخرون بالكسر على الاستئناف. ﴿ صببنا الماء صبّاً ﴾، يعني المطر.

﴿ ثم شققنا الأرض شقاً ﴾، بالنبات.

﴿ فأنبتنا فيها حبّاً ﴾، يعني الحبوب التي يتغذى بها.

﴿ وعنباً وقضباً ﴾، وهو القت الرطب، سُمّي بذلك لأنه يقضب في كل الأيام أي يقطع. وقال الحسن: القضب العلف للدواب.

﴿ وزيتوناً ﴾، وهو ما يعصر منه الزيت، ﴿ ونخلاً ﴾، جمع نخلة.

﴿ وحدائق غلباً ﴾، غلاظاً، الأشجار واحدها أغلب، ومنه قيل: الغليظ الرقبة أغلب. وقال مجاهد ومقاتل: الغلب الشجر الملتفة بعضها في بعض، قال ابن عباس: طوالاً.

بعضه على بعض. وقال ابن عباس: طوالاً ﴿وفاكهة﴾ يعني جميع ألوان الفاكهة ﴿وأبا﴾ يعني الكلأ والمرعى الذي لم يزرعه الناس مما يأكله الدواب والأنعام، وقيل فاكهة ما يأكله الناس، والأب ما يأكله الدّواب. وقال ابن عباس: ما أنبتت الأرض مما يأكل الناس. والأنعام روى إبراهيم التيمي أن أبا بكر سئل عن قوله: ﴿وفاكهة وأبا﴾ فقال أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم (خ) عن أنس أن عمر قرأ ﴿وفاكهة وأبا﴾ قال فما الأب، ثم قال ما كلفنا أو قال ما أمرنا بهذا لفظ البخاري، وزاد غيره ثم قال اتبعوا ما بين لكم هذا الكتاب وما لا فدعوه. ﴿متاعاً لكم﴾ يعني الفواكه والحب، والعشب منفعة لكم ﴿ولأنعامكم﴾ ثم ذكر أهوال القيامة فقال تعالى: ﴿فإذا جاءت الصّاخة﴾ يعني صيحة القيامة سميت صاخة لأنها تصخ أسماع الخلق، أي تبالغ في أسماعهم حتى تكاد تصمها ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته، وبنيه﴾ أي إنه لا يلتفت إلى واحد من هؤلاء لشغله بنفسه، والمراد من الفرار التّباعد، والسبب في ذلك الاحتراز عن المطالبة بالحقوق فالأخ يقول ما واسيتني بمالك، والأبوان يقولان قصرت في برنا، والصاحبة تقول لم توفني حقي والبنون يقولون ما علمتنا وما أرشدتنا، وقيل أول من يفر هابيل من أخيه قابيل، والنبي ﷺ من أمه وإبراهيم عليه الصّلاة والسّلام من أبيه ولوط من صاحبته ونوح من ابنه، وقيل يفر المؤمن من موالاة هؤلاء، ونصرتهم والمعنى أن هؤلاء الذين كانوا يقربونهم في الدنيا، ويتقوون بهم ويتعززون بهم يفرون منهم في الدّار الآخرة، وفائدة الترتيب كأنه قيل يوم يفر المرء من أخيه بل من أبويه لأنهما أقرب من الإخوة بل من الصّاحبة، والولد لأن تعلقه بهما أشد من تعلقه بالأبوين ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ أي يشغله شأن نفسه عن شأن غيره عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «تحشرون حفاة عراة غرلاً، فقالت امرأة أيبصر أحدنا، أو يرى بعضنا عورة بعض قال: يا

﴿ وفاكهة ﴾، يريد ألوان الفواكه، ﴿ وأباً ﴾، يعني الكلأ والمرعى الذي لم يزرعه الناس، مما يأكله الأنعام والدواب. قال عكرمة: الفاكهة ما يأكل الناس، والأب ما يأكله الدواب. ومثله عن قتادة قال: الفاكهة لكم والأب لأنعامكم. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما أنبتت الأرض مما يأكل الناس والأنعام. ورُوِيَ عن إبراهيم التيمي أن أبا بكر سُئِل عن قوله: ﴿ وفاكهة وأباً ﴾ فقال: أيّ سماء تظلّني وأيّ أرض تقلّني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم. وروى ابن شهاب عن أنس أنه سمع عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية ثم قال: كلّ هذا قد عرفنا فما الأبُّ؟ ثم رفع عصاً كانت بيده وقال: هذا لَعَمْرُ الله التكلّف، وما عليك يا ابن أُم عمر أن لا تدري ما الأبّ، ثم قال: اتّبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب، وما لا فدعوه.

﴿ متاعاً لكم ﴾، منفعة لكم يعني الفاكهة، ﴿ ولأنعامكم ﴾، يعني العشب.

ثم ذكر القيامة فقال: ﴿ فإذا جاءت الصاخّة ﴾، يعني صيحة القيامة سُمّيت بذلك لأنها تصخّ الأسماع، أي تبالغ في أسماعها حتى تكاد تصمّها.

﴿ يوم يفرّ المرء من أخيه وأُمه وأبيه وصاحبته وبنيه ﴾، لا يلتفت إلى واحد منهم لشغله بنفسه، حكي عن قتادة قال في هذه الآية: يفرّ المرء من أخيه، قال: يفرّ هابيل من قابيل، ويفرّ النبيّ ﷺ من أُمه، وإبراهيم عليه السلام من أبيه، ولوط عليه السلام من صاحبته، ونوح عليه السلام من ابنه.

﴿ لكل امرىءٍ منهم يومئذ شأن يُغنيه ﴾، يشغله عن شأن غيره. أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن عبد الله أنا عبد الله بن عبد الرحمن ثنا محمد بن عبد العزيز ثنا ابن أبي أويس ثنا أبي عن محمد بن أبي عياش عن عطاء بن يسار عن سودة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «يُبعث الناسُ حفاةً عُراةً غرلاً، قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان»، فقلتُ: يا رسول الله

فلانة لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه» أخرجه التّرمذي وقال: حديث حسن صحيح ولما ذكر الله تعالى حال القيامة، وأهوالها بين حال المكلفين، وأنهم على قسمين منهم السعداء والأشقياء. فوصف السّعداء بقوله تعالى:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

﴿**وجوه يومئذ مسفرة**﴾ أي مشرقة مضيئة من أسفر الصبح إذا أضاء، وقيل مسفرة من قيام اللّيل، وقيل من أثر الوضوء، وقيل من الغبار في سبيل الله ﴿**ضاحكة**﴾ أي عند الفراغ من الحساب ﴿**مستبشرة**﴾ أي بالسرور فرحة بما تنال من كرامة الله، ورضوانه. ثم وصف الأشقياء فقال تعالى: ﴿**ووجوه يومئذ عليها غبرة**﴾ أي سواد وكآبة للهم الذي نزل بهم ﴿**ترهقها قترة**﴾ أي تعلوها، وتغشاها ظلمة، وكسوف وقال ابن عباس: تغشاها ذلة والفرق بين الغبرة والقترة أن الغبرة ما كان أسفل في الأرض، والقترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء ﴿**أولئك**﴾ أي الذين صنع بهم هذا ﴿**هم الكفرة الفجرة**﴾ جميع كافر وفاجر والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه.

واسوأتاه ينظر بعضها إلى بعض؟ فقال: «قد شغل الناس لكل امرىءٍ منهم يومئذ شأن يُغنيه».

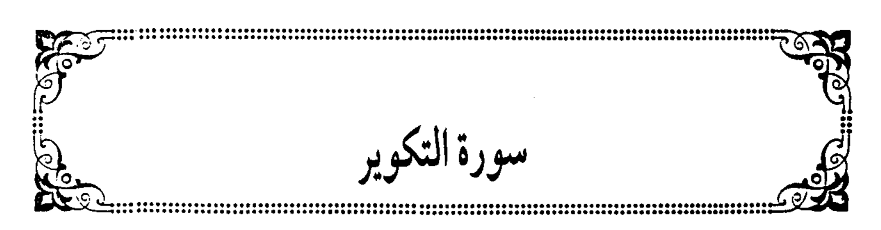
﴿ **وجوه يومئذ مسفرة** ﴾، مشرقة مضيئة.

﴿ **ضاحكة** ﴾، بالسرور ﴿ **مستبشرة** ﴾، فرحَةً بما نالت من كرامة الله عزّ وجلّ.

﴿ **ووجوه يومئذ عليها غبرة** ﴾، سواد وكآبة مما يشاهدونه من الغمّ والهمّ.

﴿ **ترهقها قترة** ﴾، تعلوها وتغشاها ظلمة وكسوف. قال ابن عباس: تغشاها ذلّة. قال ابن زيد الفرق بين الغبرة والقترة أن القترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء، والغبرة ما كان أسفل في الأرض.

﴿ **أولئك** ﴾، الذين يصنع بهم هذا، ﴿ **هم الكَفرة الفَجَرَة** ﴾، جمع الكافر والفاجر.



سورة التكوير

مكية وهي تسع وعشرون آية ومائة، وأربع كلمات وخمسمائة وثلاثون حرفاً.

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى العين فليقرأ: ﴿إذا الشّمس كورت﴾ ﴿وإذا السّماء انفطرت﴾ ﴿وإذا السّماء انشقت﴾» أخرجه الترمذي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾

قوله عز وجل: ﴿إذا الشّمس كورت﴾ قال ابن عباس: أظلمت، وغورت، وقيل اضمحلت، وقيل لفت كما تلف العمامة، وأصل التكوير جمع بعض الشيء إلى بعض ومعناه أن الشّمس يجمع بعضها إلى بعض، ثم تلف فإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها، قال ابن عباس: يكور الله الشّمس، والقمر، والنّجوم يوم القيامة في البحر، ثم يبعث عليها ريحاً دبوراً فتضربها فتصير ناراً. (خ) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «الشّمس والقمر يكوران يوم القيامة» قيل إن الشّمس، والقمر، جمادان فإلقاؤهما في النّار يكون سبباً لازدياد الحر في جهنم. ﴿وإذا النّجوم انكدرت﴾ أي تناثرت من السماء، وسقطت على الأرض. قال الكلبي وعطاء: تمطر السّماء يومئذ نجوماً، فلا يبقى نجم إلا وقع ﴿وإذا الجبال سيرت﴾ أي عن وجه الأرض، فصارت هباء منثوراً. ﴿وإذا العشار عطلت﴾ يعني النوق الحوامل التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها، واحدتها عشراء، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة، وهي أنفس مال عند العرب فإذا كان ذلك اليوم عطلت، وتركت هملاً بلا راع أهملها أهلها، وقد كانوا لازمين لأذنابها ولم يكن مال أعجب

سُوْرَة التّكوير

مكيّة وهي تسع وعشرون آية.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ثنا أبو الحسن علي بن محمد بن سهل الماسرجسي إملاءً أنا أبو الوفاء المؤمل بن الحسن بن عيسى الماسرجسي ثنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا إبراهيم بن خالد ثنا عبد الله بن بحير القاضي قال سمعت عبد الرحمن بن زيد الصنعاني قال سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَن أحبَّ أن ينظر في أحوال القيامة فليقرأ: ﴿ إذا الشمس كُوِّرت ﴾».

قوله عزّ وجلّ: ﴿ إذا الشمس كُوِّرت ﴾، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أظلمت، وقال قتادة ومقاتل والكلبي: ذهب ضوءها. وقال سعيد بن جبير: غوِّرت. وقال مجاهد: اضمحلّت. وقال الزجّاج: لفّت كما تلفّ

إليهم منها لما جاءهم من أهوال يوم القيامة. ﴿وإذا الوحوش﴾ يعني من دواب البر ﴿حشرت﴾ أي جمعت يوم القيامة ليقتص لبعضها من بعض. وقال ابن عباس: حشرها موتها قال: وحشر كل شيء موته غير الجن والإنس، فإنهما يوقفان يوم القيامة. ﴿وإذا البحار سجرت﴾ قال ابن عباس: أوقدت فصارت ناراً تضطرم، وقيل فجر بعضها في بعض العذاب، والملح حتى صارت البحار كلها بحراً واحداً وقيل صارت مياهها من حميم أهل النّار، وقيل سجرت أي يبست، وذهب ماؤها فلم تبق فيها قطرة.

قال أبي بن كعب: ست آيات قبل يوم القيامة، بينما النّاس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشّمس، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على الأرض، فبينما هم كذلك إذ تناثرت النّجوم فتحركت، واضطربت، وفزعت الإنس، والجن، واختلطت الدّواب، والطّير، والوحش، وماج بعضهم في بعض. فذلك قوله تعالى: ﴿إذا الشّمس كورت وإذا النّجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت وإذا البحار سجرت﴾ فحينئذ تقول: الجن

العمامة، يقال كوّرت العمامة على رأسي أُكوّرها كوراً وكوّرتها تكويراً إذا لفقتها، وأصل التكوير جمع بعض الشيء إلى بعض، فمعناه أن الشمس يجمع بعضها إلى بعض ثم تلفّ، فإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها. قال ابن عباس: يكوّر الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر، ثم يبعث عليها ريحاً دبوراً فتضربها فتصير ناراً. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا مسدد ثنا عبد العزيز بن المختار ثنا عبد الله الداناج حدّثني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «الشمس والقمر يكوّران يوم القيامة».

﴿ وإذا النجوم انكدرت ﴾، أي تناثرت من السماء وتساقطت على الأرض، يقال: انكدر الطائر إذا سقط عن عشّه، قال الكلبي وعطاء: تمطر السماء يومئذ نجوماً فلا يبقى نجم إلاّ وقع.

﴿ وإذا الجبال سُيّرت ﴾، على وجه الأرض فصارت هباءً منبثّاً.

﴿ وإذا العِشَار عُطّلت ﴾، وهي النوق الحوامل التي أتى على حملها عشرة أشهر، واحدتها عشراء، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة، وهي أنفس مال عند العرب، عُطّلت تركت هملاً بلا راعٍ أهملها أهلها، وكانوا لازمين لأذنابها، ولم يكن لهم مال أعجب إليهم منها لما جاءهم من أهوال يوم القيامة.

﴿ وإذا الوحوش ﴾، يعني دواب البرّ، ﴿ حشرت ﴾، جمعت بعد البعث ليقتصّ لبعضها من بعض. وروى عكرمة عن ابنِ عباس قال: حشرها موتها. وقال: حشر كل شيء الموت غير الجنّ والإنس، فإنهما يوقفان يوم القيامة. وقال أُبيّ بن كعب: اختلطت.

﴿ وإذا البحار سُجّرت ﴾، قرأ أهل مكة والبصرة بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد، قال ابن عباس: أوقدت فصارت ناراً تضطرم. وقال مجاهد ومقاتل: يعني فجر بعضها في بعض العذب والملح، فصارت البحور كلها بحراً واحداً. وقال الكلبي. ملئت، وهذا أيضاً معنى قوله: ﴿ والبحر المسجور ﴾ [الطور: ٦]، والمسجور: المملوء، وقيل: صارت مياهها بحراً واحداً من الحميم لأهل النار. وقال الحسن: يبست وهو قول قتادة قال ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة، وروى أبو العالية عن أُبيّ بن كعب، قال: ستّ آيات قبل يوم القيامة: بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحرّكت واضطربت، وفزعت الجنّ إلى الإنس والإنس إلى الجنّ، واختلطت الدواب والطير والوحش والسِّباع، وماج بعضهم في بعض، فذلك قوله: ﴿ وإذا الوحوش حُشرت ﴾، واختلطت، ﴿ وإذا العشار عطّلت * وإذا

للإنس نحن نأتيكم بالخبر، فينطلقون إلى البحر، فإذا هو نار تأجج، فبينما هم كذلك إذ انصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى، وإلى السماء السابعة العليا، فبينما هم كذلك إذ جاءتهم ريح فأماتتهم، وعن ابن عباس قال: هي اثنتا عشرة خصلة ستة في الدنيا، وستة في الآخرة، وهي ما ذكر بعد هذه. وهو قوله تعالى: ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ روى النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب أنه سئل عن هذه الآية، فقال: يقرن بين الرّجل الصّالح مع الرجل الصالح في الجنة، ويقرن بين الرجل السّوء مع الرجل السوء في النّار، وقيل ألحق كل امرىء بشيعته اليهود باليهود، والنصارى بالنصارى، وقيل يحشر الرجل مع صاحب عمله، وقيل زوّجت النّفوس بأعمالها، وقيل زوّجت نفوس المؤمنين بالحور العين، وقرنت نفوس الكافرين بالشّياطين، وقيل معنى زوّجت ردت الأرواح إلى الأجساد.

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾﴾

﴿وإذا الموءودة سئلت﴾ يعني الجارية التي دفنت، وهي حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب، فيؤدبها، أي يثقلها حين تموت، وكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية. تدفن البنات حية مخافة العار، والحاجة، وروي عن ابن عباس قال: كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت، وكان أوان ولادتها حفرت حفيرة، فتمخضت على رأس الحفيرة فإن ولدت جارية رمت بها في الحفيرة، وإذا ولدت غلاماً حبسته، وقيل كان الرجل في الجاهلية إذا ولدت له بنت، وأراد بقاءها حية ألبسها جبة صوف، أو شعر وتركها ترعى الإبل، والغنم في البادية، وإذا أراد قتلها تركها حتى تشب، فإذا بلغت قال لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها، وقد حفر بئراً في الصّحراء، فيبلغ بها البئر فيقول لها: انظري فيها، فإذا نظرت دفعها من ورائها، ويهيل عليها التراب حتى تستوي بالأرض، عن ابن

البحار سجرت﴾، قال: قالت الجنّ للإنس نحن نأتيكم بالخير فانطلقوا إلى البحر فإذا هو نار تأجّج، قال فبينما هم كذلك إذ تصدّعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى، وإلى السماء السابعة العليا، فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم. وعن ابن عباس أيضاً قال: هي اثنتا عشرة خصلة ستّة في الدنيا وستّة في الآخرة.

وهي ما ذكره بقوله عزّ وجلّ: ﴿ **وإذا النفوس زُوّجت** ﴾، روى النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب أنه سُئِل عن هذه الآية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار، وهذا قول عكرمة، وقال الحسن وقتادة: ألحق كل امرىء بشيعته، اليهودي باليهودي والنصراني بالنصراني، قال الربيع بن خيثم: يحشر الرجل مع صاحب عمله. وقيل: زُوّجت النفوس بأعمالها. وقال عطاء ومقاتل: زُوّجت نفوس المؤمنين بالحور العين، وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين. ورُوِيَ عن عكرمة قال: وإذا النفوس زُوِّجت رُدّت الأرواح في الأجساد.

﴿ **وإذا الموؤدة سُئِلت** ﴾، وهي الجارية المدفونة حيّة سُمّيت بذلك لما يُطرَح عليها من التراب فيؤودها، أي يثقلها حتى تموت وكانت العرب تدفن البنات حيّة مخافة العار والحاجة، يقال: وَأَدَ يئِدُ وأداً، فهو وائد والمفعول موؤد، روى عكرمة عن ابن عباس: كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت وكان أوان ولادتها حفرت حُفرة فتمخضت على رأس الحُفرة فإن ولدت جارية رمت بها في الحفرة، وإن ولدت غلاماً حبسته.

﴿ **بأيّ ذنب قتلت** ﴾، قرأ العامّة على الفعل المجهول فيهما، وأبو جعفر يقرأ: ﴿ **قتلت** ﴾ بالتشديد، ومعناه تسئل الموؤدة، فيقال لها ﴿ **بأيّ ذنب قتلت** ﴾، ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لأنها تقول: قُتلتُ بغير ذنب. ورُوِيَ أن

مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «الوائدة، والموءودة في النّار» أخرجه أبو داود، وكان صعصعة بن ناجية ممن منع الوأد، ولم يئد فافتخر به الفرزدق في شعره فقال:

ومنا الذي منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم توأد

﴿بأي ذنب قتلت﴾ معناه تسأل الموءودة، فيقال لها، بأي ذنب قتلت، ومعنى سؤالها لها توبيخ قاتلها. لأنها قتلت بغير ذنب. ﴿وإذا الصّحف نشرت﴾ يعني صحائف الأعمال تنشر للحساب ﴿وإذا السّماء كشطت﴾ أي نزعت، وطويت، وقيل قلعت كما يقلع السقف، وقيل كشفت، وأزيلت عمن فيها. ﴿وإذا الجحيم سعرت﴾ أوقدت لأعداء الله تعالى﴿وإذا الجنة أزلفت﴾ أي قربت لأولياء الله.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ يعني عند ذلك تعمل كل نفس ما أحضرت من خير، أو شر وهذا جواب لقوله إذا الشّمس كورت إلى هنا.

قوله عز وجل: ﴿فلا أقسم﴾ لا زائدة والمعنى أقسم، وقد تقدم ذلك في قوله ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾. ﴿بالخنس الجوار الكنس﴾ يعني النّجوم تبدو بالليل، فتظهر، وتخنس بالنهار تحت نور الشّمس، ونحو هذا المعنى روي عن علي بن أبي طالب، وقيل هي النّجوم الخمسة زحل، والمشترى، والمريخ، والزهرة، وعطارد، تخنس في مجاريها، أي ترجع وراءها في الفلك، وتنكس، أي تستر وقت اختفائها، وقيل إنها تخنس، أي تتأخر عن مطالعها،

جابر بن زيد كان يقرأ: ﴿ وإذا الموؤدة سُئِلت * بأيّ ذنب قُتلت ﴾، ومثله قرأ أبو الضحى.

﴿ وإذا الصحف نشرت ﴾، قرأ أهل المدينة والشام وعاصم ويعقوب ﴿ نشرت ﴾ بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد، لقوله: ﴿ يؤتى صحفاً منشرة ﴾ [المدّثر: ٥٢]، يعني صحائف الأعمال تنشر للحساب.

﴿ وإذا السماء كشطت ﴾، قال الفرّاء: نزعت فطويت. وقال الزجّاج: قلعت كما يقلع السقف. وقال مقاتل: تكشف عمّن فيها. ومعنى الكشط رفعك شيئاً عن شيء قد غطاه كما يكشط الجلد عن السنام.

﴿ وإذا الجحيم سُعّرت ﴾، قرأ أهل المدينة والشام وحفص عن عاصم ﴿ سعرت ﴾ بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف أي أوقدت لأعداء الله.

﴿ وإذا الجنة أُزلفت ﴾، قُرّبت لأولياء الله.

﴿ علمت ﴾، عند ذلك كل، ﴿ نفس ما أحضرت ﴾، من خير أو شر، وهذا جواب لقوله: ﴿إذا الشمس كوّرت ﴾ وما بعدها.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ فلا أُقسم بالخنس * الجوار الكنّس ﴾، ولا زائدة معناه أقسم بالخنس، قال قتادة: هي النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار، فتخفى فلا ترى. وعن علي أيضاً: أنها الكواكب تخنس بالنهار فلا ترى، وتكنس بالليل فتأوي إلى مجاريها. وقال قوم: هي النجوم الخمسة زُحَل والمشتري والمرّيخ والزهرة وعُطارد، تخنس في مجراها أي ترجع وراءها وتكنس تستتر وقت اختفائها وغروبها، كما تكنس الظباء في مغارها. وقال ابن زيد: معنى الخنس أنها تخنس أي تتأخر عن مطالعها في كل عام تأخراً تتأخره عن تعجيل ذلك الطلوع، تخنس عنه

والكنس معناه أنها لا ترى بالنهار، وقيل هي الظباء، وهي رواية عن ابن عباس، وأصل الخنوس الرّجوع إلى وراء، والكنوس هو أن تأوي إلى كناسها، وهو الموضع الذي يأوي إليه الوحوش. ﴿واللّيل إذا عسعس﴾ أي أقبل بظلامه وقيل أدبر، والعسعسة رقة الظّلام، وذلك يكون في طرف الليل. ﴿والصّبح إذا تنفس﴾ أي أقبل وبدا أوله وقيل أسفر.

وفي تنفسه قولان أحدهما: أن في إقبال الصبح روحاً، ونسيماً فجعل ذلك نفساً على المجاز الثاني، أنه شبه الليل بالمكروب المحزون، فإذا تنفس وجد راحة، فكأنه تخلص من الحزن، فعبر عنه بالتنفس، فهو استعارة لطيفة، ولما ذكر المقسم به أتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى: ﴿إنه﴾ يعني القرآن ﴿لقول رسول كريم﴾ يعني جبريل عليه الصلاة والسلام والمعنى أن جبريل نزل به عن الله عز وجل: ﴿ذي قوة﴾ وكان من قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط الأربع من الماء الأسود، وحملها على جناحه، فرفعها إلى السماء، ثم قلبها، وأنه أبصر إبليس يكلم عيسى عليه الصلاة والسلام على بعض عقاب الأرض المقدسة، فنفحه بجناحه نفحة ألقاه إلى أقصى جبل بالهند، وأنه صاح صيحة بثمود، فأصبحوا جاثمين، وأنه يهبط من السّماء إلى الأرض، ثم يصعد في أسرع من رد الطّرف ﴿عند ذي العرش مكين﴾ أي في المنزلة والجاه ﴿مطاع ثم﴾ أي في السموات تطيعه الملائكة، ومن طاعة الملائكة له أنهم فتحوا أبواب السّموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله ﷺ وفتح خزنة الجنة أبوابها بقوله ﴿أمين﴾ يعني على وحي الله تعالى إلى أنبيائه ﴿وما صاحبكم﴾ يعني محمداً ﷺ يخاطب كفار مكة ﴿بمجنون﴾ وهذا أيضاً من جواب القسم أقسم على أن القرآن نزل به جبريل وأن محمداً ﷺ ليس بمجنون كما يقول أهل مكة، وذلك أنهم قالوا إنه مجنون، وأن ما يقوله ليس هو إلا من عند نفسه فنفى الله عنه الجنون، وكون القرآن من عند نفسه.

بتأخرها. والكنس أي تكنس بالنهار فلا ترى. وروى الأعمش عن إبراهيم عن عبد الله أنها هي الوحش. وقال سعيد بن جبير: هي الظباء. وهي رواية العوفي عن ابن عباس. وأصل الخنوس: الرجوع إلى وراء، والكنوس أي تأوي إلى مكانسها، وهي المواضع التي تأوي إليها الوحوش.

﴿ والليل إذا عسعس ﴾، قال الحسن: أقبل بظلامه. وقال الآخرون أدبر. تقول العرب: عسعس الليل وسعسع إذا أدبر ولم يبقَ منه إلّا اليسير.

﴿ والصبح إذا تنفس ﴾، أقبل وبدا أوله وقيل امتد ضوءه وارتفع.

﴿ إنه ﴾، يعني القرآن. ﴿ لقول رسول كريم ﴾، يعني جبريل أي نزل به جبريل عن الله تعالى.

﴿ ذي قوة ﴾، وكان من قوته أنه اقتلع قريات قوم لوط من الماء الأسود وحملها على جناحه فرفعها إلى السماء ثم قلبها، وأنه أبصر إبليس يكلّم عيسى على بعض عقاب الأرض المقدسة فنفخه بجناحه نفخة ألقاه إلى أقصى جبل بالهند، وأنه صاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين، وأنه يهبط من السماء إلى الأرض ويصعد في أسرع من الطرف، ﴿ عند ذي العرش مكين ﴾، في المنزلة.

﴿ مطاع ثَمّ ﴾، أي في السمٰوات تطيعه الملائكة ومن طاعة الملائكة إياه أنهم فتحوا أبواب السمٰوات ليلة المعراج، بقوله لرسول الله ﷺ وفتح خَزَنَة الجنة أبوابها بقوله: ﴿ أمين ﴾، على وحي الله ورسالته إلى أنبيائه.

﴿ وما صاحبكم بمجنون ﴾، يقول لأهل مكة وما صاحبكم يعني محمداً ﷺ بمجنون. وهذا أيضاً من جواب القسم أقسم على أن القرآن نزل به جبريل، وأن محمداً ليس كما يقوله أهل مكة، وذلك أنهم قالوا إنه مجنون، وما يقول يقوله من عند نفسه.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿**ولقد رآه**﴾ يعني رأى النبي ﷺ جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته التي خلق فيها ﴿**بالأفق المبين**﴾ يعني بالأفق الأعلى من ناحية المشرق حيث تطلع الشّمس، وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل عليه الصّلاة والسّلام «إني أحب أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السّماء قال: لن تقوى على ذلك قال، بلى قال فأين تشاء أن أتخيل لك قال بالأبطح، قال لا يسعني ذلك، قال: فبمنى قال لا يسعني ذلك قال فبعرفات، قال: لا يسعني ذلك قال بحراء قال إن يسعني فواعده فخرج النبي ﷺ في ذلك الوقت. فإذا هو بجبريل قد أقبل من حيال عرفات بخشخشة، وكلكلة قد ملأ ما بين المشرق، والمغرب، ورأسه في السماء، ورجلاه في الأرض، فلما رآه النبي ﷺ خر مغشياً عليه، فتحول جبريل عن صورته، وضمه إلى صدره، وقال: يا محمد لا تخف، فكيف لو رأيت إسرافيل، ورأسه تحت العرش، ورجلاه في تخوم الأرض السابعة، وإن العرش لعلى كاهله، وإنه ليتضاءل أحياناً من مخافة الله جلّ جلاله وعلا علاؤه وشأنه حتى يصير كالصّعو، يعني العصفور حتى ما يحمل عرش ربك إلا عظمته» ﴿**وما هو**﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿**على الغيب**﴾ أي الوحي وخبر السّماء، وما اطلع عليه مما كان غائباً عن علمه من القصص والأنباء. ﴿**بضنين**﴾ قرأ بالظاء، ومعناه بمتهم والمظنة التهمة، وقرىء بضنين بالضاد، ومعناه

﴿ **ولقد رآه** ﴾، يعني رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام على صورته، ﴿ **بالأفق المبين** ﴾، وهو الأفق الأعلى من ناحية المشرق، قاله مجاهد وقتادة أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا محمد بن جعفر ثنا الحسن ابن عليوة ثنا إسماعيل بن عيسى ثنا إسحاق بن بشر أنا ابن جريج عن عكرمة بن خالد ومقاتل عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «إني أُحبّ أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء»، قال: لن تقوى على ذلك، قال: «بلى»، قال: فأين تشاء أن أتخيل لك؟ قال: «بالأبطح»، قال: لا يسعني، قال: «فههنا»، قال: لا يسعني، قال: «فبعرفات»، قال: ذلك بالحرّان يسعني فواعده، فخرج النبي ﷺ في الوقت فإذا هو بجبريل قد أقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة، قد ملأ ما بين المشرق والمغرب، ورأسه في السماء ورجلاه في الأرض، فلما رآه النبي ﷺ كبّر وخرّ مغشيّاً عليه. قال: فتحوّل جبريل في صورته فضمّه إلى صدره، وقال: يا محمد لا تخف فكيف لو رأيت إسرافيل ورأسه من تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض السابعة، وأن العرش لعلى كاهله، وإنه ليتضاءل أحياناً من مخافة الله عزّ وجلّ حتى يصير مثل الصعو يعني العصفور، حتى ما يحمل عرش ربّك إلّا عظمته.

﴿ **وما هو** ﴾، يعني محمداً ﷺ، ﴿ **على الغيب** ﴾، أي الوحي، وخبر السماء وما أطلع عليه مما كان غائباً عنه من الأنباء والقصص، ﴿ **بضنين** ﴾، قرأ أهل مكة والبصرة والكسائي بالظاء أي بمتّهم، يقال: فلان يظن بمال ويزن أي يتّهم به والظنّة التهمة، وقرأ الآخرون بالضاد أي يبخل يقول إنه يأتيه علم الغيب فلا يبخل به عليكم بل يعلمكم ويخبركم به، ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلواناً، تقول العرب: ضننت بالشيء بكسر النون أضنّ به ضنّاً وضنانةً فأنا به ضنين أي بخيل.

﴿ **وما هو** ﴾، يعني القرآن، ﴿ **بقول شيطان رجيم** ﴾، قال الكلبي: يقول إن القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش.

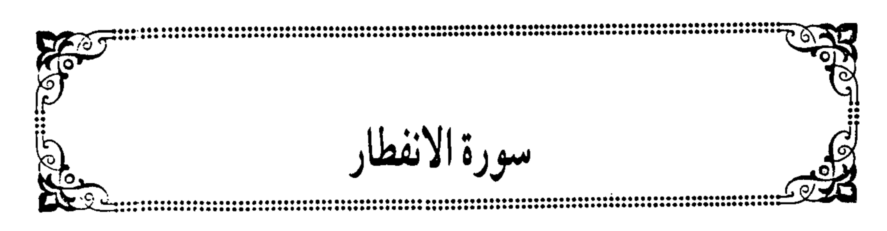
ببخيل يقول إنه يأتيه علم الغيب، ولا يبخل به عليكم، ويخبركم به، ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلواناً، وهو أجرة الكاهن، وقراءة الظاء أولى لأنهم لم يبخلوه، وإنما اتهموه، فنفى الله عنه تلك التهمة، ولو أراد البخل لقال وما هو بالغيب. ﴿**وما هو**﴾ يعني القرآن ﴿**بقول شيطان رجيم**﴾ يعني إن القرآن ليس بشعر، ولا كهانة كما قالت قريش، وقيل كانوا يقولون إن شيطاناً يلقيه على لسانه، فنفى الله ذلك عنه، ﴿**فأين تذهبون**﴾ أي فأين تعدلون عن القرآن، وفيه الشفاء، والهدى، والبيان، وقيل معناه أي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم. ﴿**إن هو**﴾ يعني ما في القرآن ﴿**إلا ذكر للعالمين**﴾ أي موعظة للخلق أجمعين ﴿**لمن شاء منكم أن يستقيم**﴾ أي يتبع الحق، ويقيم عليه، وينتفع به ثم بين أن مشيئة العبد موقوفة بمشيئته فقال تعالى: ﴿**وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين**﴾ أعلمهم الله أن المشيئة في التوفيق للاستقامة إليه، وأنهم لا يقدرون على ذلك إلا بمشيئة الله، وتوفيقه، وفيه إعلام أن أحداً لا يعمل خيراً إلا بتوفيق الله تعالى؛ ولا شراً إلا بخذلانه، ومشيئته والله تعالى أعلم.

﴿ **فأين تذهبون** ﴾، أي أين تعدلون عن هذا القرآن، وفيه الشفاء والبيان قال الزجّاج: أي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي قد بيّنت لكم.

ثم بيّن فقال: ﴿ **إنْ هو** ﴾، أي ما القرآن، ﴿ **إلّا ذكرٌ للعالمين** ﴾، موعظة للخلق أجمعين.

﴿ **لمَن شاء منكم أن يستقيم** ﴾، أي يتبع الحق ويقيم عليه.

﴿ **وما تشاؤون إلّا أن يشاء الله ربّ العالمين** ﴾، أي أعلمهم أن المشيئة في التوفيق إليه وأنهم لا يقدرون على ذلك إلّا بمشيئة الله وفيه إعلام أن أحداً لا يعمل خيراً إلّا بتوفيق الله ولا شرّاً إلّا بخذلانه.



سورة الانفطار

مكية وهي تسع عشرة آية وثمانون كلمة وثلاثمائة وسبعة وعشرون حرفاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ
مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾

قوله عز وجل: ﴿**إذا السّماء انفطرت**﴾ أي انشقت ﴿**وإذا الكواكب انتثرت**﴾ أي تساقطت ﴿**وإذا البحار فجرت**﴾ أي فجر بعضها في بعض واختلط العذب بالملح، فصارت بحراً واحداً، وقيل معنى فجرت فاضت. ﴿**وإذا القبور بعثرت**﴾ أي بحثرت، وقلب ترابها وبعث من فيها منه الموتى أحياء. ﴿**علمت نفس ما قدمت وأخرت**﴾ يعني علمت في ذلك اليوم ما قدمت من عمل صالح، أو سيىء، وأخرت بعدها من حسنة أو سيئة، وقيل ما قدمت من الصّدقات وأخرت من الزّكوات، وهذه أحوال يوم القيامة. قوله عز وجل: ﴿**يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم**﴾ أي ما خدعك، وسول لك الباطل حتى صنعت ما صنعت، وضيعت ما أوجب عليك، والمعنى ماذا أمنك من عقابه، قيل

سُوْرَةَ الانفطار

مكيّة وهي تسع عشرة آية.

﴿ **إذا السماء انفطرت** ﴾، انشقّت.

﴿ **وإذا الكواكب انتثرت** ﴾، تساقطت.

﴿ **وإذا البحار فجرت** ﴾، فجّر بعضها في بعض واختلط العذب بالملح فصارت بحراً واحداً. وقال الربيع: فجرت فاضت.

﴿ **وإذا القبور بعثرت** ﴾، بحثرت وقلب ترابها وبعث مَن فيها من الموتى أحياءً، يقال: بعثرت الحوض وبحثرته إذا قلبته فجعلت أسفله أعلاه.

﴿ **علمت نفسٌ ما قدّمت وأخّرت** ﴾، قيل ما قدّمت من عمل صالح أو سيىء، وما أخّرت من سنة حسنة أو سيئة. وقيل: ما قدّمت من الصدقات وأخّرت من التّركات، على ما ذكرنا في قوله: ﴿ ينبأ الإنسان يومئذ بما قدّم وأخّر ﴾ [القيامة: ١٣].

﴿ **يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم** ﴾، ما خدعك وسوَّل لك الباطل حتى أضعت ما وجب عليك، والمعنى: ماذا أمنك من عقابه؟ قال عطاء: نزلت في الوليد بن المغيرة. وقال الكلبي ومقاتل: نزلت في أبي الشريق

نزلت في الوليد بن المغيرة، وقيل في أبي الشّريق، واسمه أسيد بن كلدة، وقيل كلدة بن خلف، وكان كافراً ضرب النبي ﷺ فلم يعاقبه الله وأنزل الله هذه الآية، وقيل الآية عامة في كل كافر، وعاص يقول ما الذي غرك، قيل غره حمقه، وجهله وقيل تسويل الشّيطان له، وقيل غره عفو الله عنه حيث لم يعاجله بالعقوبة في أول مرة بربك الكريم، أي المتجاوز عنك، فهو بكرمه لك لم يعاجلك بعقوبته بل بسط لك المدة لرجاء التّوبة. قال ابن مسعود «ما منكم من أحد إلا سيخلو الله عز وجل به يوم القيامة. فيقول: يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم! ماذا عملت؟ فيما علمت يا ابن آدم؟ ماذا أجبت المرسلين»، وقيل للفضيل بن عياض لو أقامك الله يوم القيامة فيقول لك يا ابن آدم ما غرك بربك الكريم؛ ماذا كنت تقول. قال: أقول غرني ستورك المرخاة، وقال يحيى بن معاذ: لو أقامني بين يديه، وقال ما غرك بي أقول غرني بربك بي سالفاً وآنفاً، وقال أبو بكر الوراق لو قال لي ما غرك بربك الكريم لقلت غرني كرم الكريم، وقال بعض أهل الإشارة. إنما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه، وصفاته كأنه لقنه حجته في الإجابة حتى يقول غرني كرم الكريم.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥﴾

﴿**الذي خلقك**﴾ أي أوجدك من العدم إلى الوجود ﴿**فسواك**﴾ أي جعلك سوياً سالم الأعضاء، تسمع وتبصر ﴿**فعدلك**﴾ أي عدل خلقك في مناسبة الأعضاء فلم يجعل بعضها أطول من بعض، وقيل معناه جعلك قائماً معتدلاً حسن الصّورة، ولم يجعلك كالبهيمة المنحنية ﴿**في أي صورة ما شاء ركبك**﴾ أي في أي شبه من أب أو أم أو خال أو عم، وجاء في الحديث «إن النطفة إذا استقرت في الرحم. أحضر كل عرق بينه وبين آدم ثم قرأ: ﴿**في أي صورة ما**

ضرب النبي ﷺ فلم يعاقبه الله عزّ وجلّ، فأنزل الله هذه الآية يقول: ما الذي غرّك بربك الكريم المتجاوز عنك إذ لم يعاقبك عاجلاً بكفرك؟ قال قتادة: غرّه عدوّه المسلّط عليه يعني الشيطان. قال مقاتل: غرّه عفو الله حين لم يعاقبه في أول مرة. وقال السدي: غرّه رفق الله به. وقال ابن مسعود: ما منكم من أحد إلّا سيخلو الله به يوم القيامة. فيقول: يا ابن آدم ما غرّك بي؟ يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟ وقيل للفضيل بن عياض: لو أقامك الله يوم القيامة فقال: يا فضيل ما غرّك بربّك الكريم؟ ماذا كنت تقول؟ قال: أقول غرّني ستورك المرخاة. وقال يحيىٰ بن معاذ لو أقامني بين يديه فقال: يا يحيىٰ ما غرّك بي؟ قلت: غرّني بك برّك بي سالفاً وآنفاً. وقال أبو بكر الورّاق: لو قال لي: ما غرّك بربك الكريم؟ لقلت: غرّني بك كرم الكريم. قال بعض أهل الإشارة: إنما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقّنه الإجابة حتى يقول: غرّني كرم الكريم.

﴿ **الذي خلقك فسوّاك فعدلك** ﴾، قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر ﴿ **فَعَدَلَكَ** ﴾ بالتخفيف فصرفك وأمالك إلى أيّ صورة شاء حسناً وقبيحاً وطويلاً وقصيراً. وقرأ الآخرون بالتشديد أي قومك وجعلك معتدل الخلق والأعضاء.

﴿ **في أيّ صورة ما شاء ركّبك** ﴾، قال مجاهد والكلبي ومقاتل: في أيّ شبه من أب أو أُم أو خال أو عم وجاء في الحديث أن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضر كل عرق بينه وبين ابن آدم ثم قرأ ﴿ **في أيّ صورة ما شاء ركّبك** ﴾، وذكر الفرّاء والزجّاج قولاً آخر ﴿ **في أيّ صورة ما شاء ركّبك** ﴾ إمّا طويلاً أو قصيراً أو حسناً أو غير ذلك. قال عكرمة وأبو صالح في أيّ صورة ما شاء ركّبك، إن شاء في صورة إنسان وإن شاء في صورة دابّة، أو حيوان آخر.

شاء ركبك﴾»، وقيل معناه إن شاء ركبك في صورة إنسان، وإن شاء في صورة دابة أو حيوان، وقيل في أي صورة ما شاء ركبك من الصور المختلفة بحسب الطول، والقصر، والحسن، والقبح والذكورة، والأنوثة، وفي هذه دلالة على قدرة الصانع المختار القادر. وذلك أنه لما اختلفت الهيئات، والصفات دل ذلك على كمال القدرة، واتساع الصنعة، وأن المدبر المختار هو الله تعالى.

قوله عز وجل: ﴿**كلا بل تكذبون بالدين**﴾ أي بيوم الحساب والجزاء ﴿**وإن عليكم لحافظين**﴾ يعني رقباء من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم ﴿**كراماً**﴾ أي على الله ﴿**كاتبين**﴾ أي يكتبون أقوالكم وأعمالكم ﴿**يعلمون ما تفعلون**﴾ يعني من خير أو شر. قوله عز وجل ﴿**إن الأبرار**﴾ يعني الذين بروا وصدقوا في إيمانهم بأداء ما افترض الله عليهم، واجتناب معاصيه. ﴿**لفي نعيم**﴾ يعني نعيم الجنة ﴿**وإن الفجار لفي جحيم**﴾ روي أن سليمان بن عبد الملك قال: لأبي حازم المزني ليت شعري ما لنا عند الله، فقال له: اعرض عملك على كتاب الله، فإنك تعلم ما لك عند الله، قال: أين أجد ذلك في كتاب الله؟ قال: عند قوله ﴿**إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم**﴾ قال سليمان فأين رحمة الله قال قريب من المحسنين ﴿**يصلونها يوم الدين**﴾ يعني يوم القيامة لأنه يوم الجزاء.

وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

﴿**وما هم عنها بغائبين**﴾ أي عن النّار ثم عظم شأن ذلك اليوم فقال تعالى: ﴿**وما أدراك ما يوم الدين**﴾ قيل

﴿ **كلا بل تكذبون** ﴾، قرأ أبو جعفر بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء لقوله: ﴿ **وإنّ عليكم لحافظين** ﴾، ﴿ **بالدين** ﴾، بالجزاء والحساب.

﴿ **وإنّ عليكم لحافظين** ﴾، رقباء من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم.

﴿ **كراماً** ﴾ على الله، ﴿ **كاتبين** ﴾، يكتبون أقوالكم وأعمالكم.

﴿ **يعلمون ما تفعلون** ﴾، من خير أو شرّ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **إنّ الأبرار لفي نعيم** ﴾، الأبرار الذين برّوا وصدقوا في إيمانهم بأداء فرائض الله عزّ وجلّ واجتناب معاصيه.

﴿ **وإنّ الفجّار لفي جحيم** ﴾، رُوِيَ أن سليمان بن عبد الملك قال لأبي حازم المزني: ليت شعري ما لنا عند الله؟ قال: أعرض عملك على كتاب الله فإنك تعلم ما لك عند الله؟ فقال: فأين أجده في كتاب الله؟ فقال عند قوله: ﴿ **إن الأبرار لفي نعيم * وإن الفجّار لفي جحيم** ﴾، قال سليمان فأين رحمة الله؟ قال: ﴿ قريب من المحسنين ﴾ [الأعراف: ٥٦].

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **يصلونها** ﴾، يدخلونها، ﴿ **يوم الدين** ﴾، يوم القيامة.

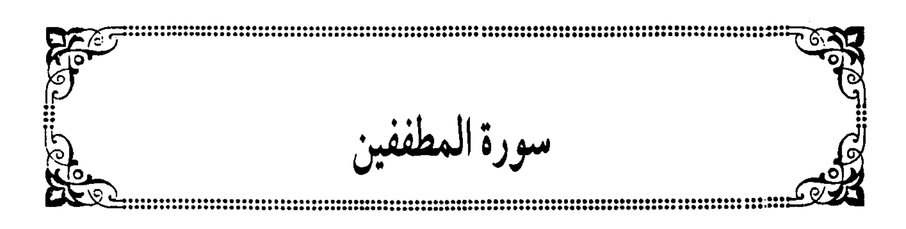
﴿ **وما هم عنها بغائبين** ﴾.

ثم عظم ذلك اليوم، فقال: ﴿ **وما أدراك ما يوم الدين** ﴾، كرّر تفخيماً لشأنه.

فقال: ﴿ **ثم ما أدراك ما يوم الدين * يوم لا تملك** ﴾، قرأ أهل مكة والبصرة يوم برفع الميم ردّاً على اليوم

المخاطب بذلك هو الكافر، وهو على وجه الزّجر له، وقيل هو خطاب للنبي ﷺ: والمعنى أي شيء أعلمك به لو لم نعرفك أحواله **﴿ثم ما أدراك ما يوم الدين﴾** التكرير لتعظيم ذلك اليوم، وتفخيم شأنه **﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً﴾** أي لا **تملك** نفس كافرة لنفس كافرة شيئاً من المنفعة **﴿والأمر يومئذ لله﴾** يعني أنه لم يملك الله في ذلك أحداً شيئاً كما ملكهم في الدنيا، والله أعلم.

الأول، وقرأ الآخرون بنصبها أي في يوم يعني هذه الأشياء في يوم لا تملك. **﴿ نفسٌ لنفسٍ شيئاً ﴾**، قال مقاتل: يعني **لنفس** كافرة شيئاً من المنفعة، **﴿ والأمر يومئذ لله ﴾**، أي يوم لا يُملّك الله في ذلك اليوم أحداً شيئاً كما ملّكهم في الدنيا.



سورة المطففين

مدنية في قول ومكية في قول: وقيل فيها ثمان آيات مكية وهي من قوله: ﴿إن الذين أجرموا﴾ إلى آخرها، وقيل فيها آية مكية، وهي قوله تعالى: ﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾ وقيل إنها نزلت بين مكة، والمدينة زمن الهجرة، وهي ست وثلاثون آية ومائة وتسع وستون كلمة وسبعمائة وثلاثون حرفاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾

قوله عز وجل: ﴿ويل﴾ أي قبح وهي كلمة تذكر عند وقوع البلاء، يقال ويل له وويل عليه، وقيل ويل إسم واد في جهنم ﴿للمطففين﴾ يعني الذين ينقصون المكيال والميزان لأنه لا يكاد المطفف يسرق في الكيل والوزن، إلا الشيء اليسير الطّفيف قال ابن عباس: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث النّاس كيلاً. فأنزل الله عز وجل: ﴿ويل للمطففين﴾ فأحسنوا الكيل، وقيل لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وبها رجل يقال له أبو جهينة، ومعه صاعان يكيل بأحدهما، ويكتال بالآخر، فأنزل الله هذه الآية وجعل الويل للمطففين ثم بين من هم. فقال تعالى: ﴿الذين إذا اكتالوا على النّاس يستوفون﴾ يعني أنهم إذا اكتالوا من النّاس، ومن وعلى يتعاقبان، وقيل معناه إذا اكتالوا من النّاس، أي اشتروا شيئاً استوفوا عليهم لأنفسهم الكيل والوزن.

سُوْرَة المُطفِّفِيْن

مكيّة أو مدنيّة وهي ستّ وثلاثون آية.

﴿ ويلٌ للمطفّفين ﴾، يعني الذين ينقصون المكيال والميزان ويبخسون حقوق الناس. قال الزجّاج: إنما قيل للذي ينقص المكيال والميزان مطفّف لأنه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان إلاّ الشيء اليسير الطفيف. أخبرنا أبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد علي الصيرفي ثنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي أنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ ثنا عبد الرحمن بن بشر ثنا علي بن الحسين بن واقد حدّثني أبي حدّثني يزيد النحوي أن عكرمة حدّثه عن ابن عباس قال: لمّا قَدِمَ رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ ويلٌ للمطففين ﴾ فأحسنوا الكيل. وقال السدي: قَدِمَ رسول الله ﷺ المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله هذه الآية، فالله تعالى جعل الويل للمطفّفين.

ثم بيّن أن المطففين مَن هم فقال: ﴿ الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ﴾، وأراد إذا اكتالوا من الناس أي أخذوا منهم، و(مَنْ)، و(عَلى) يتعاقبان. قال الزجّاج: المعنى إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل، وأراد الذين إذا اشتروا لأنفسهم استوفوا في الكيل والوزن.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٦ كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾

﴿وإذ كالوهم أو وزنوهم﴾ يعني وإذا كالوا لهم أو وزنوا لهم للناس كما يقال نصحتك ونصحت لك. **﴿يخسرون﴾** أي ينقصون الكيل والوزن وهذا الوعيد يلحق من يأخذ لنفسه زائداً ويدفع إلى غيره ناقصاً، ويتناول الوعيد القليل والكثير لكن إذا لم يتب، منه فإن تاب منه ورد الحقوق إلى أهلها قبلت توبته ومن فعل ذلك، وأصر عليه كان مصراً على كبيرة من الكبائر، وذلك لأن عامة الخلق محتاجون إلى المعاملات وهي مبنية على أمر الكيل والوزن والذرع، فلهذا السبب عظم الله أمر الكيل والوزن، قال نافع: كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول له اتق الله أوف الكيل والوزن، فإن المطففين يوقفون يوم القيامة حتى يلجمهم العرق، وقال قتادة: أوف يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك، واعدل كما تحب أن يعدل لك قال الفضيل: بخس الميزان سواد يوم القيامة. **﴿ألا يظن﴾** أي ألا يعلم ويستيقن **﴿أولئك﴾** أي الذين يفعلون هذا الفعل، وهم المطففون **﴿أنهم مبعوثون ليوم عظيم﴾** يعني يوم القيامة **﴿يوم يقوم النّاس﴾** يعني من قبورهم **﴿لرب العالمين﴾** أي لأمره وجزائه وحسابه (ق) عن نافع «أن ابن عمر تلا **﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم النّاس لرب العالمين﴾**، قال يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه»، وروي مرفوعاً عن المقداد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «تدنو الشّمس من رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى تكون منهم

﴿ وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴾، أي كالوا لهم أو وزنوا لهم أي للناس يقال وزنتك حقك وكلتك طعامك أي وزنت لك وكلت لك كما يقال نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك كتبك وكتبت لك. قال أبو عبيدة وكان عيسى بن عمر يجعلهما حرفين يقف على (كالوا أو وزنوا) ويبتدىء (هم يخسرون) قال أبو عبيدة: والاختيار الأولى يعني أن كل واحدة كلمة واحدة، لأنهم كتبوهما بغير ألف، ولو كانتا مقطوعتين لكتب: (كالوا أو وزنوا) بالألف كسائر الأفعال مثل جاؤوا وقالوا: واتفقت المصاحف على إسقاط الألف، ولأنه يقال في اللغة: كلتك وزنتك كما يقال كلت لك وزنت لك. وقوله: **﴿ يخسرون ﴾** أي ينقصون، قال نافع: كان ابن عمر يمرّ بالبائع فيقول اتّق الله أوفِ الكيل والوزن، فإن المطففين يوقفون يوم القيامة حتى إن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم.

﴿ ألا يظن ﴾، يستيقن، **﴿ أولئك ﴾**، الذين يفعلون ذلك، **﴿ أنهم مبعوثون * ليوم عظيم ﴾**، يعني يوم القيامة.

﴿ يوم يقوم الناس ﴾، من قبورهم، **﴿ لربّ العالمين ﴾**، أي لأمره ولجزائه ولحسابه، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا إبراهيم بن المنذر أنا معن حدّثني مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «يقوم الناس لربّ العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه». أخبرني أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشميهني أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث ثنا محمد بن يعقوب الكسائي ثنا عبد الله بن محمود ثنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد عن جابر حدّثني سليم بن عامر حدّثني المقداد صاحب رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين»، قال سليم: لا أدري أيّ الميلين يعني مسافة الأرض أو الميل الذي تكحل به العين، قال: «فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق بقدر أعمالهم، فمنهم مَن يأخذه إلى عقبيه ومنهم مَن يأخذه إلى ركبتيه ومنهم مَن يأخذه إلى حقويه،

كمقدار ميل» زاد الترّمذي أو ميلين «قال سليم بن عامر والله ما أدري ما يعني بالميل مسافة الأرض، أو الميل ما تكتحل به العين قال فيكون النّاس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً، وأشار رسول الله ﷺ بيديه إلى فيه» قوله عز وجل: ﴿كلا﴾ قيل إنه ردع وتنبيه أي ليس الأمر على ما هم عليه من بخس الكيل والميزان، فليرتدعوا عنه فعلى هذا تم الكلام هنا، وقيل كلا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقاً ﴿إن كتاب الفجار﴾ أي الذي كتبت فيه أعمالهم ﴿لفي سجين﴾ قال ابن عمر هي الأرض السابعة السفلى، وفيها أرواح الكفار وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن البراء قال: قال رسول الله ﷺ «سجين أسفل سبع أرضين وعليون في السماء السابعة تحت العرش» وقال شمر بن عطية: جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار فقال أخبرني عن قول الله عز وجل ﴿إن كتاب الفجار لفي سجين﴾ قال إن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء، فتأبى السماء أن تقبلها ثم يهبط بها إلى الأرض، فتأبى أن تقبلها فتدخل تحت سبع أرضين حتى ينتهي بها إلى سجين، وهو موضع جند إبليس فيخرج لها من سجين رق، فليقم ويختم ويوضع تحت جند إبليس لمعرفتها الهلاك بحساب يوم القيامة، وقيل هي صخرة تحت الأرض السابعة السفلى خضراء خضرة السماء منها فتقلب، ويجعل كتاب الفجار تحتها، قال وهب: هي آخر سلطان إبليس وجاء في الحديث «الفلق جب في جهنم مغطى وسجين جب في جهنم مفتوح»، وقيل معناه لفي سجين لفي خسار وضلال، وقيل إنه مشتق من السجن، ومعناه لفي حبس وضيق شديد.

وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا

ومنهم مَن يلجمه إلجاماً» فرأيت رسول الله ﷺ، وهو يشير بيده إلى فيه يقول: «يلجمه إلجاماً».

قوله عزّ وجلّ: ﴿ كلا ﴾، ردع أي ليس الأمر على ما هم عليه فليرتدعوا، وتمام الكلام ههنا، وقال الحسن: كلّا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقاً، ﴿ إنّ كتاب الفجار ﴾، الذي كتبت فيه أعمالهم، ﴿ لفي سجين ﴾، قال عبد الله بن عمرو وقتادة ومجاهد والضحاك: ﴿ سجين ﴾ هي الأرض السابعة السفلى فيها أرواح الكفّار. أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا الحسين بن محمد بن فنجويه: ثنا موسى بن محمد ثنا الحسن بن علويه أنا إسماعيل بن عيسى ثنا المسيب ثنا الأعمش عن المنهال عن زاذان عن البراء قال: قال رسول الله ﷺ سجين أسفل سبع أرضين، وعليون في السماء السابعة تحت العرش. وقال سمرة بن عطية: جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار فقال: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ إن كتاب الفجار لفي سجين ﴾، فقال: إن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها ثم تهبط بها إلى الأرض، فتأبى الأرض أن تقبل فتدخل تحت سبع أرضين حتى ينتهي بها إلى سجين، وهو موضع جند إبليس، فيخرج لها من سجين من تحت جند إبليس رقّ فيرقم ويختم ويوضع تحت جند إبليس، لمعرفتها الهلاك بحساب يوم القيامة، وإليه ذهب سعيد بن جبير، قال: سجين تحت جند إبليس. وقال عطاء الخراساني: هي الأرض السفلى، وفيها إبليس وذريّته، وقال الكلبي: هي صخرة تحت الأرض السابعة السفلى خضراء، وخضرة السماء منها يجعل كتاب الفجّار تحتها. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد أيضاً قال: سجين صخرة تحت الأرض السفلى تقلب فيجعل كتاب الفجار فيها. وقال وهب: هي آخر سلطان إبليس. وجاء في الحديث: «الفلق حبٌّ في جهنم مغطى، وسجين حبٌّ في جهنّم مفتوح». وقال عكرمة: ﴿ لفي سجين ﴾ أي لفي خسار وضلال. وقال الأخفش: هو فعيل من السجن، كما يقال: فسيق وشريب، معناه لفي حبس وضيق شديد.

﴿كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾

﴿وما أدراك ما سجين﴾ أي ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت، ولا قومك، وقيل إنما قال ذلك تعظيماً لأمر سجين **﴿كتاب مرقوم﴾** ليس هذا تفسيراً للسجن وإنما هو بيان للكتاب المذكور في قوله **﴿إن كتاب الفجار﴾** والمعنى إن كتاب الفجار مرقوم أي مكتوب فيه أعمالهم مثبتة عليهم كالرقم في الثّوب لا ينسى ولا يمحى حتى يحاسبوا به، ويجازوا عليه، وقيل مرقوم رقم عليه بشر كأنه علم بعلامة يعرف بها أنه كافر، وقيل مرقوم أي مختوم وهو بلغة حمير **﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾** قيل إنه متصل بقوله يوم يقوم النّاس لرب العالمين ومعنى الآية ويل لمن كذب بهذا اليوم، وقيل معناه مرقوم بالشّقاوة، ثم قال ويل يومئذ للمكذبين أي في ذلك اليوم من ذلك الكتاب المرقوم عليهم بالشقاوة **﴿الذين يكذبون بيوم الدين﴾** أي بيوم القيامة لأنه يوم الجزاء **﴿وما يكذب به﴾** أي بيوم القيامة **﴿إلا كل معتد﴾** أي متجاوز عن نهج الحق **﴿أثيم﴾** هو مبالغة في الآثم وهو المرتكب الإثم والمعاصي **﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾** أي أكاذيب الأولين.

قوله عز وجل: **﴿كلا﴾** أي لا يؤمن ثم استأنف فقال **﴿بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾** عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «إن العبد إن أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي قال الله: **﴿بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾**» أخرجه التّرمذي وقال: حديث حسن صحيح وأصل الرّان الغلبة ومعنى الآية أن الذّنوب والمعاصي غلبت على قلوبهم وأحاطت بها، وقيل هو الذنب على الذّنب حتى يميت القلب وقال ابن عباس: ران على قلوبهم طبع عليها، وقيل الرين أن يسود القلب من الذّنوب، والطّبع أن يطبع على القلب وهو أشد من الرّين والإقفال أشد من الطّبع وقيل الرّين التغطية، والمعنى أنه يغشى القلب شيء كالصدى فيغطيه فعند ذلك يموت القلب.

﴿ وما أدراك ما سجين ﴾، قال الزجّاج: أي ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك.

﴿ كتاب مرقوم ﴾، ليس هذا تفسير السجين بل هو بيان الكتاب المذكور في قوله: إن كتاب الفجّار أي هو كتاب الفجّار مرقوم أي هو كتاب مرقوم، أي مكتوب فيه أعمالهم مثبتة عليهم كالرقم في الثوب، لا يُنسى ولا يُمحى حتى يُجازوا به. وقال قتادة ومقاتل: رقم عليه بشركائه عُلِّم بعلامة يُعرَف بها أنه كافر. وقيل: مختوم بلغة حمير.

﴿ ويلٌ يومئذ للمكذبين * الذين يكذبون بيوم الدين * وما يكذب به إلاّ كل معتدٍ أثيم * إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأوّلين ﴾.

﴿ كلا ﴾، قال مقاتل: أي لا يؤمنون، ثم استأنف فقال: **﴿ بلْ رانَ على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾**، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي ثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي أنا إبراهيم بن حزيم الشاشي أنا أبو محمد عبد الله بن حميد الكمنتي ثنا صفوان بن عيسى عن ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه»، فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه: **﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾**. وأصل الرين الغلبة، يقال: رانت الخمر على عقله ترين ريناً وريوناً إذا غلبت عليه حتى سكر، ومعنى الآية: غلبت على قلوبهم المعاصي وأحاطت بها. قال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب. قال ابن عباس: ران على قلوبهم طبع عليها.

﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٧ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠﴾

﴿كلا﴾ قال ابن عباس يريد لا يصدقون وقيل معناه ليس الأمر كما يقولون إن لهم في الآخرة خيراً ثم استأنف فقال تعالى: ﴿إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ قيل عن كرامته ورحمته ممنوعون، وقيل إن الله لا ينظر إليهم ولا يزكيهم وهذا التّفسير فيه ضعف أما حمله على منع الكرامة والرّحمة فهو عدول عن الظّاهر بغير دليل، وكذا الوجه الثاني فإن من حجب عن الله فإن الله لا ينظر إليه نظر رحمة، ولا يزكيه والذي ذهب إليه أكثر المفسرين أنهم محجوبون عن رؤية الله، وهذا هو الصّحيح واحتج بهذه الآية من أثبت الرّؤية للمؤمنين قالوا: لولا ذلك لم يكن للتّخصيص فائدة، ووجه آخر وهو أنه تعالى ذكر الحجاب في معرض الوعيد والتّهديد للكفار، وما يكون وعيداً وتهديداً للكفار لا يجوز حصوله في حق المؤمنين، فوجب أن لا يحصل هذا الحجاب في حق المؤمنين قال الحسن: لو علم الزّاهدون والعابدون أنهم لا يرون ربهم في المعاد لزّهقت أنفسهم في الدّنيا.

وقيل كما حجبهم في الدّنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته وسئل مالك عن هذه الآية، فقال: لما حجب الله أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه، وقال الشافعي في قوله ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ دلالة على أن أولياء الله يرون الله جلّ جلاله وعنه كما حجب قوماً بالسّخط دل على أن قوماً يرونه بالرضا، ثم أخبر أن الكفار مع كونهم محجوبون عن الله يدخلون النّار. فقال عز من قائل ﴿ثم إنهم لصالو الجحيم﴾ أي لداخلوا النّار ﴿ثم يقال﴾ أي تقول لهم الخزنة ﴿هذا﴾ أي هذا العذاب ﴿الذي كنتم به تكذبون﴾ يعني في الدنيا ﴿كلا﴾ أي ليس الأمر كما يتوهمه الفجار من إنكار البعث، وقيل كلا أي لا يؤمنون بالعذاب الذي يصلونه، ثم بين محل كتاب الأبرار فقال تعالى: ﴿إن كتاب الأبرار لفي عليين﴾ جمع علي من العلو، وقيل هو موضوع على صفة الجمع لا واحد له من لفظه

﴿ كلا إنهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون ﴾، قال ابن عباس: كلا يريد لا يصدقون، ثم استأنف فقال: ﴿ إنهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون ﴾، قال بعضهم: عن كرامته ورحمته ممنوعون. وقال قتادة: هو ألّا ينظر إليهم ولا يزكّيهم. وقال أكثر المفسّرين: عن رؤيته. قال الحسن: لو علم الزاهدون العابدون أنهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت أنفسهم في الدنيا. قال الحسين بن الفضل كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته. وسُئِلَ مالك عن هذه الآية فقال: لمّا حجب أعداءه فلم يروه تجلّى لأوليائه حتى رأوه. وقال الشافعي رضي الله عنه في قوله: ﴿ كلا إنهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون ﴾: دلالة على أن أولياء الله يرون الله عياناً، ثم أخبر أن الكفّار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار فقال:

﴿ ثم إنهم لصالوا الجحيم ﴾، لداخلوا النار.

﴿ ثم يقال ﴾، أي تقول لهم الخَزَنَة، ﴿ هذا ﴾، أي هذا العذاب، ﴿ الذي كنتم به تكذبون ﴾.

﴿ كلا ﴾، قال مقاتل: لا يؤمن بالعذاب الذي يصلاه، ثم بيّن محل كتاب الأبرار فقال: ﴿ إنّ كتاب الأبرار لفي علّيين ﴾، روينا عن البراء مرفوعاً: «أن علّيين في السماء السابعة تحت العرش». وقال ابن عباس: هو لوح من زبرجدة خضراء معلّق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه، وقال كعب وقتادة: هو قائمة العرش اليمنى. وقال عطاء عن ابن عباس: هو الجنة. وقال الضحاك: سدرة المنتهى، وقال بعض أهل المعاني: علو بعد علو وشرف بعد شرف، ولذلك جمعت بالياء والنون. وقال الفرّاء: هو اسم موضوع على صيغة الجمع لا واحد له من لفظه مثل عشرين وثلاثين.

وتقدم من حديث البراء المرفوع إن عليين في السّماء السابعة تحت العرش وقال ابن عباس: هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه، وقيل هو قائمة العرش اليمنى وقال ابن عباس في رواية عنه هي الجنة، وقيل هي سدرة المنتهى، وقيل معناه علو بعد علو وشرف بعد شرف، وقيل هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة وقد عظّمها الله وأعلاها. ﴿وما أدراك ما عليون﴾ تنبيهاً له على عظم شأنه ﴿كتاب مرقوم﴾ ليس تفسير العليين، والمعنى أن كتاب الأبرار كتاب مرقوم في عليين فيه ما أعد لهم في الآخرة من الكرامة، وقيل مكتوب فيه أعمالهم وعليون محل الملائكة وضده سجين، وهو محل إبليس وجنوده.

﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾

﴿**يشهده المقربون**﴾ يعني الملائكة الذين هم في عليين يشهدون، أي يحضرون ذلك المكتوب ومن قال أنه كتاب الأعمال قال: يشهد ذلك الكتاب إذا صعد به إلى عليين المقربون من الملائكة لكرامة المؤمن.

قوله تعالى: ﴿**إن الأبرار**﴾ يعني المطيعين لله ﴿**لفي نعيم**﴾ يعني نعيم الجنة ﴿**على الأرائك**﴾ جمع أريكة وهي الأسرة في الحجال ﴿**ينظرون**﴾ أي إلى ما أعد الله لهم من نعيم الجنة، وقيل ينظرون إلى أعدائهم كيف يعذبون في النّار، وقيل ينظرون إلى ربهم سبحانه وتعالى ﴿**تعرف في وجوههم نضرة النعيم**﴾ يعني أنك إذا رأيتهم تعرف أنهم من أهل النعمة لما ترى على وجوههم من النّور والحسن والبياض، قيل النضرة في الوجه والسرور في القلب ﴿**يسقون من رحيق**﴾ يعني الخمر الصّافية الطّيبة البيضاء ﴿**مختوم**﴾ يعني ختم على ذلك الشراب ومنع من أن تمسه الأيدي إلى أن يفك ختمه الأبرار.

فإن قلت قد قال في سورة محمد ﷺ ﴿**وأنهار من خمر**﴾ والنهر لا يختم عليه فكيف طريق الجمع بين الآيتين، قلت يحتمل أن يكون المذكور في هذه الآية. في أوان مختوم عليها، وهي غير تلك الخمر التي في الأنهار، وإنما ختم

﴿ **وما أدراك ما عليون * كتاب مرقوم** ﴾، ليس هذا بتفسير علّيّين هو بيان الكتاب المذكور في قوله: ﴿ **إن كتاب الأبرار لفي علّيّين** ﴾، أي مكتوب أعمالهم كما ذكرنا في كتاب الفجّار، وقيل: كتب هناك ما أعدّ الله لهم من الكرامة، وهو معنى قول مقاتل، وقيل: رقم لهم بخير وتقدير الآية على التقديم والتأخير مجازها: إنّ كتاب الأبرار كتاب مرقوم في علّيّين، وهو محل الملائكة، ومثله كتاب الفجّار كتاب مرقوم في سجين، وهو محل إبليس وجنده.

﴿ **يشهده المقرّبون** ﴾، يعني الملائكة الذين في علّيّين يشهدون ويحضرون ذلك المكتوب، وذلك الكتاب إذا صعد به إلى علّيّين.

﴿ **إن الأبرار لفي نعيم * على الأرائك ينظرون** ﴾، إلى ما أعطاهم الله من الكرامة والنعمة، وقال مقاتل: ينظرون إلى عدوّهم كيف يعذّبون.

﴿ **تعرف في وجوههم نضرة النعيم** ﴾، إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعمة مما ترى في وجوههم من النور والحُسْن والبياض، قال الحسن: النضرة في الوجه والسرور في القلب، وقرأ أبو جعفر ويعقوب ﴿ **تعرف** ﴾ بضمّ التاء وفتح الراء على غير تسمية الفاعل ﴿ **نضرة** ﴾ رفع وقرأ الباقون بفتح التاء وكسر الراء ﴿ **نضرة** ﴾ نصب.

﴿ **يسقون من رحيق** ﴾، خمر صافية طيبة قال مقاتل: الخمر البيضاء. ﴿ **مختوم** ﴾، ختم ومنع من أن تمسّه

عليها لشرفها ونفاستها ﴿ختامه مسك﴾ أي طينته التي ختم عليه بها مسك بخلاف خمر الدّنيا فإن ختامها طين وقال ابن مسعود مختوم أي ممزوج ختامه أي آخر طعمه، وعاقبته مسك، وقيل يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ أي فليرغب الرّاغبون بالمبادرة إلى طاعة الله عز وجل، ليحصل لهم هذا الشّراب المختوم بالمسك وقيل أصله من الشيء النّفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس، ويريده كل أحد لنفسه وينفس به على غيره أي يضن ويبخل ﴿ومزاجه من تسنيم﴾ أي شراب ينصب عليهم من غرفهم ومنازلهم وقيل يجري في الهواء مسنماً فيصب في أواني أهل الجنة على قدر ملئها فإذا امتلأت أمسك وأصل هذه الكلمة من العلو ومنه سنام البعير لأنه أعلاه، وقيل هو شراب اسمه تسنيم وهو من أشرف شراب أهل الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس، هو خالص للمقربين يشربونه صرفاً ويمزج لسائر أهل الجنة، وسئل ابن عباس عن قوله من تسنيم فقال: هذا مما قال الله تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين﴾.

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾

﴿عيناً يشرب بها﴾ أي منها وقيل يشربها ﴿المقربون﴾ أي صرفاً وقوله عز وجل: ﴿إن الذين أجرموا﴾ أي أشركوا يعني كفار قريش أبا جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأصحابهم من مترفي أهل مكة ﴿كانوا من الذين آمنوا﴾ أي من عمار وخباب وصهيب وبلال وأصحابهم من فقراء المؤمنين ﴿يضحكون﴾ أي منهم ويستهزئون

يد إلى أن يفكّ ختمه الأبرار، قال مجاهد: ﴿ مختوم ﴾ أي مطيّن.

﴿ ختامه ﴾، أي طينه، ﴿ مسك ﴾، كأنه ذهب إلى هذا المعنى، قال ابن زيد: ختامه عند الله مسك وختام الدنيا طين. وقال ابن مسعود: مختوم أي ممزوج ختامه أي آخر طعمه، وعاقبته مسك فالمختوم الذي له ختام، أي آخر وختم كل شيء الفراغ منه. وقال قتادة: يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك وقراءة العامّة ﴿ ختامه مسك ﴾ بتقديم التاء، وقرأ الكسائي (خاتمه) وهي قراءة عليّ وعلقمة ومعناهما واحد كما يقال: فلان كريم الطابع والطباع والخاتم والختام آخر كل شيء. ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾، فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله عزّ وجلّ. وقال مجاهد: فليعمل العاملون، نظيره قوله تعالى: ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ [الصّافّات: ٦١]، وقال مقاتل بن سليمان: فليتنازع المتنازعون. وقال عطاء: فليستبق المستبقون، وأصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس، ويريده كل أحد لنفسه وينفس به على غيره، أي يضنّ.

﴿ ومزاجه من تسنيم ﴾، شراب ينصبّ عليهم من علو في غرفهم ومنازلهم، وقيل: يجري في الهواء متسنماً فينصبّ في أواني أهل الجنة على قدر ملئها فإذا امتلأت أمسك وهذا معنى قول قتادة وأصل كلمة السنام من العلو، يقال للشيء المرتفع سنام ومنه سنام البعير. قال الضحاك: هو شراب اسمه تسنيم وهو أشرف الشراب. قال ابن مسعود وابن عباس: هو خالص للمقرّبين يشربونها صرفاً ويمزج لسائر أهل الجنة. وهو قوله: ﴿ ومزاجه من تسنيم ﴾.

﴿ عيناً يشرب بها المقرّبون ﴾، وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سُئِلَ عن قوله: ﴿ من تسنيم ﴾ قال هذا مما قاله الله تعالى: ﴿ فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قرّة أعين ﴾ [السجدة: ١٧]، ﴿ عيناً ﴾ نصبٌ على الحال، ﴿ يشرب بها ﴾ أي منها، وقيل: يشرب بها المقرّبون صرفاً.

بهم ﴿وإذا مروا بهم﴾ يعني مر المؤمنون الفقراء بالكفار الأغنياء ﴿يتغامزون﴾ يعني يتغامز الكفار والغمز الإشارة بالجفن والحاجب أي يشيرون إليها بالأعين استهزاء بهم ﴿وإذا انقلبوا إلى أهلهم﴾ يعني الكفار ﴿انقلبوا فكهين﴾ أي معجبين بما هم فيه، وقيل ينقلبون بذكرهم كأنهم يتفكهون بحديثهم ﴿وإذا رأوهم﴾ يعني رأوا أصحاب محمد ﷺ ﴿قالوا إن هؤلاء لضالون﴾ أي هم في ضلال يأتون محمداً ويرون أنهم على شيء. قال الله عز وجل: ﴿وما أرسلوا﴾ يعني المشركين ﴿عليهم﴾ يعني على المؤمنين ﴿حافظين﴾ أي لأعمالهم والمعنى أنهم لم يوكلوا بحفظ أعمالهم قوله عز وجل: ﴿فاليوم﴾ يعني في الآخرة ﴿الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾ وسبب هذا الضحك أن الكفار لما كانوا في الدّنيا يضحكون من المؤمنين لما هم فيه من الشدة والبلاء فلما أفضوا إلى الآخرة انعكس ذلك الأمر فصار المؤمنون في السرور والنّعيم وصار الكفار في العذاب والبلاء، فضحك المؤمنون من الكافرين لما رأوا حالهم وقال أبو صالح: تفتح للكافرين أبواب النّار وهم فيها ويقال لهم اخرجوا فإذا انتهوا إليها أغلقت دونهم فيفعل ذلك بهم مراراً والمؤمنون ينظرون إليهم ويضحكون منهم وقال كعب بين الجنة والنّار كوى، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدوه في الدّنيا من الكفار اطلع عليه من تلك الكوى وهو يعذب فيضحك منه فذلك قوله تعالى: ﴿فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾.

عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

﴿على الأرائك﴾ جمع أريكة وهو السرير ويتخذ في الحجلة وهي الكلة يزين بها البيت، وأرائك الجنة من الدر

قوله عزّ وجلّ: ﴿ إن الذين أجرموا ﴾، أشركوا يعني كفّار قريش أبا جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأصحابهم من مُتَرَفي مكة، ﴿ كانوا من الذين آمنوا ﴾ عمّار وخبّاب وصُهيب وبلال وأصحابهم من فقراء المؤمنين. ﴿ يضحكون ﴾، وبهم يستهزؤون.

﴿ وإذا مرُّوا بهم ﴾، يعني مرّ المؤمنون بالكفّار، ﴿ يتغامزون ﴾، والغمز الإشارة بالجفن والحاجب، أي يشيرون إليهم بالأعين استهزاءً.

﴿ وإذا انقلبوا ﴾، يعني الكفّار، ﴿ إلى أهلهم انقلبوا فَكِهين ﴾، معجبين بما هم فيه يتفكّهون بذكرهم.

﴿ وإذا رأوهم ﴾، رأوا أصحاب النبي ﷺ، ﴿ قالوا إنّ هؤلاء لضالّون ﴾، يأتون محمداً ﷺ يرون أنهم على شيء.

﴿ وما أرسلوا ﴾، يعني المشركين، ﴿ عليهم ﴾، يعني على المؤمنين، ﴿ حافظين ﴾، أعمالهم أي لم يُوكلوا بحفظ أعمالهم.

﴿ فاليوم ﴾، يعني في الآخرة، ﴿ الذين آمنوا من الكفّار يضحكون ﴾، قال أبو صالح: وذلك أنه يفتح للكفّار وهم في النار أبوابها، ويقال لهم: اخرجوا فإذا رأوها مفتوحة أقبلوا إليها ليخرجوا والمؤمنون ينظرون إليهم فإذا انتهوا إلى أبوابها غلقت دونهم، يفعل بهم ذلك مراراً والمؤمنون يضحكون. وقال كعب: بين الجنة والنار كوىً فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدوٍّ له كان في الدنيا اطّلع عليه من تلك الكوى، كما قال: ﴿ فاطّلع فرآه في سواء الجحيم ﴾ [الصّافّات: ٥٥]، فإذا اطّلعوا في الجنة إلى أعدائهم وهم يُعذّبون في النار ضحكوا فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ فاليوم الذين آمنوا من الكفّار يضحكون ﴾.

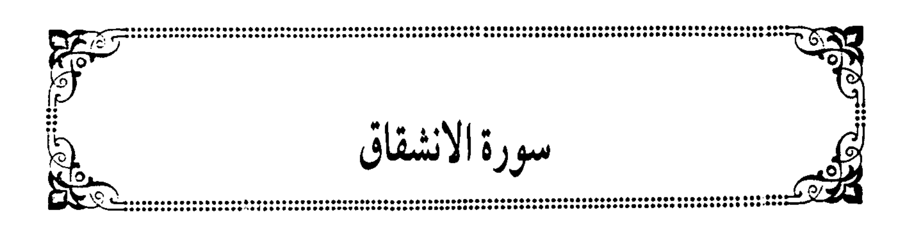
﴿ على الأرائك ﴾، من الدرّ والياقوت، ﴿ ينظرون ﴾، إليهم في النار.

والياقوت ﴿**ينظرون**﴾ يعني إليهم وهم في النّار يعذبون قال الله تعالى﴿**هل ثوب الكفار**﴾ أي جوزي الكفار ﴿**ما كانوا يفعلون**﴾ أي بالمؤمنين من الاستهزاء والضحك وهذا الاستفهام بمعنى التقرير وثوب، وأثيب بمعنى قال أوس.

سـأجـزيـك أو يجـزيـك عنـي مثـوب   وحسبـك أن يثنـى عليـك وتحمـدي

والله سبحانه وتعالى أعلم.

قال الله تعالى: ﴿ **هل ثوّب** ﴾، هل جُوزِيَ، ﴿ **الكفّار ما كانوا يفعلون** ﴾، أي جزاء استهزائهم بالمؤمنين ومعنى الاستفهام ههنا التقرير. وثوّب وأثاب بمعنى واحد.



سورة الانشقاق

(مكية وهي خمس وعشرون آية ومائة وسبع كلمات وأربعمائة وثلاثون حرفاً)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ﴿٣﴾ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا
وَحُقَّتۡ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾

قوله عز وجل: ﴿**إذا السّماء انشقت**﴾ يعني عند قيام السّاعة وهي من علاماتها ﴿**وأذنت لربها**﴾ أي سمعت أمر ربها بالانشقاق، وأطاعته من الأذن وهو الاستماع ﴿**وحقت**﴾ أي حق لها أن تطيع أمر ربها ﴿**وإذا الأرض مدت**﴾ يعني مد الأديم العكاظي وزيد في سعتها، وقيل سويت فلا يبقى فيها بناء ولا جبل ﴿**وألقت ما فيها**﴾ أي أخرجت ما في بطنها من الموتى والكنوز ﴿**وتخلت**﴾ أي من ذلك الذي كان في بطنها من الموتى والكنوز ﴿**وأذنت لربها وحقت**﴾ واختلفوا في جواب إذاً فقيل جوابه محذوف تقديره إذا كان هذه الأشياء يرى الإنسان الثواب أو العقاب، وقيل جوابه يا أيّها الإنسان إنك كادح والمعنى إذا انشقت السّماء لقي كل كادح ما عمله وقيل جوابه وأذنت وحينئذ تكون الواو زائدة ﴿**يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً**﴾ أي ساع إليه في عملك سعياً والكدح عمل الإنسان وجهده في

سُورَة الانشِقَاق

مكيّة وهي خمس وعشرون آية.

﴿ **إذا السماء انشقّت** ﴾، انشقاقها من علامات القيامة.

﴿ **وأذِنَت لربّها** ﴾، أي سمعت أمر ربها بالانشقاق وأطاعته، من الأُذن وهو الاستماع، ﴿ **وحُقّت** ﴾، أي وحقّ لها أن تطيع ربّها.

﴿ **وإذا الأرض مُدّت** ﴾، مدّ الأديم العكاظي، وزِيدَ في سِعتها. وقال مقاتل: سُوّيت كمدّ الأديم فلا يبقى فيها بناء ولا جبل.

﴿ **وألقت** ﴾، أخرجت، ﴿ **ما فيها** ﴾ من الموتى والكنوز، ﴿ **وتخلّت** ﴾، خلت منها.

﴿ **وأذِنت لربها وحُقّت** ﴾، واختلفوا في جواب إذا قيل: جوابه محذوف تقديره: إذا كانت هذه الأشياء يرى الإنسان الثواب والعقاب.

وقيل جوابه: ﴿ **يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربّك كدحاً** ﴾، ومجازه إذا السماء انشقّت لقي كل كادح ما عمله. وقيل: جوابه وأذِنت، وحينئذ تكون الواو زائدة ومعنى قوله: ﴿ **كادح إلى ربك كدحاً** ﴾، أي ساعٍ إليه في

الأمرين الخير والشّر، وقيل معناه عامل لربك عملاً وقيل معناه إنك كادح في لقاء ربك وهو الموت، والمعنى أن هذا الكدح يستمر بك إلى الموت، وقيل معناه إنك تكدح في دنياك كدحاً تصير به إلى ربك. ﴿فملاقيه﴾ أي فملاق جزاء عملك.

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾

﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ سوف من الله واجب والحساب اليسير هو أن تعرض عليه أعماله، فيعرف بالطاعة، والمعصية ثم يثاب على الطاعة، ويتجاوز له عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لأنه لا شدة فيه على صاحبه، ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر فيه، ولا الحجة عليه فإنه متى طولب بذلك لم يجد عذراً، ولا حجة فيفتضح (ق) عن ابن أبي مليكة أن عائشة كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه وأن النبي ﷺ قال: من حوسب عذب قال: فقلت، أوليس يقول الله عز وجل فسوف يحاسب حساباً يسيراً قالت فقال إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب. ﴿وينقلب إلى أهله﴾ يعني في الجنة من الحور العين والآدميات ﴿مسروراً﴾ أي بما أوتي من الخير والكرامة ﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره﴾ يعني أنه تغل يده اليمنى إلى عنقه، وتجعل يده اليسرى وراء ظهره، فيعطي كتابه بشماله من وراء ظهره، وقيل تخلع يده الشّمال فتخرج من وراء ظهره فيعطي بها كتابه ﴿فسوف يدعو ثبوراً﴾ يعني عند إعطائه كتابه بشماله من وراء ظهره يعلم أنه من أهل النّار فيدعو بالويل

عملك، والكدح: سعي الإنسان وجهده في الأمر من الخير والشر حتى يكدح ذلك فيه، أي يؤثر. وقال قتادة والكلبي والضحاك: عامل لربك عملاً، ﴿ فمُلاقيه ﴾، أي ملاقي جزاء عملك خيراً كان أو شرّ.

﴿ فأما مَن أُوتي كتابه ﴾، ديوان أعماله، ﴿ بيمينه * فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴾، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا سعيد بن أبي مريم أنا نافع عن ابن عمر حدّثني ابن أبي مليكة أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلّا راجعت فيه حتى تعرفه، وإن النبي ﷺ قال: «مَنْ حُوسِبَ عُذِّب» قالت عائشة رضي الله عنها فقلت: يا رسول الله أَوَليس يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴾؟ قالت: فقال: «إنما ذلك العرض، ولكن مَن نُوقش في الحساب يهلك».

﴿ وينقلب إلى أهله ﴾، يعني في الجنة من الحور العين والآدميات، ﴿ مسروراً ﴾، بما أُوتي من الخير والكرامة.

﴿ وأما مَن أُوتي كتابه وراء ظهره ﴾، فتغلّ يده اليمنى إلى عنقه وتُجعَل يده الشمال وراء ظهره، فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره. وقال مجاهد: تُخلَع يده اليسرى من وراء ظهره.

﴿فسوف يدعوا ثُبوراً﴾، ينادي بالويل والهلاك إذا قرأ كتابه يقول: يا ويلاه يا ثبوراه، لقوله تعالى: ﴿ دعوا هنالك ثبوراً ﴾ [الفرقان: ١٣].

﴿ ويصلى سعيراً ﴾، قرأ أبو جعفر وأهل البصرة وعاصم وحمزة ويصلى بفتح الياء خفيفاً كقوله: ﴿ يصلى النار الكبرى ﴾ [الأعلى: ١٢]، وقرأ الآخرون بضمّ الياء وفتح الصاد وتشديد اللام لقوله: ﴿ وتصلية جحيم ﴾

والهلاك، فيقول يا ويلاه يا ثبوراه ﴿ويصلى سعيراً﴾ أي ويقاسي التّهاب النّار وحرها ﴿إنه كان في أهله﴾ يعني في الدنيا ﴿مسروراً﴾ يعني بإتباع هواه وركوب شهواته ﴿إنه ظن أن لن يحور﴾ أي لن يرجع إلينا ولن يبعث والحور الرجوع ﴿بلى﴾ ليس الأمر كما ظن بل يحور إلينا، ويبعث ويحاسب ﴿إن ربه كان به بصيراً﴾ أي من يوم خلقه إلى أن يبعث قوله عز وجل: ﴿فلا أقسم بالشفق﴾ تقدم الكلام ﴿لا أقسم﴾ في سورة القيامة.

وأما الشّفق فقال مجاهد: هو النهار كله وحجته في ذلك أنه عطف عليه فيجب أن يكون المذكور أولاً هو النهار فعلى هذا الوجه يكون القسم باللّيل والنهار اللذين فيهما معاش العالم وسكونه، وقيل هو ما بقي من النّهار وقال ابن عباس، وأكثر المفسرين: هو الحمرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشّمس، وهو مذهب عامة العلماء، وقيل هو البياض الذي يعقب تلك الحمرة وهو مذهب أبي حنيفة ﴿واللّيل وما وسق﴾ أي جمع وضم ما كان منتشراً بالنهار من الخلق والدواب والهوام وذلك أن اللّيل إذا أقبل أوى كل شيء إلى مأواه، وقيل وما عمل فيه ويحتمل أن يكون ذلك تهجد العباد، فيجوز أن يقسم به.

﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢١﴾

﴿والقمر إذا اتسق﴾ أي اجتمع وتم نوره وذلك في الأيام البيض، وقيل استدار واستوى، ولما ذكر المقسم به أتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى ﴿لتركبن﴾ قرىء بفتح الباء وهو خطاب الواحد والمعنى لتركبن يا محمد ﴿طبقاً عن طبق﴾ يعني سماء بعد سماء وقد فعل الله ذلك معه ليلة أسري به، فأصعده سماء بعد سماء، وقيل درجة بعد درجة،

[الواقعة: ٩٤]، ﴿ثم الجحيم صلوه﴾ [الحاقّة: ٣١].

﴿إنه كان في أهله مسروراً﴾، يعني في الدنيا باتّباع هواه وركوب شهوته.

﴿إنه ظن أن لن يحور﴾، أن لن يرجع إلينا ولن يُبعَث.

ثم قال: ﴿بلى﴾، أي ليس كما ظن بل يحور إلينا ويبعث، ﴿إنّ ربّه كان به بصيراً﴾، خلقه إلى أن بعثه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿فلا أُقسم بالشفق﴾، قال مجاهد: هو النهار كله. وقال عكرمة: ما بقي من النهار. وقال ابن عباس وأكثر المفسّرين: هو الحمرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشمس. وقال قوم: هو البياض الذي يعقب تلك الحُمْرة.

﴿والليل وما وسق﴾، أي جمع وضمّ يقال وسقته اسقه وسقاً أي جمعته واستوثقت الإبل إذا اجتمعت وانضمّت، والمعنى: والليل وما جمع وضمّ ما كان بالنهار منتشراً من الدواب، وذلك أن الليل إذا أقبل آوى كل شيء إلى مأواه. روى منصور عن مجاهد قال: ما لفّ وضمّ وأظلم عليه. وقال مقاتل بن حيّان: ما أقبل من ظلمة أو كوكب. وقال سعيد بن جبير. وما عمل فيه.

﴿والقمر إذا اتّسق﴾، اجتمع واستوى وتمّ نوره وهو في الأيام البيض. وقال قتادة: استدار وهو افتعل من الوسق الذي هو الجمع.

﴿لتركبنّ طبقاً عن طبق﴾، قرأ أهل مكة وحمزة والكسائي ﴿لتركبنّ﴾ بفتح الباء، يعني لتركبنّ يا محمد. قال الشعبي ومجاهد: سماء بعد سماء. قال الكلبي: يعني تصعد فيها. ويجوز أن يكون درجة بعد درجة ورتبة بعد

ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى: وقيل معناه لتركبن حالاً بعد حال (خ) عن ابن عباس قال: لتركبن طبقاً عن طبق حالاً بعد حال هذا لنبيكم ﷺ ومعنى هذا يكون لك الظفر والغلبة على المشركين حتى يختم لك بجميل العاقبة فلا يحزنك تكاذيبهم وتماديهم في كفرهم وقرىء لتركبن بضم الباء، وهو الأشبه ويكون خطاب الجمع والمعنى لتركبن أيها النّاس حالاً بعد حال وأمراً بعد أمر، وذلك في موقف القيامة تتقلب بهم الأحوال فيصيرون في الآخرة على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا. وقال ابن عباس يعني الشّدائد وأهوال الموت ثم البعث ثم العرض، وقيل حال الإنسان حالاً بعد حال رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم كهل ثم شيخ، وقيل معناه لتركبن سنن من كان قبلكم وأحوالهم. (ق) عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال «لتتبعن سنن من كان قبلكم وأحوالهم شبراً بعد شبر وذراعاً بعد ذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنّصارى قال فمن»، وقيل في معنى الآية إنه أراد به السّماء تتغير لوناً بعد لون فتصير تارة وردة كالدّهان وتارة كالمهل وتنشق مرة وتطوي أخرى ﴿**فما لهم لا يؤمنون**﴾ يعني بالبعث والحساب وهو استفهام إنكار ﴿**وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون**﴾ يعني لا يصلون فعبر بالسّجود عن الصّلاة لأنه جزء منها، وقيل أراد به سجود التلاوة وهذه السّجدة أحد سجدات القرآن عند الشّافعي ومن وافقه (ق) عن رافع قال «صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ ﴿**إذا السّماء انشقت**﴾ فسجد، فقلت ما هذا قال: سجدت

رتبة في القرب من الله تعالى والرِّفعة. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا سعيد بن النضر أنا هيثم أنا أبو بشر عن مجاهد قال: قال ابن عباس: لتركبنّ طبقاً عن طبق حالاً بعد حال، قال: هذا نبيّكم ﷺ. وقيل: أراد به السماء تتغيّر لوناً بعد لون، فتصير تارة كالدهان وتارة كالمهل، فتنشقّ بالغمام مرة وتطوي أخرى. وقرأ الآخرون بضمّ الباء لأن المعنى بالناس أشبه لأنه ذكر من قبل: فأمّا مَن أُوتي كتابه بيمينه، وشماله وذكر من بعد ﴿ **فما لهم لا يؤمنون** ﴾، وأراد لتركبنّ حالاً بعد حال وأمراً بعد أمر في موقف القيامة، يعني الأحوال تنقلب بهم فيصيرون في الآخرة على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا. و﴿ **عن** ﴾ بمعنى بعد، وقال مقاتل: يعني الموت ثم الحياة ثم الموت ثم الحياة. وقال عطاء: مرة فقيراً ومرة غنيّاً. وقال عمرو بن دينار عن ابن عباس: يعني الشدائد والأهوال الموت، ثمّ البعث ثم العرض. وقال عكرمة: حالاً بعد حال رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شابّ ثم شيخ. وقال أبو عبيدة: لتركبنّ سُنن مَن كان قبلكم وأحوالهم. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن عبد العزيز أنا أبو عمرو الصنعاني من اليمن عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «لتتبعنّ سُنَن مَن كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضبٍّ لتبعتموهم» قيل: يا رسول الله اليهود والنصارى؟.

قال فمن قوله عزّ وجلّ: ﴿ **فما لهم لا يؤمنون** ﴾، استفهام إنكار.

﴿ **وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون** ﴾. قال الكلبي ومقاتل: لا يصلّون. أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبّي أنا أبو محمد عبد الجبّار بن محمد الجراحي ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا قتيبة ثنا سفيان بن عيينة عن أيوب بن موسى عن عطاء بن مينا عن أبي هريرة قال: سجدنا مع رسول الله ﷺ في إقرأ باسم ربك وإذا السماء انشقّت. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا مسدد أنا معمر قال: سمعت أبي قال حدّثني بكر عن أبي رافع قال: صلّيت مع أبي هريرة العتمة فقرأ إذا السماء انشقّت، فسجد فقلت: ما هذا؟ قال: سجدت بها خلف أبي القاسم ﷺ. فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه.

بها خلف أبي القاسم ﷺ فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه ولمسلم عنه قال: «سجدنا مع رسول الله ﷺ في ﴿اقرأ باسم ربك﴾ ﴿إذا السّماء انشقت﴾.

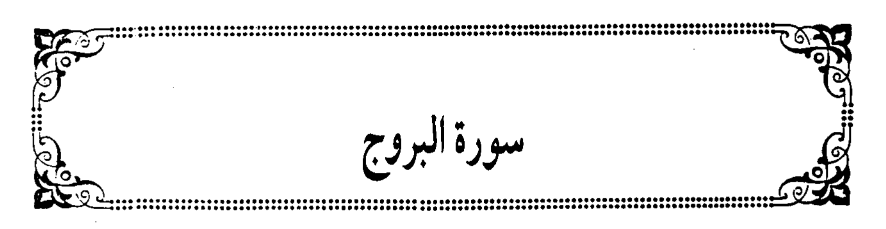
بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾

﴿بل الذين كفروا يكذبون﴾ يعني بالقرآن والبعث ﴿والله أعلم بما يوعون﴾ يعني يجمعون في صدورهم من التكذيب ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ يعني على عنادهم وكفرهم ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصّالحات لهم أجر غير ممنون﴾ يعني غير مقطوع ولا منقوص في الآخرة، والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه.

﴿ بل الذين كفروا يكذبون ﴾، بالقرآن والبعث.

﴿ والله أعلم بما يوعـون ﴾. في صدورهم من التكذيب. قال مجاهد: يكتمون.

﴿ فبشّرهم بعذاب أليم * إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ﴾، غير مقطوع ولا منقوص.



سورة البروج

مكية وهي اثنتان وعشرون آية ومائة وتسع كلمات وأربعمائة وخمسة وستون حرفاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾

قوله عز وجل: ﴿والسّماء ذات البروج﴾ يعني البروج الاثني عشر وإنما حسن القسم بها لما فيها من عجيب حكمة الباري جلّ جلاله، وهو سير الشّمس والقمر الكواكب فيها على قدر معلوم لا يختلف وقيل البروج والكواكب العظام سميت بروجاً لظهورها ﴿واليوم الموعود﴾ يعني يوم القيامة ﴿وشاهد ومشهود﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «اليوم الموعود يوم القيامة، والمشهود يوم عرفة، والشّاهد يوم الجمعة ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير إلا استجاب الله له ولا يستعيذ من شر إلا أعاذه الله منه» أخرجه الترمذي وضعف أحد رواته من قبل حفظه وهذا قول ابن عباس والأكثرين أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وقيل الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد يوم التّروية، والمشهود يوم عرفة وإنما حسن القسم بهذه الأيام لعظمها وشرفها، واجتماع المسلمين فيها، وقيل الشاهد هو الله تعالى والمشهود يوم القيامة، وقيل الشّاهد هم الأنبياء والمشهود أي عليهم هم الأمم وقيل الشاهد هو الملك والمشهود أي عليه هو آدم وذريته، وقيل الشّاهد هذه الأمة ونبيها ﷺ والمشهود عليهم هم الأمم المتقدمة، وقيل الشّاهد الأنبياء والمشهود له هو

سُوْرَة البُرُوْج

مكيّة وهي اثنتان وعشرون آية.

﴿ **والسماء ذات البروج * واليوم الموعود** ﴾، هو يوم القيامة.

﴿ **وشاهد ومشهود** ﴾، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبّار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبد الله بن موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «اليوم الموعود يوم القيامة، واليوم المشهود يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة، وما طلعت الشمس ولا غربت عليّ يوم أفضل منه فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله فيها بخير إلّا استجاب الله له، ولا يستعيذ من شيء إلّا أعاذه منه»، وهذا قول ابن عباس والأكثرون: أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة. ورُوِيَ عن ابن عمر الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر. قال سعيد بن المسيّب: الشاهد يوم التروية، والمشهود يوم عرفة. وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: الشاهد محمد ﷺ والمشهود يوم القيامة، ثم تلا: ﴿ فكيف إذا جئنـا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ [النساء: ٤١] وقال: ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود. وقال عبد العزيز بن يحيى الشاهد محمد ﷺ، والمشهود الله عزّ وجلّ

محمد ﷺ لأن الأنبياء قبله شهدوا له بالنبوة وقوله، ﴿والسّماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود﴾ أقسام أقسم الله تعالى بها لشرفها، وعظمها. وجواب القسم قوله تعالى: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ أي لعن وقتل وقيل جوابه ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ والأخدود الشق المستطيل في الأرض.

واختلفوا فيهم فروي عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال «كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك إني قد كبرت فابعث إلي غلاماً أعلمه السحر فبعث إليه غلاماً يعلمه، وكان في طريقه إذا سلك إليه راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه فكان إذا أتى السّاحر مر بالراهب، وقعد إليه فإذا أتى السّاحر ضربه، وإذا رجع من الساحر قعد إلى الراهب وسمع كلامه، فإذا أتى أهله ضربوه فشكا ذلك إلى الراهب فقال إذا خشيت الساحر، فقل حبسني أهلي وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك إذا أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال اليوم أعلم الرّاهب أفضل أم الساحر فأخذ حجراً ثم قال اللّهم إن كان أمر الرّاهب أحب إليك من أمر السّاحر، فاقتل هذه الدّابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها فمضى الناس، فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب: أي بني أنت أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلي فإن ابتليت فلا تدل عليّ فكان الغلام يبرىء الأكمه والأبرص، ويداوي النّاس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال ما ها هنالك أجمع إن أنت شفيتني قال إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله عز وجل، فإن آمنت بالله دعوت الله عز وجل فشفاك فآمن به فشفاه الله عز وجل فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك فقال ربي: فقال أو لك رب غيري قال ربي، وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام فجيء بالغلام، فقال له الملك أي بني إنه قد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمة والأبرص وتفعل وتفعل، فقال إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله عز وجل فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الرّاهب فجيء له بالرّاهب، فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالميشار فوضع الميشار في مفرق رأسه فشقه

بيانه قوله: ﴿ وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ [النساء: ٤١]. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: الشاهد آدم والمشهود يوم القيامة. وقال عكرمة الشاهد: الإنسان والمشهود يوم القيامة. وعنه أيضاً: الشاهد الملك يشهد على ابن آدم، والمشهود يوم القيامة. وتلا: ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾ [قٓ: ٢١]، و﴿ ذلك يوم مشهود ﴾ [هود: ١٠٣]، وقيل: الشاهد الحَفَظَة والمشهود بنو آدم. وقال عطاء بن يسار: الشاهد آدم وذريته، والمشهود يوم القيامة. وروى الوالبي عن ابن عباس: الشاهد هو الله عزّ وجلّ والمشهود يوم القيامة. وقال الحسين بن الفضل: الشاهد هذه الأمة والمشهود سائر الأمم. بيانه: ﴿ وكذلك جعلناكم أُمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وقال سالم بن عبد الله: سألت سعيد بن جبير عن قوله: ﴿ وشاهد ومشهود ﴾، فقال: الشاهد هو الله والمشهود نحن، بيانه: ﴿ وكفى بالله شهيداً ﴾ [الفتح: ٢٨] وقيل: الشاهد أعضاء بني آدم، بيانه: ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم ﴾ [النور: ٢٤] الآية. وقيل: الشاهد الأنبياء والمشهود محمد، بيانه قوله: ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيّين ﴾ إلى قوله: ﴿ فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ [آل عمران: ٨١].

﴿ قتل أصحاب الأخدود ﴾، أي لعن، والأخدود: الشقّ المستطيل في الأرض كالنهر، وجمعه أخاديد. واختلفوا فيهم. أخبرنا أبو حامد أحمدأبن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي عبد الله بن سعدان الخطيب أخبرني أبو أحمد محمد بن أحمد بن محمد بن قريش بن نوح بن رستم ثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي ثنا هدبة بن خالد ثنا حمّاد بن سلمة ثنا ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر، فلما كبر قال: إني قد كبرت فابعث إليّ غلاماً أُعلّمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلّمه، وكان في طريقه إذا سلك إليه راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، وكان إذا

به حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك، فقيل له ارجع عن دينك فدعا بالميشار فوضع الميشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال لهم اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللّهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل، فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال كفانيهم الله فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة، فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك؟ قال كفانيهم الله تعالى فقال للملك إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به فقال: وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع نخل ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارمني به فإنك إن فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهماً من

أتى الساحر مرّ بالراهب، وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه، وإذا رجع من عند الساحر قعد إلى الراهب وسمع كلامه فإذا أتى أهله ضربوه، فشكا إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذْ أتى على دابّة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر، فأخذ حجراً ثم قال اللّهمَّ: إن كان أمر الراهب أحبَّ إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابّة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها فمضى الناس، فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب: أيْ بني أنت اليوم أفضل منّي قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدلّ عليّ وكان الغلام يبرىء الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليسٌ للملك وكان قد عَمِيَ، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هذا؟ قال: هذا لك أجمع إن أنت شفيتني، قال: إني لا أُشفي أحداً إنما يشفي الله، فإن آمنت بالله دعوت الله لك فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: مَن ردّ عليك بصلك؟ قال: ربّي عزّ وجلّ، قال: أوَ لكَ ربٌّ غيري؟ قال: ربّي وربّك الله، فأخذه فلم يزل يعذّبه حتى دلّ على الغلام، فجِيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرىء به الأكمة والأبرص وتفعل كذا وتفعل كذا، قال: إني لا أُشفي أحداً إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذّبه حتى دلّ على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فدعا بالميشار فوضع الميشار في مفرق رأسه فشقّه به حتى وقع شقّاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فوضع الميشار في مفرق رأسه فشقّه به حتى وقع شقّاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلاّ فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللّهمّ اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، فجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسّطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلاّ فاقذفوه، فذهبوا به فقال: اللّهمَّ اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهماً من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس وقل: بسم الله ربّ الغلام، ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهماً من كنانته ثم وضع السهم في كبد قوسه، ثم قال: بسم الله ربّ الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه في موضع السهم، فمات، فقال الناس: آمنّا بربّ الغلام ثلاثاً فأُتِيَ الملك، فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرُك، قد آمن الناسُ، فأمر

كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات، فقال الناس آمنا برب الغلام ثلاثاً، فأتى الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذر قد، والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فأمر بالأخدود في أفواه السّكك فخدت وأضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فأقتحموه فيها ففعلوا ذلك حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام يا أماه اصبري ولا تقاعسي فإنك على الحق». هذا حديث صحيح أخرجه مسلم.

وفي هذا الحديث إثبات كرامات الأولياء، وفيه جواز الكذب في مصلحة ترجع إلى الدين، وفيه إنقاذ النفسَ من الهلاك والأكمه هو الذي خلق أعمى، والميشار بالياء وتخفيف الهمزة وروي بالنون وذروة الجبل بالضم والكسر أعلاه، ورجف تحرك واضطرب والقرقور بضم القاف الأولى السفينة الصغيرة وانكفأت انقلبت، والصّعيد هنا الأرض البارزة والسّكك الطّرق والأخدود الشّق العظيم في الأرض، وأقحموه أي ارموه وتقاعست أي تأخرت وكرهت

بالأخدود بأفواه السكك، فخدّت وأضرم بنيران، وقال: مَن لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها أو قيل له اقتحم، قال: ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أُمّاه اصبري فإنك على الحق»، هذا حديث صحيح أخرجه مسلم بن الحجّاج عن هدبة بن خالد عن حمّاد بن سلمة وذكر محمد بن إسحاق عن وهب بن منبّه أن رجلاً كان قد بقي على دين عيسى فوقع إلى نجرّان فدعاهم فأجابوه فسار إليه ذو نواس اليهودي بجنوده من حمير وخيّرهم بين النار واليهودية، فأبوا عليه فخدّ الأخاديد وأحرق اثني عشر ألفاً، ثم غلب أرياط على اليمن فخرج ذو نواس هارباً فاقتحم البحر بفرسه فغرق، قال الكلبي: وذو نواس قتل عبد الله بن التامر. وقال محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر أن خربة احتفرت في زمن عمر بن الخطاب فوجدوا عبد الله بن التامر واضعاً يده على ضربة في رأسه إذا أُميطت يده عنها انبعثت دماً وإذا تُركَت ارتدّت مكانها، وفي يده خاتم من حديد فيه مكتوب ربّي الله، فبلغ ذلك عمر فكتب أن أعيدوا عليه الذي وجدتم عليه. وروى عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان بنجرّان ملك من ملوك حمير يقال له: يوسف ذو نواس بن شراحيـل في الفترة قبل مولد النبي ﷺ سبعين سنة، وكان في بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر، وكان أبوه قد سلّمه إلى معلّم يعلّمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بدّاً من طاعة أبيه فجعل يختلف إلى المعلّم وكان في طريقه راهب حَسَن القراءة حَسَن الصوت، فأعجبه ذلك، وذكر قريباً من معنى حديث صهيب إلى أن قال الغلام للملك: إنك لا تقدر على قتلي إلّا أن تفعل ما أقول لك، قال: فكيف أقتلك؟ قال: تجمع أهل مملكتك وأنت على سريرك فترميني بسهم باسم إلّهي، ففعل الملك فقتله، فقال الناس: لا إلّه إلّا الله إلّه عبد الله بن تامر لا دين إلّا دينه، فغضب الملك وأغلق باب المدينة وأخذ أفواه السكك وخدّ أخدوداً وملأه ناراً ثم عرضهم رجلاً رجلاً فمَن رجع عن الإسلام تركه، ومَن قال: ديني دين عبد الله بن تامر ألقاه في الأخدود فأحرقه، وكان في مملكته امرأة أسلمت فيمن أسلم ولها أولاد ثلاثة أحدهم رضيع، فقال لها الملك: ارجعي عن دينك وإلّا ألقيتك وأولادك في النار، فأبت فأخذ ابنها الأكبر فألقاه في النار، ثم قال لها: ارجعي عن دينك، فأبت، فألقي الثاني في النار، ثم قال لها: ارجعي، فأبت، فأخذوا الصبي منها ليلقوه في النار فهمّت المرأة بالرجوع، فقال الصبي: يا أمّاه لا ترجعي عن الإسلام فإنك على الحق، ولا بأس عليك، فألقي الصبي في النار، وأُلقيت أمه على أثره. وقال سعيد بن جبير وابن أبزي: لمّا انهزم أهل إسفندهار قال عمر بن الخطاب: أي شيء يجري على المجوس من الأحكام فإنهم ليسوا بأهل كتاب، فقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: بلى قد كان لهم كتاب وكانت الخمر أُحِلّت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبته على عقله فتناول أُخته فوقع عليها فلما ذهب عنه السُّكْر ندم، وقال لها: ويحك ما هذا الذي أتيت، وما المخرج منه قالت: المخرج

الدخول في النار. وقال ابن عباس: «كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل بن شراحيل في الفترة قبل مولد النبي ﷺ بسبعين سنة، وكان في بلاده غلام يقال له عبدالله بن تامر، وكان أبوه يسلمه إلى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بداً من طاعة أبيه فجعل يختلف إلى المعلم وكان في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فأعجبه ذلك». وذكر نحو حديث صهيب وقال وهب بن منبه: إن رجلاً كان قد بقي على دين عيسى، فوقع إلى نجران فأحبوه فسار إليه ذو نواس اليهود بجنوده من حمير وخيرهم بين النّار واليهودية، فأبوا عليه فخد الأخدود وحرق اثني عشر ألفاً ثم غلب أرياط على اليمن فخرج ذو نواس هارباً، فاقتحم البحر بفرسه فغرق.

وقال: محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر إن خربة احتفرت في زمن عمر بن الخطاب، فوجدوا عبد الله بن تامر واضعاً يده على ضربة في رأسه، إذا أميطت يده عنها انبعثت دماً، وإذا تركت ارتدت مكانها وفي يده خاتم حديد فيه مكتوب ربي الله فبلغ ذلك عمر، فكتب أن أعيدوا عليه الذي وجدتم عليه.

وقال: سعيد بن جبير وابن أبزي لما انهزم أهل اسفندهار، قال: عمر بن الخطاب أيُّ شيء يجري على المجوس من الأحكام، فإنهم ليسوا بأهل كتاب، فقال علي بن أبي طالب بلى قد كان لهم كتاب، وكانت الخمر قد أحلّت لهم فتناولها ملك من ملوكهم، فغلبت على عقله فوقع على أخته فلما ذهب عنه السكر ندم، وقال لها ويحك ما هذا الذي أتيت وما المخرج منه قالت: المخرج منه إنّك تخطب الناس وتقول إنّ الله قد أحل نكاح الأخوات فإذا ذهب في الناس وتناسوه خطبتهم فحرمته. فقام خطيباً بذلك فقال إن الله قد أحل لكم نكاح الأخوات فقال الناس بأجمعهم معاذ الله أن نؤمن بهذا أو نقر به، ما جاءنا به من نبي، ولا أنزل علينا في كتاب، فبسط فيهم السوط فأبوا أن يقروا، فجرد فيهم السيف فأبوا أن يقروا به فجرد لهم الأخدود، وأوقدوا فيها النيران وعرضهم عليها فمن أبى قذفه في النار ومن أجـاب أطلقه. وروي عن علي قال كان أصحاب الأخدود نبيهم حبشي بعث من الحبشة إلى قومه ثم قرأ عليّ

منه أن تخطب الناس، وتقول: إن الله قد أحلّ نكاح الأخوات فإذا ذهب في الناس وتناسوه خطبتهم فحرّمته، فقام خطيباً فقال: إن الله قد أحلّ لكم نكاح الأخوات، فقالَ الناس بأجمعهم معاذ الله أن نؤمن بهذا، أو نقرّ به، وما جاءنا به نبيّ ولا أنزل علينا فـي كتاب، فبسط فيهم السوط فأبوا أن يقرّوا فجرّد فيهم السيف. فأبوا أن يقرّوا. فخدّ لهم أخدوداً وأوقد فيه النيران وعرضهم عليها فمَن أبى ولم يطعه قذفه في النار ومَن أجاب خلّى سبيله. وقال الضحاك: أصحاب الأخدود من بني إسرائيل أخذوا رجالاً ونساءً فخدّوا لهم أخدوداً ثم أوقدوا فيها النيران فأقاموا المؤمنين عليها، فقالوا: أتكفرون أم نقذفكم في النار؟ ويزعمون أنه دانيال وأصحابه، وهذه رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال أبو الطفيل عن علي رضي الله عنه: كان أصحاب الأخدود نبيّهم حبشي بُعِثَ من الحبشة إلى قومه، ثم قرأ عليّ رضي الله عنه: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم مَن قصصنا عليك﴾ [غافر: ٧٨]، الآية، فدعاهم فتابعه ناس فقاتلهم أصحابه فأخذوا وأوثقوا مَن أفلت منهم فخدّوا أُخدوداً فملؤوها ناراً فمَن اتّبع النبي رُمِيَ فيها، ومَن تابعهم تركوه، فجاؤوا بامرأة ومعها صبي رضيع فجزعت، فقال الصبي: يا أُماه مرّي ولا تنافقي. وقال عكرمة: كانوا من النبط أُحرقوا بالنار. وقال مقاتل: كانت الأخدود ثلاثة واحدة بنجرّان باليمن، والأخرى بالشام، والأخرى بفارس، أما التي بالشام فهو أُبطاموس الرومي، وأما التي بفارس فبختنصّر، وأما التي بأرض العرب فهو ذو نواس يوسف، فأما التي بالشـام وفارس فلم يُنـزّل الله فيهما قـرآناً وأنـزل في التي كانت بنجـرّان، وذلك أن رجلاً مسلماً ممّن يقرأ الإنجيل آجر نفسه في عمل، وجعل يقرأ الإنجيل فرأت بنت المستأجر النور يضيء من قراءة الإنجيل، فذكرت ذلك لأبيها فرمقه حتى رآه فسأله فلم يخبره، فلم يزل به حتى أخبره بالدين والإسلام،

﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾ الآية، فدعاهم فتابعه أناس فقاتلهم الكفار، فقتل أصحابه وأخذ من انفلت منهم فأوثقوه ثم خدوا له أخدوداً فملؤوها ناراً، فمن تبع ذلك النبي رمي به في النار ومن تابعهم تركوه فجاؤوا بامرأة معها صبي رضيع فجزعت، فقال الصبي يا أماه قعي ولا تقاعسي وقيل كانت الأخدود ثلاثة واحدة بنجران باليمن، والأخرى بالشام، والأخرى بفارس حرقوا بالنار فأما التي بالشام فهو أبطاموس الرومي وأما التي بفارس فبختنصر ويزعمون أنهم أصحاب دانيال وأما التي باليمن فذو نواس يوسف؛ فأما التي بالشام وفارس فلم ينزل الله فيهم قرآناً وأنزل في التي بنجران اليمن وذلك أن هذه القصة كانت مشهورة عند أهل مكة، فذكر الله تعالى ذلك لأصحاب رسول الله ﷺ يحملهم بذلك على الصبر، وتحمل المكاره في الدين.

﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠﴾

وقوله تعالى: ﴿**النار ذات الوقود**﴾، هو تعظيم لأمر تلك النار قال الربيع بن أنس نجى الله المؤمنين الذين ألقوا في النار بقبض أرواحهم، قبل أن تمسهم النار وخرجت النار إلى من على شفير الأخدود من الكفار فأحرقتهم ﴿**إذ هم عليها قعود**﴾، أي جلوس عند الأخدود ﴿**وهم**﴾ يعني الملك الذي خد الأخدود وأصحابه ﴿**على ما يفعلون بالمؤمنين**﴾ أي من عرضهم على النار وإرادتهم أن يرجعوا إلى دينهم ﴿**شهود**﴾ أي حضور وقيل يشهدون أن المؤمنين ضلال حين تركوا عبادة الصنم، ﴿**وما نقموا منهم**﴾ قال ابن عباس ما كرهوا منهم ﴿**إلا أن يؤمنوا بالله**﴾، وقيل ما عابوا ولا علموا فيهم عيباً إلا إيمانهم بالله ﴿**العزيز**﴾، يعني إن الذي يستحق العبادة هو الله العزيز الغالب القاهر الذي لا يغالب ويدافع، ﴿**الحميد**﴾ يعني الذي يستحق أن يحمد ويثنى عليه، وهو أهل لذلك وهو الله جل جلاله، ﴿**الذي له**

فتابعه هو وسبعة وثمانون إنساناً من بين رجل وامرأة، وهذا بعدما رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، فسمع ذلك يوسف ذو نواس فخدّ لهم في الأرض وأوقد فيها ناراً فعرضهم على الكفر، فمَن أبى أن يكفر قذفه في النار ومَن رجع عن دين عيسى لم يقذفه، وإن امرأة جاءت ومعها ولد صغير لا يتكلم، فلما قامت على شفير الخندق نظرت إلى ابنها فرجعت عن النار، فضُرِبت حتى تقدّمت فلم تزل كذلك ثلاث مرات، فلما كانت في الثالثة ذهبت ترجع فقال لها ابنها: يا أُمّاه إني أرى أمامك ناراً لا تطفأ، فلما سمعت ذلك قذفا جميعاً أنفسهما في النار، فجعلها الله وابنها في الجنة، فقذف في النار في يوم واحد سبعة وسبعون ألف إنسان. فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ **قتل أصحاب الأخدود** ﴾.

﴿ **النار ذات الوقود** ﴾، بدل من الأخدود، قال الربيع بن أنس: نجّى الله المؤمنين الذين أُلقوا في النار بقبض أرواحهم قبل أن تمسّهم النار وخرجت النار إلى مَن على شفير الأخدود من الكفّار فأحرقتهم.

﴿ **إذْ هم عليها قعود** ﴾، أي عند النار جلوس يعذبون المؤمنين. قال مجاهد: كانوا قعوداً على الكراسي عند الأخدود.

﴿ **وهم** ﴾، يعني الملك وأصحابه الذين خدّوا الأخدود، ﴿ **على ما يفعلون بالمؤمنين** ﴾، من عرضهم على النار وإِرادتهم أن يرجعوا إلى دينهم، ﴿ **شهود** ﴾، حضور، وقال مقاتل: يعني يشهدون أن المؤمنين ضلّال حين تركوا عبادة الصنم.

ملك السموات والأرض﴾ أي فهو المستحق للعبادة **﴿والله على كل شيء﴾** أي من أفعالهم بالمؤمنين. **﴿شهيد﴾** وفيه وعد عظيم للمؤمنين ووعيد عظيم للكافرين.

قوله عزَّ وجلَّ: **﴿إن الذين فتنوا﴾** أي عُذِّبوا وأحرِقُوا **﴿المؤمنين والمؤمنات﴾** أي بالنار **﴿ثم لم يتوبوا﴾** أي لم يرجعوا عما هم عليه من الكفر وفيه دليل على أنهم إذا تابوا وآمنوا يقبل منهم، ويخرجون من هذا الوعيد، وأن الله تعالى يقبل منهم التوبة، وأن توبة القاتل مقبولة، وأنهم إن لم يتوبوا **﴿فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق﴾** يعني لهم عذاب جهنم بكفرهم، ولهم عذاب الحريق بما أحرقوا المؤمنين، وقيل لهم عذاب الحريق في الدنيا وذلك أن الله أحرقهم بالنار التي أحرقوا بها المؤمنين ارتفعت إليهم من الأخدود فأحرقتهم، ولهم عذاب جهنم في الآخرة ثم ذكر ما أعد للمؤمنين فقال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير﴾. قوله عزّ وجلّ: **﴿إن بطش ربك لشديد﴾** قال ابن عباس إن أخذه بالعذاب إذا أخذ الظلمة لشديد. **﴿إنه هو يبدىء ويعيد﴾** أي يخلقهم أولاً في الدنيا، ثم يعيدهم أحياء بعد الموت ليجازيهم بأعمالهم في القيامة **﴿وهو الغفور﴾** يعني لذنوب جميع المؤمنين. **﴿الودود﴾** أي المحب لهم، وقيل المحبوب أي يوده أولياؤه ويحبونه، وقيل يغفر ويود أن يغفر، وقيل هو

﴿ وما نقموا منهم ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما كرهوا منهم، **﴿ إلّا أن يؤمنوا بالله ﴾**، قال مقاتل ما عابوا منهم. وقيل: ما علموا فيهم عيباً. قال الزجّاج: ما أنكروا عليهم ذنباً إلّا إيمانهم بالله، **﴿ العزيز الحميد ﴾**.

﴿ الذي له مُلك السموات والأرض والله على كل شيء ﴾، من أفعالهم، **﴿ شهيد ﴾**.

﴿ إنّ الذين فتنوا ﴾، عذّبوا وأحرقوا، **﴿ المؤمنين والمؤمنات ﴾**، يقال: فتنت الشيء إذا أحرقته، نظيره: **﴿ يومهم على النار يفتنون ﴾** [الذاريات: ١٣]، **﴿ ثم لم يتوبُوا فلهم عذابُ جهنم ﴾**، بكفرهم، **﴿ ولهم عذاب الحريق ﴾**، بما أحرقوا المؤمنين. وقيل: ولهم عذاب الحريق في الدنيا، وذلك أن الله أحرقهم بالنار التي أحرقوا بها المؤمنين، ارتفعت إليهم من الأخدود، قاله الربيع بن أنس والكلبي.

ثم ذكر ما أعدّ للمؤمنين فقال: **﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنّاتٌ تجري من تحتها الأنهارُ ذلك الفوزُ الكبير ﴾**، واختلفوا في جواب القسم فقال بعضهم: جوابه **﴿ قُتل أصحابُ الأخدود ﴾**، يعني لقد قتل، وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: قتل أصحاب الأخدود والسماء ذات البروج. وقال قتادة: جوابه:

﴿ إنّ بطش ربّك لشديد ﴾، قال ابن عباس: إن أخذه بالعذاب إذا أُخذَ الظَلمةَ لشديدٌ، كقوله: **﴿ إن أخذَهُ أليمٌ شديد ﴾** [هود: ١٠٢].

﴿ إنه هو يُبديءُ ويُعيد ﴾، أي بخلقهم أولاً في الدنيا ثم يعيدهم أحياءً بعد الموت.

﴿ وهو الغفور ﴾، لذنوب المؤمنين، **﴿ الودود ﴾**، المحبّ لهم، وقيل: معناه المودود، كالحلوب

المتودد إلى أوليائه بالمغفرة. ﴿ذو العرش﴾ أي خالقه ومالكه. ﴿المجيد﴾ قرىء بالرفع على أنه صفة لله تعالى لأن المجد من صفات التعالي والجلال، وذلك لا يليق إلا بالله تعالى. وقرىء المجيد بالكسر على أنه صفة للعرش أي للسرير العظيم إذ لا يعلم صفة العرش وعظمته إلا الله تعالى وقيل أراد حسنه فوصفه بالمجيد فقد قيل إن العرش أحسن الأجسام، ثم قال تعالى: ﴿فعال لما يريد﴾ يعني أنه لا يعجزه شيء ولا يمنع منه شيء طلبه، وقيل فعال لما يريد لا يعترض عليه معترض، ولا يغلبه غالب، فهو يدخل أولياءه الجنة برحمته، لا يمنعه من ذلك مانع، ويدخل أعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر. ﴿هل أتاك﴾ أي قد أتاك ﴿حديث الجنود﴾ أي خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا على الأنبياء ثم بين من هم فقال تعالى: ﴿فرعون﴾ يعني وقومه ﴿وثمود﴾ وكانت قصتهم عند أهل مكة مشهورة ﴿بل الذين كفروا﴾ أي من قومك يا محمد. ﴿في تكذيب﴾ يعني لك وللقرآن كما كذب من كان قبلهم من الأمم، ولم يعتبروا بمن أهلكنا منهم ﴿والله من ورائهم محيط﴾، أي عالم بهم لا يخفى عليه شيء من أعمالهم يقدر أن ينزل بهم ما أنزل بمن كان قبلهم.

﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿بل هو قرآن مجيد﴾ أي كريم شريف كثير النفع والخير ليس هو كما زعم المشركون أنه شعر وكهانة. ﴿في لوح محفوظ﴾ قرىء بالرفع على أنه نعت للقرآن، محفوظ يعني أن القرآن من التبديل والتغيير والتحريف، وقرىء محفوظ بالكسر على أنه نعت للوح لأنه يعرف باللوح المحفوظ وهو أم الكتاب، ومنه تنسخ الكتب وسمي محفوظاً

والركوب، بمعنى المحلوب والمركوب. وقيل: يغفر ويودّ أن يغفر، وقيل: المتودّد إلى أوليائه بالمغفرة.

﴿ ذو العرش المجيد ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿ المجيد ﴾ بالجرّ على صفة العرش أي السرير العظيم. وقيل: أراد حُسنه فوصفه بالمجد كما وصفه بالكرم، فقال: ﴿ ربّ العرش الكريم ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، ومعناه الكمال، والعرش: أحسن الأشياء وأكملها، وقرأ الآخرون بالرفع على صفة ذو العرش.

﴿ فعّال لما يريد ﴾، لا يعجزه شيء يريده ولا يمتنع منه شيء طلبه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ هل أتاك حديث الجنود ﴾، قد أتاك خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا على الأنبياء، ثم بيّن مَن هم؟

فقال: ﴿ فرعون وثمود * بل الذين كفروا ﴾، من قومك يا محمد، ﴿ في تكذيب ﴾، لك وللقرآن كدأب مَن قبلهم، ولم يعتبروا بمَن كان قبلهم من الكفّار.

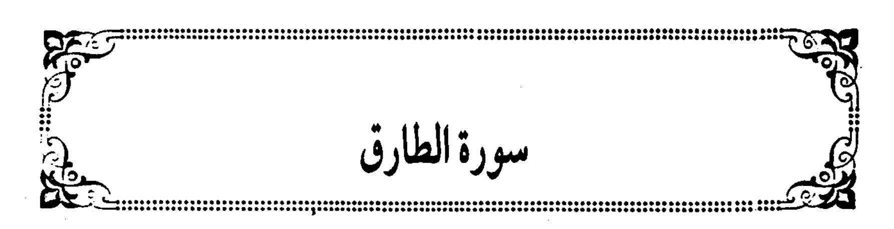
﴿ والله من ورائهم محيط ﴾، عالم بهم لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، يقدر أن يُنزِل بهم ما أنزل بمَن كان قبلهم.

﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾، كريم شريف كثير الخير، ليس كما زعم المشركون أنه شِعر وكهانة.

﴿ في لوح محفوظ ﴾، قرأ نافع محفوظ بالرفع على نعت القرآن فإن القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف، قال الله تعالى: ﴿ إنّا نحنُ نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون ﴾ [الحجر: ٩]، وقرأ الآخرون بالجرّ على نعت اللوح وهو الذي يُعرَف باللوح المحفوظ، وهو أُمّ الكتاب، ومنه تنسخ الكتب، محفوظ من الشياطين، ومن الزيادة فيه والنقصان، أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أنا الحسين بن محمد بن

لأنه حفظ من الشياطين من الزيادة والنقص، وهو عن يمين العرش، وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس قال «إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده دينه الإسلام، ومحمد عبده ورسوله، فمن آمن بالله عزّ وجلّ وصدق بوعده واتبع رسله، أدخله الجنة» وقال: واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وحافتاه الدر والياقوت، ودفتاه ياقوتة حمراء، وقلمه من نور، وكلامه سر معقود بالعرش وأصله في حجر ملك والله تعالى أعلم بمراده.

فنجويه أنا مخلد بن جعفر ثنا الحسن بن علويه أنا إسماعيل بن عيسى ثنا إسحاق بن بشر أخبرني مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال: إن في صدر اللوح لا إلّه إلاّ الله وحده، دينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله، فمَن آمن بالله عزّ وجلّ وصدّق بوعده واتّبع رُسُله أدخله الجنة، قال واللوح لوح من درّة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافّتاه الدرّ والياقوت ودفّتاه ياقوتة حمراء، وقلمه نور، وكلامه قديم، وكل شيء فيه مستور. وقيل: أعلاه معقود بالعرش، وأصله في حجر ملك قال مقاتل: اللوح المحفوظ عن يمين العرش.



سورة الطارق

مكية وهي سبع عشرة آية، وإحدى وستون كلمة، ومائتان وتسعة وثلاثون حرفاً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾

قوله عز وجل: ﴿**والسماء والطارق**﴾ قيل نزلت في أبي طالب وذلك أنه أتى النبي ﷺ فأتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس يأكل إذا انحط نجم فامتلأ ماء ثم ناراً ففزع أبو طالب، وقال: أي شيء هذا فقال النبي ﷺ: هذا نجم رمي به، وهو آية من آيات الله، فعجب أبو طالب فأنزل الله والسماء والطارق يعني النجم يظهر بالليل، وكل ما أتاك بالليل فهو طارق، ولا يسمى ذلك بالنهار، وسمي النجم طارقاً لأنه يطرق بالليل قالت هند:

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

تريد أن أباها نجم في علوه وشرفه. ﴿**وما أدراك ما الطارق**﴾ قيل لم يكن ﷺ يعرفه، حتى بينه الله له بقوله ﴿**النجم الثاقب**﴾، أي المضيء المنير، وقيل المتوهج، وقيل المرتفع العالي، وقيل هو الذي يرمى به الشيطان فيثقبه أي ينفذه، وقيل النجم الثاقب هو الثريا لأن العرب تسميها النجم، وقيل هو زحل سمي بذلك لارتفاعه، وقيل هو كل نجم يرمى به الشيطان لأنه يثقبه فينفذه، وهذه أقسام أقسم الله بها، وقيل تقديره ورب هذه الأشياء وجواب القسم قوله تعالى:

إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾
إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾

﴿**إن كل نفس لما عليها حافظ**﴾، يعني أن كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب

سُورَة الطّارِق

مكيّة وهي سبع عشرة آية.

﴿ **والسماء والطارق** ﴾، قال الكلبي: نزلت في أبي طالب وذلك أنه أتى النبي ﷺ فأتحفه بخبز ولبن، فبينما هو جالس يأكل إذ انحطّ نجم فامتلأ ماءً ثم ناراً، ففزع أبو طالب وقال: أيّ شيء هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «هذا نجم رُمِيَ به وهو آية من آيات الله عزّ وجلّ، فعجب أبو طالب، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ **والسماء والطارق** ﴾، وهذا قسم، والطارق النجم يظهر بالليل، وما أتاك ليلاً فهو طارق.

﴿ **وما أدراك ما الطارق** ﴾.

ثم فسّره فقال: ﴿ **النجم الثاقب** ﴾، أي المضيء المُنير، قال مجاهد: المتوهّج، قال ابن زيد: أرادَ به

من خير أو شر، قال ابن عباس: هم الحفظة من الملائكة، وقيل حافظ من الله تعالى يحفظها، ويحفظ قولها، وفعلها، حتى يدفعها ويسلمها إلى المقادير، ثم يحل عنها، وقيل يحفظها من المهالك والمعاطب إلا ما قدر لها.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**فلينظر الإنسان**﴾ يعني نظر تفكر واعتبار ﴿**مم خلق**﴾ أي من أيّ شيءٍ خلقه ربه، ثم بيّن ذلك فقال تعالى: ﴿**خلق من ماء**﴾ يعني من مني ﴿**دافق**﴾، أي مدفوق مصبوب في الرحم، وأراد به ماء الرجل، وماء المرأة، لأن الولد مخلوق منهما وإنما جعله واحداً لامتزاجهما ﴿**يخرج**﴾ يعني ذلك الماء وهو المني، ﴿**من بين الصلب والترائب**﴾ يعني صلب الرجل، وترائب المرأة، وهي عظام الصدر والنحر. قال ابن عباس: هي موضع القلادة من الصدر، وعنه أنها بين ثديي المرأة، قيل إن المني، يخرج من جميع أعظاء الإنسان، وأكثر ما يخرج من الدماغ، فينصب في عرق في ظهر الرجل، وينزل في عروق كثيرة من مقدم بدن المرأة، وهي الترائب، فلهذا السبب خصَّ الله تعالى، هذين العضوين بالذكر ﴿**إنه على رجعه لقادر**﴾ يعني إن الله تعالى قادر على أن يرد النطفة في الإحليل، وقيل قادر على رد الماء في الصلب الذي خرج منه، وقيل قادر على رد الإنسان ماء كما كان من قبل، وقيل معناه إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب، ومن الشباب إلى الصبا ومن الصبا، إلى النطفة وقيل إنَّه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر، وقيل معناه إن الذي قدر على خلق الإنسان ابتداء قادر على إعادته حياً بعد موته، وهو أهون عليه، وهذا القول هو الأصح، والأولى بمعنى الآية لقوله تعالى بعده ﴿**يوم تبلى السرائر**﴾ وذلك يوم القيامة.

الثريا، والعرب تسمّيه النجم. وقيل: هو زُحَل سُمّي بذلك لارتفاعه، تقول العرب للطائر إذا لحق ببطن السماء ارتفاعاً: قد ثقب.

﴿ **إنْ كلُّ نفسٍ** ﴾، جواب القسم، ﴿ **لمّا عليها حافظ** ﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة ﴿ **لما** ﴾ بالتشديد يعنون ما كل نفس إلاّ عليها حافظ، وهي لغة هذيل يجعلون ﴿ **لما** ﴾ بمنزلة (إلّا) يقولون: نشدتك الله لمّا قمت، أي إلاّ قمت، وقرأ الآخرون بالتخفيف جعلوا (ما) صلة، مجازه: إن كل نفس لعليها حافظ، وتأويل الآية: كل نفس عليها حافظ من ربّها يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكتسب من خير وشرّ. قال ابن عباس: هم الحَفَظَة من الملائكة. قال الكلبي: حافظ من الله يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتى يدفعها ويسلّمها إلى المقادير، ثم يخلّي عنها.

﴿ **فلينظرِ الإنسانُ مِمَّ خُلق** ﴾، أي فليتفكّر من أيّ شيء خلقه ربّه، أي فلينظر نظر المتفكّر.

ثم بيّن فقال: ﴿ **خُلق من ماء دافق** ﴾، مدفوق أي مصبوب في الرحم، وهو المني، فاعل بمعنى مفعول كقوله: ﴿ **عيشة راضية** ﴾ [القارعة: ٧، الحاقّة: ٢١]، والدّفق الصبّ وأراد ماء الرجل وماء المرأة لأن الولد مخلوق منهما، وجعله واحداً لامتزاجهما.

﴿ **يخرج من بين الصلب والترائب** ﴾، يعني صلب الرجل وترائب المرأة والترائب جمع التربية وهي عظام الصدر والنحر. قال ابن عباس: هي موضع القلادة من الصدر، وروى الوالبي عنه: بين ثديي المرأة. وقال قتادة: النحر. وقال ابن زيد: الصدر.

﴿ **إنه على رجعه لقادر** ﴾، قال مجاهد: على ردّ النطفة في الإحليل. وقال عكرمة: على ردّ الماء في الصلب الذي خرج منه. وقال الضحاك: إنه على ردّ الإنسان ماءً كما كان من قبل لقادر. وقال مقاتل بن حيّان: إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب ومن الشباب إلى الصبا ومن الصبا إلى النطفة. وقال ابن زيد: إنه على حبس ذلك الماء لقادر حتى لا يخرج. وقال قتادة: إن الله تعالى على بعث الإنسان وإعادته بعد الموت قادر. وهذا أولى الأقاويـــــل.

قيل معناه تظهر الخبايا. وقيل معنى تبلى تختبر، وقيل السرائر هي فرائض الأعمال كالصوم، والصلاة، والوضوء، والغسل من الجنابة، فكل هذه سرائر بين العبد وبين ربّه عزّ وجلّ وذلك لأن العبد قد يقول صليت ولم يصلِّ، وصمت ولم يصم، واغتسلت ولم يغتسل، فإذا كان يوم القيامة يختبر حتى يظهر من أداها ومن ضيعها. قال عبد الله بن عمر: يبدي الله تعالى يوم القيامة كل سر، فيكون زينا في وجوه وشينا في وجوه، يعني من أدى الفرائض كما أمر كان وجهه مشرقاً، مستنيراً يوم القيامة، ومن ضيعها أو انتقص منها كان وجهه أغبر.

﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٌ فَصۡلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾﴾

﴿فماله﴾ أي لهذا الإنسان المنكر البعث. **﴿من قوة﴾** أي يمتنع بها من عذاب الله **﴿ولا ناصر﴾** أي ينصره من الله، ثم ذكر قسماً آخر فقال تعالى **﴿والسماء ذات الرجع﴾** أي ذات المطر، سمي به لأنه يجيء ويرجع ويتكرر **﴿والأرض ذات الصدع﴾** أي تتصدع وتنبثق عن النبات، والشجر، والأنهار، وجواب القسم.

قوله تعالى: **﴿إنَّه﴾** يعني القرآن **﴿لقول فصل﴾** أي إنه لحق وجد يفصل بين الحق والباطل. **﴿وما هو بالهزل﴾** أي باللعب والباطل. **﴿إنهم﴾** يعني مشركي مكة، **﴿يكيدون كيداً﴾** يعني يحتالون بالمكر بالنبي ﷺ، وذلك حين اجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا فيه. **﴿وأكيد كيداً﴾** يعني أجازيهم على كيدهم بأن استدرجهم من حيث لا يعلمون فأنتقم منهم في الدنيا بالسيف، وفي الآخرة بالنار **﴿فمهل الكافرين﴾** أي لا تستعجل ولا تدع بهلاكهم. قال ابن عباس: هذا وعيد لهم من الله عز وجل، ثم لمّا أمره بإمهالهم بيّن أن ذلك الإمهال قليل. فقال تعالى: **﴿أمهلهم رويداً﴾** يعني قليلاً، فأخذهم الله يوم بدر ونسخ الإمهال بآية السيف، والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده.

لقوله: **﴿ يوم تُبلى السرائر ﴾**، وذلك يوم القيامة تُبلى السرائر تظهر الخفايا. قال قتادة ومقاتل: تختبر. قال عطاء بن أبي رباح: السرائر فرائض الأعمال، كالصوم والصلاة والوضوء والاغتسال من الجنابة، فإنها سرائر بين الله تعالى وبين العبد، فلو شاء العبد لقال: صمتُ ولم يصم. وصلّيت ولم يصلِّ، واغتسلتُ ولم يغتسل، فيختبر حتى يظهر مَن أدّاها ممّن ضيّعها. قال ابن عمر: يبدي الله عزّ وجلّ يوم القيامة كلّ سر فيكون زيناً في وجوه وشيناً في وجوه، يعني مَن أدّاها كان وجهه مُشرِقاً ومَن ضيّعها كان وجهه أغبر.

﴿ فما له من قوة ولا ناصر ﴾، أي ما لهذا الإنسان المنكر للبعث من قوة يمتنع بها من عذاب الله ولا ناصر ينصره من الله.

ثم ذكر قسماً آخر فقال: **﴿ والسماءِ ذاتِ الرجع ﴾**، أي ذات المطر لأنه يرجع كل عام ويتكرّر. وقال ابن عباس: هو السحاب يرجع المطر.

﴿ والأرضِ ذاتِ الصدع ﴾، أي تصدّع وتنشقّ عن النبات والأشجار والأنهار.

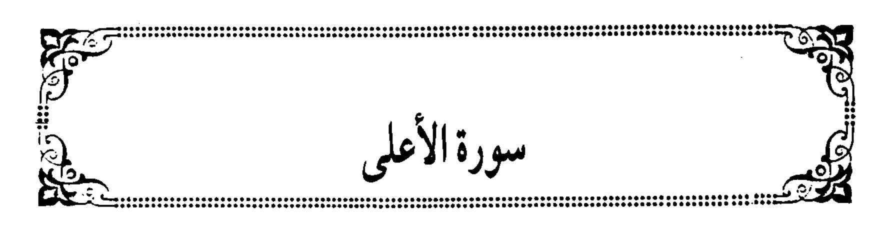
وجواب القسم قوله: **﴿ إنه ﴾**، يعني القرآن، **﴿ لقولٌ فصل ﴾**، حقٌّ وجد يفصل بين الحق والباطل.

﴿ وما هو بالهزل ﴾، باللعب والباطل.

ثم أخبر عن مُشرِكي مكة فقال: **﴿ إنهم يكيدون كيداً ﴾**، يخافون النبي ﷺ ويُظهِرون ما هم على خلافه.

﴿ وأكيد كيداً ﴾، وكيد الله استدراجهم إياهم من حيث لا يعلمون.

﴿ فمهِّلِ الكافرين ﴾، قال ابن عباس: هذا وعيد من الله عزّ وجلّ لهم. **﴿ أمهلهم رُويداً ﴾**، قليلاً ومعنى مهل وأمهل انظر ولا تعجل فأخذهم الله يوم بدر، ونسخ الإمهال بآية السيف.



سورة الأعلى

مكية وهي تسع عشرة آية، واثنتان وسبعون كلمة، ومائتان وأحد وتسعون حرفاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿**سبح اسم ربك الأعلى**﴾ أي قل سبحان ربي الأعلى، وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين يدل عليه ما روي عن ابن عباس «أن النبي ﷺ قرأ ﴿**سبّح اسم ربك الأعلى**﴾، فقال سبحان ربي الأعلى»، ذكره البغوي بإسناد الثعلبي، وقيل معناه نزه ربك الأعلى عما يصفه الملحدون، فعلى هذا يكون الاسم صلة، وقيل معناه نزه تسمية ربك الأعلى بأن تذكره وأنت له معظم، ولذكره محترم. وقال ابن عباس: سبّح أي صل بأمر ربك الأعلى عن عقبة بن عامر، قال: «لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال النبي ﷺ اجعلوها في ركوعكم، ولما نزلت ﴿**سبّح اسم ربك الأعلى**﴾ قال: اجعلوها في سجودكم» أخرجه أبو داود ﴿**الذي خلق فسوى**﴾ أي خلق كل ذي روح فسوى اليدين والرجلين والعينين، وقيل خلق الإنسان مستوياً معتدل القامة. ﴿**والذي قدر فهدى**﴾ قيل قدر الأرزاق وهدى لاكتسابها، وقيل قدر لكل شيء شكله فهدى، أي فعرف كيف يأتي الذكر الأنثى وقيل قدر مدة الجنين في الرحم وهداه

سُورَة الأعْلَى

مكيّة وهي تسع عشرة آية.

﴿ **سبّحِ اسمَ ربِّكَ الأعلى** ﴾، يعني قلْ سبحان ربّي الأعلى وإلى هذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أنا عبد الله بن حامد أنا أحمد بن عبد الله ثنا محمد بن عبد الله ثنا عبد الله بن عمر بن أبّان ثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي ﷺ قرأ: ﴿ **سبّح اسم ربّك الأعلى** ﴾ فقال: «سبحان ربّي الأعلى». وقال قوم: معناه نزّه ربّك الأعلى عمّا يصفه به الملحدون، واجعلوا الاسم صلة، ويحتجّ بهذا مَن يجعل الاسم والمسمّى واحداً إلّا أن أحداً لا يقول: سبحان اسم الله، وسبحان اسم ربّنا، إنما يقولون: سبحان الله وسبحان ربّنا، وكان معنى سبّح اسم ربّك. وقال آخرون: نزّه تسمية ربّك بأن تذكره وأنت معظّم ولِذكره محترم، وجعلوا الاسم بمعنى التسمية. وقال ابن عباس: سبّح أي صلِّ بأمر ربك الأعلى.

﴿ **الذي خلق فسوّى** ﴾، قال الكلبي: خلق كل ذي روح فسوّى اليدين والرجلين والعينين. قال الزجّاج: خلق الإنسان مستوياً، ومعنى سوّى: عدل قامته.

﴿ **والذي قدّرَ فهدى** ﴾، قرأ الكسائي ﴿ **قدر** ﴾ بتخفيف الدال، وشدّدها الآخرون، وهما بمعنى واحد.

إلى الخروج منه، وقيل قدر السعادة لأقوام، والشقاوة لأقوام، ثم هدى كل فريق من الطائفتين لسلوك سبيل ما قدر له، وعليه، وقيل قدر الخير والشر، وهدى إليهما، وقيل قدر أي أعطى كل حيوان ما يحتاج إليه، وهدى الأنعام وسائر الحيوانات لمراعيها، وهو قوله تعالى: ﴿والذي أخرج المرعى﴾ أي أنبت العشب وما ترعاه الأنعام من أخضر وأصفر وأحمر وأبيض وغير ذلك.

فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾

﴿فجعله﴾ يعني المرعى بعد الخضرة ﴿غثاء﴾ أي هشيماً يابساً بالياً كالغثاء الذي تراه فوق السيل. ﴿أحوى﴾ أي أسود بعد الخضرة، وذلك أن الكلأ إذا جف ويبس سود.

قوله عزّ وجلّ: ﴿سنقرئك﴾ أي نعلمك القرآن بقراءة جبريل عليك. ﴿فلا تنسى﴾ يعني ما يقرأ عليك، وذلك أن النبي ﷺ كان إذا نزل جبريل بالوحي، لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله ﷺ بأولها، مخافة أن ينساها، فأنزل الله تعالى ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ فلم ينس شيئاً بعد ذلك ﴿إلا ما شاء الله﴾ يعني أن تنساه وهو ما نسخ الله تعالى تلاوته من القرآن ورفعه من الصدور، وقيل معناه إلا ما شاء الله أن تنساه، ثم تذكره بعد ذلك، كما صح من حديث عائشة رضي الله عنها. قال: «سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقرأ في سورة بالليل فقال يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا، آية

وقال مجاهد: هدى الإنسان لسبيل الخير والشرّ والسعادة والشقاوة، وهدى الأنعام لمراتعها. وقال مقاتل والكلبي: قدّر لكل شيء مسلكه فهدى، عرّفها كيف يأتي الذَّكَر والأُنثى. وقيل: قدّر الأرزاق فهدى لاكتساب الأرزاق والمعاش. وقيل: خلق المنافع في الأشياء وهدى الإنسان لوجه استخراجها منها. وقال السدي: قدّر مدة الجنين في الرحم ثم هداه للخروج من الرحم. قال الواسطي: قدّر السعادة والشقاوة عليهم، ثم يسّر لكل واحد من الطائفتين سلوك سبيل ما قدر عليه.

﴿ والذي أخرج المرعى ﴾، أنبت العشب وما ترعاه النَعَم، من بين أخضر وأصفر وأحمر وأبيض.

﴿ فجعله ﴾، بعد الخُضرة، ﴿ غُثاءً ﴾، هشيماً بالياً، كالغثاء الذي تراه فوق السيل. ﴿ أحوى ﴾، أسود بعد الخُضرة، وذلك أن الكلأ إذا جفّ ويبس أسود.

﴿ سنقرئك ﴾، سنُعلِمك بقراءة جبريل عليك، ﴿ فلا تنسى * إلّا ما شاء الله ﴾، أن تنساه وما نسخ الله تلاوته من القرآن، كما قال: ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها ﴾ [البقرة: ١٠٦]، والإنساء نوع من النسخ. وقال مجاهد والكلبي: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله ﷺ بأولها مخافة أن ينساها، فأنزل الله: ﴿ سنقرئك فلا تنسى ﴾، فلم ينسَ بعد ذلك شيئاً. ﴿ إنه يعلم الجهر ﴾، من القول والفعل، ﴿ وما يخفى ﴾، منهما، والمعنى: أنه يعلم السرّ والعلانية.

﴿ ونيسرك لليسرى ﴾، قال مقاتل: نهوّن عليك عمل الجنة، وهو معنى قول ابن عباس، نيسّرك لأن تعمل خيراً، واليسرى عمل الخير. وقيل: نوفّقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السمحة. وقيل: هو متصل بالكلام الأول ومعناه: أنه يعلم الجهر مما تقرأه على جبريل إذا فرغ من التلاوة، وما يخفى ما تقرأ في نفسك مخافة

كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا» وفي رواية «كنت أسقطتهن من سورة كذا» أخرجاه في الصحيحين، وقيل هذا الاستثناء لم يقع، ولم يشأ الله أن ينسيه شيئاً. ﴿إنه يعلم الجهر﴾ يعني من القول والفعل. ﴿وما يخفى﴾ يعني منهما والمعنى، أنه تعالى يعلم السر والعلانية. ﴿ونيسرك لليسرى﴾ أي نهون عليك أن تعمل خيراً ونسهله عليك حتى تعمله، وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السمحة، وقيل هو متصل بالكلام الأول، والمعنى إنه يعلم الجهر مما تقرؤوه على جبريل إذا فرغ من التلاوة، وما يخفى مما تقرؤوه في نفسك مخافة النسيان، ثم وعده فقال: ونيسرك لليسرى أي نهون عليك الوحي حتى تحفظه، ولا تنساه. ﴿فذكر﴾ أي فعظ بالقرآن. ﴿إن نفعت الذكرى﴾ أي مدة نفع الموعظة، والتذكير، والمعنى عظ أنت، وذكر أن نفعت الذكرى، أو لم تنفع، إنما عليك البلاغ. ﴿سيذكر من يخشى﴾ أي سيتعظ من يخشى الله تعالى. ﴿ويتجنها﴾ أي الذكرى ويتباعد عنها. ﴿الأشقى﴾ أي في علم الله تعالى، ﴿الذي يصلى النار الكبرى﴾ أي النار العظيمة الفظيعة، وقيل النار الكبرى هي نار الآخرة، والنار الصغرى هي نار الدنيا ﴿ثم لا يموت فيها﴾ أي في النار فيستريح ﴿ولا يحيى﴾ أي حياة طيبة تنفعه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ أي تطهّر من الشرك وقال لا إله إلا الله قاله ابن عباس: وقيل قد أفلح من كان عمله زاكياً، وقيل هو صدقة الفطر، روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قوله: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ قال: أعطي صدقة الفطر.

وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

﴿وذكر اسم ربه فصلى﴾ قال: خرج إلى العيد فصلى وكان ابن مسعود يقول رحم الله امرأ تصدق ثم صلى. ثم يقرأ هذه الآية وقال نافع: كان ابن عمر إذا صلى الغداة يعني يوم العيد قال: يا نافع أخرجت الصدقة، فإن قلت نعم

النسيان، ثم وعده فقال: ﴿ ونيسّرك لليسرى ﴾أي نهوّن عليك الوحي حتى تحفظه وتعلمه.

﴿ فذكّرْ ﴾، عظْ بالقرآن، ﴿ إنْ نفعتِ الذكرى ﴾، الموعظة والتذكير، والمعنى: نفعت أو لم تنفع، ولم يذكر الحالة الثانية، كقوله: ﴿ سرابيل تقيكم الحرّ ﴾ [النحل: ٨١]، وأراد الحرّ والبرد جميعاً.

﴿ سيذكّر ﴾، سيتّعظ، ﴿ مَن يخشى ﴾، الله عزّ وجلّ.

﴿ ويتجنبها ﴾، أي يتجنب الذكرى ويتباعد عنها، ﴿ الأشقى ﴾، الشقيّ في علم الله.

﴿ الذي يصلى النار الكبرى ﴾، العظيمة والفظيعة لأنها أعظم وأشدّ حرّاً من نار الدنيا.

﴿ ثم لا يموت فيها ﴾، فيستريح، ﴿ ولا يحيىٰ ﴾، حياة تنفعه.

﴿ قد أفلح مَن تزكّى ﴾، تطهّر من الشرك وقال: لا إلّه إلّا الله، هذا قول عطاء وعكرمة، ورواية الوالبي وسعيد بن جبير عن ابن عباس. وقال الحسن: مَن كان عمله زاكياً. وقال آخرون: هو صدقة الفطر رُوِيَ عن أبي سعيد الخدري في قوله: ﴿ قد أفلح مَن تزكّى ﴾ قال: أعطى صدقة الفطر.

﴿ وذكر اسم ربّه فصلّى ﴾، قال خرج إلى العيد فصلّى صلاته، وكان ابن مسعود يقول: رحم الله امرءاً تصدّق ثم صلّى، ثم يقرأ هذه الآية. وقال نافع: كان ابن عمر إذا صلّى الغداة يعني من يوم العيد قال: يا نافع خرجت الصدقة فإن قلت نعم مضى إلى المصلّى، وإن قلت لا قال فالآن فأخرج فإنما نزلت هذه الآية في هذا

مضى إلى المصلى، وإن قلت لا قال: فالآن فأخرج، فإنما هذه الآية في هذا قد أفلح من تزكى، وذكر اسم ربه فصلى.

فإن قلت فما وجه هذا التأويل، وهذه السورة مكية، ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر.

قلت يجوز أن يكون النزول سابقاً على الحكم، كما قال: ﴿**وأنت حل بهذا البلد**﴾ وهذه السورة مكية، وظهر أثر الحل يوم الفتح، وكذا نزل بمكة ﴿**سيهزم الجمع ويولون الدبر**﴾، وكان ذلك يوم بدر. قال عمر بن الخطاب: كنت لا أدري أي جمع سيهزم، فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يثب في الدرع، ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر.

ووجه آخر وهو أنه كان في علم الله تعالى أنه سيكون ذلك فأخبر عنه، وقيل وذكر اسم ربه فصلى يعني الصلوات الخمس، وقيل أراد بالذكر تكبيرات العيد، وبالصلاة صلاة العيد.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى**﴾ يعني أن الدنيا فانية والآخرة باقية، والباقي خير من الفاني، وأنتم تؤثرون الفاني على الباقي قال عرفجة الأشج: كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال لنا أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة. قلنا لا قال: لأن الدنيا حضرت، وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها، وإن الآخرة تغيبت وزويت عنا فأحببنا العاجل، وتركنا الآجل، وقيل إن أريد بذلك الكفار، فالمعنى أنهم يؤثرون الدنيا على الآخرة، لأنهم لا يؤمنون بالآخرة، وإن أريد بذلك المسلمون بالمعنى يؤثرون الاستكثار من الدنيا على الثواب الذي يحصل في الآخرة، وهو خير وأبقى. ﴿**إن هذا**﴾ أي الذي ذكر من قوله قد أفلح من تزكى إلى هنا، وهو أربع آيات. ﴿**لفي الصحف الأولى**﴾ أي الكتب المتقدمة التي نزلت قبل القرآن، ذكر في تلك الصحف فلاح من تزكى والمصلي وإيثار الدنيا وإن الآخرة خير وأبقى ثم بيّن ذلك فقال تعالى: ﴿**صحف إبراهيم وموسى**﴾ يعني أن هذا القدر المذكور في صحف إبراهيم وموسى، وقيل إنّه مذكور في جميع صحف الأنبياء التي منها صحف إبراهيم وموسى لأن هذا القدر المذكور في هذه الآيات لا تختلف فيه شريعة، بل جميع الشرائع متفقة عليه.

عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال «دخلت المسجد فقال رسول الله ﷺ إن للمسجد تحية فقلت وما تحيته يا رسول الله، قال: ركعتان تركعهما، قلت يا رسول الله هل أنزل الله عليك شيئاً مما كان في صحف إبراهيم وموسى؟ قال: يا

﴿ قد أفلح مَن تزكّى * وذكر اسم ربّه فصلّى ﴾، وهو قول أبي العالية وابن سيرين، وقال بعضهم: **لا أدري ما وجه هذا التأويل لأن هذه السورة مكيّة ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر**، قال الشيخ الإمام محيي السُّنّة رحمه الله: **يجوز أن يكون النزول سابقاً على الحكم كما قال: ﴿ وأنت حِلٌّ بهذا البلد ﴾** [البلد: ٢] **فالسورة مكيّة، وظهر أثر الحلّ يوم الفتح حتى قال عليه الصلاة والسلام: «أُحلّتْ لي ساعة من نهار» وكذلك نزل بمكة: ﴿ سيهزم الجمع ويولّون الدبر ﴾** [القمر: ٤٥]، قال عمر بن الخطاب: كنت لا أدري أيّ جمع يهزم، فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يثب في الدرع ويقول: سيُهزَم الجمع ويولّون الدبر، وذكر اسم ربّه فصلّى، أي وذكر ربّه فصلّى، وقيل: الذكر تكبيرات العيد والصلاة صلاة العيد، وقيل: الصلاة ههنا الدعاء.

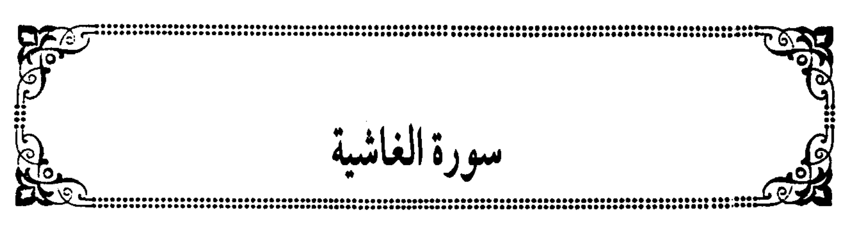
﴿ بل تؤثرون ﴾، قرأ أبو عمرو ويعقوب بالياء يعني الأشقّين الذين ذكروا وقرأ الآخرون بالتاء دليله قراءة أُبيّ بن كعب **﴿ بل أنتم تؤثرون الحياة الدنيا ﴾**.

﴿ والآخرة خير وأبقى ﴾، قال عرفجة الأشجعي: كنّا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال لنا: أتدرون لِمَ آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة؟ قلنا: لا، قال: **لأن الدنيا أحضرت وعجّل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذّاتها وبهجتها، وأن الآخرة نعتت لنا وزويت عنّا فأحببنا العاجل وتركنا الآجل.**

أبا ذر اقرأ قد أفلح من تزكى، وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا، والآخرة خير وأبقى، إن هذا لفي الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى، قلت يا رسول الله، فما كان صحف موسى، قال: كانت عبراً كلها: عجبت لمن أيقن بالموت، كيف يفرح؟! عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك؟! عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن؟ عجبت لمن أيقن بالقدر ثم ينصب! عجبت لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل»! أخرج هذا الحديث رزين في كتابه، وذكره ابن الأثير في كتابه جامع الأصول. ولم يعلم عليه شيئاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد في ركعة ركعة». أخرجه الترمذي والنسائي. وعن عبد العزيز بن جريج قال «سألنا عائشة بأي شيء كان يوتر رسول الله ﷺ قالت كان يقرأ في الأولى بسبح اسم ربك الأعلى، وفي الثانية يقل يا أيها الكافرون، وفي الثالثة يقل هو الله أحد المعوذتين»، أخرجه أبو داود، والنسائي، والترمذي. وقال: حديث حسن غريب، والله أعلم.

﴿ **إن هذا** ﴾، يعني ما ذكر من قوله: ﴿ **قد أفلح مَن تزكّى** ﴾، إلى أربع آيات، ﴿ **لفي الصحف الأولى** ﴾، أي الكتب الأولى التي أُنزلت قبل القرآن ذكر فيها فلاح المتزكّي والمصلّي وإيثار الخلق الدنيا، وأن الآخرة خير وأبقى.

ثم بيّن الصحف فقال: ﴿ **صحف إبراهيم وموسى** ﴾، قال عكرمة والسدي: هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا محمد بنَ أحمد بن مغفل الميداني ثنا محمد بن يحيىٰ ثنا سعيد بن كثير ثنا يحيىٰ بن أيوب عن يحيىٰ بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة. قالت: كان النبي ﷺ يقرأ في الركعتين اللتين يوتر بعدهما بسبّح اسم ربّك الأعلى وقل يا أيها الكافرون، وفي الوتر بقل هو الله أحد وقل أعوذ بربّ الفلق وقل أعوذ بربّ الناس.



سورة الغاشية

مكية وهي ست وعشرون آية واثنتان وتسعون كلمة وثلاثمائة واحد وثمانون حرفاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۝٥ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ۝٦﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿هل أتاك﴾ أي قد أتاك ﴿حديث الغاشية﴾ يعني القيامة، سمِّيت غاشية لأنها تغشي كل شيء بأهوالها، وقيل الغاشية النار، سُمِّيت بذلك لأنها تغشى وجوه الكفار ﴿وجوه يومئذ﴾ يعني يوم القيامة ﴿خاشعة﴾ يعني ذليلة، والمراد بالوجوه أصحابها فعبر بالجزء عن الكل، ولأن الوجه أشرف أعضاء الإنسان، فعبر به عنه. ﴿عاملة ناصبة﴾ قال ابن عباس: يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام من عبدة الأوثان وكفار أهل الكتاب، مثل الرهبان وأصحاب الصوامع، لا يقبل الله منهم اجتهاداً في ضلال بل يدخلون النار يوم القيامة. ومعنى النصب الدؤوب في العمل بالتعب. (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وفي رواية «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، أما الرواية فإنها تختص بمن أحدث في دين الإسلام شيئاً ابتدعه من عنده فهو مردود عليه لا يقبل منه. وأما الرواية الثانية فإنها تشتمل على كل عامل في دين الإسلام، أو غير دين الإسلام فإنه مردود عليه إذا لم يكن تابعاً لنبينا ﷺ. وقيل في معنى الآية عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في الآخرة في النار. وقيل عاملة ناصبة في النار، لأنها لم تعمل لله في الدنيا فأعملها وأنصبها في النار

سُوْرَة الغَاشِيَة

مكيّة وهي ستّ وعشرون آية.

﴿ هل أتاك حديث الغاشية ﴾، قد أتاك حديث القيامة تغشى كل شيء بالأهوال.

﴿ وجوه يومئذ ﴾، يعني يوم القيامة، ﴿ خاشعة ﴾، ذليلة.

﴿ عاملة ناصبة ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام من عبدة الأوثان وكفّار أهل الكتاب مثل الرهبان وغيرهم لا يقبل الله منهم اجتهاداً في ضلالة، يدخلون النار يوم القيامة، وهو قول سعيد بن جبير وزيد بن أسلم، ومعنى النصب الدأب في العمل بالتعب، وقال عكرمة والسدي: عاملة في الدنيا بالمعاصي، ناصبة في الآخرة في النار. وقال بعضهم: عاملة في النار ناصبة فيها. قال الحسن: لم تعمل لله في الدنيا فأعملها وأنصبها في النار بمعالجة السلاسل، والأغلال، وبه قال قتادة: وهي رواية العوفي عن ابن عباس، قال ابن مسعود: تخوض في النار كما تخوض الإبل في الوحل، قال الكلبي: يُجَرّون على وجوههم في النار. وقال الضحاك: يكلّفون ارتقاء جبل من حديد في النار والكلام خرج على الوجوه والمراد منها أصحابها.

بمعالجة السلاسل والأغلال، وهي رواية عن ابن عباس قال ابن مسعود: تخوض في النار كما تخوض الإبل في الوحل، وقيل يجرون على وجوههم في النار، وقيل يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار وهو قوله تعالى: ﴿تصلي ناراً حامية﴾ قال ابن عباس: قد حميت فهي تتلظى على أعداء الله عزّ وجلّ: ﴿تسقى من عين آنية﴾ أي متناهية في الحرارة قد أوقدت عليها جهنم مذ خلقت لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت فيدفعون إليها وروداً عطاشاً، فهذا شرابهم، ثم ذكر طعامهم فقال تعالى: ﴿ليس لهم طعام إلا من ضريع﴾ قيل هو نبت ذو شوك لا طيء بالأرض تسميه قريش الشبرق فإذا هاج سموه الضريع، وهو أخبث طعام وأبشعه، وهي رواية عن ابن عباس، فإذا يبس لا تقربه دابة، وقيل الضريع في الدنيا هو الشوك اليابس الذي له ورق، وهو في الآخرة شوك من نار، وجاء في الحديث عن ابن عباس يرفعه الضريع شيء في النار يشبه الشوك، أمر من الصبر، وأنتن من الجيفة، وأشد حراً من النار، قال أبو الدرداء: إن الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم ألف سنة ثم يسقون من عين آنية شربة لا هنيئة، ولا مريئة، فإذا أدنوه من وجوههم سلخ جلدة وجوههم، وشواها، فإذا وصل إلى بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى: ﴿وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم﴾ قال المفسرون فلما نزلت هذه الآية قال المشركون إن إبلنا لتسمن على الضريع وكذبوا في ذلك، فإن الإبل إنما ترعاه رطباً فإذا يبس لا تأكله فأنزل الله تعالى:

﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧﴾

﴿لا يسمن ولا يغني من جوع﴾ يعني إن هذ الطعام لا تقدر البهائم على أكله فكيف يقدر الإنسان على أكله، فهو إذاً لا يسمن ولا يغني من جوع.

﴿ تصلى ناراً ﴾، قرأ أهل البصرة وأبو بكر (تُصلى) بضم التاء اعتباراً بقوله: ﴿ تُسقى من عين آنية ﴾، وقرأ الآخرون بفتح التاء، ﴿ حامية ﴾، قال ابن عباس: قد حميت فهي تتلظى على أعداء الله.

﴿ تُسقى من عين آنية ﴾، متناهية في الحرارة قد أوقدت عليها جهنم منذ خلقت، فدفعوا إليها وِرْداً عطاشاً. قال المفسّرون لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت، هذا شرابهم ثم ذكر طعامهم.

فقال: ﴿ ليس لهم طعام إلاّ من ضريع ﴾، قال مجاهد وعكرمة وقتادة: هو نبت ذو شوك لاطىء بالأرض، تسمية قريش الشبرق فإذا هاج سمّوها الضريع، وهو أخبث طعام وأبشعه. وهو رواية العوفي عن ابن عباس. قال الكلبي: لا تقربه دابّة إذا يبست. قال ابن زيد: أما في الدنيا فإن الضريع الشوك اليابس الذي يبس له ورق، وهو في الآخرة شوك من نار، جاء في الحديث عن ابن عباس: الضريع شيء في النار يشبه الشوك أمرّ من الصبر، وأنتن من الجيفة وأشدّ حرّاً من النار، قال أبو الدرداء والحسن: إن الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون فيُغاثون بالضريع، ثم يستغيثون فيُغاثون بطعام ذي غُصّة، فيذكرون أنهم كانوا يُجيزون الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم ألف سنة، ثم يسقون من عين آنية شربة لا هنيئة ولا مريئة، كلما أدنوه من وجوههم، سلخ جلود وجوههم وشواها فإذا وصل إلى بطونهم قطعها فذلك قوله: ﴿ وسُقوا ماء حميماً فقطّع أمعاءهم ﴾ [محمد: ١٥]، قال المفسّرون: فلما نزلت هذه الآية قال المشركون: إن إبلنا لتسمن على الضريع، وكذّبوا في ذلك، فإن الإبل إنما ترعاه ما دام رطباً تسمى شبرقاً فإذا يبس لا يأكله شيء.

فأنزل الله ﴿ لا يُسمِن ولا يُغني من جوع ﴾.

فإن قلت قد ذكر الله تعالى في هذه الآية أنّه لا طعام لهم إلا من ضريع، وذكر في موضع آخر أنه لا طعام لهم إلا من غسلين، فكيف الجمع بينهما؟!.

قلت إن النار دركات فعلى قدر الذنوب تقع العقوبات، فمنهم من طعامه الزقوم لا غير، ومنهم من طعامه الضريع، ومنهم من طعامه الغسلين.

ثم وصف أهل الجنة فقال تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناعمة﴾ أي متنعّمة ذات بهجة وحسن، ونعمة، وكرامة ﴿لسعيها راضية﴾ أي لسعيها في الدنيا راضية في الآخرة حيث أعطيت الجنة بعملها. ﴿في جنة عالية﴾ قيل هو من العلو الذي هو الشرف، وقيل من العلو في المكان، وذلك لأن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض، كل درجة كما بين السماء والأرض. ﴿لا تسمع فيها لاغية﴾ أي ليس فيها لغو ولا باطل. ﴿فيها عين جارية﴾ على وجه الأرض في غير أخدود، وقيل تجري حيث أرادوا من منازلهم، وقصورهم. ﴿فيها سرر مرفوعة﴾ قال ابن عباس: ألواحها من ذهب، مكللة بالزبرجد، والياقوت، مرتفعة ما لم يجىء أهلها، فإذا أراد أهلها الجلوس عليها تواضعت لهم حتى يجلسوا عليها، ثم ترتفع إلى مواضعها ﴿وأكواب﴾ يعني الكيزان التي لا عري لها. ﴿موضوعة﴾ يعني عندهم بين أيديهم، وقيل موضوعة على حافات العين الجارية كلما أرادوا الشرب منها وجدوها مملوءة. ﴿ونمارق مصفوفة﴾ يعني وسائد ومرافق مصفوفة، بعضها جنب بعض أينما أراد أن يجلس ولي الله جلس على واحدة، واستند إلى الأخرى. ﴿وزرابي﴾ يعني البسط العريضة قال ابن عباس: هي الطنافس التي لها خمل، واحدتها زربية ﴿مبثوثة﴾ أي مبسوطة، وقيل متفرقة في المجالس.

قوله عزّ وجلّ: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾ قال أهل التفسير لما نعت الله عزّ وجلّ ما في هذه السورة مما في الجنة عجب من ذلك أهل الكفر وكذبوه، فذكرهم الله صنعه، فقال: أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإنما بدأ بالإبل لأنها من أنفس أموال العرب، ولهم فيها منافع كثيرة والمعنى إن الذي صنع لهم هذا في الدنيا هو الذي صنع لأهل الجنة ما صنع؛ وتكلمت علماء التفسير في وجه تخصيص الإبل بالذكر من بين سائر الحيوانات، فقال: مقاتل لأن العرب لم يروا بهيمة قط أعظم منها، ولم يشاهد الفيل إلا النادر منهم، وقال الكلبي لأنها تنهض بحملها وقد كانت باركة، وقال قتادة: لما ذكر الله تعالى ارتفاع سرر الجنة وفرشها قالوا كيف نصعدها فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وسئل الحسن عن هذه الآية، وقيل له الفيل أعظم في الأعجوبة فقال: أما الفيل فإن العرب بعيدة العهد به، ثم

ثم وصف أهل الجنة فقال: ﴿ وجوه يومئذ ناعمة ﴾، قال مقاتل في نعمة وكرامة.

﴿ لسعيها ﴾، في الدنيا، ﴿ راضية ﴾، في الآخرة حين أُعطيت الجنة بعملها.

﴿ في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية ﴾، لغواً وباطلاً قرأ أهل مكة والبصرة (لا يسمع) بالياء وضمّها، ﴿ لاغية ﴾ رفع، وقرأ نافع بالتاء وضمّها، ﴿ لاغية ﴾ رفع، وقرأ الآخرون بالتاء وفتحها ﴿ لاغية ﴾ بالنصب على الخطاب للنبي ﷺ.

﴿ فيها عين جارية * فيها سُرُرٌ مرفوعة ﴾، قال ابن عباس: ألواحها من ذهب مكلّلة بالزبرجد والدرّ والياقوت مرتفعة ما لم يجيء أهلها، فإذا أراد أن يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها ثم ترتفع إلى مواضعها.

﴿ وأكواب موضوعة ﴾، عندهم.

﴿ ونمارق ﴾، وسائد ومرافق، ﴿ مصفوفة ﴾، بعضها بجنب بعض واحدتها نمرقة بضمّ النون.

هو لا خير فيه لأنه لا يركب على ظهره، ولا يؤكل لحمه، ولا يحلب دره، والإبل أعزّ مال للعرب، وأنفسه تأكل النوى وألقت وغيره، وتخرج اللبن، ومن منافع الإبل أنها مع عظمها تلين للحمل الثقيل، وتنقاد للقائد الضعيف حتى أن الصبي الصغير يأخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء، ومنها أنها فضلت على سائر الحيوانات بأشياء، وذلك أن جميع الحيوانات إنما تقتنى إما للزينة أو للركوب، أو للحمل، أو للبن، أو لأجل اللحم، ولا توجد جميع هذه الخصال إلا في الإبل، فإنها زينة، وتركب فيقطع عليها المفازات البعيدة، وتحمل الثقيل، وتحلب الكثير، ويأكل من لحمها الجم الغفير، وتصبر على العطش عدة أيام، ومنها أن يحمل عليها، وهي باركة ثم تنهض بحملها بخلاف سائر الحيوانات، ومنها أنها ترعى في كل نبات في البراري مما لا يرعاه غيرها من الحيوانات، وهي سفن البر يحمل عليها الثقيل، ويقطع عليها المفاوز البعيدة. وكان شريح يقول: اخرجوا بنا إلى الكناسة حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت.

فإن قلت كيف حسن ذكر الإبل مع السماء والأرض والجبال، ولا مناسبة بينهما ولم بدأ بذكر الإبل قبل السماء والأرض والجبال.

قلت لما كان المراد ذكر الدلائل الدالة على توحيده وقدرته، وأنه هو الخالق لهذه الأشياء جميعها، وكانت الإبل من أعظم شيء عند العرب فينظرون إليها ليلاً ونهاراً، ويصاحبونها ظعناً وإسفاراً ذكرهم عظيم نعمته عليهم فيها ولهذا بدأ بها ولأنها من أعجب الحيوانات عندهم.

وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ
مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيۡنَآ
إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

﴿**وإلى السماء كيف رفعت**﴾ يعني فوق الأرض بغير عمد، ولا ينالها شيء. ﴿**وإلى الجبال كيف نصبت**﴾ أي

﴿ **وزرابيّ** ﴾، يعني البسط العريضة قال ابن عباس: هي الطنافس التي لها حمل واحدتها زربية، ﴿ **مبثوثة** ﴾، مبسوطة، وقيل متفرّقة في المجالس.

﴿ **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت** ﴾، قال أهل التفسير: لمّا نعت الله تعالى في هذه السورة ما في الجنّة عجب من ذلك أهل الكفر وكذّبوه، فذكر لهم الله تعالى صنعه فقال: ﴿ **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت** ﴾ وكانت الإبل أعظم عيس العرب، لهم فيها منافع كثيرة فكما صنع لهم ذلك في الدنيا صنع لأهل الجنة فيها ما صنع وتكلمت الحكماء في وجه تخصيص الإبل من بين سائر الحيوانات، فقال مقاتل: لأنهم لم يروا بهيمة قطّ أعظم منها، ولم يشاهدوا الفيل إلاّ الشاذ منهم. وقال الكلبي: لأنها تنهض بحملها وهي باركة، وقال قتادة: ذكر الله ارتفاع سُرُر الجنة وفرشها، فقالوا: كيف نصعدها فأنزل الله هذه الآية. وسُئِلَ الحسن عن هذه الآية وقيل له: الفيل أعظم في الأعجوبة؟ فقال: أما الفيل فالعرب بعيدة العهد بها، ثم هو خنزير لا يُركب ظهرها ولا يُؤكل لحمها ولا يُحلب درّها، والإبل من أعزّ مال للعرب وأنفسها تأكل النوى والقتّ وتُخرِج اللبن. وقيل: أنها مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف، حتى إن الصبي الصغير يأخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء، وكان شريح القاضي يقول: اخرجوا بنا إلى الكناسة حتى ننظر إلى الإبل كيف خُلقت.

﴿ **وإلى السماء كيف رُفعت** ﴾، عن الأرض حتى لا ينالها شيء يغيّرها.

على الأرض نصباً ثابتاً راسخاً لا يزول. ﴿وإلى الأرض كيف سطحت﴾ أي بسطت، ومهدت بحيث يستقر على ظهرها كل شيء. قال ابن عباس: المعنى هل يقدر أحد أن يخلق مثل الإبل، أو يرفع مثل السماء أو ينصب مثل الجبال، أو يسطح مثل الأرض غير الله القادر على كل شيء. ولما ذكر الله تعالى دلائل التوحيد ولم يعتبروا ولم يتفكروا فيها خاطب نبيه ﷺ فقال تعالى ﴿فذكر إنما أنت مذكر﴾ أي فعظ إنما أنت واعظ ﴿لست عليهم بمسيطر﴾ أي بمسلط فتكرههم على الإيمان، وهذه الآية منسوخة نسختها آية القتال. ﴿إلا من تولى وكفر﴾ استثناء منقطع عما قبله معناه لكن من تولى وكفر بعد التذكير ﴿فيعذبه الله العذاب الأكبر﴾ وهو أن يدخله النار، وإنما قال: الأكبر لأنهم عذبوا في الدنيا بأنواع من العذاب مثل الجوع، والقحط والقتل، والأسر، فكانت النار أكبر من هذا كله. ﴿إن إلينا إيابهم﴾ أي رجوعهم بعد الموت. ﴿ثم إن علينا حسابهم﴾ يعني جزاءهم بعد الرجوع إلينا، والله أعلم.

﴿ وإلى الجبال كيف نُصبت ﴾، على وجه الأرض مرساة لا تزول.

﴿ وإلى الأرض كيف سُطِحَت ﴾، بسطت، قال عطاء عن ابن عباس: هل يقدر أحد أن يخلق مثل الإبل أو يرفع مثل السماء أو ينصب مثل الجبال أو يسطح مثل الأرض غيري؟

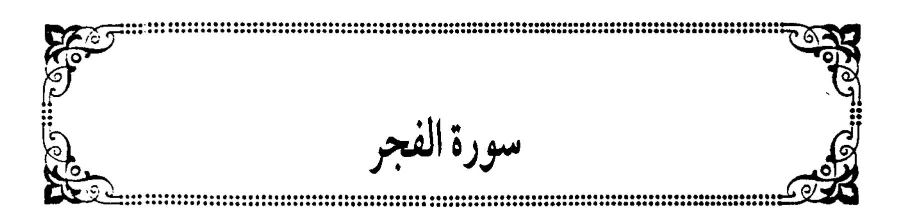
﴿ فذكّر إنّما أنت مذكّر * لست عليهم بمصيطر ﴾، بمسلّط فتقتلهم وتُكرِهُم على الإيمان نسختها آية القتال.

﴿ إلاّ مَن تولى ﴾، استثناء منقطع عمّا قبله معناه لكن مَن تولّى، ﴿ وكفر ﴾، بعد التذكير.

﴿ فيعذّبه الله العذاب الأكبر ﴾ وهو أن يدخله النار وإنما قال الأكبر لأنهم عُذّبوا في الدنيا بالجوع والقحط والقتل والأسْر.

﴿ إن إلينا إيابهم ﴾، رجوعهم بعد الموت، يقال: آب يؤوب أوباً وإياباً، وقر أبو جعفر ﴿ إيابهم ﴾ بتشديد الياء وهو شاذ لم يُجِزْه أحد غير الزجّاج فإنه قال يقال: أيب إياباً على فعل فيعالاً.

﴿ ثم إن علينا حسابهم ﴾، يعني جزاءهم بعد المرجع إلى الله عزّ وجلّ.



سورة الفجر

مكية وهي تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية ومائة وتسعون كلمة وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿والفجر﴾ أقسم الله عزّ وجلّ بالفجر وما بعده لشرفها وما فيها من الفوائد الدينية وهي أنها دلائل باهرة، وبراهين قاطعة، على التوحيد، وفيها من الفوائد الدنيوية أنها تبعث على الشكر.

واختلفوا في معاني هذه الألفاظ، فروي عن ابن عباس، أنه قال: الفجر هو انفجار الصبح في كل يوم، أقسم الله تعالى به لما يحصل فيه من انقضاء الليل، وظهور الضوء، وانتشار الناس، وسائر الحيوانات في طلب الأرزاق، وذلك يشبه نشر الموتى من قبورهم للبعث. وعن ابن عباس أيضاً أنه صلاة الفجر، والمعنى أنه أقسم بصلاة الفجر لأنها مفتتح النهار، ولأنها مشهودة يشهدها ملائكة الليل، وملائكة النهار، وقيل إنه فجر معين.

واختلفوا فيه، فقيل هو فجر أول يوم من المحرم، لأن منه تنفجر السنة، وقيل هو فجر ذي الحجة، لأنه قرن به الليالي العشر، وقيل هو فجر يوم النحر، لأن فيه أكثر مناسك الحج، وفيه القربات. ﴿وليال عشر﴾ قيل إنما نكرها لما فيها من الفضل، والشرف الذي لا يحصل في غيرها. روي عن ابن عباس أنها العشر الأول من ذي الحجة لأنها أيام الاشتغال بأعمال الحج، وأخرج الترمذي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «ما من أيام العمل فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر»، وذكر الحديث، وروي عن ابن عباس قال: هي العشر الأواخر من رمضان، لأن فيها ليلة

سُورَة الفَجْر

مكيّة وهي ثلاثون آية.

﴿ والفجر ﴾ أقسم الله عزّ وجلّ بالفجر، روى أبو صالح عن ابن عباس قال: هو انفجار الصبح كل يوم. وهو قول عكرمة، وقال عطية عنه: صلاة الصبح. وقال قتادة: هو فجر أول يوم من المحرّم تنفجر منه السنة. وقال الضحاك: فجر ذي الحجة لأنه قرن به الليالي العشر.

﴿ وليالٍ عشر ﴾، رُوِيَ عن ابن عباس: أنها العشر الأُوَل من ذي الحجة. وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك والسدي والكلبي، وقال أبو روق عن الضحاك: هي العشر الأُوَل من شهر رمضان. وروى أبو ظبيان عن ابن عباس قال: هي العشر الأواخر من شهر رمضان. وقال يمن بن رباب: هي العشر الأُوَل من المحرّم التي عاشِرُها يوم عاشوراء.

﴿ والشفع والوتر ﴾، قرأ حمزة والكسائي الوتر بكسر الواو، وقرأ الآخرون بفتحها، واختلفوا في الشفع

القدر، ولأن رسول الله ﷺ كان إذا دخل العشر الأخير من رمضان أحيا ليلة، وشد مئزره، وأيقظ أهله، يعني للعبادة؛ وقيل هي العشر الأول من المحرم، وهو تنبيه على شرفه، ولأن فيه يوم عاشوراء. ﴿والشفع والوتر﴾ قيل الشفع هو الخلق، والوتر هو الله تعالى يروي ذلك عن أبي سعيد الخدري، وقيل الشفع هو الخلق كالإيمان والكفر، والهدى، والضلالة، والسعادة، والشقاوة، والليل، والنهار، والأرض، والسماء، والشمس، والقمر، والبر، والبحر، والنور، والظلمة، والجن، والإنس. والوتر هو الله تعالى، وقيل الخلق كله فيه شفع وفيه وتر. وقيل هما الصلوات منها شفع ومنها وتر عن عمران بن حصين رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ سئل عن الشفع والوتر قال: هي الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر» أخرجه الترمذي. وقال: حديث غريب وعن ابن عباس قال: الشفع صلاة الغداة، والوتر صلاة المغرب، وعن عبد الله بن الزبير قال: الشفع النفر الأول، والوتر النفر الأخير، وروى أن رجلاً سأله عن الشفع، والوتر، والليالي العشر فقال: أما الشفع والوتر فقول الله عزّ وجلّ: **﴿فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه﴾** فهما الشفع والوتر، وأما الليالي العشر فالثمان، وعرفة والنحر، وقيل الشفع الأيام، والليالي؛ والوتر اليوم الذي لا ليلة معه، وهو يوم القيامة، وقيل الشفع درجات الجنة لأنها ثمان، والوتر دركات النار لأنها سبع، فكأنه أقسم بالجنة، والنار. وقيل الشفع أوصاف المخلوقين المتضادة، مثل العز، والذل، والقدرة، والعجز، والقوة، والضعف، والغنى، والفقر، والعلم، والجهل، والبصر، والعمي، والموت، والحياة، والوتر، صفات الله تعالى التي تفرد بها عزّ بلا ذل، وقدرة بلا عجز، وقوة بلا ضعف، وغنى بلا فقر، وعلم بلا جهل، وحياة بلا موت.

وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴿٤﴾ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ﴿٥﴾ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٨﴾

﴿والليل إذا يسر﴾ أي إذا سار وذهب، وقيل إذا جاء، وأقبل، وأراد به كل ليلة، وقيل هي ليلة المزدلفة، وهي

والوتر، قيل: الشفع الخلق، قال الله تعالى: ﴿ وخلقناكم أزواجاً ﴾ [النبأ: ٨] والوتر: هو الله عزّ وجلّ. رُوِيَ ذلك عن أبي سعيد الخدري، وهو قول عطية العوفي، وقال مجاهد ومسروق: الشفع الخلق كله، كما قال الله تعالى: ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين ﴾ [الذاريات: ٤٩]، الكفر والإيمان، والهدى والضلالة، والسعادة والشقاوة، والليل والنهار، والسماء والأرض، والبرّ والبحر، والشمس والقمر، والجنّ والإنس، والوتر هو الله، قال الله تعالى: ﴿ قل هو الله أحد ﴾ [الإخلاص: ١]، قال الحسن وابن زيد: الشفع والوتر الخلق كله منه شفع ومنه وتر. وروى قتادة عن الحسن قال: هو العدد منه شفع ومنه وتر. وقال قتادة: هما الصلوات منها شفع ومنها وتر. ورُوِيَ ذلك عن عمران بن حصين مرفوعاً، وروى عطية عن ابن عباس: الشفع صلاة الغداة، والوتر صلاة المغرب. وعن عبد الله بن الزبير قال: الشفع يوم النفر الأول والوتر يوم النفر الأخير. رُوِيَ أن رجلاً سأله عن الشفع والوتر والليالي العشر، فقال: أما الشفع والوتر فقول الله عزّ وجلّ: ﴿ فمَن تعجّل في يومين فلا إثم عليه ومَن تأخر فلا إثم عليه ﴾ [البقرة: ٢٠٣] فهما الشفع والوتر، وأما الليالي العشر فالثمان وعرفة والنحر. وقال مقاتل بن حيان: الشفع الأيام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليلة بعده وهو يوم القيامة. وقال الحسين بن الفضل: الشفع درجات الجنة لأنها ثمانٍ، والوتر دركات النار لأنها سبع، كأنه أقسم بالجنة والنار، وسُئِلَ أبو بكر الورّاق عن الشفع والوتر فقال: الشفع تضاد أوصاف المخلوقين من العزّ والذلّ، والقدرة والعجز، والقوة والضعف، والعلم والجهل، والبصر والعمى، والحياة والموت، والوتر انفراد صفات الله عِزٌّ بلا ذُلّ، وقدرة بلا عجز، وقوة بلا ضعف، وعلم بلا جهل، وحياة بلا موت.

﴿ والليل إذا يسر ﴾، أي إذا سار وذهب كما قال: ﴿ والليل إذ أدبر ﴾ [المدّثر: ٣٣]، وقال قتادة: إذا جاء

ليلة النحر التي يسار فيها من عرفات إلى مزدلفة فعلى هذا يكون المعنى والليل الذي يسار فيه. ﴿**هل في ذلك**﴾ أي فيما ذكرت ﴿**قسم**﴾ مقنع ومكتفي في القسم فهو استفهام بمعنى التأكيد. ﴿**لذي حجر**﴾ أي لذي عقل سمي بذلك لأنه يحجر صاحبه عما لا يحل له، ولا ينبغي كما سمي عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن القبائح، وسمي نهيه لأنه ينهى عما لا يحل، ولا ينبغي وأصل الحجر المنع، ولا يقال ذو حجر إلا لمن هو قاهر لنفسه ضابط لها عما لا يليق، كأنه حجر على نفسه ومنعها ما تريد، والمعنى إن من كان ذا لب، وعقل علم أن ما أقسم الله عزّ وجلّ به من هذه الأشياء فيه عجائب، ودلائل تدل على توحيده، وربوبيته. فهو حقيق بأن يقسم به لدلالته على خالقه. قيل جواب القسم قوله تعالى ﴿**إن ربك لبالمرصاد**﴾، واعترض بين القسم وجوابه قوله تعالى ﴿**ألم تر كيف فعل ربك بعاد**﴾، وقيل جواب القسم محذوف وتقديره ورب هذه الأشياء ليعذبن الكافر يدل عليه قوله تعالى ﴿**ألم تر كيف فعل ربك بعاد**﴾؟ إلى قوله ﴿**فصب عليهم ربك سوط عذاب**﴾، وقوله عزّ وجلّ ﴿**ألم تر كيف فعل ربك**﴾؟ أي ألم تعلم وإنما أطلق لفظ الرؤية على العلم لأن أخبار عاد وثمود وفرعون كانت معلومة عندهم.

وقوله: ﴿**ألم تر**﴾ خطاب للنبي ﷺ ولكنه عام لكل أحد. ﴿**كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد**﴾ المقصود من ذلك تخويف أهل مكة وكيف أهلكهم وهم كانوا أطول أعماراً، وأشد قوة، من هؤلاء فأما عاد فهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح، ومنهم من يجعل عاداً اسماً للقبيلة لقوله تعالى: ﴿**وأنه أهلك عاداً الأولى وإرم**﴾ هو جد عاد على ما ذكر في نسبه عاد. وقيل إن المتقدمين من قوم عاد كانوا يسمون بإرم اسم جدهم. وقيل إرم هم قبيلة من عاد، وكان فيهم الملك، وكانوا بمهرة اسم موضع باليمن وكان عاد أباهم فنسبوا إليه وهو إرم بن عاد بن شيم بن سام بن نوح؛ وقال الكلبي: إرم هو الذي يجتمع إليه نسب عاد وثمود أهل السواد، وأهل الجزيرة، وكان يقال عاد إرم وثمود إرم فأهلك عاد وثمود، وأبقى أهل السواد، وأهل الجزيرة؛ وقال سعيد بن المسيب: إرم ذات العماد دمشق وقيل الإسكندرية، وفيه ضعف لأن منازل عاد كانت من عمان إلى حضر موت، وهي بلاد الرمال والأحقاف. وقيل إن عاداً كانوا أهل عمد وخيام وماشية سيارة في الربيع فإذا هاج العود ويبس رجعوا إلى منازلهم، وكانوا أهل جنان وزروع ومنازلهم بوادي القرى، وهي التي قال الله تعالى: ﴿**التي لم يخلق مثلها في البلاد**﴾ وسموا ذات العماد لأنهم كانوا أهل عمد سيارة، وهو قول قتادة ومجاهد والكلبي، ورواية ابن عباس. وقيل سموا ذات العماد لطول قامتهم يعني طولهم، مثل العماد في الشبه، قال مقاتل: كان طول أحدهم اثني عشر ذراعاً، وقوله ﴿**التي يخلق مثلها في البلاد**﴾ يعني لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول، والقوة، وهم الذين قالوا «من أشد منا قوة». وقيل سموا ذات العماد لبناء بناه بعضهم، فشيد عمده ورفع بناءه، وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا بعده، وقهرا البلاد والعباد فمات شديد وخلص الملك لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها وكان يحب قراءة الكتب القديمة فسمع بذكر الجنة وصفتها فدعته نفسه إلى بناء مثلها عتواً على الله وتجبراً؛ روى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له شردت

وأقبل وأراد كل ليلة. وقال مجاهد وعكرمة والكلبي: هي ليلة المزدلفة، قرأ أهل الحجاز والبصرة (يسري) بالياء في الوصل ويقف ابن كثير ويعقوب بالياء أيضاً، والباقون يحذفونها في الحالين، فمَن حذف فلِوَفَاق رؤوس الآي، ومَن أثبت فلأنها لام الفعل، والفعل لا يُحذَف منه في الوقف، نحو قوله: هو يقضي وأنا أقضي، وسُئِلَ الأخفش عن العلّة في سقوط الياء، فقال: الليل لا يسري ولكن يُسرَى فيه، فهو مصروف فلما صرفه بخسه حقه من الإعراب، كقوله: ﴿ وما كانت أُمك بغياً ﴾ [مريم: ٢٨]، ولم يقل بغية لأنه صرف من باغية.

﴿ **هل في ذلك** ﴾، أي فيما ذكرت، ﴿ **قسم** ﴾، أي مقنع ومكتفى في القسم، ﴿ **لذي حِجْر** ﴾، لذي عقل سُمّي بذلك لأنه يحجر صاحبه عمّا لا يحلّ ولا ينبغي، كما يسمّى عقلاً لأنه يعقله عن القبائح، ونهي لأنه ينهى عمّا

فبينما هو يسير في صحارى عدن إذا وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنا منها ظن أن فيها أحداً يسأله عن إبله فلم ير خارجاً ولا داخلاً فنزل عن دابته وعقلها، وسل سيفه ودخل من باب المدينة فإذا هو ببابين عظيمين وهما مرصعان بالياقوت الأحمر فلما رأى ذلك دهش، ففتح الباب ودخل، فإذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها، وإذا فيها قصور في كل قصر منها غرف، وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب، والفضة، وأحجار اللؤلؤ والياقوت؛ وإذا أبواب تلك القصور مثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها بعضاً وهي مفروشة كلها باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران، فلما عاين ذلك ولم ير أحداً هاله ذلك ثم نظر إلى الأزقة فإذا في تلك الأزقة أشجار مثمرة، وتحت تلك الأشجار أنهار مطردة يجري ماؤها في قنوات من فضة فقال الرجل في نفسه هذه الجنة وحمل معه من لؤلؤ ترابها ومن بنادق مسكها وزعفرانها، ورجع إلى اليمن وأظهر ما كان معه وحدّث بما رأى فبلغ ذلك معاوية، فأرسل إليه فقدم عليه فسأله عن ذلك فقص عليه ما رأى فأرسل معاوية إلى كعب الأحبار فلما أتاه قال له: يا أبا إسحاق هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم هي إرم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال: فحدثني حديثها فقال لما أراد شداد بن عاد عملها أمر عليها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الأعوان، وكتب إلى ملوك الأرض أن يمدوه بما في بلادهم من الجواهر فخرجت القهارمة يسيرون في الأرض ليجدوا أرضاً موافقة فوقفوا على صحراء نقية من التلال وإذا فيها عيون ماء ومروج فقالوا هذه الأرض التي أمر الملك أن نبني فيها فوضعوا أساسها من الجزع اليماني، وأقاموا في بنائها ثلاثمائة سنة، وكان عمر شداد تسعمائة سنة فلما أتوه وقد فرغوا منها قال: انطلقوا فاجعلوا حصناً يعني سوراً واجعلوا حوله ألف قصر وعند كل قصر ألف علم ليكون في كل قصر وزير من وزرائي ففعلوا وأمر الملك وزراءه وهم ألف وزير أن يتهيؤا للنقلة إلى إرم ذات العماد، وكان الملك وأهله في جهازهم عشر سنين ثم ساروا إليها فلما كانوا من المدينة على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم

لا ينبغي، وأصل الحجر المنع وجواب القسم قوله: ﴿إن ربّك لبالمرصاد﴾ [الفجر: ١٤]، واعترض بين القسم وجوابه قوله عزّ وجلّ:

﴿**ألم ترَ**﴾، قال الفرّاء: ألم تخبر. وقال الزّجّاج: ألم تعلم ومعناه التعجّب. ﴿**كيف فعل ربك بعادٍ * إرم**﴾، يخوّف أهل مكة يعني كيف أهلكهم، وهم كانوا أطول أعماراً وأشدّ قوة من هؤلاء، واختلفوا في إرم فقال سعيد بن المسيب إرم ﴿**ذات العماد**﴾: دمشق، وبه قال عكرمة، وقال القرظي هي الإسكندرية، وقال مجاهد: هي أمة. وقيل: معناها القديمة. وقال قتادة ومقاتل: هم قبيلة من عاد. قال مقاتل: كان فيهم الملك وكانوا بمهرة وكان عاد أباهم فنسبهم إليه وهو رام بن عاد بن شيم بن سام بن نوح. وقال محمد بن إسحاق هو جدّ عاد وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وقال الكلبي: إرم هو الذي يجتمع إليه نسب عاد وثمود وأهل الجزيرة، كان يقال: عاد إرم وثمود إرم، فأهلك الله عاداً ثم ثمود وبقي أهل السواد والجزيرة، وكانوا أهل عمد وخيام وماشية سيّارة في الربيع، فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكانوا أهل جنان وزروع ومنازلهم بوادي القرى، وهي التي يقول الله فيها:

﴿**التي لم يُخلق مثلها في البلاد**﴾، وسمّوا ذات العماد لهذا لأنهم كانوا أهل عمد سيّارة، وهو قول قتادة ومجاهد والكلبي، ورواية عطاء عن ابن عباس، وقال بعضهم: سُمّوا ذات العماد لطول قامتهم. قال ابن عباس: يعني طولهم مثل العماد. وقال مقاتل: كان طول أحدهم اثني عشر ذراعاً. وقوله: ﴿**لم يخلق مثلها في البلاد**﴾، أي لم يُخلَق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة، وهم الذين قالوا: ﴿مَن أشدُّ منّا قوة﴾ [فصّلت: ١٥]، وقيل: سُمّوا ذات العماد لبناء بناه بعضهم فشيّد عنده، ورفع بناءه، يقال: بناه شدّاد بن عاد على صفة لم يُخلَق في الدنيا

جميعاً، ولم يبق منهم أحد ثم قال كعب: وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال، وعلى عنقه خال، يخرج في طلب إبل له ثم التفت فأبصر عبد الله بن قلابة فقال: هذا والله ذلك الرجل.

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿**وثمود**﴾ أي وفعل بثمود مثل ما فعل بعاد ﴿**الذين جابوا**﴾ أي قطعوا ﴿**الصخر**﴾ أي الحجر ﴿**بالواد**﴾ يعني بوادي القرى وكانت ثمود أول من قطّع الصخر ونحته واتخذوا مساكن في الجبال وبيوتاً. ﴿**وفرعون ذي الأوتاد**﴾ سمي بذلك لكثرة جنوده وكثرة مضاربهم وخيامهم التي كانوا يضربونها، إذا نزلوا، وقيل معناه ذي الملك كما قيل في ظل ملك راسخ الأوتاد.

وقيل سمي بذلك لأنه كان يعذب الناس بالأوتاد وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس أن فرعون إنما سمي ذا الأوتاد لأنه كانت عنده امرأة مؤمنة وهي امرأة خازنة حزقيل وكان مؤمناً كتم إيمانه مائة سنة وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون فبينما هي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل لك من إله غير أبي فقالت إلهي وإله أبيك وإله السموات والأرض واحد لا شريك له فقامت ودخلت على أبيها وهي تبكي فقال لها ما يبكيك قالت الماشطة امرأة خازنك تزعم أن إلهك وإلهنا وإله السموات والأرض واحد لا شريك له فأرسل إليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها: ويحك اكفري بإلهك وقري أني إلهك قالت لا أفعل فمدها بين أربعة أوتاد ثم أرسل عليها الحيات والعقارب وقال لها: اكفري بالله وإلا عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتني سبعين شهراً ما كفرت بالله وكان لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على قلبها ثم قال اكفري بالله وإلا ذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعاً فقالت لو ذبحت من في الأرض على فيّ ما كفرت بالله

مثله وسار إليه في قومه، فلما كان منه على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى قومه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعاً.

﴿ **وثمود** ﴾، أي وبثمود، ﴿ **الذين جابوا الصخر** ﴾، قطعوا الحجر، صخرة واحداتها، ﴿ **بالواد** ﴾، يعني وادي القرى كانوا يقطعون الجبال فيجعلون فيها بيوتاً، وأثبت ابن كثير ويعقوب الياء في الوادي وصلاً ووقفاً على الأصل، وأثبتها ورش وصلاً والآخرون بحذفها في الحالين على وفق رؤوس الآي.

﴿**وفرعون ذي الأوتاد**﴾، سُمّي بذلك لأنه كان يعذب الناس بالأوتاد، وقد ذكرناه في سورة صٓ [١٢]. أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا ابن فنجويه ثنا مخلد بن جعفر ثنا الحسن بن علويه ثنا إسماعيل بن عيسى ثنا إسحاق بن بشر عن سمعان عن عطاء عن ابن عباس: أن فرعون إنما سُمّي ذا الأوتاد لأنه كانت له امرأة، وهي امرأة خازنة حزقيل، وكان مؤمناً كتم إيمانه مائة سنة، وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون فبينما هي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها، فقالت: تعس مَن كفر بالله، فقالت بنت فرعون: وهل لك من إلٰه غير أبي؟ فقالت: إلٰهي وإلٰه أبيك وإلٰه السمٰوات والأرض واحد لا شريك له، فقامت فدخلت على أبيها وهي تبكي، فقال: ما يُبكيك؟ قالت: الماشطة امرأة خازنك تزعم أن إلٰهك وإلٰهها وإلٰه السمٰوات والأرض واحد لا شريك له، فأرسل إليها فسألها عن ذلك، فقالت: صدقت، فقال لها: ويحك اكفري بإلٰهك وأقرّي بأني إلٰهك، قالت: لا أفعل فمدّها بين أربعة أوتاد ثم أرسل عليها الحيّات والعقارب، وقال لها: اكفري بالله وإلاّ عذّبتك بهذا العذاب شهرين، فقالت له: ولو عذّبتني سبعين شهراً ما كفرت بالله، وكان لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على قلبها، وقال لها: اكفري بالله وإلاّ ذبحت الصغرى على فِيْك، وكانت رضيعاً، فقالت: لو ذبحت مَن على وجه الأرض على فِيّ ما

عزّ وجلّ فأتى بابنتها فلما اضطجعت على صدرها وأراد ذبحها جزعت المرأة فأطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهي من الأربعة الذين تكلموا في المهد صغاراً أطفالاً وقالت يا أماه لا تجزعي فإن الله قد بنى لك بيتاً في الجنة فاصبري فإنك تفضين إلى رحمة الله وكرامته فذبحت فلم تلبث الأم أن ماتت فأسكنها الله الجنة قال: وبعث في طلب زوجها حزقيل فلم يقدروا عليه فقيل لفرعون إنه قد رؤي في موضع كذا في جبل كذا فبعث رجلين في طلبه فانتهى إليه الرجلان، وهو يصلي وثلاثة صفوف من الوحش خلفه يصلون فلما رأوا ذلك انصرفوا فقال، حزقيل: اللّهم إنك تعلم أني كتمت إيماني مائة سنة ولم يظهر عليّ أحد فأيما هذين الرجلين كتم عليّ فاهده إلى دينك وأعطه من الدنيا سؤاله وأيما هذين الرجلين أظهر عليّ فعجل عقوبته في الدنيا واجعل مصيره في الآخرة إلى النار فانصرف الرجلان إلى فرعون فأما أحدهما فاعتبر وآمن وأما الآخر فأخبر فرعون بالقصة على رؤوس الملأ فقال له فرعون وهل معك غيرك قال نعم فلان فدعا به فقال أحق ما يقول هذا قال ما رأيت مما يقول شيئاً فأعطاه فرعون وأجزل وأما الآخر فقتله ثم صلبه قال: وكان فرعون قد تزوج امرأة من أجمل نساء بني إسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم، فرأت ما صنع فرعون بالماشطة، فقالت وكيف يسعني أن أصبر على ما يأتي فرعون وأنا مسلمة وفرعون كافر؟ فبينما هي كذلك تؤامر نفسها إذ دخل عليها فرعون فجلس قريباً منها، فقالت يا فرعون أنت أشر الخلق وأخبثهم، عمدت إلى الماشطة فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذي كان بها، قالت: ما بي جنون وإن إلهها وإلهك وإلهي وإله السموات والأرض واحد لا شريك له فبصق عليها وضربها، وأرسل إلى أبيها، وأمها فدعاهما وقال لهما إن الجنون الذي كان بالماشطة أصابها، قالت: أعوذ بالله من ذلك، إني أشهد أن ربي وربك ورب السموات والأرض واحد لا شريك له، فقال لها أبوها يا آسية ألست من خير نساء العماليق، وزوجك إله العماليق قالت: أعوذ بالله من ذلك إن كان ما يقول حقاً فقولا له أي يتوجني تاجاً تكون

كفرت بالله عزّ وجلّ، فأتى بابنتها الصغرى فلما اضطجعت على صدرها وأرادوا ذبحها جزعت المرأة فأطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهي من الأربعة الذين تكلموا أطفالاً، فقالت: يا أُمّاه لا تجزعي فإن الله قد بنى لك بيتاً في الجنة، اصبري فإنك تفضين إلى رحمة الله وكرامته، فذبحت فلم تلبث أن ماتت فأسكنها الله الجنة، قال: وبعث في طلب زوجها حزقيل فلم يقدروا عليه، فقيل لفرعون: إنه قد رُؤِيَ في موضع كذا في جبل كذا، فبعث رجلين في طلبه فانتهيا إليه وهو يصلّي ويليه صفوف من الوحش خلفه يصلّون، فلما رأيا ذلك انصرفا، فقال حزقيل: اللّهمَّ إنك تعلم أني كتمت إيماني مائة سنة ولم يظهر على أحد فأيّما هذان الرجلين كتم عليّ فاهده إلى دينك وأعطه من الدنيا سؤله، وأيما هذين الرجلين أظهر عليّ فعجّل عقوبته في الدنيا واجعل مصيره في الآخرة إلى النار، فانصرف الرجلان إلى فرعون فأما أحدهما فاعتبر وآمن، وأما الآخر فأخبر فرعون بالقصة على رؤوس الملأ، فقال له فرعون: وهل كان معك غيرك؟ قال: نعم فلان، فدعا به فقال: أحقٌّ ما يقول هذا؟ قال: لا ما رأيت مما قال شيئاً فأعطاه فرعون وأجزل وأما الآخر فقتله، ثم صلبه، قال: وكان فرعون قد تزوج امرأة من نساء بني إسرائيل يقال لها آسية بنت مُزاحم فرأت ما صنع فرعون بالماشطة، فقالت: وكيف يسعني أن أصبر على ما يأتي فرعون وأنا مسلمة وهو كافر؟ فبينما هي كذلك تؤامر نفسها إذ دخل عليها فرعون فجلس قريباً منها، فقالت: يا فرعون أنت أشرّ الخلق وأخبثهم عمدت إلى الماشطة فقتلتها، قال: فلعلّ بك الجنون الذي كان بها قالت: ما بي من جنون، وإن إلّهي وإلّهك وإلّه السمٰوات والأرض واحد لا شريك له، فمزّق عليها ثيابها وضربها وأرسل إلى أبويها فدعاهما، فقال لهما: ألا تريان أن الجنون الذي كان بالماشطة أصابها، قالت: أعوذ بالله من ذلك إني أشهد أن ربّي وربّك وربّ السمٰوات والأرض واحد لا شريك له، فقال أبوها: يا آسية ألستِ من خير نساء العماليق وزوجك إلّه العماليق؟ قالت: أعوذ بالله من ذلك، إن كان ما يقول حقاً فقولا له أن يتوّجني تاجاً تكون الشمس أمامه والقمر خلفه والكواكب

الشمس أمامه والقمر خلفه والكواكب حوله. فقال لهما فرعون أخرجا عني ثم مدها بين أربعة أوتاد يعذبها ففتح الله لها باباً إلى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون، فعند ذلك «قالت رب ابنِ لي عندك بيتاً في الجنة ونجّني من فرعون وعمله»، فقبض الله روحها وأدخلها الجنة.

ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿**الذين طغوا في البلاد**﴾ يعني عاداً وثموداً وفرعون عملوا بالمعاصي، وتجبروا، ثم فسر ذلك الطغيان بقوله ﴿**فأكثروا فيها الفساد**﴾ يعني القتل والفساد ضد الصلاح، فكما أن الصلاح يتناول جميع أقسام البر فكذلك الفساد يتناول جميع أقسام الإثم. ﴿**فصب عليهم ربك سوط عذاب**﴾ يعني لوناً من العذاب صبّه عليهم، وقيل هو تشبيه بما يكون في الدنيا من العذاب بالسوط، وقيل هو إشارة إلى ما خلط لهم من العذاب، لأن أصل السوط خلط الشيء بعضه ببعض؛ وقيل هذا على الاستعارة، لأن السوط غاية العذاب فجرى ذلك لكل نوع منه. وقيل جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب، وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية يقول إن عند الله أسواطاً كثيرة، فأخذهم بسوط منها. ﴿**إن ربك لبالمرصاد**﴾ قال ابن عباس يعني بحيث يرى ويسمع، وقيل عليه طريق العباد، لا يفوته أحد وقيل عليه ممر الناس لأن الرصد والمرصاد الطريق. وقيل ترجع الخلق إلى حكمه وأمره وإليه مصيرهم، وقيل إنه يرصد أعمال بني آدم. والمعنى أنه لا يفوته شيء من أعمال العباد، كما لا يفوت من المرصاد، وقد قيل أرصد النار على طريقهم حتى تهلكهم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**فأما الإنسان إذا ما ابتلاه**﴾ أي امتحنه ﴿**ربه**﴾ أي بالنعمة ﴿**فأكرمه**﴾ أي بالمال ﴿**ونعمه**﴾ أي بما يوسع عليه ﴿**فيقول ربي أكرمن**﴾ أي بما أعطاني من المال والنعمة.

حوله، فقال لهما فرعون: اخرجا عنّي، فمدّها بين أربعة أوتاد يعذبها ففتح الله لها باباً إلى الجنة ليهوّن عليها ما يصنع بها فرعون، فعند ذلك قالت: ﴿ ربِّ ابنِ لي عندك بيتاً في الجنة ونجِّني من فرعون وعمله، ونجِّني من القوم الظالمين ﴾ [التحريم: ١١]، فقبض الله روحها وأسكنها الجنة.

﴿ **الذين طغوا في البلاد** ﴾، يعني عاداً وثمود وفرعون عملوا في الأرض بالمعاصي وتجبّروا.

﴿ **فأكثروا فيها الفساد * فصبَّ عليهم ربّهم سوط عذاب** ﴾، قال قتادة: يعني لوناً من العذاب صبّه عليهم، قال أهل المعاني: هذا على الاستعارة لأن السوط عندهم غاية العذاب، فجرى ذلك لكل نوع من العذاب. قال الزجّاج: جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب.

﴿ **إنّ ربّك لبالمرصاد** ﴾، قال ابن عباس: يعني بحيث يرى ويسمع ويُبصِر ما تقول وتفعل وتهجس به العبـاد. قال الكلبي: عليه طريق العباد لا يفوته أحد. قال مقاتل: ممرّ الناس عليه والمرصاد، والمرصد: الطريق. وقيل: مرجع الخلق إلى حكمه وأمره وإليه مصيرهم. وقال الحسن وعكرمة: يرصد أعمال بني آدم. والمعنى: أنه لا يفوته شيء من أعمال العباد كما لا يفوت مَن هو بالمرصاد. وقال السدي: أرصد الله النار على طريقهـم حتى يهلكهم.

﴿ **فأما الإنسان إذا ما ابتلاه** ﴾، امتحنه، ﴿ **ربّه** ﴾، بالنعمة، ﴿ **فأكرمه** ﴾، بالمال، ﴿ **ونعمه** ﴾، بما وسّع عليه، ﴿ **فيقول ربّي أكرمنِ** ﴾، بما أعطاني.

وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾

﴿وأما إذا ما ابتلاه﴾ يعني بالفقر ﴿فقدر عليه﴾ أي فضيق عليه، وقيل قتر. ﴿رزقه﴾ أي وقد أعطاه ما يكفيه. ﴿فيقول ربي أهانن﴾ أي أذلني بالفقر، قيل نزلت في أمية بن خلف الجمحي الكافر، وقيل ليس المراد به واحداً بعينه، بل المراد جنس الكافر، وهو الذي تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ في الدنيا وقلته فرد الله تعالى على من ظن أن سعة الرزق إكرام وأن الفقر إهانة فقال تعالى: ﴿كلا﴾ أي ليس الأمر كذلك، أي لم ابتله بالغنى لكرامته، ولم ابتله بالفقر لهوانه، فأخبر أن الإكرام والإهانة لا يدوران على المال، وسعة الرزق وقلته، ولكن الغنى والفقر بتقدير الله جلّ جلاله وحكمته فقد يوسع على الكافر لا لكرامته، ويضيق على المؤمن لا لهوانه، لكن لأمر اقتضته حكمة الله تعالى، وإنما يكرم المرء بطاعته، ويهينه بمعصيته، وقد يوسع على الإنسان من أصناف المال ليختبره، أيشكر أم يكفر، ويضيق عليه ليختبره، أيصبر أم يضجر، ويقلق. ﴿بل لا تكرمون اليتيم﴾ أي لا يعطونه حقه الثابت له في الميراث قال مقاتل: كان قدامة بن مظعون يتيماً في حجر أمية بن خلف، فكان يدفعه عن حقه. ﴿ولا تحضون على طعام المسكين﴾ أي لا يطعمون مسكيناً، ولا يأمرون بإطعامه، وقرىء ولا يحاضون ومعناه، ولا يحض بعضهم بعضاً على ذلك. ﴿وتأكلون التراث﴾ أي الميراث ﴿أكلاً لما﴾ أي شديداً، والمعنى أنه يأكل نصيبه ونصيب غيره، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء، ولا الصبيان، ويأكلون نصيبهم، وقيل الآكل اللم الذي يأكل كل شيء يجده لا يسأل أحلال أم حرام، فيأكل الذي له ولغيره. ﴿وتحبون المال حباً جماً﴾ أي كثيراً والمعنى يحبون جمع

﴿ وأما إذا ما ابتلاه ﴾، بالفقر، ﴿ فقدّر عليه رزقه ﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر ﴿ فقدر ﴾ بتشديد الدال، وقرأ الآخرون بالتخفيف، وهما لغتان أي ضيّق عليه رزقه. وقيل: قدر بمعنى قتر وأعطاه قدر ما يكفيه. ﴿ فيقول ربّي أهانن ﴾، أذلّني بالفقر. وهذا يعني به الكافر تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ في الدنيا وقلّته. قال الكلبي ومقاتل: نزلت في أُميّة بنت خلف الجمحي الكافر فردّ الله عل مَن ظن أن سِعَة الرزق إكرام وأن الفقر إهانة.

فقال: ﴿ كلا ﴾ لم أبتله بالغنى لكرامته ولم أبتله بالفقر لهوانه، فأخبر أن الإكرام والإهانة لا تدور على المال وسِعَة الرزق، ولكن الفقر والغنى بتقديره فيوسع على الكافر لا لكرامته، ويقدر على المؤمن لا لهوانه، إنما يكرم المرء بطاعته ويهينه بمعصيته. وقرأ أهل الحجاز والبصرة (أكرمني وأهانني) بإثبات الياء في الوصل، ويقف ابن كثير ويعقوب بالياء، والآخرون يحذفونها وصلاً ووقفاً. ﴿ بل لا تكرمون اليتيم ﴾، قرأ أهل البصرة (يكرمون، ويحضّون، ويأكلون، ويحبّون) بالياء فيهنّ، وقرأ الآخرون بالتاء، ﴿ لا تكرمون اليتيم ﴾، لا تحسنوا إليه. وقيل: لا تعطونه حقه. قال مقاتل كان قُدامة بن مظعون يتيماً في حجر أُمية بن خلف وكان يدفعه عن حقه.

﴿ ولا تحاضّون على طعام المسكين ﴾، أي لا تأمرون بإطعامه، وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة ﴿ تحاضّون ﴾ بفتح الحاء وألف بعدها أي لا يحضّ بعضكم بعضاً عليه.

﴿ وتأكلون التراث ﴾، أي الميراث، ﴿ أكلاً لمّاً ﴾، شديداً يأكل نصيبه ونصيب غيره، وذلك أنهم كانوا لا يُورِّثون النساء ولا الصبيان، ويأكلون نصيبهم. قال ابن زيد: الأكل اللم الذي يأكل كل شيء يجده لا يسأل عنه أحلال هو أم حرام، ويأكل الذي له ولغيره، يقال: لممت على الخوان إذا أتيت ما عليه فأكلته.

المال، ويولعون به، وبحبه. ﴿كلا﴾ أي لا ينبغي أن يكون الأمر هكذا، من الحرص على جمع المال وحبه. وقيل معناه لا يفعلون ما أمروا به من إكرام اليتيم وغيره من المسلمين، ثم أخبر عن تلهّفهم على ما سلف منهم، وذلك حين لا ينفعهم الندم. فقال تعالى: ﴿إذا دكت الأرض دكاً دكاً﴾ أي دقت وكسرت مرة بعد مرة، وكسر كل شيء عليها من جبل وبناء وغيره، حتى لا يبقى على ظهرها شيء.

وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾

﴿وجاء ربك﴾ اعلم أن هذه الآية من آيات الصفات التي سكت عنها وعن مثلها عامة السلف وبعض الخلف، فلم يتكلموا فيها وأجروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تأويل، وقالوا يلزمنا الإيمان بها وأجراؤها على ظاهرها، وتأولها بعض المتأخرين، وغالب المتكلمين فقالوا ثبت بالدليل العقلي، أن الحركة على الله محال، فلا بد من تأويل الآية. فقيل في تأويلها وجاء أمر ربك بالمحاسبة والجزاء. وقيل جاء أمر ربك وقضاؤه. وقيل وجاء دلائل آيات ربك فجعل مجيئها مجيئاً له تفخيماً لتلك الآيات. ﴿والملك صفاً صفاً﴾ أي تنزل ملائكة كل سماء صفاً صفاً على حدة، فيصطفون صفاً بعد صف، محدقين بالجن والإنس، فيكونون سبع صفوف. ﴿وجيء يومئذ﴾ يعني يوم القيامة ﴿بجهنم﴾ قال ابن مسعود: في هذه الآية تقاد جهنم بسبعين ألف زمام، كل زمام بيد سبعين ألف ملك، لها تغيظ وزفير حتى تنصب عن يسار العرش ﴿يومئذ﴾ يعني يوم يجاء بجهنم ﴿يتذكر الإنسان﴾ أي يتعظ الكافر ويتوب.

﴿ **وتحبّون المال حبّا جمّاً** ﴾، أي كثيراً يعني يحبّون جمع المال ويولعون به، يقال: جمّ الماء في الحوض إذا كثر واجتمع.

﴿ **كلا** ﴾، ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر. وقال مقاتل: أي لا يفعلون ما أُمِروا به من إكرام اليتيم وإطعام المسكين، ثم أخبر عن تلهفهم على ما سلف منهم حين لا ينفعهم، فقال عزّ من قائل: ﴿ **إذا دُكّت الأرض دكّاً دكّاً** ﴾، مرة بعد مرة وكسر كل شيء على ظهرها من جبل وبناء وشجر فلم يبقَ على ظهرها شيء.

﴿ **وجاء ربّك** ﴾، قال الحسن: جاء أمره وقضاؤه. وقال الكلبي: ينزل حكمه، ﴿ **والملك صفّاً صفّاً** ﴾، قال عطاء: يريد صفوف الملائكة، وأهل كل سماء صف على حِدة. قال الضحاك: أهل كل سماء إذا نزلوا يوم القيامة كانوا صفّاً مختلطين بالأرض ومَن فيها فيكون سبع صفوف.

﴿ **وجيء يومئذٍ بجهنم** ﴾، قال عبد الله بن مسعود ومقاتل في هذه الآية: تُقاد جهنم سبعين زماماً بيد كل زمام سبعين ألف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب على يسار العرش. ﴿ **يومئذ** ﴾ يعني يوم يُجاء بجهنم، ﴿ **يتذكّر الإنسان** ﴾، يتّعظ ويتوب الكافر، ﴿ **وأنّى له الذكرى** ﴾، قال الزجّاج: يظهر التوبة ومن أين له التوبة.

﴿ **يقول يا ليتني قدّمتُ لحياتي** ﴾، أي قدّمت الخير والعمل الصالح لحياتي في الآخرة، أي لآخرتي التي لا موت فيها.

﴿ **فيومئذ لا يُعذِّب عذابه أحدٌ * ولا يُوثِق وَثَاقَهُ أحدٌ** ﴾، قرأ الكسائي ويعقوب ﴿ **لا يعذَّب** ﴾، ﴿ **ولا يوثَق** ﴾ بفتح الذال والثاء على معنى لا يعذّب أحدٌ في الدنيا كعذاب الله يومئذ، ولا يوثق كوثاقه يومئذ، وقيل: هو رجل بعينه، وهو أُميّة بن خلف، يعني لا يعذّب كعذاب هذا الكافر أحد، ولا يوثق كوِثاقه أحد، وقرأ الآخرون بكسر

﴿وأنى له الذكرى﴾ يعني أنه يظهر التوبة، ومن أين له التوبة. ﴿يقول يا ليتني قدمت لحياتي﴾ أي قدمت الخير، والعمل الصالح لحياتي في الآخرة التي لا موت فيها. ﴿فيومئذ لا يعذب عذابه أحد﴾ أي لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ. ﴿ولا يوثق وثاقه أحد﴾ يعني لا يبلغ أحد من الخلق كبلاغ الله في العذاب، والوثاق هو الأسر في السلاسل، والأغلال، وقرىء لا يعذب، ولا يوثق بفتح الذال والثاء، ومعناه لا يعذب عذاب هذا الكافر أحد، ولا يوثق وثاقه أحد، وهو أمية بن خلف، وذلك لشدة كفره وعتوه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ أي الثابتة على الإيمان، والإيقان، المصدقة بما قال الله تعالى، الموقنة التي قد أيقنت بالله تعالى، وبأن الله ربها، وخضعت لأمره، وطاعته، وقيل المطمئنة المؤمنة، الموقنة، وقيل هي الراضية بقضاء الله، وقيل هي الآمنة من عذاب الله، وقيل هي المطمئنة بذكر الله؛ قيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب حين استشهد بأُحُد، وقيل في حبيب بن عدي الأنصاري، وقيل في عثمان حين اشترى بئر رومة وسبلها وقيل في أبي بكر الصديق؛ والأصح أن الآية عامة في كل نفس مؤمنة مطمئنة، لأن هذه السورة مكية ﴿ارجعي إلى ربك﴾ أي إلى ما وعد ربك من الجزاء والثواب، قيل يقال لها ذلك عند خروجها من الدنيا. قال عبد الله بن عمر: إذا توفي العبد المؤمن أرسل الله عزّ وجلّ إليه ملكين، وأرسل إليه بتحفة من الجنة، فيقال اخرجي أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى روح وريحان، وربك عنك راض، فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد في أنفه، والملائكة على أرجاء السماء يقولون قد جاء من الأرض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب إلا فتح لها، ولا بملك، إلا صلى عليها حتى يؤتي بها الرحمن جل جلاله، فتسجد له ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه النفس فاجعلها مع أنفس المؤمنين، ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعاً عرضه، وسبعون ذراعاً، طوله وينبذ له فيه الروح والريحان، فإن كان معه شيء من القرآن كفاه نوره، وإن لم يكن جعل له نور مثل الشمس في قبره، ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه إلا أحب

الذال والثاء، أي لا يعـذّب أحد في الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ، ولا يوثق كوثاقه أحد، يعني لا يبلغ أحد من الخلق كبلاغ الله في العذاب، والوثاق وهو الإسار في السلاسل والأغلال.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ﴾، إلى ما وعد الله المصدّقة بما قال الله. قال مجاهد: المطمئنة التي أيقنت أن الله تعالى ربّها وصبرت جأشاً لأمره وطاعته. وقال الحسن: المؤمنة الموقنة. وقال عطية: الراضية بقضاء الله تعالى. وقال الكلبي: الآمنة من عذاب الله. وقيل المطئنة بذكر الله، بيانه قوله: ﴿ وتطمئن قلوبهم بذكر الله ﴾ [الرعد: ٢٨]، واختلفوا في وقت هذه المقالة، فقال قوم: يقال لها ذلك عند الموت فيقال لها:

﴿ ارجعي إلى ربّك ﴾، إلى الله، ﴿ راضيةً ﴾، بالثواب، ﴿ مرضيّة ﴾، عنك، وقال الحسن: إذا أراد الله قبضها اطمأنت إلى الله ورضيت عن الله ورضي الله عنها. قال عبد الله بن عمرو: إذا توفي العبد المؤمن أرسل الله عزّ وجلّ ملكين وأرسل إليه بتحفة من الجنة، فيقال لها: أُخرجي يا أيتها النفس المطمئنة، أُخرجي إلى روح وريحان وربٍّ عنك راضٍ، فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد في أنفه، والملائكة على أرجاء السماء يقولون: قد جاء من الأرض روح طيبة ونسمة طيبة. فلا تمرّ بباب إلاّ فتح لها ولا بملك إلاّ صلّى عليها، حتى يُؤتى بها الرحمن فتسجد، ثم يقال لميكائيل: اذهب بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين، ثم يُؤمَر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعاً عرضه وسبعون ذراعاً طوله، وينبذ له الريحان، وإن كان معه شيء من القرآن كفاه نوره، وإن لم يكن جعل له نوره مثل الشمس في قبره، ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه إلاّ أحبّ أهله إليه. وإذا توفي الكافر أرسل الله إليه ملكين وأرسل قطعة من بجاد أنتن وأخشن من كل خشن، فيقال: يا أيتها النفس الخبيثة أُخرجي إلى جهنم

أهله إليه، وإذا توفي الكافر أرسل الله إليه ملكين، وأرسل قطعة من بجاد أي من كساء أنتن من كل نتن، وأخشن من كل خشن، فيقال أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى جهنم وعذاب أليم، وربك عليك غضبان وقيل في معنى قوله ﴿**ارجعي إلى ربك**﴾ أي إلى صاحبك وهو الجسد، وإنما يقال لها ذلك عند البعث فيأمر الله الأرواح أن ترجع إلى أجسادها، وهو قول عكرمة وعطاء والضحاك ورواية عن ابن عباس. وقيل ارجعي إلى ثواب ربك وكرامته ﴿**راضية**﴾ أي عن الله بما أعد لك ﴿**مرضية**﴾ أي رضي الله عنها، وقيل لها في الدنيا ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فإذا كان يوم القيامة قيل لها.

فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

﴿**فادخلي في عبادي**﴾ أي في جملة عبادي، الصالحين المصطفين ﴿**وادخلي جنتي**﴾ قال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته، فجاء طائر لم ير على خلقه طائر قط، فدخل نعشه ثم لم ير خارجاً منه، فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا يدرى من تلاها ﴿**يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية وادخلي في عبادي وادخلي جنتي**﴾، وقال: بعض أهل الإشارة في تفسير هذه الآية يا أيتها النفس المطمئنة إلى الدنيا، ارجعي إلى ربك بتركها، والرجوع إليه هو سلوك سبيل الآخرة والله أعلم.

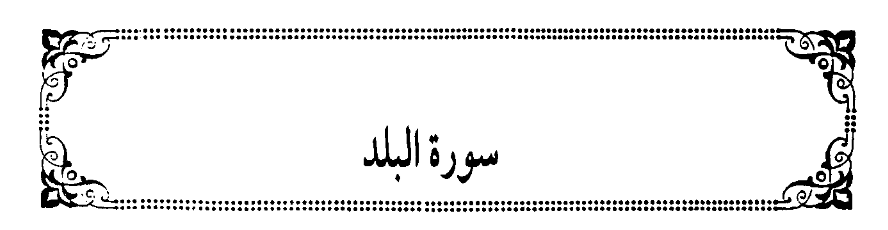
وعذاب أليم وربٌّ عليك غضبان. وقال أبو صالح في قوله: ﴿ **ارجعي إلى ربك راضية مرضية** ﴾، قال: هذا عند خروجها من الدنيا فإذا كان يوم القيامة قيل: ﴿ **ادخلي في عبادي وادخلي جنتي** ﴾، وقال آخرون إنما يقال لها ذلك عند البعث ارجعي إلى ربك، أي إلى صاحبك وجسدك، فيأمر الله الأرواح أن ترجع إلى الأجساد، وهذا قول عكرمة وعطاء والضحاك، ورواية العوفي عن ابن عباس، وقال الحسن: معناه ارجعي إلى ثواب ربّك وكرامته راضية عن الله بما أعدّ لها مرضيّة رضي عنها ربّها.

﴿ **فادخلي في عبادي** ﴾، أي مع عبادي في جنتي. وقيل: في جملة عبادي الصالحين المُطيعين المصطفين، نظيره: ﴿ وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ [النمل: ١٩].

﴿ **وادخلي جنتي** ﴾، وقال بعض أهل الإشارة: يا أيتها النفس المطمئنة إلى الدنيا ارجعي إلى الله بتركها، والرجوع إلى الله هو سلوك سبيل الآخرة. وقال سعيد بن جبير: مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته، فجاء طائر لم ترَ على صورة خلقه فدخل نعشه، ثم لم ترَ خارجاً منه فلما دفن تُلِيَت هذه الآية على شفير القبر، ولم ندرِ مَن قرأها: ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربّك راضيةً مرضيةً فادخلي في عبادي وادخلي جنتي** ﴾.

سورة البلد

(مكية وهي عشرون آية، واثنتان وثمانون كلمة، وثلاثمائة وعشرون حرفاً)



قوله عزّ وجلّ: ﴿**لا أقسم بهذا البلد**﴾ تقدم الكلام على قوله لا أقسم في أول سورة القيامة، والبلد هي مكة في قول جميع المفسرين. ﴿**وأنت حل بهذا البلد**﴾ أي مقيم به، نازل فيه، فكأنه عظّم حرمة مكة من أجل أنه ﷺ مقيم بها وقيل حل أي حلال، والمعنى أحلت لك تصنع فيها ما تريد من القتل، والأسر، ليس عليك ما على الناس من الإثم في استحلالها، أحل الله عزّ وجلّ له مكة يوم الفتح حتى قاتل، وأمر بقتل ابن خطل، وهو متعلق بأستار الكعبة، ومقيس بن صبابة وغيرهما، وأحل دماء قوم، وحرم دماء قوم آخرين، فقال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ثم قال بعد ذلك إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، ولم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، والمعنى أن الله تعالى لما أقسم بمكة دل ذلك على عظم قدرها، وشرفها، وحرمتها، ومع ذلك فقد وعد نبيه ﷺ، أنه يحلها له حتى يقاتل فيها، وأن يفتحها على يده، فهذا وعد من الله تعالى في الماضي، وهو مقيم بمكة أن يفتحها عليه في المستقبل بعد الهجرة، وخروجه منها، فكان كما وعده، وقيل في معنى قوله ﴿**وأنت حلّ بهذا البلد**﴾، أي أنهم

سُوْرَة البَلَد

مكيّة وهي عشرون آية.

﴿ **لا أُقسم** ﴾، يعني أقسم، ﴿ **بهذا البلد** ﴾، يعني مكة.

﴿ **وأنتَ حِلٌّ** ﴾، أي حلال، ﴿ **بهذا البلد** ﴾، تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر ليس عليك ما على الناس فيه من الإثم أحلّ الله لنبيّه ﷺ مكة يوم الفتح، حتى قاتل وقتل وأمر بقتل ابن خطل، وهو متعلّق بأستار الكعبة، ومقيس بن صبابة وغيرهما، فأحلّ دماء قوم وحرّم دماء قوم، فقال: مَن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ثم قال: إن الله حرّم مكة يوم خلق السمٰوات والأرض ولم تحلّ لأحد قبلي ولا تحلّ لأحد بعدي، وإنما أُحِلّت لي ساعة من نهار، فهي حرام بحُرمة الله إلى يوم القيامة، والمعنى: أن الله تعالى لمّا أقسم بمكة دلّ ذلك على عظيم قدرها مع حرمته فوعد نبيّه ﷺ أنه يحلّها له حتى يقاتل فيها، وأن يفتحها على يده فهذا وعد من الله عزّ وجلّ بأن يحلّها له. قال شرحبيل بن سعد: ومعنى قوله وأنت حِلٌّ بهذا البلد، قال: يحرّمون أن يقتلوا بها صيداً ويستحلّون إخراجك وقتلك؟.

يحرمون أن يقتلوا به صيداً، ويستحلون قتلك فيه، وإخراجك منه. ﴿ووالد وما ولد﴾ يعني آدم وذريته أقسم الله تعالى بمكة لشرفها، وحرمتها، وبآدم، وبالأنبياء والصالحين من ذريته، لأن الكافر وإن كان من ذريته فلا حرمة له حتى يقسم به، وجواب القسم قوله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ قال ابن عباس: في نصب، وقيل يكابد مصائب الدنيا، وشدائد الآخرة، وعنه أيضاً قال: في شدة من حمله، وولادته، ورضاعه، وفطامه، وفصاله، ومعاشه، وحياته، وموته وأصل الكبد الشدة، وقيل لم يخلق الله خلقاً يكابد، ما يكابد ابن آدم، وهو مع ذلك أضعف الخلق، وعن ابن عباس أيضاً قال: الكبد الاستواء، والاستقامة، فعلى هذا يكون المعنى، خلقنا الإنسان منتصباً معتدل القامة، وكل شيء من الحيوان يمشيء منكباً، وقيل منتصباً، رأسه في بطن أمه فإذا أذن الله في خروجه انقلب رأسه إلى أسفل، وقيل في كبد أي في قوة نزلت في أبي الأشد أسيد بن كلدة بن جمح، وكان شديداً قوياً يضع الأديم العكاظي تحت قدميه، ويقول من أزالني عنه فله كذا وكذا فلا يطاق أن ينزع من تحت قدميه إلا قطعاً، ويبقى من ذلك الأديم بقدر موضع قدميه.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١﴾

﴿أيحسب﴾ أبا الأشد من قوته ﴿أن لن يقدر عليه أحد﴾ يعني أيظن لشدته في نفسه، أنه لا يقدر عليه الله، وقيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي. ﴿يقول﴾ يعني هذا الكافر ﴿أهلكت﴾ أي أنفقت ﴿مالاً لبداً﴾ أي كثيراً من التلبيد

﴿ ووالد وما ولد ﴾، يعني آدم عليه السلام وذرّيّته.

﴿ لقد خلقنا الإنسان في كبد ﴾، روى الوالبي عن ابن عباس: في نصب. قال الحسن: يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة. وقال قتادة: في مشقّة فلا تلقاه إلّا يكابد أمر الدنيا. قال سعيد بن جبير: في شدّة. وقال عطاء عن ابن عباس: في شدّة خلق حمله وولادته ورضاعه، وفطامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته. وقال عمرو بن دينار: عند نبات أسنانه. قال يمان: لم يخلق الله خلقاً يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك أضعف الخلق. وأصل الكبد: الشدّة. وقال مجاهد وعكرمة وعطية والضحاك: يعني منتصباً معتدل القامة، وكل شيء خلق فإنه يمشي مُكبّاً، وهي رواية مقسم عن ابن عباس، والكبد الاستواء والاستقامة. وقال ابن كيسان: منتصباً رأسه في بطن أُمه فإذا أذِنَ الله في خروجه انقلب رأسه إلى رجلي أُمه. وقال مقاتل: في كبد، أي في قوة نزلت في أبي الأشد واسمه أسيد بن كلدة الجمحي، وكان شديداً قوياً يضع الأديم العكاظي تحت قدميه فيقول: مَن أزالني عنه فله كذا وكذا، فلا يُطاق أن ينزع من تحت قدميه إلّا قطعاً ويبقى موضع قدميه.

﴿ أيحسب ﴾، يعني أبا الأشد من قوّته، ﴿ أن لن يقدر عليه أحد ﴾، أي يظن من شدّته أن لن يقدر عليه الله تعالى. وقيل: هو الوليد بن المغيرة.

﴿ يقول أهلكت ﴾، يعني أنفقت، ﴿ مالاً لبداً ﴾، أي كثيراً بعضه على بعض من التلبيد في عداوة محمد ﷺ، قرأ أبو جعفر لبداً بتشديد الباء على جمع لأبِد، مثل راكع وركع، وقرأ الآخرون بالتخفيف على جمع (لبدة)، وقيل على الواحد مثل قُثم وحطم.

﴿ أيحسب أن لم يَرَه أحد ﴾، قال سعيد بن جبير وقتادة: أيظن أن الله لم يره، ولا يسأله عن ماله من أين اكتسبه، وأين أنفقه؟ وقال الكلبي: إنه كان كاذباً في قوله أنفقت كذا وكذا، ولم يكن أنفق جميع ما قال يقول أيظن

الذي يكون بعضه فوق بعض. يعني في عداوة محمد ﷺ ﴿أيحسب أن لم يره أحد﴾ يعني أيظن أن الله لم يره، ولا يسأله عن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وقيل كان كاذباً في قوله، إنه أنفق ولم ينفق جميع ما قال والمعنى أيظن أن الله لم ير ذلك منه فيعلم مقدار نفقته. ثم ذكره نعمه عليه ليعتبر فقال تعالى: ﴿ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين﴾ يعني أن نعم الله على عبده متظاهرة، يقروه بها كي يشكره، وجاءه في الحديث «إن الله عزّ وجلّ يقول: ابن آدم إن نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق عليه، وإن نازعك بصرك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق عليه، وإن نازعك فرجك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق عليه».

﴿وهديناه النجدين﴾ قال أكثر المفسرين طريق الخير والشر والحق، والباطل، والهدى، والضلالة، وقال ابن عباس: الثديين ﴿فلا أقتحم العقبة﴾ أي فهلا أنفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب وإطعام المساكين يكون ذلك خيراً له من إنفاقه في عداوة من أرسله الله إليه، وهو محمد ﷺ، وقيل معناه لم يقتحمها ولا جاوزها والاقتحام الدّخول في الأمر الشّديد، وذكر العقبة مثل ضربه الله تعالى: لمجاهدة النّفس، والهوى، والشّيطان في أعمال الخير، والبر، فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة يقول الله عزّ وجلّ: لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرّقبة، والإطعام، وقيل إنه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بالعقبة، فإذا أعتق رقبة وأطعم المساكين. كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها، وروي عن ابن عمر أن هذه العقبة جبل في جهنم، وقيل هي عقبة شديدة في النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله ومجاهدة النفس، وقيل هي الصّراط يضرب على متن جهنم كحد السّيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة سهلاً وصعوداً وهبوطاً، وأن بجنبيه كلاليب وخطاطيف، كأنها شوك السّعدان فناج مسلم، وناج مخدوش، ومكردس في الناس منكوس، فمن الناس من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح العاصف، ومنهم من يمر كالفارس، ومنهم من يمر كالرّجل

أن الله عزّ وجلّ لم يَرَ ذلك منه فيعلم مقدار نفقته ثم ذكّره نِعَمه ليعتبر.

فقال: ﴿ ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين ﴾، قال قتادة: نعم الله متظاهره يقررك بها كيما تشكر، وجاء في الحديث: أن الله عزّ وجلّ يقول ابن آدم إن نازعك لسانك فيما حرّمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق، وإن نازعك بصرك إلى بعض ما حرّمت عليك، فقد أعنتك عليه بطبقتين. فأطبق، وإن نازعك فرجك إلى ما حرّمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق.

﴿ وهديناه النجدين ﴾، قال: أكثر المفسّرين طريق الخير والشرّ، والحق والباطل، والهدى والضلالة، كقوله: ﴿ إنّا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ [الإنسان: ٣] وقال محمد بن كعب عن ابن عباس: وهديناه النجدين قال: الثديين، وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك، والنجد: طريق ارتفاع.

﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾، يقول: فهلاّ أنفقَ ماله فيما يجوزُ به العقبة من فكّ الرّقاب وإطعام السغبان، فيكون خيراً له من إنفاقه على عداوة محمد ﷺ، هذا قول ابن زيد وجماعة، وقيل: فلا اقتحم العقبة أي لم يقتحمها ولا جاوزها. والاقتحام: الدخول في الأمر الشديد، وذكرُ العقبة ههنا مَثَلٌ ضربه الله لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البرّ، فجعله كالذي يتكلّف صعود العقبة، تقول لم يحمل على نفسه المشقّة بعتق الرقبة ولا طعام، وهذا معنى قول قتادة. وقيل: إنه شبّه ثقل الذنوب على مرتكبها بعقبة فإذا أعتق رقبة وأطعم كان كمَن اقتحم العقبة وجاوزها، ورُوِيَ عن ابن عمر: أن هذه العقبة جبل في جهنم، وقال الحسن وقتادة: عقبة شديدة في النار دون الجسر، فاقتحموها بطاعة الله تعالى. وقال مجاهد والضحاك والكلبي: هي صراط يُضرَب على جهنم كحدّ السيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة سهلاً وصعوداً وهبوطاً، وإن بجنبيه كلاليب وخطاطيف كأنها شوك السعدان، فناجٍ مسلم، وناجٍ مخدوش، ومكردس في النار منكوس، فمن الناس مَن يمرّ كالبرق الخاطف، ومنهم مَن يمرّ كالريح

يعدو، ومنهم من يمر كالرجل يسير، ومنهم من يزحف زحفاً ومنهم الزّالون ومنهم من يكردس في النار، وقيل معنى الآية: فهلا سلك طريق النجاة ثم بين ما هي. فقال تعالى:

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾

﴿**وما أدراك ما العقبة**﴾ أي وما أدراك ما اقتحام العقبة ﴿**فك رقبة**﴾ يعني عتق الرقبة وهو إيجاب الحرية لها، وإبطال الرق، والعبودية عنها، وذلك بأن يعتق الرجل الرّقبة التي في ملكه، أو يعطي مكاتباً ما يصرفه في فكاك رقبته ومن أعتق رقبة كانت فداءه من النار (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار حتى فرجه بفرجه» وروى البغوي بسنده عن البراء بن عازب قال: «جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله علمني عملاً يدخلني الجنة قال لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة أعتق النّسمة، وفك الرّقبة قال أوليسا واحداً قال لا عتق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها والمنحة الوكوف والفيء على ذي الرحم الظّالم، فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع واسق الظّمآن وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من خير» وقيل في معنى الآية وفك رقبة من رق الذّنوب بالتّوبة وبما يتكلفه من العبادات، والطاعات التي يصير بها إلى رضوان الله، والجنة فهي الحرية الكبرى ويتخلص بها

العاصف، ومنهم مَن يمرّ كالفارس، ومنهم من يمرّ عليه كالرجل يعدو، ومنهم مَن يمرّ كالرجل يسير، ومنهم مَن يزحف زحفاً، ومنهم الزالّون، ومنهم مَن يكردس في النار. قال ابن زيد: يقول فهلاّ سلك الطريق التي فيها النجاة ثم بيّن ما هي فقال:

﴿ **وما أدراك ما العقبة** ﴾، ما اقتحم العقبة، قال سفيان بن عيينة: كلُّ شيء، قال: وما أدراك فإنه أخبر به، وما قال: وما يدريك فإنه لم يخبر به.

﴿ **فكّ رقبة * أو إطعام** ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ﴿ **فكّ** ﴾ بفتح الكاف، ﴿ **رقبة** ﴾ نصب، (أو أطعم) بفتح الهمزة والميم على الماضي، وقرأ الآخرون ﴿ **فكّ** ﴾ برفع الكاف، ﴿ **رقبة** ﴾ جرّاً، ﴿ **أو إطعام** ﴾ على المصدر، وأراد بفكّ الرقبة إعتاقها وإطلاقها، ومَن أعتق رقبة كانت الرقبة فداءه من النار. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر بن محمد بن أحمد بن عبد الجبّار الريّاني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبد الله بن صالح حدّثني الليث بن سعد حدّثني ابن الهاد عن عمر بن علي بن حسين عن سعيد بن حارثة قال: سمعته يحدّث عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار، حتى يعتق فرجه بفرجه». أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا محمد بن كثير العبدي ثنا عيسى بن عبد الرحمن السلمي عن طلحة بن مصرف اليامي عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله علّمني عملاً يدخلني الجنة، قال: «لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة، أعتق النسمة وفكّ الرقبة»، قال: أوَ ليسا واحداً؟ قال: «لا عتق النسمة أن تنفرد بعتقها وفكّ الرقبة أن تُعين في ثمنها، والمنحة الوكوف، والفيء على ذي الرحم الظالم، فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع واسقِ الظمآن، وأْمر بالمعروف وانهَ عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فكفّ لسانك إلاّ من خير». وقال عكرمة قوله: ﴿ **فكّ رقبة** ﴾، يعني فكّ رقبة من الذنوب بالتوبة ﴿ **أو إطعام في يوم ذي مسغبة** ﴾، مجاعة، يقال: سغب يسغب سغباً إذا جاع.

من النار ﴿أو إطعام في يوم ذي مسغبة﴾ أي في يوم ذي مجاعة والسغب الجوع ﴿يتيماً ذا مقربة﴾ أي ذا قرابة يريد يتيماً بينك وبينه قرابة ﴿أو مسكيناً ذا متربة﴾ يعني قد لصق بالتراب من فقره وضره وقال ابن عباس: هو المطروح في التّراب لا يقيه شيء والمتربة الفقر، ثم بين أن هذه القرب لا تنفع إلا مع الإيمان بقوله ﴿ثم كان من الذين آمنوا﴾ والمعنى أنه كان مؤمناً تنفعه هذه القرب، وكان مقتحماً العقبة، وإن لم يكن مؤمناً لا تنفعه هذه القرب ولا يقتحم العقبة ﴿وتواصوا بالصبر﴾ يعني وصى بعضهم بعضاً على الصبر على أداء الفرائض، وجميع أوامر الله ونواهيه. ﴿وتواصوا بالمرحمة﴾ أي برحمة الناس وفيه الإشارة إلى تعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله.

﴿أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أولئك﴾ يعني أهل هذه الخصال ﴿أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة﴾ يعني مطبقة عليهم أبوابها لا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غم.

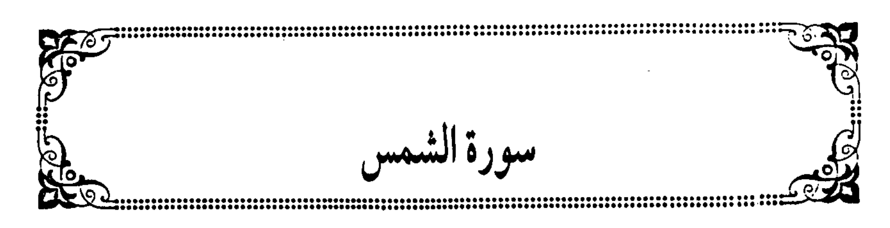
والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده.

﴿ يتيماً ذا مقربة ﴾، أي ذا قرابة يريد يتيماً بينك وبينه قرابة.

﴿ أو مسكيناً ذا متربة ﴾، لقد لصق بالتراب من فقره وضرّه. وقال مجاهد عن ابن عباس: هو المطروح في التراب لا يقيه شيء. والمتربة مصدر ترب يترب ترباً ومتربةً إذا افتقر.

﴿ ثم كان من الذين آمنوا ﴾، ثم بيّن أن هذا القرب إنما ينفع مع الإيمان، وقيل: ﴿ ثم ﴾ بمعنى الواو، ﴿ وتواصوا ﴾، أوصى بعضهم بعضاً، ﴿ بالصبر ﴾، على فرائض الله وأوامره، ﴿ وتواصوا بالمرحمة ﴾، برحمة الناس.

﴿ أولئك أصحاب الميمنة * والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة * عليهم نار مؤصدة ﴾، مطبقة عليهم أبوابها لا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غمّ، قرأ أبـو عمرو وحمـزة وحفص بالهمـزة هاهنـا، وفي الهُمَزَة [٨]، وقرأ الآخرون بلا همز وهما لغتان، يقال: آصدت الباب وأوصدته إذا أغلقته وأطبقته، وقيل: معنى الهمزة المطبقة وغير الهمزة المغلقة.



سورة الشمس

مكية وهي خمس عشرة آية وأربع وخمسون كلمة ومائتان وسبعة وأربعون حرفاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿والشّمس وضحاها﴾ أي إذا بدا ضوءها والضّحى حين ترتفع الشّمس، ويصفو ضوءها، وقيل الضّحى النهار كله لأن الضحى هو نور الشمس، وهو حاصل في النهار كله، وقيل الضحى هو حر الشمس لأن حرها ونورها متلازمان، فإذا اشتد نورها قوى حرها وهذا أضعف الأقوال. ﴿والقمر إذا تلاها﴾ أي تبعها وذلك في النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس تلاها القمر في الإضاءة وخلفها في النور، وقيل تلاها في الاستدارة وذلك حين يكمل ضوءه، ويستدير وذلك في اللّيالي البيض، وقيل تلاها تبعها في الطلوع، وذلك في أول ليلة من الشّهر إذا غربت الشمس ظهر الهلال فكأنه تبعها. ﴿والنهار إذا جلاها﴾ يعني جلا ظلمة الليل بضيائه وكشفها بنوره، وهو كناية عن غير مذكور لكونه معروفاً ﴿والليل إذا يغشاها﴾ أي يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق وحاصل هذه الأقسام الأربعة ترجع إلى الشمس في الحقيقة. لأن بوجودها يكون النهار ويشتد الضحى، وبغروبها يكون الليل ويتبعها القمر.

﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾

﴿والسماء وما بناها﴾ أي ومن بناها، وقيل والذي بناها فعلى هذا كأنه أقسم به وبأعظم مخلوقاته، ومعنى بناها

سُورَة الشَّمْس

مكيّة وهي خمس عشرة آية.

﴿ والشمس وضحاها ﴾، قال مجاهد والكلبي: ضوءها، والضحى: حين تطلع الشمس، فيصفو ضوءها. قال قتادة: هو النهار كله. وقال مقاتل: حرّها، كقوله في طه[١١٩] ﴿ ولا تضحى ﴾، يعني لا يؤذيك الحرّ.

﴿ والقمر إذا تلاها ﴾، تبعها وذلك في النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس، تلاها القمر في الإضاءة وخلفها في النور. وقال الزجّاج: وذلك حين استدار يعني كمل ضَوْءَهُ فصار تابعاً للشمس في الإنارة وذلك في الليالي البيض.

﴿ والنهار إذا جلاها ﴾، يعني إذا جلى الظلمة كناية عن غير مذكور لكونه معروفاً.

﴿ والليل إذا يغشاها ﴾، يعني يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق.

﴿ والسماء وما بناها ﴾، قال الكلبي ومَن بناها وخلقها كقوله: ﴿ فأنكحوا ما طاب لكم من النساء ﴾

خلقها، وقيل ما بمعنى المصدر أي والسماء وبنائها ﴿والأرض وما طحاها﴾ أي بسطها وسطحها على الماء ﴿ونفس وما سواها﴾ أي عدل خلقها وسوى أعضاءها هذا إن أريد بالنّفس الجسد وإن أريد بها المعنى القائم بالجسد فيكون معنى سواها أعطاها القوى الكثيرة كالقوة الناطقة، والسامعة والباصرة، والمفكرة، والمخيلة وغير ذلك من العلم، والفهم، وقيل إنما نكرها لأنه أراد بها النّفس الشّريفة المكلفة التي تفهم عنه خطابه، وهي نفس جميع من خلق من الإنس والجن ﴿فألهما فجورها وتقواها﴾ قال ابن عباس: بين لها الخير والشّر وعنه علمها الطّاعة والمعصية، وعنه عرفها ما تأتي وما تتقي، وقيل ألزمها فجورها، وتقواها، وقيل وجعل فيها ذلك بتوفيقه إيّاها للتّقوى، وخذلانه إياها للفجور، وذلك لأن الله تعالى خلق في المؤمن التّقوى، وفي الكافر الفجور (م) عن أبي الأسود الديلي قال: قال لي عمران بن حصين أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضى عليهم، ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلونه مما أتاهم به نبيهم ﷺ وثبتت الحجة عليهم، فقلت بل شيء قضى عليهم ومضى عليهم، فقال أفلا يكون ظلماً قال ففزعت من ذلك فزعاً شديداً، وقلت كل شيء خلق الله وملك يده فلا يسأل عما يفعل، وهم يسألون فقال لي يرحمك الله إني لم أرد بما سألتك إلا لأختبر عقلك «إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم، ويكدحون فيه أشيء قضى عليهم، ومضى عليهم، من قدر قد سبق أو فيما يتسقبلون مما أتاهم به نبيهم ﷺ وثبتت الحجة عليهم فقال لا بل شيء قضى عليهم، ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل، ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها» (م) عن جابر قال: «جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول الله بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن فيم العمل اليوم فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير أو فيما يستقبل قال: لا بل فيما

[النساء: ٣]، أي مَن طاب قال عطاء: يريد والذي بناها. وقال الفرّاء والزجّاج: ﴿ ما ﴾ بمعنى المصدر، أي وبنائها كقوله: ﴿ بما غفر لي ربّي ﴾ [يس: ٢٧].

﴿ والأرض وما طحاها ﴾، بسطها.

﴿ ونفس وما سواها ﴾، عدل خلقها وسوّى أعضاءها قال عطاء يريد جميع ما خلق من الجنّ والإنس.

﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾، قال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة: بيّن لها الخير والشر. وقال في رواية عطية: علّمها الطاعة والمعصية. وروى الكلبي عن أبي صالح عنه: عرّفها ما تأتي وما تتّقي. وقال سعيد بن جبير: ألزمها فجورها وتقواها. قال ابن زيد: جعل فيها ذلك يعني بتوفيقه إيّاها للتقوى، وخذلانه إياها للفجور. واختار الزجّاج هذا، وحمل الإلهام على التوفيق والخذلان، وهذا يبيّن أن الله عزّ وجلّ خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور، أنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد الله ثنا موسى بن محمد ثنا علي بن عبد الله أنا عبد الله بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن إبراهيم أنا عروة بن ثابت الأنصاري، ثنا يحيىٰ بن عقيل عن يحيىٰ بن يعمر عن الأسود الدبلي قال: قال لي عمران بن حصين: أرأيت ما يعمل الناس ويكادحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر سبق؟ أو فيما يستقبلون مما آتاهم به نبيّهم وأكدت عليهم الحجّة؟ قلت: بلى شيء قد قضي عليهم، قال: فهل يكون ذلك ظلماً؟ قال: ففزعت منه فزعاً شديداً، وقلت: إنه ليس شيء إلّا وهو خلقه وملك يده لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون، فقال لي: سدّدك الله إنما سألتك لأختبر عقلك أن رجلًا من جهينة أو مزينة أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس ويكادحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر سبق؟ أو فيما يستقبلون به مما أتاهم نبيّهم وأكدت به عليهم الحجّة؟ فقال: «لا بل شيء قد قُضِي عليه ومضى فيهم»، قال: قلت: ففِيمَ العمل إذاً؟ قال: «مَن كان الله خلقه

جفت به الأقلام، وجرت به المقادير قال: ففيم العمل؟ فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له» وهذه أقسام أقسم الله تعالى بالشمس وضحاها وما بعدها لشرفها ومصالح العالم بها، وقيل فيه إضمار تقديره ورب الشمس وما بعدها.

وأورد على هذا القول أنه قد دخل في جملة هذا القسم قوله، ﴿والسّماء وما بناها﴾ وذلك هو الله تعالى، فيكون التقدير رب السماء، ورب من بناها، وهذا خطأ لا يجوز وأجيب عنه بأن ما إن فسرت بالمصدرية فلا إشكال وإن فسرت بمعنى من فيكون التقدير ورب السّماء الذي بناها وجواب القسم قوله تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا ﴿١٥﴾﴾

﴿قد أفلح من زكاها﴾ المعنى لقد أفلح من زكاها أي فازت وسعدت نفس زكاها الله أي أصلحها وطهرها من الذّنوب، ووفقها للطاعة. ﴿وقد خاب من دساها﴾ أي خابت وخسرت نفس أضلها الله تعالى، وأفسدها، وأصله من دس الشّيء إذا أخفاه فكأنه سبحانه وتعالى أقسم بأشرف مخلوقاته على فلاح من طهره، وزكاه، وخسارة من خذله، وأضله حتى لا يظن أحد أنه يتولى تطهير نفسه، أو إهلاكها بالمعصية من غير قدر متقدم وقضاء سابق (م) عن زيد بن أرقم قال: كان رسول الله ﷺ يقول «اللّهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والبخل، والهرم وعذاب القبر، اللّهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها، ومولاها، اللّهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها».

لإحدى المنزلتين يهيئه الله لها»، وتصديق ذلك في كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿ ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها ﴾، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ثنا علي بن الجعد ثنا زهير بن معاوية عن أبي الزبير عن جابر قال جاء سُراقة بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول الله بيّن لنا ديننا كأنّنا خُلقنا الآن، أرأيتَ عمرتنا هـذه ألعامنـا هذا أم لـلأبد؟ قـال: «بل للأبد»، قال: يا رسول الله بيّن لنا ديننا كأننا خلقنا الآن فيما العمل اليوم فيما جفّت به الأقلام وجرت به المقادير؟ أو فيما نستقبل؟ قال: «لا بل فيما جفّت به الأقلام وجرت به المقادير»، قال: ففيـمَ العمل ؟ فقال زهير: كلمة خفيت عليّ فسألت عنها نسي بعد فذكر أنه سمعها، فقال: «اعملوا فكلٌّ مُيسِّر لما خلق له».

﴿ قد أفلح مَن زكّاها ﴾، وهذا موضع القسم أي فازت وسعدت نفس زكّاها الله، أي أصلحها وطهّرها من الذنوب ووفّقها للطاعة.

﴿ وقد خاب مَن دسّاها ﴾، أي خانت وخسرت نفس أضلّها الله فأفسدها. وقال الحسن: معناه قد أفلح مَن زكّى نفسه فأصلحها وحملها على طاعة الله عزّ وجلّ، ﴿ وقد خاب مَن دسّاها ﴾ أهلكها وأضلّها وحملها على المعصية، فجعل الفعل للنفس، ودسّاها أصله: دسسها من التدسيس، وهو إخفاء الشيء، فأُبدلت السين الثانية ياءً، والمعنى ههنا: أخملها وأخفى محلها بالكفر والمعصية، أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد بن محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي أنا عبد الله بن محمد بن مسلم ثنا أبو بكر الجوربردي ثنا أحمد بن حرب ثنا أبو معاوية عن عاصم عن أبي عثمان وعبد الله بن الحارث عن زيد بن أرقم قال: لا أقول لكم إلّا ما قال رسول الله ﷺ لنا: «اللّهمَّ إني أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والجُبْن والهرم وعذاب القبر، اللّهمَّ آتِ نفسي تقواها وزكّها أنت خير مَن زكّاها أنت وليّها ومولاها، اللّهمَّ إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن نفس لا تشبع

قوله عز وجل: ﴿كذبت ثمود﴾ وهم قوم صالح عليه الصّلاة والسّلام ﴿بطغواها﴾ أي بطغيانها وعدوانها، والمعنى أن الطغيان حملهم على التّكذيب حتى كذبوا ﴿إذا انبعث أشقاها﴾ أي قام وأسرع وذلك أنهم لما كذبوا بالعذاب، وكذبوا صالحاً انبعث أشقى القوم وهو قدار بن سالف، وكان رجلاً أشقر أزرق العين قصيراً فعقر الناقة (ق) عن عبد الله بن زمعة «أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة، والذي عقرها فقال رسول الله ﷺ: إذا انبعث أشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في أهله مثل أبي زمعة» لفظ البخاري قوله عارم أي شديد ممتنع.

قوله تعالى: ﴿فقال لهم رسول الله﴾ يعني صالحاً عليه الصّلاة والسّلام ﴿ناقة الله﴾ أي ذروا ناقة الله وإنما قال لهم ذلك لما عرف منهم أنهم قد عزموا على عقرها وإنما أضافها إلى الله تعالى لشرفها كبيت الله. ﴿وسقياها﴾ أي وشربها ولا تتعرضوا للماء يوم شربها ﴿فكذبوه﴾ يعني صالحاً ﴿فعقروها﴾ يعني الناقة ﴿فدمدم عليهم ربهم﴾ أي فدمر عليهم ربهم وأهلكهم والدمدمة هلاك استئصال، وقيل دمدم أي أطبق عليهم العذاب طبقاً حتى لم ينفلت منهم أحد ﴿بذنبهم﴾ أي فعلنا ذلك بهم بسبب ذنبهم، وهو تكذيبهم صالحاً عليه الصّلاة والسّلام وعقرهم الناقة ﴿فسواها﴾ أي فسوى الدّمدمة عليهم جميعاً وعمهم بها، وقيل معناه فسوى بين الأمة وأنزل بصغيرهم، وكبيرهم، وغنيهم، وفقيرهم العذاب، ﴿ولا يخاف عقباها﴾ أي لا يخاف الله تبعة من أحد في هلاكهم كذا قال ابن عباس: وقيل هو راجع إلى العاقر والمعنى لا يخاف العاقر عقبي ما قدم عليه من عقر الناقة، وقيل هو راجع إلى صالح عليه الصّلاة والسّلام والمعنى لا يخاف صالح عاقبة ما أنزل الله بهم من العذاب أن يؤذيه أحد بسب ذلك والله أعلم.

ومن قلب لا يخشع، ومن دعوة لا يُستجاب لها».

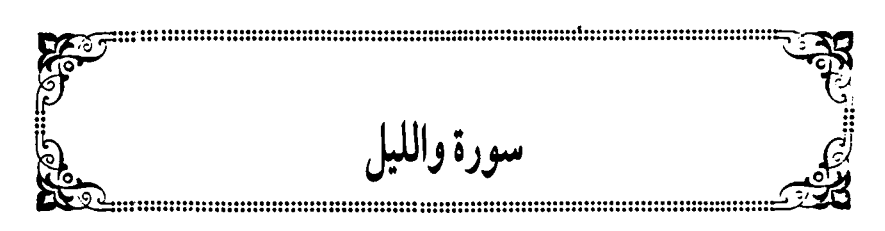
قوله عزّ وجلّ: ﴿ كذّبتْ ثمودُ بطغواها ﴾، بطغيانها وعدوانها أي الطغيان حملهم على التكذيب.

﴿ إذ انبعث أشقاها ﴾، أي قام، والإنبعاث: هو الإسراع في الطاعة للباعث، أي كذبوا بالعذاب وكذّبوا صالحاً لمّا انبعث أشقاها وهو: قدارُ بن سالف، وكان أشقر أزرق قصيراً قام لعقر الناقة. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا موسى بن إسماعيل ثنا وهب ثنا هشام عن أبيه أنه أخبره عبد الله بن زمعة أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله ﷺ: ﴿ إذ انبعث أشقاها ﴾، انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في أهله مثل أبي زمعة».

﴿ فقال لهم رسول الله ﴾، صالح، ﴿ ناقة الله ﴾، أي احذروا عقر ناقة الله. وقال الزجّاج: منصوب على معنى ذروا ناقة الله، ﴿ وسقياها ﴾، شربها أي ذروا ناقة الله وذروا شربها من الماء، فلا تعرضوا للماء يوم شربها.

﴿ فكذّبوه ﴾ يعني صالحاً، ﴿ فعقروها ﴾، يعني الناقة.

﴿ فدمدم عليهم ربّهم ﴾، قال عطاء ومقاتل: فدمّر عليهم ربّهم فأهلكهم. قال المؤرّخ: الدمدمة الهلاك باستئصال. ﴿ بذنبهم ﴾، بتكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة، ﴿ فسوّاها ﴾، فسوّى الدمدمة عليهم جميعاً، وعمّهم بها فلم يفلت منهم أحد. وقال الفرّاء: سوى الأمة وأنزل العذاب بصغيرها وكبيرها، يعني سوّى بينهم، ﴿ ولا يخاف عقباها ﴾، قرأ أهل المدينة والشام فلا بالفاء وكذلك في مصاحفهم، وقرأ الباقون بالواو وهكذا في مصاحفهم ﴿ عُقباها ﴾ عاقبتها. قال الحسن: معناه لا يخاف الله من أحد تَبِعَةً في إهلاكهم. وهي رواية ابن عباس، وقال الضحاك والسدي والكلبي: هو راجع إلى العاقر في الكلام تقديم وتأخير تقديره: إذ انبعث أشقاها ولا يخاف عقباها.



سورة والليل

مكية وهي إحدى وعشرون آية وإحدى وسبعون كلمة وثلاثمائة وعشرة أحرف.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥﴾

قوله عز وجل: **﴿والليل إذا يغشى﴾** أي يغشى النهار بظلمته فيذهب الله بضوئه. أقسم الله تعالى بالليل لأنه سكن لكافة الخلق يأوى فيه كل حيوان إلى مأواه، ويسكن عن الاضطراب، والحركة، ثم أقسم بالنهار بقوله **﴿والنهار إذا تجلى﴾** أي بان وظهر بعد الظلمة لأن فيه حركة الخلق في طلب الرزق **﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾** أي ومن خلق فعلى هذا يكون أقسم بنفسه تعالى، والمعنى والقادر العظيم الذي قدر على خلق الذكر، والأنثى من ماء واحد إن أريد به جنس الذكر والأنثى، وقيل هما آدم وحواء، وإنما أقسم بهما لأنه تعالى ابتدأ خلق آدم من طين وخلق منه حواء من غير أم وجواب القسم قوله تعالى: **﴿إن سعيكم لشتى﴾** أي إن أعمالكم لمختلفة فساع في فكاك نفسه، وساع في عطبها روى أبو مالك الأشعري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كل الناس يغدو فبائع نسه فمعتقها أو موبقها» قوله موبقها أي مهلكها.

قوله تعالى: **﴿فأما من أعطى﴾** أي أنفق ماله في سبيل الله عز وجل: **﴿واتقى﴾** أي ربه، وفيه إشارة إلى الاحتراز عن كل ما لا ينبغي.

سُوْرَة اللّيْل

مكيّة وهي إحدى وعشرون آية.

﴿ والليل إذا يغشى ﴾، أي يغشى النهار بظلمة فيذهب بضوئه.

﴿ والنهار إذا تجلّى ﴾، بانَ وظهر من بين الظلمة.

﴿ وما خلق الذَّكر والأُنثى ﴾، يعني ومَن خلق، وقيل: هيَ ﴿ ما ﴾ المصدرية أي خلق الذَّكر والأُنثى. قال مقاتل والكلبي: يعني آدم وحوّاء وفي قراءة ابن مسعود وأبي الدرداء والذَّكر والأُنثى جواب القسم.

قوله: **﴿ إن سعيكم لشتّى ﴾**، إن أعمالكم لمختلفة فساعٍ في فكاك نفسه وساعٍ في عطبها. روى أبو مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «كل الناس يغدو فبائع نفسَه فمعتقها أو موبقها».

﴿ فأما مَن أعطى ﴾، ماله في سبيل الله، **﴿ واتّقى ﴾**، ربّه.

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾

﴿**وصدق بالحسنى**﴾ قال ابن عباس صدق بقول لا إله إلا الله وعنه صدق بالخلف به، أي أيقن أن الله سيخلف عليه ما أنفقه في طاعته، وقيل صدق بالجنة، وقيل صدق بموعد الله عز وجل الذي وعده أنه يثيبه ﴿**فسنيسره**﴾ فسنهيئه في الدنيا ﴿**لليسرى**﴾ أي للخلة والفعلة اليسرى، وهو العمل بما يرضاه الله.

قوله عز وجل: ﴿**وأما من بخل**﴾ أي بالنّفقة في الخير والطاعة ﴿**واستغنى**﴾ أي عن ثواب الله تعالى فلم يرغب فيه ﴿**وكذب بالحسنى**﴾ أي بلا إله إلا الله أو كذب بما وعده الله عز وجل من الجنة والثواب ﴿**فسنيسره للعسرى**﴾ أي فسنهيئه للشّر بأن نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضى الله تعالى فيستوجب بذلك النار، وقيل نعسر عليه أن يأتي خيراً وفي الآية دليل لأهل السّنة وصحة قولهم في القدر وأن التّوفيق والخذلان والسّعادة والشّقاوة بيد الله تعالى، ووجوب العمل بما سبق له في الأزل (ق) عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: «كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس، وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من أحد إلا، وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة» زاد مسلم[1] «وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السّعادة فيصير لعمل أهل السّعادة وأما من كان من أهل الشّقاوة، فيصير لعمل أهل الشّقاوة ثم قرأ ﴿**فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى**﴾ المخصرة بكسر الميم كالسّوط والعصا، ونحو ذلك مما يمسكه الإنسان بيده، والنكت بالتاء المثناة فوق ضرب الأرض بذلك أو غيرها مما يؤثر فيه الضرب، وهذه

﴿ **وصدّق بالحسنى** ﴾، قال أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك: وصدّق بلا إله إلاّ الله، وهي رواية عطية عن ابن عباس. وقال مجاهد: بالجنة دليله قوله تعالى: ﴿ للذين أحسنوا الحسنى ﴾ [يونس: ٢٦]، يعني الجنة. وقيل: صدّق بالحسنى أي بالخلف، أي أيقن أن الله تعالى سيخلفه. وهي رواية عكرمة عن ابن عباس. وقال قتادة ومقاتل والكلبي: بموعود الله عزّ وجلّ الذي وعده أن يفي به.

﴿ **فسنيسّره** ﴾، فسنهيّئه في الدنيا، ﴿ **لليسرى** ﴾، أي للخلّة اليسرى وهي العمل بما يرضاه الله عزّ وجلّ.

﴿ **وأما مَن بخل** ﴾، بالنفقة في الخير، ﴿ **واستغنى** ﴾، عن ثواب الله فلم يرغب فيه.

﴿ **وكذّب بالحسنى * فسنيسّره للعسرى** ﴾، سنهيّئه للشرّ بأن نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضى الله، فيستوجب به النار. قال مقاتل: نعسر عليه أن يأتي خيراً، وروينا عن علي عن النبيّ ﷺ قال: «ما من نفس منفوسة إلّا قد كُتب مكانُها من الجنة أو النار»، فقال رجل: أفلا نتّكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: «لا ولكن اعملوا فكلٌّ ميسرٌ لما خُلق له، أما أهل الشقاء فييسّرون لعمل أهل الشقاء، وأما أهل السعادة فسييسّرون لعمل أهل السعادة»، ثم تلا: ﴿ **فأما مَن أعطى واتقى** ﷺ **وصدّق بالحسنى * فسنيسره لليسرى * وأما مَن بخل واستغنى * وكذب بالحسنى * فسنيسره للعسرى** ﴾. قيل: نزلت في أبي بكر الصدّيق اشترى بلالاً من أُميّة بن خلف ببردة وعشر أواق، فأعتقه فأنزل الله تعالى: ﴿ **والليل إذا يغشى** ﴾ إلى قوله: ﴿ **إنّ سعيكم لشتى** ﴾ يعني سعي أبي بكر وأمية. وروى علي بن حجر عن إسحاق عن أبي نجيح عن عطاء، قال: كان لرجل من الأنصار نخلة وكان له جار يسقط من

---

(١) (قوله زاد مسلم الخ) حديث مسلم «ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة» الخ.

الآية نزلت في أبي بكر الصديق، وذلك أنه اشترى بلالاً من أمية بن خلف ببردة وعشرة أواق فأعتقه، فأنزل الله تعالى ﴿والليل إذا يغشى﴾ إلى قوله ﴿إن سعيكم لشتى﴾ يعني سعى أبي بكر وأمية بن خلف، وقيل كان لرجل من الأنصار نخلة وفرعها في دار رجل فقير وله عيال، فكان صاحب النخلة إذا طلع نخلته ليأخذ منها التمر فربما سقطت التمرة، فيأخذها صبيان ذلك الفقير، فينزل الرجل عن نخلته حتى يأخذ التمرة من أيديهم وإن وجدها في فم أحدهم أدخل أصبعه في فيه حتى يخرجها فشكا ذلك الرّجل الفقير إلى النبي ﷺ فلقي النّبي ﷺ صاحب النّخلة فقال له: تعطيني نخلتك التي فرعها في دار فلان، ولك بها نخلة في الجن فقال الرجل: إن لي نخلاً، وما فيه أعجب إليّ منها ثم ذهب، فسمع بذلك أبو الدحداح رجل من الأنصار، فقال لصاحب النخلة هل لك أن تبيعها بحش يعني حائطاً له فيه نخل، فقال هي لك فأتى الدّحداح للنبي ﷺ فقال يا رسول الله ﷺ تشتريها مني بنخلة في الجنة، فقال نعم فقال هي لك فدعا النبي ﷺ ذلك الرجل الفقير جار الأنصاري صاحب النخلة قال خذها لك ولعيالك فأنزل الله هذه الآية، وهذا القول فيه ضعف لأن هذه السورة مكية، وهذه القصة كانت بالمدينة فإن كانت القصة صحيحة تكون هذه السورة قد نزلت بمكة، وظهر حكمها بالمدينة، والصحيح أنها نزلت في أبي بكر الصديق وأمية بن خلف لأن سياق الآيات يقتضي ذلك.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْـَٔاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وما يغني عنه ماله﴾ أي الذي بخل به ﴿إذا تردى﴾ أي إذا مات، وقيل هوى في جهنم ﴿إن علينا للهدى﴾ أي إن علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضّلالة وذلك أنه لما عرفهم ما للمحسن من اليسرى، وما للمسيء من العسرى أخبرهم أن بيده الإرشاد والهداية وعليه تبيين طريقها، وقيل معناه إن علينا للهدى والإضّلال فاكتفى بذكر أحدهما، والمعنى أرشد أوليائي إلى العمل بطاعتي وأصرف أعدائي عن العمل بطاعتي، وقيل معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله سبيله. ﴿وإن لنا للآخرة والأولى﴾ أي لنا ما في الدّنيا والآخرة فمن طلبهما من غير

بلحها في داره، وكان صبيانه يتناولون منه فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «بعنيها بنخلة في الجنة»، فأبى، فخرج فلقيه أبو الدحداح، فقال له: هل لك أن تبيعها بحش، يعني حائطاً له، فقال: هي لك فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أتشتريها منّي بنخلة في الجنة، قال: «نعم» قال: هي لك، فدعا النبي ﷺ جار الأنصاري فقال: «خذها». فأنزل الله تعالى: ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ إلى قوله: ﴿ إنّ سعيكم لشتى ﴾، أبو الدحداح والأنصاري صاحب النخلة، ﴿ فأما مَن أعطى واتّقى ﴾ أبو الدحداح، ﴿ وصدّق بالحسنى * فنيسّره لليسرى ﴾ يعني الجنة، ﴿ وأما مَن بخل واستغنى ﴾ يعني الأنصاري، ﴿ وكذّب بالحسنى ﴾ يعني الثواب، ﴿ فسنيسّره للعسرى ﴾، يعني النار.

﴿ وما يُغني عنه ماله ﴾، الذي بخل به، ﴿ إذا تردّى ﴾، قال مجاهد: إذا مات. وقال قتادة وأبو صالح: هوى في جهنّم.

﴿ إنّ علينا للهدى ﴾، يعني البيان. قال الزّجّاج: علينا أن نبيّن طريق الهدى من طريق الضلال، وهو قول قتادة، قال: على الله بيان حلاله وحرامه. قال الفرّاء: يعني مَن سلك الهدى فعلى الله سبيله، كقوله تعالى: ﴿ وعلى الله قصد السبيل ﴾ [النحل: ٩] يقول: مَن أراد الله فهو على السبيل القاصد. وقيل معناه: إن علينا للهدى والإضلال كقوله: ﴿ بيدك الخير ﴾ [آل عمران: ٢٦].

مالكهما فقد أخطأ الطريق ﴿ ﴿فأنذرتكم﴾ أي يا أهل مكة ﴿ناراً تلظى﴾ أي تتوقد وتتوهج ﴿لا يصلاها إلا الأشقى﴾ يعني الشّقي ﴿الذي كذب﴾ يعني الرّسل ﴿وتولى﴾ أي عن الإيمان ﴿وسيجنبها الأتقى﴾ يعني التّقي ﴿الذي يؤتي﴾ أي يعطي ﴿ماله يتزكى﴾ أي يطلب عند الله أن يكون زاكياً لا يطلب بما ينفقه رياء ولا سمعة وهو أبو بكر الصديق في قول جميع المفسرين قال ابن الزبير: كان يبتاع الضعفاء فيعتقهم، فقال له أبوه أي بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك، قال منع ظهري أريد فأنزل الله ﴿وسيجنبها الأتقى﴾ إلى آخر السّورة، وذكر محمد ابن إسحاق قال: كان بلال لبعض بني جمح وهو بلال بن رباح، واسم أمه حمامة، وكان صادق الإسلام طاهر القلب، وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الشّمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يأمر بالصّخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد فيقول وهو في ذلك أحد أحد قال محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه قال: مر به أبو بكر يوماً وهم يصنعون به ذلك، وكانت دار أبي بكر في بني جمح فقال لأمية: ألا تتقي الله في هذا المسكين قال: أنت أفسدته فأنقذه مما ترى فقال أبو بكر أفعل عندي غلام أسود أجلد منه، وأقوى، وهو على دينك أعطيكه قال قد فعلت فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذ بلالاً فأعتقه، وكان قد أعتق ست رقاب على الإسلام قبل أن يهاجر بلال سابعهم، وهم عامر بن فهيرة شهد بدراً وأحداً، وقتل يوم بئر معونة شهيداً، وأم عميس وزهرة فأصيب بصرها حين أعتقها أبو بكر فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى فقالت: كذبوا ورب البيت ما تضر اللاّت، والعزى، ولا تنفعان فرد الله تعالى: عليها بصرها وأعتق النّهدية وابنتها، وكانتا لامرأة من بني عبد الدار، فرآهما أبو بكر وقد بعثتهما سيدتهما يحتطبان لها وهي تقول والله لا أعتقهما أبداً فقال أبو بكر كلا يا أم فلان فقالت كلا أنت أفسدتهما فأعتقهما، قال فبكم قالت بكذا وكذا قال قد أخذتهما وهما حرتان ومر بجارية من بني المؤمل وهي تعذب فابتاعها وأعتقها فقال عمار بن ياسر: يذكر بلالاً وأصحابه وما كانوا فيه من البلاء وإعتاق أبي بكر إيّاهم وكان اسم أبي بكر عتيقاً فقال في ذلك:

جـزى الله خيـراً عـن بـلال وصحبـه ... عتيقـاً وأخـزى فـاكهـاً وأبـا جهـل
عشيـة همـا فـي بـلال بسـوءة ... ولـم يحـذرا أمـا يحـذر المـرء ذو العقـل
بتـوحيـد رب الأنـام وقـولـه ... شهـدت بـأن الله ربـي علـى مهـل
فـإن تقتلـونـي فـاقتلـونـي فلـم أكـن ... لأشـرك بـالـرحمـن مـن خيفـة القتـل

﴿ وإن لنا للآخرة والأولى ﴾، فمَن طلبهما من غير مالكهما فقد أخطأ الطريق.

﴿ فأنذرتكم ﴾، يا أهل مكة، ﴿ ناراً تلظى ﴾، أي تتلظى يعني تتوقد وتتوهج.

﴿ لا يصلاها إلاّ الأشقى الذي كذب ﴾ الرسول، ﴿ وتولى ﴾، عن الإيمان.

﴿ وسيجنبها الأتقى ﴾، يريد بالأشقى الشقي، وبالأتقى التقي.

﴿ الذي يُؤتي ماله ﴾، يعطي ماله، ﴿ يتزكى ﴾، يطلب أن يكون عند الله زاكياً لا رياء ولا سمعة، يعني أبا بكر الصديق، في قول الجميع، قال ابن الزبير: كان أبو بكر يبتاع الضَّعَفَة فيعتقهم، فقال أبوه: أيْ بنيَّ لو كنت تبتاع مَن يمنع ظهرك؟ قال: منعَ ظهري أريدُ، فنزلَ: ﴿ وسيجنبها الأتقى ﴾ إلى آخر السورة. وذكل محمد بن إسحاق قال: كان بلال لبعض بني جمع وهو بلال بن رباح واسم أُمه حمامة، وكان صادق الإسلام طاهر القلب، وكان أُمية بن خلف يُخرِجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، فيقول وهو في ذلك البلاء: أحدٌ أحد، وقال

فيـا رب إبـراهيـم والعبـد يـونـس ومـوسـى وعيسـى نجنـي ثـم لا تملـي
لمـن ظـل يهـوى الغـي مـن آل غـالـب علـى غيـر حـق كـان منـه ولا عـدل

قال سعيد بن المسيب: بلغني أن أمية بن خلف قال لأبي بكر في بلال حين قال له أتبيعه قال نعم أبيعه بنسطاس عبد لأبي بكر وكان نسطاس صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركاً حمله أبو بكر على الإسلام على أن يكون ماله له فأبى، فأبغضه أبو بكر، فلما قال أمية أبيعه بغلامك نسطاس اغتنمه أبو بكر، وباعه به فقال المشركون ما فعل ذلك أبو بكر ببلال إلا ليد كانت لبلال عنده. فأنزل الله عز وجل:

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾

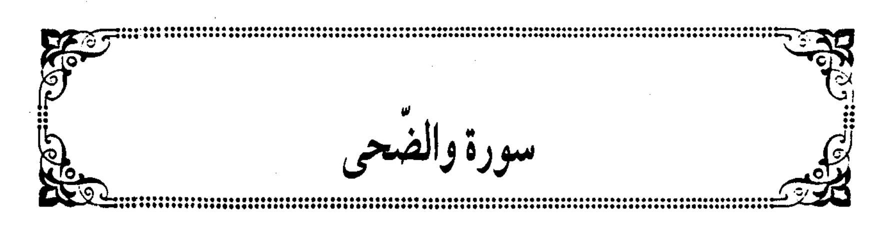
﴿**وما لأحد عنده**﴾ أي عند أبي بكر ﴿**من نعمة تجزى**﴾ أي من يد يكافئه عليها ﴿**إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى**﴾ أي لم يفعل ذلك مجازاة لأحد ولا ليد كانت له عنده لكن فعله ابتغاء وجه ربه الأعلى وطلب مرضاته ﴿**ولسوف يرضى**﴾ أي بما يعطيه الله عز وجل في الآخرة من الجنة والخير والكرامة جزاء على ما فعل، والله أعلم.

محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه قال: مرّ به أبو بكر يوماً وهم يصنعون به ذلك، وكانت دار أبي بكر في بني جمح، فقال لأمية: ألا تتّقي الله تعالى في هذا المسكين؟ قال: أنت أفسدته فأنقذه مما ترى، قال أبو بكر: أفعل! عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى، على دينك، أعطيكه؟ قال: قد فعلت فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذه فأعتقه، ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر ستّ رِقاب، بلال سابعهم، عامر بن فهيرة شهد بدراً وأُحُداً، وقتل يوم بئر معونة شهيداً، وأم عميس، وزهرة فأُصيب بصرها وأعتقها، فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلاّ اللاّت والعُزّى، فقالت: كذبوا وبيت الله ما تضرّ اللاّت والعُزّى وما تنفعان، فردّ الله إليها بصرها، وأعتق النهدية وابنتها، وكانتا لامرأة من بني عبد الدار فمرّ بهما وقد بعثتهما سيدتهما تطحنان لها وهي تقول والله لا أعتقكما أبداً، فقال أبو بكر: كلا يا أم فلان، فقالت: كلا أنت أفسدتهما فأعتقهما، قال: فبِكَم؟ قالت: بكذا وكذا، قال: قد أخذتهما وهما حرّتان، ومرّ بجارية بني المؤمل وهي تُعَذّب فابتاعها فأعتقها. وقال سعيد بن المسيب: بلغني أن أُمية بن خلف قال لأبي بكر في بلال حين قال: أتبيعه؟ قال: نعم أبيعه بنسطاس، وكان نسطاس عبداً لأبي بكر صاحب عشرة آلاف دينار، وغلمان وجَوارٍ ومواشٍ، وكان مشركاً حمله أبو بكر على الإسلام على أن يكون ماله، فأبى فأبغضه أبو بكر، فلما قال له أُميّة أبيعه بغلامك نسطاس اغتنمه أبو بكر وباعه منه، فقال المشركون: ما فعل ذلك أبو بكر إلاّ ليد كانت لبلال عنده.

فأنزل الله: ﴿ **وما لأحد عنده من نعمة تجزى** ﴾، يد يكافئه عليها.

﴿ **إلاّ** ﴾، لكن ﴿ **ابتغاء وجه ربّه الأعلى** ﴾، يعني لا يفعل ذلك مجازاة لأحد بيد له عنده، ولكنه يفعله ابتغاء وجه ربّه الأعلى وطلب رضاه.

﴿ **ولسوف يرضى** ﴾، بما يعطيه الله عزّ وجلّ في الآخرة من الجنة والكرامة جزاء على ما فعل.



سورة والضّحى

مكية وهي إحدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة واثنان وسبعون حرفاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ ① وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ②

قوله عز وجل: ﴿والضّحى﴾ اختلفوا في سبب نزول هذه السّورة على ثلاثة أقوال: القول الأول (ق) «عن جندب بن سفيان البجلي قال اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً فجاءت امرأة فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك ليلتين أو ثلاثاً فأنزل الله عز جل: ﴿والضّحى واللّيل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى﴾» وأخرجه التّرمذي عن جندب قال كنت مع النبي ﷺ في غار فدميت أصبعه فقال النبي ﷺ:

سُورَة الضّحَىٰ

مكيّة وهي إحدى عشرة آية.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أحمد بن يونس ثنا زهير ثنا الأسود بن قيس قال: سمعت جندب بن سفيان قال اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً فجاءت امرأة فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ والضحى * والليل إذا سجى * ما ودّعك ربّك وما قلى ﴾، وقيل: إن المرأة التي قالت ذلك أُم جميل امرأة أبي لهب. وقال المفسّرون سألت اليهود رسول الله ﷺ عن ذي القرنين وأصحاب الكهف وعن الروح فقال سأُخبركم غداً، ولم يقل: إن شاء الله، فاحتبس عنه الوحي. وقال زيد بن أسلم: كان سبب احتباس جبريل عليه السلام عنه كان جرواً في بيته، فلما نزل عاتبه رسول الله ﷺ على إبطائه، فقال: إنّا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة. واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه، فقال ابن جريج: اثنا عشر يوماً. وقال ابن عباس: خمسة عشر يوماً. وقال مقاتل: أربعون يوماً. قال المفسّرون فقال المشركون: إن محمداً ودّعه ربه وقلاه، فأنزل الله تعالى هذه السورة، فقال النبي ﷺ: «يا جبريل ما جئت حتى اشتقت إليك»، فقال جبريل: «إني كنت أشدّ شوقاً إليكم، ولكني عبدٌ مأمور»، فأنزل: ﴿ وما نتنزّل إلاّ بأمر ربّك ﴾ [مريم: ٦٤].

قوله عزّ وجلّ: ﴿ والضحى ﴾، أقسم بالضحى وأراد به النهار كله بدليل أنه قابله بالليل إذا سجى، نظيره قوله: ﴿ أن يأتيهم بَأْسُنَا ضحىً ﴾ [الأعراف: ٩٨]، أي نهاراً. وقال قتادة ومقاتل: يعني وقت الضحى، وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس، واعتدال النهار في الحرّ والبرد والصيف والشتاء.

﴿ والليل إذا سجى ﴾، قال الحسن: أقبل بظلامه، وهي رواية العوفي عن ابن عباس، وقال الوالبي عنه: إذا

هـــل أنـــت إلا أصبـــع دميـــت وفـــي سبيـــل الله مـــا لقيـــت

قال: فأبطأ عليه جبريل فقال المشركون قد ودع محمداً ربه فأنزل الله عز وجل:

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾﴾

﴿ما وعدك ربك وما قلى﴾ وقيل إن المرأة المذكورة في الحديث المتفق عليه هي أم جميل امرأة أبي لهب.

القول الثاني: قال المفسرون: سألت اليهود رسول الله ﷺ عن الرّوح، وعن ذي القرنين، وأصحاب الكهف، فقال سأخبركم غداً، ولم يقل إن شاء الله فاحتبس الوحي عليه.

القول الثالث: قال زيد بن أسلم: كان سبب احتباس الوحي، وجبريل عنه أن جروا كان في بيته، فلما نزل عليه عاتبه رسول الله ﷺ على إبطائه فقال إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة.

واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه، فقيل اثنا عشر يوماً وقال ابن عباس: خمسة عشر يوماً، وقيل أربعون يوماً فلما نزل جبريل عليه الصلاة والسلام قال النبي ﷺ يا جبريل ما جئت حتى اشتقت إليك فقال جبريل: إني كنت إليك أشد شوقاً، ولكني عبد مأمور. ونزل ﴿**وما نتنزل إلا بأمر ربك**﴾ وأنزل الله هذه السّورة قوله عز وجل: ﴿**والضحى**﴾ قيل أراد به النهار كله بدليل أنه قابله باللّيل كله في قوله، ﴿**واللّيل إذا سجى**﴾، وقيل وقت الضحى وهي السّاعة التي فيها ارتفاع الشّمس واعتدال النهار في الحر والبرد في الصيف والشتاء. ﴿**والليل إذا سجى**﴾ قال ابن عباس أقبل بظلامه وعنه إذا ذهب وقيل معناه غطى كل شيء بظلاّمه، وقيل معناه سكن فاستقر ظلامه فلا يزاد بعد ذلك، وهذا قسم أقسم الله تعالى بالضحى والليل إذا سجى وجواب القسم قوله تعالى: ﴿**ما ودعك ربك وما قلى**﴾ أي ما تركك ربك منذ اختارك ولا أبغضك منذ أحبك، وإنما قال قلى ولم يقل قلاك لموافقة رؤوس الآي، وقيل معناه وما قلى أحداً من أصحابك ومن هو على دينك إلى يوم القيامة. ﴿**وللآخرة خير لك من الأولى**﴾ أي الذي أعطاك ربك في الآخرة خير لك وأعظم من الذي أعطاك في الدّنيا، وروى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: «إنا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدّنيا» ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾ قال ابن عباس هي الشفاعة في أمته حتى يرضى (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص «أن النبي ﷺ رفع يديه وقال: اللّهم أمتي أمتي وبكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد، واسأله ما يبكيك، وهو أعلم فأتى جبريل، وسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو أعلم، فقال الله يا جبريل إذهب إلى محمد وقل له إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك» (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعتي لأمتي يوم القيامة فهي

ذهب، قال عطاء والضحاك: غطّى كل شيء بالظلمة. وقال مجاهد: استوى. وقال قتادة وابن زيد: سكن واستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك. يقال: ليل ساجٍ وبحر ساجٍ إذا كان ساكناً.

قوله تعالى: ﴿ **ما ودّعك ربّك وما قلى** ﴾، هذا جواب القسم: أي ما تركَكَ منذ اختارك ولا أبغضكَ منذ أحبّك.

﴿ **وللآخرة خيرٌ لك من الأولى** ﴾، حدّثنا المطهر بن علي الفارسي أنا محمد بن إبراهيم الصالحاني أنا عبد الله بن محمد بن جعفر أبو الشيخ الحافظ أنا ابن أبي عاصم أنا أبو بكر بن أبي شيبة أنا معاوية بن هشام عن علي بن صالح عن يزيد بن زياد عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا».

نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً» عن عوف بن مالك أن رسول الله ﷺ قال «أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشّفاعة فاخترت الشّفاعة، فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات لا يشرك بالله شيئاً» أخرجه التّرمذي قال حرب بن شريح سمعت جعفر بن محمد بن علي يقول إنكم يا معشر أهل العراق تقولون أرجى آية في القرآن ﴿**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله**﴾ وإنا أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾ وقيل في معنى الآية ولسوف يعطيك ربك من الثواب فترضى، وقيل من النّصر والتّمكين وكثرة المؤمنين فترضى وحمل الآية على ظاهرها من خيري الدّنيا والآخرة معاً أولى، وذلك أن الله تعالى أعطاه في الدّنيا النصر الظفر على الأعداء وكثرة الأتباع، والفتوح في زمنه، وبعده إلى يوم القيامة وأعلى دينه وإن أمته خير الأمم، وأعطاه في الآخرة الشّفاعة العامة، والخاصة، والمقام المحمود وغير ذلك، مما أعطاه في الدّنيا والآخرة ثم أخبر عن حاله صغيراً وكبيراً قبل الوحي وذكر نعمه عليه وإحسانه إليه. فقال عز وجل:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾

﴿**ألم يجدك يتيماً**﴾ أي صغيراً ﴿**فآوى**﴾ أي ألم يعلمك الله يتيماً من الوجود الذي هو بمعنى العلم، والمعنى ألم يجدك يتيماً صغيراً حين مات أبوك، ولم يخلف لك مالاً، ولا مأوى فجعل لك مأوى تأوي إليه وضمك إلى عمك أبي طالب حتى أحسن تربيتك وكفاك المؤنة.

وذلك أن عبد الله مات ورسول الله ﷺ حمل فكفله جده عبد المطلب، فلما مات عبد المطلب، كفله عمه أبو طالب إلى أن قوي، واشتد وتزوج خديجة، وقيل هو من قولهم درة يتيمة، والمعنى ألم يجدك واحداً في قريش عديم النّظير فآواك إليه وأيدك وشرفك بنبوته واصطفاك برسالته. ﴿**ووجدك ضالاً**﴾ أي عما أنت عليه اليوم ﴿**فهدى**﴾ أي فهداك إلى توحيده ونبوته، وقيل وجدك ضالاً عن معالم النّبوة وأحكام الشّريعة، فهداك إليها وقال ابن عباس: إن رسول الله ﷺ ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير، فرآه أبو جهل منصرفاً من أغنامه، فرده إلى جده عبد المطلب، وقال سعيد بن المسيب: خرج رسول الله ﷺ مع عمه أبي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة مظلمة إذ جاء إبليس فأخذ بزمام ناقته، فعدل به عن الطريق، فجاء جبريل عليه السّلام فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى

﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: هو الشفاعة في أمته حتى يرضى، وهو قول علي والحسن. وروينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «اللّهمَّ أُمتي أُمتي وبكى، فقال الله: يا جبريل اذهبْ إلى محمد فقل له إنّا سنُرضيك في أُمتك، ولا نسوءك فيهم». وقال حرب بن شريح سمعت أبا جعفر محمد بن علي يقول: إنكم معشر أهل العراق تقولون أرجى آية في القرآن: ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ [الزمر: ٥٣]، وإنّا أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله ﴿ **ولسوف يعطيك ربّك فترضى** ﴾، قيل: ﴿ **ولسوف يعطيك ربّك** ﴾ من الثواب. وقيل: من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين، ﴿ **فترضى** ﴾. ثم أخبره الله عزّ وجلّ عن حالته التي كان عليها قبل الوحي، وذكّره نِعَمه فقال جلّ ذكره:

﴿ **ألم يجدك يتيماً فآوى** ﴾، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي فقال: أنبأني عبد الله بن حامد الأصفهاني أنا محمد بن عبد الله النيسابوري ثنا محمد بن عيسى أنا أبو عمرو الحوضي وأبو الربيع الزهراني عن حمّاد بن زيد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربّي مسألةً وودت إني لم أكن سألته، قلت: يا ربِّ إنك آتيت سليمان بن داود مُلْكاً عظيماً، وآتيت فلاناً كذا، وآتيت فلاناً كذا»، قال: يا محمد ألم أجدك يتيماً فآويتُك؟

الحبشة، ورد رسول الله ﷺ إلى القافلة فمنّ الله عليه بذلك، وقيل وجدك ضالاً نفسك لا تدري من أنت فعرفك نفسك وحالك، وقيل ووجدك بين أهل الضّلال فعصمك من ذلك وهداك إلى الإيمان وإلى إرشادهم، وقيل الضلال هنا بمعنى الحيرة وذلك لأنه كان ﷺ يخلو في غار حراء في طلب ما يتوجه به إلى ربه حتى هداه الله لدينه، وقال الجنيد: ووجدك متحيراً في بيان ما أنزل الله إليك، فهداك لبيانه فهذا ما قيل في هذه الآية ولا يلتفت إلى قول من قال إنه ﷺ كان قبل النّبوة على ملة قومه، فهداه الله إلى الإسلام لأن نبينا ﷺ، وكذلك الأنبياء قبله منذ ولدوا نشؤوا على التّوحيد، والإيمان قبل النّبوة وبعدها، وأنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بصفات الله تعالى وتوحيده ويدل على ذلك أن قريشاً لما عابوا النبي ﷺ ورموه بكل عيب سوى الشّرك وأمر الجاهلية فإنهم لم يجدوا لهم عليه سبيلاً إذ لو كان فيه لما سكتوا عنه ولنقل ذلك فبرأه الله تعالى من جميع ما قالوه فيه وعيروه به. ويؤكد هذا ما روي في قصة بحير الرّاهب حين استحلف النبي ﷺ باللّات والعزى، وذلك حين سافر مع عمه أبي طالب إلى الشام فرأى بحيراً علامة النّبوة فيه وهو صبي فاختبره بذلك فقال النبي ﷺ: لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئاً بغضهما، ويؤكد هذا شرح صدره ﷺ في حال الصغر واستخراج العلقة منه وقول جبريل هذا حظ الشيطان منك وملؤه حكمة وإيماناً وقوله تعالى: **﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾** وقال الزّمخشري: ومن قال كان على أمر قومه أربعين سنة فإن أراد أنه على خلوهم من العلوم والسمعية، فنعم وإن أراد أنه كان على دين قومه، فمعاذ الله والأنبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النّبوة وبعدها من الكبائر، والصّغائر الشّائنة، فما بال الكفر والجهل بالصّانع **﴿ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء﴾** والله أعلم.

قوله عز وجل: **﴿ووجدك عائلاً فأغنى﴾** يعني فقيراً فأغناك بمال خديجة ثم بالغنائم، وقيل أرضاك بما أعطاك من الرّزق، وهذه حقيقة الغني (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس» العرض بفتح العين والراء المال (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال «قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما أتاه» وروى البغوي بإسناد الثّعلبي عن ابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي عز وجل مسألة وددت أني لم أكن سألته قلت: يا رب إنك أتيت سليمان بن داود مُلكاً عظيماً، وآتيت فلاناً كذا وفلاناً كذا قال يا محمد ألم أجدك يتيماً فآويتك؟ قلت بلى يا رب» قال:

قلت: «بلى أيْ ربِّ»، قال: ألم أجدك ضالاً فهديتُك؟ قلت: «بلى أيْ ربِّ»، قال: ألم أجدك عائلاً فأغنيتُك؟ قلت: «بلى أيْ ربِّ»، وزاد غيره عن حمّاد قال: ألم نشرح لك صدرك ووضعتُ عنك وزرك؟ قلت: «بلى أيْ ربِّ»، ومعنى الآية: ألم يجدك يتيماً صغيراً فقيراً حين مات أبواك ولم يخلفا لك مالاً ولا مأوًى، فجعل لك مأوى تأوي إليه وضمّك إلى عمّك أبي طالب حتى أحسن تربيتك وكفاك المؤونة.

﴿ ووجدك ضالاً فهدى ﴾، يعني ضالاً عمّا أنت عليه فهداك للتوحيد والنبوّة: قال الحسن والضحاك وابن كيسان: **﴿ ووجدك ضالاً ﴾** عن معالم النبوّة وأحكام الشريعة غافلاً عنها، فهداك إليها، كما قال: ﴿ وإنْ كنتَ من قبله لمن الغافلين ﴾ [يوسف: ٣] وقال: ﴿ ما كنتَ تدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقيل: ضالاً في شِعاب مكة فهداك إلى جدّك عبد المطّلب. روى أبو الضحى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ ضلّ في شِعاب مكة وهو صبي صغير، فرآه أبو جهل منصرفاً من أغنامه فردّه إلى عبد المطّلب: وقال سعيد بن المسيب: خرج رسول الله ﷺ مع عمّه أبي طالب في قافلة مسيرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة ظلماء ناقة جاء إبليس فأخذ بزمام الناقة فعدل به عن الطريق، فجاء جبريل فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى أرض الحبشة، وردّه إلى القافلة فمنّ الله عليه بذلك. وقيل: وجدك ضالاً نفسك لا تدري مَن أنت، فعرّفك نفسك وحالك.

﴿ ووجدك عائلاً فأغنى ﴾، أي فقيراً فأغناك بمال خديجة ثم بالغنائم، وقال مقاتل: فرضّاك بما أعطاك من

ألم أجدك ضالاً فهديتك؟ قلت بلى يا رب قال ألم أجدك عائلاً فأغنيتك؟ قلت بلى يا رب زاد في رواية «ألم أشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك؟ قلت بلى يا رب».

فإن قلت كيف يحسن بالجواد الكريم أن يمن بإنعامه على عبده، والمن مذموم في صفة المخلوق، فكيف يحسن بالخالق تبارك وتعالى.

قلت إنما حسن ذلك لأنه سبحانه وتعالى: قصد بذلك أن يقوي قلبه، ويعده بدوام نعمه عليه فظهر الفرق بين امتنان الله تعالى الممدوح وبين امتنان المخلوق المذموم لأن امتنان الله تعالى زيادة إنعامه، كأنه قال ما لك تقطع رجاءك عني ألست الذي ربيتك وآويتك وأنت يتيم صغير أتظنني تاركك ومضيعك كبيراً. بل لا بد وأن أتم نعمتي عليك فقد حصل الفرق بين امتنان الخالق، وامتنان المخلوق، ثم أوصاه باليتامى، والمساكين، والفقراء فقال عز وجل:

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾

﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ أي لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيماً، وقيل لا تقهره على ماله فتذهب به لضعفه، وكذا كانت العرب في الجاهلية تفعل في أمر اليتامى يأخذون أموالهم، ويظلمونهم حقوقهم روى البغوي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه ثم قال: أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ويشير بأصبعيه» (خ) عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله

الرزق. واختاره الفرّاء. وقال: لم يكن غنيّاً عن كثرة المال ولكن الله رضّاه بما آتاه وذلك حقيقة الغنى، أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطّان ثنا أحمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن همّام بن منبّه أنه قال أنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العَرْضِ، ولكن الغنى غنى النفس»، أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو عبد الله محمد بن الحسين الزعفراني أنا أحمد بن سعيد أنا أبو يحيىٰ محمد بن عبد الله ثنا أبي حدّثني شرحبيل بن شريك عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح مَن أسلم ورُزق كفافاً وقنّعه الله بما آتاه»، ثم أوصاه باليتامى والفقراء.

فقال: **﴿ فأما اليتيم فلا تقهر ﴾**، قال مجاهد: لا تحتقر اليتيم فقد كنت يتيماً. وقال الفرّاء والزجّاج: لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه، وكذا كانت العرب تفعل في أمر اليتامى، تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم. أخبرنا أبو بكر محمد عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا أبو إسحاق بن إبراهيم بن الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أبي أيوب عن يحيىٰ بن سليمان عن يزيد بن أبي عتاب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ بيتٍ في المسلمين بيتٌ فيه يتيم يُحسَن إليه، وشرّ بيت في المسلمين بيتٌ فيه يتيم يُساء إليه»، ثم قال بأصبعه: «أنا وكافل اليتيم في الجنّةهكذا وهو يشير بأصبعه السبّابة والوسطى».

﴿ وأما السائل فل تنهر ﴾، قال المفسّرون: يريد السائل على الباب، يقول: لا تنهره لا تزجره إذا سألك، فقد كنت فقيراً فإما أن تطعمه وإما أن تردّه ردّاً ليّناً، يقال: نهره وانتهره إذا استقبله بكلام يزجره. قال قتادة: ردّ السائل برحمة ولين قال إبراهيم بن أدهم نِعمَ القوم السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة. وقال إبراهيم النخعي السائل يريدنا إلى الآخرة يجيء إلى باب أحدكم فيقول: هلْ توجّهون إلى أهليكم بشيء؟ ورُوِيَ عن الحسن في قوله: **﴿ أما السائل فلا تنهر ﴾**، قال: طالب العلم.

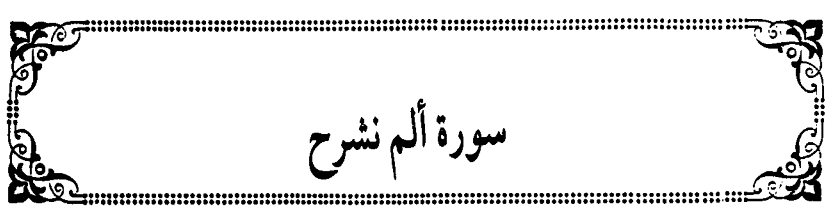
ﷺ «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة، والوسطى، وفرج بينهما» ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ يعني السائل على الباب يقول لا تزجره إذا سألك فقد كنت فقيراً فإما أن تطعمه وإما أن ترده رداً ليناً برفق ولا تكهر بوجهك في وجهه وقال إبراهيم بن أدهم: نعم القوم السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة وقال إبراهيم النّخعي السّائل: يريدنا إلى الآخرة يجيء إلى باب أحدكم فيقول هل توجهون إلى أهليكم بشيء وقيل السائل هو طالب العلم فيجب إكرامه وإسعافه بمطلوبه ولا يعبس في وجهه ولا ينهر ولا يلقى بمكروه ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ قيل أراد بالنّعمة النّبوة أي بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التي أتاك الله، وقيل النعمة هي القرآن أمره أن يقرأه ويقرئه غيره، وقيل أشكره لما ذكره نعمه عليه في هذه السّورة من جبر اليتيم والهدى بعد الضّلاله والإغناء بعد العيلة والفقر أمره أن يشكره على إنعامه عليه، والتحدث بنعمة الله تعالى شكرها.

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «من أعطى عطاء فليجزيه إن وجد فإن لم يجد فليثن عليه فإن من أثنى عليه فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور» أخرجه التّرمذي وله عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله» وله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

﴿ وأمّا بنعمة ربّك فحدّث ﴾، قال مجاهد يعني النبوّة روى عنه أبو بشر واختاره الزجّاج وقال: أي بلّغ ما أُرسلتَ به، وحدث بالنبوّة التي آتاك. وقال الليث عن مجاهد: يعني القرآن وهو قول الكلبي، أمره أن يقرأه، وقال مقاتل: أشكر لما ذكّر من النعمة عليك في هذه السورة من جبر اليتيم والهدي بعد الضلالة والإغناء بعد العيلة، والتحدّث بنعمة الله شكراً. أخبرنا أبو سعيدبكر بن محمد بن محمد عبد محمي البسامي ثنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيىٰ ابن شختويه أنا عبد الله بن محمد بن الحسين النصر أبادي ثنا علي بن سعيد النسوي أنا سعيد بن عفير ثنا يحيىٰ بن أيوب عن عمارة بن غزية عن شرحبيل مولى الأنصاري، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «مَن صُنع إليه معروفٌ فليجزيه إن وُجد، فإن لم يجد ما يُجزي به فليثنِ عليه فإنه إذا أثنى عليه فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره، ومَن تحلّى بما لم يُعطَ كان كلابس ثوبي زور»، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا الحسين بن محمد بن الحسين ثنا أحمد بن محمد بن إسحاق ثنا أبو القاسم بن منيع ثنا منصور بن أبي مزاحم ثنا وكيع عن أبي عبد الرحمن يعني القاسم بن الوليد عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «مَن لم يشكرِ القليلَ لم يشكرِ الكثيرَ، ومَن لم يشكرِ الناسَ لم يشكرِ اللّهَ، التحدّث بنعمة الله شكر، وتركه كفر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب»، والسُّنّة في قراءة أهل مكة أن يكبّر من أول سورة والضحى على رأس كل سورة حتى يختم القرآن، فيقول: الله أكبر، كذلك قرأته على الإمام المقرىء أبي نصر محمد بن أحمد بن علي الحامدي بمرو، قال: قرأت على أبي القاسم طاهر بن علي الصيرفي، قال: قرأت على أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران، قال: قرأت على أبي علي محمد بن أحمد بن حامد الصفّار المقرىء، قال: قرأت على أبي بكر محمد بن موسى الهاشمي، قال: قرأت على أبي ربيعة والحسين بن محمد الحداد، وهما قرآ على أبي الحسين بن أبي بزّة وأخبرهما ابن أبي بزّة أنه قرأ على عكرمة بن سليمان بن كثير المكّي، وأخبره عكرمة أنه قرأ على شبل بن عباد وإسماعيل بن قسطنطين، وأخبراه أنهما قرآ على عبد الله بن كثير، وأخبرهما عبد الله أنه قرأ على مجاهد، وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس، وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أُبيّ بن كعب، وأخبرنا الإمام المقرىء أبو نصر محمد بن أحمد بن علي وقرأت عليه بمرو، وقال: أنا الشريف أبو القاسم علي بن محمد الزبدي بالتكبير، وقرأت عليه بثغر حرّان، قال ثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن زياد الموصلي المعروف بالنقاش، وقرأت عليه بمدينة السلام ثنا أبو ربيعة محمد بن إسحاق الربعي، وقرأت عليه بمكة

رسول الله ﷺ «الطّاعم الشّاكر بمنزلة الصّائم الصّابر» وروى البغوي بإسناد الثّعلبي عن النّعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب» والسنة في قراءة أهل مكة أن يكبر من أول سورة الضّحى على رأس كل سورة حتى يختم القرآن فيقول الله أكبر وسبب ذلك أن الوحي لما احتبس عن رسول الله ﷺ قال المشركون: هجره شيطانه، وودعه، فاغتم النبي ﷺ لذلك فلما نزلت والضّحى كبر رسول الله ﷺ فرحاً بنزول الوحي، فاتخذه سنة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزّة، وقرأت عليه قال لي: قرأتُ على عكرمة بن سليمان، وأخبرني أنه قرأ على إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد فلما بلغت ﴿ والضحى ﴾ قالا لي: كبّرْ حتى تختم، مع خاتمة كل سورة، فإنّا قرأنا على ابن كثير فأمرنا بذلك. وأخبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك، وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أُبيّ بن كعب فأمره بذلك وأخبره أُبيّ أنه قرأ على النبي ﷺ فأمره بذلك، وكان سبب التكبير أن الوحي لمّا احتبس قال المشركون هجره شيطانه، وودّعه، فاغتمّ النبي ﷺ لذلك، فلما نزل ﴿ والضحى ﴾ كبّر رسول الله ﷺ فرحاً بنزول الوحي، فاتخذوه سُنّةً.



سورة ألم نشرح

مكية وهي ثمان آيات وسبع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة أحرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾

قوله عز وجل: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ استفهام بمعنى التّقرير، أي قد فعلنا ذلك ومعنى الشرح الفتح بما يصده عن الإدراك والله تعالى فتح صدر نبيه ﷺ للهدى، والمعرفة بإذهاب الشّواغل التي تصده عن إدراك الحق، وقيل معناه ألم نفتح قلبك ونوسعه ونلينه بالإيمان، والموعظة، والعلم، والنبوة، والحكمة، وقيل هو شرح صدره في صغره (م) عن أنس رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السّلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرجه فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشّيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه ثم أعاده إلى مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظئره فقالوا: إن محمداً قد قتل فاستقبلوه، وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره» ﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ أي حططنا عنك وزرك الذي سلف منك في الجاهلية فهو كقوله ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ وقيل الخطأ والسّهو وقيل ذنوب أمتك فأضافها إليه لاشتغال قلبه بها، وقيل المراد بذلك ما أثقل ظهره من أعباء الرسالة حتى يبلغها لأن الوزر في اللغة الثقل تشبيهاً بوزر الجبل، وقيل معناه عصمناك عن الوزر الذي ينقض ظهرك لو كان ذلك الوزر حاصلاً فسمي العصمة وضعاً مجازاً.

واعلم أن القول في عصمة الأنبياء قد تقدم مستوفى في سورة طه عند قوله تعالى: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ وعند قوله ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾.

ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾

﴿الذي أنقض ظهرك﴾ أي أثقله وأوهنه حتى سمع له نقيض وهو الصوت الخفي الذي يسمع من المحمل، أو

سُورَة الشَّرْح

مكيّة وهي ثمان آيات.

﴿ أَلَمْ نشرحْ لكَ صدرك ﴾، ألم نفتح ونوسع ونلين لك قلبك بالإيمان والنبوّة والعلم والحكمة؟.

﴿ ووضعنا عنك وزرك ﴾، قال الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك: حططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية، وهو كقوله: ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ [الفتح: ٢]. وقال الحسين بن الفضل: يعني الخطأ والسهو. وقيل: ذنوب أمتك فأضافها إليه لاشتغال قلبه بهم.

﴿ الذي أنقض ظهرك ﴾، أثقل ظهرك فأوهنه حتى سمع له نقيض أي صوت. وقال عبد العزيز بن يحيىٰ وأبو

الرحل فوق البعير، فمن حمل الوزر على ما قبل النّبوة قال هو اهتمام النبي ﷺ بأمور كان فعلها قبل نبوته إذ لم يرد عليه شرع بتحريمها، فلما حرمت عليه بعد النبوة عدها أوزاراً وثقلت عليه وأشفق منها فوضعها الله عنه وغفرها له ومن حمل ذلك على ما بعد النبوة قال: هو ترك الأفضل لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين، وقوله عز وجل: ﴿**ورفعنا لك ذكرك**﴾ روى البغوي بإسناد الثعلبي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ «أنه سأل جبريل عن هذه الآية، ورفعنا لك ذكرك قال: قال الله عز وجل: إذا ذكرت ذكرت معي» قال ابن عباس: يريد الأذان، والإقامة، والتّشهد، والخطبة على المنابر، فلو أن عبداً عبد الله وصدقه في كل شيء، ولم يشهد أن محمداً ﷺ لم ينتفع من ذلك بشيء وكان كافراً، وقال قتادة: رفع الله ذكره في الدّنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله وقال الضحاك: لا تقبل صلاة إلا به ولا تجوز خطبة إلا به، وقال مجاهد يريد التأذين وفيه يقول حسان بن ثابت:

أغــــر عليـــــه للنبـــــوة خــــاتـــم ... مـــــن الله مشهــــــود يلـــــوح ويشهـــــد
وضــم الإلـــه اســم النبــي مـــع اسمــه ... إذا قـــال فــــي الخمــس المـــؤذن أشهـــد
وشــــق لـــــه مـــــن اسمـــــه ليجلـــــه ... فـــذو العــرش محمـــود وهـــذا محمـــد

وقيل رفع ذكره بأخذ ميثاقه على النّبيين، وإلزّامهم الإيمان به، والإقرار بفضله، وقيل رفع ذكره بأن قرن اسمه باسمه في قوله «محمد رسول الله» وفرض طاعته على الأمة بقوله: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول» ومن يطع الله ورسوله فقد فاز، ونحو ذلك مما جاء في القرآن وغيره من كتب الأنبياء ثم وعده باليسر، والرخاء بعد الشّدة والعناء، وذلك أنه

عبيدة: يعني خفّفنا عنك أعباءَ النبوّة والقيام بأمرها.

﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾، أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أنا أبو القاسم عبد الخالق بن علي المؤذّن ثنا أبو بكر بن حبيب ثنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل ثنا صفوان يعني بن صالح أبو عبد الملك ثنا الوليد يعني بن مسلم حدّثني عبد الله بن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾ قال: قال الله تعالى: «إذا ذُكِرْتَ ذُكرتَ معي»، وعن الحسن قال: ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾ إذا ذكرتُ ذكرتَ. وقال عطاء عن ابن عباس: يريد الأذان والإقامة والتشهّد والخطبة على المنابر، ولو أن عبداً عبد الله وصدقه في كل شيءولم يشهد أن محمداً رسول الله لم ينتفع بشيء، وكان كافراً. وقال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهّد ولا صاحب صلاة إلاّ ينادي أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله. وقال الضحاك: لا تُقبَل صلاة إلاّ به ولا تجوز خطبة إلاّ به. وقال مجاهد: يعني بالتأذين، وفيه يقول حسّان بن ثابت:

ألــم تــرَ أن الله أرســل عــبــدَهُ ... بــبــرهــانــه واللّهُ أعــلى وأمجــدُ
أغــرّ عــلــيــه لــلنــبــوّة خــاتــمُ ... مــن الله مشهــودٌ يلوحُ ويــشهــدُ
وضمّ الإلَـهُ اسمَ النبيِّ مع اسمه ... إذا قال في الخمسِ المؤذنُ أشهدُ
وشــقّ لــه مــن اسمــهِ لِــيُــجِــلّه ... فــذو العرش محمودٌ وهذا محمدُ

وقيل رفعه بأخذ ميثاقه على النبيّين وإلزامهم الإيمان به والإقرار بفضله، ثم وعده اليُسْر والرخاء بعد الشدّة، وذلك أنه كان بمكة في شدّة.

كان في شدة بمكة فقال تعالى ﴿فإن مع اليسر يسراً﴾ أي مع الشدة التي أنت فيها من جهاد المشركين يسراً ورخاء بأن يظهرك عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جئتهم به ﴿إن مع العسر يسراً﴾ وإنما كرره لتأكيد الوعد وتعظيم الرّجاء قال الحسن: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «أبشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين» وقال ابن مسعود: لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخله عليه ويخرجه إنه لن يغلب عسر يسرين قال المفسرون في معنى قوله لن يغلب عسر يسرين إن الله تعالى كرر لفظ العسر، وذكره بلفظ المعرفة، وكرر اليسر بلفظ النكرة، ومن عادة العرب. إذا ذكرت اسماً معرفاً ثم أعادته كان الثاني هو الأول وإذا ذكرت اسماً نكرة ثم أعادته كان الثاني غير الأول كقولك كسبت درهماً فأنفقت درهماً. فالثاني غير الأول وإذا قلت كسبت درهماً، فأنفقت الدرهم فالثاني هو الأول، فالعسر في الآية مكرر بلفظ التعريف فكان عسراً واحداً، واليسر مكرر بلفظ التنكير فكانا يسرين، فكأنه قال فإن مع العسر يسراً إن مع ذلك العسر يسراً آخر وزيف أبو على الحسن بن يحيى الجرجاني صاحب النظم هذا القول، وقال قد تكلم الناس في قوله لن يغلب عسر يسرين فلم يحصل منه غير قولهم إن العسر معرفة، واليسر نكرة، فوجب أن يكون عسر واحد ويسران وهو قول مدخول فيه إذا قال الرجل إن مع الفارس سيفاً إن مع الفارس سيفاً فهذا لا يوجب أن يكون الفارس واحداً والسيف اثنين فمجاز قوله لن يغلب عسر يسرين أن الله عز وجل بعث نبيه ﷺ وهو مقل مخف، فكانت قريش تعيره بذلك حتى قالوا: إن كان بك طلب الغنى جمعنا لك مالاً حتى تكون كأيسر أهل مكة فاغتم النبي ﷺ لذلك، وظن أن قومه إنما كذبوه لفقره فعدد الله نعمه عليه في هذه السّورة، ووعده الغني ليسليه بذلك عما خامره من الغم. فقال تعالى: ﴿فإن مع العسر يسراً﴾ أي لا يحرنك الذي يقولون فإن مع العسر الذي في الدّنيا يسراً عاجلاً، ثم أنجز ما وعده وفتح عليه القرى القريبة، ووسع ذات يده حتى كان يعطي المئين من الإبل، ويهب الهبة السّنية ثم ابتدأ فضلاً آخر من أمور الآخرة فقال تعالى: ﴿إن مع العسر يسراً﴾ والدّليل على ابتدائه تعريه من الفاء والواو، وهذا وعد لجميع المؤمنين، والمعنى أن مع العسر الذي في الدّنيا للمؤمن يسراً في الآخرة وربما اجتمع له اليسران يسر الدنيا وهو ما ذكره في الآية الأولى ويسر الآخرة وهو ما ذكره في الآية الثانية فقوله لن يغلب عسر يسرين أي إن عسر الدنيا

فقال: ﴿ فإن مع العسر يسراً * إن مع العسر يسراً ﴾ أي مع الشدّة التي أنت فيها من جهاد المشركين يسراً ورخاءً بأن يُظهرك عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جئتهم به إن مع العسر يسراً كرّره لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء وقال الحسن لمّا نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «أبشروا قد جاءكم اليُسْر، لن يغلب عسرٌ يسرين»، قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر حتى يدخل، إنه لن يغلب عسرٌ يسرين. قال المفسّرون: ومعنى قوله: «لن يغلب عسر يسرين» إن الله تعالى كرّر العُسرَ بلفظ المعرفة واليُسَر بلفظ النكرة، ومن عادة العرب إذا ذكرت اسماً معرّفاً، ثم عادته كان الثاني هو الأول، وإذا ذكرت نكرة ثم أعادته مثله صار اثنين، وإذا عادته معرّفة فالثاني هو الأول، كقولك: إذا كسبتُ درهماً أنفقتُ الدرهم، فالثاني غير الأول، وإذا قلت إذا كسبتَ درهماً فأنفقْ درهماً، فالثاني هو الأول، فالعسر في الآية مكرّر بلفظ التعريف، فكان عسراً واحداً، واليسر مكرر بلفظ النكرة، فكانا يسرين، كأنه قال: فإن مع العسر يسران، مع ذلك العسر يسراً آخر. وقال أبو علي الحسين بن يحيىٰ بن نضر الجرجاني صاحب النظم تكلم الناس في قوله: «لن يغلب عسر يسرين»، فلم يحصل منه غير قولهم: إن العسر معرفة واليُسْر نكرة. فوجب أن يكون عسرٌ واحد ويسران، وهذا قول مدخول، إذا قال الرجل: إن مع الفارس سيفاً إن مع الفارس سيفاً، فهذا لا يُوجِب أن يكون الفارس واحد والسيف اثنان، فمجاز قوله: لن يغلب عُسْرٌ يسرين أن الله بعث نبيّه ﷺ وهو مقل مخف، فكانت قريش تعيّره بذلك، حتى قالوا: إن كان بك طلب الغنى جمعنا لك مالاً حتى تكون كأيسر أهل مكة، فاغتمّ النبي ﷺ لذلك، فظن أن قومه إنما يكذّبونه لفقره، فعدّد الله نعمه عليه في هذه

لن يغلب اليسر الذي وعده الله للمؤمنين في الدنيا واليسر الذي وعدهم في الآخرة إنما يغلب أحدهما وهو يسر الدنيا فأما يسر الآخرة، فدائم أبداً غير زائل، أي لا يجتمعان في الغلبة فهو كقوله ﷺ «شهرا عبد لا ينقصان» أي لا يجتمعان في النقص قال القشيري: كنت يوماً في البادية بحالة من الغم فألقى في روعي بيت شعر فقالت:

أرى المـــوت لمـــن أصـ ... ـبـح مغمـومـاً لـه أروح

فلما جن الليل سمعت هاتفاً يهتف في الهواء:

ألا يــا أيهــا المــرء الـ ... ـذي الهــم بــه بــرح
وقــد أنشــد بيتــاً لــم ... يــزل فــي فكــره يسنــح
إذا اشتــد بــك العســر ففـ ... ـكــر فــي ألــم نشــرح
فعســر بيــن يســريــن ... إذا أبصــرتــه فــافــرح

قال فحفظت الأبيات ففرج الله عني وقال إسحاق بن بهلول القاضي:

فــلا تيــأس إذا أعســرت يــومــاً ... فقــد أيســرت فــي دهــر طــويــل
ولا تظنــن بــربــك ظــن ســوء ... فــإن الله أولــى بــالجميــل
فــإن العســر يتبعــه يســار ... وقــول الله أصــدق كــل قيــل

وقال أحمد بن سليمان في المعنى:

تــوقــع لعســر دهــاك ســروراً ... تــرى العســر عنــك بيســر تســرى
فمــا الله يخلــف ميعــاده ... وقــد قــال إن مــع العســر يســرا

وقال غيره:

وكــل الحــادثــات إذا تنــاهــت ... يكــون وراءهــا فــرج قــريــب

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾

قوله عز وجل: ﴿فإذا فرغت فانصب﴾ لما عدد الله على نبيه ﷺ نعمه السالفة حثه على الشكر، والاجتهاد في

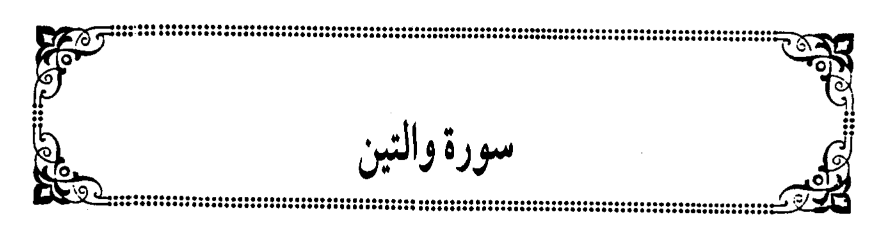
السورة، ووعده الغنى يسلّيه بذلك عمّا خامره من الغمّ، فقال: ﴿ فإن مع العسر يسراً ﴾، مجازه: لا يحزنك ما يقولون فإن مع العسر يسراً في الدنيا عاجلاً، ثم أَنْجَزَهُ ما وَعَدهُ، وفتح عليه القرى العربية ووسّع عليه ذات يده، حتى كان يعطي المئين من الإبل ويهب الهبات السَنِيّة، ثم ابتدأ فضلاً آخر من أمر الآخرة، فقال: إن مع العسر يسراً، والدليل على ابتدائه تعرّيه من الفاء والواو وهذا وعد لجميع المؤمنين، ومجازه: إن مع العسر يسراً أي إن مع العسر في الدنيا للمؤمن يسراً في الآخرة، فربما اجتمع له اليسران يُسر الدنيا وهو مـا ذكره في الآيـة الثانيـة، فقوله عليه السلام: لن يغلب عسرٌ يسرين، أي: لن يغلب عسر الدنيا اليسر الذي وعده للمؤمنين في الدنيا واليسر الذي وعدهم في الآخرة، وإنما يغلب أحدهما هو يسر الدنيا، وأما يسر الآخرة فدائم غير زائل أي لا يجمعهما في الغلبة، كقوله ﷺ: «شهر عيدٍ لا ينقصان» أي لا يجتمعان في النقصان.

﴿ فإذا فرغت فانصب ﴾، أي فاتعب، والنصب: التعب، قال ابن عباس وقتادة والضحاك ومقاتل والكلبي: فإذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربـك في الدعـاء، وارغب إليه في المسألة يعطك. وروى عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه قال: إذا صلّيت فاجتهد في الدعاء والمسألة. وقال ابن مسعود: إذا فرغت من

العبادة، والنصب فيها وأن لا يخليّ وقتاً من أوقاته منها، فإذا فرغ من عبادة أتبعها بأخرى، والنصب التعب قال ابن عباس: إذا فرغت من الصّلاة المكتوبة، فانصب إلى ربك في الدعاء، وارغب إليه في المسألة وقال ابن مسعود: إذا فرغت من الفرائض، فانصب في قيام اللّيل، وقيل إذا فرغت من التّشهد فادع لدنياك وآخرتك، وقيل إذا فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك، وقيل إذا فرغت من تبليغ الرّسالة فانصب في الاستغفار لك وللمؤمنين. قال عمر بن الخطاب إني لأكره أن أرى أحدكم فارغاً سبهللاً لا في عمل دنياه ولا في عمل آخرته. السبهلل الذي لا شيء معه، وقيل السبهلل الباطل ﴿**وإلى ربك فارغب**﴾ أي تضرع إليه راغباً في الجنة راهباً من النار، وقيل اجعل رغبتك إلى الله تعالى في جميع أحوالك لا إلى أحد سواه والله أعلم.

الفرائض فانصب في قيام الليل. وقال الشعبي: إذا فرغت من التشهّد فادعُ لدنياكَ وآخرتك. وقال الحسن وزيد بن أسلم: إذا فرغت من جهاد عدوّك فانصب في عبادة ربّك. وقال منصور عن مجاهد: إذا فرغت من أمر الدنيا فانصب في عبادة ربك وصلِّ. وقال حيّان عن الكلبي: إذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب، أي: استغفر لذنبك وللمؤمنين.

﴿ وإلى ربك فارغب ﴾، قال عطاء تضرّع إليه راهباً من النار راغباً في الجنة. وقيل: فارغب إليه في جميع أحوالك. قال الزجّاج: أي اجعل رغبتك إلى الله وحده.



سورة والتين

(مكية وهي ثمان آيات وأربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسة أحرف)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾

قوله عز وجل: ﴿والتين والزيتون﴾ قال ابن عباس: هو تينكم الذي تأكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت، قيل إنما خص التين بالقسم لأنه فاكهة مخلصة من شوائب التّنغيص، وفيه غذاء ويشبه فواكه الجنة لكونه بلا عجم.

ومن خواصه أنه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث في المعدة يخرج بطريق الرشح ويلين الطبيعة، ويقلل البلغم وأما الزيتون فإنه من شجرة مباركة فيه إدام ودهن يؤكل ويستصبح به وشجرته في أغلب البلاد ولا يحتاج إلى خدمة وتربية وينبت في الجبال التي ليست فيها دهنية ويمكث في الأرض ألوفاً من السنين، فلما كان فيهما من المنافع، والمصالح الدّالة على قدرة خالقهما لا جرم أقسم الله بهما، وقيل هما جبلان فالتين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس، واسمهما بالسريانية طور تيناً وطور زيتاً لأنهما ينبتان التين والزيتون، وقيل هما مسجدان فالتين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس، وإنما حسن القسم بهما لأنهما موضع الطاعة، وقيل التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد إيلياء، وقيل التين مسجد نوح الذي بناه على الجودى والزيتون مسجد

سُورَة التِّين

مكيّة وهي ثمان آيات.

﴿ والتين والزيتون ﴾، قال ابن عباس والحسن ومجاهد وإبراهيم وعطاء بن أبي رباح ومقاتل والكلبي: هو تينكم الذي تأكلونه وزيتونكم هذا الذي تعصرون منه الزيت. قيل: خصّ التين بالقسم لأنها فاكهة مختصّة لا عجم فيها، شبيهة بفواكه الجنة. والزيتون شجرة مباركة جاء بها الحديث وهو تمر ودهن يصلح للاصطباغ والاصطباح. وقال عكرمة: هما جبلان. قال قتادة: التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس لأنهما ينبتان التين والزيتون. وقال الضحاك: هما مسجدان بالشام. قال ابن زيد: التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس. وقال محمد بن كعب: التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد إيليا.

﴿ وطور سينين ﴾، يعني الجبل الذي كلّم الله عليه موسى عليه السلام وذكرنا معناه عند قوله: ﴿ وشجرة تخرج من طور سيناء ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

بيت المقدس ﴿وطور سينين﴾ يعني الجبل الذي كلم الله موسى عليه الصّلاة والسّلام وسينين اسم للمكان الذي فيه الجبل سمي سينين وسيناء لحسنه ولكونه مباركاً وكل جبل فيه أشجار مثمرة يسمى سينين وسيناء ﴿وهذا البلد الأمين﴾ يعني الآمن، وهو مكة حرسها الله تعالى لأنه الحرم الذي يأمن فيه الناس في الجاهلية والإسلام لا ينفر صيده ولا يعضد شجره، ولا تلتقط لقطته إلا لمنشد وهذه أقسام أقسم الله بها لما فيها من المنافع والبركة وجواب القسم قوله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ يعني في أعدل قامة، وأحسن صورة، وذلك أنه تعالى خلق كل حيوان منكباً على وجهه يأكل بفيه إلا الإنسان فإنه خلقه مديد القامة حسن الصورة يتناول مأكوله بيده مزيناً بالعلم، والفهم، والعقل، والتّمييز، والمنطق. ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ يعني إلى الهرم وأرذل العمر فيضعف بدنه وينقص عقله والسّافلون هم الضّعفاء، والزمنى والأطفال والشّيخ الكبير أسفل من هؤلاء جميعاً لأنه لا يستطيع حيلة، ولا يهتدي سبيلاً لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله، وقيل ثم رددناه إلى النّار لأنها دركات بعضها أسفل من بعض ثم استثنى. فقال تعالى:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾

﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصّالحات﴾ فإنهم لا يردون إلى النار أو إلى أسفل سافلين وعلى القول الأول يكون الاستثناء منقطعاً، والمعنى ثم رددناه أسفل سافلين فزال عقله وانقطع عمله فلا تكتب له حنسة لكن الذين آمنوا وعملوا الصّالحات ولازموا عليها إلى أيام الشيخوخة والهرم والضّعف، فإنه يكتب لهم بعد الهرم والخرف مثل الذي كانوا يعملون في حالة الشّباب والصّحة وقال ابن عباس: هم نفر ردوا إلى أرذل العمر على زمن النبي ﷺ فأنزل الله عذرهم وأخبرهم أن لهم أجرهم الذي عملوا قبل أن تذهب عقولهم فعلى هذا القول السبب خاص وحكمه عام قال عكرمة ما يضر هذا الشيخ كبره إذا ختم الله له بأحسن ما كان يعمل وروي عن ابن عباس: قال إلا الذين قرؤوا القرآن وقال: من

﴿ وهذا البلد الأمين ﴾، أي الآمن، يعني مكة يأمن فيه الناس في الجاهلية والإسلام، هذه أقسام والمقسم عليه قوله:

﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾، أعدل قامة وأحسن صورة، وذلك أنه خلق كل حيوان منكبّاً على وجهه إلّا الإنسان خلقه مديد القامة يتناول مأكوله بيده مزيّناً بالعقل والتمييز.

﴿ ثم رددناه أسفل سافلين ﴾، يريد إلى الهرم وأرذل العمر، فينقص عقله ويضعف بدنه، والسافلون هم الضعفاء والزّمْنَى والأطفال، فالشيخ الكبير من هؤلاء جميعاً، وأسفل سافلين نكرة تعمّ الجنس، كما تقول: فلان أكرم قائم. وفي مصحف عبد الله ﴿أسفل السافلين﴾. وقال الحسن وقتادة ومجاهد: يعني ثم رددناه إلى النار، يعني إلى أسفل السافلين، لأن جهنم بعضها أسفل من بعض. قال أبو العالية: يعني إلى النار في شرّ صورة في صورة خنزير.

ثم استثنى فقال: ﴿ إلّا الذين آمنوا ﴾، فإنهم لا يردون إلى النار. ومَن قال بالقول الأول قال: رددناه أسفل سافلين، فزالت عقولهم وانقطعت أعمالهم، فلا يكتب لهم حسنة إلّا الذين آمنوا. ﴿ وعملوا الصالحات ﴾، فإنه يكتب لهم بعد الهرم، والخرف، مثل الذي كانوا يعملون في حال الشباب والصحة. وقال ابن عباس: هم نفرٌ رُدُّوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى عذرهم، فأخبر أن لهم أجرهم الذي عملوا قبل أن تذهب عقولهم. قال عكرمة: لم يضرّ هذا الشيخ كبره إذ ختم الله له بأحسن ما كان يعمل. وروى عاصم الأحول عن

قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾ يعني غير مقطوع لأنه يكتب له بصالح ما كان يعمل قال الضّحاك: أجر بغير عمل ثم قال الزاماً للحجة. ﴿فما يكذبك﴾ يعني يا أيها الإنسان وهو خطاب على طريق الالتفات ﴿بعد﴾ أي بعد هذه الحجة والبرهان ﴿بالدين﴾ أي بالحساب والجزاء، والمعنى فما الذي يلجئك أيها الناس إلى هذا الكذب ألا تتفكر في صورتك وشبابك، ومبدأ خلقك، وهرمك، فتعتبر وتقول أن الذي فعل ذلك قادر على أن يبعثني ويحاسبني، فما الذي يكذبك بالمجازاة، وقيل هو خطاب للنبي ﷺ والمعنى فمن يكذبك أيها الرّسول بعد ظهور هذه الدّلائل، والبراهين ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ أي بأقضى القاضين يحكم بينكم وبين أهل التّكذيب يوم القيامة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ والتين والزيتون، فقرأ أليس الله بأحكم الحاكمين، فليقل بلى وأنا على ذلك من الشّاهدين» أخرجه الترمذي وعن البراء أن النبي ﷺ كان في سفر فصلى العشاء الأخيرة فقرأ في إحدى الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه ﷺ» والله تعالى أعلم.

عكرمة عن ابن عباس قال: ﴿ إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ قال: إلاّ الذين قرؤوا القرآن، وقال: مَن قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر. ﴿ فلهم أجر غير ممنون ﴾، غير مقطوع لأنه يُكتَب له كصالح ما كان يعمل. قال الضحاك: أجْر بغير عمل، ثم قال: إلزاماً للحجة.

﴿ فما يكذبك ﴾، أيها الإنسان، ﴿ بعد ﴾، أي بعد هذه الحجة والبرهان، ﴿ بالدين ﴾، بالحساب والجزاء والمعنى، ألاّ تتفكّر في صورتك وشبابك وهرمك فتعتبر وتقول إن الذي فعل ذلك قادر على أن يبعثني ويحاسبني، فما الذي يكذبك بالمجازاة بعد هذه الحجج.

﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾، بأقضى القاضين، قال مقاتل: يحكم بينك وبين أهل التكذيب يا محمد. وروينا أن رسول الله ﷺ قال: «مَن قرأ والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها: أليسَ اللَّهُ بأحكم الحاكمين، فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين». أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا أبو الوليد ثنا شعبة عن عدي قال: سمعت البراء قال: إن النبي ﷺ كان في سفر فقرأ في العشاء في إحدى الركعتين بالتين والزيتون.



سورة العلق

(مكية وهي تسع عشرة آية واثنتان وتسعون كلمة ومائتان وثمانون حرفاً)

قال أكثر المفسرين هذه السّورة أول سورة نزلت من القرآن وأول ما نزل خمس آيات من أولها إلى قوله **﴿ما لم يعلم﴾** (ق) عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرّؤيا الصّالحة» ولمسلم «الصّادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حببت إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه، وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الوحي» وفي رواية حتى فجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارىء قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ قلت ما أنا بقارىء فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم﴾** حتى بلغ **﴿ما لم يعلم﴾** فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الرّوع ثم قال لخديجة أي خديجة مالي وأخبرها الخبر قال لقد خشيت على نفسي قالت له خديجة كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرّحم وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي وهو ابن عم خديجة، وكان امرؤ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت له خديجة: أيّ ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال: له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك فقال رسول الله ﷺ، أو مخرجي هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك حياً أنصرك نصراً مؤزراً ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي» زاد البخاري قال: حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله ﷺ حقاً فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه، فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة الجبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك.

سُوْرَة العَلَق

مكيّة وهي تسع عشرة آية.

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾، أكثر المفسرين: على أن هذه أول سورة نزلت من القرآن، وأول ما نزل خمس آيات من أولها إلى قوله: **﴿ ما لم يعلم ﴾** أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يحيىٰ بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير

(فصل)

في هذا الحديث دليل صحيح صريح على أن سورة اقرأ أول ما نزل من القرآن وفيه رد على من قال إن المدثر أول ما نزل من القرآن، وقد تقدم الكلام على ذلك والجمع بين القولين في أول سورة المدثر وهذا الحديث من مراسيل الصحابة لأن عائشة لم تدرك هذه القصة فيحتمل أنها سمعتها من النبي ﷺ أو من غيره من الصحابة ومرسل الصحابي حجة عند جميع العلماء إلا ما انفرد به الأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني، وإنما ابتدىء ﷺ بالرؤيا لئلا يفجأه الملك، فيأتيه بصريح النبوة بغتة فلا تحملها القوى البشرية، فبدىء بأول علامات النبوة توطئه للوحي، وأما التّحنث فقد فسر في الحديث بالتعبد، وهو تفسير صحيح لأن أصل التحنث من الحنث، وهو الإثم، والمعنى أنه فعل فعلاً يخرج به من الإثم وقولها فجأة الحق أي جاءه الحق بالوحي بغتة.

قوله: فغطني بالغين المعجمة، والطاء المشالة المهملة، أي عصرني، وضمني ضماً شديداً، وهو قوله حتى بلغ مني الجهد قال العلماء: والحكمة في الغط شغله عن الالتفات إلى غيره، والمبالغة في صفاء قلبه ولهذا كرره ثلاثاً.

قوله زملوني زملوني كذا هو في الروايات مكرر مرتين، ومعناه غطوني بالثياب، وقوله حتى ذهب عنه الرّوع أي الفزع قولها كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً يروى بضم الياء وبالخاء المعجمة من الخزي أي لا يفضحك الله، ولا يكسرك، ولا يهينك ولا يذلك وروي بفتح الياء وبالحاء المهملة وبالنون أي لا يحزنك من الحزن الذي هو ضد الفرح وقولها وتحمل الكل أي الثقيل والحوائج المهمة، وتكسب المعدوم أي تعطي المال لمن هو معدوم عنده ومعنى كلام خديجة أنك لا يصيبك مكروه لما جعل فيك من مكارم الأخلاق وحميد الفعال. وخصال الخير وذلك سبب السلامة من مصارع السوء.

عن عائشة أُمّ المؤمنين أنها قالت: أول ما بُدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، وكان لا يرى رؤياً إلّا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبّب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حِراء، فيتحنث فيه، وهو التعبّد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزوّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة، فيتزوّد لمثلها حتى جاءه الحق، وهو في غار حِراء فجاءه الملك فقال: «ما أنا بقارىء»، قال: «فأخذني فغطّني حتى بلغ منّي الجهد ثم أرسلني»، فقال: اقرأ، فقلت: «ما أنا بقارىء»، قال: «فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني»، فقال: اقرأ، فقلت: «ما أنا بقارىء»، «فأخذني فغطّني الثالثة، ثم أرسلني»، فقال: ﴿اقرأ باسم ربّك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربّك الأكرم * الذي علّم بالقلم * علّم الإنسان ما لم يعلم﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال: «زمّلوني» فزمّلوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر، وقال: «لقد خشيت على نفسي»، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكَلّ وتُكسب المعدوم وتَقري الضيف وتُعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى بن عمّ خديجة، وكان امرءاً تنصّر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي، فيكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عَمِيَ، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى، فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حيّاً إذْ يخرجك قومك، فقال رسول الله: «أوَ مُخرِجِيَّ هم»؟ قال: نعم لم يأتِ رجل قطّ ما جئت به إلاّ عُودِيَ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة إلى أن توفي، وفتر الوحي. وروى محمد بن إسماعيل هذا الحديث في موضع آخر من كتابه عن يحيى بن بكير بهذا الإسناد، وقال:

قولها وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية وفي رواية مسلم «وكان يكتب الكتاب العربي يكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله تعالى أن يكتب» ومعناهما صحيح وحاصله أنه تمكن من دين النصرانية بحيث صار يتصرف في الإنجيل، فيكتب أي موضع شاء منه بالعبرانية إن أراد، أو بالعربية إن أراد ذلك، قوله هذا النّاموس الذي أنزل الله على موسى هو بالنون والسين المهملة، يعني جبريل عليه الصّلاة والسّلام ومعنى النّاموس صاحب خبر الخير. إنما سمي جبريل بذلك لأن الله خصه بالوحي إلى الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام قوله يا ليتني فيها، أي في أيام النّبوة وإظهار الرّسالة جذعاً أي شاباً قوياً حتى أبالغ في نصرتك، وهو قوله وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً أي قوياً بالغاً قولها ثم لم يلبث ورقة أن توفي أي فلم يلبث أن مات قبل ظهور النبي ﷺ قوله كي يتردى التّردي الوقوع من علو، وذروة الجبل أعلاه قوله تبدى له أي ظهر له قوله فيسكن لذلك جأشه أي قلبه، وقيل الجأش هو ثبوت القلب عند الأمر العظيم المهول، وقيل الجأش هو ما ثار من فزعه وهاج من حزنه والله أعلم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿**اقرأ باسم ربك**﴾ قيل الباء زائدة مجازه اقرأ اسم ربك، والمعنى اذكر اسم ربك أمر أن يبتدىء القراءة باسم الله تأديباً، وقيل الباء على أصلها والمعنى اقرأ القرآن مفتتحاً باسم ربك أي قل بسم الله، ثم اقرأ فعلى هذا يكون في الآية دليل على استحباب البداءة بالتسمية في أول القراءة، وقيل معناه اقرأ القرآن مستعيناً باسم ربك على ما تتحمله من النبوة وأعباء الرّسالة ﴿**الذي خلق**﴾ يعني جميع الخلائق وقيل الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه وقيل الذي خلق كل شيء.

خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾

﴿**خلق الإنسان**﴾ يعني آدم وإنما خص الإنسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لأنه أشرفها، وأحسنها خلقه ﴿**من علق**﴾ جمع علقة ولما كان الإنسان اسم جنس في معنى الجمع جمع العلق ولمشاكله رؤوس الآي أيضاً ﴿**اقرأ**﴾ كرره تأكيداً وقيل الأول اقرأ في نفسك، والثاني اقرأ للتبليغ وتعليم أمتك ثم استأنف. فقال تعالى: ﴿**وربك الأكرم**﴾

حدّثني عبد الله بن محمد ثنا عبد الرزاق أنا معمر قال الزهري فأخبرني عروة عن عائشة وذكر الحديث، وقال: ﴿ **اقرأ باسم ربّك الذي خلق** ﴾ حتى بلغ ﴿ **ما لم يعلم** ﴾ وزاد في آخره فقال: وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ، فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً حتى يتردّى من رؤوس شواهق الجبال، فلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه، تبدّى له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه وتقرّ نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدّى له جبريل، فقال له مثل ذلك. أخبرنا محمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أنا عبد الله بن حامد الورّاق أنا مكّي بن عبدان أنا عبد الرحمن بن بشر ثنا سفيان عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: أول سورة نزلت قوله عزّ وجلّ: ﴿ **إقرأ باسم ربك** ﴾، قال أبو عبيدة مجازه: إقرأ اسم ربّك يعني أن الباء زائدة، والمعنى: اذكر اسمه، أمرَ أن يبتدىء القراءة باسم الله تأديباً، ﴿ **الذي خلق** ﴾ قال الكلبي: يعني الخلائق ثم فسّره فقال:

﴿ **خلق الإنسان** ﴾ يعني ابن آدم، ﴿ **من علق** ﴾، جمع علقة.

يعني الذي لا يوازيه كريم ولا يعادله في الكرم نظير وقد يكون الأكرم بمعنى الكريم كما جاء الأعز بمعنى العزيز، وغاية الكريم إعطاؤه الشيء من غير طلب العوض، فمن طلب العوض فليس بكريم، وليس المراد أن يكون العوض عيناً بل المدح والثّواب عوض والله سبحانه وجلَّ جلاله وتعالى علاؤه وشأنه يتعالى عن طلب العوض ويستحيل ذلك في وصفه لأنه أكرم الأكرمين، وقيل الأكرم هو الذي له الابتداء في كل كرم وإحسان وقيل هو الحليم عن جهل العباد فلا يعجل عليهم بالعقوبة، وقيل يحتمل أن يكون هذا حثاً على القراءة، والمعنى اقرأ وربك الأكرم لأنه يجزي بكل حرف عشر حسنات ﴿**الذي علم بالقلم**﴾ أي الخط والكتابة التي بها تعرف الأمور الغائبة وفيه تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لأن بالكتابة ضبطت العلوم، ودونت الحكم وبها عرفت أخبار الماضين، وأحوالهم وسيرهم ومقالاتهم ولولا الكتابة ما استقام أمر الدين والدنيا قال قتادة: القلم نعمة من الله عظيمة. لولا القلم لم يقم دين ولم يصلح عيش، فسأل بعضهم عن الكلام، فقال ربح لا يبقى قيل له فما قيده قال الكتابة لأن القلم ينوب عن اللّسان ولا ينوب اللّسان عنه ﴿**علم الإنسان ما لم يعلم**﴾ قيل يحتمل أن يكون المراد علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، فيكون المراد من ذلك معنى واحداً، وقيل علمه من أنواع العلم، والهداية، والبيان، ما لم يكن يعلم، وقيل علم آدم الأسماء كلها، وقيل المراد بالإنسان هنا محمد ﷺ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**كلا**﴾ أي حقاً ﴿**إن الإنسان ليطغى**﴾ أي يتجاوز الحد، ويستكبر على ربه ﴿**أن**﴾ أي لأن ﴿**رآه استغنى**﴾ أي رأى نفسه غنياً وقيل يرتفع عن منزلته إلى منزلة أخرى في اللّباس والطعام وغير ذلك، نزلت في أبي جهل

﴿ **إقرأ** ﴾، كرّره تأكيداً ثم استأنف فقال: ﴿ **وربّك الأكرم** ﴾، فقال الكلبي: الحليم عن جهل العباد لا يعجّل عليهم بالعقوبة.

﴿ **الذي علّم بالقلم** ﴾، يعني الخط والكتابة.

﴿ **علّم الإنسان ما لم يعلم** ﴾، من أنواع الهدى والبيان. وقيل: علّم آدم الأسماء كلها. وقيل: الإنسان ههنا محمد ﷺ، بيانه: «وعلّمك ما لم تكن تعلم».

﴿ **كلا** ﴾، حقاً، ﴿ **إن الإنسان ليطغى** ﴾، ليتجاوز حدّه ويستكبر على ربّه.

﴿ **أن** ﴾، لأن، ﴿ **رآه استغنى** ﴾، أن رأى نفسه غنياً، قال الكلبي: يرتفع عن منزلة إلى منزلة في اللباس والطعام وغيرهما. وقال مقاتل: نزلت في أبي جهل كان إذا أصاب مالاً زاد في ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه.

﴿ **إن إلى ربك الرُّجعى** ﴾، أي المرجع في الآخرة.

﴿ **أرأيتَ الذي ينهى * عبداً إذا صلّى** ﴾، نزلت في أبي جهل نهى النبي ﷺ عن الصلاة. أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا عبد الله بن معاذ ومحمد بن عبد الأعلى القيسي قالا ثنا المعتمر عن أبيه حدّثني نعيم بن أبي هند عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفّر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم، فقال: واللاّت والعُزّى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنّ على رقبته ولأعفرنّ وجهه في التراب، قال: فأتى رسولَ الله ﷺ وهو يصلّي، زعم ليطأ على رقبته، فما فجأهم منه إلاّ وهو ينكص على عقبيه، ويتّقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار، وهولاً وأجنحةً، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً»، قال: فأنزل الله ـ لا ندري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه ـ ﴿ **كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه**

وكان قد أصاب مالاً فزاد في ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ أي المرجع في الآخرة وفيه تهديد، وتحذير لهذا الإنسان من عاقبة الطغيان، ثم هو عام لكل طاغ متكبر.

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾

﴿أرأيت الذي ينهي عبداً إذا صلى﴾ نزلت في أبي جهل وذلك أنه نهى النبي ﷺ عن الصّلاة (م) عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم، فقيل نعم فقال واللاّت والعزّى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه في التراب قال فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته قال فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، فقيل له ما لك قال إن بيني وبينه خندقاً من نار وهو لا وأجنحة فقال النبي ﷺ «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً» عضواً فأنزل الله هذه الآية، لا أدري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه كلا إن الإنسان ليطغى إلى قوله كلا لا تطعه قال: وأمره بما أمره به زاد في رواية، فليدع ناديه يعني قومه (خ) عن ابن عباس قال قال أبو جهل لئن رأيت محمداً يصلي عند البيت لأطأن على عنقه. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «لو فعله لأخذته الملائكة» زاد التّرمذي عياناً ومعنى أرأيت تعجباً للمخاطب وهو رسول الله ﷺ وفائدة التنكير في قوله عبداً تدل على أنه كامل العبودية، والمعنى أرأيت الذي ينهي أشد الخلق عبودية عن العبودية، وهذا دأبه وعادته، وقيل إن هذا الوعيد يلزم لكل من ينهى عن الصلاة عن طاعة الله تعالى، ولا يلزم منه عدم جواز المنع من الصّلاة في الدّار المغصوبة، وفي الأوقات المكروهة لأنه قد ورد النهي عن ذلك في الأحاديث الصّحيحة، ولا يلزم من ذلك أيضاً عدم جواز منع المولى عبده، والرجل زوجته عن قيام الليل، وصوم التّطوع والاعتكاف لأن ذلك استيفاء مصلحة إلا أن يأذن فيه المولى أو الزوج ﴿أرأيت إن كان على الهدى﴾ يعني العبد المنهي وهو النبي ﷺ ﴿أو أمر بالتقوى﴾ يعني في الإخلاص والتوحيد ﴿أرأيت إن كذب﴾ يعني أبا جهل ﴿وتولى﴾ أي عن الإيمان وتقدير نظم الآية أرأيت الذي ينهي عبداً إذا صلى وهو على الهدى آمر بالتّقوى والنّاهي مكذب متول عن الإيمان أي أعجب من هذا ﴿ألم يعلم﴾ يعني أبا جهل ﴿بأن الله

استغنى * إنّ إلى ربك الرجعى * أرأيتَ الذي ينهى * عبداً إذا صلّى ﴾ الآيات. ومعنى أرأيت ههنا تعجيب للمخاطب، وكرّر هذه اللفظة للتأكيد.

﴿ **أرأيت إن كان على الهدى** ﴾، يعني العبد المنهي وهو محمد ﷺ.

﴿ **أو أمر بالتقوى** ﴾، يعني بالإخلاص والتوحيد.

﴿ **أرأيت إن كذب** ﴾، يعني أبا جهل، ﴿ **وتولى** ﴾، عن الإيمان، وتقدير نظم الآية أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلّى وهو على الهدى، أمر بالتقوى، والناهي مكذّب متولٍ عن الإيمان، فما أعجب من هذا.

﴿ **ألم يعلم** ﴾، يعني أبا جهل، ﴿ **بأن الله يرى** ﴾، ذلك فيجازيه به.

﴿ **كلا** ﴾، لا يعلم ذلك، ﴿ **لئن لم ينته** ﴾، عن إيذاء محمد ﷺ وتكذيبه، ﴿ **لنسفعاً بالناصية** ﴾، لنأخذنّ بناصيته فلنجرنّه من النار، كما قال: ﴿ فيؤخذ بالنواصي والأقدام ﴾ [الرحمٰن: ٤١]، يقال: سعفت بالشيء إذا أخذته وجذبته جذباً شديداً، والناصية: شعر مقدّم الرأس.

ثم قال على البدل: ﴿ **ناصية كاذبة خاطئة** ﴾، أي صاحبها كاذب خاطىء، قال ابن عباس: لمّا نهى أبو جهل

يرى﴾ يعني يرى ذلك الفعل فيجازيه به، وفيه وعيد شديد وتهديد عظيم **﴿كلا﴾** أي لا يعلم ذلك أبو جهل **﴿لئن لم ينته﴾** يعني عن إيذاء محمد ﷺ وعن تكذيبه **﴿لنسفعاً بالناصية﴾** أي لنأخذن بناصيته فلنجرنه إلى النّار، يقال سفعت بالشيء إذا أخذته وجذبته جذباً شديداً والناصية شعر مقدم الرأس والسفع الضرب أي لنضربن وجهه في النار، ولنسودن وجهه ولنذلنه ثم قال على البدل **﴿ناصية كاذبة خاطئة﴾** أي صاحبها كاذب خاطىء.

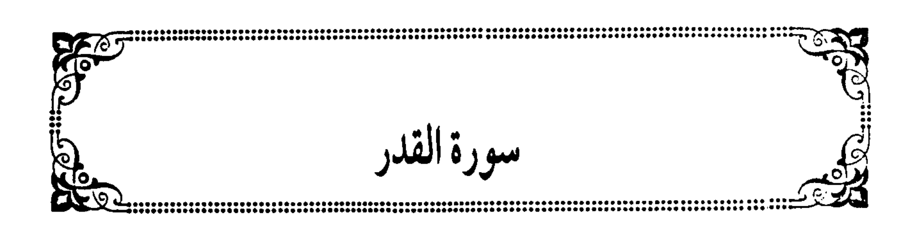
قال ابن عباس: لما نهى أبو جهل رسول الله ﷺ عن الصلاة انتهره رسول الله ﷺ فقال أبو جهل: أتنتهرني فوالله لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خيلاً جرداً، ورجالاً مرداً وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يصلي فجاءه أبو جهل فقال: ألم أنهك عن هذا؟ فانصرف النبي ﷺ فزبره فقال أبو جهل إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني فأنزل الله تعالى **﴿فليدع ناديه سندع الزبانية﴾** قال ابن عباس: والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله أخرجه التّرمذي، وقال حديث حسن غريب صحيح، ومعنى فليدع ناديه أي عشيرته قومه فلينتصر بهم، وأصل النادي المجلس الذي يجمع الناس، ولا يسمي نادياً ما لم يكن فيه أهله سندع الزبانية يعني الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس: يريد زبانية جهنم سموا بذلك لأنهم يدفعون أهل النّار إليها بشدة مأخوذ من الزّبن وهو الدفع **﴿كلا﴾** أي ليس الأمر على ما هو عليه أبو جهل **﴿لا تطعه﴾** أي في ترك الصّلاة **﴿واسجد﴾** يعني صل لله **﴿واقترب﴾** أي من الله (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء» وهذه السّجدة من عزائم سجود التلاوة عند الشّافعي فيسن للقارىء، والمستمع أن يسجد عند قراءتها يدل عليه ما روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال «سجدنا مع رسول الله ﷺ في اقرأ باسم ربك وإذا السماء انشقت» أخرجه مسلم والله سبحانه وتعالى أعلم.

رسولَ الله ﷺ عن الصلاة انتهره رسول الله ﷺ، فقال أبو جهل: أتنتهرني؟ فوالله لأملأنّ عليك هذا الوادي إن شئت خيلاً جرداً ورجالاً مرداً.

قال الله عزّ وجلّ: **﴿فليدعُ ناديه﴾**، أي قومه وعشيرته، أي فليستنصر بهم.

﴿سندع الزبانية﴾، جمع زبنى مأخوذ من الزبن، وهو الدفع، قال ابن عباس: يريد زبانية جهنم سُمّوا بها لأنهم يدفعون أهل النار إليها، قال الزجّاج: هم الملائكة الغِلاظ الشداد، قال ابن عباس: لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله.

ثم قال: **﴿كلا﴾**، ليس الأمر على ما عليه أبو جهل، **﴿لا تطعه﴾**، في ترك الصلاة، **﴿واسجد﴾**، صلّ لله، **﴿واقتربْ﴾**، من الله. أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني أنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي ثنا أبو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي ثنا أبو داود سليمان بن الأشعث ثنا أحمد بن صالح وأحمد بن عمرو بن السراج ومحمد بن سلمة قالوا: أخبرنا وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن عمارة بن غزية عن سَميّ مولى أبي بكر أنه سمع أبا صالح ذكوان يُحدّث عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبدُ من ربِّه وهو ساجدٌ، فأكثرُوا الدعاء».



سورة القدر

وهي مدنية وقيل إنها مكية والقول الأول أصح، وهو قول الأكثرين، قيل إنها أول ما نزل بالمدينة وهي خمس آيات وثلاثون كلمة ومائة واثنا عشر حرفاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿إنا أنزلناه﴾ يعني القرآن كناية عن غير مذكور ﴿في ليلة القدر﴾ وذلك أن الله تعالى أنزل القرآن العظيم جملة واحدة من اللّوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا ليلة القدر فوضعه في بيت العزة، ثم نزل به جبريل عليه السّلام على النبي ﷺ نجوماً متفرقة في مدة ثلاث وعشرين سنة، فكان ينزل بحسب الوقائع، والحاجة إليه، وقيل إنما أنزله إلى السّماء الدّنيا لشرف الملائكة بذلك ولأنها كالمشترك بيننا وبين الملائكة، فهي لهم سكن ولنا سقف وزينة وسميت ليلة القدر لأن فيها تقدير الأمور، والأحكام، والأرزاق، والآجال، وما يكون في تلك السنة إلى مثل هذه اللّيلة من السّنة المقبلة يقدر الله ذلك في بلاده وعباده، ومعنى هذا أن الله يظهر ذلك لملائكته ويأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم بأن يكتب لهم ما قدره في تلك السنة ويعرفهم إيّاه، وليس المراد منه أن يحدثه في تلك اللّيلة لأن الله تعالى قدر المقادير قبل أن يخلق السّموات والأرض في الأزل، قيل للحسين بن الفضل أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السّموات والأرض قال: نعم قيل له فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير إلى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر، وقيل سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها على اللّيالي من قولهم لفلان قدر عند الأمير، أي منزلة وجاه، وقيل

سُوْرَة القَدْر

مكيّة وهي خمس آيات.

﴿ إنّا أنزلناه في ليلة القدر ﴾، يعني القرآن كناية عن غير مذكور، أنزله جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، فوضعه في بيت العزّة، ثم كان ينزل به جبريل عليه السلام نجوماً في عشرين سنة.

ثم عجب نبيّه فقال: ﴿ وما أدراك ما ليلةُ القدر ﴾، سُمّيتْ ليلة القدر لأنها ليلة تقدير الأمور والأحكام، يقدّر الله فيها أمر السنة في عباده وبلاده إلى السنة المقبلة، كقوله تعالى: ﴿ فيها يفرّق كل أمر حكيم ﴾ [الدخان: ٤]، وهو مصدر قولهم: قدر الله الشيء بالتخفيف قدراً وقدراً، كالنهر والنهر والشعر والشعر، وقدّره بالتشديد تقديراً بمعنى واحد، قيل للحسين بن الفضل: أليس قد قدّر الله المقادير قبل أن يخلق السمٰوات والأرض؟ قال: نعم، قيل: فما معنى ليلة القدر؟ قال: سوق المقادير التي خلقها إلى المواقيت، وتنفيذ القضاء المقدور. وقال الأزهري: وليلة العظمة والشرف من قول الناس: لفلان عند الأمير قدر، أي جاه ومنزلة، يقال: قدرتُ فلاناً أي عظّمتُه. قال

سميت بذلك لأن العمل الصّالح يكون فيها ذا قدر عند الله لكونه مقبولاً، وقيل سميت بذلك لأن الأرض تضيق بالملائكة فيها.

(فصل في فضل ليلة القدر وما ورد فيها)

(ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»، واختلف العلماء في وقتها فقال بعضهم إنها كانت على عهد رسول الله ﷺ ثم رفعت لقوله ﷺ حين تلاحى الرجلان «إني خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم» وهذا غلط ممن قال بهذا القول لأن آخر الحديث يرد عليهم فإنه ﷺ قال في آخره «فالتمسوها في العشر الأواخر في التاسعة والسابعة والخامسة»، فلو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتّماسها وعامة الصّحابة والعلماء فمن بعدهم على أنها باقية إلى يوم القيامة، روي عن عبد الله بن خنيس مولى معاوية قال قلت لأبي هريرة زعموا أن ليلة القدر رفعت قال كذب من قال ذلك قلت هي في كل شهر رمضان استقبله قال نعم.

ومن قال ببقائها ووجودها اختلفوا في محلها، فقيل هي منتقلة تكون في سنة في ليلة وفي سنة أخرى في ليلة أخرى هكذا أبداً قالوا: وبهذا يجمع بين الأحاديث الواردة في أوقاتها المختلفة وقال: مالك والثّوري وأحمد، وإسحاق وأبو ثور، إنها تنتقل في العشر الأواخر من رمضان، وقيل بل تنتقل في رمضان كله، وقيل إنها في ليلة معينة لا تنتقل عنها أبداً في جميع السنين لا تفارقها، فعلى هذا هي في ليلة من السّنة كلها وهو قول ابن مسعود وأبي حنيفة، وصاحبيه وروي عن ابن مسعود أنه قال: من يقم الحول يصبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال يرحم الله أبا عبد الرحمن. أما إنه علم أنها في شهر رمضان ولكن أراد أن لا يتكل الناس وقال جمهور العلماء: أنها في شهر رمضان، واختلفوا في تلك الليلة فقال أبو رزين العقبلي: في أول ليلة من شهر رمضان، وقيل هي ليلة سبعة عشر وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر يحكى هذا عن زيد بن أرقم وابن مسعود أيضاً، والحسن والصّحيح الذي عليه الأكثرون أنها في العشر الأواخر من رمضان والله سبحانه وتعالى أعلم.

الله تعالى: ﴿ وما قدروا اللَّهَ حقَّ قدره ﴾ [الأنعام: ٩١، الزّمر: ٦٧، الحج: ٧٤]، أي: ما عظّموه حق تعظيمه. وقيل: لأن العمل الصالح فيه يكون ذا قدر عند الله لكونه مقبولاً. واختلفوا في وقتها فقال بعضهم: إنها كانت على عهد رسول الله ﷺ ثم رفعت، وعامّة الصحابة والعلماء على أنها باقية إلى يوم القيامة. ورُوِيَ عن عبد الله بن الحسين مولى معاوية قال: قلت لأبي هريرة: زعموا أن ليلة القدر قدْ رُفعتْ؟ قال: كذب مَن قال ذلك، قلت: هي في كل شهر؟ قال: لا بل في شهر رمضان، فاستقبله. وقال بعضهم: هي ليلة من ليالي السنة حتى لو علّق رجل طلاق امرأته وعتق عبده بليلة القدر لا يقع ما لم تمضِ سنة من حين حلف، يُروى ذلك عن ابن مسعود، قال: مَن يقم الحول يصبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال: يرحم الله أبا عبد الرحمن أما إنه علم أنها في شهر رمضان، ولكن أراد أن لا يتّكل النـاس والجمهور من أهل العلم على أنها في شهر رمضان، واختلفوا في تلك الليلة، قال أبو رزين العقيلي: هي أول ليلة من شهر رمضان، وقال الحسن: ليلة سبع عشرة، وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر. والصحيح والذي عليه الأكثرون: أنها في العشر الأواخر من شهر رمضان، أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا هارون بن إسحاق الهمداني ثنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يجاور في العشر الأواخر من رمضان، ويقول: «تحرّوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان». أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي ثنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى ثنا قتيبة ثنا

(ذكر الأحاديث الواردة في ذلك)

(ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يجاور العشر الأواخر من رمضان ويقول تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان» (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «أريت ليلة القدر ثم أيقظني بعض أهلي فنسيتها فالتمسوها في العشر الأواخر من رمضان» وذهب الشّافعي إلى أنها ليلة إحدى وعشرين (ق) عن أبي هريرة أن أبا سعيد قال «اعتكفنا مع رسول الله ﷺ العشر الأواسط فلما كانت صبيحة عشرين نقلنا متاعنا فأتانا النبي ﷺ فقال من كان اعتكف فليرجع إلى معتكفه، وأنا رأيت هذه الليلة، ورأيتني أسجد في ماء وطين، فلما رجع إلى معتكفه هاجت السماء فمطرنا فوالذي بعثه بالحق لقد هاجت السماء من آخر ذلك اليوم، وكان المسجد على عريش، ولقد رأيت على أنفه وأرنبته أثر الماء والطين»، وفي رواية نحوه إلا أنه قال «حتى إذا كانت ليلة إحدى وعشرين وهي اللّيلة التي يخرج من صبيحتها من اعتكافه قال من اعتكف معي فليعتكف العشر الأواخر»، وورد في فضل ليلة القدر اثنان وعشرون حديثاً عن عبد الله بن أنيس قال: «كنت في مجلس لبني سلمة وأنا أصغرهم فقالوا من يسأل لنا رسول الله ﷺ عن ليلة القدر وذلك في صبيحة إحدى وعشرين من رمضان فخرجت فوافيت رسول الله ﷺ فقلت أرسلني إليك رهط من بني سلمة يسألونك عن ليلة القدر، فقال كم اللّيلة فقلت اثنتان وعشرون فقال هي اللّيلة، ثم رجع فقال أو القابلة يريد ثلاثاً وعشرين» أخرجه أبو داود.

وذهب جماعة من الصّحابة وغيرهم أن ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين ومال إليه الشّافعي أيضاً (خ) عن الصّنابحي، أنه سأل رجلاً هل سمعت في ليلة القدر شيئاً قال، أخبرني بلال مؤذن رسول الله ﷺ أنها في أول السبع من العشر الأواخر، وهذا اللفظ مختصر عن عبد الله بن أنيس قال: «قلت يا رسول الله إن لي بادية أكون فيها وأنا أصلي فيها بحمد الله فمرني بليلة أنزلها إلى هذا المسجد، فقال أنزل ليلة ثلاث وعشرين قيل لابنه كيف كان أبوك يصنع قال: كان يدخل المسجد إذا صلى العصر فلا يخرج إلا لحاجة حتى يصلي الصبح، فإذا صلى الصبح وجد دابته على باب المسجد فجلس عليها ولحق بباديته» أخرجه أبو داود ولمسلم عنه أن رسول الله ﷺ قال «أريت ليلة القدر ثم أنسيتها وأراني أسجد صبيحتها في ماء وطين» قال فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله ﷺ وانصرف وإن أثر الماء والطين على جبهته وأنفه، ويحكى عن بلال وابن عباس والحسن أنها ليلة أربع وعشرين (خ) عن ابن عباس قال

عبد الواحد بن زياد عن الحسن بن عبيد الله عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان عن أبي يعقوب عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان شَدّ مئزره وأحيا ليله، وأيقظ أهله.
واختلفوا في أنها في أيّ ليلة من العشر أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا إسماعيل بن جعفر ثنا أبو سهيل عن أبيه عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «تحرّوا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان». أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا عبد الله بن حامد الوزّان أنا مكّي بن عبدان ثنا عبد الله بن هاشم بن حيّان ثنا يحيىٰ بن سعيد القطّان ثنا عيينة بن عبد الرحمن حدّثني أبي قال: ذكرتُ ليلةَ القدر عند أبي بَكرة، فقال: ما أنا بطالبها بعد شيء سمعتُه من رسول الله ﷺ إلاّ في العشر الأواخر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «التمسوها في العشر الأواخر من تسع يبقين أو سبع يبقين أو خمس يبقين أو ثلاث يبقين أو آخر ليلة»، وكان أبو بكرة إذا دخل رمضان يصلّي كما يصلّي في سائر السنة، فإذا دخل العشر الأواخر اجتهد. وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن

التمسوها في أربع وعشرين، وقيل في ليلة خمس وعشرين دليله قوله ﷺ «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان»، وقيل هي ليلة سبع وعشرين يحكى ذلك عن جماعة من الصحابة منهم أبي بن كعب وابن عباس وإليه ذهب أحمد (م) عن زر بن حبيش قال سمعت أبي بن كعب يقول وقيل له إن عبد الله بن مسعود يقول من قام السنة أصاب ليلة القدر قال أبي والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان يحلف، ولا يستثني، فوالله إني لأعلم أي ليلة هي هي الليلة التي أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها، وهي ليلة سبع وعشرين وأمارتها أن تطلع الشّمس من صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها عن معاوية عن النبي ﷺ «في ليلة القدر، قال ليلة سبع وعشرين» أخرجه أبو داود، وقيل هي ليلة تسع وعشرين دليله قوله «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان» وقيل هي ليلة آخر الشهر، عن ابن عمر قال: «سئل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر وأنا أسمع، فقال هي في كل رمضان» أخرجه أبو داود قال ويروى موقوفاً عليه.

(ذكر ليال مشتركة)

عن ابن مسعود قال: قال لنا رسول الله ﷺ في ليلة القدر «اطلبوها ليلة سبع وعشرين من رمضان، وليلة إحدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين، ثم سكت» أخرجه أبو داود عن عتبة بن عبد الرّحمن قال: حدثني أبي قال ذكرت ليلة القدر عند أبي بكرة فقال ما أنا بملتمسها بشيء سمعته من رسول الله ﷺ، إلا في العشر الأواخر، فإني سمعته يقول «التمسوها في تسع يبقين أو في خمس يبقين، أو في ثلاث يبقين أواخر الشهر» قال وكان أبو بكرة يصلي في العشرين من رمضان كصلاته في سائر السنة، فإذا دخل العشر الأواخر اجتهد أخرجه التّرمذي (خ) عن عبادة بن الصّامت قال: خرج «رسول الله ﷺ ليخبر بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين فقال النبي ﷺ: إني خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة» قوله فتلاحى رجلان أي تخاصم رجلان، وقوله فرفعت لم يرد رفع عينها، وإنما أراد رفع بيان وقتها، ولو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها، (خ) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «هي في العشر في سبع مضين أو سبع يبقين يعني القدر» وفي رواية «في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى» قال أبو عيسى: «روي عن النبي ﷺ في ليلة القدر أنها ليلة إحدى وعشرين، وليلة ثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وتسع وعشرين، وآخر ليلة من

يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن المثنى حدّثني خالد بن الحارث ثنا حميد ثنا أنس عن عبادة بن الصامت قال: خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فَتَلَاحَى رجلان من المسلمين، فقال: «خرجت لأُخبركم بليلة القدر فَتَلَاحَى فلانٌ وفلانٌ فرُفعتْ، وعسى أن يكون خيراً لكم، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة»، أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ رأوا ليلةَ القدر في المنام في السبع الأواخر من رمضان فقال رسول الله ﷺ: «إني أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر فمَن كان متحرّيها فليتحرّاها في السبع الأواخر». ورُوِيَ عن أبي سعيد الخدري: أنها ليلة إحدى وعشرين. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن يزيد بن عبد الله بن الهاد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدري أنه قال: كان النبي ﷺ يعتكف العشر الوسطى من رمضان، واعتكف عاماً حتى إذا كانت ليلة إحدى وعشرين وهي الليلة التي يخرج صبحها من اعتكافه، قال: «مَن كان اعتكف معي فليعتكف العشر الأواخر، وقد رأيت هذه الليلة ثم أنسيتها، وقد رأيتني أسجد في صبيحتها في ماء وطين، فالتمسوها في العشر الأواخر والتمسوها في كل وتر»، فقال أبو سعيد الخدري: فمطرت السماء تلك الليلة، وكان المسجد على عريش

رمضان» قال الشّافعي: كان هذا عندي والله أعلم أن النبي ﷺ كان يجيب على نحو ما يسأل عنه يقال له نلتمسها في كذا، فقال التمسوها في ليلة كذا قال الشّافعي: وأقوى الروايات عندي في ليلة إحدى وعشرين قال البغوي وبالجملة أبهم الله تعالى هذه الليلة على الأمة ليجتهدوا في العبادة ليالي شهر رمضان طمعاً في إدراكها، كما أخفى ساعة الإجـابة في يوم الجمعة، وأخفى الصّلاة الوسطى في الصّلوات الخمس، واسمه الأعظم في القرآن في أسمائه، ورضاه في الطّاعات ليرغبوا في جميعها، وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها، وأخفى قيام السّاعة ليجتهدوا في الطاعات حذراً من قيامها، ومن علاماتها. ما روى الحسن رفعه «إنها ليلة بلجة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها بيضاء لا شعاع لها» (ق) عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر أحيا اللّيل، وأيقظ أهله، وجد وشد المئزر» ولمسلم عنها قالت «كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر من رمضان ما لا يجتهد في غيره» (ق) عنها أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان» عن عائشة قالت «قلت يا رسول الله إن علمت ليلة القدر ما أقول فيها قال: قولي اللّهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني» أخرجه التّرمذي، وقال حديث حسن صحيح أخرجه النسائي وابن ماجه.

فوكف المسجد، قال أبو سعيد: فبصرت عيناي رسول الله ﷺ قد انصرف علينا وعلى جبهته وأنفه أثر الماء والطين من صبيحة إحدى وعشرين. وقال بعضهم: هي ليلة ثلاث وعشرين. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا أحمد بن خالد الحمصي ثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم حدّثني عبد الله بن أنس عن أبيه أنه قال لرسول الله ﷺ: إني أكون ببادية يقال لها الوطأة وأني بحمد الله أصلّي بهم فمُرْني بليلة من هذا الشهر أنزلها إلى المسجد فأُصلّيها فيه، فقال: «انزل ليلة ثلاث وعشرين فصلّها فيه، وإن أحببت أن تستتمّ آخر الشهر فافعل، وإن أحببت فكُفّ». قال: فكان إذا صلّى العصر دخل المسجد فلم يخرج إلاّ من حاجة حتى يصلّي الصبح، فإذا صلّى الصبح كانت دابّته بباب المسجد. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا يعلى بن عبيد ثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: تذاكرنا ليلة القدر فقال رسول الله ﷺ: «كم مضى من الشهر»؟ فقلنا: اثنان وعشرون وبقي ثمان، فقال: «مضى اثنتان وعشرون وبقي سبع، اطلبوها الليلة الشهر تسع وعشرون» وقال قوم: في ليلة سبع وعشرين، وهو قول علي وأُبيّ وعائشة، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا يعلى بن عبيد ثنا سفيان عن عاصم عن زر بن حبيش قال: قلت لأُبيّ بن كعب: يا أبا المنذر أخبرنا عن ليلة القدر، فإن ابن مسعود عبد الله يقول: مَن يقمِ الحولَ يصبها، فقال: رحم الله أبا عبد الرحمن، أما إنه قد علم أنها في رمضان ولكن كره أن يخبركم فتتّكلوا هي والذي أنزل القرآن على محمد ﷺ ليلة سبع وعشرين، فقلنا: يا أبا المنذر أنّى علمت هذا؟ قال: بالآية التي أخبرنا النبي ﷺ فحفظناها وعددناها هي والله لا تُنسى، قال: قلنا: وما الآية؟ قال: تطلع الشمس كأنها طاس ليس لها شعاع، ومن علاماتها ما رُوِيَ عن الحسن رفعه: أنها ليلة بلجة سمِحة لا حارّة ولا باردة، تطلع الشمس صبيحتها لا شعاع لها. وفي الجملة أبهم الله هذه الليلة على هذه الأمة ليجتهدوا في العبادة ليالي رمضان طمعاً في إدراكها، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس، واسمه الأعظم في الأسماء ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها، وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها، وأخفى قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات حذراً من قيامها.

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝٥﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿**وما أدراك ما ليلة القدر**﴾ أي شيء يبلغ درايتك قدرها ومبلغ فضلها، وهذا على سبيل التعظيم لها، والتَّشويق إلى خيرها ثم ذكر فضلها من ثلاثة أوجه:

فقال تعالى: ﴿**ليلة القدر خير من ألف شهر**﴾ قال ابن عباس: ذكر لرسول الله ﷺ رجل من بني إسرائيل حمل السّلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر، فعجب رسول الله ﷺ لذلك، وتمنى ذلك لأمته فقال: يا ربِ جعلت أمتي أقصر الأمم أعماراً، وأقلها أعمالاً، فأعطاه الله تبارك وتعالى ليلة القدر، فقال ليلة القدر خير من ألف شهر التي حمل فيها الإسرائيلي السّلاح في سبيل الله لك ولأمتك إلى يوم القيامة، وعن مالك أنه سمع من يثق به من أهل العلم أن النّبي ﷺ أرى أعمار النّاس قبله، أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصر أعمار أمته أي لا يبلغوا من العمل مثل الذي يبلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر أخرجه مالك في الموطأ قال المفسرون: معناه العمل الصّالح في ليلة القدر خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وإنما كان كذلك لما يريد الله تعالى فيها من المنافع والأرزاق وأنواع الخير والبركة.

الوجه الثاني: من فضلها قوله عزّ وجلّ: ﴿**تنزل الملائكة**﴾ يعني إلى الأرض وسبب هذا أنهم لما قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها وظهر أن الأمر بخلاف ما قالوه وتبين حال المؤمنين وما هم عليه من الطاعة، والعبادة، والجد، والاجتهاد نزلوا إليهم ليسلموا عليها ويعتذروا مما قالوه، ويستغفروا لهم لما يرون من تقصير قد يقع من بعضهم ﴿**والروح**﴾ يعني جبريل عليه الصّلاة والسّلام قاله أكثر المفسرين: وفي حديث أنس عن رسول الله ﷺ قال: «إذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة من الملائكة يصلون، ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عزّ وجلّ» ذكره ابن

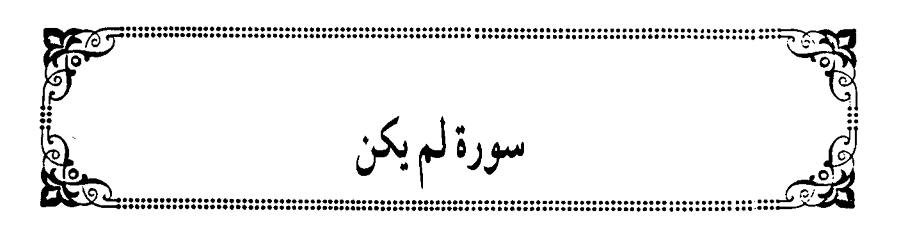
قوله عزّ وجلّ: ﴿ **ليلةُ القدر خيرٌ من ألف شهر** ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: ذُكر لرسول الله ﷺ رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر، فعجب رسول الله ﷺ لذلك وتمنى ذلك لأمته، فقال: **«يا رب جعلتَ أُمتي أقصرَ الأمم أعماراً وأقلّها أعمالاً»؟** فأعطاه الله ليلة القدر، فقال: ﴿ **ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾ التي حمل فيها الإسرائيلي السلاح في سبيل الله، ولأمتك إلى يوم القيامة. قال المفسّرون: ﴿ **ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾ **معناه**: عمل صالح في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، حدّثنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري إملاءً ثنا أبو نعيم الإسفرايني أنا أبو عوانة ثنا أبو إسماعيل ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا الزهري أخبرني أبو سلمة عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «مَن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه». وقال سعيد بن المسيب: مَن شهد المغرب والعشاء في جماعة فقد أخذ بحظه من ليلة القدر. أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو بكر بن عبدوس المزكي ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا الحسن بن مكرم ثنا يزيد بن هارون أنا كهمس عن عبد الله بن بريدة أن عائشة قالت للنبي ﷺ: إن وافيتُ ليلةَ القدر فما أقول؟ قال: «قولي اللّهمَّ إنك عفوٌّ تحبُّ العفوَ فاعفُ عنّي».

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **تنزّل الملائكة والروح** ﴾، يعني جبريل عليه السلام معهم، ﴿ **فيها** ﴾، أي في ليلة القدر، ﴿ **بإذن ربّهم من كل أمر** ﴾، أي بكل أمر من الخير والبركة، كقوله: ﴿ **يحفظونه من أمر الله** ﴾ [الرعد: ١١] أي بأمر الله.

الجوزي، وقيل إن الرّوح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا في تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشّمس إلى طلوع الفجر، وقيل إن الروح ملك عظيم ينزل مع الملائكة، تلك الليلة ﴿فيها﴾ أي في ليلة القدر ﴿بإذن ربهم﴾ أي بأمر ربهم ﴿من كل أمر﴾ أي بكل أمر من الخير والبركة، وقيل بكل ما أمر به وقضاه من كل أمر.

الوجه الثالث: من فضلها قوله تعالى: ﴿سلام﴾ أي سلام على أولياء الله وأهل طاعته قال الشّعبي: هو تسليم الملائكة في ليلة القدر على أهل المساجد من حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر، وقيل الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمناً أو مؤمنة يسلمون عليه من ربه عزّ وجلّ، وقيل تم الكلام عند قوله ﴿من كل أمر﴾ ثم ابتدأ فقال تعالى: ﴿سلام هي﴾ يعني القدر سلامة وخير ليس فيها شر، وقيل لا يقدر الله في تلك اللّيلة ولا يقضي إلا السلامة، وقيل إن ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً أو يحدث فيها أذى ﴿حتى مطلع الفجر﴾ أي أن ذلك السّلام أو السّلامة تدوم إلى مطلع الفجر، والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده.

﴿ سلامٌ ﴾، قال عطاء يريد سلام على أولياء الله وأهل طاعته. قال الشعبي: هو تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد من حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر. قال الكلبي: الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمناً أو مؤمنة سلّموا عليه من ربّه حتى يطلع الفجر. وقيل: تمّ الكلام عند قوله: ﴿ بإذن ربّهم من كل أمر ﴾ ثم ابتدأ فقال: ﴿ سلامٌ هي ﴾، أي ليلة القدر سلام وخير كلها، ليس فيها شرّ. قال الضحّاك: لا يُقدّر الله في تلك الليلة ولا يقضي إلّا السلامة. وقال مجاهد: يعني أن ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً، ولا أن يحدث فيها أذىً. ﴿ حتى مطلع الفجر ﴾، أي إلى مطلع الفجر، قرأ الكسائي مطلع بكسر اللام، والآخرون بفتحها وهو الاختيار بمعنى الطلوع على المصدر، يقال: طلع الفجر طلوعاً ومطلعاً، والكسر موضع الطلوع.



سورة لم يكن

وتسمى سورة البينة وهي مدنية قاله الجمهور، وفي رواية عن ابن عباس أنها مكية هي ثمان آيات، وأربع وتسعون كلمة وثلاثمائة وتسعة وتسعون حرفاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا
مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿**لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب**﴾ يعني اليهود والنّصارى ﴿**والمشركين**﴾ أي ومن المشركين، وهم عبدة الأوثان، وذلك أن الكفار كانوا جنسين أحدهما أهل كتاب وسبب كفرهم ما أحدثوه في دينهم، أما اليهود فقولهم عزيز ابن الله وتشبيههم الله بخلقه، وأما النّصارى فقولهم المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وغير ذلك، والثاني المشركون أهل الأوثان الذين لا ينتسبون إلى كتاب الله، فذكر الله الجنسين في قوله: ﴿**لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين**﴾ أي منتهين عن كفرهم وشركهم وقيل معناه زائلين ﴿**حتى تأتيهم**﴾ أي حتى أتتهم لفظه مضارع ومعناه الماضي ﴿**البينة**﴾ أي الحجة الواضحة يعني محمداً ﷺ أتاهم بالقرآن فبين لهم ضلالتهم، وشركهم وما كانوا عليه من الجاهلية، ودعاهم إلى الإيمان، فآمنوا فأنقذهم الله من الجهالة والضّلالة ولم يكونوا منفصلين عن كفرهم قبل بعثه إليهم، والآية فيمن آمن من الفريقين، قال الواحدي في بسيطه، وهذه الآية من أصعب ما في القرآن نظماً، وتفسيراً وقد تخبط فيها الكبار من العلماء.

قال الإمام فخر الدين في تفسيره إنه لم يخلص كيفية الإشكال، فيها وأنا أقول وجه الإشكال أن تقدير الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة التي هي الرّسول، ثم إنه تعالى لم يذكر أنهم منفكون عماذا لكنه معلوم إذ المراد هو الكفر الذي كانوا عليه، فصار التقدير لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة، التي هي الرسول، ثم إن كلمة حتى لانتهاء الغاية، فهذه الآية تقتضي أنهم صاروا منفكين عن كفرهم عند إتيان الرّسول ثم قال بعد ذلك وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة، وهذا يقتضي أن كفرهم قد ازداد عند

سُورَة البيّنَة

مدنيّة وهي ثمان آيات.

﴿ **لمْ يكنِ الذينَ كفروا من أهل الكتاب** ﴾، وهم اليهود والنصارى، ﴿ **والمشركين** ﴾، وهم عَبَدَة الأوثان، ﴿ **منفكّين** ﴾، زائلين منفصلين، يقال: فككت الشيء فانفكّ أي انفصل، ﴿ **حتى تأتيهم البيّنة** ﴾، لفظه مستقبل ومعناه الماضي أي حتى أتتهم الحجة الواضحة، يعني محمد ﷺ أتاهم بالقرآن فبيّن لهم ضلالتهم وجهالتهم ودعاهم إلى الإسلام والإيمان، فهذه الآية فيمن آمن من الفريقين، أخبر أنهم لم ينتهوا عن الكفر حتى أتاهم

مجيء الرّسول، فحينئذ يحصل بين الآية الأولى والثانية مناقضة في الظاهر، وهذا منتهى الإشكال في ظني قال والجواب عنه من وجوه:

أولها: وأحسنها الوجه، الذي لخصه صاحب الكشاف وهو أن الكفار من الفريقين أهل الكتاب، وعبدة الأوثان كانوا يقولون قبل مبعث محمد ﷺ لا ننفك عما نحن عليه من ديننا، ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التّوراة، والإنجيل وهو محمد ﷺ فحكى الله تعالى عنهم ما كانوا يقولونه، ثم قال ﴿**وما تفرق الذين أوتوا الكتاب**﴾، أي أنهم كانوا يعدلون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق إذا جاءهم الرسول، ثم ما فرقهم عن الحق ولا أقرهم على الكفر إلا مجيء الرسول، ونظيره في الكلام ما يقول الفاسق الفقير لمن يعظه لست بمنفك مما أنا فيه من الأفعال القبيحة حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقاً، فيقول واعظه لم تكن منفكاً عن الفسق حتى توسر وما غمست رأسك في الفسق إلا بعد اليسار فيذكره ما كان يقول توبيخاً، وإلزاماً قال الإمام فخر الدين: وحاصل هذا الجواب يرجع إلى حرف واحد وهو أن قوله تعالى لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة مذكور حكاية عنهم، وقوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إخبار عن الواقع، والمعنى أن الذي وقع كان بخلاف ما ادعوا أو ثانيها أن تقدير الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم وإن جاءتهم البينة وعلى هذا التقدير يزول الإشكال إلا أن تفسير لفظة حتى بهذا ليس من اللغة في شيء وذكر وجوهاً أخر قال: والمختار هو الأول ثم فسر البينة فقال تعالى: ﴿**رسول من الله**﴾ أي تلك البينة رسول من الله ﴿**يتلوا**﴾ أي يقرأ الرسول ﷺ ﴿**صحفاً**﴾ أي كتباً يريد ما تضمنه المصحف من المكتوب فيه وهو القرآن لأنه كان ﷺ يقرأ عن ظهر قلبه لا عن كتاب ﴿**مطهرة**﴾ أي من الباطل والكذب، والزّور، والمعنى أنها مطهرة من القبيح، وقيل معنى مطهرة معظمة، وقيل مطهرة أي لا ينبغي أن يمسها إلا المطهرون ﴿**فيها**﴾ أي في الصحف ﴿**كتب**﴾ أي الآيات المكتوبة وقيل الكتب بمعنى الأحكام ﴿**قيمة**﴾ أي عادلة مستقيمة غير ذات عوج، وقيل قيمة بمعنى قائمة مستقلة بالحجة من قولهم قام بالأمر إذا أجراه على وجهه، ثم ذكر من لم يؤمن من أهل الكتاب فقال تعالى: ﴿**وما تفرق الذين أوتوا الكتاب**﴾ يعني في أمر محمد ﷺ ﴿**إلا من بعد ما جاءتهم البينة**﴾ يعني جاءتهم البنية في كتبهم أنه نبي مرسل قال المفسرون لم يزل أهل الكتاب مجتمعين في تصديق

الرسول فدعاهم إلى الإيمان فآمنوا فأنقذهم الله من الجهل والضلالة.

ثم فسّر البيّنة فقال: ﴿ **رسولٌ من الله يتلو** ﴾، يقرأ، ﴿ **صُحفاً** ﴾، كتاباً، يريد ما يتضمنه الصحف من المكتوب فيها، وهو القرآن لأنه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب، قوله: ﴿ **مطهّرة** ﴾، من الباطل والكذب والزور.

﴿ **فيها** ﴾، أي في الصحف، ﴿ **كتبٌ** ﴾، يعني الآيات والأحكام المكتوبة فيها، ﴿ **قيمة** ﴾، عادلة مستقيمة غير ذات عوج.

ثم ذكر مَن لم يؤمن من أهل الكتاب فقال: ﴿ **وما تفرّق الذين أُوتوا الكتاب** ﴾، في أمر محمد ﷺ، ﴿ **إلاّ من بعد ما جاءتهم البيّنة** ﴾، أي البيان في كتبهم أنه نبيّ مرسل. قال المفسّرون: لم يزل أهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد ﷺ حتى بعثه الله، فلما بُعث تفرّقوا في أمره واختلفوا، فآمن به بعضُهم، وكفر آخرون. وقال بعض أئمة اللغة: معنى قوله: ﴿ **منفكّين** ﴾ أي هالكين، من قولهم: انفكّ صلاء المرأة عند الولادة، وهو أن ينفصل فلا يلتئم فتهلك. ومعنى الآية: لم يكونوا هالكين معذّبين إلاّ من بعد قيام الحجة عليهم بإرسال الرسول وإنزال الكتاب، والأول أصح، ثم ذكر ما أُمروا به في كتبهم فقال:

محمد ﷺ حتى بعثه الله تعالى فلما بعث تفرقوا في أمره، واختلفوا فيه، فآمن به بعضهم وكفر به آخرون، ثم ذكر ما أمروا به في كتبهم فقال تعالى:

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾

﴿**وما أمروا**﴾ يعني هؤلاء الكفار ﴿**إلا ليعبدوا الله**﴾ أي وما أمروا إلا أن يعبدوا الله قال ابن عباس: ما أمروا في التوراة، والإنجيل، إلا بإخلاص العبادة لله موحدين له ﴿**مخلصين له الدين**﴾ الإخلاص عبارة عن النّية الخالصة، وتجريدها عن شوائب الرّياء، وهو تنبيه على ما يجب من تحصيل الإخلاص من ابتداء الفعل إلى انتهائه، والمخلص هو الذي يأتي بالحسن لحسنه والواجب لوجوبه والنّية الخالصة لما كانت معتبرة. كانت النية معتبرة فقد دلت الآية على أن كل مأمور به فلا بد وأن يكون منوياً فلا بد من اعتبار النية في جميع المأمورات، قال أصحاب الشّافعي: الوضوء مأمور به ودلت هذه الآية على أن كل مأمور به يجب أن يكون منوياً، فتجب النية في الوضوء، وقيل الإخلاص محله القلب وهو أن يأتي بالفعل لوجه الله تعالى مخلصاً له، ولا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا غرضاً آخر حتى قالوا في ذلك لا يجعل طلب الجنة مقصوداً ولا النجاة من النار مطلوباً، وإن كان لا بد من ذلك بل يجعل العبد عبادته لمحض العبودية واعترافاً لربه عزّ وجلّ بالرّبوبية، وقيل في معنى مخلصين له الدّين مقرين له بالعبودية، وقيل قاصدين بقلوبهم رضا الله تعالى بالعبادة (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله تعالى لا ينظر إلى أجسامكم، ولا صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم» ﴿**حنفاء**﴾ أي مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، وقيل متبعين ملة إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام، وقيل حنفاء أي حجاجاً وإنما قدمه على الصّلاة والزّكاة لأن فيه صلاة وإنفاق مال، وقيل حنفاء أي مختونين محرمين لنكاح المحارم، وقيل الحنيف الذي آمن بجميع الأنبياء والرّسل، ولا يفرق بين أحد منهم فمن لم يؤمن بأشرف الأنبياء وهو محمد ﷺ فليس بحنيف ﴿**ويقيموا الصلاة**﴾ أي المكتوبة في أوقاتها ﴿**ويؤتوا الزكاة**﴾ أي المفروضة عند محلها ﴿**وذلك**﴾ أي الذي أمروا به ﴿**دين القيمة**﴾ أي الملة المستقيمة والشّريعة المتبوعة، وإنما أضاف الدين إلى القيمة وهي نعته لاختلاف اللفظين وأنث القيمة رداً إلى الملة، وقيل الهاء في القيمة للمبالغة كعلامة، وقيل القيمة الكتب التي جرى ذكرها، أي وذلك دين أصحاب الكتب القيمة، وقيل القيمة جمع القيم، والقيم، والقائم واحد والمعنى وذلك دين القائمين لله بالتوحيد واستدل بهذه الآية من يقول إن الإيمان قول وعمل لأن الله تعالى ذكر الاعتقاد أولاً وأتبعه بالعمل ثانياً ثم قال وذلك دين القيمة والدين هو الإسلام والإسلام هو الإيمان بدليل قوله ﴿**فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين**﴾ ثم ذكر ما للفريقين فقال تعالى: ﴿**إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين**﴾ فإن قلت لم قدم أهل الكتاب على المشركين.

﴿ **وما أمروا** ﴾، يعني هؤلاء الكفّار، ﴿ **إلاّ ليعبدوا الله** ﴾ يعني إلاّ أن يعبدوا الله، ﴿ **مخلصين له الدين** ﴾، قال ابن عباس: ما أمروا في التوراة والإنجيل إلاّ بإخلاص العبادة لله موحّدين، ﴿ **حنفاء** ﴾، مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، ﴿ **ويقيموا الصلاة** ﴾، المكتوبة في أوقاتها، ﴿ **ويُؤتوا الزكاة** ﴾، عند محلها، ﴿ **وذلك** ﴾، الذي أمروا به، ﴿ **دين القيّمة** ﴾، أي الملّة والشريعة المستقيمة، أضاف الدين إلى القيّمة وهي نعته لاختلاف اللفظين، وأنّث القيّمة ردّاً بها إلى الملّة، وقيل: الهاء فيه للمبالغة، وقيل: القيّمة هي الكتب التي جرى ذكرها، أي

قلت لأن جنايتهم أعظم في حق رسول الله ﷺ وذلك أنهم كانوا يستفتحون به قبل بعثته ويقرون بنبوته، فلما بعث أنكروه وكذبوه وصدوه مع العلم به فكانت جنايتهم أعظم من المشركين فلهذا قدمهم عليهم.

فإن قلت إن المشركين أعظم جناية من أهل الكتاب لأن المشركين أنكروا الصانع والنّبوة، والقيامة وأهل الكتاب اعترفوا بذلك غير أنهم أنكروا نبوة محمد ﷺ وإذا كان كذلك كان كفرهم أخف فلم سوى بين الفريقين في العذاب.

قلت لما أراد أهل الكتاب الرّفعة في الدّنيا بإنكارهم نبوة محمد ﷺ أذلهم الله في الدّنيا، وأدخلهم أسفل سافلين في الآخرة ولا يمنع من دخولهم النّار مع المشركين أن تتفاوت مراتبهم في العذاب. **﴿في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية﴾** أي هم شر الخلق والمعنى أنهم لما استحقوا النار بسبب كفرهم قالوا: فهل إلى خروج من سبيل فقال بل تبقون خالدين فيها، فكأنهم قالوا لم ذلك قال لأنكم شر البرية. **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصّالحات أولئك هم خير البرية﴾** يعني أنهم بسبب أعمالهم الصّالحة واجتنابهم الشرك استحقوا هذا الاسم **﴿جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾** قيل الرّضا ينقسم إلى قسمين: رضا به ورضا عنه، فالرضا به أن يكون ربا ومدبراً، والرّضا عنه فيما يقضي ويدبر قال السري: إذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك، وقيل رضى الله أعمالهم، ورضوا عنه بما أعطاهم من الخير والكرامة **﴿ذلك﴾** أي هذا الجزاء والرضا **﴿لمن خشي ربه﴾** أي لمن خاف ربه في الدّنيا وانتهى عن المعاصي (ق) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأبي بن كعب «إن الله أمرني أن أقرأ عليك **﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾** قال وسماني قال نعم فبكى» وفي رواية البخاري «أن النبي ﷺ قال لأبي بن كعب إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن، قال الله سماني لك، قال نعم قال وقد ذكرت عند رب العالمين قال نعم قيل فذرفت عيناه»:

(شرح غريب الحديث)

أما بكاء أبي فإنه بكى سروراً، واستصغاراً لنفسه عن تأهله لهذه النّعمة العظيمة وإعطائه تلك المنزلة الكريمة، والنعمة عليه فيها من وجهين أحدهما: كونه منصوصاً عليه بعينه والثاني قراءة النبي ﷺ، فإنها منقبة عظيمة لم يشاركه فيها أحد من الصّحابة، وقيل إنما بكى خوفاً من تقصيره في شكره هذه النعمة.

وأما تخصيص هذه السّورة بالقراءة، فإنها مع وجازتها جامعة لأصول وقواعد ومهات عظيمة، وكان الحال

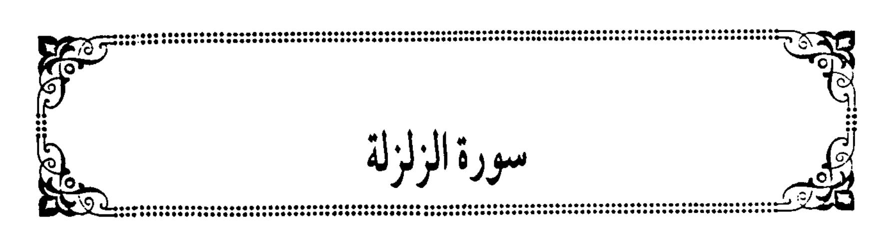
وذلك دين الكتب القيّمة فيما تدعو إليه وتأمر به، كما قال: ﴿ وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾ [البقرة: ٢١٣]. قال النضر بن شميل: سألت الخليل بن أحمد عن قوله: **﴿ وذلك دين القيّمة ﴾** فقال: القيّمة جمع القيم، والقيّمُ والقائمُ واحد، مجاز الآية: وذلك دين القائمين لله بالتوحيد.

ثم ذكر ما للفريقين فقال: **﴿ إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شرُّ البَرِيّة ﴾**، قرأ نافع وابن عامر (البريئة) بالهمزة في الحرفين لأنه من قولهم: برأ الله الخلق، وقرأ الآخرون مشدّداً بغير همز كالذريّة، ترك همزها في الاستعمال.

﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البَرِيّة * جزاؤهم عند ربهم جنّات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمَن خشيَ ربَّه ﴾، وتناهَى عن المعاصي، وقيل: الرضا ينقسم إلى قسمين: رضاً به ورضاً عنه، فالرضا به: ربّاً ومُدبِّراً، والرضا عنه: فيما يقضي ويقدِّر. قال السري

يقتضي الاختصار، وأما الحكمة في أمر النبي ﷺ بالقراءة على أبي فهي أن يتعلم أبي القراءة من ألفاظه ﷺ، وضبط أسلوب الوزن المشروع وقدره بخلاف ما سواه من النّعم المستعملة في غيره فكانت قراءته على أبي ليتعلم أبي منه لا ليتعلم هو من أبي وقيل إنما قرأ على أبي ليتعلم غيره التواضع والأدب وأن لا يستنكف الشريف وصاحب الرتبة العالية أن يتعلم القرآن ممن هو دونه، وفيه تنبيه على فضيلة أبي والحث عن الأخذ عنه وتقديمه في ذلك فكان كذلك بعد النبي ﷺ رأساً وإما ما في القراءة وغيرها، وكان أحد علماء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه.

رحمه الله: إذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك؟ أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن بشّار ثنا غندر ثنا شعبة سمعت قتادة عن أنس بن مالك قال النبي ﷺ لأبيّ: «إن الله تعالى أمرَني أن أقرأ عليك: ﴿ لم يكنِ الذين كفروا ﴾»، قال: وسمّاني ربّي؟ قال: «نعم»، فبكى، وقال همّام عن قتادة: «أمرني أن أقرأ عليك القرآن».



سورة الزلزلة

وهي مكية وقيل مدنية وهي ثمان آيات وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسعة وأربعون حرفاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «إذا زلزلت تعدل نصف القرآن، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، وقال يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن» أخرجه الترمذي وقال: حديث غريب وله عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ ﴿**إذا زلزلت**﴾ عدلت له نصف القرآن ومن قرأ ﴿**قل يا أيها الكافرون**﴾ عدلت له ربع القرآن ومن قرأ ﴿**قل هو الله أحد**﴾ عدلت له ثلث القرآن» وقال حديث غريب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿**إذا زلزلت الأرض زلزالها**﴾ أي تحركت حركة شديدة، واضطربت، وذلك عند قيام الساعة، وقيل تزلزل من شدة صوت إسرافيل حتى ينكسر كل ما عليها من شدة الزّلزلة ولا تسكن حتى تلقي ما على ظهرها من جبل، وشجر، وبناء وفي وقت هذه الزّلزلة قولان أحدهما: وهو قول الأكثرين، أنها في الدّنيا، وهي من أشراط السّاعة والثاني أنها زلزلت يوم القيامة. ﴿**وأخرجت الأرض أثقالها**﴾ فمن قال إن الزّلزلة تكون في الدّنيا قال أثقالها كنوزها، وما في بطنها من الدّفائن، والأموال فتلقيها على ظهرها يدل على صحة هذا القول، ما روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ «تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوانة من الذهب، والفضة، فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجيء القاطع، فيقول في هذا قطعت رحمي، ويجيء السّارق فيقول في هذا قطعت يدي،

سُورَة الزّلزَلَة

مدنيّة وهي ثمان آيات.

﴿ **إذا زلزلتِ الأرضُ** ﴾، حرّكت الأرض حركة شديدة لقيام الساعة، ﴿ **زلزالها** ﴾، تحريكها.

﴿ **وأخرجتِ الأرضُ أثقالها** ﴾، موتاها وكنوزها فتلقيها على ظهرها، أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر بن عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي حدّثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان حدّثنا مسلم بن الحجّاج حدّثنا واصل بن عبد الأعلى ثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوانة من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً».

﴿ **وقال الإنسان ما لها** ﴾؟ قيل: في الآية تقديم وتأخير تقديره:

ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً» أخرجه مسلم والأفلاذ جمع فلذة وهي القطعة المستطيلة شبه ما يخرج من باطنها بإقطاع كبدها، لأن الكبد مستور في الجوف، وإنما خص الكبد لأنها من أطيب ما يشوى عند العرب من الجزور، واستعار القيء للإخراج، ومن قال بأن الزّلزلة تكون يوم القيامة، قال أثقالها الموتى فتخرجهم إلى ظهرها قيل إن الميت إذا كان في بطن الأرض، فهو ثقل لها وإذا كان فوقها، فهو ثقل عليها، ومنه سميت الجن والإنس بالثقلين لأن الأرض تثقل بهم أحياء وأمواتاً. ﴿**وقال الإنسان ما لها**﴾ يعني ما لها تزلزلت هذه الزلزلة العظيمة، ولفظت ما في بطنها وفي الإنسان وجهان. أحدهما أنه اسم جنس يعم المؤمن والكافر، وهذا على قول من جعل الزّلزلة من أشراط السّاعة، والمعنى أنها حين وقعت لم يعلم الكل أنها من أشراط السّاعة، فيسأل بعضهم بعضاً عن ذلك، والثاني أنه اسم للكافر خاصة وهذا على قول من جعلها زلزلة القيامة لأن المؤمن عارف بها فلا يسأل عنها، والكافر جاحد لها، فإذا وقعت سأل عنها، وقيل مجاز الآية ﴿**يومئذ تحدث أخبارها**﴾ فيقول الإنسان ما لها، والمعنى أن الأرض تحدث بكل ما عمل على ظهرها من خير أو شر، فتشكوا العاصي، وتشهد عليه وتشكر الطّائع وتشهد له «عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿**يومئذ تحدث أخبارها**﴾ قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم، قال فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا كذا وكذا فهذه أخبارها» أخرجه التّرمذي، وقال حديث حسن صحيح ﴿**بأن ربك أوحى لها**﴾ أي أمرها بالكلام وأذن لها أن تخبر بما عمل عليها قال ابن عباس: أوحى إليها قيل إن الله تعالى يخلق في الأرض الحياة، والعقل، والنطق حتى تخبر بما أمر الله به وهذا مذهب أهل السنة.

قوله تعالى: ﴿**يومئذ يصدر النّاس**﴾ أي عن موقف الحساب بعد العرض ﴿**أشتاتاً**﴾ أي متفرقين فآخذ ذات اليمين إلى الجنة وآخذ ذات الشمال إلى النار ﴿**ليروا أعمالم**﴾ قال ابن عباس ليروا جزاء أعمالهم، وقيل معناه ليروا صحائف أعمالهم التي فيها الخير والشّر وهو قوله تعالى:

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

﴿**فمن يعمل مثقال ذرة**﴾ قال وزن نملة صغيرة وقيل هو ما لصق من التراب باليد ﴿**خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة**

﴿ **يومئذ تحدّث أخبارها** ﴾، فيقول الإنسان: ما لها، أي تخبر الأرض بما عمل عليها، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أبي أيوب ثنا يحيىٰ بن أبي سليمان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ **يومئذ تحدّث أخبارها** ﴾ قال: «أتدرون ما أخبارها»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها، تقول: عمل يوم كذا وكذا كذا كذا، قال: فهذه أخبارها».

﴿ **بأنّ ربك أوحى لها** ﴾، أي أمرها بالكلام وأذن لها بأن تخبر بما عمل عليها. قال ابن عباس والقرظي: أوحى إليها، ومجاز الآية: يوحي الله إليها، يقال: أوحى لها وأوحى إليها ووحّى لها ووحّى إليها واحد.

قوله تعالى: ﴿ **يومئذ يصدر الناس** ﴾، يرجع الناس عن موقف الحساب بعد العرض، ﴿ **أشتاتاً** ﴾، متفرقين فأخذ ذات اليمين إلى الجنة وأخذ ذات الشمال إلى النار، كقوله: ﴿ يومئذ يتفرقون ﴾ [الروم: ١٤] ﴿ يومئذ يصدعون ﴾ [الروم: ٤٣]. ﴿ **ليروا أعمالهم** ﴾، قال ابن عباس: ليروا جزاء أعمالهم، والمعنى أنهم يرجعون عن الموقف فرقاً لينزلوا منازلهم من الجنة والنار.

﴿ **فمَن يعمل مثقال ذرّة** ﴾، وزن نملة صغيرة أصغر ما يكون من النمل. ﴿ **خيراً يره** ﴾.

شراً يره﴾ قال ابن عباس: ليس مؤمن ولا كافر عمل خيراً أو شراً في الدّنيا إلا أراه الله إياه يوم القيامة، فأما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر الله له سيئاته، ويثيبه بحسناته، وأما الكافر، فيرد حسناته ويعذبه بسيئاته، وقال محمد بن كعب القرظي فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره من كافر يرى ثوابه في الدّنيا في نفسه وولده وأهله وماله حتى يخرج من الدّنيا وليس له عند الله خير ومن يعلم مثقال ذرة شراً يره من مؤمن يرى عقوبته في الدّنيا في نفسه، وماله، وولده وأهله حتى يخرج من الدّنيا وليس له عند الله شر قيل نزلت هذه الآية في رجلين وذلك أنه لما نزلت **﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾** وكان أحدهما يأتيه السائل، فيستقل أن يطعمه التّمرة والكسرة، والجوزة ونحو ذلك ويقول هذا ليس بشيء يؤجر عليه إنما يؤجر على ما يعطي ونحن نحبه، وكان الآخر يتهاون بالذّنب الصّغير مثل الكذبة والنظرة وأشباه ذلك ويقول إنما وعد الله النار على الكبائر وليس في هذا، إثم فأنزل الله هذه الآية يرغبهم في القليل من الخير أن يعطوه فإنه يوشك أن يكثر ويحذرهم من اليسير من الذّنب، فإنه يوشك أن يكبر والإثم الصغير في عين صاحبه يصير مثل الجبل العظيم يوم القيامة قال ابن مسعود: أحكم آية في القرآن **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾** وسمي رسول الله ﷺ هذه الآية الجامعة الفاذة حين سأل عن زكاة الحمير، فقال ما أنزل الله فيها شيئاً إلا هذه الآية الجامعة الفاذة، **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾** وتصدق عمر بن الخطاب وعائشة كل واحد منهما بحبة عنب، وقالا فيها مثاقيل كثيرة، قلت إنما كان غرضهما تعليم الغير وإلا فهما من كرماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم وقال الربيع بن خيثم: مر رجل بالحسن وهو يقرأ هذه السّورة فلما بلغ آخرها قال حسبي الله قد انتهت الموعظة، والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه.

﴿ ومَن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره ﴾، وقال ابن عباس: ليس مؤمن ولا كافر عمل خيراً أو شرّاً في الدنيا إلّا أراه الله له يوم القيامة، فأما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر الله سيئاته ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فيردّ حسناته ويعذّب بسيئاته. قال محمد بن كعب: في هذه الآية: **﴿ فمَن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ﴾**، من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده، حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير، **﴿ ومَن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره ﴾** من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده، حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر. قال مقاتل: نزلت هذه الآية في رجلين وذلك أنه لمّا نزل ﴿ ويطعمون الطعام على حبّه ﴾ [الإنسان: ٨] كان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن تعطيه التمرة والكسرة والجوزة ونحوها، يقول: ما هذا بشيء إنما تؤجر على ما تعطي ونحن نحبّه، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة وأشباه ذلك، ويقول: إنما وعد الله النار على الكبائر، وليس في هذا إثم، فأنزل الله تعالى هذه الآية يرغّبهم في القليل من الخير أن يعطوه، فإنه يوشك أن يكثر، ويحذّرهم اليسير من الذنب فإنه يوشك أن يكثر، فالإثم الصغير في عين صاحبه أعظم عند الله من الجبال يوم القيامة، وجميع محاسنه أقل من كل شيء. قال ابن مسعود: أحكم آية في القرآن **﴿ فمَن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره * ومَن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره ﴾**». وكان رسول الله ﷺ يسمّيها الجامعة الفاذّة حين سُئِلَ عن زكاة الحمير فقال: «ما أنزل عليّ فيها شيء إلّا هذه الآية الجامعة الفاذّة **﴿ فمَن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره * ومَن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره ﴾**». وتصدّق عمر بن الخطاب وعائشة بحبّة عنب، وقالا: فيها مثاقيل كثيرة. وقال الربيع بن خيثم: مرّ رجل بالحسن وهو يقرأ هذه السورة فلما بلغ آخرها قال: حسبي قد انتهت الموعظة. أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرنا محمد بن القاسم ثنا أبو بكر محمد بن عبد الله ثنا الحسن بن سفيان ثنا علي بن حجر ثنا يزيد بن هارون ثنا اليمان بن المغيرة ثنا عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**﴿ إذا زلزلت الأرض ﴾** تعدل نصف القرآن، و﴿ قل هو الله أحد ﴾ [الإخلاص: ١] تعدل ثلث القرآن، و﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ [الكافرون: ١] تعدل ربع القرآن».

سورة العاديات

وهي مكية في قول ابن مسعود وغيره مدنية في قول ابن عباس، وهي إحدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفاً



قوله عزّ وجلّ: ﴿والعاديات ضبحاً﴾ فيه قولان أحدهما، أنها الإبل في الحج قال عليّ كرم الله وجهه: هي الإبل تعدو من عرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى منى، وعنه قال كانت أول غزاة في الإسلام بدراً، وما كان معنا إلا فرسان فرس للزّبير، وفرس للمقداد بن الأسود، فكيف تكون العاديات؟ فعلى هذا القول يكون معنى ضبحها مد

سُوْرَة العَادِيَات

مكيّة وهي إحدى عشرة آية.

﴿ والعاديات ضبحاً ﴾، قال ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والحسن والكلبي وقتادة ومقاتل وأبو العالية وغيرهم: هي الخيل العادية في سبيل الله تضبح، والضبح صوت أجوافها إذا عَدَتْ. قال ابن عباس: وليس شيء من الحيوانات يضبح غير الفرس والكلب والثعلب، وإنما تضبح هذه الحيوانات إذا تغيّر حالها من تعب أو فزع وهو من قول العرب: ضبحته النار إذا غيّرت لونه. وقوله: ﴿ ضبحاً ﴾ نصب على المصدر، مجازه: والعاديات تضبح ضبحاً. وقال عليّ: هي الإبل في الحج تعدو من عرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى منى، وقال: كانت أولُ غزوة في الإسلام بدراً، وما كان معنا إلاّ فَرَسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود، فكيف تكون الخيل العاديات؟ وإلى هذا ذهب ابن مسعود ومحمد بن كعب والسدي. وقال بعض مَن قال: هي الإبل قوله: ﴿ ضبحاً ﴾ يعني ضباحاً تمدّ أعناقها في السير.

﴿ فالموريات قدحاً ﴾، قال عكرمة وعطاء والضحاك ومقاتل والكلبي: هي الخيل تواري النار بحوافرها إذا سارت في الحجارة، يعني والقادحات قدحاً يقدحن بحوافرهنّ. وقال قتادة: هي الخيل تهيج الحرب ونار العداوة بين فرسانها. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: هي الخيل تغزو في سبيل الله ثم تأوي بالليل فيورون نارهم ويصنعون طعامهم. وقال مجاهد وزيد بن أسلم: هي مكر الرجال، يعني رجال الحرب، والعرب تقول إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه: أما والله لأقدحنّ لك ثم لأورينّ لك. وقال محمد بن كعب: هي النيران بجمع.

﴿ فالمغيرات صبحاً ﴾، هي الخيل تُغِير بفرسانها على العدو عند الصباح، هذا قول أكثر المفسّرين. وقال

أعناقها في السير وأصله من حركة النار في العود. ﴿فالموريات قدحاً﴾ يعني أن أخفاف الإبل ترمي بالحجارة من شدة عدوها فيضرب الحجر حجراً آخر فيوري النّار، وقيل هي النيران بجمع ﴿فالمغيرات صبحا﴾ يعني الإبل تدفع بركبانها يوم النّحر من جمع إلى منى والسنة أن لا يدفع حتى يصبح والإغارة سرعة السير، ومنه قولهم أشرق ثبير كيما نغير ﴿فأثرن به نقعاً﴾ أي هيجن بمكان سيرها غباراً.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١﴾

﴿فوسطن به جمعاً﴾ أي وسطن بالنقع جمعاً وهو مزدلفة، فوجه القسم على هذا أن الله تعالى أقسم بالإبل لما فيها من المنافع الكثيرة، وتعريضه بإبل الحج للتّرغيب وفيه تقريع لمن لم يحج بعد القدرة عليه، فإن الكنود هو الكفور، ومن لم يحج بعد الوجوب موصوف بذلك القول الثاني في تفسير، والعاديات قال ابن عباس وجماعة هي الخيل العادية في سبيل الله والضبح صوت أجوافها إذا غدت قال ابن عباس: وليس شيء من الحيوانات يضبح سوى الفرس، والكلب، والثعلب، وإنما تضبح هذه الحيوانات إذا تغير حالها من فزع أو تعب، وهو من قول العرب ضبحته النّار إذا غيرت لونه، ﴿فالموريات قدحاً﴾ يعني أنها تورى النّار بحوافرها إذا سارت في الحجارة، وقيل هي الخيل تهيج الحرب ونار العداوة بين فرسانها وقال ابن عباس: هي الخيل تغزو في سبيل الله ثم تأوي باللّيل فيورى أصحابها ناراً، ويصنعون طعامهم، وقيل هو مكر الرّجال في الحرب، والعرب تقول إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه أما والله لأقدحن لك ثم لأورين لك، ﴿فالمغيرات صبحاً﴾ يعني الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصّباح لأن النّاس في غفلة في ذلك الوقت عن الاستعداد، فأثرن به أي بالمكان نقعاً أي غباراً فوسطن به جمعاً أي دخلن به أي بذلك النّقع وهو الغبار، وقيل صرن بعدوهن وسط جمع العدو، وهم الكتيبة وهذا القول في تفسير هذه الآيات أولى بالصّحة، وأشبه بالمعنى، لأن الضبح من صفة الخيل، وكذا إيراء النار بحوافرها، وإثارة الغبار أيضاً، وإنما أقسم الله بخيل الغزاة لما فيها من المنافع الدينية، والدنيوية، والأجر، والغنيمة، وتنبيهاً على فضلها، وفضل رباطها في سبيل الله عزّ وجلّ، ولما ذكر الله تعالى المقسم به ذكر المقسم عليه. فقال تعالى: ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ أي لكفور وهو جواب القسم قال ابن عباس: الكنود الكفور الجحود لنعمة الله تعالى، وقيل الكنود هو العاصي، وقيل هو الذي يعد

القرظي: هي الإبل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع إلى منى، والسُّنّة أن لا تدفع حتى تصبح، والإغارة سرعة السير، ومنه قولهم: أشرق ثبير كيما نُغير.

﴿ فأثرن به ﴾، أي هيّجن بمكان سيرها كناية عن غير مذكور لأن المعنى مفهوم، ﴿ نقعاً ﴾، غباراً والنقع الغبار.

﴿ فوسطن به جمعاً ﴾، أي دخلن به وسط العدو، وهم الكتيبة يقال: وسطت القوم بالتخفيف، ووسطتهم بالتشديد وتوسطهم بالتشديد كلها بمعنى واحد. قال القرظي: يعني جمع منى أقسم الله بهذه الأشياء.

﴿ إنّ الإنسان لربّه لكنود ﴾، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: لكنود لكفور جحود لنِعَم الله تعالى. قال الكلبي: هو بلسان مُضَر وربيعة الكفور، وبلسان كندة وحضرموت العاصي. وقال الحسن: هو الذي يعدّ المصائب وينسى النِّعَم. وقال عطاء: هو الذي لا يعطي في النائبة مع قومه. وقال أبو عبيدة: هو قليل الخير، والأرض الكنود التي لا تنبت شيئاً. وقال الفضيل بن عياض: الكنود الذي آنسته الخصلة الواحدة من الإساءة الخِصال الكثيرة من الإحسان، والشكور الذي آنسته الخصلة الواحدة من الإحسان الخصال الكثيرة من الإساءة.

المصائب، وينسى النّعم، وقيل هو قليل الخير مأخوذ من الأرض الكنود، وهي التي لا تنبت شيئاً، وقال الفضيل بن عياض الكنود: الذي أنسته الخصلة الواحدة من الإساءة الخصال الكثيرة من الإحسان، وضده الشّكور الذي أنسته الخصلة الواحدة من الإحسان الخصال الكثيرة من الإساءة ﴿**وإنه على ذلك لشهيد**﴾ قال أكثر المفسرين: وإن الله على كونه كنود الشّاهد، وقيل الهاء راجعة إلى الإنسان، والمعنى أنه شاهد على نفسه بما صنع ﴿**وإنه**﴾ يعني الإنسان ﴿**لحب الخير**﴾ أي المال ﴿**لشديد**﴾ أي لبخيل والمعنى أنه من أجل حب المال لبخيل، وقيل معناه وإنه لحب المال وإيثار الدّنيا لقوي شديد ﴿**أفلا يعلم**﴾ يعني هذا الإنسان ﴿**إذا بعثر**﴾ أي أثير وأخرج ﴿**ما في القبور**﴾ يعني من الموتى ﴿**وحصل ما في الصدور**﴾ أي ميز وأبرز ما فيها من الخير والشر ﴿**إن ربهم بهم**﴾ أي جمع الكناية لأن الإنسان اسم جنس ﴿**يومئذ لخبير**﴾ أي عالم والله تعالى خبير بهم في ذلك اليوم، وفي غيره، ولكن المعنى أنه يجازيهم في ذلك اليوم على كفرهم وإنما خص أعمال القلوب بالذّكر في قوله، ﴿**وحصل ما في الصّدور**﴾ لأن أعمال الجوارح تابعة لأعمال القلوب، فإنه لولا البواعث والإرادات التي في القلوب لما حصلت أعمال الجوارح والله أعلم.

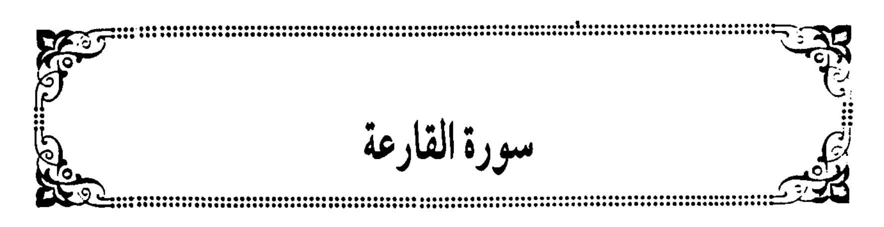
﴿ **وإنّه على ذلك لشهيد** ﴾، قال أكثر المفسّرين: وإن الله على كونه كنوداً لشاهد. وقال ابن كيسان. الهاء راجعة إلى الإنسان أي إنّه شاهد على نفسه بما يصنع.

﴿ **وإنه** ﴾، يعني الإنسان، ﴿ **لحبّ الخير** ﴾، أي لحب المال، ﴿ **لشديد** ﴾ أي لبخيل، أي إنه من أجل حبّ المال لبخيل. يقال للبخيل: شديد ومتشدّد. وقيل: معناه وإنه لحبّ الخير لقوي أي شديد الحبّ للخير، أي المال.

﴿ **أفلا يعلم** ﴾، هذا الإنسان، ﴿ **إذا بعثر** ﴾، أثير وأُخرج، ﴿ **ما في القبور** ﴾.

﴿ **وحصّل ما في الصدور** ﴾، أي مُيّز وأبرز ما فيها من خير أو شر.

﴿ **إنّ ربّهم بهم** ﴾، جمع الكناية لأن الإنسان اسم الجنس، ﴿ **يومئذ لخبير** ﴾، عالم، قال الزجّاج: الله خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى أنه يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم.



سورة القارعة

مكية وهي ثمان آيات وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفاً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ
ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى
عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ
حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿**القارعة**﴾ أصل القرع الصّوت الشّديد، ومنه قوارع الدّهر أي شدائده، والقارعة من أسماء القيامة. سميت بذلك لأنها تقرع القلوب بالفزع، والشدائد وقيل سميت قارعة بصوت إسرافيل لأنه إذا نفخ في الصور مات جميع الخلائق من شدة صوت نفخته، ﴿**ما القارعة**﴾ تهويل وتعظيم، والمعنى أنها فاقت القوارع في الهول والشّدة ﴿**وما أدراك ما القارعة**﴾ معناه لا علم لك بكنهها لأنها في الشدة بحيث لا يبلغها فهم أحد وكيفما قدرت أمرها فهي أعظم من ذلك ﴿**يوم يكون الناس كالفراش المبثوث**﴾ الفراش هذه الطير التي تراها تتهافت في النار سميت بذلك لفرشها، وانتشارها، وإنما شبه الخلق عند البعث بالفراش، لأن الفراش إذا ثار لم يتجه لجهة واحدة. بل كل واحدة تذهب إلى غير جهة الأخرى، فدل بهذا التشبيه على أن الخلق في البعث يتفرقون، فيذهب كل واحد إلى غير جهة الآخر، والمبثوث المتفرق، وشبههم أيضاً بالجراد فقال: كأنهم جراد منتشر وإنما شبههم بالجراد لكثرتهم قال

سُورَة القارِعَة

مكيّة وقيل مدنية وهي إحدى عشرة آية.

﴿ **القارعة** ﴾، اسم من أسماء القيامة لأنها تقرع القلوب بالفزع.

﴿ **ما القارعة** ﴾، تهويل وتعظيم.

﴿ **وما أدراك ما القارعة * يوم يكون الناس كالفراش المبثوث** ﴾، الفراش الطير التي تراها تتهافت في النار والمبثوث المفرّق. وقال الفرّاء: كغوغاء الجراد شبّه الناس عند البعث بها يموج بعضهم في بعض ويركب بعضهم بعضاً من الهول كما قال: ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ [القمر: ٧].

﴿ **وتكون الجبال كالعهن المنفوش** ﴾، كالصوف المندوف.

الفراء: كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضاً فشبه الناس عند البعث بالجراد لكثرتهم بموج بعضهم في بعض، ويركب بعضهم بعضاً من شدة الهول. ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ أي كالصّوف المندوف، وذلك لأنها تتفرق أجزاؤها في ذلك اليوم حتى تصير كالصّوف المتطاير عند الندف، وإنما ضم بين حال الناس وحال الجبال، كأنه تعالى نبه على تأثير تلك القارعة في الجبال العظيمة الصّلدة الصّلبة حتى تصير كالعهن المنفوش، فكيف حال الإنسان الضّعيف عند سماع صوت القارعة ثم لما ذكر حال القيامة قسم الخلق على قسمين فقال تعالى: **﴿فأما من ثقلت موازينه﴾** يعني رجحت موازين حسناته قيل هو جمع موزون، وهو العمل الذي له قدر وخطر عند الله تعالى، وقيل هو جمع ميزان وهو الذي له لسان وكفتان توزن فيه الأعمال فيؤتى بحسنات المؤمن في أحسن صورة فتوضع في كفة الميزان، فإن رجحت فالجنة له ويؤتى بسيئات الكافر في أقبح صورة فتخف ميزانه، فيدخل النار، وقيل إنما توزن أعمال المؤمنين فمن ثقلت حسناته على سيئاته دخل الجنة، ومن ثقلت سيئاته على حسناته دخل النار، فيقتص منه على قدرها ثم يخرج منها، فيدخل الجنة أو يعفو الله عنه بكرمه، فيدخل الجنة بفضل الله وكرمه، ورحمته، وأما الكافرون فقد قال: في حقهم **﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾** روى عن أبي بكر الصّديق أنه قال: إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة بإتباعهم الحق في دار الدّنيا، وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة بإتباعهم الباطل في الدّنيا وخفته عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً.

قوله تعالى: **﴿فهو في عيشة راضية﴾** أي مرضية في الجنة، وقيل في عيشة ذات رضا يرضاها صاحبها **﴿وأما من خفت موازينه﴾** أي رجحت سيئاته على حسناته **﴿فأمه هاوية﴾** أي مسكنة النّار سمي المسكن أما لأن الأصل في السكون الأمهات، وقيل معناه فأم رأسه هاوية في النّار، والهاوية اسم من أسماء النار، وهي المهواة التي لا يدرك قعرها فيهوون فيها على رؤوسهم، وقيل كان الرجل إذا وقع في أمر شديد يقال هوت أمه أي هلكت حزناً وثكلاً **﴿وما أدراك ماهيه﴾** يعني الهاوية ثم فسرها فقال **﴿نار حامية﴾** أي حارة قد انتهى حرها نعوذ بالله وعظمته منها والله سبحانه وتعالى أعلم.

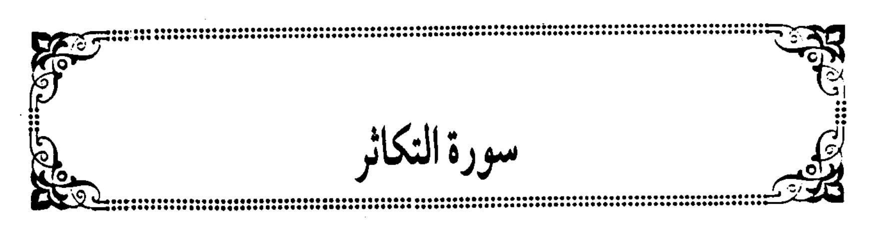
﴿ فأما مَن ثقلت موازينه ﴾، رجحت حسناته، **﴿ فهو في عيشة راضية ﴾**، مرضيّة في الجنة. قال الزجّاج ذات رِضاً يرضاها صاحبها.

﴿ وأما مَن خفّت موازينه ﴾، رجحت سيآته على حسناته.

﴿ فأمّه هاوية ﴾، مسكنه النار سُمّي المسكن أما لأن الأصل في السكون إلى الأمهات، والهاوية اسم من أسماء جهنم، وهو الهواة لا يدرك قعرها، وقال قتادة: وهي كلمة عربية كان الرجل إذا وقع في أمر شديد، يقال: هوت أُمه. وقيل: أراد أُم رأسه يعني أنهم يهوون في النار على رؤوسهم، وإلى هذا التأويل ذهب قتادة وأبو صالح.

﴿ وما أدراك ماهيه﴾، يعني الهاوية وأصلها ما هي أدخل الهاء فيها للوقف ثم فسّرها.

فقال: **﴿ نار حامية ﴾**، أي حارّة قد انتهى حرّها.



سورة التكاثر

مكية وهي ثمان آيات وثمان وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿**ألهاكم التكاثر**﴾ أي شغلتكم المفاخرة، والمباهات، والمكاثرة بكثرة المال، والعدد، والمناقب عن طاعة الله ربكم، وما ينجيكم من سخطه، ومعلوم أن من اشتغل بشيء أعرض عن غيره، فينبغي للمؤمن العاقل أن يكون سعيه وشغله في تقديم الأهم وهو ما يقربه من ربه عزّ وجلّ. فالتفاخر بالمال والجاه والأعوان، والأقرباء تفاخر بأخس المراتب، والاشتغال به يمنع الإنسان من الاشتغال بتحصيل السّعادة الأخروية التي هي سعادة الأبد، ويدل على أن المكاثرة، والمفاخرة بالمال مذمومة، ما روي عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية ﴿**ألهاكم التكاثر**﴾ «فقال يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما تصدقت، فأمضيت أو أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (خ) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه ماله وأهله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله» ﴿**حتى زرتم المقابر**﴾ أي حتى متم ودفنتم في المقابر يقال لمن مات زار قبره وزار رمسه، فيكون معنى الآية ألهاكم حرصكم على تكثير أموالكم عن طاعة ربكم حتى أتاكم الموت، وأنتم على ذلك قيل نزلت هذه الآية في اليهود، قالوا نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلان أكثر من بني فلان، شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالاً، وقيل نزلت في حيين من قريش، وهما بنو عبد مناف، وبنو سهم بن عمرو، وكان بينهم تفاخر فتعادوا القادة، والأشراف

سُوْرَة التكاثر

مكية وهي ثمان آيات.

﴿ **ألهاكم التكاثر** ﴾، شغلتكم المباهاة والمفاخرة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه.

﴿ **حتى زرتم المقابر** ﴾، حتى مُتّم ودفنتم في المقابر. وقال قتادة: نزلت في اليهود قالوا نحن أكثر من بني فلان وبنو فلان أكثر من بني فلان، شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالاً. وقال مقاتل والكلبي: نزلت في حيّين من قريش بني عبد مناف بن قصيّ وبني سهم بن عمرو كان بينهم تفاخر، فتعادوا السادة والأشراف أيّهم أكثر عدداً، فقال بنو عبد مناف: نحن أكثر سيداً وأعزّ عزيزاً وأعظم نفراً وأكثر عدداً، وقال بنو سهم مثل ذلك، فكثرهم بنو عبد مناف، ثم قالوا: نعدّ موتانا حتى زاروا القبور فعدّوهم، فقالوا: أهذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثرهم بنو سهم بثلاثة أبيات

أيّهم أكثر فقال بنو عبد مناف نحن أكثر سيداً، وأعز عزيزاً، وأعظم نفراً، وأكثر عدداً، وقال بنو سهم مثل ذلك، فكاثرهم بنو بعد مناف، ثم قالوا نعد موتانا فعدوا الموتى حتى زار والقبور، فعدوهم فقالوا هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثرهم بنو سهم بثلاثة أبيات لأنهم كانوا في الجاهلية أكثر عدداً فأنزل الله هذه الآية، وهذا القول أشبه بظاهر القرآن لأن قوله ﴿حتى زرتم المقابر﴾ يدل على أمر مضى، فكأنه تعالى يعجبهم من أنفسهم ويقول مجيباً هب إنكم أكثر عدداً، فماذا ينفع ثم رد الله تعالى عليهم فقال:

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾

﴿كلا﴾ أي ليس الأمر كما يتوهمه هؤلاء بالتّكاثر والتّفاخر، وقيل المعنى حقاً ﴿سوف تعلمون﴾ وعيد لهم ﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾ كرره توكيداً والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت، فهو وعيد بعد وعيد، وقيل معناه كلا سوف تعلمون يعني الكافرين ثم كلا سوف تعلمون يعني المؤمنين وصاحب هذا القول يقرأ الأولى بالياء والثانية بالتاء. ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين﴾ أي علماً يقيناً وجواب لو محذوف والمعنى لو تعلمون علماً يقيناً لشغلكم ما تعلمون عن التّكاثر والتّفاخر، قال قتادة كنا نحدث أن علم اليقين أن يعلم أن الله باعثه بعد الموت ﴿لترون الجحيم﴾ اللام تدل على أنه جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد، وإن ما أوعدوا به لا يدخله شك ولا

لأنهم كانوا في الجاهلية أكثر عدداً، فأنزل الله هذه الآية، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي ثنا عبد الرحيم بن منيب ثنا النضر بن شميل عن قتادة عن مطرف بن عبد الله الشخيري عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية: ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾، قال: «يقول ابن آدم: مالي مالي وهل لك من مالك إلّا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدّقت فأمضيت»؟ أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا عبد الله أبي بكر بن عمرو بن حزم سمع أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ: «يتبع الميت ثلاثةٌ فيرجع اثنان ويبقى معه واحد، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله» ثم ردّ الله عليهم فقال:

﴿ كلا ﴾، ليس الأمر بالتكاثر، ﴿ سوف تعلمون ﴾، وعيد لهم ثم تكرره تأكيداً فقال:

﴿ ثمّ كلا سوف تعلمون ﴾، قال الحسن ومقاتل هو وعيد بعد وعيد والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت. وقال الضحاك: ﴿ كلّا سوف تعلمون ﴾ يعني الكفّار، ﴿ ثم كلّا سوف تعلمون ﴾ يعني المؤمنين وكان يقرأ الأولى بالتاء والثانية بالياء.

﴿ كلا لو تعلمون علم اليقين ﴾، أي علماً يقيناً فأضاف العلم إلى اليقين كقوله: ﴿ لهو حق اليقين ﴾ [الواقعة: ٩٥]، وجواب ﴿ لو ﴾ محذوف أي لو تعلمون علماً يقيناً لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر. قال قتادة: كنّا نتحدث أن علم اليقين أن يعلم أن الله باعثه بعد الموت.

﴿ لترونّ الجحيم ﴾، قرأ ابن عامر والكسائي ﴿ لترونّ ﴾ بضم التاء من أريته الشيء، وقرأ الآخرون بفتح التاء أي ترونها بأبصاركم من بعد.

﴿ ثم لترونّها ﴾، مشاهدة، ﴿ عين اليقين ﴾.

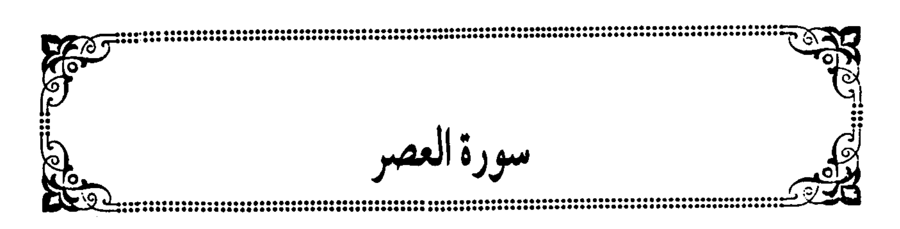
﴿ ثم لتُسئلنّ يومئذ عن النعيم ﴾، قال مقاتل: يعني كفّار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة، فيسألون يوم

ريب، والمعنى أنكم ترون الجحيم بأبصاركم بعد الموت ﴿ثم لترونها﴾ يعني مشاهدة ﴿عين اليقين﴾ وإنما كرر الرّؤية لتأكيد الوعيد ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النّعيم﴾ يعني أن كفار مكة كانوا في الدّنيا في الخير والنعمة، فيسألون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه لأنهم لم يشكروا رب النّعيم حيث عبدوا غيره ثم يعذبون على ترك الشكر، وذلك لأن الكفار لما ألهاهم التكاثر بالدّنيا، والتّفاخر بلذاتها عن طاعة الله والاشتغال بشكره سألهم عن ذلك، وقيل أن هذا السّؤال يعم الكافر، والمؤمن، وهو الأولى لكن سؤال الكافر توبيخ، وتقريع لأنه ترك شكر ما أنعم الله به عليه، والمؤمن يسأل سؤال تشريف وتكريم لأنه شكر ما أنعم الله به عليه، وأطاع ربه فيكون السّؤال في حقه تذكرة بنعم الله عليه. يدل على ذلك ما روي «عن الزّبير قال لما نزلت ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ قال الزبير: يا رسول الله وأي نعيم نسأل عنه وإنما هما الأسودان النّمر والماء قال أما أنه سيكون» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن واختلفوا في النعيم الذي يسأل البعد عنه، فروي عن ابن مسعود رفعه قال لتسألن يومئذ عن النّعيم قال الأمن، والصحة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم أن يقال له ألم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد» أخرجه التّرمذي وقال حديث غريب (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال ﷺ ما أخرجكما من بيوتكما هذه السّاعة، قالا الجوع يا رسول الله قال وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، فقوموا فقاموا معه فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت

القيامة عن شكر ما كانوا فيه، ولم يشكروا ربَّ النعيم حيث عبدوا غيره، ثم يعذبون على ترك الشكر، هذا قول الحسن، وعن ابن مسعود رفعه قال: ﴿لتُسئلنّ يومئذ عن النعيم﴾ قال: «الأمن والصحة». وقال قتادة: إن الله يسأل كل ذي نعمة عمّا أنعم عليه، أخبرنا أبو بكر بن الهيثم الترابي أنا عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي ثنا إبراهيم بن خزيم الشاشي ثنا عبد الله بن حميد ثنا شبابة عن عبد الله بن العلاء عن الضحاك بن عرزم الأشعري قال سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما يُسأل العبدُ يوم القيامة من النعيم أن يقال: ألم نصح جسمك؟ ونروكِ من الماء البارد»؟ أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي أنا أبو عيسى الترمذي أنا محمد بن إسماعيل ثنا آدم بن أبي إياس ثنا شيبان أبو معاوية ثنا عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ في ساعة لا يخرج فيها ولا يلقاه فيها أحد، فأتاه أبو بكر فقال: «ما جاء بك يا أبا بكر»؟ فقال: خرجت لألقى رسول الله ﷺ وأنظر إلى وجهه وللتسليم عليه، فلم يلبث أن جاء عمر، فقال: «ما جاء بك يا عمر»؟ قال: الجوع يا رسول الله، قال النبي ﷺ: «وأنا قد وجدت بعض ذلك»، فانطلقوا إلى منزل أبي الهيثم بن التيهان الأنصاري، وكان رجلاً كثير النخل والشاه، ولم يكن له خدم فلم يجدوه فقالوا لامرأته: أين صاحبك؟ فقالت: انطلق ليستعذب لنا الماء، فلم يلبث أن جاء أبو الهيثم بقربة زعبها ماءً فوضعها، ثم جاء يلتزم رسول الله ﷺ ويفديه بأبيه وأمه، ثم انطلق بهم إلى حديقته فبسط لهم بساطاً، ثم انطلق إلى نخلة فجاء بقنو فوضعه، فقال النبي ﷺ: «أفلا تنقيت لنا من رطبه وبسره»، فقال: يا رسول الله إني أردت أن تتخيروا من رطبه وبسره، فأكلوا وشربوا من ذلك الماء، فقال النبي ﷺ: «هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة، ظلّ بارد ورطب طيب وماء بارد»، فانطلق أبو الهيثم ليصنع لهم طعاماً فقال النبي ﷺ: «لا تذبحن ذات در»، فذبح لهم عناقاً أو جدياً فأتاهم بها، فأكلوا، فقال النبي ﷺ: «هل لك خادم»؟ قال: لا، قال النبي ﷺ: «فإذا أتانا صبيٌّ فأتنا»، فأُتي النبيُّ ﷺ برأسين ليس معها ثالث، فأتاه أبو الهيثم فقال النبي ﷺ: «اختر منهما»، فقال: يا نبي الله اختر لي، فقال النبي ﷺ: «إن المستشار مؤتمن، خذْ هذه فإني رأيته يصلّي واستوصِ به معروفاً» فانطلق به أبو الهيثم إلى امرأته فأخبرها

مرحباً وأهلاً، فقال لها رسول الله ﷺ أين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء إذا جاء الأنصاري، فنطر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه ثم قال: الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر، وتمر، ورطب فقال: كلوا وأخذ المدية فقال له رسول الله ﷺ إياك والحلوب، فذبح لهم شاة فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النّعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النّعيم» وأخرجه التّرمذي بأطول من هذا «وفيه ظل بارد ورطب طيب وماء بارد» وروي عن ابن عباس قال: النّعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العبيد يوم القيامة فيم استعملوها وهو أعلم بذلك منهم، وقيل يسأل عن الصحة والفراغ والمال (خ) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»، وقيل الذي يسأل العبد عنه هو القدر الزائد على ما يحتاج إليه فإنه لا بد لكل أحد من مطعم، ومشرب، وملبس، ومسكن، وقيل يسأل عن تخفيف الشرائع وتيسير القرآن، وقيل عن الإسلام فإنه أكبر النّعم، وقيل يسأل عما أنعم به عليكم وهو محمد ﷺ الذي أنقذكم به من الضّلال إلى الهدى، والنّور وامتن به عليكم والله أعلم.

بقول رسول الله ﷺ، فقالت امرأته: ما أنت ببالغ فيه ما قال رسول الله ﷺ إلّا أن تعتقه، قال: فهو عتيق، فقال النبي ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى لم يبعث نبيّاً ولا خليفة إلّا وله بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تألوه إلّا خبالاً، ومَن يُوقَ بطانة السوء فقد وُقي» ورُوِيَ عن ابن عباس قال: النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العبيد فِيمَ استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، وذلك قوله: ﴿إنّ السمعَ والبصرَ والفؤادَ كلّ أولئك كان عنه مسؤولاً﴾ [الإسراء: ٣٦]، قال عكرمة: عن الصحة والفراغ. وقال سعيد بن جبير: عن الصحة والفراغ والمال. أخبرنا الإمام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي ثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي ثنا الحسين بن الحسن بمكة ثنا عبد الله بن المبارك والفضل بن موسى قالا ثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن أبيه عن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ». قال محمد بن كعب: يعني عمّا أنعم عليكم بمحمد ﷺ. وقال أبو العالية: عن الإسلام والسُّنن. وقال الحسين بن الفضل: تخفيف الشرائع وتيسير القرآن.



سورة العصر

مكية قاله ابن عباس والجمهور وقيل هي مدنية وهي ثلاث آيات وأربع عشر كلمة وثمانية وستون حرفاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿والعصر﴾ قال ابن عباس: هو الدّهر قيل أقسم الله به لما فيه من العبر، والعجائب للنّاظر وقد ورد في الحديث «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» وذلك لأنهم كانوا يضيفون النّوائب والنّوازل إلى الدهر، فأقسم به تنبيهاً على شرفه وإن الله هو المؤثر فيه فما حصل فيه من النّوائب والنّوازل كان بقضاء الله وقدره، وقيل تقديره ورب العصر، وقيل أراد بالعصر اللّيل والنّهار لأنهما يقال لهما العصران، فنبه على شرف الليل والنهار لأنهما خزانتان لأعمال العباد، وقيل أراد بالعصر آخر طرفي النهار أقسم بالعشى كما أقسم بالضّحى، وقيل أراد صلاة العصر أقسم بها لشرفها ولأنها الصّلاة الوسطى في قول بدليل قوله تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ لما قيل هي صلاة العصر والذي في مصحف عائشة رضي الله عنها وحفصة والصّلاة الوسطى صلاة العصر وفي الصحيحين «شغلونا عن الصّلاة الوسطى صلاة العصر» وقال ﷺ «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله»، وقيل أراد بالعصر زمن رسول الله ﷺ أقسم بزمانه كما أقسم بمكانه في قوله ﴿لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد﴾ نبه بذلك على أنه زمانه أفضل الأزمان وأشرفها، وجواب القسم. قوله تعالى: ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾ أي لفي خسران ونقصان قيل أراد بالإنسان جنس الإنسان بدليل قولهم كثر الدرهم في أيدي الناس أي الدرهم وذلك لأن الإنسان لا ينفك عن خسران، لأن الخسران هو تضييع عمره وذلك لأن كل ساعة تمر من عمر الإنسان إما أن تكون تلك السّاعة في طاعة أو معصية،

سُوْرَةَ العَصْر

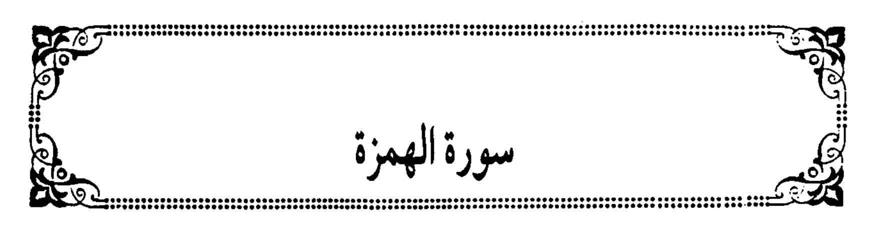
مكيّة وقيل مدنية وهي ثلاث آيات.

﴿ والعصر ﴾، قال ابن عباس: والدهر. قيل: أقسم به لأن فيه عبرة للناظر. وقيل: معناه وربّ العصر، وكذلك في أمثاله. وقال ابن كيسان: أراد بالعصر الليل والنهار، يقال لهما العصران. وقال الحسن: من بعد زوال الشمس إلى غروبها. وقال قتادة: آخر ساعة من ساعات النهار. وقال مقاتل: أقسم بصلاة العصر وهي الصلاة الوسطى.

﴿ إن الإنسان لفي خُسْر ﴾، أي خسران ونقصان، قيل: أراد به الكافر بدليل أنه استثنى المؤمنين، والخسران ذهاب رأس مال الإنسان في هلاك نفسه وعمره بالمعاصي، وهما أكبر رأس ماله.

فإن كانت في معصية فهو الخسران المبين الظاهر وإن كانت في طاعة، فلعل غيرها أفضل وهو قادر على الإتيان بها فكان فعل غير الأفضل تضييعاً وخسراناً، فبان بذلك أنه لا ينفك أحد من خسران، وقيل إن سعادة الإنسان في طلب الآخرة وحبها والإعراض عن الدّنيا ثم إن الأسباب الداعية إلى حب الآخرة خفية، والأسباب الدّاعية إلى حب الدّنيا ظاهرة، فلهذا السبب كان أكثر الناس مشتغلين بحب الدّنيا مستغرقين في طلبها، فكانوا في خسار وبوار قد أهلكوا أنفسهم بتضييع أعمارهم، وقيل أراد بالإنسان الكافر بدليل أنه استثنى المؤمنين فقال تعالى: **﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصّالحات﴾** يعني فإنهم ليسوا في خسر، والمعنى أن كل ما مر من عمر الإنسان في طاعة الله تعالى فهو في صلاح وخير وما كان بضده فهو في خسر وفساد وهلاك. **﴿وتواصوا﴾** أي أوصى بعض المؤمنين بعضاً **﴿بالحق﴾** يعني بالقرآن والعمل بما فيه، وقيل بالإيمان والتّوحيد **﴿وتواصوا بالصبر﴾** أي على أداء الفرائض وإقامة أمر الله وحدوده، وقيل أراد أن الإنسان إذا عمر في الدّنيا وهرم لفي نقص وتراجـع إلا الذين آمنوا، وعملوا الصّالحات فإنهم تكتب أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم وهي مثل قوله **﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصّالحات فلهم أجر غير ممنون﴾** والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾، فإنهم ليسوا في خسران، **﴿وتواصوا﴾**، أوصى بعضهم بعضاً، **﴿ بالحق ﴾**، بالقرآن قاله الحسن وقتادة، وقال مقاتل: بالإيمان والتوحيد. **﴿ وتواصوا بالصبر ﴾**، على أداء الفرائض وإقامة أمر الله. وروى ابن عون عن إبراهيم قال: أراد أن الإنسان إذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع إلّا المؤمنين فإنهم يكتب لهم أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم، وهي مثل قوله: ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ [التين: ٤ و٥ و٦].



سورة الهمزة

مكية وهي تسع آيات وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفاً

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿ويل﴾ أي قبح، وقيل اسم واد في جهنم ﴿لكل همزة لمزة﴾ قال ابن عباس هم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبرآء العيب وقيل معناهما واحد وهو العياب المغتاب للناس في بعضهم قال الشاعر:

إذا لقيتك من كره تكاشرني ... وإن تغيبت كنت الهامزا اللمزا

وقيل بل يختلف معناهما فقيل الهمزة الذي يعيبك في الغيب، واللّمزة الذي يعيبك في الوجه، وقيل هو على ضده، وقيل الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم، واللّمزة الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم، وقيل هو الذي يهمز بلسانه ويلزم بعينه، وقيل الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ، واللمزة الذي يرمق بعينه ويشير برأسه ويرمز بحاجبه، وقيل الهمزة المغتاب للناس واللمزة الطعان في أنسابهم وحاصل هذه الأقاويل يرجع إلى أصل واحد، وهو الطعن وإظهار العيب وأصل الهمز الكسر والقبض على الشيء بالعنف، والمراد منه هنا الكسر من أعراض الناس والغض منهم، والطعن فيهم، ويدخل فيه من يحاكي الناس بأقوالهم، وأفعالهم، وأصواتهم ليضحكوا منه، وهما نعتان للفاعل على نحو سخرة وضحكة للذي يسخر ويضحك من الناس، واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية، فقيل نزلت في الأخنس بن شريق بن وهب. كان يقع في الناس ويغتابهم وقال محمد بن إسحاق: ما زلنا نسمع أن سورة الهمزة

سُوْرَة الهُمَزَة

مكيّة وهي تسع آيات.

﴿ ويلٌ لكل همزة لمزة ﴾، قال ابن عباس: هم المشّاؤون بالنميمة المفرّقون بين الأحبّة الباغون للبرآء العنت، ومعناهما واحد وهو العيّاب. وقال مقاتل: الهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة الذي يعيبك في الوجه. وقال أبو العالية والحسن بضدّه، وقال سعيد بن جبير وقتادة: الهُمزة الذي يأكل لحوم الناس ويغتابهم، واللمزة الطعّان عليهم. وقال ابن زيد: الهُمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم، واللمزة الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم. وقال سفيان الثوري: ويهمز بلسانه ويلمز بعينيه. ومثله قال ابن كيسان الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ واللمزة الذي يومض بعينه ويشير برأسه، ويرمز بحاجبه وهما لغتان للفاعل نحو سخرة وضحكة للذي يسخر ويضحك من

نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي ﷺ من ورائه ويطعن عليه في وجهه، وقيل نزلت في العاص بن وائل السّهمي، وقيل هي عامة في كل شخص هذه صفته كائناً من كان، وذلك لأن خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ والحكم، ومن قال إنها في أناس معينين قال أن يكون اللّفظ عاماً لا ينافي أن يكون المراد منه شخصاً معيناً وهو تخصيص العام بقرينة العرف والأولى أن تحمل على العموم في كل من هذه صفته ثم وصفه فقال تعالى:

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾

﴿**الذي جمع مالاً**﴾ وإنما وصفه بهذا الوصف لأنه يجري مجرى السبب والعلة في الهمز واللمز يعني وهو بإعجابه بما جمع من المال يستصغر الناس ويسخر منهم، وإنما نكر مالاً لأنه بالنسبة إلى مال هو أكثر منه كالشّيء الحقير وإن كان عظيماً عند صاحبه فكيف يليق بالعاقل أن يفتخر بالشيء الحقير ﴿**وعدده**﴾ أي أحصاه من العدد، وقيل هو من العدة أي استعده وجعله ذخيرة وغنى له ﴿**يحسب أن ماله أخلده**﴾ أي يظن أنه يخلد في الدّنيا ولا يموت ليساره وغناه قال الحسن ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت ومعناه أن الناس لا يشكون في الموت مع أنهم يعملون عمل من يظن أنه يخلد في الدّنيا ولا يموت ﴿**كلا**﴾ رد عليه أي لا يخلده ماله بل يخلده ذكر العلم، والعمل الصّالح ومنه قول علي مات خزان المال، وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر، وقيل معناه حقاً ﴿**لينبذن**﴾ واللام في لينبذن جواب القسم فدل ذلك على حصول معنى القسم، ومعنى لينبذن ليطرحن ﴿**في الحطمة**﴾ أي في النار، وهو اسم من أسمائها مثل سقر ولظي، وقيل هو اسم للدركة الثانية منها وسميت حطمة لأنها تحطم العظام وتكسرها، والمعنى يا أيّها الهمزة اللمزة الذي يأكل لحوم الناس، ويكسر من أعراضهم إن وراءك الحطمة التي تأكل

الناس، وأصل الهمز الكسر والعضّ على الشيء بالعنف، واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية، قال الكلبي: نزلت في الأخنس بن شُريقٍ بن وهب الثقفي كان يقع في الناس ويغتابهم. وقال محمد بن إسحاق: ما زلنا نسمع أن سورة الهمزة نزلت في أُميّة بن خلف الجمحي. وقال مقاتل: نزلت في الوليد بن المغيرة، كان يغتاب النبي ﷺ من ورائه ويطعن عليه في وجهه. وقال مجاهد: هي عامّة في حقّ كلّ مَن هذه صفته.

ثم وصفه فقال: ﴿ **الذي جمع مالاً** ﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحفص وحمزة والكسائي (جمّع) بتشديد الميم على التكثير، وقرأ الآخرون بالتخفيف. ﴿ **وعدّده** ﴾، أحصاه، وقال مقاتل: استعدّه وادّخره وجعله عتاداً له، يقال: أعددت الشيء وعددته إذا أمسكته.

﴿ **يحسب أن ماله أخلده** ﴾، في الدنيا يظن أنه لا يموت مع يساره.

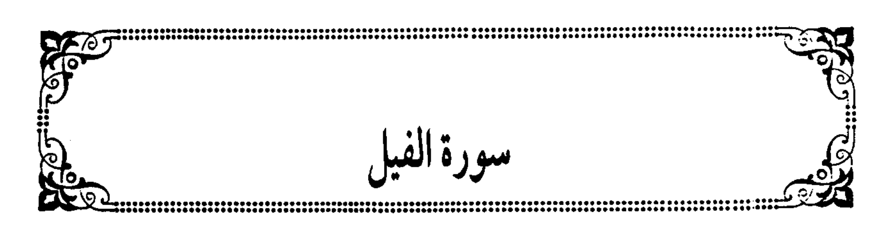
﴿ **كلا** ﴾، ردّ عليه أن لا يخلده ماله، ﴿ **لينبذنّ** ﴾، ليطرحنّ، ﴿ **في الحطمة** ﴾، في جهنم والحطمة من أسماء النار مثل سقر ولظى سمّيت حطمة لأنها تحطم العظام وتكسرها.

﴿ **وما أدراك ما الحطمة * نار الله الموقدة * التي تطّلع على الأفئدة** ﴾، أي التي يبلغ ألمها ووجعها إلى القلوب، والاطّلاع والبلوغ التطلّع بمعنى واحد، يحكى عن العرب متى طلعت أرضنا أي بلغت، ومعنى الآية: أنها تأكل كل شيء منه حتى تنتهي إلى فؤاده، قاله القرظي والكلبي.

﴿ **إنّها عليهم مؤصدة** ﴾، مطبقة مغلقة.

اللحوم وتكسر العظام ﴿**وما أدراك ما الحطمة**﴾ أي نار لا كسائر النيران ﴿**نار الله**﴾ إنما أضافها إليه على سبيل التفخيم والتعظيم لها ﴿**الموقدة**﴾ أي لا تخمد أبداً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أوقد على النّار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة» أخرجه الترّمذي قال ويروى عن أبي هريرة موقوفاً وهو أصح ﴿**التي تطلع على الأفئدة**﴾ أي يبلغ ألمها ووجعها إلى القلوب، والمعنى أنها تأكل كل شيء حتى تنتهي إلى الفؤاد، وإنما خص الفؤاد بالذكر لأنه ألطف شيء في بدن الإنسان، وأنه يتألم بأدنى شيء، فكيف إذا اطلعت عليه واستولت عليه، ثم إنه مع لطافته لا يحترق إذ لو احترق لمات صاحبه، وليس في النار موت، وقيل إنما خصه بالذكر لأن القلب موطن الكفر، والعقائد، والنيات الفاسدة. ﴿**إنها عليهم مؤصدة**﴾ أي مطبقة مغلقة ﴿**في عمد ممددة**﴾ قال ابن عباس: أدخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد وفي أعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الأبواب، وقال قتادة: بلغنا أنهم عمد يعذبون بها في النّار، وقيل هي أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار، والمعنى أنها مطبقة عليهم بأوتاد ممدودة، وقيل أطبقت الأبواب عليهم ثم سدت بأوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها، فلا ينفتح عليهم باب، ولا يدخل عليهم روح، وممددة صفة العمد، أي مطولة فتكون أرسخ من القصيرة نعوذ بالله من النار، وحرها والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ **في عمد ممدّدة** ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر في ﴿ **عمد** ﴾ بضم العين والميم، وقرأ الآخرون بفتحهما كقوله تعالى: ﴿ رفع السمٰوات بغير عمد ترونها ﴾ [الرعد: ٢]، وهما جميعاً جمع عمود مثل أديم وأَدَم وأُدُم، قاله الفرّاء، وقال أبو عبيدة: جمع عماد مثل إهاب وأهب وأُهب. قال ابن عباس: أدخلهم في عمد فمدّت عليهم بعماد، وفي أعناقهم السلاسل سدّت عليهم بها الأبواب، وقال قتادة: بلغنا أنها عمد يعذّبون بها في النار. وقيل: هي أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار، أي أنها مطبقة عليهم بأوتاد ممدودة وهي في قراءة عبد الله (بعمد) بالباء، قال مقاتل: أطبقت الأبواب عليهم ثم سُدّت بأوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمّها وحرّها فلا يُفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم ريح، والممدّدة من صفة العمد، أي مطوّلة فتكون أرسخ من القصيرة.



سورة الفيل

مكية وهي خمس آيات وعشرون كلمة وستة وتسعون حرفاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿**ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل**﴾ كانت قصة أصحاب الفيل على ما ذكره محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير، وعكرمة عن ابن عباس، وذكره الواقدي أن النجاشي ملك الحبشة كان بعث أرياط إلى اليمن، فغلب عليها فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة بن الصّباح بن يكسوم، فساخط أرياط في أمر الحبشة حتى انصدعوا صدعين، فكان طائفة مع أرياط، وطائفة مع أبرهة، فتزاحفا فقتل أبرهة أرياط، واجتمعت الحبشة لأبرهة، وغلب على اليمن، وأقره النّجاشي على عمله، ثم إن أبرهة رأى النّاس يتجهزون أيام الموسم إلى مكة لحج بيت الله عزّ وجلّ، فبنى كنيسة بصنعاء، وكتب إلى النّجاشي إني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن لملك مثلها، ولست منتهياً حتى أصرف إليها حج العرب فسمع بذلك مالك بن كنانة فخرج لها ليلاً، فدخل وتغوط فيها ولطّخ بالعذرة قبلتها، فبلغ ذلك أبرهة فقال: من اجترأ عليّ، فقيل صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت سمع بالذي قلت، فحلف أبرهة عند ذلك ليسيرن إلى الكعبة حتى يهدمها، فكتب إلى النجاشي يخبره بذلك، وسأله أن يبعث إليه بفيله، وكان له فيل يقال له محمود، وكان فيلاً لم ير مثله عظماً، وجسماً، وقوة، فبعث به إليه، فخرج

سُوْرَة الفِيْل

مكيّة وهي خمس آيات.

﴿ **ألم ترَ كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل** ﴾؟ وكانت قصة أصحاب الفيل على ما ذكره محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وذكره الواقدي: أن النجاشي ملك الحبشة كان قد بعث أرياطاً إلى أرض اليمن فغلب عليها، فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة بن الصباح أبو مكتوم، فساخط أرياط في أمر الحبشة حتى انصدعوا صدعين وكانت طائفة مع أرياط وطائفة مع أبرهة فتزاحفا فقتل أبرهة أرياط، واجتمعت الحبشة لأبرهة وغلب على اليمن وأقرّه النجاشي على عمله، ثم إن أبرهة رأى الناس يتجهّزون أيام الموسم إلى مكة لحجّ بيت الله، فبنى كنيسة بصنعاء وكتب إلى النجاشي: إني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يُبْنَ لملك مثلها، ولست منتهياً حتى أصرف إليها حجّ العرب، فسمع به رجل من بني مالك بن كنانة فخرج إليها مستخفياً فدخلها ليلاً فقعد فيها وتغوّط بها ولطخ بالعذرة قِبلتها، فبلغ ذلك أبرهة فقال: مَن اجترأ عليّ ولطّخ كنيستي بالعذرة؟ فقيل له: صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت سمع بالذي قلت، فحلف أبرهة عند ذلك ليسيرنّ إلى الكعبة حتى

أبرهة في الحبشة سائراً إلى مكة، وخرج معهم الفيل، فسمعت العرب بذلك، فعظموه ورأوا جهاده حقاً عليهم، فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بمن أطاعه من قومه، فقاتلوه فهزمه أبرهة، وأخذ ذا نفر فقال يا أيها الملك استبقني فإن بقائي خير لك من قتلي فاستحياه وأوثقه وكان أبرهة رجلاً حليماً، ثم سار حتى إذا دنا من بلاد خثعم، خرج إليه نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع إليه من قبائل اليمن، فقاتلوه فهزمهم، وأخذ نفيلاً فقال نفيل أيها الملك إني دليل بأرض العرب، وهاتان يداي على قومي بالسمع والطّاعة، فاستبقاه وخرج معه يدله حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن مغيث في رجال من ثقيف فقال: أيّها الملك نحن عبيدك ليس عندنا خلاف لك، إنما تريد البيت الذي بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه، فبعثوا معه أبا رغال مولى لهم، فخرج حتى إذا كان بالمغمس مات أبو رغال وهو الذي يرجم قبره، وبعث أبرهة رجلاً من الحبشة يقال له الأسود بن مسعود على مقدمة خيله، وأمره بالغارة على نعم الناس، فجمع الأسود أموال أصحاب الحرم، وأصاب لعبد المطلب مائتي بعير، ثم إن أبرهة أرسل بحناطة الحميري إلى أهل مكة، وقال له: سل عن شريفها، ثم أبلغه ما أرسلك به إليه أخبره أني لم آت لقتال، إنما جئت لأهدم هذا البيت، فانطلق حتى دخل مكة، فلقي عبد المطلب بن هاشم فقال له إن الملك أرسلني إليك لأخبرك أنه لم يأت لقتال، إلا أن تقاتلوه، إنما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم، فقال عبد المطلب: ما له عندنا قتال ولا لنابه يد إنا سنخلي بينه وبين ما جاء له، فإن هذا بيت الله الحرام، وبيت إبراهيم خليله عليه الصّلاة والسّلام، فإن يمنعه فهو بيته وحرمه وإن يخل بينه وبين ذلك فوالله ما لنا به قوة قال فانطلق معي إلى الملك، فزعم

يهدمها، فكتب إلى النجاشي يخبره بذلك وسأله أن يبعث إليه بفيله، وكان له فيل يقال له محمود وكان فيلاً لم يرَ مثله عظيماً جسيماً وقوّة، فبعث به إليه فخرج أبرهة من الحبشة سائراً إلى مكة، وأخرج معه الفيل، فسمعت العرب بذلك فاستعظموه ورأوا جهاده حقاً عليهم، فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بمَن أطاعه من قومه، فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ ذا نفر، فقال: أيها الملك لا تقتلني فإنّ استبقائي خيراً لك من قتلي فاستحياه وأوثقه، وكان أبرهة رجلاً حليماً ثم سار حتى إذا دنا من بلاد خثعم، خرج نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومَن اجتمع إليه من قبائل اليمن، فقاتلوه فهزمهم وأخذ نفيل، فقال نفيل: أيها الملك إني دليل بأرض العرب وهاتان يداي على قومي بالسمع والطاعة فاستبقاه، وخرج معه يدلّه حتى إذا مرّ بالطائف خرج إليه مسعود بن مغيث في رجال من ثقيف فقال: أيها الملك نحن عبيدك ليس لك عندنا خلاف وقد علمنا أنك تريد البيت الذي بمكة نحن نبعث معك مَن يدلّك عليه، فبعثوا أبا رغال مولى لهم فخرج حتى إذا كان بالمغمس مات أبو رغال وهو الذي يرجم قبره، وبعث أبرهة من المغمس رجلاً من الحبشة يقال له الأسود بن مسعود على مقدمة خيله وأمره بالغارة على نَعَمِ الناس، فجمع الأسود إليه أموال الحرم، وأصاب لعبد المطّلب مائتي بعير، ثم إن أبرهة بعث حناطة الحميري إلى أهل مكة، فقال: سَلْ عن شريفها ثم أبلغه ما أرسلك به إليه، أخبرْ أني لم آتِ لقتال إنما جئت لأهدم هذا البيت، فانطلق حتى دخل مكة فلقي عبد المطّلب بن هاشم، فقال: إن الملك أرسلني إليك لأُخبرك أنه لم يأتِ لقتال إلّا أن تقاتلوه، إنما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم، فقال عبد المطّلب: ما له عندنا قتال ولا له عندنا إلّا أن نخلي بينه وبين ما جاء له، فإن هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام، فإن يمنعه فهو بيته وحرمه، وإن يخلِ بينه وبين ذلك فوالله ما لنا قوة إلّا به، قال: فانطلق معي إلى الملك، فزعم بعض العلماء أنه أردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قَدِمَ المعسكر، وكان ذو نفير صديقاً لعبد المطّلب فأتاه فقال: يا ذا نفير هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ فقال: ما غناء رجل أسير لا يأمن أن يقتل بكرةً أو عشيّاً، ولكن سأبعث إلى أنيس سائس الفيل فإنه لي صديق فأسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك عنده، قال: فأرسل إلى أنيس فأتاه فقال

بعض العلماء أنه أردفه على بغلة كان عليها، وركب معه بعض بنيه حتى قدم على العسكر، وكان ذو نفر صديقاً لعبد المطلب، فأتاه فقال: يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ قال فما غناء رجل أسير لا يأمن من أن يقتل بكرة أو عشية، ولكن سأبعث إلى أنيس سائس الفيل، فإنه لي صديق، فأسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير، ويعظم خطرك، ومنزلتك عنده قال فأرسل إلى أنيس، فأتاه فقال، له إن هذا سيد قريش، وصاحب عير مكة يطعم النّاس في السّهل، والوحوش في رؤوس الجبال، وقد أصاب الملك له مائتي بعير فإن استطعت أن تنفعه عنده، فانفعه فإنه صديق لي أحب ما وصل إليه من الخير، فدخل أنيس على أبرهة فقال: أيها الملك هذا سيد قريش، وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السّهل، والوحوش في رؤوس الجبال يستأذن عليك، وأنا أحب أن تأذن له، فيكلمك فقد جاء غير ناصب، ولا مخالف عليك، فأذن له وكان عبد المطلب رجلاً جسيماً، وسيما فلما رآه أبرهة عظمه، وأكرمه، وكره أن يجلس معه على السرير وأن يجلس تحته، فهبط إلى البساط فجلس عليه، ثم دعاه، فأجلسه معه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك إلى الملك فقال الترجمان: ذلك له فقال له عبد المطلب حاجتي إلى الملك أن يرد عليّ مائتي بعير أصابها لي، فقال أبرهة لترجمانه قل له كنت أعجبتني حين رأيتك، ولقد زهدت الآن فيك قال لم قال جئت إلى بيت هو دينك، ودين آبائك، وهو شرفكم، وعصمتكم لأهدمه لم تكلمني فيه، وتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك، قال عبد المطلب: أنا رب هذه الإبل، ولهذا البيت رب سيمنعه منك، قال ما كان ليمنعه مني قال فأنت وذاك فأمر بإبله فردت عليه، فلما ردت الإبل على عبد المطلب خرج، فأخبر قريشاً الخبر وأمرهم أن يتفرقوا في الشّعاب ويتحرزوا في رؤوس الجبال تخوفاً عليهم من معرة الحبش، ففعلوا وأتى عبد المطلب الكعبة، وأخذ حلقة الباب وجعل يقول:

يـا رب لا أرجـوا لهـم سـواكـا يـا رب فـامنـع منهـم حمـاكـا
إن عـدو البيـت مـن عـاداكـا امنعهـم أن يخـربـوا قـراكـا

له: إن هذا سيد قريش صاحب عِيْر مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال، وقد أصاب له الملك مائتي بعير فإن استطعت أن تنفعه عنده فانفعه فإنه صديق لي أحبّ ما وصل إليه من الخير، فدخل أنيس على أبرهة فقال: أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عِيْر مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال، يستأذن إليك وأحبّ أن تأذن له فيكلّمك وقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك، فأذِنَ له وكان عبد المطّلب رجلاً جسيماً وسيماً فلما رآه أبرهة أعظمه وأكرمه، وكره أن يجلس معه على سريره وأن يجلس تحته فهبط إلى البساط فجلس عليه ثم دعاه فأجلسه معه، ثم قال لترجمانه قل له: ما حاجتك إلى الملك؟ فقال له الترجمان ذلك، فقال عبد المطلب: حاجتي إلى الملك أن يردّ إليّ مائتي بعير أصابها لي، فقال أبرهة لترجمانه قل له: لقد كنت أعجبتني حين رأيتك، ولقد زهدت فيك، قال: لِمَ؟ قال: جئتُ إلى بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم وعصمتكم لأهدمنّه لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير أصبتها؟ قال عبد المطّلب: أنا ربّ هذه الإبل وإن لهذا البيت ربّاً سيمنع عنه مَن يقصده بسوء، قال: ما كان ليمنعه منّي، قال: فأنت وذاك، فأمر بإبله فرُدّتْ عليه، فلما رُدّتِ الإبل إلى عبد المطلب خرج فأخبر قريشاً الخبر الذي وقع بينه وبين أبرهة، وأمرهم أن يتفرّقوا في الشّعاب ويتحرّزوا في رؤوس الجبال تخوّفاً عليهم من معرّة الحبش فيهم، ففعلوا وأتى عبد المطّلب الكعبة وأخذ بحلقة الباب وجعل يقول:

يـا رب لا أرجـو لـهم سـواكـا يـا ربّ فـامنـع منهم حمـاكـا
إن عـدوّ الـبيـت مَـن عـاداكـا امنعـهـم أن يـخـرّبـوا قـراكـا

وقال أيضاً:

لا هـــم إن العبـــد يمـ ـنـع رحلـه فـامنـع رحـالـك
وانصـــر علـــى آل الصليـ ـب وعـابـديـه اليـَوم آلـك
لا يغلبـــن صليبهـــم ومحـالهـم عـدوا محـالـك
جـروا جمـوع بـلادهـم والفيـل كـي يسبـوا عيـالـك
عمـدوا حمـاك بكيـدهـم جهـلاً ومـا رقبـوا جـلالـك
إن كنـت تـاركهـم وكعـ ـبتنـا فـأمـر مـا بـدا لـك

ثم ترك عبد المطلب الحلقة، وتوجه في بعض تلك الوجوه مع قومه، وأصبح أبرهة بالمغمس، وقد تهيأ للدخول، وهيأ جيشه، وهيأ فيله، وكان فيلاً لم ير مثله في العظم والقوة، ويقال كان معه اثنا عشر فيلاً، فأقبل نفيل إلى الفيل الأعظم، ثم أخذ بإذنه، وقال له أبرك محمود وارجع راشداً من حيث جئت، فإنك ببلد الله الحرام، فبرك الفيل، فبعثوه فأبى، فضربوه بالمعول في رأسه، فأدخلوا محاجنهم تحت مراقه، ومرافقه، ففزعوه ليقوم فأبى فوجهوه راجعاً إلى اليمن، فقام يهرول ووجهوه إلى الشام، ففعل مثل ذلك، ووجوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه إلى الحرم، فبرك وأبى أن يقوم، وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل، وأرسل الله عزّ وجلّ طيراً من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجران في رجليه وحجر في منقاره أمثال الحمص، والعدس، فلما غشين القوم أرسلنها عليهم، فلم تصب تلك الحجارة أحداً إلا هلك، وليس كل قوم أصابت وخرجوا هاربين لا

وقال أيضاً:

لَا هُـمَّ إن الـعـبـد يـمـ ـنـع رحـلـه فـامـنـع رحـالـكْ
وانـصـرْ عـلـى آل الـصـلـ ـيـب وعـابـديـه الـيـوم آلـكْ
لا يـغـلـبـنّ صـلـيـبـهـم ومـحـالـهـم عـدوّاً مـحـالـكْ
جـرّوا جـمـوع بـلادهـم والـفـيـل كـي يـسـبـوا عـيـالـكْ
عـمـدوا حـمـاك بـكـيـدهـم جـهـلوا ومـا رقـبـوا جـلالـكْ
إن كـنـت تـاركـهـم وكـعْـ ـبـتـنـا فـأمـرْ مـا بـدا لـكْ

ثم ترك عبد المطّلب الحلقة وتوجّه في بعض تلك الوجوه مع قومه، وأصبح بأبرهة بالمغمس قد تهيّأ للدخول وهيّأ جيشه وهيّأ فيله وكان فيلاً عظيماً لم يُرَ مثله في العِظَم والقوّة، ويقال كان معه اثني عشر فيلاً، فأقبل نفيل إلى الفيل الأعظم ثم أخذ بأُذنه فقال: أبرك محمود وارجعْ راشداً من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام، فبرك الفيل فبعثوه فأبى فضربوه بالمِعوَل في رأسه فأبى، فأدخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه فنزعوه ليقوم فأبى، فوجّهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول، ووجّهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجّهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، فصرفوه إلى الحرم فبرك وأبى أن يقوم، وخرج نفيل يشتدّ حتى صعد في أعلى وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجران في رجليه وحجر في مِنقاره أمثال الحمص والعدس، فلما غشيت القوم أرسلنها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحداً إلّا هلك، وليس كل القوم أصابت وخرجوا هاربين لا يهتدون إلى الطريق الذي جاؤوا منه، وهم يتساءلون عن نفيل بن حبيب ليدلّهم على الطريق إلى اليمن، ونفيل ينظر إليهم من بعض تلك الجبال، فصرخ القوم وماجَ بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كلّ منهل، وبعث

يهتدون إلى الطريق الذي جاؤوا منه ويتساءلون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن، ونفيل ينظر إليهم من بعض الجبال وفي ذلك يقول نفيل:

فـإنـك مـا رأيـت ولـن تـراه لـدى حيـن المحصـب مـا رأينـا
حمـدت الله إذ أبصـرت طيـراً وحصـب حجـارة تلقـى علينـا
وكلهـم يسـائـل عـن نفيـل كـأن علـى للحبشـان دينـا

وخرج القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق، ويهلكون في كل منهل، وبعث الله على أبرهة داء في جسده، فجعل تتساقط أنامله كلما سقطت أنملة تبعتها مدة من قيح، ودم، فانتهى إلى صنعاء، وهو مثل فرخ الطّير، فيمن بقي من أصحابه، وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه، ثم هلك قال الواقدي: وأما محمود فيل النجاشي فربض ولم يشجع على الحرم، والفيل الآخر شجعوا، فحصبوا أي رموا بالحصباء، وقال بعضهم أنفلت أبو يكسوم وزير أبرهة، وتبعه طير، فحلّق فوق رأسه حتى بلغ النّجاشي فقص عليه القصة، فلما أنهاها وقع عليه حجر من ذلك الطير، فخر ميتاً بين يدي النجاشي قال أمية بن أبي الصّلت:

إن آيـات ربنـا سـاطعـات مـا يمـاري فيهـن إلا الكفـور
حبـس الفيـل بـالمغمـس حتـى ظـل يعـوي كـأنـه معقـور

وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت: رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة يستطعمان الناس، وزعم مقاتل بن سليمان أن السبب الذي جرأ أصحاب الفيل، أن فئة من قريش أججوا ناراً حين خرجوا تجاراً إلى أرض النّجاشي، فدنوا من ساحل البحر، وثم بيعة للنّصارى تسميها قريش الهيكل، فنزلوا فأججوا النّار واشتووا، فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف، فهاجت الريح، فاضطرم الهيكل ناراً فانطلق الصّريخ إلى النّجاشي فأسف غضباً للبيعة، فبعث أبرهة لهدم الكعبة، وكان في مكة يومئذ أبو مسعود الثقفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة، وكان رجلاً نبيهاً نبيلاً تستقيم الأمور برأيه، وكان خليلاً لعبد المطلب فقال له عبد المطلب: ماذا عندك فهذا يوم لا يستغنى فيه عن رأيك؟ فقال أبو مسعود اصعد بنا إلى حراء، فصعد الجبل فقال أبو مسعود لعبد المطلب اعمد إليّ مائة من الإبل، فاجعلها لله وقلدها نعلاً، واجعلها لله ثم أبثها في الحرم، فلعل بعض السودان يعقر منها شيئاً، فيغضب

الله على أبرهة داءً في جسده فجعل تتساقط منه أنامله كلما سقطتْ أُنملةٌ اتبعتها مدة من قيح ودم، فانتهى إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فيمَن بقي من أصحابه، وما مات حتى انصدع صدره من قلبه ثم هلك. قال الواقدي: وأما محمود فيل النجاشي فربض ولم يشجّع على الحرم فنجا والفيل الآخر شجعوا فحصبوا، وزعم مقاتل بن سليمان أن السبب الذي جرّأ أصحاب الفيل: أن فتية من قريش خرجوا تجّاراً إلى أرض النجاشي فدنوا من ساحل البحر ثـم بيعة للنصارى تسمّيها قريش الهيكل، فنزلوا فأجّجوا ناراً فاصطلوا فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف فهاجت الريح فاضطرم الهيكل ناراً فانطلق الصغير إلى النجاشي فأسف، واغتاظ غيظاً شديداً، فبعث أبرهة لهدم الكعبة، وقال فيه: إنه كان بمكة يومئذ أبو مسعود الثقفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة، وكان رجلاً نبيهاً نبيلاً تستقيم الأمور برأيه، وكان خليلاً لعبد المطّلب، فقال له عبد المطّلب: ماذا عندك هذا يوم لا يُستغنى فيه عن رأيك؟ فقال أبو مسعود: اصعد بنا إلى حرّاء فصعد الجبل، فقال أبو مسعود لعبد المطّلب: اعمد إلى مائة من الإبل فاجعلها لله وقلّدها نعلاً ثم أرسلها في الحرم لعلّ بعض هذه السودان يعقر منها شيئاً، فيغضب ربّ هذا البيت فيأخذهم، ففعل ذلك عبد المطّلب فعمد القوم إلى تلك الإبل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل

رب هذا البيت، فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم إلى تلك الإبل، فحملوا عليها، وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال أبو مسعود إن لهذا البيت رباً يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن صحن هذا البيت، وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه، وأظلم عليه ثلاثة أيام، فلما رأى تبع ذلك كساه القباطي البيض، وعظمه ونحر له جزوراً، فانظر نحو البحر، فنظر عبد المطلب فقال: أرى طيراً بيضاء نشأت من شاطىء البحر فقال ارمقها ببصرك أين قرارها قال أراها قد دارت على رؤوسنا، قال: هل تعرفها؟ قال والله ما أعرفها ما هي بنجدية، ولا بتهامية، ولا عربية، ولا شامية، قال: ما قدرها؟ قال: أشباه اليعاسيب في مناقيرها حصى، كأنها حصى الخذف قد أقبلت كالليل يتبع بعضها بعضاً أمام كل رفقة طير يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق، فجاءت حتى إذا حاذت عسكر القوم ركدت فوق رؤوسهم، فلما توافت الرجال كلهم أهالت الطير ما في مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه، ثم إنها رجعت من حيث جاءت فلما أصبحا انحطا من ذروة الجبل، فمشيا حتى صعدا ربوة، فلم يؤنسا أحداً ثم دنوا فلم يسمعا حساً فقال بات القوم سامرين، فأصبحوا نياماً فلما دنوا من عسكر القوم فإذا هم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة أحدهم فيخرقها حتى تقع في دماغه، وتخرق الفيل والدّابة ويغيب الحجر في الأرض من شدة وقعه، فعمد عبد المطلب، فأخذ فأساً من فؤوسهم، فحفر حتى أعمق في الأرض، فملأه من الذهب الأحمر، والجواهر، وحفر لصاحبه مثله فملاه ثم قال لأبي مسعود اختر إن شئت حفرتي وإن شئت حفرتك، وإن شئت فهما لك معاً فقال أبو مسعود فاختر لي على نفسك، فقال عبد المطلب إني أرى أجود المتاع في حفرتي فهي لك وجلس كل واحد منهما على حفرته ونادى عبد المطلب في الناس فتراجعوا، وأصابوا من فضلهما حتى ضاقوا به، وساد عبد المطلب بذلك قريشاً، وأعطته القادة فلم يزل عبد المطلب وأبو مسعود في أهليهما في غنى من ذلك المال، ودفع الله عزّ وجلّ عن كعبته، واختلفوا في تاريخ عام الفيل، فقيل كان قبل مولد النبي ﷺ بأربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة، والأصح الذي عليه الأكثرون من علماء السير، والتواريخ، وأهل التفسير أنه كان في العام الذي ولد فيه رسول الله ﷺ فإنهم يقولون ولد عام الفيل، وجعلوه تاريخاً لمولده ﷺ وأما التّفسير فقوله عزّ وجلّ ﴿ألم تر﴾ أي ألم تعلم، وذلك لأن هذه الواقعة كانت قبل مبعثه بزمان طويل إلا أن العلم بها كان حاصلاً عنده لأن الخبر بها كان مستفيضاً

عبد المطّلب يدعو، فقال أبو مسعود: إن لهذا البيت ربّاً يمنعه، فقد نزل تبّع ملك اليمن صحن هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه، وأظلم عليه ثلاثة أيام، فلما رأى تبّع ذلك كساه القباطي البيض، وعظّمه وتحوّله جزوراً، ثم قال أبو مسعود: انظر نحو البحر، فنظر عبد المطّلب فقال: أرى طيراً أبيض نشأت من شاطىء البحر، فقال: ارمقها ببصرك أين قرارها، قال: أراها قد دارت على رؤوسنا، قال: فهل تعرفها؟ قال: فوالله ما أعرفها ما هي بنجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية، قال: ما قدرها؟ قال أشباه اليعاسيب في مِنقارها حصى كأنها حصى الخذف، قد أقبلت كالليل يكسع، بعضُها بعضاً أمام كل رفقة طير يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق، فجاءه حتى إذا حازت بعسكر القوم ركدت فوق رؤوسهم، فلما توفّت الرجال كلها أهالت الطير ما في مناقرها على مَن تحتها، مكتوب في كل حجر اسم صاحبه، ثم أنها انصاعت راجعة من حيث جاءت، فلما أصبحا انحطّا من ذروة الجبل، فمشيا ربوة فلم يؤنسا أحداً ثم دنوا ربوة فلم يسمعا حِسّاً، فقالا: بات القوم سامرين، فأصبحوا نِياماً فلما دنوا من عسكر القوم فإذا هم خامدون، وكان يقع الحجر على بيضة أحدهم فيخرقها حتى يقع في دماغه ويخرق الفيل والدابّة ويغيب الحجر في الأرض من شدّة وقعه، فعمد عبد المطّلب فأخذ فأساً من فؤوسهم فحفر حتى أعمق في الأرض حُفرة فملأها من أموالهم من الذهب الأحمر والجوهر، وحفر لصاحبه حُفرة فملأها كذلك، ثم قال لأبي مسعود: هات فاختر إن شئت حُفرتي وإن شئت حُفرتك، وإن شئت فهما لك معاً، قال أبو مسعود: اخترْ لي على نفسك، فقال

معروفاً بمكة وإذا كان كذلك فكأنه ﷺ علمه وشاهده يقيناً، فلهذا قال تعالى ﴿**ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل**﴾، قيل كان معهم فيل واحد، وقيل كانوا فيلة ثمانية، وقيل اثني عشر وإنما وحده لأنه نسبهم إلى الفيل الأعظم الذي كان يقال له محمود، وقيل وإنما وحده لو فاق الآي، وفي قصة أصحاب الفيل دلالة عظيمة على قدرة الله تعالى وعلمه، وحكمته إذ يستحيل في العقل أن طيراً تأتي من قبل البحر تحمل حجارة ترمي بها ناساً مخصوصين، وفيها دلالة عظيمة على شرف محمد ﷺ ومعجزة ظاهرة له وذلك أن الله تعالى إنما فعل ذلك لنصر من ارتضاه، وهو محمد ﷺ الدّاعي إلى توحيده، وإهلاك من سخط عليه، وليس ذلك لنصرة قريش، فإنهم كانوا كفاراً لا كتاب لهم، والحبشة لهم كتاب فلا يخفى على عاقل، أن المراد بذلك نصر محمد ﷺ فكأنه تعالى قال أنا الذي فعلت ما فعلت بأصحاب الفيل تعظيماً لك، وتشريفاً لقدومك، وإذ قد نصرتك قبل قدومك فكيف أتركك قبل ظهورك.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥﴾

﴿**ألم يجعل كيدهم**﴾ يعني مكرهم، وسعيهم في تخريب الكعبة ﴿**في تضليل**﴾ أي تضييع وخسار، وإبطال ما أرادوا أضل كيدهم، فلم يصلوا إلى ما أرادوا من تخريب البيت، بل رجع كيدهم عليهم، فخربت كنيستهم، واحترقت، وهلكوا وهو قوله تعالى: ﴿**وأرسل عليهم طيراً أبابيل**﴾ يعني طيراً كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضاً، وقيل أبابيل أقاطيع كالإبل المؤبلة، وقيل أبابيل جماعات في تفرقة قيل لا واحد لها من لفظها، وقيل واحدها أبالة، وقيل أبيل، وقيل أبول مثل عجول قال ابن عباس: كانت طيراً لها خراطيم، كخراطيم الطير، وأكف كأكف الكلاب، وقيل رؤوس كرؤوس السباع، وقيل لها أنياب كأنياب السباع، وقيل طير خضر لها مناقير صفر، وقيل طير سود جاءت من قبل البحر فوجاً فوجاً مع كل طائر ثلاثة أحجار، حجران في رجليه، وحجر في منقاره لا تصيب شيئاً إلا هشمته، ووجه الجمع بين هذه الأقاويل في اختلاف أجناس هذه الطير أنه كانت فيها هذه الصفات كلها فبعضها على ما حكاه

عبد المطّلب: إني لم أرَ أن أجعل أجود المتاع في حُفرتي فهو لك، وجلس كل واحد منهما على حُفرته، ونادى عبد المطّلب في الناس فتراجعوا وأصابوا من فضلهما حتى ضاقوا به ذرعاً، وساد عبد المطّلب بذلك قريشاً وأعطته القيادة، فلم يزل عبد المطّلب وأبو مسعود في أهليهما في غنىً من ذلك المال، ودفع الله عن كعبته وبيته.
واختلفوا في تاريخ عام الفيل، فقال مقاتل: كان قبل مولد النبي ﷺ بأربعين سنة. وقال الكلبي: بثلاث وعشرين سنة. والأكثرون على أنه كان في العام الذي وُلِدَ فيه رسول الله ﷺ. قوله عزّ وجلّ: ﴿ **ألم ترَ كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل** ﴾؟ قال مقاتل: كان معهم فيل واحد. وقال الضحّاك: كانت الفيلة ثمانية. وقيل: اثني عشر سوى الفيل الأعظم، وإنما وحّد لأنه نسبهم إلى الفيل الأعظم. وقيل: لِوفَاق رُؤوس الآي.

﴿ **ألم يجعلْ كيدهم في تضليل** ﴾، كيدهم يعني مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة. وقوله: **في تضليل** عمّا أرادوا ضلّل كيدهم حتى لم يصلوا إلى الكعبة، وإلى ما أرادوه بكيدهم. قال مقاتل: في خسارة. وقيل: في بلاطن.

﴿ **وأرسل عليهم طيراً أبابيل** ﴾، كثيرة متفرّقة يتبع بعضها بعضاً. وقيل: أقاطيع كالإبل المؤبلة. قال أبو عبيدة: أبابيل جماعات في تفرقة، يقال: جاءت الخيل أبابيل من ههنا وههنا. قال الفرّاء: لا واحد لها، من لفظها. وقيل: واحدها إبالة. وقال الكسائي: إني كنت أسمع النحويين يقولون واحدها أبول، مثل عجول وعجاجيل. وقيل: واحدها من لفظها أبيل. قال ابن عباس: كانت طيراً لها خراطيم كخراطيم الطير وأكفّ كأكفّ الكلاب. وقال

ابن عباس، وبعضها على ما حكاه غيره، فأخبر كل واحد بما بلغه من صفاتها، والله أعلم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**ترميهم بحجارة**﴾ قال ابن مسعود: صاحت الطّير، ورمتهم بالحجارة، وبعث الله ريحاً، فضربت بالحجارة، فزادتها شدة، فما وقع حجر منها على رجل إلا خرج من الجانب الآخر، وإن وقع على رأسه خرج من دبره ﴿**من سجيل**﴾ قيل السّجيل اسم علم للدّيوان الذي كتب فيه عذاب الكفار، واشتقاقه من الأسحال، وهو الإرسال، والمعنى ترميهم بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون بما كتب الله في ذلك الكتاب، وقيل معناه من طين مطبوخ كما يطبخ الأجر، وقيل سجيل حجر، وطين مختلط، وأصله سنك، وكل فارسي معرب، وقيل سجيل الشّديد. ﴿**فجعلهم كعصف مأكول**﴾ يعني كزرع وتبن أكلته الدّواب، ثم راثته، فيبس، وتفرقت أجزاؤه شبه تقطع أوصالهم، وتفرقها بتفرق أجزاء الرّوث، وقيل العصف ورق الحنطة، وهو التبن، وقيل كالحب إذا أكل، فصار أجوف وقال ابن عباس: هو القشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف، والله تعالى أعلم.

عكرمة: لها رؤوس كرؤوس السِّباع. قال الربيع: لها أنياب كأنياب السِّباع. وقال سعيد بن جبير: خضر لها مناقير صفر. وقال قتادة طير سود جاءت من قبل البحر فوجاً فوجاً مع كل طائر ثلاثة أحجار حجران في رجليه وحجر في مِنقاره لا تصيب شيئاً إلاّ هشمته.

﴿ **ترميهم بحجارة من سجّيل** ﴾، قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة فبعث الله ريحاً فضربت الحجارة فزادتها شدّة فما وقع منها حجر على رجل إلاّ خرج من الجانب الآخر، وإن وقع على رأسه خرج من دُبره.

﴿ **فجعلهم كعصف مأكول** ﴾، كزرع وتين أكلته الدواب فراثته فيبس وتفرّقت أجزاؤه، شبّه تقطّع أوصالهم بتفرّق أجزاء الروث. قال مجاهد: العصف ورق الحنطة. وقال قتادة: هو التبن. وقال عكرمة: كالحبّ إذا أكل فصار أجوف. وقال ابن عباس: هو القشر الخارج الذي يكون على حبّ الحنطة كهيئة الغلاف له.



سورة قريش

مكية وقيل مدنية والأول أصح وأكثر وهي أربع آيات وسبع عشرة كلمة وثلاثة وسبعون حرفاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿**لإيلاف قريش**﴾ اختلفوا في هذه اللام، فقيل هي متعلقة بما قبلها وذلك أن الله تعالى ذكر أهل مكة عظيم نعمته عليهم بما صنع بالحبشة، فقال فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش، أي هلك أصحاب الفيل لتبقى قريش، وما ألفوا من رحلة الشتاء والصيف، ولهذا جعل أبي بن كعب هذه السّورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما في مصحفه ببسم الله الرحمن الرحيم والذي عليه الجمهور من الصحابة وغيرهم، وهو المشهور أن هذه السّورة منفصلة عن سورة الفيل وأنه لا تعلق بينهما وأجيب عن مذهب أبي بن كعب في جعل هذه السّورة، والسورة التي قبلها سورة واحدة بأن القرآن كالسورة الواحدة يصدق بعضه بعضاً ويبين بعضه معنى بعض وهو معارض أيضاً بإطباق الصّحابة، وغيرهم على الفصل بينهما، وأنهما سورتان فعلى هذا القول اختلفوا في العلة الجالبة للام في قوله ﴿**لإيلاف**﴾، فقيل هي لام التعجب، أي اعجبوا الإيلاف قريش رحلة الشّتاء والصّيف، وتركهم عبادة رب هذا البيت، ثم أمرهم بعبادته، فهو كقوله على وجه التعجب اعجبوا لذلك، وقيل هي متعلقة بما بعدها تقديره، فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف، أي ليجعلوا عبادتهم شكراً لهذه النعمة والإيلاف من ألفت الشيء إلفاً وهو بمعنى الإئتلاف فيكون المعنى لإيلاف قريش هاتين الرحلتين فتتصلا ولا تتقطعا، وقيل هو من ألفت كذا، أي لزمته وألفنيه الله ألزمنيه الله، وقريش هم ولد النضر بن كنانة، فكل من ولده النضر، فهو من قريش، ومن لم يلده النضر، فليس بقرشي (م) عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى

سُوْرَة قُرَيش

مكيّة وهي أربع آيات.

﴿ **لإيلافِ قريشٍ** ﴾، قرأ أبو جعفر (ليلاف) بغير همز (إلا فهم) طلباً للخفّة، وقرأ ابن عامر (لالآف) بهمزة مختلسة من غير ياء بعدها، وقرأ الآخرون بهمزة مشبعة وياء بعدها، واتفقوا غير أبي جعفر في ﴿ **إيلافهم** ﴾ أنها بياء بعد الهمزة إلّا عبد الوهاب بن فليح عن ابن كثير فإنه قرأ (الفهم) ساكنة اللام بغير ياء وعدّ بعضهم سورة الفيل. وهذه السورة واحدة منهم أُبيّ بن كعب لا فصل بينهما في مصحفه، وقالوا: اللام في ﴿ **لإيلاف** ﴾ تتعلق بالسورة التي قبلها، وذلك أن الله تعالى ذكّر أهلَ مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة، وقال: ﴿ **لإيلاف قريش** ﴾، وقال الزجّاج: المعنى جعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش، أي هلك أصحاب الفيل لتبقى قريش، وما أَلِفوا من

قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» (م) عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «الناس تبع لقريش في الخير والشر» (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «إن الناس تبع لقريش في هذا الشّأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم» عن سعيد بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ «من أراد هوان قريش أهانه الله» أخرجه التّرمذي وقال حديث حسن غريب عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «اللهم أذقت أول قريش نكالاً، فأذق آخرهم نوالاً» أخرجه التّرمذي وقال حديث حسن صحيح غريب.

النكال: العذاب، والمشقة، والشّدة، والنّوال: العطاء، والخير، وسموا قريشاً من القرش، والتقريش وهو الجمع، والتكسب، يقال فلان يقرش لعياله، ويقترش لهم، أي يكتسب وذلك لأن قريشاً كانوا قوماً تجاراً وعلى جمع المال، والأفضال حراصاً، وقال أبو ريحانة سأل معاوية عبد الله بن عباس لم سميت قريش قريشاً قال لدابة تكون في البحر هي من أعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين إلا أكلته، وهي تأكل ولا تؤكل وتعلو، ولا تعلى، قال وهل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم وأنشده شعر الجمحي.

وقـريـش هـي التـي تسكـن البحـ ـر بهـا سميـت قـريـش قـريشـا
سلطـت بـالعلـو فـي لجـة البحـ ـر وعلـى سـائـر البحـور جيـوشـا
تـأكـل الغـث والسميـن ولا تتـ ـرك فيـه لـذي الجنـاحيـن ريشـا
هكـذا فـي الكتـاب حـي قـريـش يـأكلـون البـلاد أكـلاً كشيشـا

رحلة الشتاء والصيف. وقال مجاهد: أَلِفوا ذلك فلا يشقّ عليهم في الشتاء والصيف، والعامّة على أنهما سورتان، واختلفوا في العلّة الجالبة للام في قوله: ﴿لإيلاف﴾ قال الكسائي والأخفش: هي لام التعجّب، يقول: أعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، وتركهم عبادة ربِّ هذا البيت، ثم أمرهم بعبادته كما الحبشة يقال له الأسود بن مسعود على مقدمة خيله وأمره بالغارة على نَعَمِ الناس، فجمع الأسود إليه أموال تقول في الكلام لزيد وإكرامنا إيّاه على وجه التعجّب، أي اعجبوا لذلك، والعرب إذا جاءت بهذه اللام اكتفوا بها دليلاً على التعجّب من إظهار الفعل منه. وقال الزجّاج: هي مردودة إلى ما بعدها تقديره: فليعبدوا ربَّ هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف. وقال ابن عيينة: لنعمتي على قريش، وقريش هم ولد النضر بن كنانة، وكلّ من ولده النضر فهو قرشي، ومَن لم يلده النضر فليس بقرشي، أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي أنا عبد الله بن مسلم أبو بكر الجوربردي ثنا يونس بن عبد الأعلى الصدفي أنا بشر بن بكر عن الأوزاعي حدّثني شدّاد أبو عمّار ثنا واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»، وسُمّوا قريشاً من القرش والتقرّش وهو التكسّب والجمع، يقال: فلان يقرش لعياله ويقترش أي يكتسب وهم كانوا تجّاراً حرصاً على جمع المال والأفضال. وقال أبو ريحانة: سأل معاوية عبد الله بن عباس لِمَ سُمّيت قريش قريشاً؟ قال: لدابّة تكون في البحر من أعظم دوابّه يقال لها القرش لا تمرّ بشيء من الغثّ والسمين إلاّ أكلته، وهي تأكل ولا تُؤكل، وتعلو ولا تُعلى، قال: وهل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم، فأنشده شعر الجمحي:

وقـريش هي التـي تسكن البحـ ـر سـمّيت قـريش قـريـشا
سلّطت بـالعلو في لـجّـة البحـ ـر على سائر البحور جيوشا
تـأكـل الغثّ والسمين ولا تـتـ ـرك فيـه لـذي الجناحين ريشا
هـكـذا في البـلاد حيّ قـريش يـأكلون البـلاد أكـلاً كـميشا

ولهـم فـي آخـر الـزمـان نبـي   يكثـر القتـل فيهـم والخمـوشـا
يمـلأ الأرض خيلـة ورجـالاً   يحشـرون المطـي حشـراً كميشـا

وقيل إن قريشاً كانوا متفرقين في غير الحرم، فجمعهم قصي بن كلاب، وأنزلهم الحرم فاتخذوه مسكناً فسموا قريشاً لتجمعهم، والتقرش التجمع يقال تقرش القوم إذا تجمعوا، وسمي قصي مجمعاً لذلك قال الشاعر:

أبـوكـم قصـي كـان يـدعـى مجمعـا   بـه جمـع الله القبـائـل مـن فهـر

﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾

وقوله تعالى: ﴿إيلافهم﴾ هو بدل من الأول تفخيماً لأمر الإيلاف، وتذكيراً لعظم المنة فيه. ﴿رحلة الشتاء والصيف﴾ قال ابن عباس كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف فأمرهم الله تعالى أن يقيموا بالحرم، ويعبدوا رب هذا البيت، وقال الأكثرون كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة: رحلة في الشتاء إلى اليمن لأنها أدفأ، ورحلة في الصيف إلى الشام، وكان الحرم وادياً مجدباً لا زرع فيه، ولا ضرع، وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم، وكانوا لا يتعرض لهم أحد بسوء، وكانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولاة بيته وكانت العرب تكرمهم، وتعزهم، وتعظمهم لذلك، فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الأمن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف، فشق عليهم الاختلاف إلى اليمن والشام، فأخصبت بتالة وجرش من بلاد اليمن، فحملوا الطعام إلى مكة، أهل الساحل حملوا طعامهم في البحر على السفن إلى مكة وأهل البر حملوا على الإبل والحمير فألقى أهل الساحل بجدة وأهل البر بالمحصب وأخصب الشام فحملوا الطعام إلى مكة وألفوا بالأبطح فامتار أهل مكة من قريب، وكفاهم الله مؤنة الرحلتين جميعاً وقال ابن عباس: كانوا في ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين، فكانوا يقسمون ربحهم

ولـهم فـي آخـر الـزمـان نـبيّ   يُكثـر القتـل فيهم والخمـوشـا

قوله تعالى: ﴿ إيلافهم ﴾، بدل من الإيلاف الأول، ﴿ رحلة الشتاء والصيف ﴾، ﴿ رحلة ﴾ نصب على المصدر، أي ارتحالهم رحلة الشتاء والصيف. روى عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانوا يشتُون بمكة ويصيْفون بالطائف فأمرهم الله تعالى أن يقيموا بالحرم ويعبدوا ربَّ هذا البيت. وقال الآخرون: كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة إحداهما في الشتاء إلى اليمن لأنها أدفأ، والأخرى في الصيف إلى الشام. وكان الحرم وادياً جدباً لا زرع فيه ولا ضرع، وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم، وكان لا يتعرّض لهم أحد بسوء، كـانوا يقولون: قريش سكان حرم الله وولاة بيته فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة، ولولا الأمن بجوار البيت لم يقدروا على التصرّف، وشقّ عليهم الاختلاف إلى اليمن والشام فأخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن، فحملوا الطعام إلى مكة أهل الساحل من البحر على السفن وأهل البرّ على الإبل والحمير فألقى أهلُ الساحل بجدّة، وأهل البرّ بالمحصّب، وأخصب الشام فحملوا الطعام إلى مكة فألقوا بالأبطح، فامتاروا من قريب وكفاهم الله مؤونة الرحلتين، وأمرهم بعبادة ربِّ البيت.

فقال: ﴿ فليعبدوا ربَّ هذا البيت ﴾، أي الكعبة.

﴿ الذي أطعمهم من جوع ﴾، أي من بعد جوع بحمل الميرة إلى مكة، ﴿ وآمنهم من خوف ﴾، بالحرم

بين الغني، والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم، وقال الكلبي: كان أول من حمل السمراء يعني القمح إلى الشام، ورحل إليها الإبل هاشم بن عبد مناف وفيه يقول الشاعر:

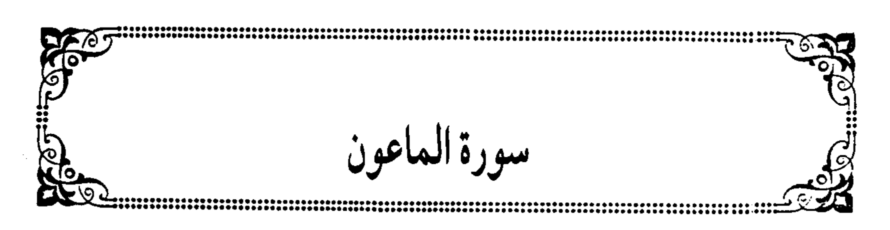
قــل للّــذي طلــب السّمــاحــة والنّــدى ... هــــلاّ مــــررت بـــآل عبـــد منـــاف
هــلا مــررت بهــم تــريــد قــراهــم ... منعــوك مـــن ضـــر ومـــن إكفـــاف
الـــرّائشيـــن وليـــس يـــوجـــد رائـــش ... والقـــائليـــن هلـــم لـــلأضيـــاف
والخـــالطيـــن غنيهـــم بفقيـــرهـــم ... حتـــى يكـــون فقيـــرهـــم كـــالكـــافـــي
والقـــائميـــن بكـــل وعـــد صـــادق ... والـــرّاحليـــن بـــرحلـــة الإيـــلاف
عمـــرو العـــلا هشيـــم الثّـــريـــد لقـــومـــه ... ورجـــال مكـــة مسنتـــون عجـــاف
سفـــريـــن سنهمـــا لـــه ولقـــومـــه ... سفـــر الشتـــاء ورحلـــة الأصيـــاف

قوله عزّ وجلّ: ﴿فليعبدوا رب هذا البيت﴾ يعني الكعبة، وذلك أن الأنعام على قسمين أحدهما: دفع ضر، وهو ما ذكره في سورة الفيل، والثاني جلب نفع، وهو ما ذكره في هذه السّورة، ولما دفع الله عنهم الضّر، وجلب لهم النفع، وهما نعمتان عظيمتان أمرهم بالعبودية، وأداء الشكر، وقيل إنه تعالى لما كفاهم أمر الرّحلتين أمرهم أن يشتغلوا بعبادة رب هذا البيت. فإنه هو ﴿الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ ومعنى الذي أطعمهم من جوع، أي من بعد جوع بحمل الميرة إليهم من البلاد في البر والبحر، وقيل في معنى الآية أنهم لما كذبوا محمداً ﷺ دعا عليهم، فقال اللّهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاشتد عليهم القحط، وأصابهم الجوع، والجهد، فقالوا: يا محمد ادع الله لنا فإنا مؤمنون فدعا رسول الله ﷺ فأخصبت البلاد، وأخصبت أهل مكة بعد القحط، والجهد، فذلك قوله تعالى ﴿الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾، أي بالحرم وكونهم من أهل مكة حتى لم يتعرض لهم أحد في رحلتهم، وقيل آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام، وقيل آمنهم بمحمد ﷺ وبالإسلام والله أعلم.

وكونهم من أهل مكة حتى لم يتعرّض لهم في رحلتهم. وقال عطاء عن ابن عباس: إنهم كانوا في ضرٍّ ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين، وكانوا يقسمون ربحهم بين الفقير والغني حتى كان فقيرهم كغنيِّهم. قال الكلبي: وكان أول مَن حمل السمراء من الشام ورحل إليها الإبل هاشم بن عبد مناف وفيه يقول الشاعر:

قـلْ للذي طلب السماحة والندى ... هــلّا مــررت بــآل عبـدِ مَنـافِ
هــلَّا مـررتَ بهم تـريـد قِـرَاهم ... منعـوكَ مـن ضَـرّ ومن أكـفـافِ
الـرائشيـنَ وليسَ يُـوجـدُ رائِش ... والـقـائـلين هـلمَّ لـلأضـيـافِ
والـخـالـطين فـقيـرَهـم بغنيِّهم ... حتى يكـونَ فقيـرُهم كـالكـافي
والقـائمين بكـل وعـدٍ صـادق ... والـراحـلينَ بـرحـلةِ الإيـلافِ
عَمْـرُو العَلا هَشَمَ الثريـدَ لقومه ... ورجـالُ مكـةَ مسنتـون عجـافِ
سَفَـرَيْنِ سنّهمـا لـه ولقـومـه ... سفـرَ الشتـاءِ ورحلةَ الأصيـافِ

وقال الضحاك والربيع وسفيان: ﴿ وآمنهم من خوف ﴾ من خوف الجذام، فلا يصيبهم ببلدهم الجذام.



سورة الماعون

مكية وقيل نزل نصفها بمكة في العاص بن وائل والنصف الثاني بالمدينة في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق.

وهي سبع آيات وخمس وعشرون كلمة ومائة وخمسة وعشرون حرفاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين﴾ قيل نزل في العاص بن وائل السّهمي، وقيل في الوليد بن المغيرة، وقيل في عمرو بن عائد المخزومي، وفي رواية عن ابن عباس أنها في رجل من المنافقين، ومعنى الآية هل عرفت الذي يكذب بيوم الجزاء، والحساب، فإن لم تعرفه.

فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

﴿**فذلك الذي يدع اليتيم**﴾ ولفظ أرأيت استفهام، والمراد به المبالغة في التّعجب من حال هذا المكذب بالدّين وهو خطاب للنبي ﷺ، وقيل هو خطاب لكل واحد، والمعنى أرأيت يا أيها الإنسان أو يا أيّها العاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلائله، ووضوح بيانه، فكيف يليق به ذلك الذي يدع اليتيم، أي يقهره، ويدفعه عن حقه، والدع الدفع بعنف، وجفوة، والمعنى أنه يدفعه عن حقه، وماله بالظلم، وقيل يترك المواساة له وإن لم تكن المواساة واجبة، وقيل يزجره، ويضربه، ويستخف به، وقرىء يدعو بالتخفيف، أي يدعوه ليستخدمه قهراً واستطالة. ﴿**ولا يحض على طعام المسكين**﴾ أي لا يطعمه ولا يأمر بإطعامه لأنه يكذب بالجزاء، وهذا غاية البخل، لأنه يبخل بماله وبمال غيره بالإطعام.

سُورَة المَاعُون

مكيّة وهي سبع آيات.

﴿ **أرأيتَ الذي يُكذّب بالدين** ﴾، قال مقاتل: نزلت في العاص بن وائل السهمي. وقال السدي ومقاتل بن حيان وابن كيسان: في الوليد بن المغيرة. قال الضحاك: نزلت في عمرو بن عائذ المخزومي. وقال عطاء عن ابن عباس: في رجل من المنافقين. ومعنى يُكذّب بالدين أي بالجزاء والحساب.

﴿ **فذلك الذي يدعُّ اليتيم** ﴾، يقهره ويدفعه عن حقه، والدع: الدفع بالعنف والجفوة.

﴿ **ولا يحضّ على طعام المسكين** ﴾، لا يطعمه ولا يأمر بإطعامه لأنه يكذب بالجزاء.

قوله تعالى: ﴿فويل للمصلين﴾ يعني المنافقين، ثم نعتهم فقال تعالى: ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ روى البغوي بسنده عن سعد «سئل قال رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال إضاعة الوقت» وقال ابن عباس: هم المنافقون يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس. ويصلون في العلانية إذا حضروا معهم لقوله تعالى ﴿الذين هم يراؤون﴾ وقال تعالى في وصف المنافقين ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس﴾، وقيل ساه عنها لا يبالي صلى أو لم يصل، وقيل لا يرجون لها ثواباً إن صلوا ولا يخافون عليها عقاباً إن تركوا، وقيل غافلون عنها ويتهاونون بها، وقيل هم الذين إن صلوا صلوها رياء وإن فاتتهم لم يندموا عليها وقيل هم الذين لا يصلونها لمواقيتها، ولا يتمون ركوعها، ولا سجودها، وقيل لما قال تعالى عن صلاتهم ساهون بلفظة عن علم أنها في المنافقين، والمؤمن قد يسهو في صلاته والفرق بين السهوين أن سهو المنافق هو أن لا يتذكرها، ويكون فارغاً عنها، والمؤمن إذا سها في صلاته تداركه في الحال، وجبره بسجود السهو فظهر الفرق بين السّهوين، وقيل السّهو عن الصّلاة هو أن يبقى ناسياً لذكر الله في جميع أجزاء الصّلاة، وهذا لا يصدر إلا من المنافق الذي يعتقد أنه لا فائدة في الصّلاة، فأما المؤمن الذي يعتقد فائدة صلاته، وأنها عليه واجبة، ويرجوا الثواب على فعلها، ويخاف العقاب على تركها، فقد يحصل له سهو في الصّلاة يعني أن يصير ساهياً في بعض أجزاء الصّلاة بسبب وارد يرد عليه بوسوسة الشّيطان أو حديث النّفس، وذلك لا يكاد يخلو منه أحد، ثم يذهب ذلك الوارد عنه، فثبت بهذا الفرق أن السّهو عن الصّلاة من أفعال المنافق والسّهو في الصّلاة من أفعال المؤمن. ﴿الذين هم يراؤون﴾ يعني يتركون الصّلاة في السّر ويصلونها في العلانية، والفرق بين المنافق، والمرائي أن المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الإيمان، والمرائي يظهر الأعمال مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه أنه من أهل الدّين والصّلاح أما من يظهر النّوافل ليقتدى به ويأمن على نفسه من الرّياء، فلا بأس بذلك وليس بمراء ثم وصفهم بالبخل. فقال تعالى: ﴿ويمنعون الماعون﴾ روي عن علي أنه قال هي الزكاة، وهو قول ابن عمر والحسن، وقتادة، والضحاك ووجه ذلك أن الله تعالى ذكرها بعد الصلاة فذمهم على ترك الصّلاة، ومنع الزكاة وقال ابن مسعود: الماعون الفاس والدلو والقدر، وأشباه ذلك، وهي رواية عن ابن عباس، ويدل عليه ما روي عنه قال كنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارية الدّلو، والقدر، أخرجه أبو داود، وقال مجاهد: الماعون

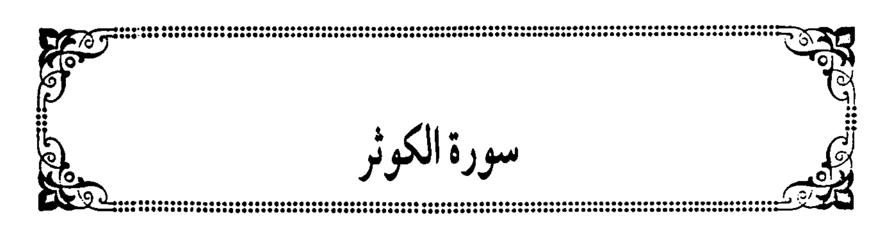
﴿ فويلٌ للمصلّين * الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفّار أنا أبو جعفر محمد بن غالب بن تمام الضبّي ثنا حَرَمي بن حفص القسملي ثنا عكرمة بن إبراهيم الأزدي ثنا عبد الكريم بن عمير عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه قال: سُئِلَ رسول الله ﷺ عن ﴿ الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾، قال: «إضاعة الوقت»، قال ابن عباس: هم المنافقون يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس، ويصلّونها في العلانية إذا حضروا.

لقوله تعالى: ﴿ الذين هم يُراؤون ﴾، وقال في وصف المنافقين: «وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يُرَاؤُون النّاسَ»، وقال قتادة: ساهٍ عنها لا يبالي صلّى أم لم يُصلِّ. قيل: لا يرجون لها ثواباً إن صلّوا ولا يخافون عقاباً إن تركوا. وقال مجاهد: غافلون عنها يتهاونون بها. وقال الحسن: هو الذي إن صلّاها صلّاها رياءً، وإن فاتته لم يندم. وقال أبو العالية: لا يصلّونها لمواقيتها ولا يتمّون ركوعها وسجودها.

﴿ ويمنعون الماعون ﴾، رُوِيَ عن عليّ رضي الله عنه أنه قال: هي الزكاة، وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة والضحاك. وقال عبد الله بن مسعود: الماعون الفأس والدلو والقدر وأشباه ذلك، وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال مجاهد: الماعون العارية. وقال عكرمة: أعلاها الزكاة المعروفة، وأدناها عارية المتاع. وقال محمد بن كعب والكلبي: الماعون المعروف الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم. قال قطرب: أصلِ الماعون من القلّة،

العارية وقال عكرمة: الماعون أعلاه الزكاة المفروضة، وأدناه عارية المتاع، وقال محمد بن كعب القرظي، الماعون المعروف كله الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم وقيل أصل الماعون من القلة فسمي الزّكاة والصّدقة، والمعروف ماعوناً لأنه قليل من كثير، وقيل الماعون ما لا يحل منعه مثل الماء، والملح، والنار، ويلتحق بذلك البئر، والتنور في البيت فلا يمنع جيرانه من الانتفاع بهما، ومعنى الآية الزجر عن البخل بهذه الأشياء القليلة الحقيرة، فإن البخل بها في نهاية البخل قال العلماء ويستحب أن يستكثر الرجل في بيته مما يحتاج إليه الجيران فيعيرهم ويتفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب والله أعلم.

تقول العرب: ما له سعة ولا منعة، أي شيء قليل، فسمّى الزكاة والصدقة والمعروف ماعوناً لأنه قليل من كثير. وقيل: الماعون ما لا يحلّ منعه مثل الماء والملح والنار.



سورة الكوثر

وهي مكية قاله ابن عباس والجمهور، وقيل إنها مدنية قاله الحسن وعكرمة، وقتادة وهي ثلاث آيات وعشر كلمات واثنان وأربعون حرفاً

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾ نهر في الجنة أعطاه الله محمداً ﷺ، وقيل الكوثر القرآن العظيم، وقيل هو النّبوة، والكتاب، والحكمة، وقيل هو كثرة أتباعه، وأمته، وقيل الكوثر الخير الكثير كما فسره ابن عباس (خ) عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه، قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير أن ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه، وأصل الكوثر فوعل من الكثرة، والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد أو كثير القدر والخطر كوثراً، وقيل الكوثر الفضائل الكثيرة التي فضل بها على جميع الخلق فجميع ما جاء في تفسير الكوثر فقد أعطيه النبي ﷺ أعطي النبوة، والكتاب، والحكمة، والعلم، والشفاعة، والحوض المورود، والمقام المحمود، وكثرة الأتباع، والإسلام، وإظهاره على الأديان كلها، والنّصر على الأعداء، وكثرة الفتوح في زمنه وبعده إلى يوم القيامة.

وأولى الأقاويل في الكوثر الذي عليه جمهور العلماء، أنه نهر في الجنة كما جاء مبيناً في الحديث (ق) عن أنس قال «بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءه ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال أنزلت علي آنفاً سورة، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر**﴾، ثم قال أتدرون ما الكوثر، قلنا الله ورسوله أعلم قال، فإنه نهر وعدنيه ربي عزّ وجلّ فيه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة. آنيته عدد نجوم السماء، فيختلج العبد منهم، فأقول رب إنه من أمتي. فيقول ما تدري ما أحدث بعدك» لفظ مسلم وللبخاري قال: قال رسول الله ﷺ «لما عرج بي إلى السّماء أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقلت ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فإذا طينه أو طينته مسك أذفر» شك الراوي عن أنس رضي الله عنه قال «سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر قال ذلك نهر أعطانيه الله يعني في الجنة أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من

سُوْرَة الكَوْثَر

مكيّة وهي ثلاث آيات.

﴿ **إنّا أعطيناك الكوثر** ﴾، أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجّاج ثنا أبو بكر بـن أبي شيبة ثنا علي بن مسهر عن المختار يعني بـن فلفل عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذا أغفي إغفاءةً ثم رفع رأسه متبسّماً،

العسل فيه طير أعناقها، كأعناق الجزور قال عمر إن هذه لناعمة فقال رسول الله ﷺ أكلتها أنعم منها» أخرجه الترّمذي، وقال حديث حسن صحيح.

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر، والياقوت تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج» أخرجه الترّمذي، وقال حديث حسن صحيح (خ) «عن عامر بن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال سألت عائشة عن قوله تعالى ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾، فقالت الكوثر نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه در مجوف آنيته كعدد نجوم السماء» (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها لا يظمأ أبداً» زاد في رواية «وزواياه سواء» (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال «أمامكم حوضي ما بين جنبيه كما بين جربا وأذرح» قال بعض الرواة هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة أيام، وفي رواية «فيه أباريق كنجوم السّماء من ورده فشرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبد» (ق) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «ما بين ناحيتي وفي رواية لابتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة» وفي رواية «مثل ما بين المدينة وعمان» وفي رواية قال «إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء» (م) عن أبي ذر رضي الله عنه قال «قلت يا رسول الله ما آنية الحوض قال والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء، وكواكبها ألا في الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ عرضه، مثل طوله ما بين عمان إلى أيلة ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل» (م) عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إني لبعقر حوضي أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي، أي حتى يرفض عليهم، فسئل عن عرضه فقال من مقامي إلى عمان وسئل عن شرابه فقال أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما: من ذهب، والآخر من الورق» (ق) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أنا فرطكم على الحوض وليرفعن إلى رجال منكم حتى إذا أهويت إليهم لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول أي ربي أصحابي، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» (ق) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رفعوا إليّ اختلجوا دوني، فلأقولن أي رب أصحابي أصحابي فليقالن لي إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» وفي رواية «يردن على ناس من أمتي الحديث» وفي آخره «فأقول سحقاً لمن بدل بعدي» (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال إن رسول الله ﷺ قال «يرد على يوم القيامة رهطان من أصحابي أو قال من أمتي فيجلون عن الحوض، فأقول رب أصحابي، فيقول إنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى» ولمسلم أن رسول الله ﷺ قال «ترد على أمتي الحوض، وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله قالوا أيا نبي الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لأحد غيركم تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون إليّ فأقول يا رب هؤلاء من أصحابي فيجيبني ملك فيقول وهل تدري ما أحدثوا بعدك»

فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «نزلت عليّ آنفاً سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا أعطيناك الكوثر * فصلِّ لربّك وانحرْ * إنّ شانئك هو الأبتر﴾، ثم قال: تـدرون ما الكوثـر»؟ قلنا: اللَّهُ ورسولُه أعلم، قال: «فإنه نهر وعدنيه ربّي فيه خير كثير هو حوض تَرِدُ عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم، فأقول: ربِّ إنه منّي، فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك». أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عمرو بن محمد ثنا هاشم ثنا أبو بشر وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: قال الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إيّاه. قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير: إنّ أُناساً يزعمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إيّاه. قال الحسـن: هو

(ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده لأذودن رجالاً عن حوضي كما تذاد الغريبة من الإبل عن الحوض» (م) عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إن حوضي لأبعد من أيلة إلى عدن، والذي نفسي بيده لأذودن عنه الرجل كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن إبله قالوا يا رسول الله وتعرفنا؟ قال نعم تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء ليس لأحد غيركم» عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال «كنا مع رسول الله ﷺ فنزلنا منزلاً فقال ما أنتم إلا جزء من مائة ألف جزء ممن يرد على الحوض، قيل كم كنتم يومئذ قال سبعمائة أو ثمانمائة» أخرجه أبو داود.

(فصل في شرح هذه الأحاديث وذكر ما يتعلق بالحوض)

قال الشّيخ محي الدّين النّووي: قال القاضي عياض أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة، والجماعة لا يتأول، ولا يختلف فيه، وحديثه متواتر النقل رواه الخلائق من الصحابة، فذكره مسلم من رواية ابن عمر وأبي سعيد، وسهل بن سعد، وجندب بن عبد الله، وعبدالله بن عمر وعائشة وأم سلمة، وعقبة بن عامر، وابن مسعود، وحذيفة، وحارثة بن وهب، والمستورد وأبي ذر وثوبان، وأنس، وجابر بن سمرة، ورواه غير مسلم من رواية أبي بكر الصّديق وزيد بن أرقم وأبي أمامة وعبد الله بن زيد وأبي برزة وسويد بن حبلة وعبد الله بن الصنابحي والبراء بن عازب وأسماء بنت أبي بكر الصّديق وخولة بنت قيس وغيرهم، قال الشيخ محيـي الدّين، ورواه البخاري ومسلم أيضاً من رواية أبي هريرة ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطاب وعائذ بن عمرو وآخرين، وقد جمع ذلك كله الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه البعث، والنشور بأسانيده وطرقه، المتكاثرة قلت وقد اتفقا على إخراج حديث الحوض وعن جماعة ممن تقدم ذكرهم من الصّحابة على ما سبق ذكره في الأحاديث، وفيه بيان ما اتفقا عليه، وانفرد به كل واحد منهما، وأخرجا أيضاً حديث الحوض عن أسماء بنت أبي بكر الصّديق وذكرها القاضي عياض، فيمن خرج له في غير الصحيحين قال القاضي عياض وفي بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواتراً، وأما صفة الحوض، ومقداره فقد قال في رواية «حوضي مسيرة شهر وفي رواية ما بين جنبيه كما بين جرباء، وأذرح، وفي رواية كما بين أيلة، وصنعاء اليمن، وفي رواية عرضه مثله طوله ما بين عمان إلى أيلة، وفي رواية إن حوضي لأبعد من أيلة إلى عدن» فهذا الاختلاف في هذه الروايات في قدر الحوض ليس موجباً للاضطراب فيها لأنه لم يأت في حديث واحد بل في أحاديث مختلفة الرواة عن جماعات من الصّحابة سمعوها من النبي ﷺ في مواطن مختلفة ضربها النبي ﷺ مثلاً لبعد أقطار الحوض وسعته وقرب ذلك على إفهام السامعين لبعد ما بين هذه البلاد المذكورة لأعلى التقدير الموضوع للتحديد بل لإعلام السامعين عظم بعد المسافة

القرآن. قال عكرمة: النبوّة والكتاب. وقال أهل اللغة: الكوثر فوعل من الكثرة، كنوفل فوعل من النفل، والعرب تسمّي كل شيء كثير في العدد أو كثير في القدر والخطر: كوثراً. والمعروف: أنه نهر في الجنة أعطاه الله رسول الله ﷺ كما جاء في الحديث: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري ثنا أحمد بن علي الكشمهيني ثنا علي بن حجر ثنا إسماعيل بن جعفر ثنا حميد عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فإذا أنا بنهر يجري بياضه بياض اللّبن، وأحلى من العسل، وحافّتاه خيام اللؤلؤ، فضربت بيدي فإذا الثرى مسك أذفر، فقلت لجبريل: ما هذا»؟ قال: الكوثر الذي أعطاكه الله عزّ وجلّ. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى الصّلت ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو سعيد الأشج ثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة حافّتاه الذهب مجراه على الدرّ والياقوت تربته أطيب

وسعة الحوض وليس في ذكر القليل من هذه المسافة منع من الكثير، فإن الكثير ثابت على ظاهره، وصحت الرواية به، والقليل داخل فيه فلا معارضة، ولا منافاة بينهما وكذلك القول في آنية الحوض من أن العدد المذكور في الأحاديث على ظاهره، وأنها أكثر عدداً من نجوم السّماء ولا مانع يمنع من ذلك إذ قد وردت الأحاديث الصّحيحة الثّابتة بذلك وكذلك القول في الواردين إلى الحوض الشّاربين منه، وكثرتهم وقوله ﷺ «ما أنتم إلا جزء من مائة ألف جزء ممن يرد الحوض» لم يرد به الحصر بهذا العدد المذكور وإنما ضربه مثلاً لأكثر العدد المعروف للسّامعين ويدل على هذا قوله ﷺ «من ورد شرب منه» فهذا صريح في أن جميع الواردين يشربون، وإنما يمنع منه الذين يزدادون، ويمنعون الورود لارتدادهم، وتبديلهم وهو قوله ﷺ «فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتي، فيقول ما تدري ما أحدث بعدك، وفي رواية وليرفعن إلى رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول أي رب أصحابي، فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» ونحو هذا من الروايات المذكورة في الأحاديث السابقة، وهذا مما اختلف العلماء في معناه، وفي المراد به من هم، فقيل المراد بهم المنافقون، والمرتدون في زمن النبي ﷺ فيحتمل أنهم إذا حشروا عرفهم النبي ﷺ للسيما التي عليهم فيناديهم، فيقال له ليس هؤلاء ممن وعدت بهم إنهم قد بدلوا بعدك، أي لم يكونوا على ما ظهر من إسلامهم، وقيل المراد بهم من أسلموا في زمن النبي ﷺ ثم ارتدوا بعده في زمن أبي بكر الصّديق وهم الذين قاتلهم على الردة، وهم أصحاب مسيلمة الكذاب، فيناديهم النبي ﷺ لما كان يعرفه من إيمانهم في حياته فيقال له قد ارتدوا بعدك، وقيل المراد بهم أصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام، وأصحاب المعاصي، والكبائر الذين ماتوا على التّوحيد، ولم يتوبوا من بدعتهم ومعاصيهم فعلى هذا القول لا يقطع لهؤلاء المطرودين عن الحوض بالنّار بل يجوز أن يزدادوا عنه عقوبة لهم ثم يرحمهم الله، فيدخلهم الجنة من غير عذاب، وقال ابن عبد البر كل من أحدث في الدين كالخوارج والروافض وسائر أصحاب الأهواء فهو من المطرودين عن الحوض قال وكذلك الظلمة المسرفون في الجور، وغمط الحق، والمعلنون بالكبائر فكل هؤلاء يخاف أن يكونوا ممن عنى بهذا الحديث وقوله من شرب منه لم يظمأ أبداً قال القاضي عياض: ظاهر هذا الحديث أن الشرب منه يكون بعد الحساب، والنجاة من النار، ويحتمل أن من شرب منه من هذه الأمة وقدر عليه دخول النار لا يعذب فيها بالظمأ بل يكون عذابه بغير ذلك لأن ظاهر الحديث أن جميع الأمة تشرب منه إلا من ارتد، وصار كافراً، وقيل إن جميع المؤمنين يأخذون كتبهم بأيمانهم، ثم يعذب الله من شاء من عصاتهم، وقيل إنما يأخذ بيمينه الناجون منهم خاصة، والشرب من الحوض مثله.

(شرح غريب ألفاظ الأحاديث)

قوله فيختلج العبد منهم، أي ينتزع ويجذب منهم، قوله ما بين جنبيه كما بين جرباً، وأذرح أما جربا فبجيم ثم

من المسك وأشدّ بياضاً من الثلج». أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدّثنا محمد بن إسماعيل ثنا سعيد بن أبي مريم ثنا نافع عن ابن عمر عن ابن أبي مليكة قال: قال عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، مَن يشرب منها لم يظمأ أبداً». أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أنا جدّي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز أنا محمد بن زكريا العذافري أنا إسحاق بن إبراهيم الدبري ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا عند عقر حوضي أُزود الناس عنه لأهل اليمن»، أي أضربهم بعصاي حتى يرفضوا عنه، «وإنه ليغت فيه ميزابان من الجنة أحدهما من ورق والآخر من ذهب، طوله ما بين بُصرَى وصنعاء، أو ما بين أيلة ومكة، أو من مقامي هذا إلى عُمان».

راء ساكنة ثم باء موحدة ثم ألف مقصورة، ووقع عند بعض رواة البخاري فيها المد والقصر أولى، وهي قرية من الشام، وأما أذرح فبهمزة ثم ذال معجمة ثم راء ثم حاء مهملة، وهي في طرف الشام قريب من الشّوبك، وأما عمان فبفتح العين وتشديد الميم بليدة بالبلقاء من أرض الشّام، وأما أيلياء فبفتح الهمزة وإسكان المثناة تحت وفتح اللام مدينة معروفة في طرف الشام على ساحل البحر متوسطة بين دمشق ومصر بينها وبين المدينة نحو خمس عشرة مرحلة وبينها وبين مصر ثمان مراحل وإلى دمشق اثنا عشر مرحلة وهي آخر الحجاز وأول الشّام، وأما صنعاء فهي قاعدة اليمن، وأكبر مدنه، وإنما قيد باليمن في الحديث لأن بدمشق موضعاً يعرف بصنعاء دمشق وقد تقدم الكلام على اختلاف هذه المسافات والجمع بين رواتها قوله يشخب فيه ميزابان هو بفتح الياء المثناة تحت وبالشين والخاء المعجمتين، أي يسيل فيه وفي الحديث الآخر يغت بفتح الياء وبالغين المعجمة وكسرها، وتشديد التاء المثناة فوق، أي يدفق منه ميزابان تدفقاً شديداً متتابعا قوله إني لبعقر حوضي هو بضم العين المهملة، وإسكان القاف وهو موقف الإبل من الحوض إذا وردته للشرب، وقيل هو مؤخر الحوض قوله أذود الناس، أي أضرب الناس لأهل اليمن بعصاي حتى يرفض عليهم، معناه أطرد الناس عنه غير أهل اليمن، ومعنى يرفض أي يسيل عليهم، وفيه منقبة عظيمة لأهل اليمن قوله أنا فرطكم على الحوض الفرط بفتح الفاء والراء هو الذي يتقدم على الواردين ليصلح لهم الحياض، والدّلاء ونحوها من آلات الاستقاء، والمعنى أنا سابقكم على الحوض كالمهيىء له قوله سحقاً، أي بعداً وفيه دليل لمن قال إنهم أهل الردة إذ لا يقال للمؤمن سحقاً بل يشفع قلت في حديث أنس الأول دليل لمن يقول أن سورة الكوثر مدنية وهو الأظهر لقوله بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا إذا أغفى إغفاءه يعني نام نومة ثم رفع رأسه متبسماً والله أعلم.

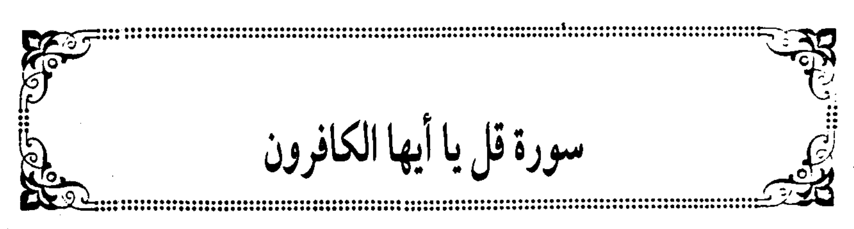
قوله تعالى: ﴿**فصل لربك وانحر**﴾ معناه أن ناساً كانوا يصلون لغير الله تعالى وينحرون لغير الله فأمر الله نبيه ﷺ أن يصلي له وينحر له متقرباً إلى ربه بذلك، وقيل معناه **فصل لربك** صلاة العيد يوم النحر، وانحر نسكك، وقيل معناه فصل الصّلاة المفروضة بجمع، وانحر البدن بمنى وقال ابن عباس: ﴿**فصل لربك ونحر**﴾ أي ضع يدك اليمنى على اليسرى في الصّلاة عند النّحر، وقيل هو رفع اليدين مع التكبير إلى النّحر حكاه ابن الجوزي، ومعنى الآية قد أعطيتك ما لا نهاية لكثرته من خير الدّارين وخصصتك بما لم أخص به أحداً غيرك، فاعبد ربك الذي أعطاك هذا العطاء الجزيل، والخير الكثير، وأعزك، وشرفك على كافة الخلق، ورفع منزلتك فوقهم فصل له واشكره على إنعامه عليك، وانحر البدن متقرباً إليه ﴿**إن شانئك**﴾ يعني عدوك ومبغضك ﴿**هو الأبتر**﴾ يعني هو الأذل المنقطع دابره نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك أنه رأى النبي ﷺ خارجاً من المسجد وهو داخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا له من الذي كنت تتحدث معه فقال ذلك الأبتر

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **فصلِّ لربِّك وانحر** ﴾، قال محمد بن كعب: إن أُناساً كانوا يصلّون لغير الله وينحرون لغير الله، فأمر الله نبيّه ﷺ أن يصلّي وينحر لله عزّ وجلّ. وقال عكرمة وعطاء وقتادة: فصلِّ لربّك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك. وقال سعيد بن جبير ومجاهد: فصلِّ الصلوات المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى ورُوِيَ عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: ك ﴿ **فصلِّ لربك وانْحر** ﴾ قال وضع اليمين على الشمال في الصلاة عند النحر.

قوله تعالى: ﴿ **إنّ شانئك** ﴾، عدوّك ومبغضك، ﴿ **هو الأبتر** ﴾، هو الأقلّ الأذلّ المنقطع دابره، نزلت في العاص بن وائل السهمي، وذلك أنه رأى النبي ﷺ يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدّثا، وأناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا له: مَنِ الذي كنت تتحدّث معه؟ قال: ذلك الأبتر يعني النبي ﷺ، وكان قد توفي ابن لرسول الله ﷺ من خديجة رضي الله عنها، وذكر محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان قال: كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله ﷺ قال: دعوه لنا فإنه رجل أبتر، لا عقب

يعني به النبي ﷺ وكان قد توفي ابن لرسول الله ﷺ من خديجة، وقيل إن العاص بن وائل كان إذا ذكر رسول الله ﷺ قال دعوه فإنه رجل أبتر لا عقب له، فإذا هلك انقطع ذكره، فأنزل الله تعالى هذه السّورة وقال ابن عباس: نزلت في كعب بن الأشرف، وجماعة من قريش، وذلك أنه لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت له قريش نحن أهل السقاية والسدانة وأنت سيد أهل المدينة فنحن خير أم هذا الصّنبور المنبتر من قومه، فقال أنتم فنزلت فيه ﴿**ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت**﴾ ونزلت في الذين قالوا إنه أبتر ﴿**إن شانئك هو الأبتر**﴾ أي المنقطع من كل خير قولهم في النبي ﷺ هذا الصّنبور أرادوا أنه فرد ليس له ولد، فإذا مات انقطع ذكره شبهوه بالنخلة المفردة يدق أسفلها، وتسمى الصنبور، وقيل هي النّخلة التي تخرج في أصل أخرى تغرس، وقيل الصّنابر سعفات تنبت من جذع النّخلة تضربها ودواؤها أن تنقطع تلك الصّنابر منها فأراد كفار مكة أن محمداً ﷺ بمنزلة الصّنابر تنبت في جذع نخلة فإذا انقلع استراحت النّخلة فكذا محمد إذا مات انقطع ذكره، وقيل الصّنبور الوحيد الضعيف الذي لا ولد له ولا عشيرة ولا ناصر من قريب ولا غريب فأكذبهم الله تعالى في ذلك ورد عليهم أشنع رد فقال إن شانئك يا محمد هو الأبتر الضعيف، الوحيد، الحقير، وأنت الأعز، الأشرف الأعظم، والله أعلم بمراده.

له فإذا هلك انقطع ذكره، فأنزل الله تعالى هذه السورة. وقال عكرمة عن ابن عباس: نزلت في كعب بن الأشرف وجماعة من قريش، وذلك أنه لمّا قَدِمَ كعب مكة قالت له قريش: نحن أهل السقاية والسدانة، وأنت سيد أهل المدينة فنحن خير أم هذا الصنبور المنبتر من قومه؟ فقال: بل أنتم خير منه، فنزلت: ﴿ ألم ترَ إلى الذين أُوتُوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾ [النساء: ٥١] الآية، ونزل في الذين قالوا إنه أبتر: ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾ أي المنقطع من كل خير.



سورة قل يا أيها الكافرون

مكية وهي ست آيات وست وعشرون كلمة وأربعة وتسعون حرفاً

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ ﴿إذا زلزلت﴾ عدلت له نصف القرآن ومن قرأ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ عدلت له ربع القرآن ومن قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ عدلت له ثلث القرآن» أخرجه التّرمذي وقال حديث غريب وله عن ابن عباس نحوه، وقال فيه غريب، ووجه كون هذه السّورة تعدل ربع القرآن أن القرآن مشتمل على الأمر والنهي، وكل واحد منهما ينقسم إلى ما يتعلق بعمل القلوب، وإلى ما يتعلق بعمل الجوارح، فحصل من ذلك أربعة أقسام وهذه السّورة مشتملة على النهي عن عبادة غير الله تعالى وهي من الاعتقاد وذلك من أفعال القلوب، فكانت هذه السورة ربع القرآن على هذا التقسيم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ إلى آخر السّورة نزلت في رهط من قريش منهم الحارث بن قيس السّهمي، والعاص بن وائل السهمي والوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن عبد المطلب بن أسد، وأمية بن خلف قالوا يا محمد هلم اتبع ديننا ونتبع دينك، ونشركك في ديننا كله تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة فإن كان الذي جئت به خيراً كنا قد شركناك فيه، وأخذنا حظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيراً كنت قد شركتنا في أمرنا، وأخذت بحظك منه فقال له رسول الله ﷺ معاذ الله أن أشرك به غيره قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك، ونعبد إلهك قال حتى أنظر ما يأتي من ربي فأنزل الله ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ إلى آخر السورة فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه أولئك الملأ من قريش، فقام على رؤوسهم ثم قرأها عليهم حتى فرغ من السّورة فأيسوا منه عند ذلك وآذوه وأصحابه، وقيل إنهم لقوا العباس، فقالوا يا أبا الفضل لو أن ابن أخيك استلم بعض آلهتنا لصدقناه فيما يقول، ولآمنا بإلهه، فأتاه العباس، فأخبره بقولهم، فنزلت هذه السّورة وقيل نزلت في أبي جهل والمستهزئين ومن لم يؤمن منهم.

سُوْرَة الكَافِرُون

مكيّة وهي ستّ آيات.

﴿ قلْ يا أيها الكافرون ﴾، إلى آخر السورة نزلت في رهط من قريش منهم: الحارث بن قيس السهمي، والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطّلب بن أسد، وأُميّة بن خلف، قالوا: يا محمد هلمّ فاتبعْ ديننا ونتبع دينك ونشركك في أمرنا كله، تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلَهك سنة، فإن كان الذي جئت به خيراً كنّا قد شركناك فيه وأخذنا حظّنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيراً كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك

ومعنى ذلك، أن النبي ﷺ كان مأموراً بتبليغ الرّسالة بجميع ما أوحي إليه فلما قال الله تعالى ﴿**قل يا أيّها الكافرون**﴾ أداه النبي ﷺ كما سمعه من جبريل عليه السّلام فكأنه ﷺ قال أمرت بتبليغ جميع ما أنزل الله عليّ، وكان فيما نزل عليه ﴿**قل يا أيها الكافرون**﴾ وقيل إن النّفوس تأبى سماع الكلام الغليظ الشّنيع من النّظير، ولا أشنع ولا أغلظ من المخاطبة بالكفر فكأنه ﷺ قال ليس هذا من عندي إنما هو من عند الله عزّ وجلّ وقد أنزل الله على قل يا أيها الكافرون والمخاطبون بقوله يا أيّها الكافرون كفرة مخصوصون قد سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون ﴿**لا أعبد ما تعبدون**﴾ في معنى الآية قولان: أحدهما أنه لا تكرار فيها، فيكون المعنى لا أعبد ما تعبدون لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ﴿**ولا أنتم عابدون ما أعبد**﴾ أي ولا أنتم فاعلون في المستقبل ما أطلبه منكم من عبادة إلهي ثم قال ﴿**ولا أنا عابد ما عبدتم**﴾ أي ولست في الحال بعابد معبودكم ﴿**ولا أنتم عابدون ما أعبد**﴾ أي ولا أنتم في الحال بعابدين معبودي وقيل يحتمل أن يكون الأول للحال، والثاني للإستقبال، وقيل يصلح كل واحد منهما أن يكون للحال، والاستقبال، ولكن يختص أحدهما بالحال والثاني للإستقبال لأنه أخبر أولاً عن الحال ثم أخبر ثانياً عن الاستقبال، فيكون المعنى لا أعبد ما تعبدون في الحال ولا أنتم عابدون ما أعبد في الاستقبال وما بمعنى من أي من أعبد ويحتمل أن تكون بمعنى الذي أي الذي أعبد.

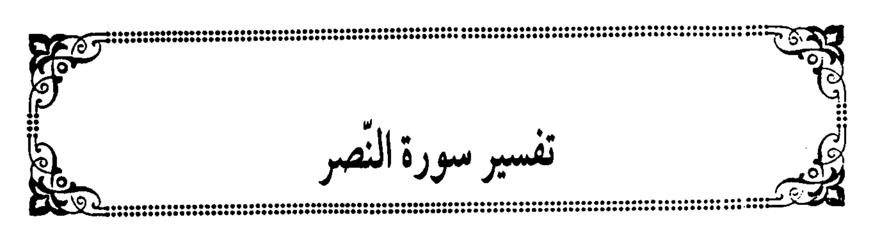
القول الثاني: حصول التكرار في الآية، وعلى هذا القول يقال إن التكرار يفيد التّوكيد، وكلما كانت الحاجة إلى التّوكيد أشد كان التكرار أحسن، ولا موضع أحوج إلى التوكيد من هذا الموضع لأن الكفار راجعوا النبي ﷺ في هذا المعنى مراراً فحسن التوكيد، والتكرار في هذا الموضع لأن القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجاري خطابهم، ومن مذاهبهم التّكرار إرادة التّوكيد، والإفهام كما أن من مذاهبهم الاختصار إرادة التّخفيف، والإيجاز، وقيل تكرار الكلام لتكرار الوقت، وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ إن سرك أن ندخل في دينك عاماً فأدخل في ديننا عاماً، فنزلت هذا السّورة جواباً لهم على قولهم ﴿**لكم دينكم ولي ديني**﴾ أي لكم كفركم ولي إخلاصي، وتوحيدي، والمقصود منه التّهديد فهو كقوله ﴿**اعملوا ما شئتم**﴾ وهذه الآية منسوخة بآية القتال، والله أعلم.

منه، فقال: معاذ الله أن أُشرك به غيره، قالوا: فاستلم بعض آلهتنا نصدّقك ونعبد إلّهك، فقال: حتى أنظر ما يأتي من عند ربّي، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ **قلْ يا أيها الكافرون** ﴾ إلى آخر السورة، فغدَا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش، فقام على رؤوسهم ثم قرأها عليهم حتى فرغ من السورة، فأيسوا منه عند ذلك وآذوه وأصحابه.

ومعنى الآية: ﴿ **لا أعبد ما تعبدون** ﴾، في الحال.

﴿ **ولا أنتم عابدون ما أعبد** ﴾، في الحال، ﴿ **ولا أنا عابدٌ ما عبدتم** ﴾، في الاستقبال، ﴿ **ولا أنتم عابدون ما أعبد** ﴾، في الاستقبال، وهذا خطاب لمَن سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون، وقوله: ﴿ **ما أعبد** ﴾ أي مَن أعبد، لكنه ذكره لمقابلة ما تعبدون، ووجه التكرار: قال أكثر أهل المعاني: هو أن القرآن نزل بلسان العرب، وعلى مجازي خطابهم، ومن مذاهبهم التكرار إرادة التوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز. وقال القتيبي: تكرار الكلام لتكرار الوقت، وذلك أنهم قالوا: إنْ سرّك أن ندخل في دينك عاماً فادخل في ديننا عاماً، فنزلت هذه السورة.

﴿ **لكم دينكم** ﴾، الشرك، ﴿ **وليَ دين** ﴾، الإسلام، قرأ ابن كثير ونافع وحفص: ﴿ **ولي** ﴾ بفتح الياء، والآخرون بإسكانها.



تفسير سورة النّصر

مدنية وهي ثلاث آيات وسبع عشرة كلمة وسبعة وسبعون حرفاً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ يعني فتح مكة وكانت قصة الفتح على ما ذكره محمد بن إسحاق، وأصحاب الأخبار «أن رسول الله ﷺ لما صالح قريشاً عام الحديبية اصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشرين سنة، وقيل عشر سنين يأمن فيهن الناس، ويكف بعضهم عن بعض وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد ﷺ وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش، وعهدهم دخل فيه. فدخلت بنو بكر في عهد قريش، ودخلت خزاعة في عهد النبي ﷺ وكان بينهما شر قديم ثم إن بني بكر عدت على خزاعة، وهم على ماءلهم أسفل مكة يقال له الوتير، فخرج نوفل بن معاوية الدؤلي في بني الدئل من بني بكر حين بقيت خزاعة على الوتير، فأصابوا منهم رجلاً، وتحاوروا واقتتلوا، وردفت قريش بني بكر بالسلاح، وقاتل معهم من قريش من قاتل باللّيل مستخفياً حتى حازوا خزاعة إلى الحرم، وكان ممن أعان بني بكر من قريش على خزاعة ليلتئذ بأنفسهم بكر بن صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو مع عبيدهم، فلما انتهوا إلى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل إنا قد دخلنا إلى إلهك فقال كلمة عظيمة إنه لا إله اليوم يا بني بكر أصيبوا ثأركم فلعمري إنكم لتسرفون في الحرم، أفلا تصيبون ثأركم فيه قال: فلما

سُوْرَةَ النّصْر

مدنيّة وهي ثلاث آيات.

﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾، أراد فتح مكة وكانت قصته على ما ذكر محمد بن إسحاق وأصحاب الأخبار أن رسول الله ﷺ لمّا صالح قريشاً عام الحديبية، واصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشر سنين يأمن فيهنّ الناس ويكفّ بعضهم عن بعض، وأنه مَن أحبّ أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده دخل فيه، ومَن أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فدخلت بنو بكر في عقد قريش، ودخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ، وكان بينهما شرٌّ قديم، ثم إن بني بكر عدت على خزاعة، وهم على ماء لهم بأسفل مكة، يقال له الوتير، فخرج نوفل بن معاوية الدؤلي في بني الدئل من بني بكر حتى بيت خزاعة، فأصابوا منهم رجلاً وتحاربوا واقتتلوا، ورفدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش مَن قاتل مستخفياً بالليل، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم، وكان ممّن أعان بني بكر من قريش على خزاعة ليلتئذ بأنفسهم متنكرين: صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو،

تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة، وأصابوا منهم ما أصابوا ونقضوا ما كان بيهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة، وكانوا في عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة، وكان ذلك مما أهاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهراني الناس فقال:

يـــا رب إنـــي نـــاشـــد محمـــداً ... حلـــف أبينـــا وأبيـــه الأتلـــدا
قـــد كنتمـــو ولـــداً وكنـــا والـــدا ... ثمـــت أسلمنـــا فلـــم ننـــزع يـــدا
فـــانصـــر هـــداك الله نصـــراً أعتـــدا ... وادع عبـــاد الله يـــأتـــوا مـــددا
فيهـــم رســـول الله قـــد تجـــردا ... إن سيـــم خسفـــاً وجهـــه تـــربـــدا
فـــي فيلـــق كـــالبحـــر يجـــري مـــزبـــدا ... إن قـــريشـــاً أخلفـــوك المـــوعـــدا
ونقضـــوا ميثـــاقـــك المـــؤكـــدا ... وجعلـــوا لـــي فـــي كـــداء رصـــدا
وزعمـــوا أن لســـت أدعـــو أحـــدا ... وهـــم أذل وأقـــل عـــددا
هـــم بيتـــونـــا بـــالـــوتيـــر هجـــدا ... وقتلـــونـــا ركعـــا وسجـــدا
فانصـر هـداك الله نصراً أيـدا

فقال رسول الله ﷺ: قد نصرت يا عمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله ﷺ عنان من السماء، فقال إن هذه السحابة لتشهد بنصر بني كعب، وهم رهط عمرو بن سالم، ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة فأخبروه بما أصيب منهم، وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين إلى مكة، وقد كان رسول الله ﷺ قال للناس كأنكم بأبي سفيان قد جاء يشدد في العقد ويزيد في المدة، ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه حتى لقوا أبا سفيان بعسفان قد بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ يشدد في العقد ويزيد في المدة وقد رهبوا من الذي صنعوا، فلما لقى أبا سفيان بديلاً قال: من أين أقبلت يا بديل وظن أنه أتى رسول الله ﷺ قال: سرت في خزاعة

مع عبيدهم فلما انتهوا إلى الحرم قالت بنو بكر: يا نوفل إنّا دخلنا الحرم إلى إلٓهك فقال كلمة عظيمة إنه لا إلٓه لي اليوم، أصيبوا ثأركم فيه، فلما تظاهرت قريش على خزاعة وأصابوا منهم ونقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد بما استحلّوا من خزاعة، وكانوا في عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قَدِمَ على رسول الله ﷺ المدينة، وكان ذلك مما هاج فتح مكة، فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهراني الناس، فقال:

لا هـــمَّ إنـي نـاشـدٌ مـحـمـداً ... حِـلْف أبينـا وأبيـه الأتـلدا
إن قـريشـاً أخلفـوك المـوعـدا ... ونـقضُـوا مـيثـاقَـك المـؤكـدا

الأبيات كما ذكرنا في سورة التوبة، فقال رسول الله ﷺ: «قد نُصرتَ يا عمرو بن سالم»، ثم عرض لرسول الله ﷺ عنان بين السماء، فقال: «إن هذه السحابة لتسهّل بنصر بني كعب»، وهم رهط عمرو بن سالم، ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قَدِموا على رسول الله ﷺ فأخبروه بما أُصيب منهم ومظاهرة قريش بني بكر عليهم، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة، وقد كان رسول الله ﷺ قال للناس: «كأنكم بأبي سفيان قد جاء ليشدّد العقد ويزيد في المدّة»، ومضى بديل بن ورقاء فلَقِيَ أبا سفيان بعسفان، قد بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ، ليشدّد العقد ويزيد في المدة، وقد رهبوا الذي صنعوا فلما لَقِيَ أبو سفيان بديلاً قال: من أين أقبلت يا بديل؟ وظن أنه قد أتى رسول الله ﷺ، قال: سرت إلى خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي، قال: أوَما أتيت محمداً؟ قال: لا، فلما راح بديل إلى مكة قال أبو سفيان: لئن كان جاء المدينة لقد علف ناقته بها النوى فعمد إلى مبرك ناقته فأخذ من

في هذا الساحل، وفي بطن هذا الوادي قال: وهل أتيت محمداً قال: لا فلما راح بديل إلى مكة قال أبو سفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف منها النوى فعمد إلى مبرك ناقته فأخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه فقال: أي بنية أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني فقالت بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس لم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ فقال: والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر، ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلمه، فلم يرد عليه شيئاً، ثم ذهب إلى أبي بكر، فكلمه أن يكلم له رسول الله ﷺ فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر بن الخطاب، فكلمه فقال أنا لا أشفع لك إلى النبي ﷺ. فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به، ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب، وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ وعندها الحسن بن علي غلاماً يدب بين يديها فقال: يا علي إنك أمس القوم بي رحماً، وأقربهم مني قرابة، وقد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائباً، فاشفع لي إلى رسول الله ﷺ فقال: ويحك يا أبا سفيان لقد أرى عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه. فالتفت إلى فاطمة وقال: يا بنت محمد هل لك أن تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر. فقالت: والله ما بلغ بني أن يجير بين الناس، وما يجير أحد على رسول الله ﷺ فقال: يا أبا الحسن إني أرى الأمور قد اشتدت عليّ، فانصحني قال والله لا أعلم شيئاً يغني عنك، ولكنك سيد بني كنانة، فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك قال: وترى ذلك مغنياً عني شيئاً قال لا والله ما أظن ذلك ولكن لا أجد لك غير ذلك. فقام أبو سفيان في المسجد، فقال أيها الناس إني قد أجرت بين الناس، ثم ركب بعيره، فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما رواءك قال: جئت محمداً فكلمته فوالله ما رد علي شيئاً ثم جئت ابن أبي قحافة، فلم أجد عنده خيراً، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم، ثم أتيت علي بن أبي طالب فوجدته ألين القوم وقد أشار عليّ بشيء

بَعْرها ففتّه فرأى فيه النوى، فقال: أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً، ثم خرج أبو سفيان حتى قَدِمَ على رسول الله ﷺ المدينة، فدخل على ابنته أُم حبيبة بنت أبي سفيان، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طَوَتْه عنه، فقال: يا بنيّة أرغبت بي عن هذا الفراش أم أرغبت به عنّي؟ قالت: بلى هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مُشرِك نَجِس، فلم أُحبّ أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ، فقال: والله لقد أصابك يا بُنَيّة بعدي شيء، ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلّمه فلم يردّ عليه شيئاً، ثم ذهب إلى أبي بكر فكلّمه أن يكلّم له رسول الله ﷺ، فقال ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلّمه فقال أنا لا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ، فوالله لو لم أجد إلّا الدرّ لجاهدتكم به، ثم خرج فدخل على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ وعندها الحسن بن علي رضي الله عنهما غلام يدبّ بين يديها، فقال: يا عليّ إنّك أمسّ القوم بي رحماً وأقربهم منّي قرابة، وقد جئت في حاجة فلا أرجعنّ كما جئت خائباً، إشفع لنا إلى رسول الله ﷺ، فقال: ويحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه، فالتفت إلى فاطمة فقال: يا بنت محمد هل لك أن تأمري بنيك هذا فيُجير بين الناس فيكون سيّد العرب إلى آخر الدهر؟ قالت: والله ما بلغ بنيّ أن يُجير بين الناس، وما يُجير على رسول الله ﷺ أحد، فقال: يا أبا الحسن أرى الأمور قد اشتدت عليّ فانصحني، قال: والله ما أعلم شيئاً يغني عنك، ولكنك سيد بني كنانة، فقم فاجْرِ بين الناس، ثم الحق بأرضك، قال: أوَ ترَ ذلك مُغنياً عنّي؟ قال: لا والله ما أظن ولكن لا أجد لك غير ذلك، فقام أبو سفيان في المسجد فقال: يا أيها الناس إني قد أجرت بين الناس، ثم ركب بعيره فانطلق فلما قَدِمَ على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئتُ محمداً فكلّمته والله ما ردّ عليّ شيئاً ثم جئت ابن أبي قحافة، فلم أجد عنده خيراً، فجئت ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم، ثم أتيت عليَّ بن أبي طالب فوجدته

صنعته فوالله ما أدري هل يغني ذلك شيئاً أم لا قالوا: وما ذاك قال أمرني أن أجير بين الناس، ففعلت قالوا فهل أجاز ذلك محمد قال لا قالوا ويلك والله ما زاد على أن لعب بك فما يغني عنك ما قلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك قال: وأمر رسول الله ﷺ بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة، وهي تصلح بعض جهاز رسول الله ﷺ فقال أي بنية أمركم رسول الله ﷺ أن تجهزوه، قالت نعم. قال فأين ترينه يريد قالت لا والله ما أدري ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجد والتهيؤ وقال اللّهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها، فتجهز الناس وكتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ، وقد تقدمت قصته في تفسير سورة الممتحنة ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره، واستخلف على المدينة أبارهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري وخرج رسول الله ﷺ عامداً إلى مكة لعشر بقين من رمضان سنة ثمان من الهجـرة فصام النبي ﷺ وصام الناس معه حتى إذا كان بالكديد بين عسفان، وأمج أفطر ثم مضى حتى نزل بمر الظّهران في عشرة آلاف من المسلمين. ولم يتخلف من الأنصار والمهاجرين عنه أحد فلما نزل بمر الظّهران، وقد عميت الأخبار عن قريش، ولا يأتيهم خبر عن رسول الله ﷺ، ولا يدرون ما هو فاعل خرج في تلك اللّيالي أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله ﷺ ببعض الطريق قال ابن هشام: لقيه بالجحفة مهاجراً بعياله، وقد كان قبل ذلك مقيماً بمكة على سقايته، ورسول الله ﷺ عنه راض فلما نزل رسول الله ﷺ مر الظّهران قال العباس بن عبد المطلب. ليلتئذ وأصباح قريش، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه الهلاك لقريش إلى آخر الدهر. قال فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، فخرجت عليها حتى جئت الأراك لعلي أجد حطاباً، أو صاحب لبن أو ذا حاجة يدخل مكة، فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة قال العباس: فوالله إني

ألين القوم، وقد أشار علي بشيء صنعته فوالله ما أدري هل يغنيني شيئاً أم لا؟ قالوا: وماذا أمرك؟ قال: أمرني أن أُجير بين الناس ففعلت، قالوا: فهل أجاز ذلك محمد ﷺ؟ قال: لا، قالوا: والله إن زاد عليٌّ على أن لعب بك فلا يغني عنّا ما قلت، قال: لا والله ما وجدت غير ذلك، قال وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز، وأمر أهله أن يجهزوه، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها وهي تصلح بعض جهاز رسول الله ﷺ، فقال: أيّ بُنيّة أمركم رسول الله ﷺ بأن تجهّزوه؟ قالت: نعم فتجهّز، قال: فأين ترينه يريد؟ قالت: ما أدري ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجدّ والتهيّؤ، وقال: اللّهمَّ خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها، فتجهز الناس وكتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش ذكرناها في سورة الممتحنة، ثم استخلف رسول الله ﷺ على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن خلف الغفاري، وخرج عامداً إلى مكة لعشر مضين من رمضان سنة ثمانٍ، فصام رسول الله ﷺ وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكديب ما بين عسفان وأمج أفطر، ثم مضى حتى نزل بمرّ الظهران في عشرة آلاف من المسلمين، ولم يتخلّف من المهاجرين والأنصار عنه أحد، فلما نزل بمرّ الظهران وقد عميت الأخبار عن قريش، فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ﷺ ولا يدرون ما هو فاعل، فخرج في تلك أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن رقاء يتجسّسون الأخبار هل يجدون خبراً، وقد قال العباس بن عبد المطّلب ليلتئذٍ: وَا صباحَ قريش، والله لئن بغتها رسول الله ﷺ في بلادها فدخل مكة عنوة إنها لهلاك قريش إلى آخر الدهر، فخرج العباس على بغلة رسول الله ﷺ وقال اخرج إلى الأراك لعلّي أرى حطّاباً أو صاحبَ لبنٍ أو داخلاً يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ فيأتونه فيستأمنونه قبل أن يدخلها عليهم عنوة، قال العباس فخرجت وإني لأطوف في الأراك ألتمس ما خرجتُ له إذْ سمعتُ صوتَ أبي سفيان وحكيم وحزام وبديل بن ورقاء، وقد خرجوا يتجسّسون

لأسير عليها وألتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء، وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول ما رأيت كالليلة نيراناً قط. فقال بديل هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب، فقال أبو سفيان خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها، فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة فعرف صوتي، فقال يا أبا الفضل فقلت نعم قال مالك فداك أبي وأمي قلت: ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله ﷺ قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين قال: وما الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك فردفني، ورجع صاحباه فخرجت أركض به على بغلة رسول الله ﷺ كلما مررت بنار من نيران المسلمين ينظرون إليّ، ويقولون عم رسول الله ﷺ على بغلة رسول الله ﷺ حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا فقام إليّ فلما رأى أبا سفيان على عجز البغلة، قال أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد، ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ، وركضت البغلة فسبقته كما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء قال فاقتحمت عن البغلة سريعاً، فدخلت على رسول الله ﷺ، ودخل عليه عمر فقال: يا رسول الله هذا عدو الله أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد، ولا عهد فدعني أضرب عنقه قال فقلت يا رسول الله إني قد أجرته ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه، وقلت والله لا ينجيك الليلة أحد دوني فلما أكثر عمر في شأنه قلت مهلاً يا عمر. فوالله ما تصنع هذا إلا أنه رجل من بني عبد مناف، ولو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا، فقال مهلاً يا عباس، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم، وما ذاك إلا لأني أعلم أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله ﷺ اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فائتني به قال فذهبت به إلى رحلي فبات عندي، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ﷺ قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً

الخبر، فسمعتُ أبا سفيان يقول: والله ما رأيت كالليلة قطّ نيراناً، وقال بديل: هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب، فقال أبو سفيان خزاعة ألأمُ من ذلك وأذلّ، فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتي فقال: يا أبا الفضل، فقلت: نعم، فقال: ما لك فداك أبي وأُمي؟ قلت: ويحك يا أبا سفيان هذا والله رسول الله ﷺ قد جاء بما لا قِبَل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين، قال: وما الحيلة؟ قلت: والله لئن ظفر بك ليضربنّ عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأستأمنه، فردفني ورجع صاحباه فخرجت أركض به بغلة رسول الله ﷺ، كلما مررت بنار من نيران المسلمين فنظروا إليّ قالوا: هذا عمّ رسول الله ﷺ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب، فقال: مَن هذا؟ وقام إليّ فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابّة، قال أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك بغير عهد ولا عقد، ثم اشتدّ نحو رسول الله ﷺ فركضت البغلة وسبقته بما تسبق الدابّة البطيئة الرجل البطيء، فاقتحمتُ عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر، فقال: يا رسول الله هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد، فدعني أضرب عنقه، فقلت: يا رسول الله إني قد أجرته، ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه وقلت: والله لا يُنجيه الليلة أحدٌ دوني، فلما أكثر فيه عمر رضي الله عنه قلت: مهلاً يا عمر فوالله ما تصنع هذا إلاّ أنه رجل من بني عبد مناف، ولو كان من بني عديّ بن كعب ما قلت هذا، قال: مهلاً يا عباس فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحبَّ إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم، وذلك لأني أعلم أن إسلامك كان أحبّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم، فقال رسول الله ﷺ: «اذهبْ به يا عباس إلى رَحْلك فإذا أصبحت فأْتني به»، قال فذهبت إلى رحْلي فبات عندي، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه قال: «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إلّه إلاّ الله»؟ قال: بأبي أنت وأُمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك،

بعد قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله، قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك، وأوصلك أما هذه فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً فقال العباس: ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك فتشهد شهادة الحق وأسلم قال العباس: فقلت يا رسول الله إن أبا سفيان هذا رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئاً قال نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ: يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله قال فخرجت به حيث أمرني رسول الله ﷺ أن أحبسه قال ومرت به القبائل على راياتها كلما مرت به قبيلة قال من هؤلاء يا عباس، فأقول سليم فيقول ما لي ولسليم، ثم القبيلة فيقول من هؤلاء، فأقول مزينة فيقول ما لي ولمزينة حتى نفدت القبائل. لا تمر قبيلة إلا سألني عنها، فإذا أخبرته عنها. فيقول ما لي، ولبني فلان حتى مر رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء، وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد، وظهوره فيها وفيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد فقال سبحان الله من هؤلاء يا عباس؟ قلت هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين، والأنصار. قال ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً قلت ويحك إنها النبوة، قال فنعم إذا فقلت الحق الآن بقومك فحذرهم، فخرج سريعاً حتى أتى مكة، فصرخ في المسجد بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به قالوا فمه قال: قال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. قالوا ويحك، وما تغني عنا دارك قال من دخل المسجد، فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن فتفرق الناس إلى دورهم، وإلى المسجد قال وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء إلى رسول الله ﷺ فأسلما وبايعاه، فلما بايعاه بعثهما رسول الله ﷺ بين يديه إلى قريش يدعوانهم إلى الإسلام، ولما خرج حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء من عند رسول الله ﷺ عامدين إلى مكة بعث في أثرهما الزبير وأعطاه رايته وأمره على خيل المهاجرين والأنصار وأمره أن يركز رايته بأعلى مكة بالحجون، وقال لا تبرح حيث

والله لقد ظننتُ أن لو كان مع الله إلَهٌ غيره فقد أغنى عني شيئاً بعدُ، قال: «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله»؟ قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، أمّا هذه فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً، قال العباس: قلت له ويحك أسلم واشهد أن لا إلَه إلّا الله وأن محمداً رسول الله، قبل أن يضرب عنقك، قال فشهد شهادة الحق وأسلم، قال العباس قلت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحبّ الفخر فاجعل له شيئاً، قال: «نعم مَن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومَن أغلق عليه بابه فهو آمن ومَن دخل المسجد فهو آمن»، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ: «يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمرّ به جنود الله فيراها»، قال: فخرجت به حتى حبسته حيث أمرني رسول الله ﷺ، قال ومرّت به القبائل على راياتها، كلما مرّت قبيلة قال: مَن هؤلاء يا عباس؟ قال: أقول سليم، قال: يقول: ما لي ولسليم، ثم تمرّ القبيلة فيقول: مَن هؤلاء؟ فأقول: مزينة، فيقول: ما لي ولمزينة، حتى نفذت القبائل لا تمرّ قبيلة إلّا سألني عنها، فإذا أخبرته يقول: ما لي ولبني فلان حتى مرّ رسول الله ﷺ في الخضراء كتيبة رسول الله ﷺ فيها المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلّا الحدق من الحديد، قال: سبحان الله مَن هؤلاء يا عباس؟ قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، فقال: والله ما لأحد بهؤلاء من قِبَل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح مُلْك ابن أخيك عظيماً، فقال: ويحك إنها النبوّة، قال: نعم إذاً، فقلت: إلحق الآن بقومك فحذّرهم، فخرج سريعاً حتى أتى مكة فصرخ في المسجد بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبَل لكم به، قالوا: فمه؟ قال: مَن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا: ويحك وما تغني عنّا دارك؟ قال: ومَن دخل المسجد فهو آمن، ومَن أغلق عليه بابه فهو آمن، فتفرّق الناس إلى دورهم وإلى المسجد، قال: وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء إلى رسول الله ﷺ بمرّ الظهران فأسلما وبايعاه، فلما بايعاه

أمرتك أن تركز رايتي حتى آتيك، ثم إن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذي طوى وقف على راحلته معتجراً بشقه عليه برد حبرة، وإن رسول الله ﷺ ليضع رأسه تواضعاً لله عز وجل حين رأى ما أكرمه به من الفتح حتى أن عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل، ثم إن رسول الله ﷺ دخل مكة وضرب قبته بأعلى مكة، وأمر خالد بن الوليد، فيمن أسلم من قضاعة، وبني سليم أن يدخلوا من أسفل مكة وبها بنو بكر، وقد استنفرتهم قريش، وبنو الحارث بن عبد مناف ومن كان من الأحابيش أمرتهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة، وأن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناساً بالخندمة ليقاتلوا وقال النبي ﷺ لخالد والزبير حين بعثهما لا تقاتلا إلا من قاتلكما، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كدي فقال سعد: حين توجه داخلاً اليوم يوم الملحمة اليوم يوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين قيل: هو عمر بن الخطاب فقال: لرسول الله ﷺ اسمع ما قال سعد بن عبادة، وما نأمن أن يكون له في قريش صولة فقال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب أدركه بهذه الراية. فكن أنت الذي تدخن بها، فلم يكن بأعلى مكة من قبل الزبير قتال، وأما خالد بن الوليد، فقدم على قريش وبني بكر، والأحابيش بأسفل مكة، فقاتلوه فهزمهم الله، ولم يكن بمكة قتال غير ذلك، وقتل من المشركين اثنا عشر رجلاً أو ثلاثة عشر رجلاً، ولم يقتل من المسلمين إلا رجل من جهينة يقال له سلمة بن الميلاء من خيل خالد بن الوليد ورجلان يقال لهما كرز بن جابر، وخنيس بن خالد بن الوليد شذا وسلكا طريقاً غير طريقه، وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم إلا نفراً منهم سماهم أمر بقتلهم، وإن وجدوا تحت أستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد ابن أبي سرح، وإنما أمر بقتله لأنه كان قد أسلم فارتد مشركاً ففر إلى عثمان، وكان أخاه من الرضاعة فغيبه حتى أتى به رسول الله ﷺ بعد أن اطمأن أهل مكة فاستأمنه له وعبد الله بن خطل رجل من بني تميم بن غالب، وإنما أمر بقتله لأنه كان مسلماً فبعثه رسول الله ﷺ مصدقاً، وكان له مولى يخدمه، وكان مسلماً فنزل منزلاً وأمر

بعثهما رسول الله ﷺ بين يديه إلى قريش يَدْعُوَانهم إلى الإسلام، ولما خرج حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء من عند النبي ﷺ عامدين إلى مكة بعث في إثرهما الزبير وأعطاه رايته وأمره على خيل المهاجرين والأنصار، وأمره أن يركّز رايته بأعلى مكة بالحجون، وقال: لا تبرح حيث أمرتك أن تركّز رايتي حتى آتيك، ومن ثم دخل رسول الله ﷺ مكة وضُرِبَت هناك قبّته، وأمر خالد بن الوليد فيمن أسلم من قضاعة وبني سليم أن يدخل من أسفل مكة وبها بنو بكر قد استنفرتهم قريش وبنو الحارث بن عبد مناف ومَن كان من الأحابيش أمرتهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة، وإن صفوان بن أميّة وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو، وكانوا قد جمعوا أُناساً بالخندمة ليقاتلوا، وقال لي النبي ﷺ لخالد والزبير حين بعثهما لا تقاتلا إلاّ مَن قاتلكم، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كِدَى، فقال سعد حين توجّه داخلاً: اليوم يوم الملحمة اليوم تستحلّ الحُرمة، فسمعها رجل من المهاجرين فقال: يا رسول الله اسمع ما قال سعد بن عبادة، وما نأمن أن يكون له في قريش صولة، فقال رسول الله ﷺ لعليّ بن أبي طالب: أدركه فخذ الراية منه، فكن أنت الذي تدخل بها، فلم يكن يا عليّ مِنْ قبل الزبير قتال، وأما خالد بن الوليد فقَدِمَ على قريش وبني بكر والأحابيش بأسفل مكة، فقاتلهم فهزمهم الله، ولم يكن بمكة قتال غير ذلك، وقتل من المشركين قريبٌ من اثني عشر أو ثلاثة عشر، ولم يُقتل من المسلمين إلاّ رجل من جهينة يقال له سلمة بن الميلاء من خيل خالد بن الوليد، ورجلان يقال لهما كرز بن جابر وخنيس بن خالد كانا في خيل خالد بن الوليد. فشذّا عنه وسلكا طريقاً غير طريقه، فقتلا جميعاً، وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا أحداً إلاّ مَن قاتلهم، إلاّ في نفر سمّاهم أمر بقتلهم، وإنْ وُجدوا تحتَ أستار الكعبة، منهم: عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وإنما أمر بقتله لأنه كان قد أسلم فارتدّ مشركاً، ففرّ إلى عثمان وكان أخاه من

المولى أن يذبح له تيساً ويصنع له طعاماً ونام فاستيقظ، ولم يصنع له شيئاً فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركاً، وكان له قينتان يغنيان بهجاء رسول الله ﷺ فأمر بقتلهما معه والحويرث بن نقيد بن وهب، وكان ممن يؤذيه بمكة ومقيس صبابة، وإنما أمر بقتله لقتله الأنصاري الذي قتل أخاه خطأ، ورجوعه إلى قريش مرتداً، وسارة مولاة لبني عبد المطلب، وكانت ممن يؤذيه بمكة، وعكرمة بن أبي جهل فأما عكرمة فهرب إلى اليمن، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام، فاستأمنت له رسول الله ﷺ فأمنه فخرجت في طلبه حتى أتت به رسول الله ﷺ، وأما عبد الله بن خطل فقتله سعيد بن الحارث المخزومي وأبو برزة الأسلمي اشتركا في دمه وأما مقيس بن صبابة فقتله نميلة بن عبد الله رجل من قومه وأما قينتا ابن خطل فقتلت إحداهما، وهربت الأخرى حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ فأمنها وأما سارة فتغيبت حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ فعاشت حتى أوطأها رجل من الناس فرساً له في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها، وأما الحويرث ابن نقيد فقتله علي بن أبي طالب قالت أم هانيء: لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة فر إلى رجلين من أحمائي من بني مخزوم، وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي قالت: فدخل عليّ علي بن أبي طالب أخي فقال: والله لأقتلنهما، فأغلقت عليهما باب بيتي، ثم جئت رسول الله ﷺ، وهو بأعلى مكة، فوجدته يغتسل من جفنة وأن فيها لأثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبه فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به، ثم صلى ثمان ركعات الضحى، ثم انصرف إليّ فقال مرحباً وأهلاً بأم هانيء ما جاء بك. فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي بن أبي طالب فقال: قد أجرنا من أجرت وأمنا من آمنت فلا نقتلهما ثم إن رسول الله ﷺ خرج لما اطمأن الناس حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة، وأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة، وقد استكف له الناس في المسجد فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب

الرضاعة، فغيّبه حتى أتى به رسول الله ﷺ بعد أنِ اطمأن أهل مكة، فاستأمن له، وعبد الله بن خطل كان رجلاً من بني تميم بن غالب، وإنما أمر بقتله لأنه كان مسلماً فبعثه رسول الله ﷺ مصدّقاً، وكان لـه مولى يخدمه وكان مسلماً، فنزل منزلاً وأمر المولى أن يذبح له تيساً ويصنع له طعاماً، ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً فعدا عليه فقتله، ثم ارتدّ مشركاً، وكانت له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ، فأمر بقتلهما معه، والحويرث بن نقيد بن وهب كان ممّن يؤذيه بمكة، ومقيس بن صبابة، وإنما أمر بقتله لقتله الأنصاري الذي قتل أخاه خطأً ورجوعه إلى قريش مرتدّاً، وسارة مولاة كانت لبعض بني المطّلب كانت ممّن يؤذيه بمكة، وعكرمة بن أبي جهل، فأما عكرمة فهرب إلى اليمن وأسلمت امرأته أُم حكيم بنت الحارث بن هشام فاستأمنت له رسول الله ﷺ فأمّنه، فخرجت في طلبه حتى أتت به رسول الله ﷺ فأسلم، وأما عبد الله بن خطل فقتله سعد بن حريث المخزومي وأبو برزة الأسلمي اشتركا في دمه، وأما مقيس بن صبابة فقتله نميلة بن عبد الله رجل من قومه، وأما قينتا ابن خطل فقُتلتْ إحداهما وهربت الأخرى حتى استُؤمن لها رسول الله ﷺ، فأمّنها، وأما سارة فتغيّبت حتى استُؤمن لها فأمّنها، فعاشت حتى أوطأها رجلٌ من الناس فَرَساً له في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها، وأما الحويرث بن نقيد فقتله علي بن أبي طالب، فلما دخل رسول الله ﷺ مكة وقف قائماً على باب الكعبة وقال: لا إله إلاّ الله وحده، صدقَ وعدَه، ونصرَ عبدَه، وهزمَ الأحزابَ وحده، إلاّ إن كل مأثرةٍ أو دمٍ أو مالٍ في الجاهلية يُدعى فهو تحت قدمي هاتين، إلاّ سدانة البيت وسقاية الحاج، يا معشر قريش إن الله قد أذهبَ عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالآباء، الناس من آدم وآدم خلق من تراب، ثم تلا: ﴿ يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأُنثى ﴾ [الحجرات: ١٣] الآية، يا أهل مكة ماذا ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً أخٌ كريم وابنُ أخٍ كريم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، فأعتقهم رسول الله ﷺ، وقد كان الله أمكنه

وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهي تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت، وسقاية الحاج ألا قتل الخطأ شبه العمد بالسوط، والعصا، ففيه الدية مغلظة مائة من الإبل أربعون منها خلفة في بطونها أولادها. يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظيمها بالآباء الناس من آدم وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية: **﴿يا أيّها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾** الآية ثم قال يا معشر قريش ما ترون إني فاعل فيكم، قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم قال فاذهبوا فأنتم الطلقاء، فأعتقهم رسول الله ﷺ في المسجد، وكان الله أمكنه منهم عنوة فبذلك سموا أهل مكة الطلقاء، ثم جلس رسول الله ﷺ فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة بيده فقال: يا رسول الله اجمع لنا بين الحجابة، والسقاية فقال رسول الله ﷺ أين عثمان بن طلحة فدعي له فقال هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم وفاء وبر، قال واجتمع الناس للبيعة فجلس إليهم رسول الله ﷺ على الصفا، وعمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس. فبايعونه على السمع والطاعة فيما استطاعوا، فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء قال عروة بن الزبير: خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن فقال عمير بن وهب الجمحي يا رسول الله إن صفوان بن أمية سيد قومي قد خرج هارباً منك ليقذف بنفسه في البحر، فأمنه يا رسول الله، فقال هو آمن قال: يا رسول الله أعطني شيئاً يعرف به أمانك، فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التي دخل بها مكة، فخرج بها عمير حتى أدركه بجدة، وهو يريد أن يركب البحر فقال يا صفوان فداك أبي وأمي أذكرك الله في نفسك أن تهلكها، فهذا أمان رسول الله ﷺ جئتك به؟ فقال ويلك أغرب عني لا تكلمني قال: فداك أبي وأمي أفضل الناس، وأبر النّاس وأحلم الناس، وخير الناس ابن عمتك عزه عزك وشرفه شرفك، وملكه ملكك، قال إني أخافه على نفسي قال: هو أحلم من ذلك، وأكرم فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله ﷺ، فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك آمنتني قال صدق، قال فاجعلني في ذلك بالخيار شهرين قال: أنت بالخيار أربعة أشهر «قال ابن هشام وبلغني أن النبي ﷺ حين افتتح مكة، ودخلها قام على الصّفا يدعو، وقد أحدقت به الأنصار فقالوا فيما بينهم أترون أن رسول الله ﷺ إذا فتح الله عليه مكة أرضه، وبلاده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شيء يا رسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه.

فقال النبي ﷺ معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم» قال ابن إسحاق: وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلين عشرة آلاف، وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان، وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم خرج إلى هوازن وثقيف، وقد نزلوا حنيناً (ق) عن أبي هريرة أن خزاعة قتلوا رجلاً

من رقابهم عنوة، فلذلك سُمّي أهلُ مكة الطلقاء، ثم اجتمع الناس للبيعة فجلس لهم رسول الله ﷺ على الصفاء، وعمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس، فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا، فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء. قال عروة بن الزبير: خرج صفوان بن أُميّة يريد جدّة ليركب منها إلى اليمن فقال عمير بن وهب الجمحي: يا نبيّ الله إن صفوان بن أميّة سيّدُ قومي، وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر، فآمنه، قال رسول الله ﷺ: «هو آمن»، قال: يا رسول الله أعطني شيئاً يعرف به أمانك، فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التي دخل بها مكة، فخرج بها عمير حتى أدركه بجدّة، وهو يريد أن يركب البحر، فقال: يا صفوان فداك أبي وأُمي أذكّرِكَ اللّهَ في نفسك أن تهلكها، فهذا أمان رسول الله ﷺ قد جئتك به، فقال: ويلك اغرب عنّي فلا تكلّمني، قال: أيْ صفوان فداك أبي وأُمي أفضل الناس وأبرّ الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمّتك عِزّه عزّك وشرفه شرفك وملكه ملكك، قال: إني أخافه على نفسي، قال: هو أحلم من ذلك وأكرم، فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله ﷺ، فقال صفوان: إن هذا يزعم أنّك أمّنتني؟ قال: «صدق»، قال: فاجعلني في أمري بالخيار شهرين، قال أنت فيه بالخيار أربعة أشهر، قال ابن إسحاق وكان جميع مَن شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف وكان فتح

من بني ليث عام الفتح بقتيل لهم في الجاهلية فقام رسول الله ﷺ في الناس فحمد الله، وأثنى عليه وقال: إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد من بعدي ألا، وإنما أحلت لي ساعة من نهار إلا، وإنها ساعتي هذه فلا ينفر صيدها ولا يختلي خلاها، ولا يقطع شوكها، ولا تحل ساقطتها ألا لمنشد، ومن قتل له قتيل، فهو بخير النظرين. إما أن يفتدى وإما أن يقيد فقال العباس: إلا الأذخر فإنا نجعله لقبورنا وبيوتنا، فقال رسول الله ﷺ إلا الأذخر، فقام أبو شاه رجل من أهل اليمن فقال اكتبوا لي يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ: اكتبوا لأبي شاه قال الأوزاعي: يعني الخطبة التي سمعها من رسول الله ﷺ».

(وأما التفسير)

فقوله تعالى: ﴿**إذا جاء نصر الله**﴾ يعني إذا جاءك يا محمد نصر الله، ومعونته على من عاداك وهم قريش.

ومعنى مجيء النصر أن جميع الأمور مرتبطة بأوقاتها يستحيل تقدمها عن وقتها أو تأخرها عنه فإذا جاء ذلك الوقت المعين حضر معه ذلك الأمر المقدر، فلهذا المعنى قال ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح**﴾ يعني فتح مكة في قول جمهور المفسرين، وقيل هو جنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم على الإطلاق، والفرق بين النصر والفتح. أن النصر هو الإعانة والإظهار على الأعداء وهو تحصيل المطلوب، وهو كالسبب للفتح. فلهذا بدأ بذكر النصر وعطف عليه الفتح، وقيل النصر هو إكمال الدين وإظهاره، والفتح هو الإقبال الذي هو تمام النعمة. ﴿**ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً**﴾ يعني زمراً وأرسالاً القبيلة بأسرها. والقوم بأجمعهم من غير قتال قال الحسن: لما فتح الله على رسول الله ﷺ مكة قالت العرب بعضها لبعض إذا ظفر الله محمد بأهل الحرم، وكان قد أجارهم من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون في دين الله أفواجاً. بعد أن كانوا يدخلون واحداً واحداً واثنين اثنين. وقيل أراد بالناس أهل اليمن (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوباً، وأرق أفئدة الإيمان يمان، والحكمة يمانية ودين الله هو الإسلام» وأضافه إليه تشريفاً وتعظيماً، كبيت الله وناقة الله قوله ﴿**فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً**﴾ يعني فإنك حينئذ لاحق به (ق) عن ابن عباس: قال كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فقال: بعضهم لم يدخل هذا الفتى معنا، ولنا أبناء مثله فقال إنه ممن قد علمتم قال فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم.

قال وما رأيت أنه كان دعاني يومئذ إلا ليريهم مني.

مكة لعشر ليالٍ بقين من رمضان سنة ثمان، وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة، ثم خرج إلى هوازن وثقيف، وقد نزلوا حُنيناً. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو نعيم ثنا شيبان عن يحيىٰ بن سلمة عن أبي هريرة أن خزاعة قتلوا رجلاً، وقال محمد بن إسماعيل، قال عبد الله بن رجاء ثنا حرب عن يحيىٰ ثنا أبو سلمة أنا أبو هريرة أنه قال: عام فتح مكة قتلتْ خزاعةُ رجلاً من بني ليث بقتيل لهم في الجاهلية، فقام رسول الله ﷺ فقال: إن الله حبس عن مكة الفيل وسلّط عليهم رسوله والمؤمنين، ألا وإنها لم تحلّ لأحد قبلي ولا تحلّ لأحد بعدي، ألا وإنما أُحلّتْ لي ساعة من نهار، ألا وإنها ساعتي هذه حرام لا يختلى شوكها ولا يعضد شجرها، ولا يلتقط ساقطتها إلا منشد، ومَن قتل له قتيل فهو بخير النظر إما يؤدّوا وإما يُفادوا، فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه فقال: اكتبْ لي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ اكتبوا لأبي شاه، ثم قام رجل من قريش فقال: يا رسول الله إلاّ الأذخر فإنّا نجعله في بيوتنا وقبورنا، فقال رسول الله ﷺ: «إلاّ الأذخر». أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله أن أبا مرّة مولى أُم هانىء بنت أبي طالب أخبره أنه

قال ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ حتى ختم السورة، فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله، ونستغفره إذ نصرنا، وفتح علينا، وسكن بعضهم فلم يقل شيئاً فقال لي أكذلك تقول يا ابن عباس، قال: قلت؛ لا قال فما هو قلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه، فقال ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾، فذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً، قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم (ق) عن عائشة قالت: «ما صلى رسول الله ﷺ صلاة بعد أن أنزلت عليه إذا جاء نصر الله والفتح، إلا يقول فيها سبحانك ربنا، وبحمدك اللهم اغفر لي، وفي رواية قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن، وفي رواية قالت كان رسول الله ﷺ يكثر القول من سبحان الله، وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه، وقال أخبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي. فإذا رأيتها أكثرت من قول سبحان الله وبحمده وأستغفر الله وأتوب إليه قد رأيتها إذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً». قال ابن عباس: لما نزلت هذه السورة علم النبي ﷺ أنه نعيت إليه نفسه.

وقال الحسن أعلم أنه قد اقترب أجله فأمر بالتسبيح والتوبة، ليختم بالزيادة في العمل الصالح قيل عاش النبي ﷺ بعد نزول هذه السورة سنتين، وقيل في معنى السورة إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فاشتغل أنت بالتسبيح والتحميد، والاستغفار، فالاشتغال بهذه الطاعة يصير سبباً لمزيد درجاتك في الدنيا والآخرة.

وفي معنى التسبيح وجهان: أحدهما نزه ربك عما لا يليق بجلاله ثم احمده.

سمع أُم هانىء بنت أبي طالب تقول: ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب، قالت: فسلّمتُ، فقال: «مَن هذه»؟ فقلت: أنا أُم هانىء بنت أبي طالب، قال: «مرحباً بأُم هانىء»، فلما فرغ من غسله قام فصلّى ثمان ركعات ملتحفاً في ثوب واحد، ثم انصرف فقلت له: يا رسول الله زعم ابن أُمي عليّ بن أبي طالب أنه قاتلٌ رجلاً أجرتُه فلان بن هبيرة، فقال رسول الله ﷺ: «قد أجرنا مَن أجرتِ يا أُم هانىء، وذلك ضحى». قوله عزّ وجلّ: ﴿ إذا جاء نصر الله ﴾ يا محمد على مَن عاداك وهم قريش، والفتح فتح مكة.

﴿ورأيت الناسَ يدخلون في دين الله أفواجاً﴾، زُمراً وأرسالاً القبيلة بأسرها والقوم بأجمعهم من غير قتال. قال الحسن: لمّا فتح الله عزّ وجلّ مكة على رسوله قالت العرب بعضها لبعض: إذا ظفر محمد بأهل الحرم، وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل، فليس لكم به يدان، فكانوا يدخلون في دين الله أفواجاً بعد أن كانوا يدخلون واحداً واحداً، واثنين اثنين. وقال عكرمة ومقاتل: أراد بالناس أهل اليمن، أنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري ثنا أحمد بن الكشمهيني ثنا علي بن حجر ثنا إسماعيل بن جعفر ثنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوباً وأرقّ أفئدة، الإيمان يمان والحكمة يمانية». ﴿ فسبّحْ بحمدِ ربِّك واستغفره إنه كان توّاباً ﴾، فإنك حينئذ لاحقٌ به. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو النعمان ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لِمَ تُدخِل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممّن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما رأيتُه دعاني يومئذ إلاّ ليُريهم منّي، فقال: ما تقولون في قوله: ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ حتى ختم السورة؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا جاء نصر وفتح علينا، وقال

والثاني فصل لربك لأن التسبيح جزء من أجزاء الصلاة، ثم قيل عني به صلاة الشكر، وهو ما صلاه رسول الله ﷺ يوم فتح مكة ثمان ركعات.

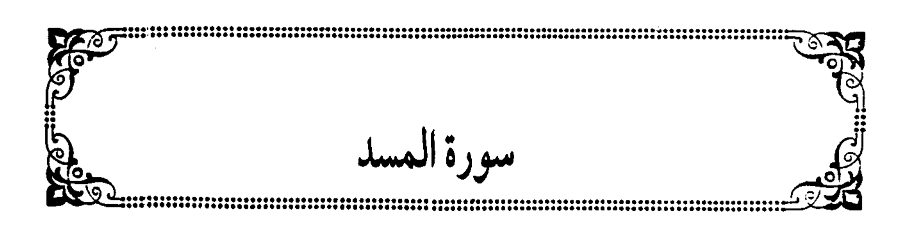
وقيل هي صلاة الضحى. وفي الآية دليل على فضيلة التسبيح، والتحميد حيث جعل ذلك كافياً في أداء ما وجب عليه من شكر نعمة النصر والفتح.

فإن قلت ما معنى هذا الاستغفار، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

قلت إنه تعبده الله بذلك ليقتدى به غيره. إذ لا يأمن كل واحد من نقص يقع في عبادته واجتهاده ففيه تنبيه على أن النبي ﷺ مع عصمته وشدة اجتهاده ما كان يتسغني عن الاستغفار فكيف بمن هو دونه وقيل هو ترك الأفضل والأولى لا عن ذنب صدر منه ﷺ وعلى قول من جوز الصغائر على الأنبياء يكون المعنى، واستغفره لما عسى أن يكون قد وقع من تلك الأمور منه، وقيل المراد منه الاستغفار لذنوب أمته، وهذا ظاهر لأن الله تعالى أمره بذلك في قوله ﴿**واستغفر لذنبك، وللمؤمنين، والمؤمنات**﴾ والله سبحانه وتعالى أعلم.

بعضهم: لا ندري، ولم يقل بعضهم شيئاً، فقال لي: يا ابن عباس أكذلك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه به: ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ فتح مكة، فذلك علامة أجلك.

﴿ **فسبّح بحمد ربّك واستغفره إنه كان توّاباً** ﴾، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل حدّثني عثمان بن أبي شيبة ثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللّهمَّ وبحمدك اللّهمَّ اغفر لي، يتأوّل القرآن. أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجّاج ثنا محمد بن المثنى حدّثني عبد الأعلى ثنا داود عن عامر عن مسروق عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يُكثر من قول: سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب إليه، قالت: فقلت يا رسول الله أراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه؟ فقال: «أخبرني ربّي أني سأرى علامة في أُمتي، فإذا رأيتُها أكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه، فقدْ رأيتُها: ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾، فالفتح فتح مكة، ﴿ **ورأيتَ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً * فسبّح بحمد ربّك واستغفره إنه كان توّاباً** ﴾» قال ابن عباس: لمّا نزلت هذه السورة علم النبي ﷺ أنه نُعيتْ إليه نفسه. قال الحسن: أعلم أنه قد اقترب أجله فأمر بالتسبيح والتوبة ليختم له بالزيادة في العمل الصالح. قال قتادة ومقاتل: عاش النبي ﷺ بعد نزول هذه السورة سبعين يوماً.



مكية وهي خمس آيات وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ② سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ④ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ⑤﴾

قوله عز وجل: ﴿**تبت يدا أبي لهب وتب**﴾ (ق) «عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا، ونادى يا بني فهر يا بني عدي لبطون من قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي، قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً قال فإني لكم نذير بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت ﴿**تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب**﴾ وفي رواية «أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد الجبل، فنادى يا صباحاه فاجتمعت عليه قريش». الحديث وذكر نحوه ومعنى تبت خابت وخسرت، والتباب هو الخسار المفضي إلى الهلاك، والمراد من اليد صاحبها وجملة بدنه، وذلك على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله، وجميعه، وقيل إنه رمى النبي ﷺ بحجر، فأدمى عقبه فلهذا ذكرت اليد، وإن كان المراد جملة البدن فهو كقولهم خسرت يده، وكسبت يده فأضيفت الأفعال إلى اليد، وأبو لهب هو عبد العزي بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي ﷺ وكني بأبي لهب لحسنه وإشراق وجهه.

سُورَة المَسَد

مكيّة وهي خمس آيات.

﴿ **تبّتْ يدا أبي لهب وتبّ** ﴾، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي حدّثنا محمد بن حمّاد ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرّة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: صعد رسول الله ﷺ ذات يوم على الصفا فقال: «يا صاحباه»، قال: فاجتمعت إليه قريش، فقالوا له: ما لك؟ قال: «أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبّحكم أما كنتم تصدّقوني»؟ قالوا: بلى، قال: «فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبّاً ألهذا دعوتنا جميعاً؟ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ **تبّتْ يدا أبي لهب وتبّ** ﴾ إلى آخرها. قوله: ﴿ **تبّت** ﴾ أي خابت وخسرت يدا أبي لهب، أي هو أخبر عن يديه، والمراد به نفسه على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله. وقيل: اليد صلة، كما يقال: يد الدهر ويد الرزايا والبلايا. وقيل: المراد به ماله وملكه، يقال: فلان قليل ذات اليد، يعنون به المال والثياب والخسار الهلاك. وأبو لهب هو ابن عبد المطّلب

فإن قلت لم كناه وفي الكنية تشريف وتكرمة قلت فيه وجوه أحدها أنه كان مشتهراً بالكنية دون الاسم، فلو ذكره باسمه لم يعرف الثاني أنه كان اسمه عبد العزى، فعدل عنه إلى الكنية لما فيه من الشرك الثالث. أنه لما كان من أهل النّار ومآله إلى النار، والنار ذات لهب وافقت حاله كنيته، وكان جديراً بأن يذكر بها. ﴿وتب﴾ قيل الأول أخرج مخرج الدعاء عليه، والثاني أخرج مخرج الخبر كما يقال أهلكه الله، وقد هلك وقيل ثبت يدا أبي لهب، يعني ماله وملكه، كما يقال فلان قليل ذات اليد يعنون به المال، وتب يعني نفسه أي وقد أهلكت نفسه ﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾ قال ابن مسعود: لما دعى رسول الله ﷺ أقرباءه إلى الله تعالى قال أبو لهب: إن كان ما تقول يا ابن أخي حقاً، فأنا أفتدي نفسي بمالي وولدي، فأنزل الله تعالى: ﴿ما أغنى عنه ماله﴾، أي شيء يغني عنه ماله، أي ما يدفع عنه عذاب الله، وما كسب يعني من المال، وكان صاحب مواشي، أي ما جمع من المال أو ما كسب من المال، أي الربح بعد رأس ماله، وقيل وما كسب يعني ولده لأن ولد الإنسان من كسبه، كما جاء في الحديث «إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم» أخرجه الترمذي ثم أوعده بالنّار فقال تعالى: ﴿سيصلى ناراً ذات لهب﴾ أي ناراً تلتهب عليه ﴿وامرأته﴾ يعني أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان بن حرب عمة معاوية بن أبي سفيان، وكانت في نهاية العداوة لرسول الله ﷺ. ﴿حمالة الحطب﴾ قيل كانت تحمل الشّوك، والحسك والعضاه باللّيل، فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ وأصحابه لتؤذيهم بذلك وهي رواية عن ابن عباس فإن قلت إنها كانت من بيت العز

عمّ النبي ﷺ، واسمه عبد العزّى. قال مقاتل كُنّي بأبي لهب لحُسْنه وإشراق وجهه. وقرأ ابن كثير ﴿ أبي لهب ﴾ ساكنة الهاء وهي مثل نهر ونهر. واتفقوا في ذات ﴿ لهب ﴾ أنها مفتوحة الهاء لِوِفَاقِ الفواصل، وتبّ أبو لهب، وقرأ عبد الله: وقد تبّ. قال الفرّاء: الأول دعاء، والثاني خبر، كما يقال: أهلكه الله، وقد فعل.

﴿ ما أغنى عنه ماله وما كسب ﴾، قال ابن مسعود: لمّا دعا رسول الله ﷺ أقرباءه إلى الله عزّ وجلّ قال أبو لهب: إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فإني أفتدي نفسي بمالي وولدي، فأنزل الله تعالى: ﴿ما أغنى عنه ماله﴾ أي ما يغني، وقيل: أي شيء يُغني عنه ماله، أي ما يدفع عنه عذاب الله ما جمع من المال؟ وكان صاحب مواشٍ، ﴿ وما كسب ﴾ قيل: يعني ولده لأن ولد الإنسان من كسبه كما جاء في الحديث: «أطيبُ ما يأكل أحدُكم من كسبه، وإنّ ولده من كسبه».

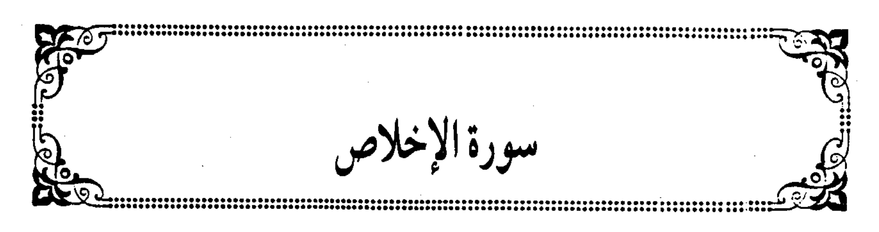
ثم أوعده بالنار فقال: ﴿ سيصلى ناراً ذات لهب ﴾، أي ناراً تلتهب عليه.

﴿ وامرأتُه ﴾، أم جميل بنت حرب بن أُمية أُخت أبي سفيان ﴿ حمّالة الحطب ﴾، قال زيد والضحاك: كانت تحمل الشوك والعضاة فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ، وأصحابه لتعقرهم، وهي رواية عطية عن ابن عباس. وقال قتادة ومجاهد والسدي: كانت تمشي بالنميمة وتنقل الحديث فتلقي العداوة بين الناس، وتوقد نارها كما توقد النار الحطب، يقال: فلان يحطب على فلان إذا كان يغري به. وقال سعيد بن جبير: حمّالة الخطايا، دليله قوله: ﴿ وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ﴾ [الأنعام: ٣١]، قرأ عاصم ﴿ حمّالة ﴾ بالنصب على الذمّ، كقوله: ﴿ ملعونين ﴾ [الأحزاب: ٦١]، وقرأ الآخرون بالرفع وله وجهان أحدهما ﴿ سيصلى ناراً ﴾ هو، ﴿ وامرأته حمّالة الحطب ﴾ والثاني: ﴿ وامرأته حمّالة الحطب ﴾ في النار أيضاً.

﴿ في جيدها ﴾، في عنقها، وجمعه أجياد، ﴿ حبل من مسد ﴾، واختلفوا فيه قال ابن عباس وعروة بن الزبير: سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعاً تدخل في فيها وتخرج من دبرها، ويكون سائرها في عنقها، وأصله من المسد وهو الفتل، والمسد ما فتل وأُحكم من أيّ شيء كان، يعني السلسلة التي في عنقها ففتلت من الحديد

والشرف فكيف يليق بها حمل الحطب؟ قلت يحتمل أنها كانت مع كثرة مالها، وشرفها في نهاية البخل والخسة، فكان يحملها بخلها على حمل الحطب بنفسها، ويحتمل أنها كانت تفعل ذلك لشدّة عداوتها لرسول الله ﷺ ولا ترى أنها تستعين في ذلك بأحد بل تفعله هي بنفسها، وقيل كانت تمشي بالنميمة وتنقل الحديث وتلقي العداوة بين النّاس وتوقد نارها، كما توقد النار الحطب يقال فلان يحطب على فلان إذا كان يغري به، وقيل حمالة الخطايا والآثام التي حملتها في عداوة رسول الله ﷺ لأنها كانت كالحطب في مصيرها إلى النار. **﴿في جيدها﴾** أي عنقها **﴿حبل من مسد﴾** قال ابن عباس: سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعاً تدخل من فيها، وتخرج من دبرها، ويكون سائرها في عنقها. فتلت من حديد فتلا محكماً وقيل هو حبل من ليف، وذلك الحبل هو الذي كانت تحتطب به، فبينما هي ذات يوم حاملة الحزمة أعيت، فقعدت على حجر تستريح أتاها ملك، فجذبها من خلفها، فأهلكها، وقيل هو حبل من شجر ينبت باليمن يقال له المسد، وقيل قلادة من ودع، وقيل كانت لها خرزات في عنقها، وقيل كانت لها قلادة فاخرة. قالت لأنفقنها في عداوة محمد ﷺ والله تعالى أعلم.

فتلاً محكماً. وروى الأعمش عن مجاهد: من مسد أي من حديد، والمسد الحديدة التي تكون في البكرة، يقال لها المحور، وقال الشعبي ومقاتل: من ليف. قال الضحاك وغيره: في الدينا من ليف وفي الآخرة من نار، وذلك الليف هو الحبل الذي كانت تحتطب به، فبينما هي ذات يوم حاملة حزمة فأعيت فقعدت على حجر تستريح فأتاها ملك فجذبها من خلفها فأهلكها، قال ابن زيد: حبل من شجر ينبت باليمن يقال له مسد، قال قتادة: قلادة من ودع. وقال الحسن: كانت خرزات في عنقها. وقال سعيد بن المسيب: كانت لها قلادة في عنقها فاخرة، فقالت: لأنفقنّها في عداوة محمد ﷺ.



سورة الإخلاص

(وهي مكية وقيل مدنية وهي أربع آيات، وخمس عشرة كلمة وسبعة وأربعون حرفاً)

(فصل في فضلها)

(خ) عن أبي سعيد الخدري «أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ يرددها، فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ، فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»، وفي رواية قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم فقالوا: أيّنا يطيق ذلك يا رسول الله فقال: ﴿قل هو الله أحد﴾، الله الصّمد ثلث القرآن» (م) عن أبي الدّرداء أن النبي ﷺ قال «إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل قل هو الله أحد جزءاً من القرآن» (م) عن أبي هريرة قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ فقال أقرأ عليكم ثلث القرآن، فقرأ ﴿قل هو الله أحد الله الصّمد﴾، حتى ختمها»، وقد ذكر العلماء رضي الله عنهم في كونه ﷺ جعل سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن أقوال متناسبة متقاربة، فقيل إن القرآن العزيز لا يعدو ثلاثة أقسام، وهي الإرشاد إلى معرفة ذات الله تعالى: وتقديسه أو صفاته وأسمائه أو معرفة أفعاله، وسنته مع عباده، ولما اشتملت سورة الإخلاص على أحد هذه الأقسام الثلاثة، وهو التّقديس وازنها رسول الله ﷺ بثلث القرآن لأن منتهى التقديس في أن يكون واحداً في ثلاثة أمور لا يكون حاصلاً منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه. قوله ﴿لم يلد﴾، ولا يكون حاصلاً ممن هو نظيره، وشبيهه، ودل عليه قوله ﴿ولم يولد﴾، ولا يكون أحد في درجته وإن لم يكن أصلاً له، ولا فرعاً منه، ودل عليه قوله ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾، ويجمع ذلك كله قوله ﴿قل هو الله أحد﴾، وجملته وتفصيله، هو قولك لا إله إلا الله فهذا سر من أسرار القرآن المجيد الذي لا تتناهى أسراره، ولا تنقضي عجائبه وقال الإمام فخر الدين الرّازي: لعل الغرض منه أن يكون المقصود الأشرف في جميع الشرائع، والعبادات معرفة ذات الله جلّ جلاله وتعالى علاؤه وثناؤه، ومعرفة أفعاله، وهذه السورة مشتملة على معرفة ذات الله تعالى، فلهذا كانت هذه السورة معادلة لثلث القرآن، وقال الشّيخ محيي الدين النّووي رحمه الله، قيل معناه إن القرآن على ثلاثة أنحاء قصص، وأحكام وصفات الله تعالى، وقل هو الله أحد متضمنة للصفات، فهي ثلث القرآن، وجزء من ثلاثة أجزاء، وقيل معناه أن ثواب قراءتها يتضاعف بقدر ثواب قراءة ثلث القرآن بغير تضعيف. قوله يتقللها يقال استقللت الشيء، وتقللته وتقاللته أي عددته قليلاً في بابه، ونظرت إليه بعين القلة قيل سميت ﴿قل هو الله أحد﴾ سورة الإخلاص. إما لأنها خالصة لله تعالى في صفته أو لأن قارئها قد أخلص لله التوحيد، ومن فوائد هذه السّورة أن الاشتغال بقراءتها يفيد الاشتغال بالله، وملازمة الأعراض عما سوى الله تعالى وهي متضمنة تنزيه الله تعالى، وبراءته، عن كل ما لا يليق به لأنها مع قصرها جامعة لصفات الأحديّة والصّمدانية، والفردانية، وعدم النّظير عن أنس عن النبي ﷺ قال: «من قرأ كل يوم مائتي مرة قل هو الله أحد، محيت عنه ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين»، وفي رواية عنه عن النبي ﷺ قال: «من أراد أن ينام على فراشه، فنام على يمينه فقرأ قل هو الله أحد مائة مرة فإذا كان يوم القيامة يقول الرب جلّ جلاله يا عبدي ادخل عن يمينك الجنة» أخرجه التّرمذي وقال: حديث غريب وعنه «أن رجلاً قال يا رسول الله إني أحب هذه السّورة ﴿قل هو الله

أحد﴾، قال حبك إيّاها أدخلك الجنة» أخرجه التّرمذي عن أبي هريرة قال «أقبلت مع رسول الله ﷺ، فسمع رجلاً يقرأ ﴿قل هو الله أحد الله الصمد﴾، فقال رسول الله ﷺ وجبت قلت: وما وجبت قال الجنة» أخرجه الترمذي، وقال حديث حسن غريب صحيح، والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾

قوله عز وجل: ﴿قل هو الله أحد﴾ عن أبي بن كعب «أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ انسب لنا ربك، فأنزل الله ﴿قل هو الله أحد الله الصمد﴾ والصّمد الذي لم يلد، ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله لا يموت ولا يورث، ولم يكن له كفواً أحد. قال لم يكن له شبيه، ولا عديل، وليس كمثله شيء» أخرجه التّرمذي وقال: وقد روي عن أبي العالية أن النبي ﷺ ذكر آلهتهم، فقالوا انسب لنا ربك، فأتاه جبريل بهذه السّورة ﴿قل هو الله أحد﴾ وذكر نحوه، ولم يذكر فيه عن أبي بن كعب، وهذا أصح وقال ابن عباس أن عامر بن الطفيل، وأربد بن ربيعة أتيا النبي ﷺ فقال عامر: إلاّم تدعونا يا محمد قال إلى الله قال صفه لنا أمن ذهب هو أم من فضة، أم من حديد، أم من خشب، فنزلت هذه السّورة، ﴿وأهلّك الله أربد بالصاعقة وعامر بالطاعون﴾ وقد تقدم ذكرهما في سورة الرّعد، وقيل جاء ناس من أحبار اليهود إلى النبي ﷺ، فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك، فإن الله تعالى أنزل نعته في التوراة، فأخبرنا من أي شيء هو، وهل يأكل ويشرب، وممن ورث الربوبية، ولمن يورثها، فأنزل الله هذه السّورة ﴿قل هو الله أحد﴾ يعني الذي سألتموني عنه هو الله الواحد في الألوهية، والرّبوبية الموصوف بصفات الكمال والعظمة المنفرد عن الشبه، والمثل والنظير، وقيل لا يوصف أحد بالأحدية غير الله تعالى فلا يقال رجل أحد، ودرهم أحد بل أحد صفة من صفات الله تعالى. استأثر بها فلا يشركه فيها أحد، والفرق بين الواحد، والأحد أن الواحد يدخل في الأحد، ولا ينعكس، وقيل إن الواحد يستعمل في الإثبات والأحد في النفي تقول في الإثبات رأيت رجلاً واحداً، وفي النفي ما رأيت أحداً، فتفيد العموم، وقيل الواحد هو المنفرد بالذات فلا يضاهيه أحد، والأحد هو

سُورَةَ الإخلاص

مكيّة وهي أربع آيات.

﴿ قل هو الله أحد ﴾، روى أبو العالية عن أُبيّ بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: أنسِبْ لنا ربَّك، فأنزل الله تعالى هذه السورة. وروى أبو ظبيان وأبو صالح عن ابن عباس أن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أتيا النبي ﷺ فقال عامر: إلاَمَ تدعونا يا محمد؟ قال: إلى الله، قال: صِفْهُ لنا أمن ذهب هو؟ أم من فضة؟ أم من حديد،؟ أم من خشب؟ فنزلت هذه السورة. فأهلك الله أربد بالصاعقة وعامر بن الطفيل بالطاعون، ذكرناه في سورة الرعد [١٣]. وقال الضحاك وقتادة ومقاتل: جاء ناسٌ من أحبار اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: صف لنا ربك يا محمد لعلّنا نؤمن بك، فإن الله أنزل نعته في التوراة، فأخبرنا من أيّ شيء هو؟ وهل يأكل ويشرب؟ ومَن يرث السماء؟ ومَن يرث الأرض؟ فأنزل الله هذه السورة: ﴿ قل هو الله أحد ﴾ أي واحد، ولا فرق بين الواحد والأحد، يدلّ عليه قراءة ابن مسعود: قل هو الله الواحد.

﴿ الله الصّمد ﴾، قال ابن عباس ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير: الصمد الذي لا جوف له. قال الشعبي:

المنفرد بالمعنى فلا يشاركه فيه أحد ﴿الله الصمد﴾ قال ابن عباس: الصمد الذي لا جوف له وبه قال جماعة من المفسرين، ووجه ذلك من حيث اللّغة أن الصّمد الشيء المصمد الصّلب الذي ليس فيه رطوبة، ولا رخاوة، ومنه يقال لسداد القارورة الصماد. فإن فسر الصمد بهذا كان من صفات الأجسام، ويتعالى الله جلّ وعزّ عن صفات الجسمية، وقيل وجه هذا القول إن الصمد الذي ليس بأجوف، معناه هو الذي لا يأكل، ولا يشرب، وهو الغني عن كل شيء، فعلى هذا الاعتبار هو صفة كمال، والقصد بقوله الله الصّمد التّنبيه على أنه تعالى بخلاف من أثبتوا له الإلهية، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام﴾ وقيل الصّمد الذي ليس بأجوف شيئان أحدهما دون الإنسان، وهو سائر الجمادات الصّلبة والثاني أشرف من الإنسان وأعلى منه وهو الباريء جل وعز وقال أبي بن كعب الصمد الذي لم يلد، ولم يولد لأن من يولد سيموت، ومن يموت يورث منه. وروى البخاري في أفراده عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: الصّمد هو السّيد الذي انتهى سودده، وهي رواية عن ابن عباس، أيضاً قال هو السيد الذي كمل فيه جميع أوصاف السودد، وقيل هو السيد المقصود في جميع الحوائج المرغوب إليه في الرغائب المستعان به عند المصائب، وتفريج الكرب وقيل هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله وتلك دالة على أنه المتناهي في السودد والشرف، والعلو والعظمة، والكمال والكرم والإحسان، وقيل الصمد الدائم الباقي بعد فناء خلقه، وقيل الصمد الذي ليس فوقه أحد، وهو قول علي، وقيل هو الذي لا تعتريه الآفات ولا تغيره الأوقات وقيل هو الذي لا عيب فيه وقيل الصمد هو الأول الذي ليس له زوال والآخر الذي ليس لملكه انتقال. والأولى أن يحمل لفظ الصمد على كل ما قيل فيه لأنه محتمل له، فعلى هذا يقتضي أن لا يكون في الوجود صمد سوى الله تعالى

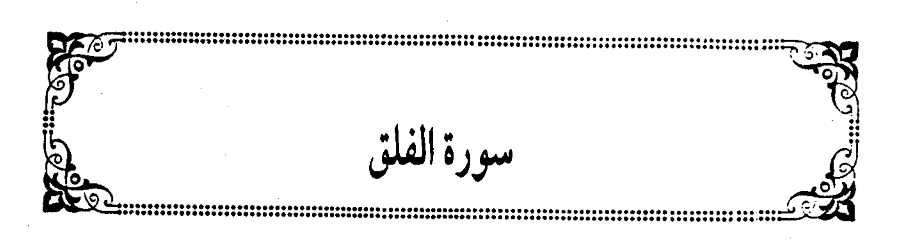
الذي لا يأكل ولا يشرب. وقيل: تفسيره ما بعده. روى أبو العالية عن أُبيّ بن كعب قال: الصمد الذي لم يلد ولم يولد لأن مَن يولد سيموت ومَن يرث يورث منه. قال أبو وائل شقيق بن سلمة: هو السيد الذي قد انتهى سُؤدُده، وهو رواية عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس، قال: هو السيد الذي قد كمل في جميع أنواع السؤدد. وعن سعيد بن جبير أيضاً: هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله. وقيل: هو السيد المقصود في الحوائج. وقال السدي: هو المقصود إليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب، تقول العرب: صمدت فلاناً أصمده صمداً بسكون الميم إذا قصدته، والمقصود صمد بفتح الميم. وقال قتادة: الصمد الباقي بعد فناء خلقه. وقال عكرمة: الصمد الذي ليس فوقه أحد، وهو قول علي. وقال الربيع: الذي لا تعتريه الآفات. قال مقاتل بن حيان: الذي لا عيب فيه.

﴿ لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد ﴾، قرأ حمزة وإسماعيل (كفؤاً) ساكنة الفاء مهموزاً، وقرأ حفص عن عاصم بضمّ الفاء من غير همز، وقرأ الآخرون بضمّ الفاء مهموزاً، وكلها لغات صحيحة، ومعناه: المثل أي هو أحد، وقيل: هوعلى التقديم والتأخير مجازه: لم يكن له أحد كفواً أي مثلاً. قال مقاتل: قال مشركوا العرب: الملائكة بنات الله، وقالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، فأكذبهم الله ونفى عن ذاته الولادة والمثل. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري أنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: كذبني ابنُ آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إيّاي فقوله: لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إيّاي فقوله: اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد». أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا أبو علي زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة الأنصاري عن أبيه عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ: ﴿ قلْ هو الله أحد ﴾ ويردّد، فلما أصبح أتى رسولَ الله ﷺ فذكر ذلك له، وكان

العظيم القادر على كل شيء وأنه اسم خاص بالله تعالى انفرد به له الأسماء الحسنى والصّفات العليا ﴿**ليس كمثله شيء وهو السّميع البصير**﴾.

قوله عز وجل: ﴿**لم يلد ولم يولد**﴾ وذلك أن مشركي العرب قالوا الملائكة بنات الله، وقالت اليهود عزيز ابن الله، وقالت النّصارى المسيح ابن الله فكذبهم الله عز وجل، ونفى عن نفسه ما قالوا بقوله ﴿**لم يلد**﴾ يعني كما ولد عيسى، وعزير، ﴿**ولم يولد**﴾ معناه أن من ولد كان له والد فنفى عنه إحاطة النسب من جميع الجهات، فهو الأول الذي لم يتقدمه، والد كان عنه وهو الآخر الذي لم يتأخر عنه ولد يكون عنه، ومن كان كذلك فهو الذي لم يكن له كفواً أحد، أي ليس له من خلقه مثل، ولا نظير ولا شبيه فنفى عنه. بقوله ﴿**ولم يكن له كفواً أحد**﴾ العديل والنّظير، والصّاحبة والولد (خ) عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني، ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إيّاي فقوله لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد، ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد» والله سبحانه وتعالى أعلم.

الرجل يتقالها، فقال له رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو بكر محمد بن الحسن الأصفهاني أنا عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس ثنا يونس بن حبيب ثنا أبو داود الطيالسي ثنا شعبة عن قتادة سمعت سالم بن أبي الجعد يحدّث عن معدان بن أبي طلحة عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة»؟ قلت: يا رسول الله ومَن يطيق ذلك؟ قال: اقرؤوا قُلْ هو الله أحد»، وأخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبيد الله بن عبد الرحمن عن عبيد بن جبير مولى زيد بن الخطاب أنه قال: سمعت أبا هريرة يقول أقبلت مع رسول الله ﷺ فسمع رجلاً يقرأ: ﴿ قلْ هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد ﴾. فقال رسول الله ﷺ: «وجبتْ»، فسألته: ماذا يا رسول الله؟ فقال: «الجنة». فقال أبو هريرة: فأردت أن أذهب إلى الرجل فأبشّره، ثم فرقت أن يفوتني الغداء مع رسول الله ﷺ فآثرت الغداء، ثم ذهبت إلى الرجل فوجدته قد ذهب. أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي ثنا عبد الرحيم بن منيب ثنا يزيد بن هارون ثنا المبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس قال: قال رجل لرسول الله ﷺ: إني أُحبّ هذه السورة: ﴿ قل هو الله أحد ﴾: قال: «حبّكَ إياها أدخلك الجنة».



سورة الفلق

مدنية وقيل مكية والأول أصح وهي خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وأربعة وسبعون حرفاً.

(م) عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال «ألم تر آيات أنزلت هذه اللّيلة لم ير مثلهن قط، ﴿**قل أعوذ برب الفلق**﴾، ﴿**وقل أعوذ برب الناس**﴾ فيه بيان عظيم فضل هاتين السورتين، وفيه دليل واضح على كونهما من القرآن، وفيه رد على من نسب إلى ابن مسعود خلاف هذا، وفيه بيان أن لفظة **قل** من القرآن أيضاً وأنه من أول السورتين بعد البسملة، وقد اجتمعت الأمة على هذا كله بعد خلاف ذكر فيه (خ) عن زر بن حبيش قال: «سألت أبي بن كعب عن المعوذتين قلت يا أبا الوليد إن أخاك ابن مسعود يقول كذا، وكذا، فقال سألت رسول الله ﷺ فقال: قيل لي فقلت فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ»، وفي رواية مثلها ولم يذكر ابن مسعود عن عبد الله بن حبيب قال «أصابنا طش وظلمة فانتظرنا رسول الله ﷺ يصلي بنا فخرج فقال قلت ما أقول قال ﴿**قل هو الله أحد الله الصّمد**﴾، والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح تكفيك كل شيء» وفي رواية «قال كنت مع رسول الله ﷺ بطريق مكة فأصبت خلوة من رسول الله ﷺ، فدنوت منه فقال قل قلت ما أقوال قال ﴿**قل أعوذ برب الفلق**﴾، حتى تختمها ثم ﴿**قل أعوذ برب الناس**﴾، حتى تختمها ثم قال ما تعوذ بالنّاس بأفضل منهما» أخرجه النسائي عن جابر بمثله، ومعنى الطّش الطشيش المطر الضّعيف، وهو قول أبي الدّرداء.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

قوله عز وجل: ﴿**قل أعوذ برب الفلق**﴾ قال ابن عباس وعائشة: «كان غلام من اليهود يخدم النبي ﷺ فدبت إليه اليهود، فلم يزالوا به حتى أخذ من مشاطة رأس رسول الله ﷺ وعدة من أسنان مشطه، فأعطاها اليهود، فسحروه فيها، وتولى ذلك لبيد بن الأعصم رجل من اليهود فنزلت السورتان فيه». (ق) عن عائشة «أن النبي ﷺ سحر حتى كان يخيل إليه أن يصنع الشيء ولم يصنعه» وفي رواية «أنه يخيل إليه فعل الشيء، وما فعله حتى إذا كان يوم، وهو عندي دعا الله، ودعاه ثم قال أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه قلت، وما ذاك يا رسول الله قد جاءني رجلان،

سُورَة الفَلَقْ

مكّية وقيل مدنيّة وهي خمس آيات.

﴿ **قل أعوذ بربِّ الفلق** ﴾، قال ابن عباس وعائشة: كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ فدبّت إليه اليهود، فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ وعدّة أسنان من مشطة، فأعطاها اليهود فسحروه فيها، وتولى

فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، ثم قال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال مطبوب، قال ومن طبه قال لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زريق قال: فيما ذا قال في مشط ومشاطة، وجف طلعة ذكر قال فأين هو قال في بئر ذروان، ومن الرواة من قال في بئر بني زريق فذهب النبي ﷺ في أناس من أصحابه إلى البئر فنظر إليها وعليها نخل ثم رجع إلى عائشة فقال والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رؤوس الشياطين قلت يا رسول الله فأخرجه. قال أما أنا فقد عافاني الله وشفاني، وخفت أن أثير على الناس منه شراً». وفي رواية للبخاري «أنه كان يرى أنه يأتي النساء، ولا يأتيهن قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذلك» عن زيد بن أرقم قال «سحر رجل من اليهود النبي ﷺ فاشتكى ذلك أياماً فأتاه جبريل فقال إن رجلاً من اليهود سحرك، وعقد لك عقداً في بئر كذا فأرسل رسول الله ﷺ علياً فاستخرجها، فجاء بها فحلها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال، فما ذكر ذلك لليهودي، ولا رآه في وجهه قط» أخرجه النسائي وروى «أنه كان تحت صخرة في البئر فرفعوا الصخرة وأخرجوا جف الطلعة، فإذا فيه مشاطة من رأسه ﷺ وأسنان من مشطه»، وقيل كان في وتر عقد عليه إحدى عشرة عقدة وقيل كان مغروزاً بالإبر فأنزل الله هاتين السورتين، وهما إحدى عشرة آية سورة الفلق خمس آيات، وسورة الناس ست آيات، فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها، فقام النبي ﷺ كأنما نشط من عقال وروى «أنه لبث ستة أشهر، واشتد عليه ذلك ثلاث ليال فنزلت المعوذتان» (م) عن أبي سعيد الخدري «أن جبريل أتى النبي ﷺ، فقال يا محمد اشتكيت قال نعم قال بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك».

(فصل وقبل الشروع في التفسير نذكر معنى الحديث، وما قيل فيه، وما قيل في السحر، وما قيل في الرقى)

قولها في الحديث إن النبي ﷺ سحر حتى كان يخيل إليه أنه يصنع الشيء، ولم يصنعه.

قال الإمام المازري مذهب أهل السّنة، وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر، وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثّابتة خلافاً لمن أنكر ذلك، ونفى حقيقته، وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها، وقد ذكره الله في كتابه، وذكر أنه مما يتعلم، وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به، وأنه يفرق بين المرء، وزوجه وهذا كله لا يمكن أن يكون مما لا حقيقة له وهذا الحديث الصحيح مصرح بإثباته، ولا يستنكر في العقل إن الله تعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو المزج بين قوي لا يعرفها إلا الساحر، وأنه لا فاعل إلا الله تعالى، وما يقع من ذلك فهو عادة أجراها الله تعالى على يد من يشاء من عباده.

ذلك لبيد بن الأعصم رجل من اليهود، فنزلت السورتان فيه، أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنا أنس بن عياض عن هشام عن أبيه عن عائشة أن النـبيّ ﷺ طبّ حتى أنه ليخيّل إليه أنه قد صنع شيئاً وما صنعه وإنه دعا ربّه ثم قال أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه، فقالت عائشة: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجليّ، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال الآخر: هو مطبوب، قال: مَن طبّه؟ قال لبيد بن الأعصم، قال: فيماذا قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر، قال: فأين هو؟ قال: في ذروان، وذروان بئر في بني زريق، قالت عائشة: فأتاها رسول الله ﷺ ثم رجع إلى عائشة، فقال: والله لكأن ماءها نقاعة الحنّاء ولكأن نخلها رؤوس الشياطين، قالت: فقلت له يا رسول الله فهلّا أخرجته؟ قال: «أما أنا فقد شفاني الله فكرهت أن أُثير على الناس به شرّاً»، ورُوِيَ أنه كان تحت صخرة في البئر فرفعوا الصخرة وأخرجوا جفّ الطلعة فإذا

فإن قلت المستعاذ منه هل هو بقضاء الله، وقدره فذلك قدح في القدرة.

قلت كل ما وقع في الوجود هو بقضاء الله، وقدره والاستشفاء بالتّعوذ، والرّقى من قضاء الله، وقدره يدل على صحة ذلك. ما روى التّرمذي عن ابن أبي خزامة عن أبيه قال: «سألت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله أرأيت رقى نسترقي بها، ودواء نتداوى به، وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئاً، قال: هي من قدر الله تعالى» قال التّرمذي: هذا حديث حسن وعن عمر نفر من قدر الله إلى قدر الله تعالى.

(فصل)

وقد أنكر بعض المبتدعة حديث عائشة المتفق عليه، وزعم أنه يحط منصب النّبوة ويشكك فيها وأن تجويزه يمنع الثّقة بالشّرع.

ورد على هذا المبتدع بأن الذي ادعاه باطل لأن الدّلائل القطعية، والنقلية قد قامت على صدقه ﷺ، وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ، والمعجزة شاهدة بذلك، وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل.

وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا، وهو ما يعرض للبشر فغير بعيد أن يخيل إليه من أمور الدنيا ما لا حقيقة له.

وقد قيل إنه كان يخيل إليه أنه وطىء زوجاته، وليس واطىء، وهذا مثل ما يتخيله الإنسان في المنام. فلا يبعد أن يتخيله في اليقظة، ولا حقيقة له، وقيل إنه يخيل إليه أنه فعله وما فعله، ولكن لا يعتقد ما تخيله فتكون اعتقاداته على السّداد قال القاضي: وقد جاءت في بعض روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما سلط على بدنه وظواهر جوارحه لا على قلبه وعقله واعتقاده وليس في ذلك ما يوجب لبساً على الرسالة ولا طعناً لأهل الزّيغ والضّلالة، وقوله ما وجع الرجل قال مطبوب أي مسحور قوله، وجف طلعة ذكر يروى بالباء ويروى بالفاء، وهو وعاء طلع النخل.

وأما الرّقي والتّعاويذ فقد اتفق الاجماع على جواز ذلك إذا كان بآيات من القرآن، أو إذ كانت وردت في الحديث، ويدل على صحته الأحاديث الواردة في ذلك منها حديث أبي سعيد المتقدم أن جبريل رقي النبي ﷺ، ومنها ما روي عن عبيد بن رفاعة الزرقي «أن أسماء بنت عميس قالت يا رسول الله إن ولد جعفر تسرع إليهم العين. أفأسترقي لهم قال نعم فإنه لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين» أخرجه التّرمذي وقال: حديث صحيح وعن أبي سعيد الخدري «أن النبي ﷺ كان يتعوذ ويقول أعوذ بالله من الجان، وعين الإنسان فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما، وترك ما سواهما» أخرجه التّرمذي وقال: حديث حسن غريب فهذه الأحاديث تدل على جواز الرّقية، وإنما المنهي عنه منها ما كان فيه كفر أو شرك أو ما لا يعرف معناه مما ليس بعربي لجواز أن يكون فيه كفر والله أعلم.

فيه مشاطة رأسه وأسنان مشطه فيها. أخبرنا المطهر بن علي الفارسي أنا محمد بن إبراهيم الصالحاني ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر أبو الشيخ الحافظ أنا ابن أبي عاصم ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم قال: سحر النبي ﷺ رجلٌ من اليهود، قال فاشتكى لذلك أياماً، قال: فأتاه جبريل، فقال: إن رجلاً من اليهود سحرك وعقد لك عقداً، فأرسل رسول الله ﷺ علياً فاستخرجها فجاء بها، فجعل كلّماحلّ عقدة وجد لذلك خفّة، فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال، فما ذكر ذلك لليهود ولا رأوه في وجهه قطّ، قال مقاتل والكلبي: كان في وتر عقد عليه إحدى عشرة عقدة. وقيل: كانت العقدة مغروزة بالإبرة، فأنزل الله هاتين السورتين وهي إحدى عشرة آية، سورة الفلق خمس آيات، وسورة الناس ستّ آيات، كلما قرأ آية انحلّت عقدة، حتى انحلّت العقد كلها، فقام النبي ﷺ كأنما نشط من عقال. ورُوِيَ: أنه لبث فيه ستّة أشهر واشتدّ عليه ثلاث ليالٍ، فنزلت المعوذتان، أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا

(وأما التفسير)

فقوله عز وجل ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾، أراد بالفلق الصبح، وهو قول الأكثرين، ورواية عن ابن عباس لأن الليل ينفلق عن الصبح وسبب تخصيصه في التعوذ أن القادر على إزالة هذه الظلمة عن العالم قادر على أن يدفع عن المستعيذ ما يخافه، ويخشاه، وقيل إن طلوع الصبح كالمثال لمجيء الفرج، كما أن الإنسان ينتظر طلوع الصّباح، فكذلك الخائف يترقب مجيء النجاح، وقيل إن تخصيص الصبح بالذكر في هذا الموضع لأنه وقت دعاء المضطرين، وإجابة الملهوفين، فكأنه يقول قل أعوذ برب الوقت، الذي يفرج فيه هم المهمومين والمغمومين، وروي عن ابن عباس أن الفلق سجن في جهنم، وقيل هو واد في جهنم إذ فتح استعاذ أهل النار من حره، ووجهه أن المستعيذ قال: أعوذ برب هذا العذاب، القادر عليه من شر عذابه، وغيره وروي عن ابن عباس أيضاً أن الفلق الخلق، ووجه هذا التأويل، أن الله تعالى فلق ظلمات بحر العدم بإيجاد الأنوار، وخلق منه الخلق، فكأنه قال قل أعوذ برب جميع الممكنات، ومكون جميع المحدثات ﴿من شر ما خلق﴾ قيل يريد به إبليس خاصة لأنه لم يخلق الله خلقاً هو شر منه، ولأن السحر لا يتم إلا به وبأعوانه وجنوده، وقيل من شر كل ذي شر، وقيل من شر ما خلق من الجن، والإنس. ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت «إن رسول الله ﷺ نظر إلى القمر فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب» أخرجه التّرمذي وقال حديث حسن صحيح، فعلى هذا الحديث المراد به القمر إذا خسف، واسود ومعنى وقب دخل في الخسوف، أو أخذ في الغيبوبة، وقيل سمي به لأنه إذا خسف اسود، وذهب ضوءه وقيل إذا وقب دخل في المحاق، وهو آخر الشهر وفي ذلك الوقت يتم السحر المورث للتمريض، وهذا مناسب لسبب نزول هذه الآية. وقال ابن عباس: الغاسق الليل إذا وقب أي أقبل بظلمته من المشرق، وقيل سمي الليل غاسقاً لأنه أبرد من النهار، والغسق البرد وإنما أمر بالتعوذ من الليل لأن فيه تنتشر الآفات، ويقل الغوث وفيه يتم السحر، وقيل الغاسق الثريا إذا سقطت، وغابت، وقيل إن الأسقام تكثر عند وقوعها، وترتفع عند طلوعها فلهذا أمر بالتعوذ من الثريا عند سقوطها ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ يعني السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها، وقيل المراد بالنفاثات بنات لبيد بن الأعصم اللاتي سحرن النبي ﷺ، والنفث النفخ مع ريق قليل، وقيل إنه النفخ فقط.

إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجّاج ثنا بشر بن هلال الصوّاف ثنا عبد الوارث ثنا عبد العزيز بن صهيب عن أبي نضرة عن أبي سعيد: أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد اشتكيت؟ قال: نعم، قال: «بسم الله أرقيك من كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، بسم الله أرقيك». قوله عزّ وجلّ: ﴿ قلْ أعوذ بربّ الفلق ﴾، أراد بالفلق الصبح، وهو قول جابر بن عبد الله والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وأكثر المفسّرين، وهي رواية العوفي عن ابن عباس بدليل قوله: ﴿ فالق الإصباح ﴾ [الأنعام: ٩٦] ورُوِيَ عن ابن عباس: أنه سجن في جهنم. وقال الكلبي: وادٍ في جهنم. وقال الضحاك: يعني الخلق، وهي رواية الوالبي عن ابن عباس، والأول المعروف.

﴿ من شرِّ ما خلق * ومن شرِّ غاسق إذا وقب ﴾، أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا جعفر بن محمد المغلس ثنا هارون بن إسحاق الهمداني ثنا وكيع عن ابن أبي ذئب عن خالد بن الحارث بن عبد الرحمن عن أبي سلمة عن عائشة قالت: أخذ النبي ﷺ بيدي فنظر إلى القمر فقال: «يا عائشة استعيذي بالله من شرّ غاسق إذا وقب، هذا غاسق إذا وقب» فعلى هذا المراد به القمر إذا خسف واسودّ: وَقَبَ، أي دخل في الخسوف أو أخذ في الغيبوبة وأظلم. وقال ابن عباس: الغاسق الليل إذا أقبل بظلمته من المشرق ودخل في كل شيء وأظلم، والغسق

واختلفوا في جواز النّفث في الرّقى، والتّعاويذ الشّرعية المستحبة فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، ويدل عليه حديث عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات» الحديث وأنكر جماعة التّفل، والنّفث في الرقى، وأجازوا النّفخ بلا ريق قال عكرمة: لا ينبغي للرّاقي أن ينفث ولا يمسح ولا يعقد، وقيل النفث في العقد إنما يكون مذموماً إذا كان سحراً مضراً بالأرواح والأبدان، وإذا كان النفث لإصلاح الأرواح والأبدان وجب أن لا يكون مذموماً، ولا مكروهاً بل هو مندوب إليه. ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ الحاسد هو الذي يتمنى زوال نعمة الغير، وربما يكون مع ذلك سعى، فلذلك أمر الله تعالى بالتعوذ منه، وأراد بالحاسد هنا اليهود، فإنهم كانوا يحسدون النبي ﷺ أو لبيد بن الأعصم وحده والله سبحانه، وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه.

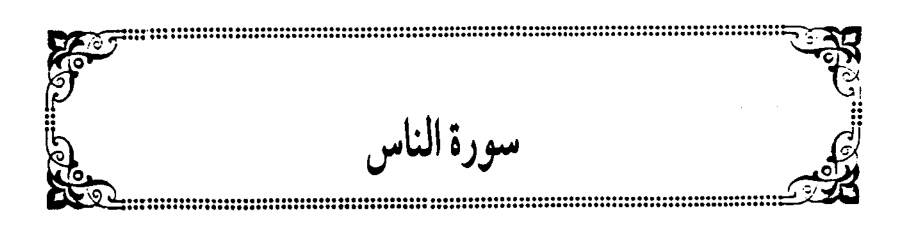
الظلمة، يقال غسق الليل وأغسق إذا أظلم، وهو قول الحسن ومجاهد، يعني: الليل إذا أقبل ودخل، والوقوب: الدخول، وهو دخول الليل بغروب الشمس. قال مقاتل: يعني ظلمة الليل إذا دخل سواده في ضوء النهار. وقيل: سُمّي الليل غاسقاً لأنه أبرد من النهار، والغسق البرد. وقال ابن زيد: يعني الثريا إذا سقطت. ويقال: إن الأقسام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها.

﴿ومن شرّ النفّاثات في العقد﴾، يعني السواحر اللّاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها. قال أبو عبيدة: هنّ بنات لبيد بن الأعصم سحرن النبي ﷺ.

﴿ومن شرِّ حاسد إذا حسد﴾، يعني اليهود فإنهم كانوا يحسدون النبيّ ﷺ.

سورة الناس

وهي مدنية وقيل مكية والأول أصح وهي ست آيات وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفاً.



قوله عز وجل: ﴿**قل أعوذ برب الناس**﴾ إنما خصص الناس بالذّكر، وإن كان رب جميع المحدثات لأنه لما أمر بالاستعاذة من شر الوسواس، فكأنه قال أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذي يملك عليهم أمورهم، وهو إلههم ومعبودهم فإنه هو الذي يعيذهم من شرهم، وقيل إن أشرف المخلوقات هم الناس، فلهذا خصهم بالذكر. ﴿**ملك الناس إله النّاس**﴾ إنما وصف نفسه أولاً: بأنه رب الناس، لأن الرب قد يكون ملكاً، وقد لا يكون ملكاً فنبه بذلك على أنه ربهم، وملكهم ثم إن الملك لا يكون إلهاً، فنبه بقوله ﴿**إله الناس**﴾ على أن الإلهية خاصة بالله سبحانه، وتعالى لا يشاركه فيها أحد، والسبب في تكرير لفظ الناس يقتضي مزيد شرفهم على غيرهم ﴿**من شر الوسواس**﴾ يعني الشّيطان ذا الوسواس، والوسوسة الهمز، والصوت الخفي. ﴿**الخناس**﴾ يعني الرجاع من الذي عادته أن يخنس أي يتأخر. قيل إن الشيطان جاثم على قلب الإنسان، فإذا غفل وسها وسوس، وإذا ذكر الله تعالى خنس الشيطان عنه، وتأخر وقال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير في صدر الإنسان فإذا ذكر العبد ربه خنس، ويقال رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمسه ويجذبه، فإذا ذكر الله تعالى خنس وإذا لم يذكر الله

سُوْرَة النّاس

مكيّة وقيل مدنيّة وهي ستّ آيات.

﴿ **قلْ أعوذ بربِّ الناس * مَلِكِ الناس * إِلَهِ الناس * من شرِّ الوسواس الخنّاس** ﴾، يعني الشيطان يكون مصدراً واسماً، قال الزّجّاج: يعني الشيطان ذا الوسواس الخنّاس الرجّاع، وهو الشيطان جاثم على قلب الإنسان، فإذا ذكر الله خنس وإذا غفل وسوس. قال: الخنّاس له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الإنسان فإذا ذكر العبد ربّه خنس. ويقال: رأسه كرأس الحيّة واضع رأسه على ثمرة القلب يُمينّه ويحدّثه، فإذا ذكر الله خنس وإذا لم يذكر يرجع ويضع رأسه.

فذلك ﴿ **الذي يوسوس في صدور الناس** ﴾، بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع.

﴿ **من الجنة والناس** ﴾، يعني يدخل في الجنّي كما يدخل في الإنسي، ويوسوس الجنّي كما يوسوس

تعالى رجع، ووضع رأسه على القلب فذلك قوله تعالى: ﴿الذي يوسوس في صدور الناس﴾ يعني بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع، والمراد بالصدر القلب ﴿من الجنة﴾ يعني الجن ﴿والناس﴾ وفي معنى الآية وجهان:

أحدهما: أن الناس لفظ مشترك بين الجن والإنس، ويدل عليه قول بعض العرب جاء قوم من الجن، فقيل من أنتم قالوا أناس من الجن، وقد سماهم الله تعالى رجالاً في قوله ﴿يعوذون برجال من الجن﴾ فعلى هذا يكون معنى الآية؛ أن الوسواس الخناس يوسوس للجن كما يوسوس للإنس.

الوجه الثاني: أن الوسواس الخناس قد يكون من الجنة، وهم الجن وقد يكون من الإنس، فكما أن شيطان الجن قد يوسوس للإنسان تارة، ويخنس أخرى، فكذلك شيطان الإنس قد يوسوس للإنسان كالنّاصح له فإن قبل زاد في الوسوسة، وإن كره السامع ذلك انخنس وانقبض فكأنه تعالى أمر أن يستعاذ به من شر الجن والإنس جميعاً (ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها «أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم ينفث فيهما، فيقرأ

الإنسي، قاله الكلبي، وقوله: ﴿ في صدور الناس ﴾ أراد بالناس ما ذكر من بعد وهو الجِنّة والناس، فسمّى الجنّ ناساً كما سمّاهم رجالاً، فقال: ﴿ وإنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن ﴾ [الجنّ: ٦]، وقد ذكر عن بعض العرب أنه قال وهو يحدّث جاء قوم من الجنّ فوقعوا، فقيل: مَن أنتم؟ قالوا: أُناس من الجنّ. وهذا معنى قول الفرّاء، قال بعضهم: ثبت أن الوسواس للإنسان من الإنسان كالوسوسة للشيطان من الشيطان، فجعل الوسواس من فعل الجنة والناس جميعاً، كما قال: ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدوّاً شياطين الإنس والجنّ ﴾ [الأنعام: ١١٢]، كأنه أمر أن يستعيذ من شرّ الجنّ والإنس جميعاً، أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجّاج ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جويرية عن بنان عن قيس بن أبي حازم عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم ترَ آيات أُنزلت الليلة لم يرَ مثلهنّ قطّ، ﴿ قل أعوذ بربّ الفلق ﴾ [الفلق: ١]، ﴿ وقل أعوذ بربّ الناس ﴾، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أنا أبو الحسن بن عبد الرحمن بن إبراهيم العدل ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا أبو العباس بن الوليد بن مرثد أخبرني أبي ثنا الأوزاعي حدّثني يحيىٰ بن كثير حدّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أُخبرك بأفضل ما تعوّذ به المتعوّذون»؟ قلت: بلى، قال: «﴿ قل أعوذ بربّ الفلق ﴾ [الفلق: ١]، و﴿ قل أعوذ بربّ الناس ﴾»، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي أنا أبو عيسى الترمذي ثنا قتيبة ثنا المفضل بن فضالة عن عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفّيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما: ﴿ قل هو الله أحد ﴾ [الإخلاص: ١] و﴿ قل أعوذ بربّ الفلق ﴾ [الفلق: ١] و﴿ قل أعوذ بربّ الناس ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرّات. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ: كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عليه بيده رجاء بركتهما. أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي وأبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي قالا: ثنا أبو بكر أحمد بن الحسين الخيري أنا محمد بن أحمد بن معقل الميداني أنا محمد بن يحيىٰ ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلّا في اثنتين رجل آتاه

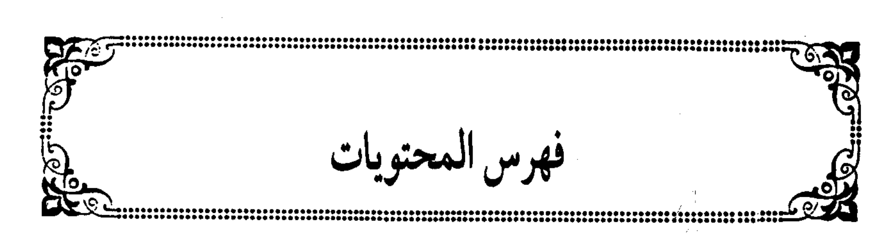
﴿قل هو الله أحد﴾، ﴿وقل أعوذ برب الفلق﴾، ﴿وقل أعوذ برب الناس﴾، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه، وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات» عن عائشة رضي الله عنها «أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات، وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح عنه بيديه رجاء بركتهما» أخرجه مالك في الموطأ ولهما بمعناه (ق) عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل، وأطراف النهار، ورجل آتاه الله مالاً، فهو ينفق منه آناء الليل وأطراف النهار» عن ابن عباس قال: «قيل يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله تعالى، قال الحال المرتحل قيل، وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره كلما حل ارتحل» أخرجه الترّمذي، والله سبحانه، وتعالى أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا إبراهيم بن حمزة حدّثني ابن أبي حازم عن يزيد يعني ابن الهادي عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ما أذِنَ الله لشيء ما أذِنَ لنبيٍّ حسن الصوت بالقرآن يجهر به».

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ربّنا لا تُزِغْ قلوبنا بعد إذْ هديتنا وهبْ لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهّاب. وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً إلى يوم الدين، والحمد لله ربّ العالمين.

* * *

فهرس محتويات
الجزء السادس
من تفسير الخازن والبغوي



فهرس المحتويات

مؤسسة جواد للطباعة والتصوير
هاتف: ٨٣٨١٥٦-٨٣٧٧٠٢ - بيروت - لبنان